تأليف كلير ويبل يعقوب ترجمة نافع توسا

سورما خانم

١٨٨٣ - ١٩٧٥

السيدة الكلدو آشورية

في قلب الإعصار المدمر الذي اجتاح بلاد ما بين النهرين

مراجعة وتحقيق وتقديم الأب د. يوسف توما مرقس

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܩܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܩܕܡ ܒܝܡܐ
ܘܢܗܘܐ ܡܢ ܒܢܝ ܡܫܠܡܢܐ ܘܣܢܐ ܕܢܦܫܗ ܢܦܠ ܥܠ ܐܘ
ܠܗܠ ܠܗ ܚܪܡܐ ܥܠ ܢܦܫܗ ܢܗܘܐ ܠܗ ܚܪܡܐ ܥܡ
ܟܬܒܘܗܝ. ܢܦܩܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Biographies: By ABC

Beth Mardutho Library

سورما الكلدو آشورية
(١٨٨٣-١٩٧٥)
في قلب الإعصار الذي
إجتاح بلاد ما بين النهرين

هذا الكتاب من منشورات سلسلة

شعوب وحضارات مشرقية" وهي منتخبات يشرف على تنظيمها و إصدارها أفرام عيسى يوسف عاشت في ربوع الشرق الأوسط شعوب حملت وأنتجت ميراثا ثريا كما أنها أدّت دورًا مهما وكبيرًا في مجريات التاريخ والحضارة:

من هذه الشعوب: الأرمن، الكلدو آشوريون، الأقباط، الجورجيون، الموارنة، الروم الملكيون، والسريان الغربيون.

اليوم، مع شديد الأسف نلاحظ أنّ أبناء كل هذه الشعوب، غير معروفين لدى الغربيين إن لم نقل مجهولين تمامًا.

فتحت دار منشورات "هارماتان "/ L` Harmattan أبوابها واسعة لكل ما ينتجه أبناء هذه الشعوب بطوائفهم المتعددة بغية نشر إرثهم والتعريف به من أجل أن يتمكن الذين سيطلعون عليه تقييم ذلك الإرث ووضعه في المكانة التي يستحقها بجدارة.

الكتب التي صدرت عن هذه الدار حتى الآن هي:

- المسيحيون ودورهم في الطب العربي Les chrétiens dans la médcine arabe
الذي وضعه Raymond LE COZ

-أخبار تاريخية عن بلاد ما بين النهرين Une chronique mésopotamienne
الذي وضعه Ephrem-Isa YOUSIF

-السريان يتحدثون عن الحروب الصليبية Les syriaques racontent les croisades
الذي وضعه Ephrem-Isa YOUSIF

-الأساطير في شعر خليل جبران Poétique de la fable chez Khalil Gibran
الذي وضعه Daniel S. LARANGE

-الاطباء النساطرة عبر القرون الوسطى Les médecins nestoriens au Moyen Age الذي وضعه Raymond LE COZ

كلير ويبل يعقوب

سورما
الكلدو آشورية

(١٨٨٣-١٩٧٥)

في قلب الاعصار الذي إجتاح بلاد ما بين النهرين

ترجمة نافع توسا

مراجعة وتقديم: الأب د. يوسف توما

بغداد ٢٠١١

منشورات دار هارماتن عام ٢٠٠٧/ L`Harmattan
العنوان البريدي: 7-5, 75005 **Paris ،rue de l`Etoile-Politechnique;**
العنوان الألكتروني: **http:www.librairieharmattan.com**
قسم: **haramattan@wanadoo.fr**
الرمز الرقمي لطلب هذا الكتاب (باللغة الفرنسية) ISBN: 978-2-296-02962 -2
EAN: 9782296029262
التصميم: آشور شمرايا نيسان

صورة الموافقة بالطبعة العربية من مؤلفة الكتاب ودار النشر الفرنسية

L'Harmattan
Edition – Diffusion
5-7 rue de l'Ecole Polytechnique
75005 PARIS

Claire Weibel Yacoub
24, rue Paul Bert
69190 SAINT FONS

Saint Fons, le 16 mars 2009

A l'attention des éditions L'Harmattan,

Je me permets de vous contacter au sujet de mon livre :

Surma l'Assyro-Chaldéenne
(1883-1975)
Dans la tourmente de Mésopotamie

Je vous serai reconnaissante de m'accorder gracieusement l'autorisation de realiser par mes propres soins sa traduction en langue arabe (par Monsieur Nafi Tossa) et sa publication en Irak.

Bien cordialement.

Claire Yacoub

Accord
P.O. Denis Pryen
Jérôme Martin

إهداء الكاتبة:

إلى روح والديّ: Berthe و Jean-Claude وإلى أبناء عائلتي الأعزاء.

إنّ ترجمة الحياة هذه التي بين يديك أيها القارئ الكريم هي ثمرة قصة حب، كانت البداية يوما في مدينة "ليون"، بين شابة ألزاسية وشاب كلدوآشوري، فربط قلبيهما جسر محبة خالدة إستندت إحدى نهايتيه على ضفة نهر الراين والأخرى على ضفة نهر دجلة الخالد.

شكري الجزيل والخالص لزوجي الحبيب وللأخت ريتا - إليزابيت من أخوات "بيت عنيا" وإلى سرجينا يوحنان إبنة الأخ الحبيبة وكذلك لكل من لقيتهم من رجال ونساء خلال الأعوام الأخيرة الذين ساهموا في تسجيل الكثير من المعلومات التي كنتُ أجهلها.

ملاحظة: إستعملنا المفردتين: "الآشوريون" و "الكلدوآشوريون" للتعبير عن المعنى نفسه، وذلك لأنهما تعنيان نفس الشعب، علما أنّ المفردة "الآشوريون الجبليون" قد تختص بتمييز "الكلدوآشوريين"، الذين سكنوا ربوع حكاري/هكاري (إني قد لاحظت أن هناك من يلفظ هذا الإسم بالحاء وآخرون بالهاء، وكذلك المؤلفون، في ترجمتي هذه إتبعت اللفظ بالحاء - المترجم) حسب تسميتها آنذاك وهي خاصة بنفس الفترة التي نتحدث عنها، هذا إضافة إلى أنّ الجميع ينتمون إلى الكنيسة نفسها التي عرفت بـ "كنيسة المشرق" التي تعود بأصول تأسيسها إلى عهد مار "توما" الرسول وأنهم جميعا يتحدثون اللغة السريانية.

تقديم ناشر الطبعة العربية

صدر هذا الكتاب عن دار هارماتان Harmattan الفرنسية في سلسلة " شعوب وثقافات من الشرق " ، التي يديرها الصديق الأستاذ أفرام عيسى يوسف، كتبته السيدة الفرنسية كلير فيبل ياكوب Claire Wiebel Yacoub، تحت عنوان " سورما الآشورية-الكلدانية ١٨٨٣ - ١٩٧٥، في إعصار بلاد ما بين النهرين " . وبرغم أن اختصاص المؤلفة هي المختبريات، إلا أنها تحمل شهادة في حقوق الإنسان، وهي متطوّعة في الدفاع عن حقوق الآشوريين-الكلدان. قضت عشر سنوات في تأليف هذا الكتاب والبحث في المصادر السياسية منها خصوصًا، التي كانت في خزائن الحكومة البريطانية، ولم يطلع عليها أحد من الباحثين من قبل كونها مقيدة بعامل الزمن المفروض على النصوص الحديثة ذات السرية. وقد تابعت، المؤلفة، من خلال سفرات ميدانية عديدة، آثار الليدي سورما، هذه الشخصيّة المثيرة للإهتمام، فزارت أغلب المناطق التي عاشت فيها مثل بريطانيا وجنيف وقبرص والولايات المتحدة إلى مدينة ترلوك (غربي الولايات المتحدة الأمريكية) المحطة الأخيرة في حياة سورما.

لقد جاءت الأحداث المسطّرة في هذا الكتاب امتدادًا لما سبق ونشرناه في ثلاثة كتب أخرى وهي:

١ - "هل ستفنى هذه الأمة" ، للأب جوزيف نعيم، الذي تطرق فيه إلى مذابح المسيحيين في تركيا إبان الحرب العالمية الأولى، ترجمه نافع توسا، راجعه وحققه الأب د. يوسف توما. وكان زمن تأليف هذا الكتاب في عام ١٩٢٠ .

٢"- المسيحيون الآشوريون -الكلدان في تركيا الشرقية وإيران والعراق" (أطلس خرائط)، للبروفسور ساندرس، ترجمه نافع توسا، راجعه وحققه الأب د. يوسف توما، ويحوي مجموعة من سبع خرائط كبيرة، بعض منها ينشر للمرّة الأولى، وقد أجري على الخرائط معالجة بالألوان بشكل يساعد على تفهم ما حدث في مواقع مسيحية قديمة كانت عامرة في الماضي.

٣" - المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية" ، الكلدان والسريان والآشوريون والأرمن، مع ١٠ خرائط كبيرة.

وأخيرا هوذا كتاب عن حياة "سورما خانم د بيث شمعون" ، ترجمه نافع توسا، الذي تناول بشكل مفصل ودقيق، ومن منظور يختلف عن الكتب السابقة، ما جرى في زمانها من أحداث بدأت قبل الحرب العالمية الأولى وما عقبها حتى نفيت بعد حوادث مذابح سميل في عام ١٩٣٣ .

كتاب الليدي سورما أو سورما خانم، إذن يحمل الكثير من التفاصيل التاريخية، ومن ردود فعل معها أو ضدها، فنرى أن هناك من يمتدحها بشكل مبالغ، وآخر لا يطيق سماع اسمها، إلا أن الغالبية لا تعرف شيئًا عنها. لذا فتناول الكاتبة كلير ويبل يعقوب هذا الموضوع يسد فراغًا في دراسة هذا التاريخ من منظور جديد وموضوعي. وبسبب مرور ما يقارب القرن على بداية هذه الأحداث، بدا لنا

من الضروري أن نترجمه وننشره لقراء اللغة العربية ولكي نساعد بذلك في وضع النقاط على الحروف ولعل ذلك سيعالج الذاكرة المجروحة، التي عندما تجهل وتهمل تنتقل على أصحابها. كما أننا نعتقد أن ما يحدث اليوم في منطقتنا عمومًا وفي العراق خصوصًا، ليس سوى بقايا وإسقاطات لما حدث في تلك الأيام، من احتلال وانتفاضات وثورات واغتيالات وتقلبات، وخصوصًا ما تعرض ويتعرض إليه المسيحيون، مرة تلو المرة، من اضطهاد وتهجير ومتغيرات كبيرة.

إن الهدف الأساس في تأليف هذا الكتاب وترجمته هو خدمة للتاريخ، مهما كانت صفحاته، لكي تثبت للجميع أصالة شعبنا في موطنه وحقوقه فيه، كما تدعونا قراءته، إلى قراءة مجددة للتاريخ الحديث والمعاصر وأخذ العبر منه.

لقد أجادت المؤلفة الفرنسية السيدة كلير يعقوب في تقصي الأحداث في كتابها هذا، فروت ملحمة سيدة مسيحيّة كلدو اشورية دمغت بشخصيتها شعبها في أوائل القرن ٢٠، لكن الكتاب يستطلع أكثر من حياتها فقط، فما وراء قصة هذه المرأة، أحداث تعرضت إليها بلادنا وشهدت الولادة العسيرة لدولة العراق، في مخاض وعنف، فوراء ذلك كانت فرقعة المدافع وقيام أشكال التعصب التي هشمت وشرذمت أشلاء الإمبراطورية العثمانية، ذلك " الرجل المريض " .

ستوضح قراءة هذا الكتاب لماذا عادت تلك الأمور تهدد وحدة العراق اليوم. بدءًا من ولاية الموصل، التي بقيت حتى بعد قيام دولة العراق لعدّة سنوات منطقة نزاع، وهي اليوم في قلب أحداث إمتدت حتى اليوم. فقد كان النفط - المكتشف حديثًا في كركوك والموصل- أحد الأسباب التي دفعت المفاوضين إلى رسم خريطة مشوّهة في تقسيم غريب لجغرافية منطقة كانت متكاملة في مباحثات (سايكس بيكو)، إلا أن أطماع القوى الكبرى غيّرت كل شيء بجرة قلم. هذا هو سبب عودة العالم دائما إلى نقطة الصفر، لأنه لم يعالج آنذاك ما خرج من القمقم، فعدنا بعد قرن إلى مشكلة أقليات، ووجدنا أنفسنا في هذه المرة أيضا ضحية الخوف وعدم الأمان. وكما نُسيَت قضية ذلك الشعب (حليفنا الصغير كما كان رئيس الوزراء البريطاني وينستن تشرشل يسميه)، صاروا اليوم أيضًا مع بداية القرن ٢١ منسيين، كما حدث بالضبط لجبليي منطقة حكاري، بلد سورما خانم، حيث عاشوا آلاف السنين.

ليس هذا الكتاب إذن مجرد سرد للتاريخ فحسب، إنما يمكن أن يصبح مصدرًا لفهم الحاضر المتذبذب أيضا. فقراءة للماضي بعين الحاضر قد تكون ناقصة ومشوهة، ولهذا فكلّ الذين كتبوا عن سورما لم ينصفوها، إلا أن الكاتبة السيدة كلير يعقوب، بقيت محايدة، لتكشف جوانب أخرى لا يمكن أن تتحملها سوى امرأة نبيلة من بيت عريق أصيل، فأنصفتها بحق وتجاوزت الإنفعال الذي يسود تحليل الكتّاب الذين سبقوها.

ما يجلب النظر أيضا في هذا الكتاب هو استعمال المؤلفة لتسمية " الآشوريون- الكلدان" ،

معتمدة على دليل شرحته في هذه الفقرة التي يمكن أن تختصر الكتاب برمته، فنقرأ:

"خلال قرون عديدة، تخلل حضور المسيحيين (في المنطقة) مآس دفعتهم أن يصيروا شعبا يائسا من مستقبله. فقبل الحرب العالمية الأولى، كان الآشوريون الجبليون مستقلين بسيّرهم نظام عشائري قبلي تحت سلطة مار شمعون. ويعيشون بصعوبة في حكاري إلى أن أجبرتهم الهجرة فتركوا جبالهم، وأبلوا بلاءً حسنا فقاوموا بشكل أثار إعجاب الجميع. وانفتحوا على أفكار ذلك العصر الجديدة. وبرغم الوعي السياسي لم يفارقهم حلم إعادة أمجاد الإمبراطورية الآشورية. لكن ذلك الحلم إصطدم بواقع مرير، فانقسموا. إذ عندما عادت سورما (من مفاوضاتها الأولى) في سويسرا وبريطانيا (إلى معسكر بعقوبة قرب بغداد)، رأت جماعتها منقسمة، فالكلدان المستقرون في العراق لم يكن يعنيهم أن يختلطوا بمسائل الآشوريين الجبليين، والذين كانوا مع بيت مار شمعون معارضين له. مع ذلك، بقي التيار فاعلا وقويا، والانقسامات أفادت أساسًا قوى الإنتداب التي لم تتردّد بالتدخل لتستفيد من رجال القبائل الآشورية الأشداء فشكلت منهم جيوشا وقوات، كفرنسا في سوريا وبريطانيا في العراق لعبا على تلك الانقسامات. بينما أكد الآشوريون الجبليون إرتباطهم ببريطانيا، أظهر الكلدان إرتباطهم مع فرنسا التي مالت إليها خصوصًا شخصيتان معروفتان هما: أغا بطرس وملك قنبر. ولدينا خطابات نارية ألقتها في هذا الاتجاه السلطات الكلدانية، وخصوصًا البطريرك مار يوسف عمانوئيل توما (الذي جلس على سدة البطريركية من ١٩٠٠ - ١٩٤٧). ففي عام ١٩٢٠ طلب المطران أوجين منّا، مساعد البطريرك من شعبه أن يتبع فرنسا "حتى بشكل أعمى..." (راجع ص ٢٠٤).

لقد أجبرت الظروف الليدي سورما خانم إلى أن تمسك بزمام قيادة جماعتها في فترة عصيبة، خصوصًا إبان الحرب العالمية الأولى وما تعرّض إليه، مسيحيو هذه البلاد من هجمات الجيوش التركية والقبائل الكردية، فأصبحوا في كماشة وضحيّة مذابح وحشية، فهاجر من لم يقتل وفرّ من وطنه. وقد رافقت سورما النزوح الجماعي من تركيا نحو إيران ثم استقرت لفترة في العراق، وجلست على طاولة المفاوضات مع كبار العالم آنذاك، ودافعت عن حقوق شعبها. وفي لعبة مضطربة، بين سلطات الإحتلال البريطاني للعراق آنذاك، أهمل هذا "الشعب الصغير"، واستبعد عن مسرح السياسة والقرار، خصوصًا بعد أحداث عام ١٩٣٣، وهذا القسم تناولته الكاتبة أيضًا بالتفصيل في صفحات عديدة أي ما يخص مذابح المسيحيين في قرية سميل في آب ١٩٣٣، التي لم تكن سوى امتداد لاضطراب وتذبذب تعرض إليهما المسيحيون عمومًا والآشوريون خصوصًا، فقام الجيش العراقي بتطويق تلك القرية وكتب صفحة غير مضيئة في تاريخ هذا البلد. كما فتح، الآشوريون، عقب تلك المذابح، أعينهم على خيانة بريطانيا لهم، وتضحيتها بهم على مذبح المصالح الإقتصادية والإستراتيجية. فغرست المأساة بين الآشوريين شوكة عميقة ملتصقة بهم. وبعد تلك الأحداث عدّت

بريطانيا العائلة البطريركية غير مرغوب فيها. فانقلب عليها الإنكليز وقاموا بنفي البطريرك الشاب مار إيشي شمعون مع عمته سورما و ١٨ شخصًا من أبناء عائلته إلى جزيرة قبرص، فبقوا هناك أكثر من عشرين عامًا من الزمن، أي حتى عام ١٩٥٤، ومن بينها سنوات الحرب العالمية الثانية حيث انقطعت بهم السبل وكاد الجوع يقضي عليهم. لكن بريطانيا، بعد الحرب العالمية الثانية، عادت فأقرّت بالظلم الذي لحق بالآشوريين لكن بقي ذلك بالكلام فقط، أما الكنيسة الأنكليكانية فكانت أكثر سخاءً في محاولة رأب الصدع، عندما قام رئيسها في عام ١٩٦٦ بتقليد الليدي سورما وسام مار أغوسطينس دي كنتوربري، وهو أعلى وسام يعطى لغير الأنكليكان.

كانت سنوات سورما الأخيرة زاخرة بآلام ودموع وهجرة من مكان إلى آخر، قادتها إلى الولايات المتحدة في ترلوك -كاليفورنيا، وحين قتل ابن أخيها البطريرك إيشي أمام منزله يوم ٦/١١/١٩٧٥، على يد داود ابن ملك إسماعيل، في مدينة سان هوزيه، أخفي عنها الخبر لئلا يقضي عليها، إلا أنها توفيت بعده بأسابيع قليلة يوم ٧/١٢/١٩٧٥.

نشكر السيدة كلير ويبل يعقوب على تسهيل مهمة هذه الترجمة، للصديق الأستاذ نافع توسا. كما نوجه الشكر للأستاذ أفرام عيسى يوسف مدير سلسلة في دار نشر هارماتان، التي نشرت الطبعة الفرنسية للكتاب على إجازة الترجمة والطباعة.

الأب د. يوسف توما مرقس
بغداد حزيران ٢٠١٠

مقدمة المترجم

التاريخ هو قراءة لأحداث أو وقائع حصلت في أزمنة قديمة متباينة، لفرد معيّن أو لجماعات كبيرة أو صغيرة من البشر، في بقعة أو بقاع من الأرض. قد تكون هذه الأحداث أو الوقائع نتيجة عمل الإنسان وبإرادته الذاتية، أو بتدخل من الطبيعة. عند أخذنا كل هذه البينات بنظر الإعتبار، سنلاحظ أن لا زال هناك دور كبير لتأثير رأي كاتب التاريخ الشخصي في ما يسجله، رغم إفتراض حياديته. هذه الحقيقية هي السبب في اختلاف القراءات للتاريخ، ومن ثمّ الإستنتاجات والأحكام التي يصدرها القارىء بحق من يعنيهم التاريخ الذي يقرأه.

إلى جانب كل ذلك، علينا أن لا ننسى وقوع كتاب التاريخ تحت ضغوط الحكام أو القادة الطغاة، فيشوهون الوقائع والأحداث ويسردونها وفق رغبات أولئك الحكام أو القادة الشخصية، وهنا تكون الطامة الكبرى وأغلاط التاريخ الكبرىّ التي لا تغتفر.

أخي القاريء الكريم،

بين يديك ترجمة لسيرة ذاتية تعود لسيدة وصفتها المؤلفة المحترمة بـ "الكلدوآشورية". هذه السيدة لعبت يومًا ما دورًا مؤثرًا في حياة أمّة كان لها ماض مشرق وقياديّ في حياة البشرية. كما كان لها حضارتها الشهيرة، ولغة إتخذتها أمم كثيرة لغة رسمية لها، كما كان لها أيضا معتقدها الإيماني الخاص بها، وموطنها المعروف لدى الكثيرين.

عرفت هذه السيدة باسم سورما أو سورمه. وتنتمي أصلا إلى عائلة "بيت مار شمعون" الشهيرة التي توارث أبناؤها الجلوس على الكرسي البطريركي الخاص بكنيسة المشرق قرونًا عديدة. الأصل في منصب البطريرك هو الإهتمام بالأمور الدينية والقضايا الروحية. لكن بسبب النكبات والإضطهادات الكثيرة التي حلت بالمؤمنين المسيحيين التابعين لهذه الكنيسة والهالة القدسية التي كان يفترضها المؤمنون في من يتولى هذا المنصب، فجعلوه مرجعهم في حلّ المشاكل أمام السلطات المدنية من جهة، ووجود القانون العثماني المعروف بـ "الملت / الملة وتدخل أبناء العائلة وتأثيرهم في إتخاذ القرار خاصة بعد أن أصبح إعتلاء المنصب البطريركي وراثيا من جهة ثانية، قد نجد عند قراءة هذه السيرة الذاتية أوضاعًا شاذةً أو غير منطقية عند إتخاذ القرارات، ما سنلمسه هو بالفعل تدخل سافر في قضايا حيوية تخصّ شعبًا بأكمله والمفروض أن يكون له وحده الدور الأساسي والقرار النهائي.

أظن أنّ قراءة هذه السيرة الذاتية مهمة جدًا، خاصة لأولئك المهتمين بقضية الشعب المسيحي في الشرق والذي قد يريد البعض حصره باسم "الآشوري" ومستقبله. من خلال القراءة قد نتوصل إلى معرفة سبب التأخر الذي يعيش فيه هذا الشعب وتحديد موقعه والخلل المسبب له ومن ثمّ وضع

الخطط اللازمة لمعالجة الخطأ، وتأشير الأسس الصحيحة لبناء مستقبل الأمة وتربية أجيالها الصاعدة التي قد تعيد ذكرى الجدود بخدمتها البشرية وإفراز حضارة متطورة جديدة كما فعلوا. قد يقول البعض ما حاجتنا لقراءة سيرة ذاتية لأحدى بنات أمتنا، كتبتها سيدة ليست من بناتنا، ولا تعرف دقائق الأمور يومئذ؟ الجواب على ذلك أقول: "من خلال قراءة ما كتبته هذه السيدة التي إسمها "كلير" -وهي فرنسية الأصل- سنتحسس الحيادية الشبه تامة أولا بسبب إعتمادها عند الكتابة على الأسس الأكاديمية، وأعني بذلك الموضوعية والدقة العلمية والصبر الجميل أثناء البحث عن الحقيقة. ثانيا محبتها الخالصة للأمة التي تنتمي إليها سورما، وينتمي إليها أيضًا أولادها (أولاد الكاتبة)، بحكم كونها زوجة أحد أبناء هذه الأمة الذي عمل ولا زال يعمل لصالح قضية الشعب المسيحي في بلاد ما بين النهرين والذي تنتمي اليه السيدة سورما - الأستاذ يوسف يعقوب - أما السبب الثالث فهو توفر فرص الرجوع إلى الوثائق الرسمية الخاصة بالأحداث المحفوظة في خزائن الدول ذات الشأن -البريطانية والفرنسية- والتي لم يكن ممكنا الرجوع إليها في السابق لكونها كانت لا تزال ضمن الوثائق السرية التي لا يجوز الإطلاع عليها إلاّ بعد مرور مدة محددة من السنين.

ستبقى جهود السيدة كلير محل تقدير، ومصدرًا لمعرفة الحقيقة قد يرجع إليها من يهتم بها، كما أنها قد تصحح معلومات كتب عنها البعض لم تكن مستندة على براهين موثوقة. هذا الواقع لا أريده أن يكون المحصلة الأخيرة لمعرفتنا للتاريخ الذي يهمنا أمره طالما هو متعلق بنا وبكياننا ومسقبل أجيالنا، بل إنما دعوة لمزيد من البحث العلمي الدقيق. هكذا سنضع السيدة سورما في موقعها التاريخي الصحيح الذي تستحقه، علمًا أنّ الأكيد لدينا هو أنها كانت تعمل حتمًا لصالح أمتها وشعبها وفق منظورها الشخصي. لذا قد تكون قد أخطأت في التقدير أو إتبعت الطوبائية (نوع من السذاجة والبساطة) في التعامل مع الآخرين فصدقت الوعود دون تحفظ أو حيطة وحذر.

عزيزي القارئ،

المفروض فينا جميعا، أن نقرأ التاريخ بواقعه الحقيقي، ونأخذ منه العبر لمعالجة الأخطاء ووضع الأسس السليمة لعملنا مستقبلاً كما ذكرنا أعلاه. في هذا المجال لا بد لأن نؤكد أن الخطأ الكبير الذي إرتكبه الأباء والأجداد ومن بينهم السيدة سورما، ولا زلنا نرتكبه نحن الأحفاد هو إصرارنا على العناد والحفاظ على الإنشقاق، وتعودنا على إتهام الآخرين بالخيانة أو العمالة أو الجبن.

الكبرياء والعناد هما الآفتان الكبيرتان اللتان أبتلي شعبنا بهما في القرون الأخيرة، وهذا أدّى إلى مذابح مريعة عشناها، فخسرنا الآلاف المؤلفة من أبناء شعبنا البررة الشجعان، وحضارة كاملة وماضي مشرق. خسرنا كذلك الأوطان والمال، وأصبحنا نتسوّل على أبواب السفارات طالبين السمات

التي تمكننا من دخول بلدانها كلاجئين ضعفاء معدمين. صدقنا وعود الحكومات ووقفنا إلى جانبها عندما كانت بحاجة إلى مساعدتنا ولما تحقق لها ما أرادت من نصر وسيطرة ألقت بنا بعيدًا فهمشتنا بعد أن كانت تصفنا بالحليف الصغير. لنستذكر كل هذا التاريخ بحقائقه المرة ومآسيه، ونشير إلى الأسباب التي أوصلتنا إلى واقعنا الحالي ومن ثمّ نستنتج العبر. السبب كان دومًا الإنشقاق والتقوقع والركض وراء آمال وأهداف غير واقعية وافتراضات غير موثقة علميًا. المستقبل لا يصنعه الأجداد وتاريخهم المشرق، المستقبل صنع الأحفاد الأذكياء الشجعان. كفانا تخاصم على ترّهات. لنتفق اليوم وننسى الماضي ونتحد ونعمل سوية بأخوة خالصة ومن الله البركة والتوفيق.

إخواني،

على من يحب أمته وشعبه حقيقة، إن يدرس التاريخ بعناية ويستخلص العبر المفيدة منه فيمدّ يده بروية إلى إخوانه الآخرين، تاركًا الأحقاد جانبًا وأن يضع الكراهية خلف ظهره ويعتمد الحوار أسلوبًا أساسيًا في الحياة، ويعطي كل صاحب حقّ حقه ليقول رأيه بحرية وصراحة وأن يكون مستعدًا للتنازل عن بعض الآراء عندما يرى في ذلك مصلحة الجميع. بهكذا روحية ونفس سنحقق حتمًا وحدتنا الضرورية ونكوّن لنا قيادة حكيمة ذات خطاب سياسي موحد وواضح المعالم يرضى به الجميع، فيكون لنا عندئذ مكاننا المناسب والمؤثر يقبله كل من نعيش إلى جواره فيعترف به علانية ويؤيدوه.

وفق الله الجميع، متذكرين أنّ يد الله مع الجماعة التي تعمل لخير الجميع ووفق العدالة. وأخيرًا نقول الشكر والحمد لله أبدًا ودوما على نعمه الكثيرة.

المترجم نافع توسا
في الأول من نيسان ٢٠٠٩

ملاحظة: حاولتُ أحيانًا أن أكتب بعض أسماء العلم والمواقع بأكثر من صيغة نظرًا لورودها مختلفة الصيغ عند كتابتها من قبل المؤلفين. أحيانًا أخرى ونظرًا لعدم معرفتي بالاسم بدقة كتبته باللغة الفرنسية وحسب ما جاء في النص الأصلي تسهيلا لمراجعة القارئ عند البحث عن المصدر.

تمهيد المترجم

قيل إنّ التاريخ يبدأ في بلاد ما بين النهرين لكنه لا ينتهي بها. في بداية قرننا الحالي (القرن الحادي والعشرين) نرى مشكلة الموصل تعود نظهر من جديد على مسرح الأحداث أثر الإجتياح الأميريكي للعراق. إنّ تجدد إنبثاق مشكلة الموصل والمطالبة الملحة بإقامة منطقة "حكم ذاتي" خاصة "بالكلدو آشوريين" -الأقلية المنسية - ليست مشكلة حديثة العهد، بل إنها مشكلة قديمة ترافعت سورما عنها باسم الشعب المسيحي كله، فطالبت بإقامة منطقة "حكم ذاتي" لشعبها طوال أيام حياتها التي عاشتها في منطقة حكاري التركية ومن ثمّ في بغداد.

في كتابي هذا سوف أتحدث عن السيرة الذاتية الخاصة بأحدى شخصيات القرن العشرين. أحداث هذه السيرة هي نفس الأحداث المعاصرة التي جرت في العراق. عند إعادة ذكرى حياة تلك الشخصية سنطلع على ملحمة لحياة إمرأة تعود بجذورها إلى نينوى التاريخية فتكيفت وتطورت حاملة مشعل التبشير الإنجيلي الأصيل. بداية قد تظهر الأحداث غير قابلة للتصديق، لكن الواقع يثبت صحة حدوثها وأنها جزء من مجريات الأمور المدهشة لعالمنا المعاصر. إتجهت سورما في مسيرة حياتها أولا من جنوب شرقي تركيا إلى الشمال الغربي من إيران، نحو "سلامس" و "أورميا". بعد ذلك وصلت العراق.

قطعت سورما هذه المسافات الطويلة برفقة أبناء شعبها، هربًا من مضطهديها الأتراك والأكراد. سارت على الأقدام مسافة جاوزت الألف والثلاثمائة كيلو متر. كانت الطريق وعرة وشاقة. بدأت من "قوجانس" إلى الباش قلعة، في هذا الجزء كانت الطريق متعرجة وكثيرة الألتواءات ومحفوظة بالمخاطر بسبب المكائد التي كان الملاحقون ينصبونها. بالحقيقة إنها كانت تشبه الطريق التي سلكها المسبيون القدامى. عاشت بطلة هذه السيرة الذاتية أيام تلك المسيرة ومعها الشعب الكلدوآشوري في بؤس وشقاء بسبب الكوارث اليومية. بعد ذلك وقبل أن ينتهي بها المطاف إلى الأراضي البريطانية ومن ثمّ الولايات المتحدة الأمريكية التي قبلتها لاجئة في ربوعها، أقامت في قبرص منفية من وطنها الذي أحبته كل الحب وبإخلاص.

ترسم حياة سورما الكلدو آشورية، المسار المأساوي لحياة شعب ورؤساء رافقوه بقيادة إمرأة تأصلت في قلبها جذور محبة الوطن متفاعلة مع أحداث العالم المرعبة التي حصلت خلال العقود الأولى من القرن العشرين. إنها إبنة آشور والمرتلة الأولى في كنيسة المشرق المعروفة أيضًا "بالنسطورية". لقد كانت هذه المرأة الجسورة في الوقت ذاته قريبة لبطريرك هذه الكنيسة ذات التاريخ الحافل والمشرق. عرفت هذه المرأة بكنية "سورما سليلة بيت مار شمعون". بقيت سورما سنين عديدة المشعل المضيئ والنور الهادي لأبناء شعبها.

عدا ذلك يقصّ لنا هذا الكتاب الأحداث التي جرت خلال الفترة المضطربة من تاريخ بلاد ما بين

النهرين التي أصبحت فيما بعد مهدًا لبناء دولة العراق الحديثة ولدت بعد آلام وأوجاع مخاض مهولة. بعد مرور عقود على دولة العراق الحديثة وزوال نير الكابوس العثماني التركي، نرى اليوم العراق بعد الأحتلال الأمريكي يوم التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣، يحترق بنيران الفوضوية والإرهاب. إطلاقات المدافع تسمع في أرجاء البلاد قاطبة. التعصب الديني الأعمى في هياج جنوني مدمر واضعًا البلاد على شفى إنفجار هائل وحرب أهلية ستكتسح الأخضر واليابس. آه ما أشبه اليوم بالبارحة. مشكلة الموصل عادت تطفو على السطح. محافظة الموصل، أرض آشور الشهيرة بمسيحيتها أصبحت اليوم في قلب الأحداث ومركز الرهان، بسبب أهمية حقولها النفطية. فهل هناك اليوم معاهدة جديدة شبيهة بمعاهدة سايكس - بيكو السيئة الصيت؟ وهل نصوص هكذا معاهدة جاهزة ومحفوظة في خزانات الخطط السياسية العائدة للدول العظمى ذات القرار المؤثر والنهائي في مصير الشعوب؟ ما ترى ستكون نتيجة الرهان على هذه المخاظة؟ وهل ستكون من نصيب إقليم كردستان الموسع أم من نصيب العراق الموّحد؟ ما عسى أن يكون مصير الأقليات المسيحية المتعددة التشكيلات الساكنة ضمن حدود هذه المحافظة التي يُعرفها بعض القادة الحاليين بـ " الطوائف المسيحية "؟

هناك لغم آخر مزروع في أرضية هذه المشكلة، ذلك هو موضوع المسيحيين الشرقيين والغربيين الذي يزيد سخطهم الناجم عن عدم حل هذه المشكلة بعدالة تعقيدًا. كل هذه الحقائق بعثت في النفوس الخوف وعدم الأمن والقلق المستمر على المستقبل. جماهير المسيحيين العراقيين - المواطنيين الأصليين لبلاد ما بين النهرين وأصحابها الشرعيين مهددون بالنسيان أو التهميش مرة أخرى كما حصل لجماهير الآشوريين الجبليين أبناء حكاري القدامى وطن سورما القومي. كمحصلة لما ذكرته لهذه السيرة الذاتية، سنلاحظ أن لها أهمية كبرى نظرًا لأنها محاولة تمكن من مناقشة الوضع الراهن المريب وتربط ما بين الظروف المعاصرة والمجريات التاريخية التي تحققت قبل حوالي القرن من يومنا هذا.

١- مار ايشاي شمعون ٢- مار يوسف خنانيشوع ٣- القائد داود ٤- سورما عمة مار شمعون

القسم الأول

سورما سليلة بيت مار شمعون
(العائلة البطريركية)
عندما كانت في ربوع حكاري منطقة نفوذ الآشوريين
(من كانون ثاني ١٨٨٣ - أيلول ١٩١٥)

عزيزتي الأم (كنية لرئيسة دير راهبات):

تشرفنا هذا الأسبوع بزيارة معالي الأميرة سورما التي استقبلتها الجماهير المحلية بحفاوة بالغة، تعبيرًا عن الولاء الذي تكنه تلك الجماهير لبيت مار شمعون - البطريركي -(...) إنها شابة رائعة الجمال (...) ترتدي معطفًا في غاية الأناقة وسترة زواوية (لباس أهل مراكش والجزائر، كان يلبسه الجنود الفرنسيون -المترجم) لها أكمام من القطيفة البنفسجية المزركشة بخيوط من الفضة (...) اليوم بعد الظهر غصت كنيسة مريم العذراء بأعداد كبيرة من السيدات المحترمات.

الأسطر أعلاه منتقاة من رسالة كتبتها الأخت " أيلين جوانا " من الراهبات الأنكليكانيات التابعات لرهبنة " بيت عنيا " المرسلات إلى أورميا عام ١٨٩٤ .

١ - قوجانس (المدينة) الآشورية المسيحية

حكاري: جبال ملجأ آمن

نتشرت بيوت قصبة جولاميرك في أعماق وادٍ رهيب، تتخلل فضاءتها أجمات مبعثرة. في بعض أطرافها نرى جبال شاهقة بينما في أطراف أخرى منها نراها محاطة بمنحدرات هادئة لمرتفعات معتدلة. على إحدى القمم المطلة على بيوت جولاميرك، تقوم آثار قصر فخم تراها وكأنها معلقة في الفضاء، تحكي قصص ماضٍ زاه لأمراء أكراد. إشتهرت هذه الآثار باسم قلعة باري. قرب القصر كان هناك جامع حصين يحكي هو الآخر أحداث إضطرابات حصلت في الماضي. هناك أيضًا ينابيع صغيرة تسيل هنا وهناك فتتجمع مياهها مكونة سواق سرعان ما تختفي غائرة في مضايق كثيرة الحصى. في أحد أيام شهر أيار البهيجة من عام ١٩٠٨ وعندما لم يكن هناك ما يعكر روعة جمال فصل الربيع المخيمة على الأرض، كانت أشعة الشمس تداعب الكائنات فتبعث الدفء المنعش للحيوية والنشاط

في كلّ الكائنات الحية. كان "سركون" يورد قطيع أغنامه الماء من إحدى السواقي إستعدادًا لصعود المرتفعات الجبلية و إختراق الممر الجبلي الذي يفصله عن قوجانس. وكان هناك أيضًا "دنحا" الواقف قرب الساقية والذي سمع حشحشة بين الأدغال الواقعة على مرمى حجر منه. أصاخ دنحا السمع ونظر حوله فرأى حجلا رمادي اللون يُقطقط (صوت الحجل) في عشه المنقور في الصخور. صفق دنحا فأرعب الحيوان المسكين ورفع رأسه نحو السماء محاولا الطيران والهرب رغم وزنه الثقيل بسبب إنتمائه إلى صنف الدجاجيات مطلقًا قوقأة مثيرة ومحزنة. متأخر جاء طلبكَ للرحمة أيها الحجل المظلوم، لأن صاحبنا دنحا قد أعدّ أطلاقته ليرميكَ بها، وها هو يطلقها فتصرعك على الفور وأنت لا تزال تحاول الهرب. صوت الإطلاقة أدهش "جورج ريد" الذي كان هو الآخر حاضراً بينما كانت أفكاره شاردة بعيدًا حيث المناطق النائية عن هذه الربوع والمتاخمة للإمبراطورية العثمانية والقريبة من الحدود الفارسية.

قبل شهرين من يومنا الذي وصفناه أعلاه، غادر جورج ريد بلاده - إنكلترا - ومسقط رأسه للألتحاق بالبعثة التبشيرية الأنكليكانية المؤسسة في أورميا الواقعة في الشمال الغربي من بلاد فارس، ليعمل كمحاسب للبعثة بصفة علمانية. عمر جورج حينذاك لم يكن يتجاوز الرابعة والعشرين. إنه شاب رشيق القوام، يتقن بعض اللغات الشرقية التي سبق أن درس أصولها وقواعدها في الجامعة البريطانية. من هذه اللغات كانت العربية والفارسية والسريانية. من الآن فصاعدًا سيقضي فترة دراسية تعرف" بفترة التدريب التطبيقي"، ويكون برفقته إثنين من الجبليين البواسل فيتجول بين جبال قممها شامخة ذات ممرات شعابها شبه عاصية تسمى " جبال حكاري ".

أما الحالة بالنسبة للأب المحترم (مفردة يلقب بها الكهنة تقديرًا واحترامًا) "ويكرام" William Ainger Wigram فهي طبيعية جدًا إذ سبق أن تعوّد عليها. كان "ويكرام" كاهنًا أنكليكانيًا، منظره مؤثر بسبب ما يتصف به من طول قامة ولحية طويلة كثيفة وصوت خشن وعينين نافذتين. تجوّل ويكرام في كل المناطق التي تمثل الحدود التابعة لقوتين، غالبًا ما كانتا تتصارعان ومنذ أكثر من أربع سنوات. بمعاشرته الأكراد والآشوريين واليزيدية طاوع ذاته وجعل منها شخصية شبه أسطورية، إشتهرت بقابليتها للمشي المنهك دون أن تظهر عليها علامات التعب. هكذا عرفته الجماهير التي عأيشها والتي إشتهرت هي الأخرى بالتجارب القاسية والحياة الخشنة. جاء ويكرام إلى هذه المناطق بناء على تعليمات أستلمها من رئيس أساقفة كنتربري الذي أراده أن يكون مسؤولا عن البعثة التبشيرية الأنكليكانية لدى الآشوريين أبناء الجبال. كان هدف ويكرام دومًا خدمة هذا الشعب المسيحي الذي هو من بقايا ماضٍ بعيد مدهش.

أخبر ويكرام زميله الشاب "جورج ريد" بلهجة وكأنه نبي أن حياة هؤلاء الجبليين لن تتوقف عن بعث الدهشة والعجب في أعماقه ثمّ أضاف: "إني سأترك لك المجال لتكتشف بنفسك المواقع

والناس. ليكن معلومًا لديكَ أنّ وراء كل هذه الخشونة الناجمة عن منغصات الحياة اليومية تختفي كنوز غير منظورة من الطبيعة. علينا الآن أن لا نتيه في أمور غير مهمة ونضيع الوقت في خضم مناقشات مبكرة لأن الوقت ماضٍ سريعًا ولا زال أمامنا طريق طويل ولا زلنا بحاجة إلى مزيد من الخبرة، هيا بنا نواصل السير على هذا الطريق".

المرافقان الجبليان المتميزان بقبعتيهما المخروطتين وملابسهما الحمراء والزرقاء أسرجا الدواب التي ستحملهم وتفحصا طبنجتيهما (نوع من البنادق القديمة) للتأكد من صلاحيتهما للإستعمال. ألقى جورج ريد نظرة أهتمام على سلاح المرافقين وظهرت عليه علامات القلق بعد تذكره حادثة إغتيال المستشرق Shultz من جامعة Giessen المبعوث في مهمة خاصة إلى منطقة الحكاري من قبل الحكومة الفرنسية. فقد هذا المستشرق حياته في كمين بينما كان يعمل لإنجاز مهامه. وقعت هذه الحادثة عند أواسط القرن المنصرم. هذه الحادثة المشئومة عزّزت الأساطير المتداولة التي تصف تاريخ حكاري "بالتاريخ الأسود" وعادات القبائل التي تسكن هذه الجبال بالعادات الغريبة والوحشية بسبب تأثرها بعادات القبائل الكردية.

تحركت قافلتنا الصغيرة وأخذت تسير الهويدة مخترقة التضاريس الوعرة عبر مسالك عاصية تتخللها بين الحين والحين صخور ضخمة هوت من أعالي القمم المجاورة. عبر الطريق شاهدت القافلة مفارز عديدة تنتشر على جانبي الطريق مؤكدة حضورًا بشريًا وحياة لجماعات سكنت هذه المناطق منذ قديم الزمان. كانت الطريق تضيق كلما كان الممر الجبلي الضيق يرتفع صعودًا، كما كانت القافلة تطلّ على أغوار وديان عميقة مرعبةَ. كانت هناك أدغال وشجيرات تفسح المجال أحيانًا لبعض الصخور والنباتات التي تزينها أوراق مختلفة الأحجام والأنواع ذات السيقان الشوكية. خلال أسابيع مقبلة ستتفتح البراعم الصغيرة وتظهر ورود صغيرة جدًا حمراء وبيضاء زاهية فتجعل هذه الجبال بساتين وحدائق غناء والطبيعة خلابة.

بعد جهد جهيد بلغت القافلة القمة بينما كانت القلوب تخفق بسرعة للتمكين من التنفس السريع نتيجة للتعب الشديد. منظر الطبيعة المدهش الذي شاهده أفراد القافلة من ذلك العلو الشامخ أنساهم تعب الصعود. هناك إنبسطت أمام عيون المشاهدين الواقفين على أرتفاع ألف متر سفوح لقمم متعددة تنحدر بالتدريج وكأنها مدرجات لملاعب فخمة.

يستمر الإنحدار نحو وديان وأغوار عميقة مرقطة ومزركشة بمجموعة من المساكن مؤكدة وجود الإنسان بسبب ما تظهره من نشاط بشري وتنظيم لحياة دقيقة الترتيب. كما كان هناك بعض القرى تسورها الجبال كجدران حامية وفرت للسكان الغذاء والحماية والأمن والطمأنينة [١].

بينما كانت القافلة ترتاح من عناء الصعود وهي على ذلك العلو الشاهق، قال الأب المحترم ويكرام وهو يحكّ لحيته الطويلة متأثرًا بالمنظر الجميل الذي كان يراه وبكل حماس: "هيا أبنائي وأنظروا

بأندهاش قدرة إلهنا. يا للجمال الرائع ويا للأعاجيب المدهشة... إبني العزيز جورج، ها هي كل هذه البلاد تفتح ذراعيها لك، منتظرة جهودكَ. كل هذه المنطقة المنبسطة أمامك يجري فيها نهر الزاب الكبير أحد روافد نهر دجلة. مجرى نهر الزاب يمر عبر وديان ضيقة مقفرة ذات رطوبة عالية. طوله يتجاوز الثمانين كيلومترا، تتحاذى من الشرق إلى الغرب. سعة حوض الأراضي التي تسقيها مياهه تقارب العشرين كيلومترا عرضا. القرى التي نراها منتشرة في هذا الحوض تقع في الأغلب في الوديان العميقة التي تسقيها الينابيع من منابع جبلية تعتمد عليها حياة السكان. هذا الواقع جعل المنطقة تتمتع بحرية مستقلة حقيقية. السكان في هذه المنطقة هم قبائل شبه مستقلة. غذائهم يعتمد على منتوجات هذه الأراضي الخصبة وعلى تربية الماشية. في هذه الربوع تعيش جماهير المسيحيين أحفاد أبناء كنيسة المشرق القديمة. إنهم الآشوريون البواسل الذين حفظتهم العناية الإلهية من محاولات الإبادة التي قام بها الأعداء والحساد. ها هو قلب وطنهم ينبسط أمام ناظريك... كانت كل هذه الجبال التي نراها ملجأ آمنا لهم. انّ سرّ القوة التاريخية التي تغلبوا بها على عاديات الزمان عبر القرون هي معجزة إلهية مدهشة...

أبدى سركون ودنحا الجبليان بعض علامات نفاذ الصبر. إنهما كانا يتميزان بكونهما من الآشوريين أولا ومن المسيحيين ثانيا. مسكنهما كان في قرية "زيرين" الكبيرة المعزولة بين جبال جيلو الواقعة شرقي نهر الزاب الكبير. المناخ في هذه الجبال الجرداء القاحلة شديد البرودة، لكن برغم ذلك، إنها ملجأ أمين لجماهير عشيرتهما. في أغلب الأحيان، بئس الحياة.

إن هذه البقاع كان يدفع بالكثيرين من أبناء هذه العشيرة إلى التخلي عن مساكنهم بعض الوقت، حفاظا على الحياة. أشتهر أبناء عشيرة سركون ودنحا بحياكة السلال وبيعها في سهل أورميا وبلاد فارس وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرى. نتيجة لهكذا هجرات موقتة تعلم بعض من أبناء هذه العشيرة القليل من اللغات المحكية في هذه المناطق كالتركية والعربية والفارسية. إلتقى الأب ويكرام بهما أول مرة عندما كانا يعملان في أسواق أورميا. بعد ذلك توثقت العلاقات بينه وبينهما وازدادت الثقة ببعضهم البعض، فطلب ويكرام اليهما مرافقته في جولاته لقاء أجر زهيد، منذ ذلك الحين استمرا على مرافقته أثناء جولاته الصيفية في جبال حكاري العثمانية.

عندما أخذت القافلة طريق النزول، رأت أمامها سفحًا شديد الإنحدار تعترضه أكوام الصخور التي جرفتها سيول الأمطار من القمم الشامخة فاستقرت على إمتداد الطريق هنا وهناك. توالي السنين لم يستطع محو آثار وجود الثلاجات (مناطق جبلية تغطيها الثلوج طوال أيام السنة) قديمًا الواسعة المساحة في هذه الأصقاع. أثناء النزول، كانت القوافل تختفي أحيانًا في التواءات الطريق ومنعرجاتها الصخرية. على بعد قليل من الطريق شاهدت القافلة واحة صغيرة تتوسط فسحة منبسطة. لم تكن تلك الواحة كالواحات المعروفة في الصحارى، بل إنما بقعة تغطيها النباتات

الكثيفة التي قد يتيه فيها المتجول. إنها كانت تلا مرتفعًا تتخلله أحواض تتغرس فيها مجارٍ مائية مكوّنة مناطق موحشة. هنا تقع قرية "قوجانس" [٢]، القلب النابض للعشائر الآشورية والهدف الذي يقصده الزوّار والغرباء عادة. يتجه موقع قوجانس نحو الشرق، ويقع على إرتفاع ألف متر من المكان الذي كانت تقف فيه قافلة ويكرام. كانت القمة مطلة على كل ما حولها أي السهل المنبسط الكثيف الأشجار والحقول الزراعية. على الجانبين يجري نهران صغيران يصبان في نهر الزاب الكبير. كان موقع قرية قوجانس بعيدًا ومنعزلا عن مناطق سكنى العشائر. كانت المسافة الفاصلة بينهما تتجاوز العشرين كم، كما أنه يقع شمال شرقي "جولاميرك". إنتشرت بيوت هذه القرية في أرجاء حوض شبه معلق ارتفاعه يزيد على الألفي متر عن مستوى سطح البحر. إشتهرت قوجانس وعرفت منذ عقود عديدة بسبب كونها مقر سكن وإقامة بطريرك كنيسة المشرق وعائلته. عند المدخل كانت هناك حقول ومجارٍ لأنهار صغيرة. عند وصول القافلة شاهدت قطيعا من الأغنام ذيولها عريضة، يتهادى في مشيته. الكباش كانت ذات رؤوس وأقدام سوداء وتمشي في المقدمة. الصوف الذي كان يغطي الجسم كان طويلا وأحيانًا كان يتدلى زاحفًا على الأرض. توقف قطيع الماشية عند حافة نهر وأخذ ينظر إلى أفراد القافلة القادمين، كما سمعت قهقهات وصراخات الأطفال آتية من بعيد. على أثر ذلك ظهر ثلاثة أشخاص خشني الملامح، شواربهم كثة وعريضة. إنهم جاؤا لتحية القادمين، وعلامة للتقدير والإحترام والإعتراف بالسلطة. كانوا يحملون البنادق في أيديهم. حديثهم وكلامهم كانا تمامًا عكس مظهرهم الفظ.

قالوا للقادمين: "بشينا، بشينا ثيلوخون "[٣]. مار شمعون بنيامين يتمنى لكم وصولا موفقًا وبسلام، أنتم اليوم ضيوفه الكرام [٤]. هناك أيضًا "رابي[٥] براون في انتظاركم". بعد مراسيم هذه التحية الإعتيادية للقافلة، إتجه أفراد القافلة والأشخاص الثلاثة القادمون للإستقبال والتحية نحو الضيعة الصغيرة عبر مروج وغابة. كانت الضيعة محاطة بسور من أشجار خضراء مثمرة. المسكن الذي كان يقيم فيه البطريرك كان يتكوّن من مجموعة من البيوت المنخفضة السقوف، المبنية بالصخور المنحوتة. أمام المسكن كان هناك مدخل دفاعي مقبب يعلوه برج للرصد والمراقبة. على بعد من مجموعة المساكن وقرب هوة سحيقة كان ينتصب مبنى الكنيسة البطريركية، وكانت على إسم "مار شليطا". بنيت هذه الكنيسة منذ العهود التي سبقت العصور الإسلامية. احتمى في المغائر القريبة منها نساك إشتهروا بقداستهم في المنطقة. مسيحيو هذه البقاع كانوا دومًا يتفاخرون مدّعين أنّ نهر الزاب الكبير هو أحد أنهر جنة عدن الذي تطلّ قرية قوجانس بتسلّط مهيب على مضايقه وبشموخ رهيبة لأنها تقوم على قمة بالغة الارتفاع. بموجب هذا الإعتقاد نلاحظ أنه غالبًا ما كان البطريرك يستعمل في رسائله العبارة التالية: "في الوقت الذي نحن فيه نقيم في قلايتنا (القلاّية: مسكن الراهب أو الناسك ونظرًا لكون أغلب البطاركة في الأزمنة الغابرة رهبان لذا بقي مسكن البطريرك يحتفظ بهذه التسمية حتى إن لم يكن أصله راهب – المترجم) المطلة على نهر الفردوس...

مقرّ الكرسي البطريركي القديم الخاص بكنيسة المشرق

منذ القرن السابع عشر، كان البطريرك الرئيس الأعلى الديني والمدني للجماعات المسيحية السريانية وكان يقيم مع أبناء عائلته في ضيعة صغيرة تدعى قوجانس المطلة على نهر الزاب الأعلى (هو نفس الزاب الكبير) كما بينا أعلاه. كان عدد نفوس هذه القرية بحدود ٨٠٠ نسمة.

كان البطريرك الذي سنتحدث عنه / آنئذٍ هو الرئيس الأعلى لكنيسة المشرق الرسولية ويمثل الحلقة الأخير في سلسلة البطاركة الطويلة والتي بدايتها كانت بمار توما الرسول. تتمتع هذه الكنيسة بتاريخ حافل يمتد عبر عشرين قرنًا ويحتوي على صفحات مشرقة وأخرى مظلمة ولفترات متباينة.

في البداية جاء توما الرسول برفقة بعض التلاميذ من الإثنين والسبعين (أدّي وأجاي وماري) حاملين البشارة إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس. فوضعوا الأسس لبناء جماعة مسيحية ومنذ القرون الأولى لظهور المسيحية. حسب التقليد الكنسي، بقي مار توما يكرز بالبشارة في هذه الربوع حوالي الستة أعوام ثم غادر متجها نحو بلاد الهند عبر بلاد فارس. من بعده حمل راية التبشير بالإنجيل أدّي الذي أسس له كرسيًا ثابتا جعل مقرّه سلوقيا –قطيسفون –. مقر هذا الكرسي كان أول مركز رئاسي لكنيسة المشرق في بلاد ما بين النهرين، وكان يقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة وأصبح بعدئذ المقر الرئيس والرسمي لإقامة البطاركة الذين جلسوا على هذا الكرسي. في هذا المقرّ كانت توجد أيضًا الكنيسة الكبرى المعروفة بـ "كوخي" البطاركة الذين توالوا في الإقامة في هذا المقر كانوا يكنون بـ " البطريرك المالك سعيدًا " ، الجالس على كرسي مار أدّي الرسول. خليفة مار أدّي كان مار أجاي الذي قام برسم مطارنة لآشور وكلدو. رفيق مار أجاي المعروف بـ "مار ماري" تجوّل في ربوع بلاد ما بين النهرين وهو يكرز ببشارة الإنجيل. يعتبر مار ماري المؤسس الفعلي لكنيسة المشرق.

بدأت الجماعات المسيحية الأولى في تنظيم شؤونها بالتدريج. فكان هناك مجامع عامة لكنيسة المشرق تعقد إجتماعاتها في سلوقيا –قطيسفون الواقعة في قلب بلاد ما بين النهرين التي كانت ترزح تحت الحكم الفارسي وأعتبارًا من العام ٤١٠ م. في هذا العام دعى المطران اسحق، مطران سلوقيا – قطيسفون لأجتماع كنسي عام كان هدفه تشكيل مقاطعة كنسية. في عام ٤٢٤ تمّ رفع هذه المقاطعة الكنسية إلى صف رئاسة أسقفية وأعطي للجالس على كرسيها لقب القاثوليقا / الكاثوليكس. حامل هذا اللقب كان غير قابل للعزل. هكذا أصبح لكنيسة المشرق كيانًا قائمًا بذاته منفصلا عن كرسي أنطاكية الواقعة تحت النفوذ البيزنطي وروما والذي في البداية كان مرتبطًا به. في عام ٤٣١ م رفضت كنيسة المشرق قرارات مجمع أفسس، بذلك أصبحت كنيسة المشرق أول كنيسة شرقية تنفصل عن كنيسة بيزنطية وتستقل استقلالا تامًا.

هذه الكنيسة أصبحت تعرف أيضًا بالكنيسة النسطورية. إبان العهد الفارسي – الساساني

(٢٢٤ - ٦٥١) ورغم الإضطهادات الوحشية استطاعت كنيسة المشرق من تطوير إدارتها فوسعت إنتشارها باتجاه الشرق. خلال الفترة المحصورة بين العامين ٤١٠ و ٧٧٥ عقدت كنيسة المشرق ١٤ مجمعًا كنسيًا عامًا خاص بها / سنهودس [٦]. بين القرنين السابع والثالث عشر توسعت كنيسة المشرق وانتشرت فتخطت حدود بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس فوصلت أواسط آسيا وبلاد الهند وأخيرًا وصلت الصين وأندنوسيا.

عندما احتل المغول بلاد ما بين النهرين، وظهر تيمورلنك عام ١٣٨٨، عندئذ أخذ نجم كنيسة المشرق بالأفول، فذهبت أيام الإزدهار إلى غير رجعة وحلّ زمان التراجع والتأخر بسبب الإعتداءات الغاشمة على المسيحيين. حينذاك تغير نظام إعتلاء الكرسي البطريركي، فأصبح وراثيا بعدما كان نظاما يعتمد الإنتخاب المباشر أسلوبًا وعلى أن يتمّ بمشاركة أبناء الكنيسة قاطبة. أصبح التقليد وراثيًا ومن عائلة معينة وكقرار رسمي بموجب قانون تبناه البطريرك شمعون الرابع المعروف بـ "باصيدا" (١٤٣٧-١٤٧٧). بعد تطبيق هذا القانون، واعتباره تقليدًا كنسيا يجب العمل به، دخلت إدارة كنيسة المشرق في متاهات، وغدت مهددة بأخطارٍ قاتلة.

بعض من أبناء هذه الكنيسة رفضوا هذا الأسلوب الوراثي في تسمية البطريرك وقاوموه. كان من بين هؤلاء راهب يدعى يوحنا سولاقا من دير الربان هرمزد الواقع قرب قرية ألقوش. عندئذ أصبح الموضوع مبعثا لنزاع بين الطرفين وغدت كنيسة المشرق النسطورية هدفا لإهتمامات كنيسة روما التي دخلت ميدان الصراع. الأساقفة المنشقون (الرافضون الاسلوب الوراثي لجلوس البطريرك على الكرسي البطريركي الخاص بكنيسة المشرق) إنتخبوا يوحنا سولاقا بطريركا لهم، وقرّروا إرساله إلى روما ليقوم بما يلزم للإتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية. كنتيجة لهذا الإجراء حصل إنشقاق في كنيسة المشرق. في العام ١٥٥٣ أعلن البابا جوليانوس الثالث يوحنا سولاقا بطريركًا للكلدان، بذلك أصبحت وحدة كنيسة المشرق مبتورة بولادة كنيسة جديدة عاشت بموازاتها. بطريرك الكنيسة الجديدة إتخذ لقب "بطريرك بابل على الكلدان".

عندما اعتلى مار شمعون الثالث عشر دنحا الكرسي البطريركي الخاص بكنيسة المشرق والذي كان من سلسلة البطاركة الوراثية (١٦٦٢ - ١٧٠٠) قرر الأستقرار بالكرسي في ربوع جبال حكاري العاصية متوقعًا التخلص من المرسلين الكاثوليك وللمحافظة على التقاليد والثقافة التي كان يتوارثها أبناء شعبه. خلال هذه الفترة بقيت أطماع روما تجاه كنيسة المشرق التي أصرّت بعناد ثابت على رفض الإتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية في تنام مستمر لذا وفد على المنطقة العديد من الرهبان المنتمين إلى الرهبنة الكرملية أو الكبوشيين أو الدومنيكان. الكثيرون من هؤلاء الرهبان المرسلين كتبوا في مذكراتهم عن إصرار كنيسة المشرق على البقاء خارج نطاق الإتحاد والحفاظ على هرطقة معتقدها المعروف بـ "المذهب النسطوري" العمل من أجل إدخال أبناء كنيسة المشرق تحت مظلة كنيسة

اللاتين كان دوما الهدف المنشود من قبل كل المرسلين القادمين من الغرب، الذين كانوا يحملون رأيا راسخا ينص: "إن عليهم تعليم الإيمان الوحيد والحقيقي وإعادة الخراف الضائعة (الضالة) إلى حضيرة القطيع عبر الطريق السوي، بعد التخلي عن التقاليد الخاطئة الموروثة والعودة إلى التعاليم الصحيحة التي مصدرها مباشرة الكرازة التي نادى بها توما الرسول. عاشت كنيسة المشرق منعزلة بين جبال حكاري العثمانية وفق الظروف التي تهيأت لها، مطبقة نظام توريث السدة البطريركية من الأخ إلى الأخ أو من العم إلى إبن الأخ. دام هذا النظام نافذ المفعول ووفقا للتقاليد حوالي الستة قرون. في بداية القرن العشرين كانت قوجانس آخر مقرّ للكرسي البطريركي الخاص بكنيسة المشرق. قبلها كان هناك مراكز عديدة إتخذها البطاركة مقرات لكرسيهم، على مدى العشرين قرنا التي عاشتها هذه الكنيسة أبتداء بمار توما الرسول وانتهاء بـ مار شمعون بنيامين. تبدلت مقرات الكرسي البطريركي مرات عديدة بسبب الظروف الطارئة والأحداث التاريخية المهمة، خاصة في القرون الأخيرة [٧] والهدف كان دوما للحفاظ على كيان هذه الكنيسة.

رغم كل خيبات الآمال التي تحققت لكنيسة المشرق، إنّها استطاعت الثبات ومقاومة الأحداث، لذا عند وصول الأب ويكرام وجورج ريد نلاحظ وجود رئاسة نشطة لهذه الكنيسة لها إكليروسها و ٢٢٣ كنيسة منتشرة في أرجاء ست أبرشيات وعشر مناطق مرتبطة مباشرة إداريًا بالكرسي البطريركي، وكان البطريرك الجالس عليه آنئذٍ "مار شمعون بنيامين. والمؤمنين المرتبطين بهذه الكنيسة كانوا منتشرين في مناطق جغرافية مختلفة؛ لذا كان من الممكن العثور عليهم في تركيا وفي محافظة "وان" أو منطقة جبال حكاري وقضاء "جولاميرك" والباغ وكاور وطال ونوردوز. عدا هذه المناطق كانوا أيضًا متواجدين في البوتان وسعرت ودياربكر وماردين وطور عابدين وأورفا وسلوبي... إضافة إلى كل ذلك شمل إنتشار مؤمني كنيسة المشرق مناطق من بلاد فارس وخاصة أورميا وسلامس وتبريز، أصفهان وجولفا وهمدان وطهران...

ما يعني بلاد ما بين النهرين فالإنتشار شمل مناطق الموصل وكركوك وألقوش ودهوك وأربيل وبغداد والبصرة [٨].

ناسك [٩] أنكليكاني في بلاد الآشوريين

بينما كان الأب ويكرام واقفًا يراقب البيوت المنشرة أمامه، رأى رجلا يقترب منه ذا لحية طويلة، وشعر رأسه يتدلى على أكتافه، فصرخ فرحًا: "ها هو عزيزنا "رابيّ براون".

كان براون يرتدي ثوبًا خشنا أسود اللون ويضع على رأسه قبعة مخروطية الشكل مصنوعة من اللباد الأبيض ملفوف حولها شريط أسود من الحرير. وكان ينتعل في الرجلين صندلا منسوجًا من خيوط صوفية وفي يده عصًا يستعملها عكازًا يستند عليه عند المشي. هكذا كان لباس الراعي

الأنكليكاني William Henry Brown الذي كان في السابق من أعضاء الاكليروس في خورنة القديس كولومبوس في لندن. سكن براون في قوجانس واستقرّ فيها منذ العام ١٨٨٧ . أثناء زيارته الأولى للمنطقة تعرّف على "ربن يونان"(١٠) . المعروف بـ "ناسك قوجانس" . عاش هذا الناسك المتوحد حياة مسيحية حقة وأمينا على التقاليد النسكية الشرقية، لذا فهو يمثل آخر جيل من النساك الشرقين المتوحدين. هنا قد نتسأل، ترى هل من المحتمل أن يكون أول لقاء لبراون بالربن يونان هو السبب في إقناعه للبقاء والعيش في هذه المناطق النائية، مواصلا خط الحياة التي إتبعها الربن يونان؟ عاش الربن يونان حياته النسكية موزعة ما بين خلوات في الجبال أو حياة في صومعة (قلاّية) صغيرة تقع إلى جوار كنيسة مار بثيون في منطقة سكنى عشيرة تخوما في البداية ثمّ بجوار كنيسة مار شليطا في قوجانس. قداسته ومعارفه الواسعة إشتهرت بين كل سكان جبال حكاري وبعد ذلك في السهول المتاخمة لهذه الجبال.

عاش ربن يونان على النباتات البرية. إشتهر كنبي ورائي وصانع عجائب. بعد أن فقد ربن يونان الأمل في إنقاذ كنيسة المشرق من الدمار المحيق بها، تفرّغ لتعليم وتثقيف بطريرك المستقبل أو لإعطاء دروس لأبناء القرى الصغار أو نسخ المخطوطات السريانية القديمة التالفة التي كتبت منذ قرون عديدة، بخطه الجميل الذي اشتهر به. كانت المخطوطات التي يكتبها ربن يونان ضرورية جدًا لكنيسة المشرق حيث لم يكن لها كتب مطبوعة. وضعية كنيسة المشرق البائسة حطمت ربن يونان.

هذا الواقع المرير شجعه على استقبال الراعي براون واعتباره صديقًا حميمًا له. غير أنه مع شديد الأسف، لم يعايش ربن يونان الراعي براون سوى ثلاثة أسابيع، بعدها أصابته نوبة قلبية فجائية سرعان ما أودت بحياته. وفاة ربن يونان كانت الخاتمة للحياة النسكية الآشورية... جراء ذلك، هل يا ترى فكر الأب براون العمل لإحياء ذكرى هذا الناسك خاصة والحياة النسكية المشرقية عامة؟ إننا لا نعلم السبب الحقيقي، ما نعلمه أكيدًا هو أنّ الوفاة التي حلت بربن يونان لم يكن من الممكن إبعادها أو تجاوزها وصفحات التاريخ لا زالت تذكره بتقدير واحترام.

بغية للتذكير نشير إلى أن بداية الإتصالات الكنيسة الأنكليكانية (١١)مع هؤلاء الآشوريين الجبليين لم تتحقق بمجئ الراعي براون بل إنما إبتدأت في بداية القرن التاسع عشر عندما ظهرت نشرات أيقظت الإهتمامات بهذه المنطقة وسكانها، في العام ١٨٢٠ زار Claud James Rich الذي كان يعمل في بغداد لحساب شركة "الهند الشرقية البريطانية" آثار نينوى. كتب ريج في مذكراته عن تلك الزيارة، أنه إلتقى أبناء كنيسة مستقلة عن كنيسة روما. في العام ١٨٢٥ إلتقى Joseph Wollf أثناء رحلته البحرية إلى الشرق بمطران أورميا المدعو "مار يوحنان" . في العام نفسه نجد Robert Walsh الكاهن المرشد في السفارة البريطانية في اسطنبول يكتب أيضًا في بعض المجلات الثقافية البريطانية عن كنيسة مستقلة. على أثر كل هذه الكتابات، نظمت الجمعية

من اليسار: البطريرك مار بنيامين شمعون، القس براون، الليدي سورما في قوجانس ١٨٩٧

الملكية للجغرافية في العام ١٨٣٨ وبالتعاون مع جمعية نشر الإيمان بعثة مشتركة هدفها بالتحديد كان "منطقة كردستان ومسيحييها".

شارك في هذه البعثة الطبيب والجيولوجي: William Francis Ainsworth الذي كان المتحدث الرسمي باسم البعثة. لقد أدّت أعمال هذه البعثة إلى نتيجتين مهمتين: الأولى كانت تطوّر إهتمام الغربين بكنيسة المشرق كرد فعل للفضولية المتولدة في النفوس والثانية تشكيل جبهة داعمة لأبناء هذه الكنيسة. في العام ١٨٤٢، استأنفت رئاسة اسقفية كنتربري النشاط فاتصلت بإدارة كنيسة المشرق فأرسلت بعثة أنكليكانية بقيادة الراعي والعالم اللاهوتي Georges Persy Bad-ger. بعد ذلك، مرّت سنوات عديدة وجرت محاولات خائبة كثيرة ونظمت رحلات استكشافية فتحقق بعض التقدم تبلور بتأسيس بعثة دائمة تقيم عند الآشوريين، كان نجاحها مرضيًا ومتناميًا. بناءً على ذلك، عزم رئيس أساقفة كنتربري على تعزيز جهوده في هذا المجال. أخيرًا تمّ تسمية بعثة مستقرة في المنطقة تعمل على تحقيق غرضين محددين هما: العمل مع الجماهير التي طلبت حضور البعثة وإقامتها الدائمة شرط أن تتحدد الخدمات المقدمة بما تطلبه تلك الجماهير فقط وثانيًا إرسال أحد أعضاء الإكليروس على أن يكون اختياره من قبل ادارة كنيسة المشرق مباشرة ليساعدها في الإدارة. في العام ١٨٦٨ قدمت جماعة من الآشوريين طلبًا وقعه ٥٣ شخصًا من الوجوه

المعروفة في أوساط الجماهير الآشورية، بينهم كان بعض الأساقفة والكهنة والشمامسة ورؤساء العشائر؛ طلبًا إلى رئيس أساقفة كنتربري فيه يبينون السبيل الذي على البعثة الأنكليكانية السير فيه أثناء عملها. كذلك بينوا في الطلب أسباب التأخير الذي حلَ بكنيسة المشرق مؤكدين الحاجة الماسة لتقديم المساعدة التثقيفية الضرورية على أن تكون واضحة المعالم والأسس. بعد فترة من الإزدهار والإنتعاش حصلت إنتكاسة مؤلمة صاحبها فقر روحي أنتشر سريعًا فخيم على النفوس. من المواضيع التي تطرق إليها طلب، العمل على توفير الكتب اللازمة تعويضًا عن القديمة التي فقدت لكي ما تتهيأ الفرصة المناسبة للتعلم وكسب المعرفة ومن ثمّ نقلها إلى الأجيال الصاعدة. كذلك أوضح الطلب أنّ الجماهير تشعر بالعزلة التامة عن العالم المتمدن والمتطور بسبب الضغط الذي كان يمارسه مبشرو الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية)، هذا من ناحية الغرب، أما من الناحية الشرقية فهناك العداء المحموم الذي يكنه المسلمون الساكنون في تلك المناطق. أخيرًا أضافوا: "إننا قد فقدنا كلّ شيئ، ولم يبق لنا ما يقينا التدمير الهائل والإبادة التامة التي ستحلّ بنا فيحصل لنا ما سبق وحصل لسادوم وعامورة. إنّ إنعزالنا يثقل علينا ويزداد يوما بعد يوم. في نهاية الطلب نقرأ العبارة البليغة التالية: لقد استطاع الإسرائيليون العودة إلى وطنهم وأرض أجدادهم بعد سبعين عامًا من السبي البابلي، أمّا نحن فسبينا لا زال قائمًا منذ ٧٠٠ عام، وليس هناك من يُفكّر بنا أو على الأقل يذكرنا أو يشير إلينا. نرفع يوميًا عيوننا إلى قمم الجبال الشاهقة المحيطة بنا منتظرين شروق فجر جديد.[١٢]

بعد ذلك توالت السنون متثاقلة، قبل أن تنجح النبتة الصغيرة (البعثة التبشيرية الأنكليكانية) التي زرعتها رئاسة أسقفية كنتربري في ربوع حكاري العثمانية فتنمو مرتفعة شامخة. تحقق تطورًا ونموًا كبيرًا في عهد رئيس الأساقفة Edward White Benson الذي تقلد السلطة خلال الفترة (١٨٨٣-١٨٩٦) وخلف رئيس الأساقفة Campbell Tait الذي شغل هذا المنصب للفترة (١٨٦٨ - ١٨٨٢) لما استلم رئيس الأساقفة أدورد المسؤولية، أعاد هيكلة البعثة، فأرسل طلائعيًا متطوعًا هو الراعي (الدكتور) براون الذي وصل إلى هذه الديار النائية بعد مغادرته بلاده. قبل المغادرة أقيمت لهذا الطلائعي حفلة توديعية مؤثرة في كنيسة Lambeth Palace الصغيرة وكان ذلك يوم الأربعاء المصادف الثاني من شهر حزيران عام ١٨٨٦.

بعد إثنين وعشرين عامًا من الإقامة في قوجانس، استقبل الراعي والدكتور براون الأب ويكرام والشاب ريد بكل فرح وسرور خاصة لأنه استطاع أن يريهما المصلى الصغير الذي نجح في بنائه بعد محاولات ومفاجآت عديدة. إلى جوار المصلى شيد براون دارًا صغيرة تتكون من غرفتين استعمل إحداهما كمسكن شخصي له بينما استعمل الثانية كمخزن للأدوية وللضمادات ولاستقبال المرضى الكثيرين الذين كانوا يأتونه للآستشارة وطلب العلاج. مارس براون مهنة الطب التي درس أصولها

وعلومها في إنكلترا، في هذه البقاع النائية وهذا ما كان يكلفه ساعات عديدة من نهاره. الساعات القليلة المتبقية كان يخصصها للصلاة والعبادة في المصلى الصغير. هكذا كان يعيش براون حياته التي تميزت بالزهد وطلب العون من الله. أحيانًا كان يتجوّل بين الجبال متسلقا القمم العالية أو منحدرًا إلى الوديان العميقة الموحشة حيث توجد بعض المدارس في قرى قريبة من مبنى إقامته أو من أجل زيارة بعض الأصدقاء أو أحد المؤمنين من عائلة البطريرك. بذلك استطاع براون أن يشارك هؤلاء التعساء في ساعات بؤسهم وشقائهم، فيشجعهم حينا ويبعث في نفوسهم الآمال ويحثهم على الصبر حينا آخر.

نمط البناء التقليدي للمساكن الجبلية كان يعتمد على أسلوب البناء الخشن والبسيط كان البناء يتكوّن عادة من غرفة واسعة تستعمل لأغراض عديدة، فهي غرفة للجلوس ومطبخ وغرفة نوم وأحيانًا إسطبل للحيوانات أيضًا. هذه الغرفة كانت تسمى " بيتا " [١٣]. عادة ما تتصل هذه الغرفة بغرفة ثانية تكون بمثابة مخزن للأغذية والمؤونة. مواد البناء كانت الصخور الخشنة التي كانت تصف فوق بعضها البعض فتتكوّن الجدران العريضة التي قد يتجاوز عرضها الستين سنتيمترًا. السقوف كانت سطوح أفقية مستوية وأبعادها عادة أكبر من أبعاد جدران البناء، وكانت تتكوّن من جذوع أشجار الحور المغطاة بالأغصان ونوع خاص من الطين يحضر لهذه الغاية. في الداخل كان هناك سلم يربط بين الطابق الأرضي والطابق العلوي. القسم السفلي من المبنى كان يستعمل عادة للحياة في فصل الشتاء حيث تتوفر فيه التدفئة. أما العلوي فهو لأشهر الصيف. البناء كله لم يكن يوجد عليه أيّ زخرفة أو زينة تذكر اللهمّ بعض باقات الورود والأزهار يابسة أو قرون غزلان كانت تعلق على الجدران.هذا النوع من البناء والحياة غالبًا ما كانت تبعث في نفوس بعض الرحالة الشعور بحياة لمجتمع من القرون الوسطى مطعمة ببساطة حياة إنجيلية [١٤].

الخانم سورما من بيت (آل) مار شمعون

عندما وصل أفراد القافلة داخل المبنى، سُمع صوت نسائيّ هادئ وعذب آتٍ من الداخل مشوب بالسلطة والثقة بالنفس مرحبًا بوصول القادمين يقول: " بشينا، بشينا تيلوخون "، وهذا ما معناه: ليكن سلام الرب معكم وأهلا وسهلا بكم، ثمّ واصلت باللغة الإنكليزية تقول: " نشكر الله على وصولكم إلينا بسلام، نأمل أن كانت سفرتكم مريحة " . " أخوني " [١٥] البطريركَ مار شمعون بنيامين يبعث لكم بأطيب التحيات وأخلص التمنيات، وصوله متوقع في كل لحظة، أنتم اليوم ضيوفه الكرام. عشية اليوم سيستقبلكم في مجلسه. إنتظارًا لذلك سأقدم لكم وجبة طعام خفيفة آملةً أن تعجبكم " .

أندهش ريد عند سماعه هذه العبارات الترحيبية، غير أنّ دهشته كانت أكبر لأنه سمعها بلغته

الإنكليزية الفصيحة. كانت المتحدثة شابة وسيمة رائعة القوام جميلة المحيا، تعيش بين جبال شبه معزولة عن العالم حيث المجتمع ذكوري والتسلط للرجل فقط. الوضع كان غريبًا حسب اعتقاد ريد ووفق ما سبق أن سمعه وشاهده حتى الآن. كانت الشابة ذات شخصية وجمال أخاذ، نظراتها ثاقبة، وجهها أنثوي جذّاب وشعرها مصفوف بأناقة وبساطة. شال من الكشمير كان يغطي رأسها معقود إلى الخلف بشكل طاقية سائبة. ثبتت فوقه قطعة من قماش التول الحريري مزركش الحوافي بخيوط ذهبية. كانت قطعة التول تتدلى على الأكتاف وتنحدر نحو الظهر. تحتها ظهرت خصلات من الشعر الأسود الفاحم اللون. كانت ترتدي فوق ملابسها جاكيت طويلة تنزل إلى ما تحت الركبتين. كانت الجاكيت من القطيفة الحمراء غامقة اللون. حافاتها العريضة مطرّزة هي أيضًا بالخيوط الذهبية وبنقوش متباينة التفصيل. تحت الجاكيت كانت ترتدي بلوزة مثبتة من الأسفل ببنطلون فضفاض ذي خطوط دقيقة. قامتها ممشوقة وملابسها محتشمة ومعقودة عند الرسغين والكعبين. على صدرها كان يتدلى عقد من اللؤلؤ إشارة لرفعة طبقتها في مجتمعها.

عند تهيئة الطعام، كانت هناك شابتان للخدمة وضعتا على الأرض المغطاة بسجادة من الصوف قطعة من القماش الأحمر. ثمّ جاءتنا بالطعام في أواني تسمى "خوانا" أو الخِوان، وهي أوانٍ مصنوعة محليًا على شكل مستطيل ذي حوافٍ. في هذه الأواني وضع الفول والفاصوليا ومن حواليها صفت الكيبيتي/ (Kiptis الكفتة) وضلوع اللحم وكتل من اللحم المثروم. إلى جانب الأواني صفت أقداح اللبن المعروف لدى الجبليين بـ "المستا" وبعض أقراص الخبز المصنوع من الدخن. كانت أقراص الخبز يتراوح قطرها بين ١٥ و ٢٠ سم وبسمك ٢ سم تقريبًا ويؤكل أحيانًا مدهونًا بالزبدة المذابة وهو يشكل الغذاء الرئيسي لسكان الجبال.

بينما كان الجميع منشغلين بتناول الطعام، دخل أحد الشباب الأقوياء وتحدث بهدوء هامسًا في

أذن الشابة/ سيدة البيت لم يسمعه الحاضرون. نهضت الشابة على الفور واعتذرت إلى الحاضرين وخرجت مسرعة. بعد أن انتهى الضيوف من تناول الطعام وشكروا الله على نعمته، أخذ بعض منهم يُدخن الغليون بتذوق وتلذذ بعد وجبة الطعام الشهية خاصة بالنسبة للضيوف الذين تناولوها بعد سفرة شاقة استغرقت الساعات الطوال قضوها في سير حثيث ومتعب. - " أظن أن هذه الشابة الحسناء قد أثارت فضولك يا عزيزي جورج" طرح هذا السؤال رابي براون ثمّ أضاف: " هذه الشابة هي سورما خانم من بيت مار شمعون. إنها إبنة أخ البطريرك المتوفى المدعو مار شمعون روئيل الذي جلس على الكرسي البطريركي عام ١٨٦١ وبقي عليه حتى إن وافته المنية عام ١٩٠٣ . إنّها في الوقت ذاته أخت مار شمعون بنيامين البطريرك الحالي. من الكنية التي تحملها نستدل أنّها من نفس العائلة التي يُقام منها البطريرك وراثيًا (أي سلسلة البطاركة الذين يحملون لقب " مار شمعون"). إنّها ذات خصوصية فتفرض احترامها على الجميع. كلمة خانم مفردة تركية تعني مؤنث الإيلخان والتي مصدرها " الخاكان" ومعناها السيد ذو السيادة المطلقة. أمّا المعنى الفعلي للمفردة خانم فهو المرأة ذات السلطة وكلمتها مسموعة ومطاعة في مجتمعها. عن معنى سورما ولقبها بالخانم نستطيع أن نقول إنها موازية لمعنى الأميرة أو سيدة البيت ذات السلطة في المقرّ البطريركي" . كان رابي براون يتحدث عن هذه الأميرة الحسناء وعن عائلتها بإجلال واحترام وبنبرة صوت مرحة مضيفًا: " سورما هي البنت البكر للمرحوم شماشا [١٦] إيشايا وزوجته أسيَتْ. كان لهما ثمانية أولاد منهم ستة من الذكور. البطريرك مار بنيامين هو الولد الثاني في العائلة. بعده تأتي أخته رومي وبعد رومي هناك خمسة ذكور هم على التوالي: بولس داود هرمزد زيّا وأخيرًا ايشعيا. عايشتْ سورما مشاكل عويصة تتعلق بشعبها. فمنذ نعومة أظفارها ونظرًا لانتسابها إلى العائلة ومعايشتها العديد من البطاركة من أبناء العائلة. واجهت مشاكل معقدة منها كانت مشكلة الخلافة البطريركية وراثيًا حيث أدّت في بعض الأحيان إلى خلافات كبيرة بين الجماهير. عندما كانت أم بطريرك المستقبل تبدأ الحمْل كان عليها أن تعيش حياة قداسة وعليها الانقطاع عن أكل اللحم وتناول المشروبات الكحولية والخمور. كان طعامها يعتمد على تناول الفواكه والخضراوات. نفس هذا النظام كان ينطبق على الطفل بعد مولده. أما حياته فكانت حياة الإكليروس. في حالة كون الوليد أنثى فالتقليد كان يُلزمها أن تعيش حياة راهبة مطبّقة نفس الشروط التي يعيشها الذكر، أي عدم تناول المشروبات الكحولية وأكل اللحم. هذا ما كانت سورما تطبقه في حياتها ومذ كانت تعيش في قوجانس. ولدت سورما في اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الثاني عام ١٨٨٣ . أبناء وبنات أخو مار شمعون روئيل كانوا دومًا موضع افتخاره واهتمامه. كان يُراقبهم ينمون ويترعرعون في عزه، لذا نسمعه يقول: " الأمر الذي لا أستطيع إخفاءه هو أنّهم مبعث سروري وبهجتي وأنا أعيش كل هذه السنين في هذه الجبال التي أحببتها وسأبقى أحبّها " .

عدا ذلك كان رابي براون يلاحظ بانتباه شديد نمو سورما وتربيتها، كما لاحظ ذكاءها الفريد الذي قال عنه: " إني أفتخر أنّي قد علّمتها مختلف العلوم الأدبية والعلمية منذ كانت صغيرة السن. عند وصولي إلى هنا لم يكن عمرها يتجاوز أربعة أعوام. إنّي أتذكرها تطرح عليّ الأسئلة الذكية. فضوليتها وقابلية الإدراك والفهم المذهلة التي تمتلكها شجّعتني على الإستمرار في تدريسها يوميًا وإعطائها بعض من العلوم والخبرة التي أتقنها. مقابل ذلك قامت سورما بتعليمي الكثير من الأمور الخاصة بمجتمعها والتي كنتُ أجهلها كل الجهل. هناك حدث لا زال يعيش في أعماق ذاكرتي، وسوف لن أنساه، ذلك هو الكلمات التي قالتها لي مرة مصرحة وبكل افتخار واعتزاز: " رابي براون، إيماننا الراسخ بماضينا يوجب علينا أن نُعلن وبكل شجاعة أنّ دماءنا هي من دماء الآشوريين القدماء، أبناء نينوى الأبطال " . إنّه لم يسبق لي أن سمعتُ تصريحًا خطيرًا كله انفعال وحماسة كتصريح سورما هذا والذي كان يخرج من فم ولد بعمر سورما آنذاك هذه الكلمات أقنعتني، إنّ أجيال هكذا شعب يؤمن بهكذا مبدأ يعني أن هذا الشعب لم ولن ينسى ماضيه العريق وجذوره الراسخة في أرضه... " . لقد كان لحديث رابي براون تأثير في نفس ريد مشابه للتأثير الذي تركته كلمات سورما في هذا الراعي الأنكليكاني الذي كان يهدف التعرف على عائلة البطريرك. عند المساء نسي براون مسيرة التاريخ التي لا تصدّق أحداثها، غير أنّ الوقائع والحوادث الفعلية زادت من نموّ محبته لهذا الشعب الحيّ المتجذّرة في قلبه، فدفعته بقوة إلى العمل من أجل مستقبل أفضل وغد مشرق.

بعد ذلك بقليل ظهرت سورما أمام الضيوف وأبلغتهم خبر وصول البطريرك وموكبه المهيب إذ قالت: " ها قد عاد مار بنيامين، إننا نشكر الله على ذلك، سيكون جاهزًا لاستقبالكم بعد صلوثا درمشا ، عندما سيكون في مجلسه (ديوانه) [١٨] لاستقبال الزوار " .

صدرت عن ناقوس الكنيسة ثلاث ضربات معلنة حلول وقت الصلاة وداعية المؤمنين إلى الحضور. كانت الشمس عند المغيب تبعث أشعة حمراء تصبغ قمم الجبال مؤشرة إلى اختفائها القريب مودّعة سكان القرى بكل هدوء وحنان. كنيسة المشرق لم تكن لها عادة استعمال الناقوس الإعتيادي المعروف. عوضًا عن ذلك كانت تستعمل لوحًا من خشب الجوز سمكه حوالي الإنج طوله حوالي القدمين وعرضه حوالي القدم. حفرت على اللوح بعض الثقوب التي كانت تجعل الرنين واضحًا ومسموعًا. كان الضارب عليه يستعمل مطرقة خشبية يضرب بها على اللوح ضربات قوية ثلاث مرات مذكرًا بحضور الله في ثلاثة أقانيم. أثناء الصلاة كانت ترتل المزامير بحسب التقليد الطقسي. ذلك اليوم وبعد الصلاة الإعتيادية، تليت صلاة شكر خاصة رفعها المؤمنون إلى العزّة الإلهية بمناسبة وصول الضيوف بسلامة وصحة تامة.

جماهير آشورية يمتدّ تاريخ وجودها قرونًا عديدة

عرف الآشوريون القدماء جبال حكاري على عهد ملكهم "سركون / سرجون الثاني" عندما وسع رقعة إمبراطوريته إلى أقصى الحدود فامتدت من الخليج الفارسي إلى جبال طورس شمالا ومن جبال زاكروس شرقًا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط غربًا. خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد حقق ملوك آشور انتصارات باهرة بعد غاراتهم الموفقة على منطقة جولاميرك في العام ٧١٤ ق.م. وهو العام الثامن من ارتقاء سركون الثاني عرش الإمبراطورية الآشورية. هكذا حققت جيوش هذا الملك اختراقًا تامًا للمناطق الجبلية التي يزيد ارتفاعها على الثلاثة آلاف متر عن مستوى سطح البحر، ونعني بذلك منطقة جبال "نوردوز" ووادي الزاب الكبير باتجاه قوجانس (١٩) . بعد الإستيلاء على كل منطقة الحكاري، أصبحت حدود الإمبراطورية الآشورية تمتد حتى ضفاف بحيرة أورميا حيث تقع مناجم القصدير والفضة، وحيث ضفاف بحيرة "وان". الواقع الفعلي يُثبت أن كان هناك طرق تجارية عديدة قد تم فتحها لتربط مدينة القدس بدمشق فتدمر فماري فآشور وانتهاء بـ "حسان لو"؛ غير أنه ورغم ذلك استطاعت هذه الإمبراطورية بنشاطها الحربي أن تنقل عادات شعوبها وكذلك اللغة الآرامية التي "ألف باء ها "حلت محل اللغة المسمارية (اللغة الأصلية للآشوريين)، إلى حوالي سبعين مقاطعة جديدة. تمتّعت الجيوش الآشورية زمانًا طويلا بصفة الجيوش التي لا تُقهر بسبب القوة والشجاعة الهائلة اللتين كانت تحارب بهما فتحقق الانتصارات المدهشة وتملئ قلوب الشعوب بالخوف والرعب. في عهد سلالة الملوك الذين حملوا إسم سرجون، كانت الجيوش الآشورية أقوى وأول الجيوش المعروفة في العالم آنذاك لأنها كانت تعتمد نظام التجنيد الإجباري والتمرين على القتال الجبلي العنيف والإتصالات السريعة والإستخبارات الدقيقة والتجسس المنظم والفعّال. جيران الإمبراطورية الآشورية كانوا في خوف ورعب دائمين. لكن في العام ٦١٢ ق. م. إستطاع الميديون بمساعدة أبناء بابل الجديدة إسقاط الإمبراطورية الآشورية خلال أسابيع قليلة، وهذا ما يجعل الاختصاصيين يندهشون ويعزون ذلك إلى الأسلوب التضليلي الذي أتبعته المعارضة والخداع الحربي الخبيث والذكي الذي طبقته لإسقاط نينوى العظيمة عاصمة الآشوريين أيام ملكهم سين –شلر – ايشكون. عائلة هذه الملك مع بعض من بقايا الجيش الآشوري سابقًا توجهوا نحو جبال حكاري الشامخة فاستوطنوها واتخذوها ملجأ أمينًا عاصيًا.

المؤمنون من أبناء كنيسة المشرق لازالوا يعلنون اليوم قائلين أنهم ينحدرون سلاليًا كأحفاد للآشوريين القدماء، ويعلنون شكرهم لهذا الملجأ الجبلي الأمين الذي حواهم وحماهم من موت محقق. الأجيال القديمة من هذه الجماهير أحتفظت دومًا في ذاكرتها وتغنت بتاريخ آشور الجبارة ونقلت أحداثه المشرقة من الجدود إلى الآباء فالأبناء وأخيرًا الأحفاد رغم إنتقال السلطة من الآشوريين إلى الفرس ثم اليونانيين فالرومان ثم البيزنطيين وأخيرًا إلى العثمانيين.

٢ – مشاهد من الحياة اليومية

مجلس (ديوان) البطريرك مار شمعون بنيامين

عند إقتراب موعد انعقاد مجلس البطريرك، أتوا بالضيوف إلى الغرفة التي سينعقد فيها المجلس. كانت الغرفة عبارة عن صالة واسعة قليلة الأثاث. الأرضية كانت مغطاة بسجادة صوفية. فوقها صُفّت أريكة وبعض الكراسي البدائية. في أطراف الصالة على هيئة حرف U الإنكليزي. لم يكن يوجد على الشبابيك زجاج. إنهم كانوا يثبتون في فصل الشتاء على فتحات الشبابيك عوضًا عن الزجاج أوراق مدهونة بالزيت. في بناء جدران الصالة كان هناك طاقيّات ثُبتت عليها رفوف تستخدم لوضع بعض الحاجيات أو مصابيح الإضاءة النفطية المستعملة ليلا. قبل دخول الفوانيس النفطية حيز الإستعمال كانت الإضاءة تعتمد على قناديل من الفخار تُستخدم فيها عجينة حبوب الخروع. كان هناك دومًا رجل يقوم بتنظيم الفتيلة لئلا تنطفئ. زيت الوقود المستعمل كانت النسوة تقوم بإعداده لأنهن كنّ لا يزلن يتقنّ طريقة إعداده. طريقة تحضير هذه العجينة كانت تبدأ بتجفيف حبوب الخروع في الشمس ثمّ تُسحق على صخرة مسطّحة، العجينة المتكوّنة بعد السحق تُغلى في الماء.

كان البطريرك يسمح بلقاء كل من يرغب مقابلته أو تسليم طلبٍ ما (عريضة) خاصٍ بموضوع معيّن يهمّ صاحب الطلب أو فقط لتقديم الإحترام والتقدير. حضور مجلس البطريرك كان له رسوم وطقوس معينة كان يجب الإلتزام بها. ابتداءً كان هناك واجب الركوع ثمّ تقبيل اليد ثمّ البقاء وقوفًا حتى إن يأمر البطريرك بالجلوس. بعد ذلك تُقدّم القهوة والتبغ. تقديم القهوة كان يتمّ بموجب أسلوب خاص يعتمد على إثنين من الخدام يحمل أحدهما فناجين القهوة والآخر إبريق القهوة. البطريرك كان دومًا أول المتحدثين. كانت المناقشات والأحاديث عادة تدور حول القضايا العامة والأمور الإعتيادية ثمّ يكون الدور للمناقشات الخاصة بمواضيع محددة ودقيقة تتصل مباشرة بمفاصل حياة الأفراد الفردية أو الجماعية، أو قد تتصل بأمور إيمانية أو دينية. فقط في مجلس البطريرك كان هناك دور مؤثر للمرأة وبشكل استثنائي حسب العادات الشرقية. ذلك الدور كانت تلعبه أخت البطريرك أو عمّته. هذه المرأة كان يجب أن تكون ذات شخصية قوية وفقًا لما جاء في تعاليم العهد القديم. إنّها كانت عادة السيدة المطاعة في البيت البطريركي وذات ثقافة جيدة بالنسبة لمجتمعها. أحيانًا، كان لها كلمة مسموعة عند اتخاذ القرارات السياسية أو الدينية. هكذا كانت الحالة مع "هيلين" أخت البطريرك المتوفي – مار شمعون أوراهم – ومع "صلطي"/سلطي أخت البطريرك المتوفى مار شمعون روئيل واليوم مع سورما أخت البطريرك مار شمعون بنيامين الذي جلس على سدة البطريركية عام ١٩٠٣. كان هذا البطريرك شابًا وسيمًا وشجاعًا، أحبه الآشوريون أبناء كنيسته حبًا جمًا كما حاز على حب وتقدير الأكراد عامة وأكراد جولا ميرك خاصة بالإضافة إلى أكراد القرى المجاورة وشيخ "نيري" التابع لمنطقة شمس الدين. قبل موت سلفه –البطريرك مار شمعون روئيل

(عمه) بفترة أسبوعين رقى مار روئيل الشاب بنيامين إلى درجة الأسقفية. هذه الترقية كانت تعني إشارة تقليدية من البطريرك لتسمية خلفه.

طبقًا للأسلوب المتبع، والعادة الجارية، قام ويكرام وريد بتقبيل يد غبطة البطريرك تعبيرًا عن شكرهما وتقديرهما وإحساسًا بالطاعة التي يكنّها الإبن تجاه أبيه. كان البطريرك في مجلسه مُحاطًا ببعض كهنته وأبناء العائلة توكيدًا للعنوان الذي يحمله الجاثوليقا. كان زيّ البطريرك مار شمعون بنيامين يتحدد ببنطلون فضفاض رمادي غامق اللون تُزينه بعض الأشرطة وبصدرية خضراء لونها شاحب ذات أكمام قصيرة أحد الطرفين الأماميين يُثبتُ فوق الآخر بصف من الأزرار الفضية، وكان يلبس فوقها قميصًا أبيضًا سميكًا من القطن. فوق كل هذه القطع من الملابس كان البطريرك يلبس ثوبًا من الحرير أخضر اللون مثبتُ عليه صفّ من الأزرار من الأعلى إلى الأسفل. كان هذا الثوب باردان طويلة وواسعة أكمامها مشقوقة حتى المرفقين. حول

البطريرك مار روئيل شمعون عام ١٨٩١

الخصر كان البطريرك يشدْ حزامًا عريضًا وعلى الرأس يضع طربوشًا ملفوف حوله قماش من الحرير الأسود. كان وجه البطريرك مخروطي الشكل وله لحية كثة لكنها مشذبة بشكل أنيق ولونها شاحب.حول رقبته كانت تتدلّى سلسلة غليظة الحلقات يتدلى عند نهايتها صليب الإنتصار الثلاثي الدوائر في النهايات مذكرًا بالثالوث الأقدس. كانت السلسلة مثبتة حول طوق الثوب في الأعلى.

كان يحضر المجلس من بين أعضاء العائلة أخوه داوود ذو الأكتاف العريضة والشخصية الوقورة وبولس ذو السيماء الضعيفة وسورما أخته هذا بالإضافة إلى بعض من أبناء العمومة. حضور أبناء العائلة في المجلس كان يعني تأثيرهم القوي الذي تملكه عائلة البطريرك على المؤسسة العشائرية والدينية التي يخضع لها الشعب المسيحي في تلك المناطق. على بعد قليل من البطريرك كان يجلس إثنان من الكهنة المتميزين بعمامتيهما ولحيتيهما الطويلتين. كهنة كنيسة المشرق المتصفة بصفة

البطريرك مار روئيل شمعون في قوجانس عام ١٨٨٦

"كنيسة رئاسية" (أي لا كنيسة أخرى ترأسها أو تعلو عليها -المترجم) كانوا متزوجين، وتنتقل الدرجة الكهنوتية وراثيا من الأب إلى الإبن. أفتتح البطريرك المجلس وفق العادة بصوته الجهوري فقال: "خاثي سورما [٢٠] أخبرتني أنّ سفرتكم كانت جيدة، إننا نشكر الله على ذلك. إننيّ سعيد جدًا لاستطاعتي إستقبالكم هنا في قوجانس وأقصد بذلك الأب ويكرام ورفيقه العزيز الضيف الجديد.

بعد تبادل عبارات تأدبية، إنتقل البطريرك بالحديث إلى موضوع النشاطات التي تقدمها الكنيسة الأنكليكانية التي كانت تعمل تحت رعايته أو رعاية أساقفته. وغالبًا ما كان مسئولو الطرفين يجتمعون لمناقشة القضايا أو المشاكل التي تعرقل مسيرة التقدم أو لغرض الإطلاع على ما تمّ تخطيطه لعمل البعثة التبشيرية/ الرسالة الأنكليكانية مستقبلا. مجلس البطريرك كان المكان المتميز لمناقشة مواضيع كهذه. من سير المناقشات إستطاع ريد تفهّم المشاكل والمعوّقات التي تواجه الطرفين. آنئذٍ كأن في داخل البطريرك بعض القلق من أمكانية الحفاظ على ديمومة إقامة البعثات التبشيرية الأنكليكانية، لذا أردف يقول: "لقد علمتُ يا حضرة الدكتور براون أنكَ تواجه مشاكل مزعجة بخصوص تأسيس بعثتكم في "وان" وترسيخ جذورها رغم أنكم وُفّقتم في فتح مدرسة للبنات وأخرى للبنين إضافة إلى بناء كنيسة صغيرة للصلاة خلال السنتين الماضيتين وانكم باشرتم التدريس فيهما. بالحقيقة أنّ التعليم مهم وضروري لأبناء شعبي.

أجاب ويكرام قائلا: "عمليًا، يا غبطة البطريرك، إننا مسرورون من شراء الملك الذي يضم لا فقط الأرض التي بنيت عليها المدرستان بل أيضًا بستانًا غناء وكرمًا زاهيًا ومساحة واسعة من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب والبطاطة وغير ذلك كالخضراوات. مع الأسف لم يكن لنا بعد النظر الضروري لتقدير أهمية بعد المسافة بين المساكن وموقع المدرستين والتي يجب على الطلاب قطعها يوميا ذهابًا وإيابًا أو في فصل الأصطياف عندما تنتقل العوائل تاركة مساكنها الدائمية. المسافة بين "وان" وقوجانس هي حوالي ١٦٠ كم، وقد تبدو لنا غير كبيرة لكن عمليًا نحتاج ستة أيام لقطعها

سيرًا على الأقدام وبمعدل عشر ساعات يوميًا. إنّها سفرة متعبة وخاصة بالنسبة للأولاد الذين أعمارهم تتراوح ما بين ١٠ و ١٤ عامًا. عدا ذلك على المسافر اختراق هوات ووديان موحشة وتسلق قمم مسالكها عاصية تعترضها صخور ناتئة وأكوم حجارة متحركة تقلل من ثبات الخطوات وأرتكازها عند السير عليها. حقيقة إنّ الطرق هنا ليست طرقًا بالمفهوم الصحيح، إنها طرق بالإسم فقط. إننا استطعنا لمس الحقائق شيئًا فشيئا وتحسس الصعوبات رغم وجود بعض الإيجابيات. من ذلك استنتجنا أنّ "وان" ليست بالمكان المثالي والمؤهل الذي يصلح ليكون مركزًا لبعثة تبشيرية خاصة إذا ما كان في النية جعل هذا المركز، المركز الرئيس لكل النشاط التبشيري في ربوع الإمبراطورية العثمانية".

هنا قاطع البطريرك قائلا: "هل حاولتم أن تجدوا بديلا أو حلا آخر؟ انّ أهتمامي الكبير يتركز على تعليم الصغار أجيال المستقبل. هذا الموضوع سيكون إحدى النقاط المهمة التي سيعالجها مجمع أساقفة كنيستنا المقبل السنهودس ويدرسها بدقة واهتمام بالغين. أنا الآن منشغل ومشغول بإعداد جولة تهدف إلى لقاء الملكي [٢١] والأساقفة أو المطارين للتحضير للتوصل إلى رأي توافقي بخصوص هذه القضية. إني أرى أنّ الأراضي المحيطة بالكنائس والتي تزرع لتوفير الغذاء للضيوف والغرباء والمعوزين يجب استغلالها ليكون حاصلها أيضًا وقفا لصالح مدارس القرى وتوفير الدعم المادي للطلاب عند الحاجة". بعد انتهاء البطريرك من طرح رأيه هذا، أجاب ويكرام: "قداستكم بهذا العمل تُثبت جودكم وسخاءكم وإهتمامكم البالغ بمستقبل شعبكم. حسب رأيي، إنشغالنا بمركز البعثة في "وان" أعدّه مضيعة للوقت لا غير لذا أرتئي نقل مركز البعثة من "وان" إلى العمادية، ذلك هو الحلّ الأصح للأسباب التالية: أولا العمادية قرية تقع عند أقدام جبال شامخة وهي على بعد أيام قليلة من الموصل وتقع إلى شمالها، بذلك ستكون منفذًا جيدًا لا بل ممتازًا للوصول إلى قوجانس، مما يعني أنها ستكون منطلقًا مناسبًا للعمل في ربوع الجبال. ثانيًا، أبناء الأبرشيات الواقعة إلى الجنوب من العمادية الذين أخذ إرتباطهم ينمو ويقوى بالإدارة الرومانية (الكنيسة الكاثوليكية) سيتأثر عكسيًا بحضور الكنيسة الأنكليكانية ويشجعهم على مقاومة التبشير الذي تنشره كنيسة روما بواسطة بعثتها التبشيرية".

أكفهر وجه البطريرك عند سماع أقوال ويكرام الأخيرة وتملكه الحزن، فختم المناقشة وأنتقل بالحديث إلى موضوع مشروع آخر قائلا: "مخطوطاتنا غدت قديمة جدًا وآخر كاتب مخطوطات لكنيستنا توفي منذ فترة، فإذا لم نعمل من أجل الحفاظ على تراثنا الأدبي بشكل جيد فإننا سنفقده ونتيه نحن أيضًا في شعاب الجهل والنسيان. على إرثنا أن يبقى حيًا في ذاكرتنا. سبق أن ذكرتُ أختي سورما وطلبتُ الإهتمام بهذا الموضوع اهتمامًا جديًا والعمل من أجل الدفاع عن هويتنا مهما كانت المعوّقات. من الآن فصاعدًا ستكون كنيستنا متوجهة نحو الاضمحلال بسبب التناقص الهائل

نتيجة القضم المستمر لهيكلها وعدد نفوس أبنائها من المؤمنين. الرب الإله وحده يعلم ما يُخفيه لنا المستقبل. واجبنا الأساس اليوم هو بذل الجهود للحفاظ على أبناء شعبنا الآشوري والوقوف سدًا منيعًا بوجه الأختفاء التدريجي الذي يتحقق مهددًا كياننا ككل. علينا العمل لتوليد معرفة جديدة في أعماقنا ونقلها إلى أجيالنا المقبلة. إني معتمد عليكم يا عزيزي ويكرام، أنتَ وأعوانكَ كل الإعتماد. تجاوبكم السريع بهذا الشأن هو المنتظر والدواء الشافي." .

أبتسم ويكرام عند سماعه أقوال البطريرك الأخيرة وفرح كثيرًا لأن التجاوب كان ايجابيًا. فقال: "لقد أنهينا طباعة كتاب الصلاة الطقسية على مدار السنة والخاصة بالأعياد ومناسبات الصوم. ومجموعة الصلاة الفرضية اليومية.أما ما يتعلق بموضوع التعليم والدراسة فمناهج مادة الرياضيات قد أنجزت بكتاب ضخم، معي نسخة جلبتها لأقدمها لكم لتبقى هنا في قوجانس..." .

أشرقت وجوه الجميع عندما سمعوا هذه التصريحات التي أدلى بها ويكرام. بعد قليل نهض البطريرك محييًا الحاضرين بعد أن باركهم فودعهم وترك الصالة. بعدها غادر الحاضرون. عند الباب وبينما كان الضيوف في طريقهم إلى الخارج جائتهم همسة في الأذن من سورما تقول: "لا تنسوا أعزاؤنا الضيوف الكرام أن غدًا! صباحًا سيقام احتفال عماذ إيشايا إبن "آخوني [٢٢] داوود الذي هو حسب التقليد الكنسي" ناطر كورسي" [٢٣]. سيكون الإحتفال في كنيسة مار شليطا وانتم مدعوون وعلى الرحب والسعة حضوركم. ستأتون إلى الكنيسة ومن ثمّ سنذهب جميعًا إلى الحفلة التي ستلي احتفال العماذ الكنسي.

إنّ الطفل المولود حديثا يعتبر حسب الأعراف والتقاليد شخصًا منذورًا أي شخصًا مكرّسًا لخدمة الله لذا عليه الخضوع لقوانين ونظم محددة وقاسية.

المنذور وحسب ما جاء في أشارات عديدة في الكتاب المقدس وأصبحت طقوسًا دينية، هو إنسان خصص حياته لعبادة الله. هذا التقليد أجبر جماهير المسيحيين الرضوخ لإجراءات معينة من خلالها يتم إعداد بعض أفراد عائلة معينة لتسنّم الكراسي القيادية الدينية ووفقًا لدرجات متنازلة.هذا التقليد يحتم حصر القيادات الكنسية بعائلات محددة. ما يعني المنصب البطريركي محصور بعائلة تحمل كنية "مار شمعون" . أيام بطريركية مار شمعون بنيامين. نرى أن البطريرك الجالس على الكرسي هو عم الوليد الجديد الذي تقليديًا كان هو أيضًا "ناطر كرسي" للبطريرك الذي سبقه. جريا على العادة وكما أشرنا سابقًا، سيخضع هذا الطفل لنظام غذائي قاسٍ سبق وأن خضعت له والدته منذ أن حملت به ولا زالت تخضع له عمته سورما وعمه البطريرك الحالي. خلال فترة حياته عليه الإمتناع عن تناول كل أنواع المشروبات الكحولية.

بعد أن أنفضّ عقد المجلس البطريركي ذلك المساء عاد الضيوف، أي ويكرام ومرافقه ريد ورابي براون إلى مسكنهم الصغير، بعد قضائهم سويعات قليلات مع البطريرك يناقشون أمورًا مهمة تخص

أمور الجماهير الآشورية نظرًا لكون البطريرك الرئيس الأعلى لهذه الجماهير. عند الوصول إلى صالة النوم قاموا بنشر الافرشة الملفوفة والموضوعة في زاوية من صالة النوم. بعد الإستلقاء على الفراش جاءهم النعاس هادئًا. قبل أن يستغرق ريد في نوم عميق نظر إلى السماء عبر إحدى الفتحات فرآها مرصعة بكواكب ونجوم لامعة خاصة بالمجموعة المسماة "درب التبانة". أنعم النظر فيها مندهشًا من عمل الخالق المذهل فرفع المجد له واستغرق في نوم مريح.

حسب وجهة نظر الكنيسة الأنكليكانية، كل كنيسة أرثوذكسية هي فرع من الكنيسة العالمية الشاملة دون أي تمييز محدد بين الكنائس التي تعترف وتقبل كل المجامع المسكونية وتعاليمها وأيضًا تلك التي لا تعترف بكل القرارات والتعليمات. فكنيسة المشرق تدخل ضمن الكنائس المشار إليها. الكنيسة الأنكليكانية طالبت كنيسة المشرق العمل الجماعي وفق هذه الروحية، غير أنّ هذه الأخيرة لم ترض بذلك. الكنيسة الأنكليكانية كانت تلوم دومًا الكاثوليك لسعيهم لإفشال نشاط البعثة التبشيرية الأولى التابعة للأنكليكان لرومانيتها (مذهب الكنيسة الرومانية/الكاثوليكية) المتسلطة. على عكس ذلك، نلاحظ أن وصول الأرثوذكس الروس إلى مناطق أورميا الفارسية عام ١٨٩٨ لم يهتموا لهذا الموضوع أو ينظروه نظرة مجحفة كما فعل الأنكليكان. لهذا السبب كان رأي الأولى أي الروس يتحدد بضرورة التخلي عن مسيحيي بلاد فارس، وإعطاء المجال لهم. مقابل ذلك يركز الأنكليكان في نشاطهم على المسيحيين الذين كانوا يسكنون أراضي الإمبراطورية العثمانية. لم تعتمد الكنيسة الأنكليكانية هذا الرأي نظرًا لأنه لم يكن الإختيار الذي اختارته كنيسة المشرق نفسها إثر مناقشات مباشرة معها. كنتيجة نهائية بقيت البعثة الأنكليكانية في أورميا مقيمة في بلاد فارس، وأخذت تهتمّ بالمؤمنين الآشوريين الذين كانوا يسكنون بعض القرى من بلاد فارس والذين كانوا قد بقوا محتفظين بعقيدة كنيستهم المشرقية ذات التاريخ العريق. أما أولئك الذين سكنوا الأراضي العثمانية فقد قام مسئولو البعثة الأنكليكانية بفتح مركز خاص لهم في قوجانس ومركز آخر في "وان". وقد تمّ ذلك عام ١٩٠٧، هجر أعضاء البعثة الأنكليكانية المركز الأخير بعد مرور ثلاثة أشهر على افتتاحه ونزحوا إلى العمادية. فتح الأنكليكان في ربوع بلاد فارس عدة مدارس في أورميا وبعض القرى الواقعة حواليها إضافة إلى القيام بطباعة العديد من الكتب الكنسية. منذ العام ١٨٩٠، تمّ طبع النصوص الخاصة بإقامة الذبيحة الإلهية ذات الدرجات الثلاث المتبعة في كنيسة المشرق. طبعت تلك النصوص في مجلد واحد احتوى أيضًا نصّ الصلاة الطقسية الخاصة بالعماذ. كذلك تمّ انجاز طباعة المزامير وكتاب التعليم المسيحي وكتاب قواعد اللغة بنوعيها المكتوبة/الأدبية والمحكية. إضافة إلى كل هذا الإنجاز التثقيفي، تمّت طباعة كتاب التعليم المسيحي وكتاب قواعد اللغة للمبتدئين وكتاب موجز لتعليم الحساب والتاريخ.

في بداية القرن العشرين تركز الرهان على نشاط الكنيسة الأنكليكانية الخاص على ما يعرف

بالجيو - دينية (علم يهتم بالعلاقات التطورية للعلوم الدينية - المترجم). لتحقيق هذا الغرض أتبع الأنكليكان أسلوب الإقامة في المناطق التي يستوطنها الآشوريون ومن ثمّ العمل من أجل ولادة حديثة لهذه الكنيسة ذات الأصول العريقة بواسطة الإلحاح على متابعة منهج واضح المعالم في دراسة القضايا المتعلقة بالأمور الروحية والإنسانية والتعليمية. كان هدف هذا النشاط أبعاد جماهير الآشوريين عن الإمبراطورية الرومانية (المقصود هو كنيسة روما الكاثوليكية لا الإمبراطورة الرومانية المعرفة والشهيرة تاريخيًا - المترجم) ووضع حدّ للإهتداءات إلى الكثلكة وتحقيق اعتراف إيماني متبادل بين الكنيستين. نشاط الكنيسة الأنكليكانية كان نشاطًا مختلفًا عن نشاط الحكومة البريطانية الذي باطنيًا كان يرى في تدخل الأرثوذكسية الروسية طير شؤم يهدد المصالح القومية، بينما ظاهريًا كان يبدي بعض الحيادية وأحيانًا يؤيدها تأييدًا ايجابيًا معتبرًا البعثة الروسية تمثل سورًا حاميًا وخط دفاع يواجه نشاط المبشرين اللاتين.

معموذيثا، يوم تعميذ الطفل إيشاي،

عندما كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا، سمع ناقوس الكنيسة يضرب، فجاء المؤمنون لحضور "صلوثا د صبرا" (٢٤) التي من خلالها يُقدم المؤمنون المصلون الشكر للعزة الإلهة لأنهم استيقظوا من النوم بكل صحة وخير ودون أن يمسهم الشرّ. إعتمدت كنيسة ما بين النهرين على نصوص العهد القديم في إقامة صلواتها أي ثلاث مرات يوميًا. فإلى جانب صلوثا د صبرا و "صلوثا د رمشا" هناك "صلوثا د لليا" (٢٥). سفر المزامير هو العمود الفقري لكل هذه الصلوات وخاصة المزمور الذي يقول: "ها أنا أستيقظ أيّها الرب الإله عند منتصف الليل لأقدم لعزتك وعظمتكَ الإلهية شكري العميق لأحكامكَ العادلة (٢٦). الإنجيل هو أساس الإيمان المسيحي. الصلاة هي من ضروريات الإيمان. حسب ما يعلمه الإنجيل نقرأ في إنجيل القديس مرقس: "إسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى ستأتي الساعة..." (٢٧).

في تلك الساعة من الهزيع الأخير من الليل، إستيقظت قوجانس من نومها كما تستيقظ العصافير والطيور فتبعث البهجة في النفوس بزقزقتها بعد مغادرة الغربان التي كانت تنعب ليلا فوق الأطلال. استيقظ سكان قوجانس ومن ضمنهم سورما التي كان ذلك اليوم بالنسبة لها من الأيام المشهودة. فأعطت الأوامر لذبح الخروف والحفاظ على قطعة كبيرة منه لتنشوى فتتصاعد رائحة شواء اللحم الذكية على النار فتعبق أرجاء القرية. في ذلك الصباح كان داوود د بيث مار شمعون واستير د بيث مطران زوجته يزمعان أن يُقدما طفلهما إيشاي لإقتبال المعموذية. هذا الحدث عظيم ومهيب للجميع لأنه اليوم الذي سيصبح فيه الطفل إيشاي مسيحيًا ويستقرّ في أحضان الكنيسة. لهذه المناسبة أعدّ قريبه لباسًا أبيضًا حاكته نساء العائلة مع غطاء للرأس

مخيط من أشرطة حريرية بيضاء. على الغطاء قامت القريبة بتطريز بعض الكلمات مأخوذة من نصوص المزامير بدقة وعناية تقول: " إنكَ أيها الرب الإله قد توجته بالمجد والفخر، إنه يسألك الحياة فتهبها له حياةً خالدة. كانت تتدلى على هذا الزيّ الرسمي للمعموذية ثلاث خصل من الخيوط الملونة. عندما أصبح كل شيئ جاهزًا بدأت مراسيم الإحتفال الطقسية الخاصة بهذا السرّ العظيم وهي الرازي / القداس الإلهي. وقف القريب حاملا الطفل عند باب بيت العماذ وإلى جانبه وقفت زوجته / القريبة. عند ذاك دخل الكهنة والشمامسة حاملين الإنجيل والصليب والمبخرة والشموع. أحد الشمامسة قرأ الكاروزوثا [٢٨]. عند انتهائه من القراءة، ابتدأت مراسيم التعميذ الطقسية [٢٩]. إنّ الطقوس التي أشرنا إليها هي طقوس ومراسيم قديمة جدًا منسقة حسب أجندتها ومواسم السنة الطقسية. خلال هذه الفترة من السنة التي نتحدث عنها تصليّ الكنيسة بما يُعرف بمراسيم " قداشا قذمايا " والذي يُسمّى أيضًا " قداشا د شليحي " . نصوص هذا القدّاس تُصلى عادة من فترة أحد السعانين إلى سابوع البشارة وهو إحدى فترات السنة الطقسية ويسبق عادة الميلاد --المترجم). يرجع تاريخ اعتماد هذه الطقوس إلى القرن الميلادي الثاني وتعكس المفهوم الديني لأقدم صلاة عرفت وخاصة بإقامة الذبيحة الإلهة عند المسيحيين. حسب الإعتقاد السائد إنها من وضع رفيقي مار توما الرسول: أديّ وماري.

شعور عارم إمتلك ريد الذي كان يحضر صلاة كهذه لأول مرة. عندما تقدم أحد الشمامسة بالمبخرة نحو البطريرك لوضع البخور أخذ الشعب يرنم صلاة " لا خو مارا دخول مودينان " التي تعني: " إياكَ يا ربّ الكلّ نمدح وإياكَ يا يسوع المسيح نبارك لأنكَ أنتَ هو من يُحيي أجسادنا وأنتَ هو من يخلص نفوسنا " . من هذه العبارات تحسس ريد معنى هذه الكلمات التي تنبعث منها رائحة عبادة حقيقية ترجع بأصولها الإيمانية إلى تسعة عشر قرنًا مضت. إنه إيمان شعبي مملوء بالخبرة والتقوى، ويُفحم إدّعاءات الجاحدين. زيادة على ذلك هذه العبارات المألوفة لدى المصلين أكدت لريد أنّ اللغة الآرامية التي كانت اللغة المحلية في ربوع فلسطين والتي تحدّث بها الشعب أيام حياة يسوع لا زالت لغة عذبة تطرب لها الآذان ومألوفة وحية ومنتشرة بين الجماهير الجبلية التي تعيش في هذه المناطق.

مراسيم صلاة المعموذية كانت فاصلا مبهجًا لصلوات ردّدها المؤمنون منشدين سبقت تناول القربان المقدّس. بعد تقديس مياه المعموذية وصلاة أبانا الذي في السماوات استلم الشماس الطفل من القريب وسلمه إلى الكاهن ليدهنه بالزيت المقدس. بعد ذلك سلم الكاهن الطفل إلى أبدي مار شمعون بنيامين. كان البطريرك لابسًا ثوبًا أبيضًا مثبتًا عند الخصر بحزام، كما كان لباس يسوع المسيح عندما كان يعيش على الأرض. فوق الثوب لبس غفارة مربعة مُطرّزة بالنجوم والصلبان الحمراء. غطس البطريرك الطفل في الماء ثلاث مرات وهو يقول: " إنا أعمذكَ يا إيشاي باسم الآب

والإبن والروح القدس وإلى أبد الآبدين آمين". بعد أن استلم الشماس الطفل من أيدي البطريرك ناوله للقريب الذي ألبسه الثياب البيضاء. عند باب المبنى كان القربان المقدس يعطى للمقتربين الراغبين في تناوله. بعدئذٍ وضع المحتفل إكليلا / تاجًا على رأس الطفل وهو يُرنم المزامير، ثمّ قام بتثبيت خصل الخيوط المعلقة بالثياب بالشكل التالي: تلك التي لونها أسود ثبتها أمام العينين مذكرة بالموت، وتلك التي لونها أبيض ثبتها على الجهة اليمنى رمزًا للعماذ الذي إقتبله، أما على الجهة اليسرى فقد ثبت الخصلة الحمراء رمزًا لموت عنيف. لقد جرت العادة أن يحتفظ أهل الطفل بثياب عماذه بعناية واهتمام. في حالة وفاة الطفل وهو صغير تحرق تلك الثياب مع الطفل (؟). في حالة استمرار الطفل في الحياة فالتاج يستعمل في مراسيم زواجه أو مراسيم دخوله الحياة المكرّسة. عند انتهاء مراسيم العماذ، أبلغت سورما الحاضرين ومن بينهم الضيوف الغرباء بضرورة التوجه إلى دار والديّ المعتمذ بصحبة الموسيقى المتكونة من المزمار/ الزورنا والطبل / الداولا. في دار الوالدين قدم الكعك الخاص بحفلة العماذ وبعض الطعام، كاليخني (شوربة بالخضراوات والكبب الصغيرة) وبعض البقول والرز واللحم المشوي واللبن والخبز وقليل من العنب. الخمر كان المشروب المتوفر لمن يرغب فيه. كان الفرح يُخيم على أجواء البيت، وعبارات التهنئة تنطلق من الأفواه دون انقطاع وهي تقول: "نتمنى للوليد الجديد إيشاي حياة طويلة ورائقة"، أو نتمنى ونطلب له حياة سعيدة ورخية...

أستمرّت الحفلة وتتابعت حلقات الرقص التي تخللتها أطلاقات نار من البنادق. شارك الضيوف الأنكليكان في فقرات الحفلة والفرح يملؤ قلوبهم، فرح عفوي وسرور هادئ لما لمسوه من إخلاص ومحبة حقيقية يكنها لهم هؤلاء الآشوريون في حكاري. كانت الحفلة قد قاربت نهايتها عندما سُمعت ضربات ناقوس الكنيسة / الناقوشا عصرًا داعية المؤمنين إلى صلاة العصر. عند ذلك انسحب المدعوون والضيوف. وانتهت الحفلة بكل هدوء وسلام وعادت السكينة تُخيّم على أجواء قوجانس قلب وطن المسيحيين القائمة في هذا الوادي العلوي حيث تجري مياه نهر الزاب الكبير ذي الطبيعة الخشنة، حيث العنف ينتشر في أرجائها بسبب كثرة الأشرار. إيمان هؤلاء المسيحيين يعتمد كثيرًا على أصول توراتية إضافة إلى أنّ لهم طقوس وعادات خاصة بهم مصدرها تراث قرون قديمة. إنهم مؤمنون حقيقيون مخلصين لعقيدتهم، عاش أجدادهم حقبا تاريخية مضيئة وأخرى مظلمة. إنهم رغم ما قاسوه من إضطهادات بقوا صامدين بسبب قناعتهم بعقيدتهم. كانوا فرحين طورًا وحزانى طورًا آخر. لكنهم لم يتخلوا عن إيمانهم البتة ومهما كانت الظروف وأيًا كان نوع المصائب. بعد أن شاهد ريد كل هذه الإجراءات والطقوس واطلع على جانب مهم من الحياة، إستطاع أن يكتشف سرّ بقاء هذه الجماهير حية مناضلة تحت رعاية كنيستهم التي يقارب عمرها الألفي عام.

إنّ إسم كنيسة المشرق الأصلي حسب اللغة الآرامية هو "عيدتا د مذنحا " [٣٠]. عاشت هذه الكنيسة عصوراً من الإزدهار والتوسع، نظراً لأنها منذ البداية ركزت أنظارها نحو الجهات الشرقية فأخذت تنشر هناك تعاليمها وعقائدها التي أبهرت قلوب الشعوب. من البلدان التي انتشرت فيها المسيحية: الهند وتركستان وقرغيزيا وباكستان والصين وأندنوسيا. لم تعتمد المسيحية عند انتشارها على القوة أو السيف بل إنما على الإقناع. تحقق التبشير الهادئ بالمسيحية أولا بواسطة التجار المسيحيين الذين كانوا يجوبون أصقاع آسيا. بلغ عدد المؤمنين الذين قبلوا المسيحية في الشرق في أوج فترة الإنتشار حوالي (٦٠) ستين مليوناً من المسيحيين. وكانوا يسكنون البلاد المحصورة بين بابل غرباً وبكين شرقاً. كانت فترة إزدهار المسيحية في بلاد الصين على عهد سلالة ملوك "تانك" (٦٨٨-٩٠٧). من يلقي نظرة تأمل عميقة على البطريرك مار شمعون بنيامين يتحسس ورع المؤمنين من نظراته ومحبتهم وتعلّقهم بشخصه. إنّ الحركات والصلوات الطقسية أثناء الأحتفالات لا تشير فقط إلى الهموم البالغة الشدة والقلق الدائم من البقاء على قيد الحياة في هذا الوجود بل أيضًا إلى محبة الأرض والتعلق بها. هذه الحقيقة قد نراها جلية من الحنين إلى الأصول والتشبث بها، هذا الشعور هو الأزميل الذي حفر في أعماق النفوس ذكرى الأحداث التاريخية في مسيرة هذه الكنيسة العريقة. كدليل على ذلك نذكر بمسلة 'سين -كان -فو' التي نبضاتها لا زالت حية في آذان المؤمنين. إنّ هذه الجماهير، سوف لن تنسى حتما " الربن آلو بين - Rabban A- lo-pen ورفاقه السبعين الطلائعيين المرسلين الأولين من بلاد ما بين النهرين، الذين حملوا شعلة البشارة من بو سيبه / Po-sseu (في بلاد فارس) بإتجاه الشرق حتى وصلوا الصين عام ٦٣٥ .

هذه المسلة التي إكتشفها اليسوعيون في القرن الميلادي السابع عشر ترمز إلى خلود حضور الإيمان المسيحي المشرقي. القسم العلوي من المسلة يعلمنا عقيدة هذه الكنيسة بوضوح تام ويصف بتفصيل فترات تطورها خاصة في عهد ملوك عائلة "تانك" بعد تأسيسها و وضع اللبنات الأولى لصرح هيكلها الشامخ. حقق إيمان هذه الكنيسة المظفر إنتشاراً مذهلا على أثره صدر المرسوم الإمبراطوري عام ٦٣٨ . أعلن هذا المرسوم الإمبراطور تاي تسونك / T` ai-Tsung الذي حكم البلاد خلال الفترة (٦٢٩- ٦٤٩) لهذا السبب اتخذ البطريرك طيماثيوس الأول الذي كان يجلس على الكرسي البطريركي لكنيسة المشرق أيامئذ قراراً لترقية مطران الصين التابع لكنيسة المشرق إلى مصف المطرابوليط حيث كان يرعى العديد من الأساقفة. عدا مسلة سي- نكان- فو التي تشكل البرهان الآثاري الواضح، هناك مخطوطات عديدة إكتشفوها مستشرقون أخصائيون بالحضارة الصينية من أمثال الفرنسي بول بليوت-Paul Pel-liot.

إكتشف بول المخطوطات في مغارة Durfan من المؤكد أن كل هذه اللقى الآثارية تشير إلى مآثر كنيسة المشرق وانتشارها في ربوع آسيا [٣١].

جماهير الآشوريين من العشيرت المستقلين

إستوطنت جماهير الآشوريين المعروفين بـ " العشيرت" جبال حكاري الشاهقة ذات الوديان المرعبة. في هذه الجبال كانت تعيش أيضًا الذئاب وبنات آوى التي كان يسمع عواؤها ليلا فتردده القمم رهيبا. المسالك في هذه الجبال عاصية بسبب ما يتخللها من أكوام الحجارة والصخور التي جرفتها السيول. في هذه المناطق الموحشة انتشرت جماعات من اللصوص إتخذت قطاع الطرق على المسافرين مهنة أساسية لها. لذا كان الأمن نادرا والطمأنينة شبه معدومة. عندما كانت تحلّ مناسبات الإحتفال بعيد ما أو حدث مفرح كان يُخيم الفرح لسويعات قليلات أثناءها كان الناس ينسون منغصاتهم وأشجانهم اليومية. في هكذا مناطق عاش السكان، آشوريين كانوا أو أكراد. النظام الإقتصادي المعروف بالقبلي –الإقطاعي كان هو النظام السائد. هذا النظام ساعد السكان على التمتع بنوع من الإستقلال [٣٢]. حيث لم يكونوا خاضعين للخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش العثماني. إنعزالهم بين الجبال الشاهقة والعاصية خلق فيهم طباع بشر منغلقين على ذواتهم. كان الإتصال بهم أو التعامل معهم شبه مستحيل وهذا ما جعلهم يتمتعون بنوع من الحكم الذاتي الفعلي. جباة الضرائب في الإمبراطورية العثمانية كانوا غير قادرين على التغلغل في المناطق التي كانت تسكنها جماهير الآشوريين من العشيرت. في أحد المواقع من منطقة عاصية جدًا كانت تنتصب صخرة هائلة الحجم سميت " صخرة محصل الضرائب" ، ذلك كان تخليدًا للرأي القائل: " أن لا موظف عثماني يستطيع إجتيازها أو التغلغل مسافة أبعد منها، الذهاب إلى المناطق الواقعة خلفها كان يعني المخاطرة بالحياة. الجماهير الآشورية التي رغبت الإبتعاد عن هذه الجبال الشماء، لم تعرف حياة جماهير العشائر المتمتعة بما يشبه الإستقلال، لذا تميزت حياتها بنوع من الخنوع والذل وعرفت بالرايا. اعتمدت حياة هذه الجماهير على الزراعة والفلاحة. مارست جماهير العشيرت نوعا من الوصاية والحماية لجماهير الرايا عندما تكون مهددة بالغزو أو حملات النهب. مقابل ذلك كانت جماهير الرايا تضمن لجماهير العشيرت فرصة الحصول على بعض الخدمات الحياتية المهمة كالسماح لقطعان ماشية العشيرت الرعي في مراعي الأكراد الذين كانوا يحتمون بظلهم. بلغ مجموع جماهير الآشوريين من النوعين (العشيرت والرايا) حوالي المائة ألف نسمة، بينما كان عددهم في الماضي عدة ملايين. هنا عليك أخي القارئ الكريم أن تتصور الحالة المزرية لهذه الجماهير التي تناقص عدد أفرادها هذا التناقص الكبير، كانوا يُعدّون بالملايين واليوم لا يتجاوز عددهم المائة ألف .

موطن جماهير العشيرت تحدد بـ :

– مناطق سكن عشيرة تياري العليا وعشيرة تياري السفلى. قراها انتشرت على امتداد وادي نهر الزاب الكبير وحوالي " أشيثا"

- مناطق عشيرة تخوما التي استوطنت وادي الرافد النهري الذي حمل إسم السفوح الغربية من جبال قره داغ .
- مناطق عشيرة جيلو الكبرى والصغرى الواقعة شرقي الزاب الكبير.
- مناطق عشيرة باز.
- مناطق عشيرة ديز.

كان يرأس كل عشيرة من هذه العشائر شخص يدعى " الملك " (مع تشديد اللام وسكونها)، بيده السلطة وهو المسؤول عن حل المشاكل والإشراف على توزيع الإرث وإصدار الأحكام عند وقوع الجرائم. كان للملك الحق في أستحصال وجمع ضريبة العشر المستحقة للبطريرك. كما أنه كان يقوم بمهام القائد عند حصول قتال مع معتدين. أسلوب تسمية الملك كانت تستند على ركيزتين أساسيتين هما الانتخاب والتوارث. بذلك كان يتم حصر هذا المنصب بعائلة معينة. كانت التسمية الرسمية تصدر عادة من الإدارة البطريركية. لذلك كان البطريرك يسأل ويحاسب الملّك عن إدارة منطقة العشيرة التي يرأسها وعن كل كبيرة وصغيرة تحصل عنده. لضمان تسيير الأمر بصورة جيدة وتصريفها. كان هناك ضريبة مفروضة يحصلها الملّك نفسه ويتمتع بمردودها. كان له الحق أن يُطالب كل فرد من أفراد العشيرة بالعمل مجانا لمصلحته (مصلحة الملك) ثلاثة أيام في السنة. أحيانًا كان يُستعاض عن أيام العمل المجاني بمبلغ نقدي يُفرض على أبناء القرية وعليهم تأديته. المؤسسة البطريركية كانت تطاوع ما يفرضه نظام الإقطاع الغقتصادي والإجتماعي والفدرالي. عشيرة ديز كانت المسؤولة عن توفير فرقة شبه عسكرية واجبها ضمان حماية البطريرك وضمان سلامته الشخصية. كان البطريرك يتمتع بنوع من السلطة الزمنية على الملّكي (جمع ملك أيضًا بتشديد اللام وسكونها) هذا إضافة إلى أنه كان الحاكم المطاع في الخلافات التي قد تحصل بين ملك وآخر أو الملّك وأبناء عشيرته. في بعض الأحيان كان البطريرك هو الشخص الذي يقوم بحل المشاكل ووضع حد للنزاعات التي قد تحصل بين الأكراد والآشوريين. جماهير العشائر الآشورية كانت ملزمة بدفع نوع من الضريبة للبطريرك تُسمّى الريشيثا كما كانت تعترف له بالسلطة المطلقة والطاعة التامة.

أسلوب الحياة المتبع من قبل الجميع قارب بين السكان أكرادًا كانوا أم آشوريين. لغة الذين إتخذوا الإسلام دينا كانت الكردية وهي من مجموعة اللغات الهندو-أوروبية وهي قريبة من اللغة الفارسية بينما الآشوريون تكلموا لغة سامية تُعرف بالآرامية ومنها تمحورت اللغة المحكية التي نسميها " السورث " . انتشرت اللغة الآرامية في المناطق التي قامت فيها إمبراطوريتا بابل وآشور خلال القرن الثامن ق.م. تحدثت بهذه اللغة الجماهير التي سكنت في ربوع هذه البلاد بعد أن أزاحت

كل اللغات المستعملة قبل ذلك. تكلم النبي دانيال بهذه اللغة في القرن السادس ق.م. وبعد ذلك بقرن تكلم بها عزرا. ثمّ بعدئذٍ نلاحظ أن يسوع المسيح يتحدث بها هو أيضا. عند تتبع الأحداث التاريخية بدقة سنستنتج أنّ اللغة الآرامية كانت اللغة المنتشرة خلال القرن الميلادي الرابع ولكن بلهجات متعددة في مختلف المناطق الريفية. غير أنه وعلى أثر دخول الإسلام إلى هذه البلاد وانتشاره فيها، أخذت اللهجات المحلية الآرامية تختفي شيئًا فشيئًا وإنحصر استعمالها على حدود الإمبراطورية العثمانية على شكل لهجتين اثنتين هما: السورث والسوريويو.

إنّ الإختلاف الديني واللغوي بين الأكراد والآشوريين لم يلعبا دورًا مهما في حياتهما. فالشعبان الكردي والآشوري بقيا يعيشان جنبًا إلى جنب بتفاهم تام. كانت علاقة كل منهما بمختلف الفرق المكوّنة لكل شعب من الشعبين جيدة. مع مرور الزمن حصل للأكراد تفوّق عددي على الآشوريين في المنطقة، فأصبح عددهم ١٦٠٠٠٠ نسمة. كثيرة هي الإتفاقات التي عقدت بين العشائر الآشورية والقبائل الكردية. الإختلاف الديني وكما سبق وأن أشرنا لم يكن له أثر ملحوظ على طرفي الإتفاقيات، هذا إن لم نشر إلى أنه كان ذا تأثير إيجابي. لقد تمتعت الأقلية المسيحية الشديدة البأس بفضل عزلتها بنوع خاص من الوجود والكيان ومختلف عن ذاك الذي عاشه المسيحيون الشرقيون الآخرون أو الجماهير أصحاب الكتاب التي كانت تخضع لنظام وضعته الدولة العثمانية عرف بـ " الملت". السلطات العثمانية كانت دومًا تحثّ القوى الإسلامية المركزية على تجاهل وجود هذه الأقلية طالما لا تمثل أي خطر على الدولة أو تسبب لها المشاكل. لكن بعد وصول المبشرين الأجانب استيقظت الروح القومية وخاصة بعد أن لعبت القوى العظمى أدوارها الحاسمة في تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية. كل هذه الأمور كان لها تأثيرًا سلبيًا في حياة الآشوريين سجل على صفحات التاريخ.

الحج إلى مزار مار عوديشو

توقف في مادس / Mâdes

أقام ريد خلال فصل الصيف التالي لوصوله في قوجانس لغرض التعوّد على العادات والأعراف المنتشرة بين جماهير الآشوريين فتزداد بذلك معارفه وتتقوى علاقاته بهذا الشعب وعشائره المتآخية ذات التقاليد الخاصة بها. توالت أيام الإقامة تاركة ذكريات لا تنسى. حضور المرأة في الحياة كان ملحوظا، عززته سورما بنشاطها الدؤوب.

صباح أحد الأيام، جاءت سورما إلى ريد وأخبرته برغبتها في أن يُرافقها مع إبنة عمها مريم، في زيارة مزار مار عوديشو. فقالت له: " جورج، سأكون جدًا سعيدة إذا ما وافقت على مرافقتنا في زيارة

الحج التي سنقوم بها اليوم لمزار مار عوديشو القريب من قرية "بيث عزيزا" . الطريق إلى هناك كثيرة الألتواءات. أمّا المناظر الطبيعية فمدهشة ورائعة. تمرّ الطريق أولا عبر أراضي عشيرة "ديز" بعد ذلك سنصل إلى منطقة رايات التي تعود إلى عشيرة "طال" والمرتبطة بـ "ملّك" عشيرة "تخوما" . كانت سورما قانعة تمامًا من موافقة ريد على اقتراحها، فاعطته بعض الجوز قائلة: "التقليد يُحتّم علينا أخذ بعض الجوز في جيوبنا لأن ذلك سينجينا من الخوف الذي قد ينتابنا ونحن على الطريق" . أنهت سورما كلامها بابتسامة، ونركت ريد مع الجوزات القليلات ذات القشرة البيضاء التي أعطتها له، واتجهت نحو الفناء حيث كان في إنتظارها حرّاسها. آنذاك وصلت الحيوانات التي ستستخدمها القافلة في هذه السفرة وكانت تتكون من الحصن والبغال. بعد تسريج الحيوانات وتحميل الحاجيات من طعام وأغطية. الإستعدادات دائمًا طويلة وتكاد لا تنتهي. بعد مرور حوالي نصف ساعة، كانت القافلة جاهزة للسفر. وكانت تتكون من ستة شبّان أقوياء شاكيّ السلاح، وثلاثة رجال لقيادة البغال، وكاهنين، وريد وسورما وأخيها بولس وابنة عمها مريم. سارت القافلة في طريق موحش، آثاره بالكاد تُرى. كان السير بموازاة مجرى مياه تجمّعت من سيول ينابيع جبلية. عندما كان الرجال الذين يقودون البغال يصرخون على حيواناتهم كان ذلك الصراخ يختلط بصخب مياه الشلالات المتدفقة أو بوقع حوافر الحيوانات على الحجارة والصخور المنزلقة فترجع كل هذه الأصوات مترددة كصدى لوجود الجبال العالية. إعترضت سبيل القافلة خلال السفرة معوّقات كثيرة. لكن ورغم ذلك، إستطاعت القافلة الوصول إلى الهدف بسلام ودونما مكروه يذكر. خلال السفرة مرّت القافلة بوادي "ديز" جزء من مناطق وطن العشائر وحيث عند نهاية حدوده كان هناك حوض نهر الزاب الكبير. فيه كانت تنتشر قرى كبيرة وضيعات يقل عدد سكانها عن (٢٠٠٠) نسمة. الملّك الخاص بهذه القرى كان يُقيم في "مادس" . أبناء هذ القرى أبلغوا بمرور القافلة التي تضمّ أفرادًا من عائلة البطريرك، لذا خرجت جموعهم لاستقبال أفراد القافلة رغم انشغالهم بالتحضير والأعداد للصعود إلى المراعي الصيفية. في مناطق جبال حكاري، اعتاد السكان، خلال فصل الصيف ترك قراهم بضعة أشهر. كانت المدارس قد أغلقت أبوابها. في مواقع الأصطياف كان الناس يعيشون في ملاجئ مبنية بالحجارة والصخور المصفوفة فوق بعضها. من الأعلى تكون مغطاة بأغصان الاشجار والأعشاب. إلى جانب ملاجئ المصطافين كان هناك مهاجع قطعان مواشيهم التي جاءوا بها إلى مراعٍ غناء تقع في جبال يتراوح معدل إرتفاعها ما بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ متر. أحيانًا كانوا يصعدون بمواشيهم إلى مناطق تجاور الثلاجات الخالدة (وهي مناطق يبقى فيها الثلج مكدسًا طوال أيام السنة). الاولاد والنساء كانوا يهتمون بجمع علف الحيوانات بينما كان الرجال يقومون بحماية المواشي وهي ترعى. كان الرجال يحملون السلاح بايديهم دومًا خوفًا من الذئاب الخاطفة والدببة الشرسة أو الأكراد الذين كانوا يحاولون دومًا نهب تلك المواشي.

من حين لآخر كانت النسوة تنزلن إلى قراهن ومعهن بغل يحمل " الماستا " وكرات الجبن المجفف بالشمس. قبل مغادرة أفراد القافلة لمواصلة سفرتها قاموا بمباركة الجماهير المحتشدة للتحية والترحيب، متمنين لتلك الجماهير اصطيافًا موفقًا وحماية المولى القدير وعطفه خاصة أبناء الأبرشية العائدة لمطرانية مار كيوركيس وعائلة المطران الخاص بها. أثناء توقف القافلة في المنطقة، تجمعت جماهير غفيرة حول بولس وسورما اللذين هما من عائلة مار شمعون. غنهم كانوا يقومون أولا بتقبيل الأيادي بكل انفعال باعتبار أنّ الإثنين هما من الوجوه المشرقة في العائلة الكريمة. لحظات هذا اللقاء بالنسبة لتلك الجماهير كانت لحظات إظهار الأفتخار والإعتزاز القومي المطبوع في أعماق القلوب ولوح الذاكرة. عند الملاقاة الشخصية كانت سورما تقول لكل واحد منهم جملة مشجعة متمنية حياة سعيدة ورخية معبقة بالشجاعة والصحة الدائمة والذرية الوفيرة.

إنقطعت أنفاس ريد من مشاهدته ما كان يجري أمام عينيه من التقدير الذي تتمتع به عائلة البطريرك. أما سورما، فقد تحسست المحبة الصادقة والخضوع التام بكل وضوح، وتولد في قلبها ردّ فعل مقابل ومشابه لنسمات الربيع تهب على الزهور اليانعة، لذا كانت أحيانًا تسترسل في حديثها مع مواطنيها حتى بعد ابتعادهم عنها. بعد ذلك وجهت كلامها إلى ريد قائلة: " قد تكون قد اندهشت من رؤيتكَ الجماهير تقبّل يديّ كما تقبل يد أخي بولس. ذلك ليس سوى علامة للإحترام والتقدير والمحبة الخالصة. عندما يكون أخي البطريرك في مشوار ترحاله لإنجاز بعض المهام وصوله يكون دومًا مسبوقًا بوابل من إطلاقات الرصاص تحية لقدومه. بعد ذلك يخرج الإكليروس المكوّن من الكهنة والشمامسة حاملين البخور وضاربين الصنوج، كما قد يخرج المرضى حتى إن كانت حالتهم لا تساعد على الخروج أملا في نيل الشفاء بأدعيته وطلبًا لصلاته وبركته. النسوة غالبًا ما يستلقين على الأرض وعلى امتداد الطريق ليضع البطريرك أقدامه التي يعتبرنها مباركة على ظهورهنّ. هذه قمة تقوى أبناء شعبنا. إننا نرى أن من واجبنا العمل بجد واخلاص لقيادة هذه الجماهير في حياتهم الروحية والدفاع عنهم وحمايتهم من كل إعتداء غاشم.

بعد مغادرة القافلة المكان بوقت قليل وصلت شاطئًا عبوره محفوف بالمخاطر.قرب الضفة كانت تستقر صخرة هائلة الحجم مكوّنة من طبقات مستقرة فوق بعضها البعض وحواليها صخور مشابهة تمتد مع عرض النهر. دليل القافلة لم يوافق على عبور أعضاء القافلة النهر خوضًا على الأقدام رغم أنّ مجرى النهر كان يظهر ضحلا بسبب ما كان يتخلل المياه الجارية من دوّامات شديدة الدوران. إضافة إلى أنه اعتقد أن هناك مخاطر للحيوانات من حصن وبغال كانزلاق الحوافر فتنكسر قوائمها، لذا نصح باستخدام معبر مصنوع من الحبال المحاكة من أغصان أشجارمعروفة في هذه المناطق وخاصة لهذه الأغراض. هذا النوع من المعابر عادة ما يكون خطيرًا جدًا لأنه لا يوفر أيّ نقطة إرتكاز ثابتة وأمينة بسبب التارجح المستمر وفقدان التوازن الدائم. هذا

الصنف من المعابر/الجسور النادرة كانت أقل رهبة وتوفر للحيوانات معبرًا امينًا. شجاعة وخبرة الرجال الجيدة من أمثال دليل القافلة هي دومًا ما تعوّل عليه القوافل. لم يكن ريد واثقًا بصحة كل ما رآه وسمعه. الآشوريون من بين أفراد القافلة لم يكن يُداخلهم التردد، أحدهم كان الطلائعي في العبور. في البداية صرخ "بشما دآلها" [٣٣]. حسب الإعتقاد الشعبي السائد على المرء أن يكون حذرًا من الوقوع تحت قوى الشرّ والشيطان لذا فالتلفظ بهذه العبارة يؤدي إلى طرد الشيطان وزوال تأثيره السيئ. تأكيدًا وفحصًا لقوة تحمل المعبر تبع إثنان آخران من أفراد القافلة الطلائعي، ثمّ كان الدور لحصان غير محملٍ بأحماله التي كان يحملها ثمّ الدور للبغال المحملة، موقف ريد كان موقف المندهش المرتعب لأنه شاهد شجاعة لا يتصورها العقل وبسالة حقيقية تملأ قلوب هؤلاء الرجال ذوي العزيمة والأتزان المطلق في الحركة، وخاصة عندما يقودون حيواناتهم. كان أحدهم يمسك برأس الحيوان وآخر يمسك ذيله بحيث يصبح في استطاعتهما تصحيح الوضعية فورًا إذا ما انزلق الحيوان أو في حالة تعثر حافر الحيوان بعائق ما. إعتمد عبور سورما على مرافقة ريد. عبر الإثنان، سورما وريد، المعبر بامتاره القليلة بكل خفة ورشاقة ودون الإهتمام أو الخوف من الماء الجاري تحت المعبر بصخب وهدير مرعب. بعد الوصول إلى الجهة الثانية تركت سورما يد ريد قائلة وابتسامة هادئة تزين محياها: "جورج، جورج نحن اليوم في فصل الصيف، والمعوّقات في حدّها الأدنى بالنسبة للتجوّل في ربوع جبالنا الشماء. أما في فصل الشتاء، عندما تكون الطرق مغطاة بالثلوج، فعندئذٍ يكون السير على الطرق صعبًا جدًا خاصة بعد انجماد الثلوج المتراكمة فتصبح قاسية وأرضيةً صالحة للتزلج. عندئذٍ نكون بحاجة إلى مهارة وشجاعة حقيقيتين. في حالات كهذه نضطر إلى إنزال الأحمال وسحبها على صفحة الجليد باليد. غالبًا ما يكون عويل الذئاب في الشتاء مرعبًا فتنفر الحيوانات التي نقودها فتتجمح من شدة الخوف. لحسن حظنا، يتوفر لدينا دومًا أحسن الأدلاء وخير الراصدين. هؤلاء خبراء بالمنطقة ويستطيعون أن يعرفوا أين هم حتى إن كانت أعينهم مغمضة. عدا ذلك، هناك عين الخالق الرحيم فترعانا وتدبر أمورنا، فعلينا أن نشكره دائمًا وأبدًا على الخير العميم الذي وفره لنا. "شوخا لآلها، شوخا لآلها" [٣٤].

صدى تكرير أفراد القافلة لهذ العبارة كانت ترجعه الجبال ضخمًا مهيبًا. إنضم ريد إلى مرددي هذه العبارة، تعود على استعمالها بصورة عفوية وباسلوب ميكانيكي كما لو أنّه هو أيضًا كان قد تشبع بهذا النوع من الحياة القاسية وأتقن الصلوات التي تُصليها هذه الجماهير الجبلية الطيبة القلب.

بعد عبور القافلة نهر الزاب وتركه وراءها ومسيرة مرعبة مدة ساعتين كاملتين بمحاذاة أحدى ساعدات / أحد روافد الزاب الكبير، وأحيانًا على المنحدرات الجانبية الوعرة، بانت أخيرًا قرى وادي "طال". على امتداد مجرى أحد السيول، ارتفعت شامخة أشجار الجوز والدردار وما إليها

من أنواع النباتات التي نمت وارتفعت باسقةً. حولها نبتت أنواع كثيرة من الخضراوات عوضًا عن النباتات البرية المنتشرة عادة في هذه المناطق. في المناطق الأبعد كانت تُشاهَد حقول مدرّجة لأن المنطقة جبلية، مزروعة بالذرة أو الدخن أو الشعير.

موقع مساكن القرى كان محاطًا بالكروم وبساتين ورياض غناء. كان عدد بيوت القرية الواحدة يتراوح ما بين ٣٠ و ٤٠ بيتًا مبنية في فسح منبسطة وأحيانًا على سفوح الجبال. كانت متشابهة فيما بينها. قرية "بيث عزيز" لم تكن تختلف عن باقي القرى. بالقرب منها كان يوجد مزار "مار عوديشو". سبق لقرية "بيث عزيز" أن إستقبلت مرة البطريرك مار شمعون روئيل. هذا الحدث التاريخي لا زال المؤمنون يذكرونه.

لما اقتربت القافلة التي من أفرادها إثنان من عائلة البطريرك من القرية، أطلقت طلقات الرصاص من البنادق تحية للقادمين، أما وجوه القرية فكانوا في مقدمة المستقبلين مبتسمين متفاخرين بوصول الضيوف الكرام. فور أن حطت القافلة الرحال تجمّع سكان القرية حول الضيوف مُبدين فرحهم وسعادتهم. بعد ما خيم الظلام أعدت وجبة طعام العشاء. جلس الضيوف على يشكل دائرة وأخذوا يدخنون الغليون ويتناقشون في مواضيع مختلفة. استمرّ الحديث والمناقشات إلى ساعة متأخرة. بعدها كان هناك دعوة لإقامة صلاة الشكر لوصول القافلة بسلام وصحة. سورما وبنت عمها انسحبتا وذهبتا طلبًا للراحة والنوم عند زوجة القس يوسف "قاشا يوسلا"، كاهن القرية.

صلاة وتقوى جماعية

دخل سكان حكاري المسيحية منذ النصف الثاني من القرن الميلادي الرابع على يد الرهبان الذين قدموا من سهول ما بين النهرين. أسماؤهم كانت: ساوا وتوما وإيشو وبيشو وبثيون وعزيزًا وأخيرًا زيا. هناك مواقع وأديرة وقرى كثيرة حملت مبكرًا أسماء هؤلاء الرهبان، لذا فأصل المواقع التي تحمل هذه الأسماء يعود إلى عهود سبقت العصر الأسلامي. عدا ذلك أسست أبرشيات (تنظيم إداري كنسي يرأسه المطران أو الأسقف) عديدة خلال الفترة المحصورة ما بين القرنين الخامس والثامن الميلاديين. نذكر منها: أبرشية داسن وبيث طوري وبيث بغاش. أثناء تلك الفترات بنى المسيحيون كنائس صغيرة ذات جدران سميكة وأبواب ضيقة منخفضة، إتجاهها كان دومًا نحو الشرق. كانت هذه الكنائس غالبًا ما تُستخدم مكانًا يلتجئ إليه المؤمنون المسيحيون عند حصول إعتداء أو إجتياح أو غزو. لذلك، جعل بعض المسيحيين في تلك الحقب التاريخية بناء كنائسهم مُحصنًا. أقدم كنيسة نعثر عليها في جبال حكاري هي كنيسة "مار زيا" الواقعة في المنطقة التي تسكنها عشيرة "جيلو". اسمها يرتبط براهب عاش في هذه المنطقة وتوفي فيها عام ٤٣٢ م. بينما نلاحظ أنّ إسم

كنيسة مار بثيون الواقعة في المنطقة التي تسكنها عشيرة "تخوما" أصله إسم ناسك متوحد توفي عام ٤٤٦ م. أما إسم مزار "مار عوديشو" فهو إسم حمله (٤٢) راهبًا أو ناسكا وعاشوا خلال فترات من الأزمنة في مغارات طبيعية منتشرة في الأطراف المتاخمة. في إحداها عاش ناسك عرف بـ "مار عوديشو"[٣٥] (عبدإيشوع). يوجد في هذه المغارة نافورة عجائبية ينبثق منها الماء يوم ذكرى عيد هذا الناسك. كنيسة المزار تتكوّن من ثلاثة فضاءات (أقسام) متوازية تتصدرها فسحة تجمع بين الفضاءات الثلاثة وتوحدها. القسم الواقع على الجهة اليسرى استعمل كبيت العماذ. يتمتع مزار مار عوديشو باهتمام النساء العاقرات والمرضى المصابين بأمراض عقلية بأعتبار أنه تقليديًا يتشفع لمن تطلب إليه ذرية أو لمن هو بحاجة إلى الحماية من القوات الشريرة. هذا التقليد عرف منذ زمان بعيد وانتشر بين السكان لا فقط المسيحيين. يتمتع هذا المزار باحترام جميع السكان مسيحيين كانوا أو من أديان أخرى كالأكراد والفرس الذين يأتون هم أيضًا في حجٍ للعبادة قاصدين المزار يوم عيده.

إحترام وتقديس المزارات من قبل جماهير كثيرة مختلفة في العقيدة الدينية أمر وارد ومقبول في الشرق. تحصل المعجزات للجميع قد جاء ذكرها كأسطورة قصّها اسماعيل أغا الكردي. هذا الأغا شخصية معروفة لدى الكثير من الآشوريين، تقول الأسطورة: "سبق أن حصل لأحد أبناء عشيرة هذا الأغا مشاكل عقلية، فكانت تنتابه فترات جنون حقيقية. إزدادت حالته المرضية سوءً ولم يبق له من مجال للشفاء. سمع الأغا عن عجائب تتحقق بشفاعة "مار عوديشو"، فعزم على شدّ المريض بالحبال وتعليقه على جداركنيسة المزار من الداخل مدة ليلة كاملة وفقًا لما قيل له، ثمّ وضع في رقبة المريض طوق سلسلة حديدية مثبتة في جدار الكنيسة. ترك المريض على هذه الحالة وكشبه سجين ليلة كاملة. صباح اليوم التالي وُجد المريض بحالة صحية جيدة فعاد إلى بيته معافا بعد أن تركته الأرواح الشريرة.

بدأ التطواف التقليدي عند مرتفع ملتوي وجهته المغارة. كان الجو معبقًا برائحة زهور البنفسج التي كانت تزين السفح بكثافة. رائحة البخور العبقة امتزجت بالحماس الشعبي وبلغت الذروة عند الأقتراب من مبنى المزار. قامت سورما بتنظيم هذه السفرة، سفرة الحج إلى هذا المزار من أجل إبنة عمها مريم التي تزوجت منذ سنوات عديدة، لكنها لم تُنجب أي طفل. أثناء التطواف كانت سورما ترتل المزامير والصلوات الخاصة بالمناسبة التي تُجلّ "مار عوديشو". إيمان المؤمنين كان مصدرًا للتشجيع وبعث الآمال في القلوب. صعود المرتفع بالنسبة لمريم كان المرة الثالثة. قبل وصول التطواف إلى المزار أسرعت مريم في خطاها مهرولة نحو الكنيسة حيث ترتفع صخرة ضخمة مثبتة في الجدار منقورة ترمز إلى مرفق القديس. تقليديًا كانت النسوة اللوات لم تنجبن أطفالا منذ (١٥) عامًا فأكثر، كنّ يأتين ويقفن أمام هذه الصخرة، ثمّ ينحنين أمامها بتوسل وباستعطاف ثلاث مرات دلالة وتوثيقًا لإيمانهنّ. ووفقًا للتقاليد قامت مريم بالركوع وأخذت تمشي على الركبتين لتقطع الأمتار الباقية من

المسافة، من شدة الثقة التي كانت تملأ قلبها، قطعت المسافة بقوة وتصميم لا ينال منها أي عائق، ورغم الحجارة الصغيرة التي كانت تُغطي الطريق وكأنها سكاكين حادة تغوص في ساقيها وركبتيها والرياح الشديدة التي كانت تهبّ فتزعزع الكائنات. عند الوصول إلى الصخرة لمستها وقبلتها بتقوى وورع. تضرعات النساء وتنهداتهن كانت تتصاعد من هنا وهناك وبالتبادل مع أناشيد ترنم. حينئذ بلغت المشاركة الجماهيرية أوج عظمتها واللوحة أزهى جمالها. أحاطت النسوة المتضرعات وطالبات الشفاعة بمريم تأثرًا بحالتها فهطلت الدموع مدرارًا محبة بها وشفقة عليها.

جماهير المؤمنين المحتفلين بزيارة الحج هذه كانت تهتف منشدة قبل دخولها الكنيسة لحضور القداس: "إنّ الله رحوم وعطوف، لنرفع لعزته التمجيد والتوقير والإحترام والتقدير لقديسيه ومنهم شفيعنا مار عوديشو الذي يستحق كلّ الإجلال".

نزول المرتفع تمّ هو الآخر بكل حماس وتعاون أخوي. هكذا إختتم الإحتفال بعيد مار عوديشو الذي كان يوم صلاة وعبادة وتحت أنظار ريد المشبعة بالذهول والإندهاش. بقاء ديرا د مار عوديشو [٣٦]. حتى يومنا هذا هو دليل واضح وبرهان ساطع لحضور المسيحية في ربوع حكاري. كان يتبع كنيسة المشرق، خلال الفترة بين القرنين الميلاديين الخامس عشر والسابع عشر نوعان من المقاطعات. النوع الأول كان يُسمى "المقاطعات الداخلية"، والنوع الثاني "المقاطعات الخارجية". النوع الأول كان يضم "مقاطعة حدباب" رغم أنّ الواقع الجغرافي لها يعني المنطقة المحصورة بين الزابين، الكبير والصغير وضمن حدود كردستان. كانت هذه المقاطعة تضمّ أبرشيات عديدة تقع شمالي نهر الزاب الكبير. المقاطعات الداخلية الأخرى كانت: عيلام (جنوب غربي إيران) ونصيبين التي كانت من المراكز المهمة لتعليم وتعميق العقيدة النسطورية. (نصيبين اليوم هي ضمن الأراضي التركية). وميشان (في جنوب العراق قرب/محاددة للبصرة –اليوم موقع مدينة العمارة) وبيث كرماي (في سوريا وحوالي الموصل). أما المقاطعات الخارجية فكان عددها في القرن الميلادي الخامس ثمانية مقاطعات تشمل بلاد فارس وتركستان والصين. خلال القرون العشرة المشار إليها أي من القرن الخامس وحتى القرن الرابع عشر كانت كنيسة المشرق تضم أكثر من مائة أبرشية منظمة ضمن عشرين مقاطعة مطرابوليطية. عدد المؤمنين الذين كانوا تحت سلطة هذه الإدارة الواسعة كان يتجاوز الستين مليونًا من المؤمنين، لذا كانت هذه الكنيسة من أهم الكنائس الموجودة آنئذٍ [٣٧]. بعد القرن الرابع عشر حلّ بكنيسة المشرق انحطاط هائل، على أثر إجتياح الأعداء الخارجيين للبلدان كالمغول والعثمانيين من بعدهم. بالأضافة إلى ذلك حصلت نكبات ومصائب طبيعية وإقتتال بين الإخوة نتيجة وصول البعثات التبشيرية الغربية. في اليوم الثامن والعشرين من نيسان عام ١٥٥٣ صدرت براءة بابوية مؤسسة على الإيمان أنّ "رحمة الله متوفرة دومًا" وتمكن تأسيس كنيسة جديدة تحمل إسم الكنيسة الكلدانية المتحدة مع روما (الكنيسة الكاثوليكية) بذلك تحقق إنشقاق خطير

في كنيسة المشرق، فأصبحت الكنيسة الواحدة كنيستين، وزرعت حبة التقسيم والتهشيم والتقوقع. بعد هذا الانشقاق المؤلم، بقيت مناطق جبال حكاري ومؤمنيها من المسيحيين صامدة وخاضعة للسلسلة المعتمدة النظام الوراثي في إعتلاء الكرسي البطرركي والمحصور بعائلة مار شمعون. خلال القرن التاسع عشر لم يكن قد بقي لهذه الكنيسة القديمة ذات التاريخ المجيد سوى ١٤ أبرشية يتبعها (١١٠٠٠٠) عائلة من المؤمنين. أما عدد المؤمنين التابعين للكنيسة الكلدانية فعددهم لم يكن يتجاوز (١٠٠٠٠٠) مؤمن. أخيرًا إضطرّ بطريرك كنيسة المشرق من السلسلة الوراثية مع جماعة من المؤمنين التابعين له اللجوء إلى جبال حكاري الحصينة المنعزلة عن العالم. بسببِ الضغوط المسلطة على كنيسته واتباعها، تمامًا كما حصل للأجداد القدماء لهذه الجماهير. خلال القرن العشرين، التباعد القائم بين جناحي الكنيسة الأصلية أخذ يتقلصّ وباتجاه تنازلي.

حديث هادئ تحت أنوار القمر الفضية

بينما كان القمر يُرسل أشعته الفضية فينير قرية "بيث عزيزا" وهو في ربعه الأخير، مساء يوم إحتفال الحج خرج ريد إلى الحقول القريبة طالبًا الهدوء والسكينة بعد الصخب الذي عاشه نهارًا. توجه في سيره نحو النهر بصورة عفوية وتلقائية. قبل وصوله شاطئ النهر إلتقى سورما وهي تمشي الهويدا عند أطراف القرية. رآها وأصابع يدها تداعب حبات مسبحتها. كانت المرة الأولى التي يلتقي فيها الإثنان (ريد وسورما) في خلوة كهذه. إضطرب ريد من هذا اللقاء، فقال بانفعال ظاهر: "إنني أعتذر إليكِ للإزعاج الذي قد أكون قد سببته لكِ. إنني بكل تأكيد، لم يكن في نيتي أن أشوّش عليكِ خلوتكِ وصلاتكِ".

أجابت سورما دون تأثر: "لا عليكَ، إنني كنتُ أتهيأ للعودة. إنني لا أخفي عليكَ أنني مشغوفة جدًا بالأوقات التي أكون فيها وحدي متأملة. هذه الأوقات تذكرني دومًا بأقوال ناسكنا العزيز إبن قوجانس البار والتي كان يُرددها على مسامعنا وأنا صغيرة. إنه لم يكن يكفّ عن توصيتي قائلا: "إبنتي العزيزة سورما، لا تنسي أبدًا ما سأقوله لكِ: "عندما ستواجهكِ مشاكل أو صعوبات، أو كنتِ تتهيأين لأتخاذ قرارت خطيرة، يجب أولا الأنفراد والتأمل والتفكير العميق. هذا التأمل يُحرر الروح ويملؤها بالمحبة الألهية. عندئذ ستحضركِ الحلول الصحيحة الواجب العمل بموجبها." منذ ذلك الحين أخذتُ أطبق هذه التعاليم والتوصيات. تأملاتي تكون عادة مساءً خلالها أتمتع بالراحة الحقيقية والهدوء النفسي. المسبحة التي تراها الآن بين أصابع يدي هي من عمل أيدي ذلك الحكيم العظيم. لذا إنها أثمن ما أملك في هذه الحياة".

بعد هذ المحادثة القصيرة خيم الصمت المطبق على الإثنين أنهته سورما بإدارة رأسها بهدوء نحو ريد مركزة نظرات عينيها السوداويتين إلى أعماقه وهي تسأل:

" يظهر أنكَ أنتَ أيضًا من المعجبين بجبالنا " ؟

عندئذٍ أخذ ريد يُشاركُ في الحديث، بعد أن جاءته الشجاعة اللازمة في موقف كهذا فقال: " نعم، أنا من المعجبين بهذه الجبال وولع بالنظر إليها، خاصة عند مراقبتي السماء المرصعة بالنجوم المتلألئة. في إنكلترا لا تتوفر لنا مشاهد كهذه. منذ أن وطأت قدماي أرضكم هذه، أرفع يوميًا أنظاري إلى سمائكم الصافية وفضائها المترامي الأطراف وكطفل صغير يملؤني العجب من السعة التي لا يدركها العقل وأبقى منذهلا دون وعي " .

هنا أخذت الحديث سورما فقالت: " هل طرق سمعكَ أنّ كان الآشوريين –البابليين من أشهر المنجمين المعروفين على مدى التاريخ. إنهم كانوا يستغرقون في تأمل السماء وحركة نجومها، ثمّ يُحاولون إعطاء معاني لتلك الحركات، مبنية على أقوال نبوية واستنتاجات لمراقبة مستمرة. كان أولئك الأجداد يرتقون درجات الزقورات حتى يصلون القمة. هناك يبدأون مراقبة الكواكب السيارة والنجوم والشهب والنيازك والمذنبات وكسوف الشمس. هناك الكثير من الألواح الطينية والرقم مكتوب عليها بالخط المسماري أكتشفها المنقبون تثبت ما أقول. عليها نقرأ ما كتبه البابليون من تفاصيل عن السنة القمرية وحساباتها. كما قد نجد عليها ما سجلوه من أرقام كثيرة أعطوها للنجوم. كل هذه المعلومات هي مصنفات لقراءة الطالع (الفأل). خرائط السماء كانت معروفة ومألوفة لدى البابليين [٣٨].

تُذكرني الليالي الصافية بينما تكون السماء مرصعة بالنجوم والكواكب المتلألئة بالإنجيل متى الذي كتب عن المجوس القادمين من الشرق فيقول: " وكان النجم الذي رأوه عند ظهوره يتقدمهم، حتى إن وصلوا المكان الذي كان فيه الصبي فوقف عنده " [٣٩].

عند هذا الحدّ وقف الإثنان ينظران السماء المترامية الأطراف، مندهشين ويحاولان إكتشاف النجوم الأكثر إشراقًا الدالة والمؤكدة للسعادة لا فقط للأفراد، بل أيضًا للجماعات. كأنهما مجوسيان، أحدهما يراقب السماء والآخر يحمل صنجا ويشير إلى مجيء/ ظهور شخصية ستكون شهيرة جدًا في العالم. في أعلى الذقن، قرب سمت الرأس شاهدا مجموعة النجوم التي تعرف " بالدب الأكبر " و " الأصغر " برّاقة ساطعة ببهاء خلّاب. أشرت سورما إلى مجموعة أخرى تعرف بـ " الصليب الجنوبي " والمستقرة ضمن المجرّة في وسط هذه المجرة المشرقة واللامعة جدًا شاهدت بقعة سوداء تسمى " كيس الفحم " . أشارت سورما إلى أحد النجوم اللامعة المشرقة بشكل جذّاب وهتفت فرحة: " هذا هو نجم طالعنا لهذا المساء. بعد إشارتنا إلى الصبح والوليد الجديد اللذين ذكرنا، علينا الإنتباه إلى ريد الذي قال: " آمل إن هذا النجم نفسه سينير دروب محبتنا التي قويت روابطها في هذه القرية، قرية " عزيزا " هذا المساء من العام ١٩٠٨ .

كلمات ريد، الشاب الإنكليزي الأخيرة جعلت سورما تستغرق في حلم جميل. ريد في هذه المنطقة

لم يكن في مقدوره الدفاع عن نفسه ولا حتى توفير الغذاء اللازم له. إنه لا ينتمي إلى صف الإكليروس كما هي الحالة مع الأب المحترم ويكرام ذي الدعوة المحددة التي تلزمه القيام بالتجوّل في أرجاء حكاري وبذل الجهود للعثور على المسيحيين الساكنين فيها. لم يترك ويكرام بلاده ويأتي إلى هنا فقط لإشباع هواية الإستكشاف بل أيضًا حبًا بالشرق. إنه أتى للمشاركة في جهود المرسلين الأنكليكان، كان عضوًا في بعثة قادمة من مسافات بعيدة. كل هذا عمله ويكرام بدافع تذوّقه اللغات الشرقية وبحثًا عن السعادة عبر الأنخراط في سلك الكهنوت. أبحر ويكرام من مرسيليا بإتجاه القسطنطينية، منها غادر إلى باتومي / باطومي حيث حطّا الرحال بعد سفرة بحرية، وبدأ السفر برًا إلى " تفليس " .من هناك عبر الحدود الفارسية عن طريق " جولفا " ثمّ " خوي " . بعد ثلاثة أسابيع من السير على الأقدام وصل الهدف النهائي " أورميا " الواقعة قرب بحيرة بهذا الاسم. منذ لحظة وصوله إلى اليوم الذي نتحدث فيه، بقي ويكرام يُشارك المسيحيين أبناء هذه الجبال حياتهم اليومية بأفراحها وأتراحها ويُقاسمهم المنغصات نظرًا لأن المحيط الذي يعيشون فيه مشبع بروح الإجرام والأعتداء على الآخرين.

في ضيافة الخانم الكردية شيريني

عندما أشرق فجر اليوم التالي، إجتمع أبناء القرية وعلى رأسهم ملك القرية، وهو يضع ريشة طاووس على جانب من قبعته المصنوعة من اللباد، شاكا خنجرًا كبيرًا بين طيات حزامه. سار الملك مع ضيوفه بضعة أمتار قبل أن يتوقف ويطلب من سورما أن تبلغ غبطة البطريرك تحيات أهل القرية وخضوعهم التام لشخصه الكريم.إختتم الملك رسالته باطلاقات من بندقيته، ثمّ أضاف موجها الكلام إلى سورما قائلا:

" سيدتي سورما خانم، سيدة البيت المقدّس، سليلة العائلة الكريمة، أرجو تقديم تقديري وإخلاصي وحبي لأخيكِ بطريركنا الموقر مع قبلاتنا لأيأديه المباركة " .

أجابت سورما: " سأفعل ذلك بكل تأكيد وسرور، سائلة المولى القدير أن يحفظ قراكم وينجيكم من كل مكروه.

هكذا إنتهت مراسيم الوداع، وأخذت القافلة الصغيرة طريقًا متعرجة تغور في جبال رهيبة. كان إتجاهها نحو الشمال. كانت الطريق وعرة وأحيانًا شبه عاصية لما يُحيطها من أخطار. كانت المسالك ضيقة تشرف على هوّات عميقة مرعبة أو مضايق تجري المياه من خلالها مزبدة صاخبة. هكذا كانت الطريق حتى قرية " خنانيش " المقسمة إلى قسمين مستقلين. كانت البيوت مبنية في بطن الوادي النازل نحو جولاميرك. كان في " خنانيش السفلى " كنيسة مبنية على إسم مار كيوركيس د بيث كال. يعود تاريخ بنائها إلى القرن الميلادي السادس. كان الملك الآشوري فيها يدعى نمرود وهو

من أبناء عمومة عائلة البطريرك. خنانيش العليا إستأثر بها أحد الأكراد وضبطها. إنتهزت القافلة فرصة مرورها بقرية خنانيش فحطت الرحال فيها للسلام على إبن العم الملك نمرود وأيضًا للسلام على إحدى الصديقات الكرديات. عند الأقتراب من قرية خنانيش العليا شاهدت القافلة ثلاثة من الفرسان الخشني المنظر الأقوياء بانتظارها. هيأتهم لم تكن تختلف كثيرًا عن تلك التي للآشوريين. ملابسهم كانت تتكون من بنطلون فضفاض غير مهندم طويل أكثر من المطلوب. كانوا يضعون على رؤوسهم قبعات مدببة من اللباد الأبيض. قمصانهم قطنية لبسوا فوقها جاكيتات صغيرة وقصيرة مثبتة بأحزمة عريضة من القماش. رافق الفرسان الثلاثة القافلة المكوّنة من سورما وريد ومريم كرجال حماية حتى أوصلوها إلى مسكن شيرين خانم. تعرّفت سورما على شيرين خانم منذ نعومة أظفارها، لذا تكنّ لها كل الإحترام والتقدير. الزينة والملابس عند هذه الخانم كانت من الأمور المهمة وكما هي الحالة عند الآشوريات. كانت ملابسها تتكون من الكشمير والحرير المطرز. كانت شيرين أخت الكردي الذي ضبط القرية وأراضيها فاستحوذ عليها غصبًا. كان الثوب الذي ترتديه غنيّ بالتطريز ومزينًا بأحجار ملوّنة مقببة حول العنق والخصر إشارة إلى علو طبقتها الأجتماعية. عملت العائلة البطريركية دومًا على الحفاظ على روابط جيرة جيدة مع هؤلاء القادمين الجدد (رغم كونهم معتدين --المترجم) كان الآشوريون يُعوّلون على جهود سورما في ذلك. بعد تبادل عبارات التحية الإعتيادية المحلية وشرب الشاي التقليدي، رافقت شيرين خانم إبنة الخمسين عامًا وأم ثمانية من الأولاد، خمسة منهم من الذكور وجدة لسبعة من الأحفاد، إلى رابية مشرفة على الموقع بجلال وهيبة. هناك جلست الخانم وجلس معها باقي الضيوف قرب جذع شجرة وأخذت تقصّ الحكاية التالية [٤٠].

"كان لهذه المنطقة في قديم الزمان ملك، كان السكان من جماعة "صنم فارس" أي من الفرس عبدة النار (مازدويين). حينذاك، كان أحد رسل إيشو (يسوع) يتجوّل بين هذه الجبال/ جبال حكاري ويكرز بين سكان القرى. إنتهى به المطاف يومًا بقرية خنانيش. فوجد كل أبواب بيوت القرية مقفلة. فاضطرّ إلى الإتجاه نحو بيت الملك. دقّ على الباب. ففتحت إمرأة عجوز الباب. فسأل الرجل المرأة عن سبب كون الابواب كلها مقفلة. فأجابت: "لأن كل أهل القرية ذهبوا لتأدية مراسيم العبادة في ذلك الموقع، وأشارت بيدها إلى هذه الرابية التي نحن فيها وبالضبط إلى هذه الشجرة التي بقربنا. حاول السائل النظر إلى داخل البيت ليرى ما فيه فرأى شابة حسناء شبه عارية عليها بعض الأسمال قابعة في إحدى الزوايا. فسأل عنها. فجاء الجواب إنها إبنة الملك ويعتبرونها مجنونة. إقترب الرسول من الشابة ووضع يديه على رأسها فشفاها من مرضها على الفور وعادت إلى الوضع الطبيعي كما لو لم تكن مصابة بأيّ مرض. نهضت الشابة ولبست الملابس وأشعلت النار لتعدّ بعض الطعام للرسول. لما رأى الملك من بعيد الدخان يتصاعد من البيت أسرع مهرولا نحو البيت. عند

وصوله سأل عن من أشعل النار؟ فأجابت العجوز: "إبنتكَ هي التي اوقدت النار، ثمّ أضافت إنها قد شُفيت من جنونها (مرضها وهي تعدّ الطعام للمحسن الغريب الذي شفاها". إمتلأ قلب الملك بالفرح والسرور وأخذه العجب. على أثر حدوث هذه المعجزة غير المتوقعة تحوّل سكان هذه المناطق إلى الديانة التي أخذ رسول إيشو يعلمها".

قصت شيرين هذه القصة بانفعال لتوصل ما تعنيه إلى قلوب السامعين. أكدت هذه القصة للسيد ريد مرة أخرى تعلق هذه المجتمعات الجبلية الوثيق بالتراث التاريخي وجعلته شاهد عيان إثباتًا لهذه الحقيقة. كما ساعدته على أن يستنتج أن لا ضرورة للشك في الكثير من الأمور الغريبة التي قد يسمعها بعد اليوم. من القصة التي سمعها من سيدة مسلمة تأكد لديه أنّ جذور المسيحية رسخت في قلوب المسيحيين الساكنين في هذه البلاد منذ الزمان القديم، وقبل دخول الإسلام إليها، وقبل أن يصل المبشرون من رومان (كاثوليك) وأنكليان للتبشير. التعريف بالمسيح وتعاليمه.

قضى السيد ريد فصل الصيف بطوله بين جماهير الآشوريين وبالقرب من سورما خاصة. نتيجة لهذا التعامل اليومي قامت صداقة متينة بين الإثنين. رغبة في معرفة شخصية هذه المرأة بصورة أدقّ، سأل ريد براون عن ذلك مرة، فكانت الإجابة: "إنّ سورما حسب منظور الشعب الآشوري وتقليده إمرأة منذورة "نذرتا" [٤١]، وهذا يُقابل الراهبة إلى حدّ ما. لذا إنها تخضع لقواعد ونظم إجبارية. إنه من الطبيعي أن نراها تصادف خلال مراحل حياتها عروضًا عديدة للزواج، قدمت لها عبر العائلة. الزواج هنا وكما هي الحالة عندنا هو عبارة عن إتفاقات بين العوائل تتحقق بموافقة الطرفين (الشاب والشابة المعنيين بالأمر). لذا نستطيع أن نقول أنه ليس المهم في إجراءات الزواج موافقة الشاب والشابة أولا بل الأهل أولا لأن الأمر والقرار لهم أولا وأخيرًا... إنّ أهم عرض للزواج قدم لسورما عبر العائلة (البطريركية) كان العرض الذي قدمه مار كبرييل مطرابوليط أرديشاي عام ١٨٩١. تقدم هذه المطرابوليط طالبًا يد سورما لابن أخيه. كان عمر سورما آنئذٍ ثماني سنوات فقط... رفض البطريرك مار شمعون روئيل، عم سورما الطلب فور تقديمه رفضًا قاطعًا. أنا شخصيًا (رابي براون) كثيرًا ما سألتُ نفسي عن ما سيكون مستقبل هذه الإنسانة في أحضان مجتمعها. التعليم والثقافة التي حاولتُ أن أعطيها لها تؤكد لي وبقناعة تامة أن أيّ زواج من هذا النوع مستحيل. إني أقصد بذلك زواج سورما بأحد الجبليين من جماهير الآشوريين. إختصارًا أقول معلنا: "أنا شخصيًا اقترحتُ امكانية زواجها من أحد الأنكليكان، لكن رئيس أساقفتنا وبكل حق وحكمة، عارض الفكرة المقترحة ورفضها تمامًا". عندما بلغت سورما الخامسة والعشرين من عمرها، تمّ التخلي عن موضوع زواجها نهائيًا. سورما إنسانة ذات شخصية تفرض نفسها على الجميع وتصلح لتحمل المسؤولية وباستحقاق. إنها امرأة تحب شعبها بإخلاص. لها قابلية ومهيأة لسماع ما يقوله الشعب باهتمام واصغاء تام وتريد أن تخدمه بكل شجاعة وإقدام. وتضحية".

ثمّ واصل رابي براون قائلا بخبث: "إنّي قد حضرتُ حالات زواج غريبة وأحيانًا تبعث على الضحك. عندما يحين وقت البحث عن شابة للزواج. يلبس الشاب المعني أجمل الثياب الجديدة ويقوم بالتجوال بين القرى المسيحية. هكذا شاب يسمى "برات راضا ئيا " Brat radaïa المعنى الحرفي لهذه العبارة: أنّ ذلك الشاب هو شخص يبحث عن فتاة ليتزوجها. عدد من لقاءات كهذه تحصل قرب ينبوع ماء أو بئر أو الكنيسة. قد يحصل أن يتم هكذا إختيار عبرة نظرة خاطفة إلى فتاة ما بعدها يتبادل الإثنان النظرات الفاحصة والفتاة لا زالت واقفة قرب البئر، الفتيات عادة خبيرات في الخداع والنصب على الشباب فتتظاهرن بالأنشغال بسحب الماء من البئر. بعد لحظات يركز الشاب نظراته المتلهفة على من تكون قد جلبت إهتمامه وهي حاملة جرّتها المملوءة ماءً لتعود إلى بيتها... على أثر هكذا إختيار، يقوم أهل الفتى بإبلاغ أهل الفتاة برغبة إبنهم في الزواج بإبنتهم. بعد محاولات قد تطول بعض الوقت يتفق الطرفان وتبدأ إجراءات الخطوبة. نادرًا ما تنتهي هذه الإجراءات بسلام ودون قيل وقال بسبب الصعوبات الكثيرة التي تعترض سبيل الوصول إلى إتفاق نهائي إيجابي بعد انجاز شروط الطرفين التعجيزية.

ختم رابي براون كلامه بقهقهة عريضة قائلا: "بعد تسوية كل الخلافات والتوصل إلى الأتفاق النهائي يباشر الطرفان إعداد ما يلزم لمراسيم العرس التقليدية، الذي قد تطول إيأمه سبعة أيام".

حديث رابي براون أعجب السيد ريد خاصة التفاصيل الدقيقة، فقهقه هو أيضًا. بعد فترة، إنتهت إقامة ريد في قوجانس، فتركها ليلتحق بـ "ويكرام" المقيم في العمادية، لكن الأيام التي قضاها ريد في قوجانس المنطقة الآشورية من حبال حكاري المتمتعة بنظام شبه مستقل وكامل السيادة، كان لها تأثير بالغ في نفسه. إنّ حياة هؤلاء الجبليين المطبوعة بالخشونة والبسالة كانت تسير بنمط متغير وفقًا للفصول والمناسبات التقليدية أو الأحداث أو النزاعات التي غالبًا ما تقع مع الجيران. روحيًا كانوا يظهرون إنهم جماعة من البشر تعيش بسعادة وقناعة تامة. اصول الدين المتجذّرة في القلوب كانت تزوّدهم بالشجاعة اللازمة لمواصلة مشوار الحياة حسب التقاليد العشائرية المتبعة من قبل المجتمع، والتي كانت عصب الحياة والرابط القوي للعلاقات الإجتماعية. لقد جسد الآشوريين بنظام حياتهم ذاك روح التمرّد المختوم بختم الحرية.

أحداث محزنة في أدنه

عندما قاربت فترة الأصطياف نهايتها، أخذ الجو الحار يتجه نحو البرودة وعلامات إقتراب فصل الشتاء صارت تقترب كهطول الأمطار وهبوب الرياح غدت مخيّمة على مناطق الجبال الشاهقة.ظهرت في الأفق بوادر سرعان ما أصبحت وقائع تهزّ المشاعر وتبعث القلق والخوف في النفوس. في صباح أحد أيام شهر أيلول من عام ١٩٠٩ حصل لأحد التجار حادث عكر صفاء جو

الحياة اليومية لهؤلاء الجبليين. كان هذا التاجر المدعو "كوستا" وهو من أصل يوناني يسكن مدينة الموصل منذ سنوات عديدة. كان يقصد منطقة جبال حكاري سنويًا عند نهاية فصل الصيف في جولة لشراء أخشاب الجوز الشهير المستعمل في صناعة البيانو (آلة موسيقية كثيرة الإستعمال في أوربا حينذاك) أو الآثاث الفخمة. كان كوستا في الأغلب يتجوّل في وديان المنطقة. لما كان يصل قوجانس كان يشتري العفص الذي كان القرويون الجبليون يجمعونه. العفص حاصل زراعي مهم في أعمال الدباغة، وهو المادة الأهم فيها لأكمال عملية الدبغ، كما تُستخرج من العفص مادة يُصنع منها الحبر المستعمل في الكتابة وخاصة كتابة المخطوطات التي كان يشتهر بها الشرق المسيحي. جمع حاصل العفص كان عادة خلال شهر أيلول، ويكون ذلك باستعمال عصا تنتهي برأس على شكل كلاّب.

مساء احد أيام إقامة كوستا في قوجانس وبعد يوم وفير الحاصل جمعه القرويون، زار كوستا مجلس البطريرك. منظره الجديّ المكفهر أقلق سورما التي عرفته دومًا مرحًا مغازلاً وله باع طويل في هذا المضمار، جعبته مملوءة دوما بقصص مغامراته أثناء جولاته أو مغامرات آخرين فيقصها على الحاضرين.

بعد استقرار كوستا في المجلس، أعطيت له فرصة الحديث فقال: "إنَي لا أكتمكم سرًا، وإن كنتُ لا أريد أن أبعث في نفوسكم القلق، أود أن اخبركم أنّ إبن عمي المدعو ديميتريوس أخبرني أنه في هذا الصيف وعندما كان في زيارة لأدنة، وقعت أحداث مهولة هناك. كان ذلك بالضبط خلال شهر نيسان المنصرم. كما تعلمون، وبناء على الوعود التي قطعتها الحكومة العثمانية الجديدة التي وصلت كرسي الحكم مؤخرا بقيادة شبان أتراك قامت بإجراء تعديلات دستورية. بموجب تلك التعديلات يتساوى فيها المواطنون أمام القانون وللجميع نفس الحقوق والواجبات في كافة أرجاء الإمبراطورية. غير أنه في (أدنه) المركز التجاري المهم في منطقة البحر الأبيض المتوسط التابعة لمقاطعة كيليكيا الواقعة في الجنوب الغربي من البلاد وقعت أحداث شنيعة. تحدث عن هذه الأحداث النائب البطريركي الكلداني نفسه وأبلغها إلى إبن عمي ديميتريوس. لابن عمي ثقة تامة بهذه الشخصية الدينية الكبيرة بسبب ما تملكه من حكمة ورأي سديد. فقد هذا الكاهن الورع في ليلة واحدة معظم شعر رأسه وما بقي منه إبيضّ من هول الفاجعة. كان النائب البطريركي شابًا وسيمًا قوي البنية لا يزيد عمره على الثلاثين عامًا عند وقوع الحادث. كان لا يزال تحت تأثير المصيبة عندما سرد تفاصيلها لابن عمي، إنه تحدث بصراحة فقال: "لقد تمّت إبادة حوالي (٥٠٠) شخص في مذبحة جماعية. كانوا من جماعة المؤمنين الذين أخدمهم وأرعاهم في أدنه [٤٢]. في بداية الأمر لم يُصدّق إبن عمي أقوال هذا الكاهن الورع لكن الأخير توثيقيا لأقواله أخذ ديميتريوس إلى عند بعض المؤمنين الباقين على قيد الحياة والذين لا يتجاوز عددهم (٣٥٠) مؤمنا ليرى بأم عينه ويسمع بأذنيه تفاصيل الكارثة. شاهد ابن عمي جماعة من الناس المكتوين بلظى الإعتداء الغاشم. أغلبهم

كانوا من النساء اللواتي كنّ يذرفن الدموع الساخنة بحرقة على أزواجهنّ او اخوانهنّ أو أبدانهن من الشبان اليافعين أو آباء مجدّين يعملون باخلاص ومحبة للحفاظ على العائلة ولمّ شملها. المؤلم في هذه المأساة هو تصرف الحكومة غير المبالي حيث أنها لم تُحرك ساكنا، هذا إذا ما لم نضف قائلين "إنها قد أغمضت العيون وكأنها لا ترى شيئا". تصرّف الحكومة العثمانية هذا لم يكن يعني إلا مستقبلا مظلما ومهددًا بأخطار جسام ستتحقق لكل المسيحيين ودون أيّ تمييز.

ختاما وبغية بعث بعض من الأمل والتفاؤل قال كوسنا: "إننا نشكر الله أنكم أنتم هنا في حمى جبالكم الشامخة، ولكم من يُدافع عنكم وأقصد بذلك مقاتليكم الشجعان الساهرين عليكم بعيون يقظة. إخوانكم المسيحيون في السهول لا تتوفر لهم فرص الدفاع عن أنفسهم لنطلب إلى الأله القدير أن ينظرهم بعين رحمته الوفيرة وأن يحفظنا ويخلصنا جميعا من كل مكروه".

عندما انتهى كوسنا من كلامه لم يكن هناك من تعليق من قبل الحاضرين الذين غأصوا في ذكريات الماضي التي سجلتها صفحات سوداء تحكي أحداث النكبات الكثيرة التي نزلت ولا زالت تنزل بهم. بعد ذلك رسم الجميع علامة الصليب على جباههم بكل خشوع وإيمان وحزن.

لم تكن الدسائس والمنازعات في تلك المناطق، آنذاك، امورًا نادرة أو غير اعتيادية ذلك بسبب التأخر الحضاري. كان القتال يندلع لأتفه الأسباب، غالبًا ما كان يُصبح عنيفا وغير متكافئ، ينتهي باحراق المنطقة بأكملها. خلال الفترة بين العامين ١٨٤٣ - ١٨٤٧ حصل قتال عنيف بين الأكراد والمسيحيين تخللته مجازر بشرية فظيعة، كان القائد من الجانب الكردي الأمير بدرخان. تميز هذا الكردي بالوحشية والفظاظة. كان يختلق الأسباب الوهمية للأيقاع بالآشوريين. رجال الدين المسلمون المتزمتون، كان لهم اليد الطولى في شحن همم المجرمين للتمادي في إجرامهم. إلى جانب بدرخان المجرم الكبير كان هناك مجرم آخر نافس بدرخان، ذلك هو شيخ العشائر الكردية المدعو "نور الله". لم يكن نور الله أقلّ ظلما وكرها للمسيحيين. إتفق المجرمان على تخريب النظام العشائري المسيحي، فتحالفا وباشرا بالأعتداء على المسيحيين. كانت الفتيلة التي أشعلت الإقتتال الأعتداء الذي قاما به عند احتفال المسيحيين بعيد الفصح عام ١٨٤٣. على أثر ذلك قامت حرب طاحنة شملت كل مناطق الآشوريين ومعتمدة على نهب قطعان الماشية العائدة للمسيحيين أو إغتيالهم وقتلهم بوحشية سواء كانوا من الرجال أو النساء والأطفال. هذه العمليات حصلت في مختلف مواطن المسيحيين ودون أيّ استثناء. بعد قتل الضحايا كانوا يقطعون الآذان ويرسلونها إلى بدرخان شخصيا. البطريرك أيامئذٍ كان مار شمعون أوراهم. إضطرّ هذا البطريرك بسبب القتال الحامي الوطيس في المنطقة لأن يهرب ويلجأ إلى مدينة الموصل ويقيم في دار الراعي "جورج برسي بادجر"، ويبقى هناك حتى مغادرة هذا الراعي الأنكليكاني، أخيرًا هدأ الوضع بعض الشيء. لكن سرعان ما إندلعت مرة ثانية موجة جديدة من العنف والعدوان وبشكل أكثر وحشية. كان مركز الموجة

الثانية أراضي عشيرة تياري. التياريون الأبطال قاوموا العدوان ببسالة منقطعة النظير، لكن بسبب عدم تكافؤ الطرفين المتحاربين عدديا، تغلب الأكراد فنهبوا القرى ثمّ أحرقوها وحصلت المذابح التي فجرت سواق من دماء الأبرياء في الأزقة. أبناء وأحفاد الآشوريين من الجبليين لا زالوا يتذكرون تلك المذابح التي من بين ضحاياها كانت أم البطريرك نفسها، التي بعد إلقاء القبض عليها بينما كانت عند عشيرة "ديز" أغتصبت ثمّ بترت أعضاء جسمها. أخيرًا قطع الأكراد الجزء الباقي من الجسم إلى نصفين ألقوهما في نهر الزاب وهم يصرخون كالمجانين: "إذهبي وأخبري ابنكِ بما حصل وبلغيه أن نفس المصير ينتظره". وصف مار شمعون تلك الأيام بـ "أيام النكبة العظمى" (٤٣). منذ ذلك الحين أصبحت عبارة البطريرك في وصف النكبة محفورة في ذاكرة كل آشوري وتناقلتها الأجيال عبر عقود السنين. الأب الفاضل Eugène Grisselle أرّخ هذه الحوادث كما يلي: "لقد قام امير بوتان الكردي المدعو "بدرخان؟ بمجزرة مروّعة شملت الكلدو آشوريين القاطنين في محافظة "وان". كان عدد ضحايا هذه المجزرة عشرة الآف ضحية من الرجال. عدا ذلك سبيت الاف النساء والشابات الحسان وأجبرن جميعا على إعتناق الأسلام كما نهبت كل ممتلكات الكلدو آشوريين. وقراهم أحرقت بالتمام (٤٤).

اخيرًا انتهت مجازر بدرخان بتدخل السلطات العثمانية والباب العالي فألقي القبض عليه بعد دخول القوات التركية إلى مناطق كردستان ونفي إلى خارج البلاد. نتيجة لهذا التدخل استطاعت القوات العثمانية من التغلغل الفعلي في هذه المناطق والسيطرة عليها، الأمر الذي لم تقدر على تحقيقه أبدًا. سيطرة العثمانيين على كردستان، أدّت إلى أن تحلّ سلطة الدولة الرسمية محل سلطة الأمراء الأكراد القديمة. رغم المرارة التي كان المسيحيون لا يزالون يشعرون بها بسبب المجازر الرهيبة التي قاسوها، فانّ طعم الحرية الطيب المذاق بقي حيا في أذهان الآشوريين الذين أثبتوا للعالم صبرهم الجميل وجلدهم على المصائب وشجاعتهم على البدء من جديد في بناء كيان استقلالهم والحكم الذاتي المستند على أسس النظام العشائري.

بعد انتهاء هذا المجلس البطريركي المحزن، أبلغ داوود د بيث مار شمعون اخته سورما قائلا بأختصار: "هل علمتِ أنّ شماشا ياقو (شماسنا) قد شاهد هذا الصباح، غرابا يحطّ على سطح كنيسة مار شليطا، وسمع نعيقه مدة طويلة؟". تهربا من نظرات الأخت غادر داوود المكان بسرعة. أمتقع وجه سورما بعد سماع كلام داوود، لأنها كانت على تمام الثقة أنّ ظهور الغراب كان ينبى بوقوع مصيبة عظيمة حسب المثل الشعبي الذي يقول: "حيث ينعق الغراب سيحلّ الدمار الشامل" (٤٥). ما رواه كوستا من أحداث، ضاعف من حالة انزعاج سورما وملأها قلقا واضطرابا أضافة لتأثير أقوال شماشا ياقو الشبه نبوية، فأخذت تسأل نفسها قائلة: "ألا يكفينا ما سمعناه عن مصائب قومنا البعيدين حتى يأتينا خبر حدث آخر ينبؤ بسوء طالع قد يفوق تلك المصائب؟". مساء اليوم التالي،

وبينما كانت سورما في مشوار تجولّها الأنفرادي، هاجمتها الأفكار السوداء، خاصة بعد أن ألقت نظرة إلى السماء فشاهدت مجموعة من النجوم تصبح شهبا ونيازك. هذا المنظر ورغم جماله بعث في أعماق سورمه المزيد من القنوط فدمعت عيناها، أخذت الدموع تجري سواقي على وجنتيها. سورما بحذاقتها علمت أن ما سمعته وشاهدته علامات واضحة لشرور كبيرة ومصائب مؤلمة ستحلّ بعائلتها والشعب الذي تحبه بأخلاص. أنطلاق الشهب والنيازك بهذه الكثرة كان يعني حتما اندلاع حرب قريبًا، حرب مدمرة للآشوريين. منذ ذلك الحين، أخذت سورما تضاعف من فترات صلاتها طالبة من العزّة الألهية الرحمة والعطف على شعبها المسكين وأن يحفظ الله بقدرته أفراد عائلتها وكلّ المؤمنين من "نكبة عظمى مقبلة". بينما كانت سورما تفكر في هذه الأمور، تذكرت المقطع النبوي الذي قاله النبي ايرميا وهو يبكي وينوح على أورشليم المدمرة وقارنته بالخراب الذي سيحلّ فرددت ما جاء في مراثي ايرميا [٤٦]، التي تقول: "عندما شعبها (شعب أورشليم) سقط تحت ضربات خصومها (...).

وما أنجدها أحد خصومها نظروا إليها فضحكوا على سقوطها (...) مطاردينا كانوا سريعين (...) لاحقونا في الجبال (...) ها عيوني مغرورقة بالدموع (...) شبابي وعذارى بلادي أخذوا أسرى (...) فهل يا ربّ، سيكون لقوجانس الحبيبة مصيرًا مشابها ؟!

٣ . الكلدو - آشوريون في خضم الإعصار الذي ضرب العالم

باعوثا د نينوايي [٤٧] (صوم تضرّع أهل نينوى)

حلّ فصل الشتاء القارص البرد على عجالة ودون تحدّد بقوانين الطبيعة المعروفة في المناطق الجبلية وقممها الشامخة أو وديانها العميقة؛ فسمع عواء الذئاب الذي ذهب بهدوء الجبال وسكينتها المخيمة عادة على أرجاء المنطقة. شعر جسمها حفظها من البرد القارص، لكنه لم يستطع أن يُشبع جوعها. الحيوانات المصابة بالحمى أو المجروحة كانت أهدافًا سهلة المنال للحيوانات الشرسة أكلة اللحوم. لقد كان من الصعب أن يؤتمن شرّ هذه الحيوانات خاصة عند هجومها كقطعان كبيرة. كان الآشوريون يخافون هكذا هجمات أن كانت من الذئاب الجائعة بتأثير قسوة الشتاء وندرة الغذاء الذي تعيش عليه. صعوبة الحصول على الطعام كانت تدفع بالذئب الجائع إلى الاستماتة من أجل البقاء على قيد الحياة. رائحة الخراف والنعاج المنبعثة من زرائب البيوت الواقعة في الطابق الأرضي من المساكن كانت تُسيل لعاب الذئاب فتدفعها إلى التقدم ومهاجمة المباني مغامرة بحياتها. هجمات هذه الذئاب التي كانت تحيط ببيوت القرى لم تكن تحظى باهتمام القرويين لإنشغالهم بأمور أهم. في الليلة الأخيرة من موسم صوم الباعوثة (باعوثا د نينواي) الذي صادف أن يقع في تلك

السنة (عام ١٩١٠) في شهر شباط، وبينما كانت سورما منهمكة في تحضير "بوخون د باؤوثا"(٤٨) ، هو نوع من الطحين الخشن يعدّ خصيصًا لهذا الصوم. بعد التحضير يُحفظ ليُنثر الطحين على الأشجار عند حلول فصل الربيع لمكافحة السرقات. إستعمال هذا الطحين لم يتحدد فقط لهذا الغرض فقط بل إنما كان أيضًا رمزًا لربط الحاضر بالماضي القديم جدًا الذي جاء ذكره في الكتابات المحفوظة آثارها والتي لا تنمحي، أي عندما كانت المرأة تأخذ كمية منه (من الطحين) وكمية مساوية من الملح وتخلطهما ثمّ تقوم بتوزيع الخليط على المعارف والأهل لاستعمال الأفراد جماعيًا. إنهم كانوا يلتهمون طحين بوخون لا كذكرى ليونان الذي لفظه الحوت على الشاطئ فأخذ يلتهم الرمال، بل أيضًا تخليدًا لذكرى أبناء نينوى الناجين من تدمير مدينتهم وخرابها بفعل توبتهم وتقشفهم وندامتهم على سلوكهم السيئ.

قلعة العمادية في نهاية القرن ١٩

غالبًا ما توضح الأمثال والأساطير المتناقلة الأحجيات والألغاز الآشورية. ثقافتهم كانت تستند بصورة رئيسية على المشاهد الرمزية التصوفية المطبقة في حياتهم اليومية.

لهذا كانت سورما تقرأ فصول من الكتاب المقدس أو نصوص كتبها الآباء الأولون مثل مار أفرام الكبير النصيبيني (٣٠٦-٣٧٣). إنه الكاتب الأكثر شهرة بين كتبة السريان والذي تجله كنيسة المشرق إجلالا كبيرًا. في الصفحات التي كتبها مار أفرام وتضمنتها أعماله نقرأ وصفا رائعا لتوبة أهل نينوى خاصة تعليقه الجميل المطابق لنصوص الإنجيل المعروف بـ "دياطسرون" إذ يقول "صعد يونان من البحر وأخذ يكرز بين سكان نينوى ويحثهم على التوبة والإقلاع عن الشرّ، فنجوا من العقاب المسلط عليهم (...) كما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام هكذا أيضًا سيبقى إبن الإنسان في باطن الأرض (...) يونان أعلن لأهل نينوى قرب خراب نينوى العاصمة العظيمة، فزرع الخوف والفزع في القلوب مع بعض الاندهاش والذهول، بالمقابل قدم أهل نينوى ليونان توبة النفوس الحقة

وثمار الندامة الشهية[٤٩].

كان الآشوريون جميعا يتقيدون بصوم الباؤوثا وضوابطه دون أستثناء. مدته كانت ثلاثة أيام تبدأ بيوم الإثنين من الأسبوع الثالث الذي يسبق الصوم الكبير /الأربعيني عادة كان الآشوريون يقضون هذه الأيام الثلاثة في ترتيل صلوات طقسية طويلة. تدور حول موضوع التوبة وطلب الغفران. التركيز فيها يكون على سفر يونان من الكتاب المقدس / العهد القديم الذي كتب في القرون التي سبقت الميلاد. إنه سفر يُجسّد ماضٍ متفوق زمانا ومكانًا. إنه أنار الطريق لهذا الشعب بنور الرجاء الذي لم يفقده البتة على امتداد مسار حركته التاريخية. مارست طقوس الباؤوثا د نينواي كذلك جماهير الإزيدية ومسلمو جبال حكاري.

خلال أمسيات وليالي الشتاء الطويلة، كانت سورما تبقى تفكر مشغولة البال بموضوع مستقبل الشعب الآشوري. إنها كانت على بينة أنّ وراء كلّ هذه الترسيمة التقليدية للمنطقة كان يختفي وضع جيو - سياسي وجيو - ديني جديد. غالبًا ما كانت سورما تناقش هذا الموضوع مع أخوتها وتنصحهم بضرورة العمل الفوري. تمكنت مع إخوتها من إعداد بعض المشاريع تهدف إلى إيجاد أرضية صلدة يعتمدها أتفاق فوري ترضاه العشائر فتتوحد وترضى الخضوع لقوة واحدة موحدة، فيها تستقرّ ثقة الجميع. إنها كانت تحاول التوفيق بين هذا الطرف أو ذلك عند حصول نزاع أو خلاف وتشحذ الهمم ليل نهار مع التنبيه إلى أنّ العالم ماضٍ سريعًا في طريق التغيير وبحيوية.

بين أيدى العثمانيين والفرس والروس والمبشرين الغربيين

في الوقت الذي كان فيه الجميع مشغولين بقضية الشرق، كانت الإمبراطورية العثمانية موضوع الرهان الرئيس في القضية، والحقل الأوسع الصالح للعمل فيه؛ فكثرت اللقاءات الدبلوماسية والعسكرية. خلال تلك اللقاءات كانت تتم المواجهات بين الإنكليز والروس من جهة وبين النمساويين والفرنسيين من جهة أخرى. بعدئذٍ كانت هناك نقطة الإنطلاق لمعالجة هذه القضية. بعد إندلاع حروب عديدة بين الروس والأتراك، تبلورت نقطة إنطلاق بموجبها كان التوقيع الرسمي لاتفاقية سلام. تمّ التوقيع على هذه الإتفاقية في "كوجوك - كائنارجي" Kutchuk-Kaïnardji، عام ١٧٧٤، بموجب هذه الإتفاقية حصل الروس على منفذ خاص بهم على البحر الأسود. استمرت محاولات تقسيم أراضي الإمبراطورية العثمانية وإجراءات قضم ممتلكاتها شيئًا فشيئا عقودًا عديدة وابتداء من القرن التاسع عشر. تمت أغلب تلك الإجراءات بصيغة معاهدات محّددة أو مُؤتمرات. هكذا أخذت الإمبراطورية العثمانية بالذوبان التدريجي تمامًا كما يحصل لكتلة ثلجية توضع تحت لهيب الشمس المحرق صيفا. شعب الإمبراطورية أصبح ذليلا ويعيش الحرمان. أما القادة فجمد نشاطهم وفقدوا تأثيرهم في مجريات الأمور. فترة حكم السلطان عبد الحميد

(١٨٧٨-١٩٠٨) كانت الفترة الحقيقية لتبلور البغضاء والحقد الدفين الذي كان يكنه العثمانيون للبشرية جمعاء. عبر العثمانيون عن شعورهم ذاك بسخطهم على الأمتيازات التي منحوها للغربيين مُحدّدة سلطتهم المطلقة، فتمحورت سياستهم وتركزت على العالم الإسلامي. الأقليات غير المسلمة ومنها الأقليات المسيحية خصوصًا أصبحت كبش الفداء بسبب ما فرضته تلك السياسة من قهر واضطهاد ونفي قسري سببه تزمت ديني جنوني أودى بحياة الآلاف من المسيحيين عبر مجازر رهيبة. الأب الفاضل Eugène Griselle كتب عن تلك المذابح فقال: " إنّ المذابح البربرية التي أمر بها السلطان عبد الحميد ليست بعيدة عن الأذهان. خلالها تمّ ذُبح أكثر من نصف مليون أرمني بحد السيف أو ماتوا بسبب شظف الحياة. هذا عدا الآلاف المؤلفة من المسيحيين الكلدو آشوريين [٥٠]. استندت سياسة العثمانيين الإبتزازية للأقليات في أصولها على الترحيل والتهجير القسري الجماعي للمسيحيين. منذ عام ١٨٩٦، أخذت قوافل المرحلين والمهجرين تصل إلى أورميا تباعا وبانتظام، هاربة من نير ظلم العثمانيين وإضطهادهم، باتجاه مناطق أذريجان الفارسية. أغلب المنضمين إلى هذه القوافل كانوا من الأرمن والكلدوآشوريين. بلغ عدد الواصلين منهم إلى أورميا عام ١٩٠٨ أكثر من ٦٠٠٠ نسمة. إضطرّ القنصل الروسي لوحده على مساعدة حوالي ٢٠٠٠ نسمة من المسيحيين المهجرين أو المرحلين القادمين من أطراف "ماروانا" ...

عدا الضغوط الخارجية ومطامع القوى العظمى بممتلكات الإمبراطورية العثمانية، عانت هذه الإمبراطورية الخائرة القوى متاعب داخلية كثيرة وفجائية كانت تقفز على مسرح الأحداث دون توقع مسبق. من هذه المتاعب نذكر ثورة الشباب الأتراك التي استطاعت أن تضع حدًّا لحكم السلطان عبد الحميد الثاني. رغم قيام هذه الثورة التي أدعت الإصلاح واستلامها السلطة، إننا نلاحظ إستمرار الأزمات خاصة في الناطق الخلفية من الممتلكات العثمانية. كما كان هناك الحروب البلقانية المتوالية وموجة هزائم العثمانيين المتتابعة والمخجلة. حزب " تركيا الفتاة" الذي وعد بالمساواة في التعامل مع جميع الأفراد تحوّل قليلا فقليلا إلى حزب قومي، فانتكست السياسة وتحولت إلى سياسة قامعة لكل من هو غير تركي وبوحشية تفوق ما كانت عليه سابقا أيام السلطان عبد الحميد. كما أنها أصبحت تشمل لا فقط الجماهير غير المسلمة بل أيضًا كلّ الأقليات غير التركية. أزداد التدخل السافر في حياة المسيحيين الدينية ومعتقداتهم وغدى أكثر عدوانية ووحشية. الامتيازات في التعليم المدرسي ألغيت. ونفذ التطبيق الفعلي للسياسة القمعية الجديدة الظالمة عند بداية العام ١٩٠٩ . فرضها ومارسها حزب " تركيا الفتاة" الذي تبنى سياسة التتريك وأخذ يطبقها في كل أرجاء الدولة وتحت شعار " شعب واحد، لغة واحدة وقومية واحدة" . بناءً على هذا الشعار الظالم وقعت مذابح أدنه، السيئة الصيت.

ما يعني بلاد فارس الجارة لتركيا، فإنها كانت تعاني مشاكل عويصة. العائلة المالكة القاجارية / Kadjars (1786 – 1925) حاولت كثيرًا إصلاح الأوضاع إلاّ أنها لم تفلح في ذلك أبدًا. إنها استطاعت الحفاظ على إستقلالية كيانها وحماية حدود أراضيها لا فقط من إعتداء الجيران القريبين لكن أيضًا من تدخلات الدول الأوربية العظمى. بسبب ذلك، جعلت كل من روسيا و إنكلترا الدولة الفارسية في قلب أهداف التنافس بينهما. ونتيجة لذلك التنافس والإقتتال الإنكليزي الروسي لتحقيق الهدف الخاص بكل منهما، تمكن الطرفان من توقيع أتفاق بموجبه قسّمت الدولة الفارسية إلى منطقتي إحتلال، كل قسم من تلك المنطقتين كان من حصة إحداهما. بذلك خسرت الدولة الفارسية ما كان قد بقي لها من إستقلال ناجز. كانت حصة الإنكليز من هذا التقسيم المحور الشرقي –الغربي، الذي يربط ما بين البحر المتوسط والجزء المهم من الإمبراطورية البريطانية أي بلاد الهند. سعت إنكلترا لتحقيق هدفها هذا بجهد كبير واهتمام بالغ، لكي ما تضمن عدم استطاعة أيّ قوى أخرى التسلط على هذا المحور الهام الذي بدونه ستتقطع أوصال إمبراطورية إنكلترا المترامية الأطراف. أما هدف الروس الأساسي فكان يتحدد بالسيادة على أذربيجان الفارسية. استفاد الأكراد والأتراك من الأتفاق المذكور لأنه وفر الفرصة لهم للتسرب والإنتشار في أرجاء الدولة الفارسية التي كانت في أوج ضعفها. إنّ الأزمات الدبلوماسية وتفكك الإمبراطورية العثمانية وهذه الوضعية الجيوسياسية غير المؤشرة على الورق أدّت من الناحية الداخلية إلى عدم رضا سكان المدن التام. لقد عبرت الجماهير عن عدم رضاها بتشكيل حركة دستورية في العام ١٩٠٦ نظمت هذه الحركة ثورة على الإمتيازات الأجنبية. إندلعت نيران التظاهرات الجماهيرية بسبب غضب الجماهير على رفع أسعار الخبز الكيفي الذي أحدث مجاعات مهولة في بعض المدن فحصلت الإضطرابات بين صفوف المواطنين. آنئذٍ، جماهير الشعب مدفوعة بالواقع الفعلي تجاسرت على تدمير دوائر الشرطة وأحيانًا قتل أفرادٍ من إدارات البلديات. ردّ فعل السلطة تجاه هذه الأحداث التخريبية تركزت على التفتيش عن كبش فداء تضحي به لتهدئة الأوضاع وامتصاص نقمة الجماهير. الضحية التي سرعان ما عثرت عليها السلطات كانت جماهير المسيحيين.لأجل تحقيق هذا الهدف قامت بتسريب دعاية كاذبة عنهم تفيد إنهم قاموا بخزن الحنطة بعد نقلها من المطاحن فتركوها فارغة خاوية. هذه الدعاية الكاذبة فجرت مشاعر الحقد والكراهية الدفينة في نفوس المسلمين، وجعلت كل المسيحيين موضع إتهام وسببًا لكل الشرور التي حلت بالبلاد ونتيجة لسياسة حكام الأقاليم الجوفاء. تفعيلا لهذا الوضع الخطير الذي ألقى بالمسيحيين في أتون نارٍ محرقة، اتخذ قرار الإبادة الجماعية. في هذا المضمار كان للملالي ولائمة المساجد قصب السبق حيث قاموا بسكب الزيت على النار المتأججة بخطب رنانة ألقوها في المساجد والجوامع أثناء خطب الجمعة.

هناك عامل آخر مهم، كان له دور بارز في زيادة الكره والبغضاء. ذلك العامل كان حضور المبشرين

الغربيين الذي أقلق بال العثمانيين والفرس على حدّ سواء. كرد فعل لذلك الحضور أصبح المبشرون أشخاصًا غير مرغوب فيهم خاصة ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر. عندئذٍ تنامت الأطماع بالمبشرين وازداد الحقد على إنجازاتهم، فأتهموا بأنهم يحاولون فتح ثغرات في المجتمع ذي الأغلبية المسلمة بواسطة المسيحيين الموجودين ضمن الجماهير الشعبية. إضافة نذكر بأنّه كان للتنافس المحموم بين البعثات التبشيرية المختلفة عقائديًا أي الكاثوليكية والأرثوذكسية والأنكليكانية والبروتستانتية المنتشرة في تلك الربوع الجنوبية والجنوبية الشرقية من الأراضي التركية والشمالية الغربية من بلاد فارس أو الأجزاء الشمالية من العراق ومناطق الجزيرة السورية تأثيرًا كبيرًا. الآشوريون القاطنون في جبال حكاري سبق لهم أن دعوا الكنيسة الأنكليكانية للمساعدة في تطوير كنيستهم. بسبب ذلك توثقت الروابط بين هذه الكنيسة والعائلة البطريركية. البطريرك مار شمعون بنيامين وأخته سورما كانا من تلاميذ رابي براون الذي كان يتمنى بإخلاص توفير تعليم وتثقيف جيد للجميع بغية الحفاظ على الإرث الثمين المهدد بالاضمحلال والذوبان. غير أنّ الرهانات كانت أكبر من أن تستطيع العلاقات المؤسسة حديثا أن تتغلب على الواقع الفعلي. كل الجهود المبذولة كانت بين كلابتي العثمانيين والفرس من جهة والروس والمبشرين الغربين من جهة أخرى. حاول الآشوريون دومًا البقاء أحياء في خضمّ الأحداث الجارية ومنها مذابح أدنه. رأى مار شمعون بنيامين نفسه مُجبرًا على البحث عن جهة كفوءة تحميه مع أبناء شعبه. كما أشرنا سابقًا، كانت الرهانات أكبر من التحالفات التقليدية المؤسسة على العشائرية لمنطقة محدودة أو للحكاري كلها. بناء على هذا الواقع، أخذت تظهر تشكيلات سياسية جديدة وتحوك كياناتها على المسرح العالمي. نظرًا لأن الآشوريين لم يكونوا مستعدين لذلك، فأخذوا يشعرون بالقلق والرجات العنيفة المشبعة بعدم المساواة. هذه الحالة دفعتهم إلى التساؤل عما يجب عمله؟ وابن مكانهم أو موقعهم في هذه الدوّامة من الأحداث المتسارعة والمواقف المتصاعدة؟ التهديدات في تنام وازدياد والأوضاع تزداد سوءًا يوما بعد يوم. بعد تفكير عميق قرر مار شمعون بنيامين التفتيش عن قوة عظمى بمقدورها حمايته شرط أن تكون مسيحية الجذور. القوة الأقرب والحاملة للصفات التي يشترطها كانت الدولة الروسية.

البحث عن الحماية المطلوبة

إتصالات مع الروس

إستيقظت قوجانس صباح أحد أيام أواخر شهر آذار عام ١٩١٠ فرأت صباحا ربيعيًا منعشًا. بعد سويعات، حصل نزاع واشتباك بين أهل القرية بسبب مناطق الرعي الصيفية. عدا ذلك حاول بعض من أكراد ليوين Lewin نهب ماشية عشيرة تياري. علما أنه سبق أن قام (٢٠٠) كردي من

الكويان بالهجوم على قطعان الماشية العائدة ل "أشيثا" القرية الكبرى في منطقة "تياري السفلى"، عندما كانت تلك القطعان ترعى هادئة في المراعي الواقعة في أعلى "جالوك". نجم عن ذلك الهجوم نهب بعض الماشية وقتل عدد من الآشوريين. رد فعل الآشوريين على هذا الإعتداء كان شديدًا وفوريا وحاسما، الآشوريون لم ينتظروا طويلا حيث قاموا بهجوم معاكس استطاعوا بواسطته استرداد بعض من الماشية المنهوبة وقتل بعض الأكراد من المعتدين وإصابة الكثيرين منهم بجروح. هذه اللوحة من التنازع على البقاء توضح بمناظرها المؤلمة تصرفات الأكراد الظالمة واعتداءاتهم الوحشية المستمرة على الجماهير المسيحية وانعدام الحياة الآمنة في مناطق جبال حكاري. رغم ذلك بقيت تجارة المواشي قائمة ومستمرة على مدى السنين. كان تجار الموصل وديار بكر المتخصصون يأتون صاعدين الجبال الشاهقة لشراء الماشية وهي لا تزال ترعى في المراعي. توفر الماشية عادة الغذاء والصوف لحياكة الملابس والسجاد التي يحتاجها أهل المدن. بعض من المدن الأخرى كانت تعتمد على جبليي حكاري في توفير الزبد والدهن والعسل والشمع والزبيب... كانت حياة سكان حكاري من المسيحيين مطبوعة بالقلق وعدم الأمان والإطمئنان، رغم كونهم المنتجين الفعليين للغذاء وكثير من الحاجيات الحياتية الأخرى. معالجة لهذا الوضع القلق حاول مار شمعون بنيامين التوجه نحو السلطات الروسية المحتلة أراضي أذربيجان الفارسية لطلب حمايتها ودعمها عند الحاجة، مقابل ذلك ستتقبل كنيسة المشرق العقيدة الأرثوذكسية الروسية كعقيدة رسمية لها وتعترف بها مع الموافقة على الرضوخ لسلطتها الروحية العليا.

المبادرة التي قام بها البطريرك مار شمعون بنيامين لم تكن الأولى أو حديثة العهد أو حصلت بالصدفة. إنها كانت نتيجة أعداد وموافقة سابقة للآشوريين القاطنين في أذربيجان الفارسية الذين قبلوا العقيدة الأرثوذكسية الروسية عقيدة إيمانية لهم هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فالدافع كان الآمال العريضة التي كانوا يتوقعون تحققها عندما ستصبح مناطقهم مجاورة لقوى مسيحية مقتدرة. لو استطاعت العملية التي قام بها البطريرك تحقيق أهدافها لكان في الإمكان استثمارها وجعلها وسيلة فعالة لتخليص المسيحيين من أبناء شعبه من نير عبودية الإسلام الثقيل وظلم القومية التركية الصاعدة. لم تستجب السلطات الروسية أو توافق على الطلبات التي قدمها لها البطريرك لأن إحداها كانت تعني التدخل العسكري المباشر، بينما السلطات الروسية آنئذٍ لم تكن تنظر إلى الآشوريين إلاّ كورقة ثانوية على المسرح السياسي الدولي. عند عودة البطريرك، أبلغ سورما بالنتيجة غير الموفقة. أصغت سورما إلى حديث البطريرك باهتمام بالغ وفهمت جيدًا معنى ذلك الرفض الذي وسع أفاق إدراكها ودفعها للبحث عن حلول بديلة. بقاء بعثة الكنيسة الأنكليكانية مستقرة في منطقة العمادية في قرية "ببياد" زاد من قوة التنافس بين طوائف البعثات التبشيرية الغربية وساعد على تجذير الإنقسام وتأصيل العناد والتقوقع على الذات وابتعاد الإخوة عن

بعضهم البعض. الآشوريون ارتبطوا بالكنيسة الأنكلكانية، لذا إنهم كانوا على خلاف مستمر مع الكلدان المرتبطين بالرومان الكاثوليك. الأولون تحزبوا للإنكليز والأخيرون اصطفوا مع " البابوية ". بخصوص هذا الواقع نقرأ نصًا كتبه " ويكرام " به نتحسس الوضع المأساوي لتلك الجماهير إذ يقول: " صادفتُ على مدى أيام حياتي الكثير من الصعوبات والمعوّقات التي كانت أحيانًا خطرة جدًا. لكن إنها المرة الأولى في حياتي أن أصادف هنا مطرانا يتجاسر على رفع يده عليّ "(٥١)، المطران المشار إليه في النص أعلاه، هو مار فرنسيس داوود مطران أبرشية العمادية، الذي كان المعارض العنيد لإقامة كنيسة أنكليكانية في منطقة العمادية.

لم يكن يبقى من آمال تذكر سوى أن يعتبر العثمانيون الآشوريين شعبا أصيلا يتبعون كنيسة المشرق، وقوما لهم تاريخهم وحضارتهم وحياة مشاركة مع المسلمين تعود أصولها إلى زمن النبي محمد.

الفرمان الذي أعطاه النبي محمد

إنّ الصداقة التي احتفظت بها قوجانس للإنكليز ولسنوات عديدة أخذت تتلاشى لدى البعض وتنقلب إلى كراهية لدى البعض الآخر بسبب الخوف الذي أخذ يملؤ القلوب وتصرفات الإنكليز غير المسؤولة أحيانا. في عام ١٩١٠ تغير الوضع وكادت المياه أن تعود إلى مجاريها، ذلك على أثر وصول: " جورج ريد " والأب الفاضل " ويكرام ". رابي براون تمكن من فتح (٨٠) مدرسة بين الجبال الشامخة. إنتهز " براون " فرصة وصول القادمين الجديدين التابعين إداريا لمؤسسته، فأفسح لهما المجال للإقامة لوحدهما، حيث غادر هو في جولة طويلة بين القرى هدفها توزيع الكتب والقرطاسية اللازمة لطلبة المدارس وكذلك لتوزيع بعض الأدوية التي معظمها كان قد نفذ لدى سكان تلك القرى. باشر " ريد " نشاطه بكل جدّية ومثابرة متحملا المسؤولية المعهودة إليه. غالبًا ما كانت سورما المرافق الامين لجورج ريد ورفاقه في جولاتهم أو سفراتهم. كانت تعتلي صهوة الجياد الأصيلة وتذهب مخترقة الحقول المغطاة بأزهار النرجس الربيعية الزاهية الذكية الرائحة التي يغلب عليها اللونان الأبيض والأصفر فتسمع طنين النحل المتعدد الأنواع المهتم بجمع العسل الذي يصنعه من رحيق الأزهار المنتشرة حواليه. كانت سورما خلال هذه السفرات كثيرة التفكير والقلق فتسأل نفسها عما يُخفيه المستقبل من أحداث جسام لأبناء شعبها؟ لذا غالبا ما كانوا يسمعونها تقول وبصوت جهوري مفعم بالحنين وحب الأوطان: " هيا نستنشق عبير هذه الروائح المسكرة. ولنصغي لزقزقة السنونو الخفيفة التي أنجزت بناء أعشاشها في قلب الصخور. لننظر إلى الألوان الجميلة التي تغطي الهضاب والسفوح. إنها مناظر خلاّبة تأخذ بمجامع القلوب خاصة منها منظر جبالنا الشاهقة الغائرة في أعماق السماء. لقد زهد بعض الكتاب الذين زاروا المنطقة في وصف جبالنا وهذا

ما أدّى بالكثير من المراقبين إلى عدم تفهّم عمق تعلقنا بهذه الأرض ذات العطاء الوفير. الإحساس بالحرية يمتلكنا ونحن نقطع المسافات الطويلة، وهذا ما يدفعنا إلى تمجيد القدرة الإلهية الخلاّقة وشكرها من أعماق القلب لما وهبته لنا من خير عميم ومحبة غير محدودة. إنني متأسفة لتصريحي أن هناك صخب مقلق يسمع قادما من بعيد قد يزعجنا ويؤثر على حياتنا اليومية الإعتيادية. لذلك إني أسأل: " ما سيكون مصيرنا؟ وهل سيكون في مقدورنا مقاومة الإعتداءات المتكررة التي يفاجؤنا به الأكراد والعثمانيون التي من المتوقع أن تزداد وبوحشية أكبر؟ أعداؤنا مصرّون على عدوانيتهم. ما ترى سيكون الثمن الذي علينا تأديته لقاء ذلك؟ هل سيكون هناك عذابات إضافية؟ إني لا أتمنى شيئًا سوى أن مسلمي حكاري قاطبة أي أتراكا وأكرادًا يتذكرون " الفرمان" الخاص الذي أصدره النبي محمد الذي كان محفوظا بين ممتلكات البيت البطريركي. كان يوجد مع هذا الفرمان سكين غلافها من الفضة في نهاية الغلاف ثبتت مرجانه كبيرة حمراء اللون. على شفرة الخنجر حفرت كلمات بماء الذهب. سُرق هذا الفرمان مع بقية الممتلكات الثمينة والعائدة للبطريركية أيام " النكبة العظمى" وأخذت إلى عند بدر خان. الكتابة المحفورة على الشفرة كانت تنص على ما يليّ: " لعنة الله على نور الله بيك " جولاميرك" الذي دعاني لأقاوم نصّ هذا الفرمان. لو كنتُ قد علمتُ بنص هذا الفرمان، كنتُ غير قادر على أن أتجاسر على مقاتلة هذه البيت الكريم النسب" [٥٢]. في وسط صفحة البرشمان وُضع ختم حوله كتب نصّ الفرمان بحروف ذهبية. كانت الكتابة على شكل لولبي (حلزوني) متعرج. شكلها بهيئة الكتابة العربية القديمة. كان لهذا الفرمان تأثير معنوي عظيم على كل قاطني جبال حكاري من المسلمين وحتى المتزمتين الذين كانوا لا يحللون أكل لحم الحيوانات التي كان يذبحها المسيحيون. أما لحم الحيوانات التي كان يذبحها أبناء البيت البطريركي فكان أكلها حلالا. بعد ذلك واصلت سورما قائلة: " إننا نعيش مع جيراننا المسلمين منذ قرون عديدة. رغم بعض الحوادث المؤسفة والإقتتال الدموي الذي يكلف عددًا من الضحايا تسقط من الطرفين " .

في حالات كهذه كان التعقل والحكمة هما سيدا الموقف المطاعان. بموجبهما غالبًا ما كانت تتم تسوية الخلافات والمنازعات. اليوم الوضع قد تغير والرهان أصبح بيد الغرباء. الإمبراطورية العثمانية كادت أن تنهار، إنها دولة ذليلة. واقع الدولة الفارسية واقع مرير وبموجبه تعيش الفوضى نتيجة التأثير الروسي والبريطاني. لقد أسست هاتان الدولتان لهما مراكز ثابتة منها تصدر القرارات. كما هناك قوى عظمى أخرى تنتظر دورها لتدخل هذه المناطق واللحاق بالروس والإنكليز. حاليا الوضع بين المسيحيين الشرقيين والغربيين ملغوم ومهدد بالإنفجار هذا هو ما استقرّ في أعماق تفكير جيراننا المسلمين. إني خائفة جدًا على علاقاتنا الوطيدة ذات الجذور القديمة مع الكنيسة الأنكليكانية فتصبح موضع شكّ وصكا للتراضي" .

بعد صمت تام وقصير واصلت سورما مرة أخرى الكلام فقالت: " ترى ما سيكون مصير شعبنا الآشوري المظلوم وكنيسته الرسولية؟ أين سيكون موقعنا في الحياة؟ موقعنا نحن أبناء وبنات هذه الأرض التي نحبها كل الحب؟ فهل سيكون هناك من يسمعنا ويصغي لطلبات الاستغاثة التي ستطلبها جماهيرنا فيستجيب لها ويمد اليد لمساعدتنا؟ إني أرى هناك في الأفق البعيد مصائب مهولة ستحلّ بنا في المستقبل القريب فتتغير أحوالنا نحو الأسوأ.

امتلأ السيد ريد بالانفعال والإنذهال من ذكاء سورما وبعد نظرها في طرح المشاكل ومعالجتها، فأجابها بإقتضاب: "باستطاعتي أن أؤكد لكِ وبكل قوّة أن إخوتي الأنكليكان سوف لن يتركوكم وحيدين أو يسمحوا بسقوطكم. إنهم سوف يمنحونكم دومًا الأذن الصاغية ويحاولون تفهم الصعوبات التي ستواجهونها، علاوة على أنكم عارفون بأدق زوايا المنطقة التي تعيشون فيها والمليئة بالعجائب والغرائب. سيستمر الأنكليكان في دعمهم لكم وحمايتكم كما كان شأنهم في الماضي. كذلك أود أن أنبه إلى أنّ هذه الجبال هي خير ملاذ آمن لجماهيركم وبمكنكم التحالف معها والحفاظ عليها طالما هناك قلة من الناس فقط قد يجرؤن على الوصول إليها " .

أجابت سورما: " قد يكون معك الحق... قد نتمكن ونوفق في الحفاظ على وطننا في هذه الربوع، لكن هناك أمر هام وحيوي لتحقيق وديمومة إتفاقنا هذا، ذلك هو قضية السلاح الضروري للمحافظة على وطننا... هذا ما يُفكر به دومًا أخي مار شمعون بنيامين ويحاول إيجاد الإمكانية لتوفيره بأيدي أبطالنا البواسل." ثمّ أضافت مواصلة وهي تسأل ريد: " هل كلماتك هذه ستتحقق على أرض الواقع في المستقبل فتنبعث فينا الأمل وتشدّ عزيمتنا بعونه تعالى ".؟

إنّ الفرمان الذي تحدثت عنه سورما وأكدت وجوده [٥٣]. نجد له آثارًا في النصوص القرآنية نفسها. نقلا عن سورة المائدة (السورة الخامسة) نقرأ آياتٍ تخصّ المسيحيين فتقول ما معناه: " إنكَ سوف تتأكد أنتَ نفسك بأنّ الذين هم أقرب إلى المؤمنين (المسلمين) مودّة هم أولئك الذين يقولون نحن نصارى لأن من بينهم من هم قسس ورهبان لا يداخلهم الكبرياء "[٥٤].

تتحدث نصوص هذه السورة عن ضرورة التعامل برفق مع المسيحيين الموجودين في أرجاء الجزيرة العربية الذين كانت أعدادهم غفيرة على عهد النبي، من الواضح أنّ المسيحيين الذين يُشير إليهم القرآن ويأمر بالتعامل معهم بالحسنى كانوا مسيحيون نساطرة، وكانت قبائلهم تعيش مع القبائل العربية وعرفت بالقبائل اللخمية في العراق والغسانية في سوريا. وفقا للتقاليد، نعلم أن النبي محمد رافق قافلة مكية مغادرة إلى سوريا عندما كان عمره ٩ أو ١٢ عامًا. أثناء السفرة تعرّف على ناسك مسيحي. على أثر هذا التعارف قامت صداقة بين الإثنين. كان إسم هذه الناسك " بحيرا " وهو الذي كشف عن قدرات محمد النبوية [٥٥].

وفاة رابي براون

كان الصيف على أبواب نهايته عندما حصل حادث مأساوي لرابي براون وكان ذلك كما يلي: بعد تناوله الفطور، أخذ بالصدفة ومن غير قصد جرعة قوية من مادة nux vomica وهي مركب عضوي سميّ يُستخرج من جوز القيء ويحتوي على الأستركينين وهي تكّون الجزء السمي في هذا المركب. من المؤكد أنه كان يريد مادة أخرى دوائية كان بحاجة إليها. بعد تناول الجرعة أخذ يتقيأ. في فترة ما بعد الظهر إزدادت حالته سوءً. كان السيد ريد إلى جانبه. بعد المرة الأخيرة من التقيؤ بدا على رابي براون التعب الشديد بسبب ما بذله من جهد كبير في التقيؤ. فجأة سقط على الأرض جثة هامدة. كانت وفاة رابي براون في اليوم الرابع عشر من أيلول عام ١٩١٠ . واقعيا، كانت صحة هذا الكاهن متأرجحة وقلقة لكننا مع ذلك لا نستطيع وصفها بغير الجيدة ولا بالجيدة جدًا، لذلك عندما كان يقال عنه أنه مريض لم يكن ذلك أمرًا غريبًا أو مدهشًا، مع ذلك كان خبر وفاته صدمة عنيفة للجميع. تأثير الخبر على أبناء قوجانس كان شديد الوقع خاصة لما أذيع النبأ وألحق بأنّ الوفاة حصلت نتيجة لتسمم. السيد ريد كان الأنكليكاني الوحيد الحاضر تطورات الحدث وشاهد العيان لكل الحقيقة. وفاة رابي براون وفراقه الأبدي جعلت ريد يعيش في عزلة مدمرة مقيما لوحده في قوجانس. هذا الواقع كان يعني أن على ريد الإنتظار ٦ أيام لوصول إخوته الأنكليكان لحضور مراسيم التشييع والدفنة. أول عمل قام به ريد بعد وفاة براون هو إرسال برقية عن طريق "جولاميرك" –المركز الإداري الوحيد، إلى العمادية ليبلغ نبأ وفاة رابي براون، حمل نصّ البرقية مبعوثون خاصون أسرعوا الخطى إلى ذلك المركز. بسبب الظروف الواقعية والفعلية إضطرّ ريد على طلب مساعدة وتدخل إكليروس كنيسة المشرق (الآشوري) لإجراء مراسيم الدفنة حسب طقوسهم الخاصة بتوديع الموتى والتي مدتها عادة ثلاثة أيام وفقا لتعاليم السيد المسيح التي تنص على أنه سيقوم من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من موته (٥٦) وبموجب التقاليد المتوارثة، بعد الوفاة يجب غسل جسد الميت. بالنسبة لرابي براون، رجال الإكليروس هم الملزمون بالقيام بهذه المهمة، فتولوا القيام بها وأنجزوها. بعد ذلك تمّ لفّ الجسد بكفن من القماش الأبيض ووضع في صندوق من الخشب الأبيض بعد أن البسوه الثياب الكهنوتية الخاصة بإكليروس الكنيسة الأنكليكانية. حمل النعش أربعة أشخاص وجاءوا به إلى الكنيسة حيث كان قد اجتمع الكهنة والشمامسة للصلاة على الجثمانَ والتي بعض نصوصها تقول: "ليكن مباركًا السيد المسيح مخلصنا الذي علمنا منذ بداية الأزمنة أنّ الموت يؤدّي إلى الحياة الأبدية". تتابعت المراسيم والحزن العميق يخيّم على أبناء القرية. انتهت مراسيم الدفنة عند القبر. بعد أن وارى الحاضرون الجثمان بالتراب، أتجه المشيعون نحو بيت رابي براون لتقديم التعازي وتناول وجبة طعام. هكذا رقد رابي براون بسلام في مقبرة قوجانس الصغيرة إلى جانب الربان يونان الذي سبقه إلى هذه المقبرة منذ (٢٤) عاما مضت، فرقد

فيها رقدته الأبدية على رجاء القيامة. على حافة القبر إبن ريد رابي براون بانفعال ظاهر فتحدث عن سيرة حياته بإيجاز وعبارات مركزة تقول: " لقد عاش " رابي " الدكتور براون حياته حياة رجل مسكوني (أي يخدم الكنيسة بروح مسكونية) ومات كذلك " .

في اليوم التالي للدفنة وبعد مراسيم الصلاة الطقسية التقليدية قدّم الطعام للفقراء أمام باب الكنيسة. أما في اليوم الثالث فقام أحد الكهنة بتقديم الذبيحة الإلهية عند الساعة الرابعة صباحا (عند الفجر) على موقع القبر. تمت إقامة الذبيحة الإلهية بحضور بعض النسوة اللواتي عشنا قرب رابي براون. بينهنّ كانت سورما تلميذته المخلصة وأختها رومي وزوجات إخوتها. أثناء القداس رُفعت الصلوات الحارة ممزوجة برائحة البخور العبقة. زيارة القبر فجر اليوم الثالث ترمز إلى زيارة النسوة لقبر الرب يسوع المسيح فجر اليوم الثالث بعد صلبه وموته ودفنه، واللواتي عند إقترابهن من القبر رأين ملاك الرب النازل من السماء ليخبرهن قائلا: " لا تخفن أبدًا، إنّي أعلم أنكنّ جئتنّ تبحثن عن يسوع المصلوب، إنه ليس هنا، إنه قد قام كما سبق وقال لكم.، تقدّمن وأنظرن المكان الذي كان قد وُضع فيه جسده. أسرعن وأبلغن تلاميذه أنه قد قام من بين الأموات (٥٧)، النسوة وهنّ مملوات بالفرح ركضن حاملات البشرى الجديدة السارة. جرت العادة لدى الآشوريين أن تُخلد نساؤهم هذه الأحداث بمراسيم مشابهة والحزن يملؤ قلوبهنّ. بعض من المؤمنين قاموا بوضع الشموع مضيئة على قبور أحبائهم الراقدين في هذه المقبرة مع ترديد العبارة التالية: " الراحة الأبدية أعطهم يارب ونورك البهي ليُشرق عليهم." .

خلال أيام العزاء التالية راجعت مخيلة سورما موجة عارمة من الذكريات: تذكرت الساعات الطوال التي قضاها رابي براون معها لتعليمها وتثقيفها، وتناول وجبات الطعام سوية، والمحادثات والمناقشات الكثيرة وباللغة الإنكليزية، والسفرات والمناسبات وما إليها. إنها تذكرت أيضًا النوادر والطرائف المتبادلة، والإشاعات التي تناقلها أهل قوجانس عندما بلغت (سورما) سنّ الزواج أي العامين ١٨٩٥ و١٨٩٦، موقف رابي براون تجاه تلك الإشاعات لم يكن موقف اللامبالي. إنه كان يقظًا تجاهها. إنه عمل لجعل التعليم والثقافة التي أعطاها لسورما الشابة الحسناء أن يكونا خير برهانٍ لإستحالة تحقيق أيّ زواج بها. هذا بالإضافة إلى ما كان يتميز به كشخصية غربية عن مجتمعها. من المحتمل أنه قد حصل مرّة ما أن أقترح براون على رئيس أساقفة كنتربري تحقيق زواج سورما بأحد الأنكليكان، وقد يكون هذا الأقتراح إشارة خفية لأن يكون هو نفسه الأنكليكاني المقترح، لكن رئيس الأساقفة عارض الفكرة جملة وتفصيلا ومنذ اللحظة الأولى، حيث لم يكن يرضي رئيس الأساقفة أن يقوم مبعوثه للتبشير بتعاليم دينية مسيحية، بعمل مخالف لمبادئه. لهذا السبب ترك الموضوع بأكمله جانبًا. كان ذلك عندما قرّرت سورما عام ١٨٩٧ وبصورة نهائية أن تكرّس ذاتها لحياة شبه رهبانية ولخدمة الدين، مرتضية بحياة العزوبية مدى حياتها. بكت

"ربنيثا" (الراهبة) سورما يوم وفاة رابي براون كثيرًا وذرفت الدموع عليه غزيرةً لأنها كانت ترى فيه قديسًا وضع حياته كلها في خدمة شعبها.

لم تستطع إدارة الكنيسة الأنكليكانية أن تجد بديلا كفوءًا عن رابي براون الذي عاش حياة زهد وتقشف حقيقيين مدهشين في أصقاع كانت الحياة فيها قاسية وخشنة جدًا. قلة من الناس تستطيع الإستجابة لدعوة كهذه وتحمل مسؤولياتها وإنجاز مهامها. القرار النهائي لتسمية بديل للمرحوم براون تحدّد بإرسال أحد الكهنة الموجودين حاليا ضمن البعثة للإقامة قرب المقر البطريركي لبضعة أشهر (بصورة مؤقتة) بعد ذلك يستبدل بآخر وهكذا دواليك.

بعد الأحداث المحزنة، عاد السيد جورج ريد إلى إنكلترا متخليًا عن فكرة إرتسامه كاهنا أنكليكانيا. بعد العودة قام بمتابعة دراسته للطب. بعد إتمام الدراسة عاد ثانية إلى المنطقة لكنه في هذه المرة أقام في قرية "بيبادي" كمسؤول دائم. بعد سنوات من الإقامة الثانية في ربوع بلاد ما بين النهرين، تحققت نتائج طبية وتقدم موفق لنشاطات الكنيسة الأنكليكانية. في الحادي والثلاثين من آب عام ١٩١٤ وصلت مقر البعثة الأنكليكانية رسالة من القنصل العام البريطاني المقيم في بغداد تفيد أن على أعضاء البعثة التخلي عن كل مهامهم فورًا وترك الأراضي العثمانية دون تردد أو تأخر. قرر السيد ريد وزميله "ماك جيلي فيري" المغادرة الفورية إلى أورميا عن طريق قوجانس. ومعهما بغلان محملان بالمؤونة الضرورية لهذه السفرة الشاقة. لما وصلا قوجانس، تحسسا معالم تغيرات كبيرة في تصرفات السكان تجاههم. كان الوضع العالمي في إضطراب متزايد، وهذا مما أثر تأثيرًا كبيرًا في النفوس فافسد العلاقات بين الجيران القريبين. الأتراك أصبحوا غير قادرين على الموافقة على تواجد الأجانب على أرضيهم. الآشوريين أجبروا على قطع علاقاتهم بالأنكليكان حفاظا على سلامتهم وتجنبا لأيّ إشكالات مستقبلا وخوفا من أن تحاك ضدهم مكائد مؤذية استنادًا على علاقاتهم القوية والراسخة التي تأسست بينهم (كآشوريين مسيحيين) وبين الأنكليكان (كمسيحيين غربيين). عند لقاء البطريرك بالسيد ريد، أبلغ البطريرك أنّ ساعة الفراق قد جاءت وناقوس الخطر يقرع، فلا مجال لبقاء البعثة في حكاري. لا مكان للعواطف بعد اليوم. ما بقي في اليد هو بعض التأسفات والآهات المكتومة بانت آثارها على وجه سورما الحزين رغم تقاطيعه الجدية الحازمة. بهذا وُضعت النهاية لكل تلك النشاطات المشتركة التي حققها الجميع بروح أخوية وتعاون مثمر. تفهم السيد ريد كل هذه الحقائق بقناعةً تامة وتأكد أن وجوده أصبح غير مرغوب به بعد اليوم. فغادر تاركا وراءه ذكريات لا تنسى، وشعب يعيش تقاليد توراتية وقلب ملؤه الآمال العريضة والرجاء الراسخ بفجر مشرق قريب. بعد الوصول إلى أورميا استلم ريد رسالة، وكان ذلك في اليوم السابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٤ تتضمن أمرًا ينصّ عل ضرورة المغادرة الفورية. فقرر التوجه إلى موسكو برفقة زميله. من هناك يكون التوجه نحو بطرسبورغ وثمّ إلى بيركن التي

منها أبحرا إلى نيوكاسل فحطا فيها الرحال، تمّ ذلك يوم ١٤/١٢/١٩١٤ .

عند قراءة بعض ما كتبه رئيس أساقفة كنتربري عن الأحداث التي ذكرناها مؤخرًا سنتحسس الحزن العميق والجرح الكبير الذي أصاب قلبه من جرائها. فيما يلي بعض مما كتب: " إني أشكر الله الذي ساعد الجميع على العودة والوصول بسلام بعد قيامهم بمهام جسام وسط حياة ملغومة بمكائد قاتلة. ترى ما سيكون مصير بعثتنا مستقبلا؟ لا أحد يستطيع التكهن بذلك الآن[٥٩]. بهذه العبارة ختم رئيس أساقفة كنتربري صفحة تاريخية للبعثة الأنكليكانية لدى آشوريي حكاري. يومئذٍ لم يكن هناك من يستطيع أن يتنبأ بأنّ هذه البعثة ستفتح أبوابها ثانية في تلك الربوع الحصينة.

٤ . فصل الشتاء خلال عامي ١٩١٤ و ١٩١٥ أفول يظهر في أفق آشوريي حكاري بوادر حرب عالمية

خلال هذه الفترة المفصلية من حياة العالم والمجتمعات البشرية، كان تصرّف الآشوريين يعكس بكل وضوح أهمية الظروف السائدة آنذاك، منها العمل لتقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية دون رحمة. في عام ١٩١١ أنزلت السفن الحربية الإيطالية مراسيها في مدينة طرابلس الليبية (شمال غربي ليبيا) إضافة إلى إحتلالها جزيرة رودس. بموازاة هذه الأحداث. تشكلت حكومة في تركيا بزعامة: جمال باشا وأنور باشا وطلعت باشا. شددت هذه الحكومة الخناق بتسلط غاشم. جراء هذه السياسة كانت حصة جماهير الرايا من الآشوريين (الجماهير الآشورية التي لا تتبع نظام العشيرت) المزيد من التعسف والظلم المركب التركي الكردي. كرد فعل أعاد البطريرك مار شمعون بنيامين الكرّة في عام ١٩١٣ لطلب المساعدة من السلطات الروسية. حكومة القيصر الروسي استجابت هذه المرّة للطلب وقررت إرسال رئيس البعثة التبشيرية التابعة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية المقيمة في أورميا إلى قوجانس. كان رئيس الكنيسة الروسية آنئذٍ البابا " سيركي "، أجل موعد الزيارة مرات عديدة بسبب التخوّف من إيقاظ الانتباه التركي وزيادة الشك في إخلاص الآشوريين. إبتداءً بخريف عام ١٩١٤ أخذت الجماهير تتوقع المزيد من الشرور بعد وضعها في دائرة الإتهام أمام أنظار السلطات والدوائر المختصة العثمانية واستنادًا على طموحهم لتحقيق استقلالهم الناجز إضافة إلى علاقاتهم المشبوهة مع المبشرين الإنكليز وعملهم الفصلي المنتظم والمستمر في المدن الروسية. كل هذه البينات أعتبرت براهين ساطعة وأسبابا وجيهة لتنامي الريبة. بلغ الشك بإخلاص مواطنة الآشوريين حده الأقصى أمام أنظار العثمانيين عندما استدعيَ البطريرك مار شمعون بنيامين للحضور أمام الوالي تحسين باشا للتحقيق معه في " وان" في اليوم

الثالث من آب عام ١٩١٤ . جرى التحقيق خلال مقابلة البطريرك للوالي وكان على شكل مناقشة طويلة جرت بين الرجلين. الإهتمام الرئيسي للبطريرك أثناء المقابلة تركز على ضرورة ضمان سلامة وأمن جماهير المؤمنين التابعين له؛ بينما بالنسبة للوالي فكان التركيز على ضرورة ضمان حيادية البطريرك وجماهيره المستند على وعد يقطعه البطريرك مؤسس على عدم التحالف مع الروس في حالة دخول تركيا الحرب ضد روسية القيصرية. البطريرك وافق على العرض شرط أن الأتراك بالمقابل يقطعون الوعود لأن يكون لهم موقف مشابه تجاه الحفاظ على أمن وسلامة كل المسيحيين عامة والآشوريين خاصة. تمّ الإتفاق بحذر بالغ. بعد عودة البطريرك من مقابلة الوالي، وجه رسائله إلى جماهير الرايا من المسيحيين الآشوريين يطلب منهم تأدية واجباتهم تجاه السلطات التركية بدقة تامة إيفاءً بشروط الإتفاق الإستراتيجية الموضوعة للتنفيذ، والتي كانت تهدف أولا إلى البرهنة على إخلاص وأمانة الأتراك في الحفاظ على وعودهم ورغبتهم الصادقة في تنفيذها بحذافيرها وثانيا وضع الأسس الثابتة لحيادية الآشوريين. عند ذاك سيكون الأتراك ملزمين بتوفير الحماية الحقيقية، وتحلّ كل العقد ومشاكل عدم التفاهم القائمة بين الجانبين.

نظرًا لأن بريطانيا العظمى وروسيا القيصرية كانتا تُجسّدان العدوين اللدودين للسلطات العثمانية، ازدادت الإزعاجات ومنغصات الحياة للطوائف المسيحية فأصبح تراكم الهموم شأنا يوميًا. بحلول شتاء عام ١٩١٤ بلغ الوضع السيئ ذروته، وكانت البداية فترة ساد فيها الوضع الغامض والعزلة التامة للآشوريين أبناء الجبال. فلا هناك قانون سائد ولا نظام يطاع. عوضا عن ذلك ساد التسيب واختلال الأمن في كل ربوع حكاري وأخذا بالنمو والازدياد. سماء قوجانس والأطراف المحيطة بها تلبدت بغيوم الشؤم التي سرعان ما انفجرت عاصفة هوجاء ودمارًا وخرابًا. في "وان" أقيل الوالي تحسين باشا الذي يعتبر من المعتدلين وعين عوضه جودت باشا، نسيب أنور باشا. في اليوم الحادي والثلاثين من تشرين أول عام ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب إلى جانب المانيا ضد كل من فرنسا وبريطانيا العظمى. في اليوم الثالث من تشرين ثاني من نفس العام أعلن الروس الحرب على الأتراك. بذلك اشتعلت فتيلة حرب عالمية أما السبب فكان منازاعات دولية محدودة. أول معركة وقعت بين الروس والعثمانيين كانت معركة "سركاميش" الواقعة شمالي بحيرة وان وكان ذلك في شهر كانون أول عام ١٩١٤، النصر الذي تحقق من خلالها لم يكن واضح المعالم، فروسيا سمحت لقواتها بالتقهقر وإعطاء المجال للقوات التركية الكردية للإنتشار في الجهات الشمالية الغربية من بلاد فارس. التراجع الروسي أدّى إلى تبعات ونتائج خطير مروّعة ظللت الجماهير المسيحية. الجماهير الفوضوية أخذت تنحدر من الجبال متجهة في البداية نحو تيركاور /تيركافار، بعد ذلك اتجهت إلى سهل أورميا. القرى المسيحية الواقعة على الطريق أحرقت تمامًا والسكان الذين إستطاعوا الهرب لاذوا بالفرار الباقون ذُبحوا عن بكرة أبيهم. من هذه القرى نذكر "أنهر"

وعلواج" /Anhar & Alwaj.

إعتمدت السلطات التركية في معاركها التالية على إنتفاضة عارمة انتشرت بين صفوف الشعوب الإسلامية، غرضها شحن الهمم. أوكلت مهام تنظيم تلك الإنتفاضة إلى العنجهية القومية والإسلام المتزمت فقاما بالمهمة على أحسن وجه وبإفراط كبير. هذان التنظيمان كانا الدعامتين القويتين والأساسيتين اللتين استندت عليهما السلطات العثمانية لدعم وترسخ سطوتها. في الثالث والعشرين من تشرين الثاني من نفس العام (١٩١٤)، أعلن شيخ الإسلام، الذي هو أعلى سلطة دينية في النظام العثماني ويلي الخليفة/ السلطان منصبا؛ الحرب المقدسة (الجهاد). تأسس إعلان هذه الحرب على الفتوى الصادرة من هذا المرجع الديني الأعلى وكانت تتألف من خمسة أجزاء. وفق هذه الفتوى دُعيت كل جماهير المسلمين إلى المشاركة في هذه الحرب المقدسة، كما أنها مكنت من تنظيم مذابح جماعية باعتبار أنّ ذلك من الأمور المشروعة يستطيع المسلمون القيام بها دون تحمّل وزر خطية ما ودعت أيضًا كل المسلمين الساكنين في الأقطار المعرضة لأعتداءات الدول المعادية مثل روسيا وفرنسا و إنكلترا للتشاور والإتفاق مع العثمانيين لتنظيم مقاومتهم ومساهمتهم في هذه الحرب نظرًا لأن تلك المساهمة هي من أولى الواجبات الدينية المفروضة على الجميع وحتى في حالة الإضطرار بالتضحية بالنفس والنفيس(٦٠). استجابت جماهير المسلمين في حكاري وتلك القاطنة في المناطق الشمالية الغربية من بلاد فارس لنداء الجهاد. ها هي الفرصة المنتظرة، ها قد إندلعت الحرب العظمى، أوارها أخذ يُحرق الأخضر واليابس. نتيجة لذلك أجبرت الجماهير الآشورية المعزولة عن العالم على الدخول معترك هذه الأحداث التاريخية دون رغبة منها والتي كان من الصعب جدًا السيطرة عليها. لم يكن في مقدور الجماهير الآشورية التفاعل مع الهزّات العنيفة التي تصيبها أو تواجهها بقوتها الذاتية والقدرات المتوفرة لديها.

كتب عن الوضع آنذاك نائب القنصل العام الروسي المقيم في أورميا "باسيل نيكيتين" مؤكدًا أنّ أراضي هذه المناطق كانت قد أصبحت في موقع رهان يتنافس عليه الكثيرون فقال: "فور إعلان تركيا الجهاد، أصبح الوضع خطيرًا في مناطق كردستان ودخلت تركيا الحرب في شهر تشرين ثاني من العام ١٩١٤، على أثر ذلك حصلت مجازر مروّعة شملت النساطرة الساكنين في منطقة "الباغ" (الباش قلعة). عن إحدى الرسائل المتبادلة بين طاهر أغا الدوسكي وسيتو أغا الأوراماري نقل نائب القنصل النصّ التالي: "يجب علينا نحن جميعا أي معنا سكان أورامار القيام بهجوم كاسح على سكان القرى المسيحية التي لا زالت باقية (سالمة) في منطقة دزّ. إنشاء الله سنبيدها عن بكرة أبيها" (٦١).

مقدمات المأساة الكبرى

شهادة سورما

توالى ورود الأنباء السيئة التي كانت تصل إلى أسماع البطريرك وإلى أسماع أفراد عائلته، كانت على الأغلب تفيد أنّ الأوضاع لا تبشر بأي خير بسبب ما كانت تنقله من أخبار عن الشرور الجسيمة والجرائم المهولة التي حصلت [٦٢] أو على وشك الحدوث. في تشرين أول من عام ١٩١٤ وصلت أولى الأخبار التي تفيد أنّ: "حوالي الخمسين شخصًا من مسيحيي كاوار أقتيدوا مكبلي الأيدي إلى الباش قلعة. هناك تمّ إعدامهم ظلما."، وأنّ القرى الواقعة شمالي "بَرّوَر" نهب الأكراد بيوتها وسرقوا كل الأثاث وحتى جواريب الأطفال، وخبر آخر أفاد أن أحد الشمامسة قاسى أبشع أنواع العنف دون رحمة أو شفقة إذ وضعوا الجمر الملتهب في فمه وهو حيّ أما التهمة فكانت عدم الإشتراك في استقبال وتحية الجنود العثمانيين الذين وصلوا المنطقة علما أنّ الأوامر النافذة كانت تستثني خدام الكنيسة من الواجبات المدنية. بناء على الأوامر الصادرة من ضباط القوات العسكرية كانت النساء تؤخذن سبايا دون تحفظ أو إهتمام. هذه كانت الحالة مع إثنتين من الشابات الجميلات من قرية "ليبّيل" / Lyil إحداهن صرخت دون تحفظ متوسلة وطالبة إطلاق سراحها لأنها أمّ لطفل رضيع ولها زوج. قتلت هذه الأم الشابة أمام أنظار كل المشاهدين، بسبب صراخها وعدم إستجابتها للأوامر. أما الثانية فقد جنّ جنونها وألقت بنفسها في أعماق مياه أحد روافد نهر الزاب المزبدة الجارية في أطراف موقع الجريمة. قصد الكثير من أبناء القرى المسيحية قوجانس طلبًا للعون والحماية من البطريرك الذي لم يكن في استطاعته توفير ذلك العون أو تلك الحماية.

جاء فصل الشتاء مبكرًا عام ١٩١٤. في اليوم الثالث عشر من تشرين ثاني تساقطت الثلوج كثيفة، على أثر ذلك، وصلت قوجانس إمرأة حاملة طفلها الذي لم يكن عمره يتجاوز شهره الثالث. وكانت حافية القدمين ودون غطاء على الرأس، جاءت من قريتها التي كانت تبعد عن المقر البطريركي حوالي الثلاث ساعات، جاءت مشيًا على الأقدام. أعدت سورما فور وصول المرأة وطفلها بعض الشراب الساخن. عند وصول المرأة، كان الطفل قد تجمدت أعضاؤه وانقطعت أنفاسه لأن حرارة جسم الأم لم تكن كافية لتدفئته. تأثرًا بالموقف وتحسسًا بالآلام التي عانتها الأم المظلومة إندفعت بانفعال شديد تروي قصتها التالية:

"بينما كنا نحاول النوم في أسرّتنا، وصلت قريتنا فرقة من الجنود الأتراك الذين كانوا في طريقهم إلى جولاميرك. طلبوا منا الطعام وبعض الملابس تدفئهم وتقيهم زمهرير العاصفة كما طلبوا أيضًا جواريب وقبعات صوفية، لأن ملابسهم كانت رثة ولا تكفي لتدفئتهم. استجبنا لطلباتهم دون تردد. بينما كنتُ أعدّ لهم الطعام، سمعتُ إمرأة من قرية مجاورة تصرخ وتستغيث، بعد ذلك سمعتُ صوت

رجل يصرخ ويقول: "إني خادمكَ، أرجوكَ أن لا تأخذ زوجتي" بسبب هذا الموقف الحرج دخل زوجي المكان الذي كنتُ فيه أعدّ الطعام وصرخ منفعلا: "هيا أسرعي وتواري عن الأنظار" هرولتُ نحو مهد الطفل وأرخيتُ الأقماط وتناولتُ الطفل بين أحظاني وغادرتُ البيت وأنا أركض بكل قوتي حتى وصلتُ إلى هنا ودون أن أعلم أيّ شيء عن مصير الآخرين. عند هذا المقطع من قصتها كان الانفعال قد تملكها تمامًا فأخذت تبكي وتنوح مدة طويلة. قصة هذه المرأة الآشورية تذكرنا بسفر أيوب في العهد القديم التي تُحدثنا عن رجل إسمه أيوب. كان أيوب رجلا وافر الغنى، يعيش في نعمة ورخاء خياليين. في البداية أصابته خسارات فادحة من جرائها فقد كل ما يملك. بعد ذلك اختطف الموت كلّ أولاده. أخيرًا أصيب بأمراضٍ مؤلمة؛ لكن أيوب لم يتزعزع إيمانه بقدرة الله الخالق ولم ترد على شفتيه أيّ عبارة تذمر أو عتاب للتدبير الإلهي. تحمل أيوب الضيق والمصائب وآلام المرض بصبر وجلدٍ عجيبين وبقي أمينا لعقيدته وإيمانه بالله.

في اليوم الرابع عشر من تشرين ثاني من عام ١٩١٤، وصل قوجانس أحد المجندين من القرويين. مهتاجا وقد تشوش عقله فسأل: "كيف يُمكن أن يُغتال الشماس يوحنان وولده بوحشية وظلم منقطعي النظير؟ إنهما قد أغتيلا بأيدي أحد الأكراد، ممن يعملون في خدمة السلطات العثمانية رسميًا. ورغم أنّ الثاني (الشماس) هو أيضًا من طبقة الموظفين العاملين أي انه هو أيضًا في خدمة الدولة. كان الشماس يوحنان موظفا ممتازًا ومحبوبًا من قبل الجميع. إحتياطا وتحذّرًا من الأحداث المتكررة والظلم المستشري، قام البطريرك بإرسال مبعوثه الخاص للتجوّل في المنطقة للإطلاع على الأوضاع الفعلية وإبلاغها له. عاد المبعوث بأخبار سيئة رواها بكل تفصيل للبطريرك. فقال: "لقد تمّ قتل كل الرجال من المسيحيين. النساء والأولاد سُجنوا، البيوت نهبت. هذا هو مصير كل المناطق التي يسكنها المسيحيون دون إستثناء. إنّ ما رأيته هو صورة طبق الأصل لما حدث أيام "النكبة العظمى"، ليرحم الله أنفس الشهداء الأبرار ويمنحهم النعيم الدائم ولنسأله المجيء السريع إلى عوننا. إننا في خطرٍ عظيمٍ.

عند سماع البطريرك والحاضرين كل هذه الأخبار السيئة عملوا إشارة الصليب. بعد فترة وجيزة جاء دور قوجانس الذي ابتدأ بمجيء بعض الأكراد الذين كانوا لا يزالون يحملون في قلوبهم بعض آثار روابط صداقة قديمة ومحبة وتقدير خاص للبطريرك وعائلته، ليبلغوه أنّ توقيفه غدا قريبًا، ونظرًا لخطورة الموقف جاؤا إليه لمناقشة الأوضاع السائدة. آنئذٍ كان المجلس البطريركي في حالة إنعقاد دائم صباحا ومساءً. خلال الإجتماع لم يكن يُسمع من الحاضرين إلاّ السؤال التالي: "ما العمل ولا من معين لنا، الأوضاع تزداد سوءً يوما بعد يوم؟

المناطق الأخرى مثل: ديار بكر كانت هي الأخرى مسرحًا للإعتداءات والنهب والإغتصاب. أسباب تكرار هذه الحوادث أصبحت معلومة لدى الجميع. كل ما يحدث هو بمعرفة السلطات والقادة

العسكريين الكبار وبموافقتهم الرسمية والشخصية أو بموجب أوامر صادرة عنهم. الرأي العام السائد لدى المسلمين هو أنّ الأقليات المسيحية الواقعة تحت التسلط العثماني هي أقليات غربية/ أجنبية. موقف الحكومة الرسمي كان موقفا سلبيا رغم علمها المفصّل بكل الأحداث الجارية والمجازر ومن يقوم بتنفيذها.

إخلاء قوجانس

قام البطريرك مار شمعون بنيامين فور سماعه تفاصيل الأوضاع التي جاء ذكرها في أعلاه مع أخته سورما بإبلاغها إلى الدوائر المحلية ووالي "وان"، لكن وبالرغم من كل الجهود المبذولة والإلحاح المستمر لجلب الإنتباه إلى ما يجري وطلب التدخل الرسمي لإيقاف المجازر، لم يستجب أحد ولم يحظ الآشوريون بتطبيق العدالة التي يستحقونها المضمونة في بنود الدستور ولا حتى برسالة يُرسلها المسؤولون لتطييب الخواطر ولتشد من أزر المظلومين. بقي الآشوريون في عزلتهم التامة القاتلة مهمشين منسيين. في شهر آذار من عام ١٩١٥ أرسل البطريرك رسالة رسمية إلى القنصل الألماني المقيم في الموصل –السيد هولشتاين– يحتج بها على كل ما يجري ويطلب منه التدخل السريع لإيقاف الجرائم المرتكبة بحق شعبه الآشوري... الدبلوماسي الألماني حاول التدخل وبعث البرقيات العديدة إلى الجهات الألمانية المختصة [٦٣] لإتخاذ الإجراء اللازم، لكن الجهات المعنية سدّت آذانها ولم تُظهر أيّ بادرة أيجابية ومضت في تطبيق سياستها المؤسسة على ضمان مصالحها الخاصة فقط. خلال شهر شباط من عام ١٩١٥ وصل إلى المقر البطريركي في قوجانس "ملك إسماعيل" رئيس عشيرة تياري العليا ومعه (٦٠٠) من رجاله الشجعان للتداول في ما يجب عمله. وافق البطريرك بعد التداول مع مجموعة من الملكة (رؤساء) العشائر الآشورية على إخلاء قوجانس، بموجب القرار أخليت قوجانوس من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة فأرسلوا برفقة الملك إسماعيل إلى منطقة عشيرة تياري العليا وبحراسة (١٠٠) مسلح من الآشوريين الشجعان. أما البطريرك فارتأى البقاء في مقره بحماية (٥٠٠) مسلح آشوري رغم كونه محاطا بالأعداء الظالمين. غادرت القافلة باتجاه الهدف سيرًا على الأقدام وبحراسة المسلحين المرافقين. كانت الطريق شاقة جدًا ووعرة وكثيرة الألتواءات، طولها جاوز الأربعين كيلومترًا، اغلبها كان طريقًا غير سالكة وصعودًا مستمرًا نحو القمم العالية. بعد مسيرة طالت مسافة بعيدة عن قوجانس، وصلت القافلة إلى الموقع المعروف بـ "جمبا د ملك" حيث يقع الملجأ الذي يقيم فيه ملك إسماعيل والواقع قرب الحرم الشهير "مار ساوا"، المشيد على ذروة جبل أشم، يقع هذا الجبل على الضفة اليسرى من مضايق نهر الزاب الشديدة الإنحدارات. كان برفقة القافلة سورما وزوجة أخيها أستير مع ولديه تيودور وارينا. إنهم قد شاركوا في هذه الرحلة الشاقة وذاقوا طعم التهجير القسري المرير. وصلت

القافلة هذه المنطقة للإقامة فيها باعتبار أنها منطقة أكثر أمانا ومنعة على الأعداء. لكن، بعد قطع كل هذه الطريق الوعرة التي أدمت الأرجل وأجهدت الجميع خاصة لأن أغلبيتهم كانت من النساء والأطفال والعجزة والمسنين. هنا إلتقت سورما بأختها رومي التي تزوجت منذ العام ١٨٩٩ بأحد أبناء ملك إسماعيل المدعو "دانيال". قرار البطريرك البقاء في قوجانس لم يدم طويلا ولم يصمد أمام التطورات السيئة والأحداث المتفاقمة الأخطار. لذلك اتخذ قرارًا آخرًا مغايرًا بقلب ملؤه الحزن والأسف. كان أتخاذ ذلك القرار في الخامس عشر من آذار من عام ١٩١٥. وفقا للقرار الأخير، أخلى البطريرك المقر تمامًا وغادر متوجها إلى أحد الوديان الصغيرة في منطقة "دزّ" حيث تقع قرية صغيرة بنفس الإسم. لم يكن هذا الوادي بعيدًا عن المقر القديم في قوجانس. نهاية الوادي كانت تُشرف على الضفة اليسرى من نهر الزاب الكبير. عدد القرى الموجودة في ذلك الوادي كان سبع قرى، إلى جانبها كان هناك عددًا مشابها من الضيعات. الموقع الجغرافي لهذه المنطقة هو شمال غربي جبال "جيلو داغ" أبناء هذه القرى كانوا تقليديًا المسؤولين عن حماية البطريرك وسلامته.

دخول الآشوريين العشيرت خضم الحرب

في اليوم الثاني عشر من شهر نيسان عام ١٩١٥، حصل حدث جسيم في قرية دزّ غير مجرى تاريخ شعب صغير مسالم عرف بـ "الشعب الآشوري". حصل هذا الحدث عندما أجتمع كل وجوه الشعب الآشوري ورؤسائه (الملكي) مدة خمسة أيام متتالية في أحد البيوت لأتخاذ قرار حاسم وخطير تمامًا كما حدث قبل ستين عاما. كان ذلك في عهد المثلث الرحمات مار شمعون أوراهم الذي اجتمع بوجهاء الشعب والملكي (رؤساء العشائر) في عهده فتداولوا وتدارسوا أوضاع الآشوريين آيامئذ واتخذوا قرارهم الحاسم والمعارض لمواقف أمير حكاري نور الله بيك رئيس إحدى القبائل الكردية ذي الأطماع الشريرة وأخذ يتصدى لمحاولاته الهادفة فرض سطوته وظلمه على المنطقة كلها. هكذا اليوم نرى البطريرك مار شمعون بنيامين مضطرًا على إتخاذ موقف محدّد وصريح من الأحداث طالما هو المدافع الأمين روحيا ومدنيا عن شعبه الذي كان يزيد عدده على (١٠٠٠٠٠) نسمة. إتخذ البطريرك مع جميع الحاضرين قرار إعلان الحرب على الحكومة العثمانية فأرسل رسالة رسمية إلى والي "وان" وقعها ممثلون عن كل العشائر أي عشيرة تياري بجناحيها وعشيرة تخوما وجيلو وباز وأشنازين وديز (دزّ). الموقعون على الرسالة قالوا: "بسبب المذابح الوحشية والتهجير القسري للمسيحيين إخوتنا نرى أنفسنا ملزمين على قطع علاقاتنا مع الباب العالي". هذا القرار كان يعني دون شك دخول حرب مشؤومة. كما أنه دفع بقرائح الأدباء والشعراء والمغنين فألفوا وأنشدوا الأناشيد القومية التي توقظ الهمم وتبعث الحماسة في قلوب الآشوريين الشجعان دببة الجبال المنيعة. من الذين كتبوا قصائد من هذا النوع نذكر بالأديب الشهير شماشا أبرم السارائي

من ماميدائي الذي كان يسكن قرب وان. لقد انتشرت تلك الأناشيد والأغاني القومية بين جماهير حكاري انتشار النار في الهشيم. متنقلة من عشيرة إلى عشيرة ومن قرية إلى أخرى. مدحت تلك الأناشيد والأغاني البطريرك وإخوته وبنت البيت البطريركي الشهيرة سورما فوصفتها بسيدة البيت المبارك سليلة العائلة الشريفة. لقد أشعلت تلك الأناشيد الحماسية جذوة الشعور القومي وبعثت الشجاعة وشجعت على التضحية كما أنها أدت إلى توحيد الشعور القومي وتوثيق الروابط القومية بين أبناء الشعب بعد إنصهارهم في بودقة الحرب الضروس. توطدت العلاقات المؤسسة على القصص التاريخية التي تحكي ماضي بلاد ما بين النهرين الذي يعتبره الآشوريون مرساة وجودهم ومنه يستمدون مشروعية قيام كيانهم وجذور أصولهم. من خلال ذلك الماضي العريق وتاريخه المجيد يمكن التعرف على أعمال وإنجازات ملوك الآشوريين ومجد نينوى العاصمة الشهيرة أمّ العواصم ومربض الأسود. جرت العادة عند الآشوريين أن ينظروا إلى نينوى وكأنها الأم الحنون وعلى الجميع الإستجابة لندائها المتمثل بتدبير مار شمعون الإبن البار. في أدناه سنقرأ بعض ما تقوله هذه المدينة الأسطورة مناجية شعبها (٦٤).

هيا انهضوا يا إخوتي وألقوا عنكم ثياب الكسل، إستيقظوا من غفوتكم، صوّبوا البنادق إلى صدور الأتراك وقاتلوا ببسالة حتى يتحقق النصر.

ها هو الفجر يُشرق، ها هي ساعة المواجهة قد أزفت هيا نواجه الأعداء.

هيا إلى الأمام نسير، وتحت لوائك وباسمكَ سنقاتل يا مار شمعون.

هيا انهضوا يا رؤساء ويا أمراء يا أيها الملكي (ج. ملك) أنتم الذين أختاركم الرب الإله.

تعالوا استلموا قيادة جيشنا الساهر واذهبوا به إلى ربوع أرض الأجداد.

عندئذٍ سترجع الجبال صدى أطلاقات بنادقكم فتسمع رعدًا مخيفا وقصفا رهيبًا.

إلى الأمام سنبقى نسير وتحت لوائكَ وباسمك سنقاتل يا مار شمعون

وقوفا يا ربابنة، وقوفا يا أيها الملكي، كونوا مقاتلين حقيقيين اسودًا شجعان، كما كان ملوكنا في قديم الزمان.

هيا تهيئوا وعبؤا مدافعكم. هاهيّ أيام القتال البطولي قد لاح فجرها في الأفق

إلى الأمام سنبقى نسير وتحت لوائك وباسمكَ سنقاتل يا مار شمعون.

في وسطنا تنتصب سورما بقامتها الفارعة، إنها إبنة أبينا المبارك،

منذ نعومة أظفارها تغدق النصائح البصيرة دومًا على إخوتها،

من الآن فصاعدًا، علينا جميعا وحتى الصغار منا حمل القوس والسهام،

إلى الأمام سنبقى نسير، وتحت لوائك وباسمك سنقاتل يا مار شمعون

وأنتم يا شبابنا ويا عشائرنا الشهيرة بين شعبنا هيا إتحدوا، ولنقم بينكم روابط الإخوة

المشدودة بوثاق المحبة والشجاعة والحماسة.
فهل يجوز لنا أن نسمح لقوجانس المحبوبة أن تصبح قرية ذليلة بين مخالب الأعداء.
إلى الأمام سنبقى نسير، وتحت لوائك وباسمكَ سنقاتل يا مار شمعون.
يا شباب شعبنا هيا إتحدوا وكونوا إخوة شجعان ومغامرون أبطال.
أنتم يا أبناء تياري وجيلو، يا أبناء تخوما وباز أصغوا واسمعوا قرع الطبول
وهي تنادي: هيا إلى القتال، هيا إلى القتال!
إلى الأمام سنبقى نسير، وتحت لوائك وباسمك سنقاتل يا مار شمعون.
قائدنا داوود [٦٥] البطل الجسور عند إحتدام وطيس القتال، إنه الربان المنظم لصفوفنا يوم النزال
سيذهب بخطواته الوطيدة ويواجه الأعداء ويقودنا كالشمس ينير نهارنا وقمر ينير ليلنا
إلى الأمام سنبقى نسير، وتحت لوائك وباسمك سنقاتل يا مار شمعون
هيا إلى ساحات الوغى، ولنكن أسودًا هائجة بين جبالنا الحبيبة.
قلوبنا خفاقة للألفة وأنظارنا مصوّبة نحو سهل الموصل الخصبة
عاصمتنا نينوى الحبيبة ستجمع أبناءها وفلذات كبدها.
إلى الأمام سنبقى نسير، وتحت لوائك وباسمك سنقاتل يا مار شمعون
على ضفاف دجلة تمتدّ حدود نينوى العظيمة، أسوارها العتيقة
ستكون زينة أكاليل رؤوسنا وتيجاننا
الآشوريون هم الوحيدون القادرون على إثبات أصول قوميتهم.
إلى الأمام سنبقى نسير وتحت لوائك وباسمك سنقاتل يا مار شمعون
لنستمع لهتاف شعبنا ولنصخ السمع لنداء أمنا أمة آشور
أصغوا أيها الشباب، ها هي تناديكم كلّ واحدٍ باسمه.
الطوبى مدى الأجيال لكل من يستجيب لهذا النداء
إلى الأمام سنبقى نسير، وتحت لوائك وباسمك سنقاتل يا مار شمعون
....

كانت أولى المعارك قرب جسر "ديز"، بعد أن تمّ إحتلال جولاميرك من قبل القوات الآشورية. استقبل البطريرك مار شمعون خلال شهر أيار عام ١٩١٥ مبعوثا من قبل قائد القوات الروسية في أذربيجان الذي جاء ليبلغه بانتصار القوات الروسية وتحرير "وان" وأورميا. لقد جازف مار شمعون بنيامين بحياته خلال سنوات بطريركيته مرارًا عديدة عندما كان يقوم بسفرات إلى بلاد فارس ومنها تلك التي قام بها خلال الأشهر حزيران وآب عام ١٩١٥. كان غرضه من تلك السفرات الحصول على السلاح. لكن الروس لم يكونوا في وضع يُمكنهم من تقدبم المساعدة المطلوبة التي جاء

البطريرك من أجلها، عندما كان لا يزال يقيم في جبال حكاري، الروس نفسهم كانوا آنئذ يكافحون من أجل الإبقاء على سلطتهم في سلامس.

حرب غير متكافئة

قامت القوات التركية – الكردية بهجوم عنيف على مواطن الآشوريين المنتشرة بين جبال حكاري خلال أيام فصل الصيف من عام ١٩١٥ وضربت حولها حصارًا شبه تام. قوجانس القرية المقدسة حوصرت أولا ثمّ دُمرت تدميرًا كاملا. سكانها من النساء والأطفال والشيوخ تركوها قسرًا وهربوا خوفًا من سيوف الجلادين أعدائهم كما سبق وبيناه آنفا، فتاهوا في الوديان والمضايق الموحشة حفاظا على حياتهم. حصل هذا الواقع المرير بينما كان الرجال من الآشوريين منشغلين بتعويق مسيرة العدو لتوفير الفرصة اللازمة أمام الجماهير الهاربة مذعورةً طلبًا للنجاة والوصول إلى ملاجئ آمنة. عند نهاية حزيران من نفس العام، قامت وحدات من الجيش التركي النظامي تعاونها جحافل من الأكراد المتحالفين معهم بهجوم كاسح على موطن عشيرة تياري السفلى. كان هذا الهجوم أول هجوم على هذا الموطن. قاد هذا الهجوم "رشيد بيك" الأمير الكردي لمنطقة البرواري السفلى تعاونه قوات من القبائل الكردية المتحالفة مع العثمانيين، المجهزة بالمدفعية الثقيلة والرشاشات الحديثة. لم يتوفر مقابل هذه الأسلحة الفتاكة بيد الأعداء للآشوريين سوى بنادق قديمة عملها بشكل منتظم كان يُعتبر شبه معجزة، أما الذخيرة فكانت تقتصر على أطلاقات قليلة سرعان ما كانت تنفذ. تقع مناطق سكن عشيرة تياري السفلى في الجهات الجنوبية الغربية من جبال الحكاري وعلى الضفة الغربية من نهر الزاب الكبير. مجموع قرى هذه العشيرة كان حوالي الخمس والعشرين قرية من ضمنها القصبة الشهيرة " أشيثا " التي كان يبلغ عدد نفوسها ما يزيد على الخمسة آلاف نسمة. رغم قوة وشجاعة زعماء الآشوريين ورجالهم الأبطال من أمثال زنخو د بيث هيبو ولازار إبن أشيثا البار، تمّ تدمير أشيثا القصبة وما حواليها من قرى تابعة لها وكذلك دُمرت القرى المرتبطة بـ "ساراسبيدون" و (١٥) كنيسة كانت منتشرة بين تلك التجمعات السكنية بعد نهب ما تحويه من نفائس المخطوطات وكتب صلوات احتفظ بها منذ أجيال قديمة. كل تلك النفائس سُرقت أو أتلفت. سكان هذه القرى هجروا عنوة إلى منطقة "جمبا د ملّك". لتنفيذ هذا التهجير لقسري إضطرّ المهجرون عبور جسر "جيماني" على نهر الزاب الكبير. بعد العبور أحرق الجسر رغبة لإبطاء وتعويق تقدم المهاجمين القتلة، أما الجسور الأخرى فتمّ تخريبها بالكامل. لما وصل الهاربون "جمبا د ملك" قامت سورما المرافقة للاجئين بإبلاغ البطريرك مار بنيامين بكل الأحداث بواسطة بعض الرجال الشجعان الذين خاطروا بحياتهم وذهبوا يحملون الرسائل.

فور إنجاز الأكراد إحتلالهم منطقة تياري السفلى بقيادة زعيمهم "إسماعيل أغا الأرتوشي" بدأ

الهجوم على موطن عشيرة تياري العليا واحتلالها. بعد كل هذه الهجمات والتدمير للقرى العامرة جاء دور سعيد أغا، الزعيم الكردي القادم من قرية "تجال". هاجم سعيد أغا "سالاباكان" والوادي الذي كان يتزعمه الملك "برخو" من عشيرة تياري السفلى. نتيجة ذلك الهجوم حصل إشتباك دمويّ مريع وغير متكافئ. الكثير من الرجال الشجعان سقطوا قتلى أو جرحى. على أثر ذلك استطاع الأعداء الإقتراب وبحذر ومخاطرة من مزار مار "ساوا" و"جمبا د ملك"، المركزين المسيحيين المهمين اللذين لم يكن قد بقي لهما من حماية تذكر. هنا أيضًا إضطرّ كل أولئك الذين كانوا قد التجأوا إلى هذه المناطق على المغادرة وإخلاء المنطقة، نعني بـ "أولئك" النساء والأطفال والشيوخ والرضع. المغادرة من هنا كانت باتجاه المراعي الجبلية العليا حيث الطرق الوعرة والممرات الخطرة. إستنسلاما لهذا الواقع الأليم، غادرت سورما منطقة" `جمبا د ملك" في أواخر شهر حزيران من عام ١٩١٥ متجهة شمالا نحو قرية "دادوش" الضيعة الصغيرة التابعة لعشيرة تياري. إستمرّت القوات التركية في زحفها غير المقدس فدفعت بجماهير المهجرين أمامها وهي تبيد كل من يتخلف عن الركب ويقع بين أيديها الملطخة بدماء الأبرياء. بسبب ذلك أجبر الهاربون على التوجه هذه المرة نحو دير مار عوديشو الواقع في منطقة موطن عشيرة "طال". أثناء كل مرحلة من مراحل هذه المسيرة الشاقة كانت النسوة تضطرّرن على التخلي عن بعض المتاع والحوائج من ملابس وأغطية كنّ قد أخذنها. كنّ يتخلين عنها بسبب ثقلها ووعورة الطريق وطولها والتعب الذي نال منهنّ. بقي العدو يتعقب الجماهير الهاربة خوفًا من البطش والإغتصاب. غالبًا ما كانت المسيرة ليلا ومشيا على الأقدام، لأن الحيوانات التي حملها المهجرون بالقليل مما يملكون قد أخذت منهم غصبا أو نهبت. حملت سورما متاعها، وحالها حال الباقين. إنها رافقت إخوتها وأبناء شعبها المظلومين، مشجعة للبعض ومساعدة لمن يحتاج المساعدة بكل محبة رغم أنها كانت الأولى بالمساعدة. هكذا سارت الأحوال واستمرت المسيرة التي كان قسمها الأخير يزيد على (٣٠) كم. عند نهايتها كان الهاربون قد وصلوا دير مار عوديشو حيث أقاموا حوالي الثلاثة أشهر. أثناء الإقامة هنا كان ترصد الأحداث من قبل جماهير اللاجئين من الضروريات اليومية حيث كانت دومًا على أهبة الإستعداد للمغادرة الفورية إذا ما تطلبت الأوضاع ذلك طالما كان العثمانيون مستمرين في زحفهم. كان الجميع ينامون بملابسهم الإعتيادية كي ما يكونوا جاهزين للمغادرة الليلية الفورية، لأنهم لو ناموا بملابس النوم فإنهم سوف لن يكون لهم الوقت الكافي لتبديل الملابس قبل المغادرة الإضطرارية التي يتوقعونها في أيّ لحظة. الغذاء حتى ذلك الوقت كان متوفرًا. ما كانوا يعانون منه كان مشكلة قلة الماء الضروري للحياة. مصدر المياه المتوفرة لكل تلك الجماهير كان عين ماء صغيرة جدًا بالكاد كانت تكفي لسد الحاجات القصوى فقط مثل الشرب والطهي وغسل الملابس وغسل الوجه واليدين اليومي. ما كان يلزمهم من ماء للحاجات الأخرى كان عليهم التفتيش عن مصادره في أماكن أخرى كمياه جارية

مواقعها بعيدة يصعب الوصول إليها. لم يكن الصابون متوفرًا ولا مجال للحديث عنه.

في ذلك الحين، حاول مار شمعون الصعود إلى سلامس برفقة مائتي مسلّح يحملون البنادق وبعض الذخيرة القليلة، المسلحون المرافقون للبطريرك واجهوا القوات التركية وأجبروها على الهرب وترك بعض المواقع التي سبق أن إحتلوها منها: كان مزار مار ساوا، بعد إنجاز هذا النصر، تمكن البطريرك والمسلحون المرافقون من الوصول إلى دير مار عوديشو. في الطريق إستلم مار شمعون رسالة من والي الموصل حيدر بيك تقول: "صدر القرار بإعتبار منطقة تياري منطقة عمليات عسكرية وحرب فعلية قوامها النيران الحارقة والدماء الجارية مخضبة الأرض. أخوك هرمز أسير عندنا. إذا لم تعطِ الأوامر لأتباعكَ ليستسلموا لقواتنا فإننا سنقوم بإعدام أخيكَ هرمز". جواب البطريرك مار شمعون بنيامين الفوري كان التالي: " أبناء شعبي هم كلهم إخوة حقيقيون لي، عددهم كبير جدًا. أخي هرمز لا يمثل إلاّ فردًا واحدًا من كل هذا المجموع الكبير ليكن هرمز ضحية بريئة نقدمها لخلاص الشعب كله".

لم تستطع كل الصعوبات المدمرة والإبتزاز العاطفي من إحباط عزيمة البطريرك وأبناء شعبه الشجعان. إنهم قد قرروا بذل النفس والنفيس في سبيل تحقيق حريتهم وضمان وجودهم في الحياة. عند الوصول إلى حرم دير مار عوديشو إلتقى البطريرك بأبناء العائلة أي أختيه سورما وورومي وأخويه بولس وأيشاعيا. في البداية كان اللقاء مفرحا، لكنه سرعان ما إنقلب إلى نحيب وعويل يفطر القلوب. قبل ذلك أصابت حمّى ثقيلة ايشاعيا "آخر العنقود" في العائلة. إنها لم تكن تغادره حتى في أثناء الليل، بسبب هذه الحّمى ضعفت صحته وهزل جسمه وداهمته الآلام الموجعة. بعد فترة قصيرة، قضى نحبه وغادر هذه الحياة الفانية. إضافة إلى ذلك أصيب بولس بنوبة شديدة من السعال وبحّ صوته. بعدئذٍ، وصل العائلة البطريركية نبأ إعدام هرمز (أخو البطريرك). لم تكن هاتان المأساتان آخر المآسي في تاريخ البيت البطريركي إذ توالت بعدهما مصائب أعظم والعائلة لما تزل تعيش فترة الحداد التقليدي. خلال فترة إقامة مراسيم دفن جثمان ايشاعيا كانت أصوات المدافع تصمّ الآذان وتدكّ قرى في منطقة عشيرة تخوما التي أخذت على حين غرة. القوات العثمانية بدأت التقدم في زحفها من جديد فوصلت مرة أخرى منطقة اللاجئين. هنا أخذت تهاجم كل ما تصادفه بوحشية ونذالة. بسبب ذلك إضطرّ أعضاء العائلة البطريركية مرافقة جماهير الشعب الهاربة من أمام نيران المعتدين الغاشمين. أفراد العائلة الذين نعنيهم كانوا: سورما وورومي واستير الحزينات بسبب المصائب الأليمة التي حلّت بالعائلة ومعهنّ الأطفال الصغار. لما استقرّ الرأي على المغادرة كانت الوجهة هذه المرة الهضاب العليا المعروفة بـ "داراوا" حيث كان ملك إسماعيل موجودًا. قبل البدء بالمسيرة اختفت سورما عن أنظار الجماهير لبضع دقائق، خلالها قامت بزيارة أحد الصلبان التقليدية ذي الدوائر الثلاثية عند النهايات، المنحوتة على قطعة من المرمر وأخذت تقبله بانفعال كانت قبلاتها لذلك الصليب غريبة ومؤلمة وكأني بها تقول: " الوداع يا صليب الخلاص، قبلاتي لكَ هذه

هي آخر قبلات استطيع أن أطبعها عليكَ. إنني سأترك هذه الربوع وإلى الأبد. أبق شاهدًا حيا يذكر بشعب عاش هنا حواليكَ وأكرمكَ قرونا عديدة حتى إن جاءك المعتدون الغاصبون. إننا لن ننساك أبدًا، وذكراكَ ستبقى خالدة في القلوب ويتناقلها الأبناء عن الأباء فالأجداد. يسوع المسيح الذي عاق عليكَ ظلما وعدوانا والمنتصر بقيامته المجيدة سيكون النور البهي الذي سينير درب شعبنا نحو مستقبل مشرق وسيأخذ بأيدينا ويعيننا في مسيرة الجلجلة الشاقة التي علينا أن نمشيها. إنه ربنا وإلهنا إلى أبد الدهور. الصليب الذي زارته سورما وقبلته بخشوع وإيمان أمثاله كثيرة وتقليدية. ومنتشرة في أرجاء حكاري. إنها عادة صلبان بلا صلبوت (دون جسم إنسان معلق على الصليب) أحيانًا قد تزين باللؤلؤ أو الأحجار الكريمة. كانت هذه الصلبان ترمز إلى العودة المجيدة المنتظرة للمسيح الديان. الجيران من الأكراد المسلمين كانوا يُسمون الآشوريين " عبدة الصليب " . قبل لقاء البطريرك بأفراد عائلته المرافقين للمهجرين شارك في مراسيم دفن إيشاعيا. في اليوم التالي كانت القوات التركية قد وصلت المكان وأخذت تطوف في داخل الكنيسة ودون أن يكتشف هذا الحدث أحد. الغرض من دخول الكنيسة كان للتفتيش عن الأموال والممتلكات الثمينة. عندما لم يعثروا على ما يطلبونه قاموا بنبش قبر ايشاعيا الذي لم تمرّ على دفنه أربعة وعشرون ساعة. قامت القوات التركية العثمانية بهذه الفعلة الشنيعة بسبب كونهم من أتباع المذهب الكلبية (الكلبية مذهب فلسفي أنشأه أنتيستين وديوجين يعلم أحتقار الأعراف والتقاليد والرأي العام والإخلاق الشائعة – المترجم). من شدة غضبهم لعدم العثور على أشياء ثمينة قاموا بإلقاء جثة ايشاعيا في أحد المضايق التي يمرّ عبرها نهر الزاب الكبير. بعد هذه الحادثة بأيام عثرت العائلة على الجثة في أسفل مجرى النهر.

في شهر آب من نفس العام، قامت فرق القتل التركية الكردية بزعامة سمكو أغا رئيس قبيلة أورامار بنهب قرى عشائر تخوما وتياري وجيلو وباز بعد أن ذبحوا سكانها الأبرياء بالسكين ومن الوريد إلى الوريد. من استطاع الهرب والنجاة أتجه نحو المرتفعات المطلة على وديان مناطق عشيرتي طال وديز /دزّ. عاد مار شمعون إلى منطقة عشيرة ديز/دزّ ومعه بعض الأسلحة. هناك إلتقى أخويه داوود وزيا وهما يقودان معركة دامية وشرسة. القتال بالنسبة للآشوريين أصبح أمرًا خطيرًا ونهايته على الأغلب مفجعة نظرًا لعدم التكافؤ في العدة والعدد هذا بالإضافة إلى الأوبئة الفتاكة كالتيفوئيد والتيفوس التي كانت تحصد النفوس يوميًا وبأعداد كبيرة، قلة المؤونة الغذائية وأحيانًا نفاذها بالتمام. كانت هي الأخرى سببا طبيعيا والساعد الأيمن المؤثر في إبادة المسيحيين الآشوريين وبالإضافة إلى تأثير الشتاء الذي كان برده قارصًا وبصورة استثنائية ذلك العام. إستطاع الآشوريون تحمل كل هذه المصائب والنكبات ومقاومة الأعداء ببطولة وعزم وشجاعة منقطعة النظير طوال الفترة المحصورة ما بين شهر حزيران وتشرين أول من عام ١٩١٥ .

٥ . سورما تغادر حكاري ... الفصل الأول من المأساة

عندما أصبح الشتاء على الأبواب بعواصفه الرهيبة وأمطاره الغزيرة وثلوجه الاستثنائية الكثيفة، انتشرت المجاعة وتركت أثارًا ظاهرة على وجوه المهجرين علاوة على انتشار الاوبئة المميتة وقلة الأسلحة والذخيرة، إضطرّت الجماهير الآشورية على العمل على كسر طوق الحصار المضروب حواليها من قبل القوات العثمانية والأكراد المتحالفين معها فأخذت تسلك طريق الفرار باتجاه الحدود الفارسية. كان الإعتقاد السائد بين الجماهير الهاربة أن غيابهم عن الأوطان وقتي والعودة حتمية بعد انتهاء الحرب وعودة المياه إلى مجاريها... عند ذاك، لم يكن يدُر في بال البطريرك مار بنيامين التخلي عن القتال أو التنازل عن حقّ شعبه في وطنه أرض الأجداد، لكن، وبسبب الأوضاع الفعلية رأى ضرورة اتخاذ قرار مغاير فأمر بالتوجه نحو السهول واللحاق بالجبهة الروسية في بلاد فارس. نصّ القرار على إخلاء منطقة الحكاري بأجمعها. بناءً على هذا القرار، تركت جماهير الآشوريين من العشيرت المراعي العليا ونفذت النزوح التام نحو "سلامس كجماهير ذليلة مغلوب على أمرها.

الآشوريون المقطّعوا الأوصال في الهضاب العليا كانوا ينظرون أنفسهم جماعات محاطة بالأعداء، قراهم أحرقت عدد غفير من سكانها ذُبح بمجازر جماعية رهيبة. فأصبح من المستحيل عليهم الوصول إلى سهول "كاور" الخصبة عبر قمة "كوندال" التي تربط هذا الوادي بوادي نهر الزاب. أخليت تلك المنطقة بعد قتل عدد من سكانها يزيد على عشرة آلاف مسيحي. مناطق عشيرتي باز وجيلو سكنتها تجمعات كردية إثر غزوات متتالية. حصلت كل هذه الأحداث المريرة برغم الماضي الذي يشهد أن المسيحيين جاوروا المسلمين في السكن، وتعايشوا معهم بتفاهم وبمودة وتعاون دائم قرونا عديدة. مزار مار زيا في جيلو الذي توجد فيه واحدة من أقدم كنائس حكاري نهبت ولأول مرة في التاريخ. من الآن فصاعدًا ستتشاهد مجموعات النذورات التي حملها بعض المغتربين من أبناء العشائر مبعثرة في أرجاء المناطق من أشهرها نذكر الجرار من الخزف الصيني والمرجان من الملا بار، وملابس الكهنة الأحتفالية الطقسية. وحاجيات أخرى مختلفة في القدم والأصل جميعها سُرق أو اتلف. كل هذه الآثار كانت تشهد على غنى لماض بعيد، ومن بلدان نائية جدًا. فقدت كلها واختفت آثارها وإلى الأبد.

في قوجانس، كل الممتلكات المنقولة تبعثرت. البيوت أحرقت، مخطوطات الأجداد التي كان يحتفظ بها البطريرك مار شمعون بعناية وإهتمام. غالبًا ما كان يُخفيها عن الأنظار لا يُعرف مصيرها ولا حتى إن كانت لا تزال موجودة. قبور البطاركة انتهكت حرمتها. لم يكن لدى الناهبين أيّ رادع يمنعهم من ارتكاب الموبقات. الجهات الجنوبية الشرقية من مناطق عشيرة تخوما تعرضت للكثير من الخسائر الفادحة. أمّا الجهات الجنوبية الغربية أي مناطق عشيرة تياري العليا والسفلى فقد تمّ

تدميرها بالكامل. نتيجة لكل هذه النكبات المدمرة التي حلت بالآشوريين لم يبق أمام الجماهير من مجال للاستمرار في حياتهم في موطنهم الأصلي. فاتجهوا نحو الشمال برتلين منفصلين طالبين ملاجئ جيلو داغ ومرتفعاتها الشامخة. أملا في الوصول إلى قترانس / Kotranès في برواري العليا. من هناك ذهبوا قاصدين السهل الكبير "الباغ" / الذي يقع على ارتفاع يزيد على الألفي متر عن مستوى سطح البحر وعند أقدام جبل جيلو داغ. أخيرًا وصلت تلك الجماهير مدينة باش قلعة بعد رحلة شاقة يزيد طولها على الستين كيلومترًا. أثناء الرحلة تمّ إحراق كل الجسور ونصبت كمائن عديدة للأعداء حماية لجماهير الهاربين. الشباب القادرين على حمل السلاح نُشروا على قمم الجبال والمواقع الإستراتيجية التي يمكن منها تهديد المعتدين الأكراد الذين سبق أن اتخذوا منها مواقع مشرفة على المضايق العاصية. جهود الشباب هذه كانت مكلفة فأدت إلى تناقص أعدادهم بشكل رهيب، لكنه رغم كل تلك التضحيات الجسام إنهم قد تمكنوا من تعويق مسيرة الأعداء الملاحقين بأعمال بطولية ومجابهات شجاعة لا تصدّق. الأعداد الباقية منهم على قيد الحياة استطاعت الوصول إلى الوديان العليا لنهر الزاب الكبير بأقدام حافية وأسمال رثة وبطون خاوية. حيث مناطق الإتصال مع الأرمن. بعد الوصول إلى هذه الوديان كانت الوجهة النهائية للمسيرة مدينة سلامس. عند الوصول إليها دخل الإطمئنان القلوب لأن قافلة الهاربين استطاعت أن تحط الرحال خلف خطوط القوات الروسية التي كانت الهدف ومكان اللجوء الآمن. كانت تلك القوات تابعة لجحافل الفيلق السابع من الجيش الروسي. المستقل والمتمركز في القوقاز، الذي أسندت إليه مهام أحتلال الجهات الشمالية الغربية من الأراضي الفارسية.

أفراد عائلة البيت البطريركي إستمرت في المسيرة حتى وصلت "ديليمان" المركز الإداري الرئيس لمدينة سلامس. هنا تمّ الاستقرار في مبنى إحدى الكنائس. عند المحاولة للتعرف على بعض التفاصيل الشاقة التي عانتها هذه العائلة خلال مسيرتها المملوءة بالمخاطر والأهوال سنرى أن رحلة سورما كانت بحدود (٢٥٠) كم أي المسافة ما بين "قوجانس وديليمان". إبتدأت المسيرة في شهر شباط من عام ١٩١٥، قلب فصل الشتاء الشديد البرودة وتدني درجات الحرارة وتراكم الثلوج وأحيانًا هطول الأمطار الغزيرة. كانت الطريق ضيقة وفي غالب الأحيان كانت غير سالكة لوقوعها بين جبال شامخة ومنحدرات مخيفة. إلى جانب كل هذه المعوّقات الطبيعية، كان هناك الجوع القاتل والإرهاب المروع لكثرة الإعدامات التي حصلت على الطريق بأيدي القوات العثمانية التركية أو على أيدي حلفائهم الأكراد. توقع أفراد عائلة البطريرك أنّ ديليمان مدينة آمنة لجماهير المسيحيين، لكن بعد الوصول إليها علموا أنه في الرابع والعشرين من شهر شباط من نفس العام قام جودت بيك التركي بابادة (٨٠٠) كلدو آشوري من الذين كانوا قد بقوا في هذه المدينة، أي فترة تسلط العثمانيين الغاشم على المنطقة. والتي سبقت الأحتلال الروسي (ثاني مرة). سكان المدينة الذين

التقتهم العائلة البطريركية لاحظت في عيونهم نظرات رعب ورهبة تريد أن تقصّ مآسي المجازر التي طالت البقية الباقية من المسيحيين في المدينة وقبل وصول الجحافل الروسية، نعم إنهم رأوا في العيون آثار الإرهاب الإسلامي المتزمت وقسوة الإنسان المتوحش على أخيه الإنسان المتحضر .وصلت جماهير الهاربين والمهجرين برتلين عددها تجاوز الأربعين ألف نسمة متعبة منهوكة القوى، فلم تجد لها مأوى يحميها فاضطرت على افتراش الحقول والنوم في العراء بلا فراش يدثرهم أو نار موقد يدفئهم. أقاموا هنا بلا ثياب ودون غذاء يسد رمقهم. بعد الوصول إلى الأراضي الفارسية الذي كان عند نهايات شهر تشرين ثاني من عام ١٩١٥، قام البطريرك مار شمعون بنيامين بنقل مقر كرسيّه مؤقتًا إلى "خسروا". فورًا بعد نقل الكرس البطريركي أصدر البطريرك البيان التالي:

"يتكون شعبي من (٨٠٠٠٠) مؤمنًا، كانوا يعيشون في الأراضي التركية كمجتمع عرف بـ "العشيرت" (مجتمع عشائري). تمتع هذا الشعب بالحرية التامة كما هو حال القبائل الكردية. فلا ضرائب يخضع لها ولا خدمة عسكرية إجبارية يؤديها. مواطنه وأراضيه لم يستطع أيّ موظف عثماني أن يصل إليها أو يطأها. كانت عشائرنا مسلحة على مرّ القرون.حتى أطفالنا بعمر عشر سنوات يُحسنون إستعمال السلاح لأنهم تدربوا عليه. عشرون ألف آشوري كانوا مسلحين دومًا وقادرين على حمايتنا من هجمات الأعداء من الأكراد المحيطين بمناطق سكننا. عند إعلان الدستور الجديد في تركيا امتلأت قلوبنا بالثقة نظرًا للوعود الكثيرة التي قطعتها الحكومة مؤكدة مسؤوليتها عن أمننا وسلامتنا. لذا قمنا ببيع أغلب أسلحتنا. إننا صدّقنا أقوال المسؤولين التي تفيد وتؤكد نزع سلاح الأكراد. هكذا أصبح شعبنا دون حماية كفوءة. على أثر إعلان نداء الجهاد (الحرب المقدسة) قرّر الأتراك إبادتنا جميعا وكما سبق أن حصل للأرمن. فعلا، قامت القوات العثمانية الغاشمة بمهاجمتنا مدعومة من القوات الكردية غير النظامية المشكلة من الجماهير الكردية التي عايشناها منذ زمن بعيد. بسبب ذلك أزداد وضعنا سوء خاصة بعد أن خسرت القوات العثمانية بقيادة خليل بيك المعارك العديدة مع الجيش الروسي والتي وقعت في سلامس – في أطراف أورميا. الخسائر العسكرية الفادحة أوغرت قلب القائد الظالم بالحقد والكراهية لجماهير المسيحيين أبناء البلاد الأصليين، فأخذ يصب جام غضبه على هذه الجماهير المسكينة وبوحشية لا توصف بواسطة قواته المتراجعة تخاذلا عبر ودياننا. عند نهاية شهر أيار وصلت إلى مناطقنا قوات عثمانية من الموصل فقامت رسميًا بالمجازر المروعة والتدمير الشامل لقرانا.

بسبب هذه الأعمال البربرية بدأت جماهير شعبنا بالإنسحاب من المراعي نحو الهضبة العليا المعروفة بـ "بيتا شينيه" Betaschinè حيث لا تزال إلى اليوم محاصرة في تلك المواضع. تلك الجماهير نسمعها اليوم تشكو شحة الغذاء وإنتشار الأوبئة والأمراض الفتّاكة. لم يبق لهذه الجماهير من أمل إلاّ رجاء واحد ذلك هو كسر الطوق المضروب حواليها والفرار

بإتجاه الحدود الفارسية" (٦٦).

استنادًا على هذا الواقع الفعلي المرير، قرّر البطريرك مار شمعون بنيامين رفض الإبقاء على سلطته الروحية فقط حسب التخطيط الموضوع من قبل السلطات التركية ليتسنى لها تنفيذ مخططاتها الهادفة إبادة المسيحين بمجازر منظمة. المقصود بالمسيحيين هنا هو "مسيحيو جبال حكاري" وأيضًا أولئك الذين يسكنون المناطق البعيدة الأخرى. ما يتعلّق بالمسيحيين الذين هم تحت رعايته فأنّ الآلاف منهم (حوالي ٤٠٠٠٠) قد هلكوا بسبب النير التركي المعتمد على القتل والذبح والإعدام من جهة والنهب والسلب والإغتصاب والتدمير الشامل من جهة أخرى. كل هذه الجرائم كانت تحصل بأسلوب منهجي يومي ومن دون استثناء أو تحفظ أو أعتبارات خاصة. هذه المظالم والاعتداءات شملت الجميع رجالا ونساء وأطفالا ورضعا وشيوخا. الأبطال الشجعان الذين سبق أن أعطوا الدروس القاسية للأعداء أصبحوا اليوم ضعفاء أذلاء لا يقوون على المقاومة أو الدفاع. نصفهم هلك على قارعة الطريق أثناء مسيرة النزوح المميتة. إنهم قد أصبحوا غرباء عن أوطانهم الأصلية. لايملكون منها أيّ شيء سوى ذكريات محزنة. ساعة التشتت تُسمع دقاتها من بعيد رغم أنّ دقاتها جاءت على حين غرة. نظام الإقطاع المتبع وفقا للأعراف الشرقية ومنذ قرون عديدة سقط نهائيًا. عندما كمل المشهد الأول من المأساة الآشورية سمعنا بكاء وعويل جموع الشعب ورأينا دموعهم الغزيرة تسيل على الخدود فتحفر مجار عميقة فيها. أما أهات القادة الميامين الذين دوخوا المنطقة ببطولاتهم فحدّث عنها ولا حرج .

يوما سمعت سورما تنتحب مرنمة مع النبي أرميا الذي سبقها في البكاء والنوح على وطنه وأرض أجداده، أخيرًا تملكتها الطمأنينة فهدأ روعها معتمدة على تعاليم الرب يسوع المسيح والتي قد يشبه مضمونها ما يأتي:

ترى، متى سأعود وأشاهد مرة أخرى جبال حكاري الشامخة بجلال وبهاء؟

متى سأرى ثانية تلك الهضاب النظرة الخضراء؟

متى سأستطيع أن أشرب الماء الزلال ماء قوجانس الحبيبة العذب؟

ما سيكون مصير شعبي مستقبلا بعد أن ناله كل هذا التشتت والخسارة العظيمة التي لم تبق له أيّ ذخيرة؟

نينوى العظيمة قد هوت من عليائها، لكن النينويين عادوا فقادوا الحياة فاستحقوها بجدارة وتقييم.

ليغفر الربّ الإله لهذا الشعب المظلوم خطاياه، ويغدق مراحمه ونعمه
على أبناء هذا الشعب، ويسمح لهم بالعودة إلى أراضيهم وأوطانهم الأصلية
ومسقط الرأس المفدّى.

القسم الثاني

في بلاد فارس
وخضمّ الصعاب والاوضاع المتأزمة
(تشرين أول عام ١٩١٥ لغاية أيلول ١٩١٨)

(...) إستطاع العقيد Kousmine من إقناع غبطة البطريرك للإنتقال إلى خسروا حيث كان يقيم إخوته وأخته سورما خانم التي كانت آنئذ في الأربعين من عمرها، والتي كانت منهمكة بالشأن الآشوري وكان لها تأثيرها القوي على أخيها البطريرك. كانت سورما تعمل بتسلط وسطوة وكأنها القائد العام للقوات المسلّحة التابعة للكرسي البطريركي (...).

Nicolas Grasfield

الضابط الفرنسي المقيم في بلاد فارس خلال سنوات الحرب

العالمية الأولى (الحرب العظمى) ١٩٢٤.

١. عام ١٩١٥ عام السيف
(الشهير بالتسمية التاريخية "سيفو"، فخلاله كانت رقاب الناس تقع بحدّ السيف)

سلامس وأورميا في لجج الشدائد والنكبات

بلغ عدد الكلدو آشوريين عام ١٩١٤ في أرجاء بلاد فارس حوالي مئة ألف نسمة. معظم قرى هذه الجماهير كانت تتمركز مجتمعة في سهلي سلامس وأورميا في الشمال الغربي من بحيرة أورميا. كان القرويون يقومون بسقي هذه السهول وهي التي تقع على ارتفاع يزيد ألف متر فوق مستوى سطح البحر، بمياه كانوا يجلبونها من نهر "زولا". عدد قرى الكلدو آشوريين في هذا السهل كان يزيد على ستين قرية، وكانت تنتشر وسط رياضٍ غناء وبساتين يانعة الثمار. كان الإنتشار طوليا أي يمتد بموازاة مجرى النهر، أحيانًا كانت تبنى البيوت على سفوح المنحدرات أو تلال مطلة على ضفاف النهر محصورة بينه وبين المرتفعات الجبلية العالية. أغلب تلك الجبال كان قاحلا أجدبا عار من الخضرة، بينما في بعض الأحيان كان هناك جبال تكسوها خضرة كثيفة ومدهشة قد تكون الفريدة في جمالها الأخاذ. كانت المنطقة غنية بالحيوانات التي تصلح للأعمال الزراعية كالثيران والجواميس

الضخمة التي كان الفلاحون يربونها لاستخدامها في أعمال الفلاحة الشاقة المنتشرة في أراضي هذه المناطق الخصبة الغنية بالخيرات. في عام ١٩١٣ بلغ عدد المسيحيين الذين استقروا في هذا السهل ٢٠٠٠٠ نسمة. أما في خسروا الجميلة فبلغ عددهم حوالي (٢٥٠٠ نسمة) عام ١٨٨٥، كانت خسروا قرية مسيحية بالكامل. في العام ١٨٩٥ انتشر استقرار المسيحيين ووصل "ديليمان" الواقعة على مسافة ٦٠ كم شرقي سلامس... سكن إلى جانب هؤلاء النساطرة الأرمن الأرثوذكس (الغريغوريون) الذين كان عددهم كبيرا. المركز الرئيس للأرمن كان "هافت فان". تجمعات الأرمن في هذا السهل كانت تشكل الكتلة الأكبر لتواجد الجماهير المسيحية التي عاش النساطرة إلى جانبها في مناطق بحيرة أورميا التي كانت تمتد حتى حدود "ديار بكر" و "سعرت".

عدا ذلك، كان هناك ما يزيد على (٣٠٠) قرية جميعها تتوسط الحقول الزراعية ويعمل سكانها على إنتاج مختلف المحاصيل الزراعية وخاصة أعناب الكروم الشهية. أطراف هذا السهل كانت تتصل بسهل سلامس. الفضل الأكبر لهذه الوفرة في الإنتاج الزراعي المتنوع يعود لخصوبة الأرض أولا ولوفرة المياه الضرورية للسقي المتساقطة كشلالات رائعة من علو الجبال الشاهقة ثانيا وجودة المناخ المتميز بالاعتدال. أنهار ثلاثة كانت تسقي هذا السهل هي: "باراندوز" و "جاهار" و "نازلو". وفرة المياه ميزت هذه المدينة منذ أزمنة قديمة، واسمها يعني ذلك، لأن الاسم أورميا يعني "مدينة المياه" [٦٧].

أورميا مدينة قديمة وحصينة. هي مسقط رأس "زرادشت" المصلح الكبير للمزدكية / المجوسية/ الدين الشهير لبلاد فارس قديما والملهم لكبار المفكرين في التاريخ من أمثال Friedrich Nietzsche الذي كتب كتابًا شهيرًا عام ١٨٨٣ بعنوان "هكذا تكلم زرادشت" في مطلع هذا القرن، كانت التحصينات التي تحمي أورميا قد تداعت ومالت إلى السقوط. بيوتها الطينية كانت قائمة في بقاع يانعة الخضراوات والزراعة الوفيرة الإنتاج، كانت منتشرة إنتشارا واسعا وبأعداد كبيرة. غالبًا ما كانت تبنى تلك البيوت قرب مجاري المياه وتحيطها أشجار الجوز والصفصاف. أغلب السكان في المنطقة كانوا من المسلمين. عاشت الجماهير المسيحية إلى جانب المسلمين كأقلية. يعتقد أن عدد السكان الكلي في مقاطعة أورميا عام ١٩٠٠ كان بحدود (٣٠٠٠٠٠) نسمة من بينهم كان هناك (٤٥٠٠٠) مسيحي. الجميع كانوا يعيشون بتفاهم وتعاون تامين دون أي تأثير سلبي سببه الإختلاف الديني أو العقائد. في العام ١٩١٥ كان عدد نفوس مدينة أورميا وحدها بحدود (٣٠٠٠٠) نسمة من بينهم كان هناك (٨٠٠٠) مسيحي. بين الـ (٣٠٠) قرية المنتشرة في أرجاء مقاطعة أورميا كان هناك (٤٠) قرية مسيحية بالكامل (أي كل سكانها مسيحيون)، يسكنها الكلدو آشوريون. كذلك كان هناك تكتلات جماهيرية تسكن القرى كخليط من الجانبين (مسيحيون ومسلمون) إضافة إلى الأفشاريين والفرس. عدد القرى من هذا النوع (المختلط) (٨٤)

قرية. بحيرة أورميا أثر باق لظاهرة جيولوجية. قديما كانت المنطقة بحرًا مترامي الأطراف يغمر الهضبة كلها، لكن عمق المياه لم يكن كبيرًا. الحياة والسكن إنتعشا على بعد مسافة ٦ كم من ضفاف هذا البحر تحذرًا من الهزات الأرضية التي كانت تقع في تلك المناطق بين الحين والحين، ودفعا للنكبات والخسائر التي ستقع إثر ذلك. إنهم لم يبتعدوا كثيرًا عن البحيرة وبقوا يسكنون المنطقة بشجاعة ويعملون بجد وإخلاص. بعض من السكان كان يقوم بحفر سواقي لسحب ماء البحر بواسطتها إلى منخفضات واسعة يملؤنها بمياه البحر ثمّ يسد المجرى فينقطع الماء عن السواقي. يترك الماء في المنخفض حتى يجفّ بفعل التبخر بحرارة الشمس. بعد مرور أيام قليلة كانت تظهر طبقة بيضاء من الملح على سطح التربة. إذ ذاك تجمع طبقة الملح وتعبا في أكياس واسعة من النسيج الخشن. غالبًا ما كان المسافرون يلتقون قوافل كبيرة من البغال والجمال وهي تحمل أكياس الملح المستخرج من ماء البحر في أورميا، يسير بها أصحابها إلى المدن والقرى لبيعها. سكان هذه المناطق كانوا يعتبرون هذا الملح هبة السماء لهم. رحالة كثيرون كتبوا واصفين هذه المناطق منه Eugene Borè المستشرق الشهير بمعارفه وإتقانه اللغات العديدة وحسن التعبير واختيار المفردات. من الملاحظات التي تركها يمكننا أن نستخلص: " أنّ وادي أورميا يحيطه من ناحية الشرق بحيرة أورميا ذات المياه الزرقاء لونًا المالحة طعما والتي اتخذت لها نفس الاسم. من ناحية الشمال والغرب تقع جبال الأكراد وارض الميعاد الفارسية. يزرع في هذه المناطق كل أنواع الحبوب والرز والكروم والتبغ والقطن وأنواع عديدة من الأشجار المثمرة وبوفرة كبيرة... " أما عن خسروا فنقرأ ما يلي: إنها بلدة عامرة، تقع على حدود كردستان، تُحيطها الرياض الزاهية ذات الأشجار المثمرة المتنوعة" (٦٨) .

المظهر الخارجي للمنطقة فردوس أرضي، لكنه يخفي تحت هذا الغطاء البديع فقرًا مدقعا. السكان العاملين في الأرض لم يكونوا أصحابها الحقيقيين. إنهم كانوا يخضعون لنوع من " المؤاكرة" (المؤاكرة عقد استئجار للأرض يتقاسم الغلة بموجبه المستأجر والمؤجر –المترجم) كما كان المستأجرون عرضة لمواجهة نتائج النكبات المتشابكة مع الحاصل الرديء بصورة منتظمة كالمجاعة والأوبئة. في عام ١٨٥٢، حلّ في هذه الربوع مرض الكوليرا ورافقها مرض التيفوس كضيفين ثقيلين ولم يُغادراها إلا بعد إختطاف ما يزيد على (٥٠٠٠) نسمة. هذه الحالة نفسها تكررت في المنطقة خلال الأعوام ١٨٦٦ و ١٨٨٠ و ١٨٩٢ و ١٨٩٣ . إضافة إلى هذه النكبات الطبيعية كان هناك نكبات تحصل بفعل الإنسان وإرادته. مثل الهجمات التي كانت تنظم كغزوات نهب وسلب واغتصاب. كثيرة هي القرى التي تعرّضت لهجمات إعتدائية كهذه. المعتدون كانوا دومًا من الأكراد الجبليين الذين لم يسكنوا المنطقة إلا في السنوات التي تلت عام ١٨٤٠ . عن وصف وضع المنطقة نذكر أنّ أحد الآباء اللعازريون كتب بقول: " ها أنا الآن في أورميا. منها أكتب هذه الأسطر. وباء الكوليرا أخذ في الأختفاء بعد أن عاث في المنطقة ثلاثة أشهر كاملة وسلب من الأرواح ستة آلاف

إنسان على أقل تقدير وهذا بالنسبة للمدينة فقط. هذا الرقم قد يمثل سدس الجماهير الموجودة في المدينة. بعد ذلك انتشر الوباء في كل أرجاء السهل. وكان له صولات وجولات مرعبة (٦٩). بين أيدينا رسالة نقرأ فيها: " أول مجاعة عشتها كانت مجاعة عام ١٨٧٢، لكن ما شاهدته هنا فاق تلك المجاعة وحتى المجاعات التي توصف بأبشع المجاعات. عند وصولي، كان سعر حمل الحنطة في أورميا يتراوح ما بين ٤٠ - ٥٠ فرنكًا. بعد أيام قلائل ارتفع السعر فأصبح ٧٠ فرنكا. قبل فترة من الآن كان السعر بحدود ١١٠ فرنكا أما حاليا فقد انخفض وأصبح يتراوح ما بين ٨٠ و ٩٠ فرنكا. ولكي ما تكون الصورة أوضح أعلمكم أنّ السعر الإعتيادي لحمل الحنطة كان ١٠ فرنكات فقط. هذه الحالة للأسعار تنطبق على باقي المواد الغذائية والعلف... بهذه المناسبة أود أن أشير إلى أنّ هناك سادة من الفرس يخزنون في أهرائهم آلاف الأحمال من الحنطة ولا يريدون عرضها للبيع ولا يخبرون الآخرين بملكيتهم لكل هذه الكميات لأنهم ينتظرون الفرص المؤاتية لرفع الأسعار أكثر فأكثر (٧٠). ما عدا ارتفاع الأسعار هناك موضوع الضرائب ونيرها الثقيل والمصائب والنكبات الطبيعية والسلب والنهب والإغتصاب والمضاربات والأزمات في العلاقات الإجتماعية. كل هذه الأحداث تلعب دورًا خطيرًا في الإبقاء على الأوضاع المتردية على حالها فتؤدي إلى انخفاض الدخل وعدم التمكن من توفير حياة متطورة تهدف الأحسن، بذلك تكون النتيجة حياة يومية بائسة. حسب التقاليد، هذه الأرض بالنسبة للكثيرين هي " أرض الميعاد " وفي الوقت عينه " أرض المجاعات والبؤس والشقاء " لكنها رغم كل ذلك تبقى بالنسبة للكلدو آشوريين أرض عزيزة على القلوب لأنها أرض الأباء والأجداد لمدى الأيام والسنين " .

إنّ اشتعال الحرب العالمية الأولى لم يترك هذه المناطق خارج نطاق أوارها. ففي الوقت الذي كانت فيه الجماهير التي تسكن هذه الجبال من المسيحيين تكافح من أجل البقاء، كان إخوتهم من سكان السهول من الكلدو آشوريين يعيشون أوقات صعبة وحوادث رهيبة. في العام ١٩١٥ أُلحق المسيحيون الجبليون بأخوتهم أبناء السهول وأصبحت المصائب من نصيب الجميع، ومستقبلهم بيد الأقدار. المآسي عامة شاملة وكذلك النكبات طالما الجميع ينتمون إلى شعب واحد وإلى كنيسة المسيح القديمة الأصلية، كنيسة المشرق. خلال العقود الوسطى من القرن السادس عشر حصل إنشقاق مؤسف في هذه الكنيسة، فقسّمها إلى جناحين مختلفين: جناح ضمّ جماهير الكنيسة الكلدانية المتحدة مع كنيسة روما. عرفت هذه الكنيسة بالكلدانية نسبة إلى كلدان التاريخ. وجناح آخر سمى نفسه " الكنيسة الشرقية الآشورية. أبناء الكنيسة الأخيرة ينتمون إلى جذور أصيلة تنتهي بآشوريي التاريخ. هذا الإنشقاق سبب تباعدًا كبيرًا بين الجماعتين. كل المحاولات الهادفة لتوحيد هاذين الجناحين انتهت إلى الفشل المؤلم سببه التعنت والأنانية التي تملأ القلوب. عدا التعنت وحب الذات تدخلت عناصر أخرى خارجية كرّست الإبتعاد: منها موقف السلطات العثمانية

ونشاطات البعثات التبشيرية الغربية التي جعلت الإنشقاق وسيلة لإيجاد موضع قدم للدول التي تنتمي إليها في ربوع بلدان الشرق. أطماع البعثات التبشيرية دفعت المسيحيين الشرقيين إلى العمل إلى جانب تلك البعثات فتحقق بذلك تشكيل معسكرين متعاديين دون رغبة في ذلك أو معرفة مسبقة. المبشرون الكاثوليك تبنوا أبناء الكنيسة الكلدانية بينما المبشرون البرتستانت انصب اهتمامهم على الكنيسة الشرقية الآشورية وأبنائها. للتوضيح نقول إنّ مناطق سلامس وأورميا تأثرت بنشاطات الكلفانيين (الكلفانية مذهب لشيعة من البروتستانت مؤسسها كالفن لا تعترف بسلطة الأساقفة – المترجم) الأمريكيين [٧١] إضافة إلى نشاطات البعثة الكاثوليكية للأباء اللعازريين الفرنسيين [٧٢]. تركزت نشاطات هذه البعثات على فتح المدارس، درست فيها مناهج متنوعة ولمستويات متباينة، وعلى فتح المستوصفات وتأسيس المطابع. في العام ١٨٣٠ قررت البعثة التبشيرية البروتستانتية الأمريكية الإقامة الدائمة في أوساط نساطرة أورميا. كانت طلائع المبشرين لهذه البعثة تتكون من: Justin Perkins وزوجته و Asahel Grant والسيدة Fidelia Fiske إستقرّ هؤلاء الطلائعيون في المنطقة وأخذوا يعملون بكل نشاط وهمة. بعد بضع سنين وصل المبشرون الكاثوليك اللعازريون وعلى رأسهم المطران Cluzel والمطران Sontag، إستعان الأخيران بأخوات المحبة / Soeurs de la Charité من خلال هؤلاء الرجال والنساء وُضعت الأسس لعلاقات متينة وواسعة ربطت جهود ونشاطات الجناحين الكبيرين للمسيحية الشرقية أي الكلدان والآشوريين الساكنين في أراضي بلاد فارس مع الغرب. هذه العلاقات أدت إلى ازدياد الريبة عند المسلمين من جهة، وتآكل التفاهم والتعاون القائمين بين المسلمين والمسيحيين حتى عام ١٩١٥ من جهة ثانية. مع بداية عام ١٩١٥ فتحت صفحة جديدة بين هاتين الفئتين، كانت هذه الصفحة الجديدة صفحة تاريخية مليئة بالمآسي والمظالم. آنئذ بدأ بابوات الروس يستقبلون الذين كانوا يسكنون المناطق الشمالية من بلاد فارس بكل حماس ودعم. لذلك أعتبر التأثير الروسي المظلة الحامية للأقلية المسيحية. وهذا كان يعني في الوقت ذاته علامة لنجاح الأرثوذكسية الروسية وتأسيس قواعد لها في بلاد فارس. أثناء شتاء عام ١٩١٤ / ١٩١٥ الذي سبق أن اشرنا إليه بأنه كان شتاءً استثنائيا بقسوته وثلوجه وعلى أثر دخول روسيا القصرية حلبة الحرب، قامت الجيوش العثمانية التركية بالإعتداء على المناطق التي تسيطر عليها قوات القيصر في بلاد فارس فوقعت معارك دامية إنتهت بانسحاب القوات الروسية من مناطق أورميا. فورًا بعد الإنسحاب قامت القوات العثمانية بالإنتشار في المناطق ضمن الأراضي الفارسية والتي انسحب منها الجيش الروسي. إنتشار القوات العثمانية إستمرّ في الإتساع حتى إن وصل تبريز. كان ذلك في شهر كانون الثاني عام ١٩١٥ . المحصلة النهائية لوصول العثمانيين إلى هذه الربوع كانت تفاقم الشرور على المسيحيين عامة، وأصبحوا يعدّون أعداء وطابورًا خامسًا يجب إبادتهم والتخلص منهم بالسرعة الممكنة. تنفيذًا لهدف التخلص من المسيحيين، بدأ التهجير

القسري الذي كان على شكل مرافقة القوات الروسية المنسحبة وبأعداد كبيرة أي هجرة شبه جماعية. بلغ عدد المسيحيين المرافقين للقوات الروسية المنسحبة في الرابع من كانون الثاني عام ١٩١٥ حوالي (٢٥٠٠٠) نسمة. أعتبرت قافلة المسيحيين المرافقة للروس هذه طليعة قوافل المسيحيين الهاربين (المهجرين) من ظلم العثمانيين المتزمتين إسلاميًا.

المذبحة المنسية

مأساة مشتركة

دام الإحتلال العثماني للمناطق التي انسحب منها الجيش الروسي والتي قسم كبير منها كان يسكنها المسيحيون الفترة المحصورة ما بين الرابع من كانون ثاني والرابع والعشرين من شهر أيار عام ١٩١٥, خلالها توالت النكبات التي حلت بالمسيحيين على يد مجموعات قتالية كردية متحالفة مع العثمانيين الأتراك. تحددت تلك النكبات والمصائب بأعمال السلب والنهب والإغتصاب وقطع رقاب المسيحيين المقطعي الأوصال بسبب انشقاقاتهم المذهبية بحد السيف. كان المسيحيون يعيشون في قراهم العامرة المزدهرة بأمن وسلام إلى أن بدأت أعمال الإبادة التي شملت جانبي الحدود الفارسية التركية وكانت تنفذ وفق خطط موضوعة مسبقا بعناية ومنهجية مدروسة. لذا أصبح أغلب المسيحيين شحاذين بؤساء يجوبون الطرقات حتى إن يقتلوا دون رحمة أو عطف، منذ كانون ثاني عام ١٩١٥ تمّ تدمير ١٦ قرية مسيحية في منطقة أورميا تدميرًا وحشيا. عدد سكان هذه القرى كان بحدود (٤٠٠) عائلة. قرية "كوتبا" لم تدمر بالكامل. كانت هذه القرية مركزًا لكرسي أسقفي تابع لكنيسة المشرق، وكانت تعتبر أغنى قرى المسيحيين في محافظة أورميا وأكبرها. في قرية "باباري" أحرق أحد الكهنة بوضعه في أتون نار من روث الحيوانات المجففة مستعرة موثوق الأيدي وهو حيّ. في قرية "أنهار" أعدم الكاهن هرمز رميًا بالرصاص، في قرية "الكاي" Algaye أخذ أحد الكهنة إلى الجامع ليعلن إنكاره لدينه المسيحي ويُشهر أسلامه. الكاهن لم يرض بذلك ولم يستجب للمغريات أو خاف التهديدات فقطعت أوصاله بخنجر بينما كان هو راكعا يُصلي. في نفس القرية قتل المطران الآشوري مع خمسين من أتباعه المؤمنين في مجزرة جماعية لأنهم رفضوا إنكار إيمانهم المسيحي. في سلامس، أحد الكهنة سلخ جلد رأسه ثمّ ذُبح كشاة. إرتكبت كل هذه الجرائم الوحشية بعلم السلطات ورعاية جودت بيك، حاكم ولاية "وان"، وقائد العمليات الحربية على الحدود الفارسية الروسية. القرى التي كانت منتشرة في مناطق "باراندوز" و "نازلو" و"تيركافار" / تيركاوار و"ميركافار" / ميركاوار، و"صولدوز" دمرت بالكامل بعد إحراقها بالنيران. سكان هذه القرى هجروا قسرًا أو قتلوا. أغلب سكان مدينة أورميا أصرّوا على البقاء في مدينتهم كما جاءهم آخرون هاربين من القرى المدمرة. الهاربون أو المهجرون قسرًا، غالبا ما كانوا يلجأون إلى المدارس أو

المستشفيات التابعة للبعثات التبشيرية الغربية. اللاجئون إلى مباني البعثة الأمريكية كانوا حوالي (١٥٠٠٠) نسمة. وبقوا لاجئين هناك أشهرًا عديدة. ثلث هذا العدد قضى نحبه وهو لا يزال لاجئًا هناك بسبب إنتشار الأوبئة أو المجاعة. ما يخص البعثة الفرنسية فالعدد كان أقل ولم يتجاوز (٣٥٠٠) لاجئ ذلك نظرًا لقلة الإمكانيات المادية.

عدا ذلك، قام الأباء اللعازريون المقيمون في المنطقة خلال العام ١٩١٥ وبمعاونة راهبات أخوات المحبة بتسجيل أحداث هذه الفترة المظلمة بدقة وتفصيل. عند الرجوع إلى تلك الكتابات أو المراسلات أو التقارير الرسمية سنتحسس المرارة التي ملأت الأفواه والآلام الجروح البليغة التي أدمت القلوب. مثالا لذلك نقرأ ما كتبه الأب "آبل زيا" هاويل الذي كان أحد أعضاء البعثة اللعازرية في أورميا حيث يقول: "غادرتُ أورميا في اليوم الثالث من شهر كانون ثاني عام ١٩١٥ وهو اليوم التالي لمغادرة (إنسحاب) القوات الروسية... من المستحيل الآن أن أكتب لكم عن فضاعة النزوح القسري الذي رافق ذلك الإنسحاب. شمل ذلك النزوح ثلاثين ألف مسيحي. لقد كان نزوحا مؤلما لأنه حصل في فصل شتاءٍ تساقطت ثلوجه بكثافة وبصورة غير إعتيادية. الثلوج والأوحال كانت تصل حد الركبة مغطية الطرقات. كان اللاجئون يسيرون في الطرقات دون أحذية أو أي شيء يقي الأرجل. كان الموت يخطف يوميا ما بين (١٥ - ٢٠) نفس من اللاجئين. استطاعت الجماهير الهاربة من عبور الحدود ودخول الأراضي الروسية بعد مسيرة شاقة كانت تستغرق خمسة أيام كاملة من المشي

المستمر. الأوبئة أخذت بخناقنا فتحصد بسيفها البتار العديد منا. كان هناك أيضًا الجوع الذي كان يقرص البطون بلدغات موجعة. حتى الخبز اليابس أو الفتاة الضروري لم تتوفر". في بعض كتابات الأب دي كروو، الذي كان أيضًا من الأباء اللعازريين نقرأ: "إنهم لا يسمحون لي البقاء لتمشية بعض المعاملات الضرورية. إنهم يحيطون بي إحاطة السوار بالمعصم. منذ وصولي إلى تفليس أنا أساهم وآخذ حصتي من الإصابة بالأمراض وهذا أمر جدًا طبيعي إذا ما قارناه بالمسيرة الشاقة التي قمنا بها برفقة إخوتنا المسيحيين المظلومين المكلومين... إني أتوقع أن يصل عدد المسيحيين النازحين سواء آشوريين كانوا أو أرمن العشرين ألف نازح مسيحي. معظمهم كان قادما من المناطق الواقعة شمال غربي سهل أورميا ووديان كردستان الفارسية وسهل سلامس. الجميع شاركوا في هذا النزوح المريع رغبة في الوصول إلى المناطق الواقعة ما وراء القوقاز... عدد المسيحيين الكاثوليك المشاركين في النزوح كان يتراوح بين (٣٠٠٠ - ٤٠٠٠) نسمة، قدموا من وادي سلامس وألف آخرون قدموا من سهل أورميا والجبال القريبة. أغلب سكان أورميا لم تتهيأ لهم الفرصة للفرار مع النازحين لذا إضطرّ المطران سونتاك / Sontag أن يرفض ترك قطيع المؤمنين الباقين وترك مقرّ كرسيه. رافقه في هذا القرار أعضاء البعثات الأخرى من رهبان وراهبات منهم عضوات رهبنة "أخوات المحبة" (٧٣).

وصف كاملا للأحداث وللفترة من كانون ثاني إلى أيار ١٩١٥، نعثر عليه تحت عنوان "الإضطرابات في أورميا" كتبت هذا الوصف عضوات رهبنة "أخوات المحبة" في أورميا. الجريدة(٧٤) التي كتبت نصّ الوصف، بينت بشكل واف واقع الحال وثقل النكبة التي حلّت بمسيحيي هذه المناطق وفظاعة المأساة. في ما يلي نسجل بعض ما جاء من سرد: "في السادس من كانون ثاني، وصلت أعداد من الهاربين وهي بحالة مزرية. إحدى النساء بقيت ثلاث ساعات مع طفلها في الماء حتى كادت تموت من شدة البرد والجوع". عن يوم ١٩١٥/١/١٧ نقرأ: "عدد الوفيات من الأطفال بسبب الكوليرا أصبح مرعبا. كان المرض يحصد النفوس بلا رحمة. القسم الأعظم من وقتنا كنا نخصصه للإهتمام بالمرضى، ثمّ نقوم بتكفين الموتى. عاد مساء أمس السيد "دنحا" سالما والحمد لله. حدّثنا عن أوضاع القرى قال: "إنها في حالة يرثى لها. سهل أورميا الضحوك أكفهرّ وغدت المنطقة صحراء قاحلة. القسم الأعظم من المباني أشعلت فيه النيران، "... عن اليوم ١٩١٥/١/٢٢ نقرأ: "ها هي صراخات عالية تصمّ الآذان تُسمع مرة أخرى آتية من بعيد، يُطلقها رجال يجوبون الشوارع محذرين أن يد الموت أخذت تطول الكبار وعدد الوفيات في صفوفهم أزداد نتيجة للإصابة بالوباء"... عن يوم ١٩١٥/٢/١٢ نقرأ: "قامت مجموعة من الجنود الأتراك باعتقال الرجال من اللاجئين عندنا. أخرجوهم بالقوة بالضرب والإهانات والرفس. كان عددهم ١٥٠ شخصا، بعد أن نال منهم التعذيب كثيرًا وزّعوا إلى مجموعات في كل منها ٢٠ رجلًا، ثمّ أخذوا إلى السجن

ودون أن يعطى المجال لأيّ عضو في البعثة أن يفتح فاه أو يتمكن من الدفاع عن هؤلاء المظلومين... عن اليوم ١٩١٥/٢/٢٣ نقرأ: "منذ الصباح الباكر انتشر رعب شديد في المدينة كلها وخيّمت على أجوائها والساكنين فيها رهبة لا توصف بسبب الأنباء الواردة التي كانت تفيد أنّ المعتقلين تمّ إعدامهم جميعا بجبانة ونذالة"... عن يوم ٢٦/٢/ نقرأ: "صدرت الموافقة اليوم بدفن المعدومين. منحت الموافقة فقط لرئيس البعثة الأمريكية"... تمت عملية دفن (٤٢) جثة بعد أن كان الفساد قد أصابها بالتمام. بعض الجثث كانت الأعين قد قلعت. بعض آخر كانت الآذان مقطوعة أو الشفاه مقصوصة أو الأنوف مجدوعة"... عن اليوم العاشر من آذار نقرأ باختصار الجملة التالي: "تجربتنا تزداد وخبرتنا تتسع"...

عن اليوم الرابع والعشرين نقرأ: "آمالنا لم تخب وانتظارنا لم ينتهِ إلى خيبة! عند الصباح الباكر دخل فصيل من الجنود القوزاق (هم فرسان روس –المترجم) مدينة أورميا.

هل تستطيع يا ترى السلطات العثمانية تجاهل كل هذه الأحداث؟ بالتأكيد سيكون الجواب كلاّ ذلك لأنّ كل هذه الأحداث لم تكن إلاّ نتيجة لتخطيطات وُضعت سابقا، في نهاية نيسان ١٩١٥ أصدرت السلطات العثمانية مرسوما يقضي بنفي المسيحيين وخاصة منهم الأرمن الساكنين في الولايات العثمانية التابعة لمحافظات "وان" و"ديار بكر" و"بتليس". التطبيقات الفعلية لهذا المرسوم شملت كل المسيحيين دون استثناء بسبب المذهب أو العقيدة. لذا عدّ المسيحيون المرسوم كابوسًا رهيبا ومخيفا. يوم السبت المصادف الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩١٥ جرت في اسطنبول حملة إعتقالات واسعة شملت (٦٠٠) شخصية أرمنية بارزة ومعروفة على مستوى الدولة. فور الإعتقال تمّ نفيهم، في الطريق أعدموا جميعا بأسلوب وحشي. اعتبار من هذا اليوم المشؤوم، انتشر العنف وسادت شريعة الغاب نظرًا للإنفلات الأمني في كافة أرجاء الإمبراطورية. شملت هذه الأوضاع لا فقط الأرمن الساكنين أراضي الإمبراطورية العثمانية بل كافة المسيحيين من سريان أرثوذكس (يعاقبة) وسريان كاثوليك وكلدان ونساطرة آشوريين كانوا يسكنون الأنضول الشرقية. أثناء هذه الأحداث، كان الأب "جاك ريتوري" يتجول في أرجاء المنطقة، لذا نراه يسجل الوقائع وبضمنها بعض الأرقام التي لها أهمية في هذا الواقع وتوضح الحقيقة الفعلية لوجود المسيحيين وحضورهم في المجتمع فيقول: "بالنسبة لولاية ديار بكر كانت أعداد المسيحيين قبل المذابح كالآتي: (٦٠٠٠٠) أرمني غريغوري و(١٢٥٠٠) أرمني كاثوليكي و(٥٦٠٠) سرياني كاثوليكي و(٨٤٧٢٥) سرياني أرثوذكسي (من اليعاقبة) و(١١١٢٠) كلداني و(٧٢٥) بروتستانتي. المجموع الكلي لهؤلاء المسيحيين كان ١٧٤١٧٦ مسيحي". بعد ذلك نقرأ له مضيفا: "بعد المذابح نلاحظ حصول انخفاض كبير في هذه الأعداد إذ أصبح عدد الباقين أي: "المجموع الكلي للمسيحيين الذين لم يكتووا بنيران المذابح لتحرقهم كان (٧٤٦٨٥) مسيحيًا ومن دون الأرمن،

كانوا موزعين كما يلي: (١٠٠١٠) كلداني و(٣٤٥٠) سرياني كاثوليكي و(٦٠٧٢٥) سرياني أرثوذكسي و(٥٠٠) بروتستانتي. أما عدد الأرمن لوحدهم فكان (٦٩٥٠٠) أرمني كانوا يعيشون في هذه الولاية وأختفوا تمامًا بسبب أحداث هذا العام المشؤوم".

بعد ذلك، نقرأ ملاحظة مهمة سجلها هذا الأب (ريتوري) تستحق الإنتباه إذ تقول: "كان عدد اليعاقبة الذين كانوا يسكنون في ربوع الإمبراطورية قبل وقوع مصيبة المذابح يزيد على ال (٢٠٠٠٠٠) نسمة، بعد المذابح كان عدد الباقيين يتراوح بين الستين والسبعين ألف نسمة فقط، منهم (٣٠ - ٤٠) ألف نسمة بقوا يسكنون ولايات: ديار بكر، بتليس، خربوط. و(٣٠٠٠٠) نسمة سكنوا ولاية الموصل وأورفا وحلب. ما يخص سعرت التابعة لولاية "بيتليس" والواقعة شمال –شرقي ولاية دياربكر فكان فيها (٦٠٠٠٠) مسيحي منهم (٢٥٠٠٠) أرمني غريغوري و (٢٠٠٠٠) من اليعاقبة و(١٥٠٠٠) نسمة من الكلدان والسريان الكاثوليك والنساطرة. بحسب كتابات الأب ريتوري نستنتج أن كل مسيحيي "بيتليس" تمت إبادتهم بالتمام. مذابح "سعرت" نفذت تحت إشراف جودت بيك على أثر محاولة الأرمن الساكنين في هذه المدينة الدفاع عن أنفسهم ضد هجمة وحشية كانت تهدف إبادتهم جميعا، في معسكر منعزل. عن هذه الأحداث كتب ريتوري قائلا: "عند نهاية شهر أيار عام ١٩١٥ [٧٥]، قام جودت بيك بتشكيل فرقة عسكرية مشبعة بعدوانيته سماها "فوج الجزارين" / "قصّاب طابور" وذلك لتحقيق أغراضه الجهنمية. هنا لا بد لنا أن نسأل، ألم يكن في استطاعة الحكومة العثمانية على الأقل تجاهل كل الجرائم البربرية التي حصلت عوضًا عن أن تباركها؟

في اليوم الرابع والعشرين من شهر أيار عام ١٩١٥ تمت عودة قوات القوقاز الروس الثانية إلى أورميا. إنتصار الروس واحتلالهم للأراضي الفارسية خفف من آلام المسيحيين الذين بلغت بهم شدة النكبات والمصائب حدّها الأقصى. المبشر الطبيب William Antoine Shedd الأمريكي قال إن عدد الذين قتلوا في مدينة أورميا وحدها من المسيحيين كان ألف شخص وفي سلامس (٨٠٠) شخصا. عدا ذلك، نرى هذا الطبيب يتحدث عن حوادث الإغتصاب التي حصلت لمئات النساء وحتى البنات الصغيرات السن من اللواتي بلغن الثامنة من عمرهنّ. إضافة إلى هذه البربرية خمسة أسداس بيوت وممتلكات الكلدو آشوريين والأرمن وغيرهم من الأقليات غير المسلمة نهبت. ثم يسجل أيضًا أن أربعة آلاف نسمة قضوا نحبهم نتيجة للأوبئة المتفشية وهذا فقط خلال فترة الإحتلال التركي. أخيرًا ينتهي قائلا الخلاصة التالية:

"إننا لا نستطيع أن نستثني أي طبقة من المسلمين من مسؤولية الجرائم الحاصلة بحق المسيحيين. الفلاحون أبناء القرى شاركوا في النهب والسلب وارتكاب الجرائم. الفرس من طبقة الأثرياء والأشراف راقبوا الآثمة وشاهدوا أعمالهم البربرية بتأيد ومساندة معنوية وكان لهم حصة

في الغنائم. الأكراد كانوا رأس الحربة والآلة المسخرة لتنفيذ المذابح. دور الأتراك لم يتحدد فقط بالتحريض والتشجيع على ارتكاب الجرائم من قتل وذبح، وإنما تعدّى ذلك إلى أبتداع الأساليب الوحشية المرعبة في تنفيذ مجازر الإبادة واقتلاع الجذور. بالتأكيد في استطاعتنا أن نقول أنه لولا المساندة التركية الفعالة ودعمها القوي لأعمال الإرهاب لما كان هناك من مجال لحدوث كل تلك الجرائم البربرية [٧٦]. ثلاثة أرباع القرى الكلدو آشورية حرقتها النيران بالكامل، بعد نهب محتوياتها، الآلاف من سكان هذه القرى أبيدوا بحد السيف أو ماتوا نتيجة للإصابة بالأوبئة الفتاكة التي كانت قد انتشرت بين جماهير اللاجئين المكدسين في مباني البعثات التبشيرية. عدد الذين قضوا نحبهم بسبب المذابح أو الأمراض بلغ عشرة آلاف نسمة.

الكلدو آشوريون والسريان كانوا الفئات المنسية في المجتمع

سيبقى عام ١٩١٥ عاما مميّزًا في ذاكرة أجيال الكلدان والآشوريين والسريان، لأنه سجل في كتاب تاريخهم صفحات سوداء عن الأتراك وحكم العثمانيين الغاشم، ذكراها تمزّق القلوب مدى الأيام. المآسي التي حدثت خلال أشهر هذا العام سميَت مآسي " شاتا د سيبا " .

عام السيف أي سنة ضرب الرقاب بحد السيف. أيام هذا العام كانت مملوءة بالآلام والبؤس. الآلاف من المسيحيين هلكت على يد القوات العسكرية العثمانية والفارسية والأكراد المتحالفين معهم على الظلم والعدوان. هنا نقصد بالمسيحيين كل المسيحيين سواء كانوا من الجبليين –العشيرت –أو من سكان السهول –الرايا –وأيضًا إخوانهم الكلدان والسريان في بلاد فارس أو طور عابدين وديار بكر وماردين. الجميع قاسوا الأمرين ونالهم الظلم حتى قضوا نحبهم من شدة الآلام والحقد الدفين أو بالإعدام المباشر أو بالحرق.

إرتبط مصير هذه الأقليات إرتباطًا وثيقا بالمصير العام الذي انتهى إليه الوجود الأرمني. ابتدأت مسيرة جلجلة المسيحيين مع بدايات شهر كانون ثاني من عام ١٩١٥، عندما غادرت القوات الروسية الأراضي الفارسية. هناك شهادات كثيرة ومفصلة كتبتها شخصيات دينية [٧٧] غربية وكذلك شهادات رجال الدين المسيحيين أبناء تلك الجماهير نفسها [٧٨]. كتب كل هؤلاء بتفصيل يدمع العيون ويجرح القلوب بسبب ما تحويه من وصف دقيق لتلك الأهوال والأعمال الوحشية التي لم تعرف الإنسانية مثيلا لها في التاريخ الحديث.

لقد سجل عام ١٩١٥ في الفكر الأوربي صفحات لوقائع مرعبة خاصة لما يعني الشعب الأرمني. إهتمت كتابات المؤرخين الرسميين بجدية فقط بقضية الشعب الأرمني حيث جعلوها البؤرة عند تسجيلهم تلك الوقائع، أما الكلدو آشوريون فقضيتهم بقيت منسية ووجودهم مهمشا. رغم هذا التغافل والتناسي المتعمد نلاحظ أنّ الكتاب الأزرق البريطاني بعنوان " معاملة الإمبراطورية

العثمانية للأرمن " المعروف رسميا بالكتاب الأزرق. نشر هذا الكتاب المؤرخ الشهير Arnold Joseph Toynbee ضمن الكتاب جاء ذكر للمآسي التي قاستها جماهير الكلدو آشوريين. من مجموع صفحات الكتاب التي كان عددها ٦٨٤ صفحة حسب النصّ الإنكليزي، هناك ١٠٤ صفحات خصصت لأحداث الجماهير المنسية والمجازر التي نفذت بهم. احتوت تلك الصفحات واحدًا وعشرين مستندًا ووثيقة دامغة، الفصل المخصص لموضوع " أذربيجان وحكاري " ضمّ مستندات وحجج هي عبارة عن تقارير كتبها رجال غربيون مختلفي الخلفيات، مجموعها يشكل شهادات مسكونية.

من بين هؤلاء نذكر سبعة مبشرين أمريكيين، وثلاثة من الدبلوماسيين الأمريكيين وطبيبًا وصحافيين أمريكيين ومبشرًا إنكليزيًا وأربعة من الكلدو آشوريين (بولس شمعون وسورما خانم والأب نيسان وزوجة الكاهن الكلدو آشوري يعقوب من أورميا) كانت شهادات هؤلاء الكتاب تغطي الفترة المحصورة ما بين كانون ثاني عام ١٩١٥ والرابع عشر من نيسان عام ١٩١٦ (٧٩) . بين تلك المستندات يوجد نص الرسالة التي وجهتها سورما د بيث مار شمعون إلى رئيس أساقفة كنتربري بتاريخ ٩/ ١٠/ ١٩١٥ وأخرى موجهة إلى الآنسة ماركوليوث المؤرخة في الأول من نيسان عام ١٩٦١.

سورما تبحث عن الدعم

في شهر تشرين أول من عام ١٩١٥، وصل الآشوريون المنهوكين القوى بلاد مترامية الأطراف، قلوبهم كانت مملوءة بالأحزان وأجسادهم تسحقها الآلام. كانت ثيابهم رثة أملاكهم وثرواتهم أغتصبها ونهبها المعتدون. انتشرت جماهير الآشوريين في مناطق واسعة من بلاد فارس. بعد الوصول تفاقمت الحاجة إلى الضروريات وبدأ الشعور بخيبة الأمل يعصر القلوب.

فكان السؤال، ما العمل لمواجهة هذه اللوحة المؤلمة المرسومة عليها خطوط رؤيا مرعبة. الرجال والنساء ظهروا على تلك اللوحة منهارين تمامًا ضعفاء البنية، الجوع يلدغهم والبرد يرجفهم؟ ما العمل لمعالجة الأوضاع البائسة التي تعيشها الجماهير فتقضي الليالي في العراء تحت سماء زرقاء لا من دثار يقيهم سوى خرق ممزقة وأسمال بالية؟ إنهم بحاجة لكل شيء من طعام يومي ودثار ليلي وخيام للنوم داخلها إنقاء لزمهرير الشتاء القارص. الكثير منهم كان في المرحلة الأخيرة من حياته بعد أن بذل الجهد للوصول إلى هذه المناطق طلبًا للمساعدة والعون. عند ذاك حالف الحظ الكلدو آشوريين حيث توفر لهم مصدران من المعونة والمساعدة. المصدر الأول كان الجبهة الروسية ذات التأثير الفوري المباشر والفعال والمصدر الثاني هو العون الغربي المؤجل الذي يُشترط للحصول عليه العديد من الشهادات والوثائق إضافة إلى بطئ العملية في توفير تلك المساعدة والعون

البطريرك مار بنيامين شمعون مع آثوريي
تفليس- جورجيا عام ١٩١٦

المرجوين بسبب طول المسافات والبعد الجغرافي والأوضاع السيئة. تمّ الإتصال بالجبهة الروسية وطلبت المعونة فور الوصول، فوصلت دون انتظار وكان لها مفعولا إيجابيا ويوميا. المساعدات الواصلة من المسيحيين القوقازيين وزعت على الفور على اللاجئين ومباشرة. كانت المساعدات بشكل مبالغ نقدية بقيمة (٣٥٠٠٠) روبل و(٧٠٠٠) قطعة ملابس وبطانيات وكمية كبيرة من الأدوية من منظمة الصليب الأحمر الروسية. هذه المنظمة هي نفسها التي أشرفت على توزيع تلك المساعدات. البطريرك مار شمعون حاول إعادة إتصالاته الشخصية مع الروس منذ أواخر كانون أول من عام ١٩١٥.

شاركت سورما أبناء الشعب الآشوري في بؤسهم دون تذمر أو تعال. إنها عدا ذلك عملت على تحمل آلام الآخرين والتضحية من أجلهم. لذلك إنها شمرت السواعد وأخذت تكتب الرسائل العديدة الموجهة إلى الأنكليكان. من ديليمان كتبت رسالة مفصلة إلى رئيس أساقفة كنتربري فيها سجلت أدقّ التفاصيل للأحداث الأخيرة وخاصة النزوح الجماعي عن منطقة الحكاري باتجاه سلامس. بعد ذلك قرّرت الذهاب إلى أورميا للقاء بعض الوجهاء المحليين كالأب الراعي نيسان. هذا الكاهن كان آخر كاهن محلي يُقيم في مباني البعثة الأنكليكانية. عند بداية الحرب أعطيت الأوامر لكل العاملين في المنطقة من الإنكليز بضرورة المغادرة الفورية للأراضي العثمانية والتوجه إلى أورميا. رئيس أساقفة كنتربري وبناءً على الصلاحيات المعطاة له قام باستدعاء كل أعضاء البعثة التبشيرية المرتبطين به

وطلب مغادرتهم. كما أنه أصدر أمرًا يقضي بتخصيص المبالغ الباقية في خزانة البعثة لتغطية الحاجات الضرورية المستعجلة. وصلت سورما إلى أورميا في شهر تشرين أول من عام ١٩١٥ وفي نيتها الإتصال بالبعثة التبشيرية الكلفانية الأمريكية لأن أعضاؤها كانوا لا يزالون باقين ويعملون بكل همة ونشاط. كما فكرت بالتوجه إلى أوربا لتفعيل الرأي العام العالمي وشحن الشارع بموضوع قضية الآشوريين المنسية. بعد تقديم صورة كاملة لمعاناة الآشوريين ونزوحهم القسري والمظالم المسلطة عليهم والقتل الكيفي والإبادة الجماعية بمجازر مهولة. الغاية منها إجتثاث الجذور.

في الطريق، كانت أفكار سورما تحلق في متاهات لا تعرف الخروج منها – عند الإقتراب من بحيرة أورميا ومياهها الرقراقة أحيانًا والمزبدة أحيانًا أخرى، أصبحت نظراتها حالمة هادئة خاصة عندما كانت تشاهد ضفاف البحيرة حيث أكداس الملح الناتج عن تجفيف مياه البحيرة فتغدو صفحة مرآة باهرة الضياء لا تستطيع العين أن تنظرها بتمعن، نظرًا لإنعكاس أشعة الشمس على صفحتها. هناك تقليد يروي أنه لما أراد توما الرسول عبور هذه البحيرة إنشقّ له ممرّ أرضي يقع في أقصى أطراف البحيرة الشمالية. لذلك هناك حتى الآن مسابح على ضفاف البحيرة في تلك الجهات يقصدها المؤمنون لأخذ حمامات شمسية تبركًا وتذكارًا لعبور الرسول توما ومار يوحنا المعمذان. يعود هذا الإستحمام على ضفاف بحيرة أورميا إلى تقاليد عتيقة، يفترض الناس أن ذلك سيكون وسيلة فعالة للتخلّص من الأفكار القذرة وتطهير الذات. تقاليد مشابهة قد نجدها في حضارات قديمة كالمصرية والبابلية والهندية. بالنسبة للمسيحيين كان هذا الإغتسال (الإستحمام البحري) رمزًا لعماذ غرضه التوبة وطلب الغفران للخطايا. غالبًا ما كان يُشاهد في مواضع هذه الحمامات أشخاص عراة تمامًا غاطسون في المياه القريبة من الضفاف. التعري الذي كان يمارسه المسيحيون، كان سببًا مشككا وصدمة قوية للمبشرين الغربيين الأوائل، لأنهم لم يستطيعوا أن يعيدوا هذه التقاليد إلى جذورها القديمة. كم تمنت سورما لو أُتيحت لها الفرصة لممارسة هذا الغطس والإستحمام في مياه بحيرة أورميا بعد أن تنتهي الحرب العالمية، فتحقق ميلادها الروحي من جديد وعودة إلى حياة عذراء طاهرة.

بينما كانت سورما تقطع المسافات الطويلة وهي تسير بموازاة ساحل بحيرة أورميا، شاهدت بعيدًا سربا من طيور النحام (صنف من الطيور طويل الساق والعنق يشبه الأوز –المترجم) يمشي الهويدا على ضفاف البحيرة الرطبة قرب أعشاشه ثمّ يغوص في أعماق المياه أجنحته بيضاء الضاربة إلى الحمرة ظاهرة فوق سطح الماء نظرًا لطول سيقانها ورقابها الطويلة. كانت ممشوقة الهيئة تبحث عن غذائها اليومي، مستخدمة منقارها الطويل المعقوف لغرف المياه ومن ثمّ نفخها إلى الخارج بعد الاحتفاظ بما تحويه من غذاء شهيّ. في الجزر الصغيرة المنتشرة في أرجاء مياه البحيرة شاهدت على مرتفعاتها مجاميع من البط البري. إنها حيوانات لا تعي معنى صراخات البشر

البائسين. تمتماتها (صوت البط –المترجم) أبهجت قلب سورما قليلا رغم ما كان يملؤه من أحزان وآلام. كانت هذه الفترة لحظات من حياة منعشة ذكرت سورما بأيام ماض بهيج.

بسبب التطورات السياسية، أصبحت البعثة التبشيرية الأنكليكانية ترفع العلم الأميريكي فوق بناياتها توفيرًا للحماية المطلوبة بواسطة الحصانة الدبلوماسية التي لهذا العلم. استقبل الراعي نيسان سورما بسذاجته الإعتيادية وترحابه الحار. بعد القبلات ودموع حارة هطلت غزيرة، اجتازت سورما عتبة الباب ودخلت، فرأت فراغا مفزعا. لا شيء قد بقي في دار الراعي. النهب لم يبقِ لهذا الإنسان الغيور شيئًا يذكر. كل هذا حصل خلال فترة الإضطرابات. إنه قد خسر زوجته وإبنته "بياتريس". أما إبنه صموئيل فكان لا يزال مقيما في الولايات المتحدة. فمن بقي في المبنى كان الراعي نيسان وكنته "ناناجان" وابنه الشاب اليافع. رغم النكبات الهائلة والمصائب الفادحة، بقي هذا الإنسان مرفوع الرأس ولم تحنه المحن. حالما وصلت فرق غوث اللاجئين شمر الراعي نيسان الساعدين وانخرط في عمل تطوعي، فأصبح حلقة وصل في سلسلة، مهامها تتركز على إقامة الروابط وتسهيل الإتصالات بجميع الكنائس والمنظمات. لقد كان لهذا التنظيم أثر مهم وجهد فعال في حياة الآشوريين الجبليين آنذاك.

ذهبت سورما بعد ذلك، يرافقها الراعي نيسان إلى مقر البعثة الأميريكية الواقع في الجوار. كانت هذه البعثة منذ عام ١٨٧٠ مرتبطة بالكلفانيين. عند اشتعال نيران الحرب العظمى كان لهذه البعثة في أورميا مستشفى وكلية متخصصة بالدراسات الطبية ومعهد داخلي للفتيات وثانوية للشبان، كما قامت البعثة بفتح المئات من المدارس الابتدائية المنتشرة في قرى المنطقة. وتأسيس مطبعة كاملة التجهيزات تقوم بطبع كل ما تحتاجه المدارس من كتب ومطبوعات أو تحتاجه الكنائس من كتب صلوات طقسية أو مطبوعات لنشاطات مفيدة لتثقيف المجتمع المدني. من جملة تلك النشاطات نذكر مجلة "زاريرا د باره" [٨٠].

فتح الباب رجل ضعيف البنية فارع القامة، فدخل القادمون. كان ذلك الرجل الدكتور وليم شيد رئيس البعثة الأميريكية. من نظراته الحنونة ظهرت طيبة كبيرة كانت تملأ قلبه الأبوي. قدّم الراعي نيسان سورما للدكتور شيد. رفع الدكتور شيد ذراعيه نحو السماء وهو يهتف:

"ليكن إسم الرب الإله مبارك، إنه قد حماك يا سيدتي العزيزة، تفضلي بالدخول وخذي كامل راحتكِ. إني مسرور جدُا من لقائي بكِ واستطاعتي لإبلاغكِ كل مشاعر قلبي من تعاطف ومحبة أخوية أكُنها لكِ ولأبناء شعبكِ لما قاساه ولا زال يقاسيه من مصائب وضيق. إني أؤكد لكِ إستعدادي التام لتقديم كل مساعدة تطلبينها للشعب الآشوري المظلوم". شكرت سورما الدكتور شيد بحماسة وأجابت:

"الحمد لله الذي ساعدنا وأبقانا أحياء حتى الآن، إنّي أؤكد لكَ أنّ أبناء الشعب الآشوري وعلى

رأسهم البطريرك مار شمعون بنيامين، أخي يكنون لكم كلّ الشكر والإمتنان، معترفين بجميلكم وأفضالكم التي قدمتموها كمساعدات مادية من قبل الشعب الأميريكي بكل فرح وسرور... إننا نعتمد على المساعدات الأميريكية إعتمادًا كليًا خاصة في تمشية الحياة اليومية لجماهيرنا من جهة ولأسماع صوتنا واستغاثاتنا خارج الحدود التركية الفارسية". كلمات سورما الأخيرة شجعت الدكتور شيد للمضي في القول:

"منذ أن سمع السكرتير العام لمنظمتنا السيد " Speer أخبار النزوح الجماعي القسري للشعب المسيحي الآشوري، هيا تنظيما خاصًا نستطيع بواسطته أن نقدم المساعدات الإنسانية لكل اللاجئين الموجودين ضمن نطاق نشاط اللجنة الأمريكة المختصة بشؤون مساعدة الأرمن والسريان [٨١]. يعمل هذا التنظيم بتنسيق تام واتصال مباشر مع منظمتنا، كما أنه المسؤول المباشر عن توزيع المساعدات العينية والمالية. هنا في أورميا يتمّ التوزيع تحت أشراف الراعي "ماك دويل". خلال فترة قصيرة مقبلة ستتوفر لدينا الأغذية المتنوعة والثياب الدافئة والأدوية والأسرة والعدد الزراعية والثيران اللازمة في الفلاحة، هذا بالأضافة إلى المال اللازم لإيجار البيوت. هذه اللجنة (التنظيم) تعنى اليوم وبجد منقطع النظير بجمع كل ما من شأنه أن يكون شهادة دامغة وبرهانا ساطعا لما يحصل من ظلم. وإنها أيضًا توظف بعض العاملين المحليين والممثلين للعديد من المنظمات المرتبطة بها لأعداد ما يتجمع لديها من معلومات فتنسقها وترسلها إلى نيويورك لنشرها وتوزيعها على أوسع نطاق في الولايات المتحدة وأوربا. إننا نقوم بكل هذا النشاط لتعريف المتبرعين بحقيقة الأمور وواقعها الفعلي وكذلك لإطلاع الحكومات على كل ما يجري من أحداث للشعب الآشوري، شعبكم. إنني أطمع في الحصول على جهودكِ التي سيكون لها من دون شك تأثيرًا كبيرًا في تحقيق أهدافنا".

عند هذا الحدّ، أخذت الكلام سورما فقالت: "أنا شخصيًا، سبق أن قمتُ بإبلاغ رئاسة أسقفية كنتربري برسالة مفصلة شرحتُ فيها وضعنا الحالي وأكدتُ أننا في أسوأ الأحوال التي قد يتصوّرها الإنسان. النساء يأتين إلينا يوميًا حاملات أطفالهنّ يشكين آلامهنّ ويطلبن المساعدات الفورية الضرورية كالأغذية والملابس والأدوية. كذلك شرحتُ موضوع الخسائر البشرية التي أصابت جماهير الآشوريين"، ثم قالت: "لدي نسخة من الرسالة التي وجهتها إلى سيادة رئيس أساقفة كنتربري من ديليمان في التاسع من تشرين أول ١٩١٥. ها هي ذي، قد تكون أولى مساهماتي أُقدمها لكَ لتضمها إلى ما لديكَ من وثائق ومستندات. ما هو في بالي وأودّ تحقيقه على عجل هو الوصول إلى لندن لأن حضوري الشخصي هناك سيكون شهادة حيّة ومقنعة لكل الجهات المعنية. هناك سأستطيع مخاطبة وسائل الإعلام والصحافة البريطانية والعالمية، كما سيمكنني كتابة وصف واف لمسيرتنا الشاقة التي أسميها "طريق الجلجلة" بسبب الآلام والمظالم التي واجهتنا خلالها، إنّي أرجوكَ التفضل باتخاذ ما يلزم من إجراءات لتحقيق رغبتي هذه واعتبارها طلبًا رسميًا أقدمه لمن يعنيه الأمر. آمل أنكَ

ستوافق على ذلك طالما أمور كهذه هي من جملة مهامكَ الرسمية وعسى أن يصلني جواب إيجابيّ عن ذلك قريبًا " .

أجاب الدكتور شيد مدفوعا بالرغبة في أن يكون رجلا متفائلا ومشجعًا: " إني أودّ أن أبلغكِ أنّ رئيس أساقفة كنتربري أصدر قرار لرفع القيود عن مبالغ كبيرة من المال، وخصصها لكم أنتم بالذات واعني بذلك الآشوريين الجبليين. الغرض من هذا الإجراء هو توفير الفرصة لشراء الحاجيات ذات الصفة الآنية والضرورية جدًا. هذا ما سيتمّ تنفيذه في القريب العاجل. عدا ذلك، إنكِ ستلحظين الراعي نيسان يعمل في هذا الإتجاه. أما موضوع سفرك إلى لندن والذي تمّ طرحه للتو فهذا أمر آخر ويتعلق بقرار الحكومة البريطانية نفسها وبصورة مباشرة " .

في تلك الأيام وصل السيد بولس شمعون، عضو الإرتباط لشؤون المساعدات الأميريكية بين مكتب نيويورك والآشوريين الجبليين. كان هذا الرجل شابًا آشوريا من بلاد فارس. إنحصرت مهامه أولا بتجميع المساعدات وإعدادها للتوزيع. إنه أدّى واجباته بالتمام وبأمانة ونشاط مدهشين. ولد بولس الشاب النسطوري في "كولياشان" أكمل دراسته في جامعة كولومبيا في نيويورك. بعد إنهاء الدراسة، تعاون مع عائلة البطريرك مار شمعون بنيامين الذي سبق أن التقاه مرات عديدة في بلاد فارس أثناء الزيارات التي كان يقوم بها لتوفير المساعدات العسكرية من الروس، في أورميا تعاون بولس شمعون مع سورما في كتابة التقارير المفصلة التي تمّ أرسالها إلى إنكلترا خلال شهر تشرين ثاني عام ١٩١٥ .كما قاما بكتابة تقرير مفصل عن النزوح الجماعي القسري الذي نفذ بحق الآشوريين الجبليين عام ١٩١٥ . بعد ذلك سافر بولس شمعون إلى بريطانيا العظمى و إلى الولايات المتحدة ممثلا للبطريرك مار شمعون بنيامين، ولإعطاء التصريحات المهمة للصحيفة الأميريكية " أرارات " و " جويرجمان " الصادرة في أكسفورد. إنه قد ساهم أيضًا في كتابة و إصدار الكتاب الأزرق البريطاني.

التقارير المنشورة والأنذارات المرسلة جعلت أوربا في أجواء إنذار دائم. عندئذ استيقظ الضمير الأوربي وتحرك وأخذ يسأل: " هل يجب طرح قضية الآشوريين كقضية مهمة كبرى. أو الأكتفاء بتقديم المساعدات الإنسانية للتخفيف عن الضمير فقط؟ على أثر ذلك أخذت الرسائل تصل تباعا وهي تحمل مخططات أولية لإيجابات متباينة كردود فعل فورية. وصلت لسورما العديد من تلك الرسائل، وصلتها من لندن. من بين تلك الرسائل كانت هناك رسالة من الراعي المحترم " ويكرام " . يخبرها أنه من الأفضل البقاء في بلاد فأرس إلى جانب أبناء الشعب وهم يمرّون بالمحن القاسية، ويرجوها مراجعة القنصل الإنكليزي في تبريز السيد Shipley لمزيد من التفصيلات المتعلقة بالموضوع. احتارت سورما من هذا الجواب –عدم الموافقة على ذهابها إلى لندن – وغادرت إلى ديليمان، دون أن تفهم سبب رفض الإنكليز لطلبها واعتبرت الإكتفاء بطلب إرسال الرسائل والتقارير وسيلة لجلب عطف المتبرعين فقط. مما أزاد في حيرتها عدم الإهتمام بكل البراهين الواضحة التي قدمها أشخاص نجوا من المذابح

ويريدون نقلها إلى الرأي العام العالمي بلغة إنكليزية بليغة. بعد العودة إلى أورميا كرسّت سورما نفسها ووقتها للإهتمام بأبناء وبنات أخيها بسبب أنّ زوجة أخيها استير كانت لا تزال هزيلة بعد ولادتها لطفلتها هيلين والتي تمت بعد ١٥ يوما من الوصول إلى بلاد فارس. قامت سورما بتعليم الكتابة والقراءة لأن العلم والمعرفة هما أفضل سلاح بيد الشباب والبالغين. كانت تشجع الجميع ليكونوا طلبة مجتهدين ومتنافسين. لقد غمرها فرح شديد عندما استطاعت بنات رومي إتقان الألف باء. إلى جانب هذه المهام العائلية كانت سورما مستمرة في كتابة الرسائل وإرسالها. في إحدى تلك الرسائل المؤرخة في ١/٤/١٩١٥ والموجهة إلى مدام Margoliouth زوجة الأستاذ الكبير " ديفيد صموئيل ماركوليوث الذي تعرفه جيدًا شعوب الشرق، كتبت تقول: " إني أؤكد صحة كل ما كتبته من معلومات وذكرته من تفاصيل، ثمّ طلبت إليها (مدام ماركوليوث) القيام بنشر محتويات التقارير على أوسع نطاق ولم تخفِ ألمها العميق ودهشتها من عدم السماح لها بالوصول إلى بريطانيا العظمى للدفاع عن حقوق شعبها أمام السلطات العليا وأمام الرأي العام العربي. اهتمت مدام ماركوليوث بطلبات سورما ووضع الشعب المسيحي في الشرق عامة والآشوريين خاصة الذين يسكنون ضمن أراضي الإمبراطورية العثمانية. لذا أعطت موافقتها على نشر محتويات هذه الرسالة في الكتاب الأزرق الصادر عن الحكومة البريطانية (٨٢). خلال هذه الفترة الزمنية لا بل الحقبة التاريخية المهمة كانت الدول الكبرى والقوى العظمى منهمكة في التحضير للمباحثات التي كانت ستجرى في الفترة التالية للحرب. كانت الإتصالات تجري على أعلى المستويات لكن بسرية تامة. كل هذا كان يجري من وراء الآشوريين الغارقين في مشاكل لا تعدّ ولا تحصى. بالنسبة للآشوريين كانت تلك الفترة، فترة للكفاح من أجل لقمة العيش. أثناءها أنشغل الفرنسيون والروس وبريطانيا العظمى بموضوع إقتسام ممتلكات الإمبراطورية العثمانية –الرجل المريض، فيما بينها. أخيرًا صدر عن تلك المباحثات السرية الاتفاقية الشهيرة المعروفة باتفاقية " سايكس – بيكو " .بطبيعة الحال ونظرًا للسرية المفروضة على الإتصالات والمباحثات، غاب عن بال سورما كما غاب عن بال أبناء الشعب الآشوري وبقية الشعوب التي يعنيها الأمر التي قاست أهوال الحرب الضروس. الكثير من المعلومات المهمة التي تخصّ مستقبل كل هؤلاء. خلال الفترة الأخيرة من الحرب وقبل أن تتبلور المواقف النهائية بدأت تجرى وراء كواليس الدول الكبرى والقوى العظمى إتصالات ومباحثات تهيئ الخطط التي يجب تنفيذها بعد الحرب. هذه الإجراءات كانت هي أيضًا سريةً وضمن حلقات صغيرة جدًا يشترك فيها مسؤولون كبار. الشعوب المعنية أو ممثليها لم يدعوا للإطلاع على التشكيلات الجديدة المنوي استحداثها. فهل لو تسنى لسورما الإمكانية وفسح لها المجال بالتواجد في لندن كانت ستستطيع الدخول على الخطوط أو على الأقل لفت الأنظار وجلب الإنتباه لقضية شعبها دون إثارة مشاكل أو إزعاجات فيصبح بيدها ورقة تلعبها في هذه اللعبة الدولية الكبيرة؟

٢ - الحليف الأصغر

مع الجبهة الروسية

رغم عدم وضوح الواقع الفعلي، استعلت سورما (تجاوز عالم المعرفة) وذهبت تطلب الحلول استنادًا إلى نصوص الكتاب المقدس. في إحدى رسائلها إلى مدام ماركوليوث كتبت عن هذه الفترة تفصيلات عن منفاها بأسلوب مجاز فقالت: "نحن اليوم بدو رُحل حقيقيون ومعنا البطريرك. تمامًا كما كان وضع الإسرائيليين تحت قيادة موسى. إنّي أُشبه أخي داوود بهارون العبرانيين بلحيته البيضاء. أما أنا فأشبه نفسي بمريم أخت موسى وهارون عوضًا عن مبنى الكنيسة هناك خيمة لإقامة الصلوات الطقسية والقداديس. خيمتنا تشبه خيمة تابوت العهد لذا أسميها "خيمة تابوت العهد الآشورية". تاريخنا يتحدث عن معارك مع الأعداء كما كان للإسرائيليين معارك مع الكنعانيين. أعداؤنا يمنعوننا من العودة إلى أرض أبائنا وأجدادنا". إشارات سورما هذه المؤسسة على نصوص من الكتاب المقدس كان لها آثار كبيرة في نفوس قرّاء تقاريرها خاصة الجزء الذي شبّهت فيه نفسها بمريم أخت موسى وهارون وشبهت أخيها داوود بهارون الأخ الأكبر لموسى ورفيقه الدائم. كما إنها شبهت أخاها البطريرك بنيامين بموسى النبي. لنرجع إلى سفر ميخا من الكتاب المقدس ونقرأ: "إنّي أصعدتكَ من أرض مصر، وافتديتكَ من دار العبودية وأرسلتُ أمامكَ موسى وهارون ومريم [٨٣]. لنضع سورما بين الشخصيات الكتابية الثلاث، الشخصيات التي قادت عملية خروج العبرانيين من مصر. ما يعني وضع سورما وفعاليتها، نقول إن لا مجال هناك للشك البتة. إنها مع أخويها كانوا يمثلون روح المقاومة العنيده المنتشرة بين صفوف الآشوريين وكانوا العنصر الموحد لجماهير العشيرت. هدفهم كان دومًا رسم طريق العودة مع الإحتفاظ بالأصول والثوابت الأساسية أي الأبقاء على أهمية المهام الكنسية والمراسيم الدينية وتأدية الصلاة وإقامة الذبيحة الإلهية طالما كان هناك الخيمة المخصصة للتقديس. المنازعات والمجابهات كانت أمورًا إعتيادية حسبما جاء في نصوص الكتاب المقدّس. الاختلاف الوحيد بين الحالتين هو حجم الأحداث واتساعها حيث أوضاع الآشوريين تختلف كليا عما كانت عليه الأوضاع أيام العبرانيين والتي يمكن إعتبارها تقليدية.

كانت جماهير الآشوريون مطرودة من أوطانها الأصلية مهضومة الحقوق تشحذ الخبز لقوتها اليومي وتطلب سقفا يحميها من البرد شتاءً ومن ضربات الشمس صيفا، مع ذلك رضي الآشوريون بالذهاب إلى ساحات الوغى والمشاركة فيه شرط المحافظة على الأرض والوطن. التاريخ العام لمجريات أحداث الحرب العالمية الأولى لا يذكر مشاركة للآشوريين في تلك الحرب رغم إنهم شاركوا ضمن قوات الدول الكبرى وبدور مشهود له وكحليف صغير. قاتل الآشوريون بشجاعة وبسالة نادرة خلال فترة انحصرت ما بين العامين ١٩١٦ و١٩١٨، حملوا السلاح إلى جانب الحلفاء. في البداية شارك الآشوريون في القتال على الجبهة الروسية. قبل الحرب لم يكن للروس رغبة في الاحتكاك

بالإمبراطورية العثمانية أو المجابهة المباشرة لجيوشها. لذلك كان التعاون الآشوري الروسي محدودًا وقد لا يذكر. الأوضاع تغيرت بعد اشتعال نيران الحرب، فبعد مسيرة النفي الجماعي والنزوح القسري نحو الأراضي الفارسية أعاد البطريرك مار شمعون بنيامين محاولة الإتصال بالروس معتبرًا أنهم القوة الحامية للمسيحيين. من الناحية العسكرية، بعد قيام الحرب، رأت دولة روسية القيصرية نفسها بحاجة إلى توسيع مدى فعالية قواتها على الجبهات التركية / العثمانية وتلك المحتلة الواقعة ضمن الأراضي الفارسية / مناطق أورميا وسلامس. لذلك طلبت القوات الروسية مساعدة الآشوريين والدفاع عن المناطق التي يسكنونها. في كانون ثاني من عام ١٩١٦ سافر البطريرك مار شمعون بنيامين إلى "تفليس" عن طريق "جولفا" لمقابلة الدوق الأكبر "نيقولا" (نيقولاي أو نيقولافيج) الذي كان قائدًا للقوات المسلحة الروسية القوقازية. كان استقبال الدوق نيقولا للبطريرك مار بنيامين استقبالا فخما ورائعا. بعد الإجراءات البروتوكولية عقدت لقاءات ثنائية بين الإثنين، وبحث موضوع المساعدات المهمة التي على روسيا تقديمها للآشوريين في

سلامس بشرط أن تكون دينًا بذمة البطريرك. إضافة لذلك، بين البطريرك للدوق نيقولا رغبة الآشوريين الأكيدة والراسخة لاستعادة وطنهم في الحكاري. هكذا تمّ تلاقي أهداف الطرفين. وفقًا للاتفاق الروسي الآشوري شُكلت أفواج عسكرية نظامية من أبناء العشائر الآشورية. في البداية واجه الاتفاق بعض الصعوبات بسبب الاستجابة الضعيفة لتحقيق المشروع. درست سورما الحالة وقرّرت العمل، فزارت مخيمات اللاجئين مُحفزة جماهير الشباب على الإنخراط في صفوف الأفواج المُشكلة للقتال إلى جانب الروس، رافق سورما في جولاتها وزياراتها للمخيمات أخوها داوود الذي كان يقوم بشرح الفوائد المرجوة من تلك المشاركة. عند نهاية فصل الخريف عام ١٩١٦ بلغ عدد المجندين من الشباب الآشوريين حوالي الألفي متطوّع. فتمّ تدريبهم وتسليحهم على أكمل وجه. ودفعت لهم الرواتب المجزية مع توفير الطعام بكميات كافية وبصورة مشابهة لما كان يتمتع به الجندي الروسي نفسه. قاتلت الأفواج الآشورية قتالا بطوليًا وباصطفاف منظم إلى جانب الروس الذين تحالفوا معهم. مشاركة الآشوريين كانت مهمة وأحيانًا الأهم نظرًا لدورها الفعال في تقرير النصر ولأهمية المعارك. من بين تلك المعارك نذكر معركة " أوشنو " و" الباش قلعة " . إستطاع الروس توسيع جبهتهم في بلاد فارس وبسرعة هائلة بفضل مشاركة الآشوريين. عبرت القوات الروسية الحدود العثمانية واستمرت في إحتلالها المناطق وراء الحدود حتى وصلت موطن عشيرة تياري. في تشرين أول من عام ١٩١٧ وصلت طلائع القوات الروسية ومعها أفواج الآشوريين قصر " تشال " الذي لم يكن يبعد عن الموصل سوى ٨٠ كم. الحصيلة الفعلية للإنتصارات المحققة أنعشت آمال الآشوريين، غير أن التاريخ لم يكن قد قال كلمته الأخيرة في النتائج المحققة. إعلان تنازل القيصر نيقولا الثاني في الخامس عشر من آذار عام ١٩١٧ خلق التشتت في صفوف الجيش الروسي والتشرذم. أخيرًا أجبرت على التخلي عن القتال وترك الجبهة فارغة. حصل هذا الحدث المهم بسبب دخول الثورة البولشفية ميدان السياسة خاصة بعد استيلائها على مقاليد السلطة الفعلية. حينئذ قرّرت اللجنة الثورية العليا الإنسحاب الرسمي من جبهات القتال، فأصبحت الإتفاقيات السرية الموقعة بخصوص توزيع ممتلكات الإمبراطورية العثمانية من الماضي المنسي. على نفس الوتيرة أصبح الإتفاق المعقود بين الدوق الأكبر نيقولا والبطريرك بنيامين باطلا ولا أثر لذكراه. يا لسخرية الأقدار ويا لمهازل التاريخ. بعد ثلاثة أسابيع من قيام الثورة الروسية أي في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩١٧ دعى القادة الروس الكبار الموجودون على رأس القوات المحاربة البطريرك بنيامين وبعض من الملكي (ج. ملك /رؤساء العشائر) لحضور إحتفال توديعي رسمي للقوات الروسية في أورميا. إستقبل البطريرك ومرافقوه القادمين للمشاركة في الإحتفال استقبال كبار المدعويين. فكان هناك حرس شرف للتحية، وتقليد الأوسمة العسكرية الرفيعة. وسام صليب القديسة حنة منح للبطريرك مار شمعون بنيامين. تقديرًا لخدماته الجليلة في الميدانين العسكري والمدني. مع

الوسام قدّمت بعض الأسلحة القيمة محفوظة في أدراج من الخشب الثمين تستعمل عادة للمجوهرات ومبطنة بالقطيفة الحمراء تمييزا لشخصية البطريرك الرفيعة. كتب عن هذا الإحتفال الكاتب الروسي الشهير "فيكتور جلوفسكي" الذي كان يومئذ موجودًا في أورميا كنائب للمفوض الأعلى للفيلق السابع، فقال: "كان البطريرك منفعلا، وجهه شديد الاحمرار، نظراته حادة، شعر رأسه وخطه الشيب مع قليل من الاصفرار الضارب إلى الحمرة. كان يضع على رأسه عمامة خاصة بمنصبه وصليب يتدلى على صدره علق بسلسلة تحيط رقبته [٨٤]. قبل انتهاء الإحتفال، أبلغ بعض القادة الروس البطريرك أنّ فوجا من القوات الروسية سيتخلف عن المغادرة ويبقى في أورميا مع بعض المعدّات العسكرية والأسلحة ومبلغ من المال وبعض الضباط المتطوعين الذين أختاروا البقاء. كل ذلك كان من أجل الإبقاء على المقاومة حية فعالة مع تنظيمها العسكري.

آنذاك، وبسبب القرار المفاجئ، أصبح وضع الآشوريين محفوفا بالأخطار لأن الفرس لم يكونوا يرضون عن حضور هؤلاء الجبليين وإقامتهم في الأراضي الفارسية باعتبار أنهم دخلاء.

رغم محاولات البطريرك العديدة لتطمين دولة الفرس من سلامة نيات الآشوريين، هذا من جهة، أما من الجهة الثانية، فالروس كانوا يقاتلون بكل حرية وشجاعة لتحقيق الإنتصارات، بينما الإنكليز كانوا يعيشون أحلامهم بأنانية متناسين جهود الروس الحربية ومهمشين طموحات الآشوريين للعودة إلى موطنهم الأصلي في جبال حكاري الشامخة، الملجأ الأمين والملاذ الحصين البعيد عن النيل منه. إنّ الآشوريين بقوا دومًا ينظرون إلى تلك الجبال المكللة بالثلوج وهي تذكرهم بأيام العزّ الغابرة والماضي المشرق الذي لا ينسى. على أثر هذا الحدث الكبير أخذ الأتراك العثمانيون يشدّدون الخناق ويتهيئون لدخول معارك حاسمة والقيام بحملات تحت المسلمين على الإتحاد ومجابهة "الكفرة" ومحاربتهم حتى إن يركعوا صاغرين. عند نهاية أشهر عام ١٩١٧ أي عندما حلّ موسم أعياد الميلاد كان الآشوريون قد أصبحوا في أسوأ الأوضاع، فامتلأت العيون بالدموع والقلوب بالحسرات إنهم غرباء بعيدون عن وطنهم وأرض أجدادهم رغم الشجاعة المدهشة والبسالة الفريدة التي حققوها منذ نزوحهم الجماعي، لقد بدأ القلق يسيطر على الإحساس خاصة ما يتعلق بشأن المستقبل والمصير النهائي المهددان بأخطار الإبادة وأقتلاع الجذور. وصول أحد الضباط الكبار البريطانيين أعاد بعض الآمال فاستبشر الآشوريون خيرًا لأن زيارة هذا الضابط كانت زيارة خاصة ولمهمة جدا محدّدة.

الوعود البريطانية

حضت التطورات السياسية الأخيرة في روسيا باهتمام الإنكليز والفرنسيين على حد سواء. لذا ولغرض إثبات وتوكيد إهتمامهم بالوضع العام والتغيير الطارئ خاصة ما يعني المناطق موضوعة

البحث (الجبهة الفارسية)، قاموا (الدولتان البريطانية والفرنسية) بتكليف مندوبيهما الموجودين في تلك الجبهة القيام بمهمة خاصة تتركز على: تشجيع الآشوريين ودفعهم لإعادة الحياة والفاعلية لفصائل القوات المشكلة (ألأفواج التي عملت مع القوات الروسية قبل انسحابها) منهم: الآشوريين للاستمرار في المنازلة وخوض المعارك. في الخامس والعشرين من كانون أول عام ١٩١٧ وصل بلاد فارس العقيد الفرنسي Gasfield حاملا أوامر لتشكيل أفواج جديدة. جاء هذا الضابط الفرنسي وكله أمل بالظفر بمساعدة الدكتور Paul Caujole رئيس البعثة الطبية والإسعاف الفرنسية التي كانت مرتبطة في السابق بالقوات الروسية العاملة في أورميا منذ عام مضى. فعلا في شهر آب من عام ١٩١٧ وصلت إلى أورميا فرقة إسعاف جبلية للمساعدة في القضايا الصحية الخاصة بحلفاء القوات الروسية. بعد الإنهيار الروسي المفاجئ، أزداد تقييم الدكتور "بول كوجول" الفرنسي وأعتمد رأيه السديد لدى القيادة العامة الفرنسية. لذا أنيط به موضوع تشكيل الأفواج الجديدة. قام الدكتور "كوجول" بنشاط كبير فنظم حملات عديدة لجذب الآشوريين وترغيبهم للأنخراط في الأفواج الجديدة المزمع تشكيلها التي ستعمل تحت أعلام الحلفاء وقواتهم العاملة في بلاد فارس (٨٥). كان للإنسحاب الروسي غير المتوقع أثر سلبيّ كبير خاصة لدى الإنكليز المتمركزين في جنوب الأراضي الفارسية وبلاد ما بين النهرين المجاورة. إهتمام البريطانيين كان منصبا على الحفاظ على طريق سالكة وأمينة باتجاه القارة الهندية وبتعاون كافة الدول المتحالفة. في كانون أول من عام ١٩١٧، أرسل الإنكليز مبعوثهم الخاص إلى أورميا. كان هذا المبعوث ضابطا في المخابرات البريطانية وهو العقيد الشهير .Gracey وصل "كريسي" ومعه أوامر تقضي بتشكيل فرق مسلحة وباسرع ما يمكن تعويضا عن القوات الروسية المنسحبة. قام "كريسي"، بتنظيم لقاء مع الآشوريين لإقناعهم على ضرورة تولي مسؤولية الحفاظ على جبهة قتال نشطة وفعالة متحالفة مع الأرمن وبعض من الأكراد. من أجل تحقيق هذا الهدف. وقبل الوصول إلى أورميا قام هذا الضابط الإنكليزي باستشارة بعض الزعماء المحليين ومن بينهم "أغا سمكو" زعيم القبائل الكردية المعروفة بـ "الشكاكيين".

عندئذٍ هبت رياح مجمدة على السهول المجاورة لأورميا وكذالك على أوضاع الآشوريين العامة، فانجبرت سورما على الإقتراب من البعثة الأميريكية حيث كانت الإجراءات تتخذ لعقد اجتماع مهم جدًا لمناقشة أمور الآشوريين الآنية ومستقبلهم. الأوضاع لم تكن إيجابية أي إنها كانت في غير صالح الآشوريين. تسارعت التطورات نحو الأسوأ ومن يوم لآخر. بسبب مغادرة القوات الروسية أصبح حال الآشوريين في الحضيض. إنهم قد أصبحوا وحيدين في الميدان ومواجهين القوات التركية الشرسة التي بدأت تهاجم مناطق الآشوريين. إضافة لذلك، عداوة الفرس للآشوريين أخذت تتنامى. الحياة الآمنة ليوم الغد لم تعد مضمونة سلطة البطريرك، أخو سورما –مار شمعون بنيامين– كانت

في تناقص مستمر على أثر النزوح الجماعي كان الملكة /رؤساء العشائر الآشوريون في نزاع ومشاجرات مستمرة. قوجانس ومفهومها العشائري الثيوقراطي للسلطة تقلّص وأخذ يختفي من العقول جماعيا. عوض عن ذلك تأسس فكر يدعو إلى حكم ذاتي مشابه لذاك الذي كان موجودًا في الحكاري المجاورة لأورميا وسلامس لكن هكذا حلّ لم يكن يدور في فكر البطريرك مار شمعون بنيامين. إنه كان لا يزال يري ضرورة العمل بموجب الرأي الذي كان مقتنعا به وهو أنّ الحياة بمفهومها الإعتيادي السابق غير قابلة التحقيق إلاّ بالعودة إلى الوطن القديم -جبال حكاري العزيزة -كانت آمال سورما كبيرة بنتائج الإجتماع المقبل. حضر الإجتماع المنعقد في بناية البعثة الأميريكية في أورميا كل من: الدكتور شيد، رئيس البعثة الأميريكية كرئيس لجلسة الإجتماع وسيادة المطران "سونتاك" رئيس البعثة اللعازرية، والسيد "باسيل نيكيتين" نائب القنصل الروسي والملازم الفرنسي "كاس فيلد" والدكتور بول كوجول، ومار شمعون بنيامين البطريرك وأخته سورما. حضر الإجتماع أيضًا النقيب في الجيش البريطاني "كريسي". كانت الأجواء المخيمة على المجتمعين أجواء كئيبة بسبب القلق الذي كان يملؤ القلوب. المناقشات أشرت بوضوح الصعوبات المواجهة.المطران سونتاج بقي معاندًا على الرأي الذي يفترض "حيادية الفرس" الوقائع أثبتت ومنذ زمن بعيد أن هذه الفرضية

تستند على إدّعاءات شفهية فقط. السلطات المحلية لم تكن تحظى بالإحترام بسبب الأزمة الإقتصادية الخانقة. بعض من الفرس كانوا يتآمرون ويتعاونون مع العثمانيين من أجل انتزاع السلطة. النقيب "كريسي"، علق على الموضوع وجابه الجميع بالقول: "إنّ وزراء الحلفاء أمسكوا بزمام حكومة بلاد فارس في طهران، وأكد أن لا أعتراض لتلك الحكومة على تدخل الحلفاء. الآخرون ومنهم سورما، أخت البطريرك بقوا يؤكدون النقص الكبير في المال والذخائر والمؤونة وكذلك في أعداد المقاتلين. عندما تطرّق الحديث عن موضوع الأكراد ودورهم في العملية علق البطريرك أنّ لا أهمية لوجودهم كقوة مقاتلة منضبطة تقبل العمل النظامي وإطاعة الأوامر والتعليمات. بدقة. هنا أكد البطريرك وبكل وضوح أن هناك حاجة ملحة لتدخل قوات الحلفاء مباشرة وتعويضًا عن القوات الروسية المنسحبة. النقيب "كريسي" أكد ذلك

سمكو أغا مع ابنه خسرو
Smko with his son, Khosro

ووافق على كلّ النقاط المطروحة وقطع الوعود. الالتزام الأهم الذي قدمه وبصوت متحمس كان "الإهتمام بمستقبل الآشوريين" هنا صرخ قائل موجها الكلام بصورة خاصة لممثلي الآشوريين: "أرجو أن لا ينسى الآشوريون أنّ كفاحهم هو من أجل تحقيق حريتهم (...) لذا فمن واجبهم الإلتفاف حول زعيمهم الأعظم البطريرك (...) طالما ليس هناك آشوري فارسي وآشوري جبلي. الجميع يكوّنون شعبا واحدً (...) هذا ما أوفدتني حكومتي لأبلغكم به وهذا يعني أيضًا الشعوب الصغيرة الأخرى. الجميع يحاربون من أجل حريتهم. هذا ما أبلغته للأرمن (...) جميع المصاريف سيسويها ويغطيها الحلفاء. هذا ما تمّ الإتفاق عليه مع حكومة القوقاز الجديدة. إنكم ستحصلون

على كلّ السلاح الضروري والذخيرة اللأزمة وكذلك المعونة العسكرية عند طلبها.

الحرية هدف ثمين. لذا الحصول عليها يحتاج إلى التضحية. إنكم سوف لن تحصلوا عليها إلاّ بقوة إرادتكم وبطولاتكم هذا أن كنتم حقا تهدفون السيادة على موطنكم الغني بثرواته وخيراته إنه موطن العسل واللبن (٨٦).

إعلان "كريسي" هذا لم يعط فقط الصورة الواضحة للاستقلال المستهدف لموطن الآشوريين فقط بل أيضًا وعدهم بالمال والسلاح والذخيرة والمئونة والدعم العسكري الفعلي. لقد كان للإعلان وقع كبير وتأثير قوي على السامعين. فور سماع النص كاملا سرت همهمات الموافقة في أرجاء القاعة رغم أصوات المعارضة الواضحة التي أبداها البعض. ها هم المسيحيون يحنون رؤوسهم إشارة لموافقتهم. لكن مع ذلك كان هناك خوف وهلع من هجوم تركي كاسح. البطريرك وأخته سورما اشترطا وصول المساعدات المالية والدعم العسكري قبل تنفيذ التعاون الذي تطلبه بريطانيا. أخيرًا وافقوا على الإلتزام بالتعهد المشار إليه في الإعلان نظرًا لما احتواه من إمكانيات تسهل العودة إلى الديار أرض الآباء والأجداد، جبال حكاري الحبيبة، بعد إنتهاء الحرب، أكد كل من باسيل نيكيتين وبول كوجول وآخرون غيرهم بشهدات مكتوبة معززة بوثائق صحة الوعود البريطانية.

في أدناه تسجيل لما كتبه بول كوجول في التاسع عشر من كانون ثاني عام ١٩٣٤ جوابا على رسالة وجهها له البطريرك مار شمعون آنذاك:

" جوابًا على رسالتكَ المؤرخة في ١٨/ ١/ ١٩٣٤ ، أخبرك بأني لا زلتُ أحتفظ في ذاكرتي بأحداث الاجتماع الذي أشرتَ إليه. كما أني أرى نفسي قادرًا على أن أثبت دقائق الأحداث بدقة تامة وموثقة بتواريخها.

إنعقد الاجتماع في أورميا، في شهر كانون أول عام ١٩١٧ أو أوائل كانون ثاني عام ١٩١٨ .

دُعيتُ إلى الاجتماع واشتركتُ فيه مع كل من السيد نيكيتين نائب القنصل الروسي في أورميا والنقيب "كريسي" الذي كان يعمل باسم الإستخبارات (البريطانية) وكان قد قدم إلى أورميا من وان حيث توجد دائرته الرئيسية ليحثّ الآشوريين على الموافقة على تنظيم مقاومتهم للقوات التركية. إنه قد تحمل باسم بريطانيا العظمى مسؤولية التوفير الفوري لكل المبالغ الضرورية لتغطية مرتبات الجنود وضباط الصف، كما وعد أيضًا بأعلان الإستقلال الناجز للشعب الآشوري" .

التوقيع

بول كوجول

الرئيس السابق للبعثة الطبية والإسعاف الفوري الفرنسية أما باسيل نيكيتين، نائب القنصل الروسي، فقد كانت إجابته في ٣١/ ١/ ١٩٣٤ كالآتي:

"إني أشهد أنّ النقيب كريسي رئيس البعثة العسكرية البريطانية لأرمينيا وكردستان والمرتبطة بالقيادة العامة للقوات المسلحة في القوقاز، قد قدم من وان أواخر عام ١٩١٧ إلى أورميا ودعى لعقد اجتماع عام حول القضية الآشورية (هنا يعني الكلدو آشوريين)، حضره ممثلون لجهات أجنبية. خلال الإجتماع دعى الآشوريين لحمل السلاح واعدًا إياهم بكل صراحة بالمساعدة المالية والسياسية تقدّمها حكومته أثناء الحرب، وبعد ذلك تنظم الأمور بعد استتباب الأمن والسلام بصورة نهائية.

بناء على دعوة وجّهها لي النقيب كريسي حضرتُ الإجتماع بصفتي قنصل روسيا. حضر الإجتماع أيضًا ممثلون أجانب. خلال الإجتماع صرحتُ أن في حالة حمل الآشوريين السلاح ضد العدو، فيجب عندئذٍ الأخذ في الحساب قضيتهم من ضمن نتائج ما بعد الحرب أي منحهم الإستقلال التام الذي استحقوه بجدارة".

التوقيع

باسيل نيكيتين (٨٧)

الآن لو تأملنا بروية وتمعن الواقع الفعلي للآشوريين سنستنتج أنه لم يكن للآشوريين من خيار آخر غير وضع كلّ ثقتهم بأقوال النقيب كريسي ويصدقوا أقواله. كريسي حقق هدفه الذي جاء من أجله، فقطع الوعود بعد أن غاب عن باله الأهمية البالغة لما قاله وأقرّه بخصوص مستقبل كلّ الجماهير المعنية بالقضية. وبناء على الإعلان البريطاني تمّ تجنيد (٥٠٠٠) متطوّع آشوري. بعد تهيئة كل هذا العدد من الجند، بدأت تظهر في الأفق المعوّقات الفنية والسياسية. عدد صنف الضباط كان قليلا حيث لم يكن يتجاوز ثلاثين ضابطا، أما العُدد الحربية فكانت قليلة جدًا ولا تفي بالغرض. السلطات الفارسية نظرت إلى هذه التشكيلات بعين الشك والريبة والحذر، فعدّتها تهديدًا لجماهير المسلمين. دول الحلفاء لم تقم بعمل اللازم لتهدئة خواطر الفرس وطمأنتهم بالطرق الدبلوماسية المتعارف عليها.

هياج المقاومة

إغتيال البطريرك مار شمعون بنيامين

حينذاك ضربت العزلة أطنابها على أورميا وما حواليها، وتنامت الدعاية الألمانية التركية المضادة بين أوساط الجماهير الفارسية بشكل مفزع، فتوالت المشاهد المأساوية ونزلت المصائب على رؤوس السكان المحليين، كما انتشرت الأوبئة كالكوليرا والتيفوس. المجاعة أنزلت مراسيها في طول البلاد

وعرضها فاستفحل النهب والسلب وأخيرًا حصلت المجازر الدموية اليومية. الإغتصاب لم يكن بعيدًا عن الميدان. فأخذ في الازدياد وبشكل مذهل. بعد ذلك إرتفعت رايات القتل والإنتقام من المسيحيين بين جماهير المسلمين وخصوصًا الأتراك منهم، فانتشر القتل وأصبح ذبح المسيحيين مباحًا طالما لم يبق للسلطة من وجود فعلي أو قدرة على فرض القانون. الأكراد تحالفوا مع بعضهم البعض من جهة ومع الأتراك والفرس من جهة أخرى. انفلات الأمن انتهى بانفجار العنف والإرهاب اللذَين ظهرت بوادرهما خلال أيام شهر آذار. في السادس عشر من آذار عام ١٩١٨، ذهب البطريرك مار شمعون بنيامين وبصحبته بعض من الضباط الروس وسرية من الحرس قوامها أربعون مسلحا ومعهم أخوه داوود لمقابلة الزعيم الكردي "سمكو" ولإجراء مباحثات تفصيلية حول الأوضاع ومجريات الأحداث. تمت المقابلة في "كوني شَهر" Koni Shehr القريبة من ديليمان. بعد إنتهاء المقابلة رافق سمكو البطريرك حتى الباب الخارجي فودعه بقبلة ليديه. فور خروج مار شمعون بنيامين من المبنى إنهمر وابل من الرصاص عليه فسقط على الأرض مضرّجا بدمائه الزكية [٨٨]. هكذا وبهذه الخيانة الدنيئة إنتهت حياة حبر جليل وابن بار لكنيسة المشرق. كان هذا البطريرك أحد الرموز الكبيرة، بموته انطفأ ضياء نور عينيه وخسر الآشوريون بطلهم وقائدهم الأمين. إنه قد قتل بوحشية لا مثيل لها في التاريخ. بعد الإغتيال حصل هرج وصخب عظيمان فتعالى الصراخ ووقع اشتباك حامي الوطيس فسقط من جرائه قتلى من الجانبين. عميد القوات الآشورية داوود أخو البطريرك نجا من الموت بأعجوبة فالتجأ إلى إحدى الدور الأرمنية. جثة البطريرك حملها بعض فرسان عشيرتي "تياري" و "تخوما" وعلى رأسهم دانيال إبن ملك إسماعيل. جرت مراسيم الدفن حسب التقاليد المرعية ووفق استحقاقات درجته ومنصبه الكنسيين. ترأس مراسيم الدفنة في كنيسة الأرمن الواقعة في المنطقة إثنان من المطارنة هما مار بطرس من الكنيسة الكلدانية ومار إيليا من الكنيسة الشرقية الآشورية. كان اغتيال مار شمعون بنيامين صدمة عظيمة لسورما فسببت لها حزنا عميقا وجرحًا مؤلمًا رافقاها كل أيام حياتها. إنه كان الأقرب إليها من باقي إخوتها. ألقت سورما مسؤولية الأغتيال على السلطات الفارسية التي خططت لهذه الجريمة البشعة ونفذتها بوحشية وجبن خسيس. السلطات الفارسية كانت تحاول دومًا التخلص من شخصية البطريرك مار بنيامين. سبق أن صرّح الأغا الكردي سمكو أن دوره اقتصر لأن يكون المنفذ أي آلة التنفيذ. لقد أخطأت الحكومة الفارسية في تبنيها رأي التخلص من مار شمعون بنيامين وقرار تنفيذ مخططها الجهنمي. ذلك لأن البطريرك القتيل كان دومًا يعمل ليدفع بعيدًا كل ما من شأنه أن يدخل الآشوريين في أزمات مع الفرس أو مواجهات مباشرة. حينئذ وردت معلومات تفيد أنّ الأرمن قاموا بإشهار السلاح بوجه السلطات العثمانية في ولاية وان. نتيجة لذلك، أصبح الآشوريون بين فكيّ الكلاّبة الظالمة التي من جهة هي بيد الأكراد والفرس ومن الجهة الثانية هي بيد العثمانيين الأتراك. الجهتان أحاطتا بالآشوريين أحاطه تامة

وعزلتهم عن العالم. لذا أجبر الآشوريون على الكفاح المرير من أجل البقاء وهو الأمر الذي حصل لهم في قابل الأيام. في اليوم الثالث والعشرين من نيسان عام ١٩١٨ تمّ في سلامس انتخاب مار بولس بطريركا للآشوريين ليخلف مار بنيامين جرت مراسيم التنصيب والجلوس على الكرسي في أورميا في اليوم التاسع والعشرين من نفس الشهر. حضر المراسيم التقليدية أربعة مطارين وجرى الإحتفال في كاتدرائية مارت مريم. الإحتفال خفف من بعض الأحزان المخيمة على الأجواء.

أبناء العائلة البطريركية أقامت بعض الوقت عند الراعي نيسان في مباني البعثة الأنكليكانية القوات الآشورية بقيادة أغا بطرس وجماعة من الملكي (ج. ملك) قرروا الإنتقام فقاموا ببعض العمليات العسكرية ضد الأكراد. بعد ذلك وبشجاعة منقطعة النظير حاولوا الدفاع عن المواقع التي حرروها والعمل على إعاقة تقدم القوات التركية أنتظارًا لقدوم ووصول القوات الإنكليزية الموعود بها.

عزلة تامة وحصار مميت

كانت أورميا خلال الأشهر الأربعة المحصورة ما بين كانون الثاني ونيسان من عام ١٩١٨ تحت سيطرة الآشوريين التامة. بذلك أثبتت القوات الآشورية قدرتها على المقاومة العنيده ومواجهة الأعداء. هذا الجهد العسكري كلّف الكثير من المعدات والذخيرة العسكرية.

في نهاية شهر نيسان بدت علامات الضعف تظهر على القوات الآشورية بسبب النقص الكبير في الذخيرة. عند ذالك، وردت أوامر إلى البعثة الطبية والإسعاف الفوري الفرنسية تطلب العودة الفورية. هذه الأوامر ضاعفت من تأثير المصائب الأخرى. الآشوريون وصفوا هذا الإجراء الفرنسي بأنه مصيبة عظيمة وكارثة قاتلة وأخذوا يتساءلون عن معنى كل هذا التخاذل من دول الحلفاء ولمَ هذه الخيانة الجبانة؟ في صباح اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩١٨ . غادرت البعثة الطبية الفرنسية برئاسة الدكتور Paul Caujole بعد أن أودعت الجرحى ذوي الإصابات الخطرة لعناية المستشفى الأمريكي، هكذا أخليت أورميا من قوات الحلفاء (٨٩). ازدادت المعارك شراسة وتواترت المواجهات الخطيرة. قاتلت القوات المسيحية المتروكة لقدرها المجهول ببسالة أذهلت الأعداء. في شهر حزيران أصبحت الحالة خطرة جدًا لا يمكن الاحتفاظ بالسيطرة التامة على المواقع. الذخيرة نفذت، التذمر أنتشر بين صفوف المقاتلين، المجاعة القاتلة خيمت على الجميع مسلمين ومسيحيين على حد سواء. عدا المجاعة وآثارها المروعة كان هناك مشكلة الأوبئة الفتاكة التي انتشرت بسرعة بسبب قدوم فصل الصيف وشمسه المحرقة في بلاد فارس. أخذت الأوبئة تحصد النفوس بمنجلها البتار. ملأت الحيرة النفوس ورسم القلق علاماته على الوجوه. سورما المقيمة بين جدران بناية البعثة الأنكلبكانية بحماية الراعي نيسان كان قلقها أكبر وحيرتها أعمق بسبب شعورها بالمسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقها. بينما كانت خيبة أمل تسيطر على سورما، سمعت

القائد الآشوري اغابطرس

يومًا أصوات محركات طائرة كانت تدور في أجواء المدينة، أندهش الناس جميعا ومن ضمنهم سورما. ما هذا؟ وما هناك؟ ها هم الإنكليز قادمون بعد أشهر من الغياب وانقطاع الأخبار ودون إشارة لأيّ متابعة أو رغبة في الإيفاء بالوعود. ها هو أحد الطيارين الإنكليز يحطّ بطائرته في إحدى ساحات أورميا بعد مناورات ومخاطرات جسيمة. بعد الوصول حاول قائد الطائرة النقيب Pennington الإتصال بالآشوريين المختفين في أرجاء المدينة بعد أن ذهبت كل أمالهم برؤية أيّ أثر للحلفاء. أدراج الرياح، إنه قد تمكن من النجاة من نيران الأعداء والوصول بسلام، لكنه لم يستطع الإفلات من قبلات الآلاف الذين تجمهروا حوله للسلام عليه وتهنئته بوصوله الميمون. اقترحت النسوة عليه أن تحكن له الملابس الجديدة عوضًا عن التي كان يرتديها الممزقة جراء رحلته الخطيرة. بناءً على رسالة واردة من القيادة العامة وعد قائد الطائرة الجماهير الآشورية بمعونات فورية تصل خلال الأسبوعين التاليين. أقوال قائد الطائرة كانت تعني أن على الآشوريين الاستمرار في المقاومة بإمكانياتهم المتاحة مدة (١٥) يوما أخرى. مقابل هذا الجهد الفريد في المشاركة الفعالة أعطى النقيب الطيار الإنكليزي تأكيدات جديدة باسم حكومته بمنحهم الإستقلال الناجز. وعد " Pennington بالإستقلال لكن دون أن يحدّد ما سيكون الثمن الواجب دفعه من نفوس المقاتلين الآشوريين. قد يكون السبب أن النقيب نفسه لم يكن يعرف ذلك. هذه المرة أيضًا لم يكن للآشوريين من خيار سوى الموافقة وتصديق الوعود طالما المتحدث بريطاني.

تحقيق الوعود ليس بالأمر السهل دومًا خاصة أيامئذ حيث القوات التركية أقفلت الطريق الجنوبي الوحيد الذي يمكن ربط القوات الإنكليزية بالمناطق الشمالية. فور الموافقة على أقوال النقيب الطيار الإنكليزي قام الآشوريون برسم خطط مستعجلة لتحقيق الإتصال المطلوب، فجمعوا ألف مقاتل آشوري (متطوع) وهيئوهم لفتح الطريق والوصول إلى معسكر القوات البريطانيا المتواجدة في Saïn Kaleh الواقعة جنوبي أورميا وعلى بعد (١٦٠) كم.

هذا الفوج من المقاتلين كلف بفتح الطريق للقوات الإنكليزية ومساعدته للوصول إلى القوات الآشورية في أورميا. تنفيذًا للخطة المرسومة، ترتب على أغا بطرس وزيا د بيث مار شمعون القيام بهجمات على القوات التركية وفتح ثغرة في صفوفها. بعد نجاح الخطة وتحقيق الهدف وتحرير الطريق وجعلها سالكة للإنكليز وحلفائهم الآشوريين وصل المقاتلون Saïn Keleh التقوا بالسرية البريطانية. هناك تملكتهم الدهشة لأن القوات الموعد بها للمساعدة لم تكن سوى (١٤) فارس (خيالة) من الفوج الرابع عشر (فوج خيالة) الذي كان يشكل سابقا الحامية البريطانية في Folke-stone. السرية بمجموعها كانت بعثة عسكرية قوامها عشرة ضباط وخمسة عشر ضابط صفّ، أرسلوا لتدريب القوات الآشورية. يا لها من خيبة أمل كبيرة للآشوريين المواجهين لقوات عسكرية كبيرة تخوض حربًا ضروس وشاملة. هذا الواقع المرير الذي حصل بعد إنتظار دام (١٨) شهرًا وانتهى بتوفير سرية صغيرة الحجم كان يشير إلى أن لا مجال هناك للتفكير بالقدرة على تغيير الأوضاع أو الواقع الفعلي. القوات البريطانية القادرة على القتال لا زالت متمركزة في همدان الواقعة على بعد مئات الكيلومترات. معها أوامر مشدّدة بعدم التحرك وترك المواقع هناك.

إستفاد الأتراك من فرصة غياب القوات الآشورية، فاحتلوا أورميا من الجهة الشمالية. فور الإحتلال انتشرت دعاية في أرجاء المدينة تفيد أنّ قوات كبيرة بقيادة حسن باشا المعروف بالجزّار الشهير بسبب ما أرتكبه من جرائم وما حققه من مجازر طالت جماهير الأرمن قد اتجهت نحو سلامس. فضائع وحشية حصلت في خسروا لم ينجُ منها إلاّ القليل من الشابات الحسان اللواتي

أحتفظ بهنّ المجرمون في بيت الحريم لإشباع شهواتهم الحيوانية. بعد سلامس أتجه حسن باشا الجزار بقواته نحو أورميا. عندئذ وجفت القلوب وانقطعت الأنفاس وخيّمت على جماهير المسيحيين التي كان يزيد عددها على ال (٨٠٠٠٠) مسيحي الرهبة، حيث لم يبق من أمل ولا هناك من حلّ سوى الإتجاه نحو الجنوب حيث القوات البريطانية التي لم تحرك ساكنًا ودون إعطاء أي تفسير لذلك. جماهير المسيحيين كانت تتكون من جبليي حكاري وكلدو آشوريين وأرمن الذين كانوا يسكنون مناطق سلامس وأورميا و "وان" الذين سبق وان نجوا من سيف مذابح العثمانيين البتار فهربوا بجلدهم. بعد سماع خبر وصول القوات التركية بثلاث ساعات وصلت عصابات الرعاع الأكراد المتحالفين مع الأتراك. في البداية دخلت تلك العصابات المناطق المحيطة بالمدينة من الجهة الشمالية فحصلت اعتداءات وحشية غريبة شملت الأربعة عشر ألف مسيحي المتخلفين عن الذهاب مع الفارين، فقطعوا بالسيوف أو ذُبحوا بالسكاكين دون رحمة أو إحترام لأعمار المسنين منهم. من بين الضحايا كان المطران "سونتاك" اللعازري ونثنائيل دنخا الكاهن الكلداني. إنهما قد أعدما بالرصاص في الساحة خلف لكنيسة. جثة المطران ألقيت على كومة من الرماد وبقيت هناك أيامًا دون قبر يحويها. اختفى قاشا دنخا أياما في مبنى البعثة الطبية الفرنسية. عندما ألقي القبض عليه قطع جسده أوصالا بالسيف، رأسه فصل عن جسمه وكليتيه هشّمتا تهشيما تاما [٩٠].

٣- صيف عام ١٩١٨ أو الفصل الثاني من المأساة

جلاء المسيحيين عن أورميا

في اليوم الثالث من شهر تموز عام ١٩١٨ بدأ الجلاء الجماعي عن مدينة أورميا. ترك النازحون بيوتهم ومقتنياتهم وهم في رعب شديد. كل وسائل الحمل من حيوانات (كالحصن والبغال والحمير والثيران والجواميس) والعجلات (كالعربات والسيارات) صودرت، لذا إضطر النازحون المغادرة الفجائية وبعجالة. حملوا كل ما تهيأ لهم حمله من أغطية ومعدات إعداد الطعام وملابس ومقتنيات ثمينة. أتجه الجميع نحو الجنوب. غصت الجماهير الطريق وضاقت بهم بسبب عدم التنظيم. البعض القليل استطاع تحميل مقتنياته على ظهور الحيوانات. كانت النسوة تحملن أطفالهن وهن يبكين ويولولن. الشيوخ توسدوا حجارة الطريق وأفترشوا الأرض بعد أن أنهكهم التعب منتظرين موتهم البطيء. كان الجلاء مسيرة طويلة الطريق وشاقة استغرقت الأيام والأسابيع. قوات العدو كانت تتبع النازحين لترهبها فتسرع في خطاها بأعتبارها جماهير معادية. أستمرّ السير ليلا ونهارًا دون توقف أو نوم للراحة. المجاعة خيمت سريعًا وبعد أيام قليلة وكذلك العطش بسبب نفاذ الماء... جثث الموتى كانت تنتشر على امتداد الطريق وأخذ عددها يزداد يوما بعد آخر لا بسبب الجوع

والعطش بل أيضًا بسبب انتشار الأوبئة والإمراض الفتاكة كالزحار (الإسهال) والتيفوئيد والتيفوس. كانت المسيرة كمسيرة الجلجلة التي سارها الرب يسوع المسيح يوم تعليقه على الصليب وموته على قمة جبل الجلجلة. قسوة المسيرة ومشقات طولها كانت السبب المباشر لموت الألوف. عن هذا الجلاء كتب الكاهن اللعازري أرستيد شاتليه ما يلي:

"زلزال مدمر ضرب سهل أورميا (...) جماهير غفيرة تراوح عددها ما بين (٦٠ - ٨٠) ألف نسمة. جميعهم تركوا البلاد ورحلوا على عجل ودون تنظيم أو تهيئة مسبقة. أتجهوا صوب الجنوب. الغذاء اليومي كان شبه مفقود. الماء اللازم للضروريات أصبح عزيزًا في تلك الجبال الجرداء القاحلة. أحيانًا كانت تظهر بعض العيون الشحيحة الماء والتي بالكاد كانت تروي عطش بعض النازحين فقط. عند العثور على هكذا عيون كانت الجماهير تنكب عليها بنهم لشدة عطشها فتروي غليلها. الازدحام والقتال على تلك الينابيع غالبًا ما كان يُضيع مصادرها فيختفي الماء. جثث الموتى تفترش الأرض على إمتداد الطريق الوعرة. فيمرّ بها النازحون دون اكتراث أو اهتمام. كانت أعداد الجثث في ازدياد مع توالي الأيام. كان ملاك الموت يحصد بمنجله الحاد الأنفس بسبب الجوع والعطش والتعب والأوبئة كالزحار والتيفوئيد والكوليرا التي واكبت المسيرة وعاشت بين صفوف النازحين. أخيرًا بدت معالم Saïn Kaleh تظهر في الأفق البعيد" [٩١].

بدأت سورما جمع حاجاتها الشخصية الثمينة بعناية وجعلتها "عبوة" حملتها وخرجت تاركة دار الراعي نيسان. كان الوقت عند مغيب الشمس. فكانت الأشعة تميل إلى الاحمرار فصبغت الأرض والطبيعة بلون قرمزي رهيب. ألقت سورما وهي تغادر نظراتها الأخير على جبال حكاري البعيدة فتنهدت قائلةً: ها نحن نبتعد ثانية عن أرض الآباء والأجداد، وطننا الحبيب. مسيرة جديدة، مملوءة بالآلام والأحزان، علينا أن نمشيها. المسيرة ليلا كان يضيئها نور القمر الفضي فيبدد عتمة الليل المرعبة. أثناء السير ليلا كان يُسمع صخب مياه البحيرة وأمواجها المرتفعة هنا والمنخفضة هناك. تخيلت سورما هذا المنظر عندما شاهدته وكأنه سفينة مملوءة بأبناء شعبها تمخر عباب مياه البحيرة وتشرف على الغرق، فصرخت دون وعيٍ يا للمصيبة! أما الجبال التي كان يخيم عليها الصمت والسكون فسمعتها وكأنها ترد صدى صرخات الأمهات والزوجات والأخوات فترجعها ولولة وعويلا يقطع القلب. أما المشهد نهارًا فكان شمسًا ساطعة تحرق البشر ومنهم النازحين المظلومين بلظى لهيبها وهم في طريق انسحابهم الرؤي (نسبة إلى سفر رؤيا مار يوحنا الذي يخبر بأحداث رمزية عن نهاية العالم). سارت جموع النازحين تاركة وراءها جثث أحبة بلغ عددها المئات لا بل الآلاف، منهم رجال وشباب بعمر الورود ونساء وشابات في ربيع العمر وأحيانًا على صدورهنّ أطفال رضع. كل هذه الجثث كانت تفترش الأرض وإلى جانبها حيوانات نافقة. كانت أسراب الغربان تغطي الجثث المتفسخة بتأثير لهيب الشمس الحارق فتنبعث بالروائح الكريهة التي تزكم الأنفاس

وتخنقها. سلطان الموت كان يخيم بثقله الرهيب على امتداد صفوف المنفيين في هذه المسيرة المؤلمة. لم تستثنَ سورما من تحمل هذه التعاسة الشاملة. أثناء المسيرة كان يرافقها الدكتور شيد المصاب بمرض التيفوس. فجأة خرّ صريعا فاقد الوعي لافظًا أنفاسه الأخيرة. صرخت سورما: " ها هو البطل يسقط هو الآخر، لقد كان رجلا عظيمًا وأبًا حنونًا. كان يركض ليل نهار ليدبّر أمور الجميع. يحميهم، يعالجهم ويحاول شدّ أزر الضعفاء منهم " . انكبت سورما على جثة شيد وأغمضت عينيه وثبتت الصليب الذي كان يحمله على صدره. عندما وقفت لتصلي فكرت أن تحفر له قبرًا يثوي فيه وهو في رقدته الأبدية لكنها تراجعت عن الفكرة وتركت الجثة جانبًا وواصلت المسيرة لأن الوضع لم يكن ليساعد أو يسمح بتضييع أيّ دقيقة من الوقت. عصابات القتلة تلاحقهم دون هوادة تريد النيل منهم. رضيت سورما بواقع الحال واعتبرت المزيد من الآلام أمرًا محتملًا طالما الآلام المقدرة حسب التدبير الإلهي تُشكل جزءًا مهمًا من مجئ ملكوت الله الذي نطلبه في الصلاة الربية وهذا فعلا كان ما يؤمن به الدكتور شيد طوال أيام حياته.

لم تكن المسيرة سيرًا اعتياديًا بل إنما هرولة وركض مستمر، لذا سقط الكثيرون بموت فجائي أو لانقطاع التنفس، وخاصة المسنين والعجزة. والنساء والأطفال كانوا سبايا نهبت فأخذن إلى قرى المسلمين لتعشن العبودية. أبناء العشائر الأقل تنظيمًا كأبناء عشيرة جيلو لاقوا أوجاعا وآلاما أكثر من العشيرت ذوي التنظيم والإنضباط، عند أقتراب قوافل المنفيين/ الهاربين من Saïn Kaleh خيّم فزع عظيم على الجماهير خاصة بعد عبور الجسر المبني على نهر Djigatan إذ تكدّست الجماهير فجأة فوق بعضها فحصل رعب شديد وهلع شامل. ها هو شرّ جديد يضاف إلى الشرور السابقة. داس المتدافعون على بعضهم وهم يحاولون الركض والهرب للوصول إلى مياه النهر وارتشاف جرعات عذبة منها. هذا الحدث الجسيم أدّى إلى غرق الكثيرين فأخذتهم مياه النهر إلى القاع أولا ثمّ لفظتهم على الضفاف جثث منتفخة لتكون طعامًا للأسماك. أخيرًا رأت الجماهير الهدف المنشود من بعيد. ضفاف النهر الخضراء بعثت في قلوب النازحين الذين بقوا على قيد الحياة بعض السكينة والهدوء. لقد كانت تلك المنطقة بالحقيقة واحة للراحة واستعادة الروح. تتابع وصول المنفيين بأعداد كبيرة، كانوا منهوكي القوى مرهقين. وراءهن وصلت فرقة من المقاتلين الآشوريين، سارت في مؤخرة المسيرة بغية إيقاف اندفاع القوات المعتدية التي تريد اللحاق بالجماهير التي أجلتها عن ديارها قسرًا. بعد الوصول ارتاحت النفوس وهدأت الأرواح بتأثير الطبيعة الظاهر. القلوب المكلومة نالها بعض الفرح بعد مسيرة مؤلمة شابها الضيق والحزن طيلة ثلاثة أيام كاملة بلياليها. فور أستقرار الأوضاع بعض الشيء. أخذت سورما مسؤولية العناية بالجرحى. وبينما كانت منكبه على أعمال المعالجة مرّت بخيالها صورة لم تكن تنساها أبدًا فتذكرتها عندما شاهدت صديقًا قديمًا فوقفت مصعوقة من المفاجأة فصرخت: " جورج، جورج شلاما، شلاما الوخ (٩٢) . ليكن الله ممجدًا، المجد له أبدًا ودومًا " .

كان الموقف ضبابيا والصورة تغشاها الظلال. رفعت سورما ذراعيها نحو السماء، فكشفت الأنوار المنبعثة من أضوية مخيّم المعسكر وجه إنسان يشوبه الحزن وترسم الآلام على قسماته خطوطا عريضة، لكن رغم ذلك ظهرت عليه ابتسامة خفيفة. اقترب جورج ريد الصديق القديم مسرعًا ووقف إلى جانب سورما وهو لابس قيافة صحراوية. انهمرت الدموع الحارة غزيرة من مقلتي سورما. أحتضنها جورج بين ذراعيه كأخ مخلصٍ وصديق وفيّ لها ولشعبها. فرح جورج ريد بهذا اللقاء فرحًا عظيمًا ولرؤيته لها أنها بصحة ونشاط بعد القلق الذي تملكه على أثر المعلومات المرسلة له من القيادة العامة في بغداد والتي أبلغت أنباء الجلاء الجماعي المأساوي للآشوريين. بينما كان ريد في طريقه إلى القوقاز وبحر الخزر نراه يرجع محاولا التأكد من وصول المعونات الموعود بها والحماية التامة. لكن شيئًا من كل ذلك لم يتحقق سوى النزر اليسير نظرًا للظروف المعاكسة والمعوّقا الجسام.

بعد هذا اللقاء المؤلم الذي أعاد ذكريات الماضي، خيّم صمت مطبق ومذهل. عندئذ تذكر جورج ريد أنّ السنوات الثلاث الأخيرة أي منذ مغادرته حكاري والتي كانت سنوات حرب شرسة ومعارك بطولية كلفت الكثير من النفوس والأموال. لذا إنها تعني مصائب ونكبات هائلة وخاصة لسورما. ها هو الشيب وقد خط شعرها. محياها الصبوح ظهرت عليه آثار وخطوط عميقة تحكي أهوال حياتها المريرة التي مرّت بها أو عاشتها مؤخرًا وتبلغ أنّ زمن الشباب قد ولى وثقل الحياة ومتاعبها قد حلّ. نظراتها يشوبها القلق والخوف من المستقبل المجهول. مع ذلك كانت سورما لا تزال تحتفظ ببعض سمات جمال شبابها القديم. بعد الصمت المطبق افتتح جورج ريد الحديث فقال: "إنّي على علم بكل ما جرى لكم منذ أن غادرتم قوحانس وتفاصيل النكبات والمصائب المتلاحقة وأحسّ بآثارها في أعماق قلبي. مع ذلك أرى نفسي مجبرًا لأن أبلغك بالحقيقة وكما هي. مع شديد الأسف ما سأخبركِ به هي أخبار سيئة جدًا. الأتراك لا زالوا يتقدمون رغم المقاومة العنيده والمذهلة التي يقاتل بها جنودكم البواسل. Saïn Kaleh نفسها مهددة بالحصار. السرية العسكرية المرسلة لا يوجد فيها إلا المدربين العسكريين فقط. بينما المفروض كان يجب أن يكونوا مقاتلين يمكنهم مساعدتكم وحمايتكم. وفقا للظروف الحالية تأثير هذه البعثة (السرية) أصبح بحكم اللاشيء الوحدة المتقدمة من قواتنا موجودة في بيدجار / Bidjar الواقعة قرب همدان. لقد تمّ إيفاد ضابط خاص لنقل المعلومات الحقيقية عن حضورنا في هذه المناطق ونحن الآن في إنتظار الأوامر من القيادة العامة لقواتنا. إنتظارًا لأنجلاء الموقف، أقول لكِ وبكل تأكيد أنّ كل إمكانيات سريتنا هي تحت كامل تصرفكم. ستتقاسموننا الطعام المتوفر لدينا وسنعتني بجرحاكم وسنحاول حمايتكم إلى أقصى الحدود".

بينما كان الانفعال بادٍ بوضوح والعيون لا زالت مغرورقة بالدموع، قالت سورما بعض كلمات شكر، كما لو أنها لا تريد التقليل من قيمة الهدوء النفسي المنتشر بين الجماهير، ثمّ واصلت: "آه يا لشعبي المسكين، إنه شعب شجاع، الأعداء يريدون استئصالنا من الجذور. أعداد كبيرة من شعبنا قضت

نحبها ودون أن يكون لها مثوى في أرض أجدادها التي أحبتها وأخلصت لها. إنهم ماتوا بعيدين عنها. حاليًا البطريرك مار شمعون بولس يناضل ضدّ الأتراك إضافة إلى نضاله ضد الأوبئة والأمراض. لا أحد يستطيع أن يؤكد انتصاره في هذين الميدانين. أطفالنا يشكون قلة الغذاء الصحي ومن الأمراض المتنوعة. هل يا ترى إنهم سيرون المروج الخضراء المنتشرة في ربوع جبالنا؟ هذا ما لا يعرفه أحد. ما العمل ونحن نواجه كل هذا الكم من المصائب؟ إننا منهوكي القوى ولا بدائل لذلك. تعزيتنا الوحيدة هي الصلاة. لم يبق لنا من وقت للتفكير في غدنا ومستقبل أجيالنا. إننا نهرب من هذه الناحية إلى أخرى لأجل الحفاظ على حيا ة بائسة. حقا أنّ الإنسان لا شيء تجاه الإرادة الإلهية" . عندما سمع جورج ريد أقوال سورما تخاذلت عيناه المشرقتان واضطربتا وشعر فجأة بالضعف والوهن رغم كونه جنديا في جيش تملكه إمبراطورية عظمى. حاول ريد إنتزاع ابتسامة من سورما فذكرها بنبرة حنون بنزهاتهما الطويلة كفارسين حقيقيين وهما يدوران حول قوجانس وما يجاورها من مروج غناء ومراعٍ خضراء. الذكريات خففت الأحزان وساعدت سورما على قضاء ليلة مريحة ونوم هادئ.

صباحًا، سمعت جموع النازحين صوت أطلاقات نارية. هذه الأطلاقات كانت تعني اقتراب قوات العدو. فورًا تجمعت جماهير الآشوريين الهاربة وأخذت الطريق لإكمال مسيرة الهروب الجماعي تاركة `من جديد ما كان قد بقي لها من متاع وحاجات ثمينة. بناء على ما يقتضيه الوضع الآني قرّر جورج ريد القيام بقيادة الجماهير المنفية باتجاه همدان.حيث لم يكن هناك مجال لأي انتظار سارت القافلة والفزع العظيم يخيّم عليها. قوات العدو استطاعت الوصول إلى مؤخرة القافلة، فوثبت عليها وثوب الذئاب الجائعة على قطيع الماشية الفزعة. ها إننا نرى هذا الشعب المظلوم ثانية على طريق الهروب منفيًا من دياره ملاحقًا وهو ينهزم وكأنه جماعة من المجرمين. يا لسخرية القدر ويا لها من مأساة لا توصف.

في الطريق إلى همدان

خلال مسيرة الجلاء القسري، عانى المسيحيون الآشوريون الأمرين بسبب التعب والجوع والعطش. النساء كنّ يتركن أطفالهنّ على قارعة الطريق وهنّ مثقلات بالرعب والإعياء. لا يمكننا وصف البؤس المخيّم رغم التشجيع والحماية التي توفرها السرية البريطانية والمسنودة بأذرع المسلحين الآشوريين من أبناء عشيرة جيلو. طالت المسيرة هذه المرة مدة زادت على (١٥) يوما، لذلك تضاعفت الآلام وكثرت الأوجاع. قام بعض من المشاركين في المسيرة الشاقة في الفترة الأخيرة بأعمال سلب ونهب الطعام أو الملابس اللازمة من القرى التي كانوا يمرّون بها حفاظًا على حياتهم وللتمكين من مواصلة المسيرة. بكل تأكيد هكذا أعمال مرفوضة ومدانة لكن قد نجدها منطقية في حالة كالحالة

التي كان عليها المنفيون في مسيرتهم، وقد يرتكبها أبناء أيّ شعبٍ ومهما كان مستوى رقيه وحضارته طالما حبّ الحياة والتشبث بها يدفعانه لتطبيق دستور تنازع البقاء وبقاء الأقوى.

في الحادي والعشرين من شهر آب وصلت طلائع النازحين همدان. عند الوصول فتحت آلاف الأفواه الجائعة واسعة وبعد أن سارت مسافة تزيد على ال (٥٠٠) كم ومرّت بمناطق تمّ تدميرها بالكامل [٩٣]. مدينة همدان من مدن بلاد فارس الغربية، تقع على أرتفاع (١٦٠٠) م عن مستوى سطح البحر. تعرف بأنها عاصمة الميديين باسم " أكتبان. تقع عند أقدام جبل ايلفند / Elvend التي يعلوها بشموخ يزيد على ال (٣٠٠٠) م وهو يُشكل جزءًا من سلسلة جبال زاكروس التي تقع على بعد ١٨٠٠ كم من بحيرة " وان" بالإتجاه الشمالي منها، بينما مضيق هرمز يقع في جنوبها. آنذاك، كانت تعتبر همدان موقعا لحامية بريطانية. تحيطها الكروم الغناء من أغلب الجهات، كما تتوفر فيها مروج المراعي الخضراء حيث ترعى قطعان الماشية من أغنام وماعز التي تنظر إلى الفضوليين الذين يراقبونها نظرات استغراب وريبة. مع توالي الأيام، أزداد تجمهر المنفيين الهاربين فكبر عددهم منذ اللحظة الأولى للوصول ملأت الطمأنينة القلوب بسبب الشعور بالأمن. الحالة المزرية التي كانت عليها جماهير الجلاء الجماعي دفعت بالقوات البريطانية إلى تنظيم صفوف تلك الجماهير، ومحاولة نزع سلاحها الذي كان الرجال يحملونه. ثمّ سكنوها في مخيمات شيدت لأغراض وقتية في جوار المدينة. القوات غير النظامية التي كان قد تمّ تشكيلها على عجل وُضعت تحت السيطرة الإنكليزية. القرارات التالية التي اتخذت بخصوص الهاربين/ المنفيين أرضت غالبيتهم. كان بين الذين لم يرضوا عن تلك القرارات فارسة آشورية أمازونية (امرأة محاربة من عرق خرافي –المترجم) اسمها " تبريز" . أتصفت تبريز بالشجاعة النادرة والخارقة فقادت سرية تتكوّن من ثلاثين مقاتلا عندما رآها البريطانيون لأول مرة ورغم ما يتصفون به من رباطة جأش خافوها وحسبوا لها الحساب. قادت تبريز السرية الموكلة قيادتها إليها في معارك عديدة خرجت منها سالمة معافاة مع جميع منتسبي السرية. كما أمتازت سريتها بالإنضباط التام تدريبًا وقيافة وقتالا. فرضت شخصيتها على جنودها بكفاءة... كانت تستعمل أحيانًا السوط برشاقة ودون تردد. سطوة تبريز مكنت الكثيرين من الذين عملوا تحت إمرتها البقاء في الخدمة ومنذ إلتحاقهم بسريتها إبان مغادرة حكاري. من بين هؤلاء المجندين المتطوعين كان هناك أفراد قدموا من " دوري" البلدة الكبيرة الواقعة شمالي العمادية. كلّ من عمل مع تبريز كان يكنّ لها الاحترام والعرفان بالجميل. إنها كانت فارسة شهيرة. بغنج كانت تمتطي صهوة فرسها وبتصميم كانت تقبض على اللجام. كانت تحمل البندقية على ظهرها وكأنها الجندي الآشوري الباسل وتضع مسدسًا فوق الورك. أقلّ وصف نستطيع أن نصفها به هي أنها كانت ضابطة حقيقية وباستحقاق. رغم صفات الرجولة التي وصفنا بها تبريز وبدلة القتال الخاصة بالرجال التي كان يرتديها عادة مقاتلو عشيرة تياري، كان هناك تحت تلك

البدلة جسم حمامة بيضاء وديعة وصدر نافر تعادل بهما طبيعتها الأنثوية الوثابة. عدا كل ذلك كانت تبريز قريبة لأحد المطارين في المنطقة، هذا أزادها رفعة وشأنا. بالنسبة للضابط البريطاني، أوامره التي كان يعطيها لتبريز كانت كأيّ أوامر تعطى لأيّ جندي بسيط. تصرفات كهذه كانت غير مقبولة لدى تبريز ومهما كانت التبريرات. لم تتنازل تبريز عن رأيها بسهولة. إنها حافظت على المفهوم الذي كانت مقتنعة به. بسبب ذلك أصرّت عندما سلمت (٢٥) بندقية كانت عند أفراد سريتها إلى البريطانيين على أخذ وصل رسمي. بموجب هذا الوصل استرجعت ال (٢٥) بندقية عند نهاية الحرب. لما قال لها الضابط البريطاني أنّ كلامه الشفهي يكفي رفضت كلامه وأجبرته على تحرير وصل موثق!

إنّ المجتمعات الشرقية مجتمعات ذكورية (فيها السيطرة للرجل) ولا يمكن تغيير هذا المفهوم البتة سواء كان ذلك خطأ أو صحيحًا كما أنها مجتمعات مليئة بالمفاجآت [٩٤] الطريق إلى همدان بالنسبة للآشوريين إشارة إلى الموت والقنوط والكآبة لمن يريد أن يكون له فكرة واضحة ومفصلة عن مسيرة الجلاء على تلك الطريق نقول باختصار أنّ المسيرة ابتدأت بـ (٨٠٠٠٠) منفي مسيحي وانتهت بـ (٤٠٠٠٠) فقط. استطاعوا الوصول إلى نهايتها في همدان، فتصوّروا ثقل الفاجعة العظيمة التي حلت بالآشوريين المغلوب على أمرهم.

سورما تغادر بلاد فارس

إنّ ما هو ثابت ومؤكد أنّ الكثيرين من الآشوريين لم يتخاذلوا أو يفقدوا الأمل، لذا وفور استتباب نوع من الأمن والإطمئنان، تطوّع الكثيرون، فشكلوا لوائين من المسلحين فاق عددهم الستة آلاف مقاتل. إنتظموا تحت لواء عائلة البطريرك وبعض الملكي (ج. ملك) —رؤساء العشائر - هدفهم كان العودة إلى أورميا. كان القائد داوود على رأس أحد هذين اللوائين. الإنكليز لم يؤيدوا هذه المبادرة أو يدعموها باعتبار أنّها مغامرة مجهولة النتائج. بطبيعة الحال رفض الإنكليز المساندة اللوجستية، وهذا معناه خسارة المعركة منذ البداية. آنئذ لم يكن للآشوريين من مصدر لتوفير الذخيرة الضرورية والغذاء والحصن سوى الجانب الإنكليزي. بعد استسلام القوات العثمانية لجيوش الحلفاء في تشرين أول عام ١٩١٨، قرّر البريطانيون إسكان الآشوريين في بلاد ما ين النهرين. المجاعة المخيّمة على بلاد فارس حينذاك عزّزت هذا القرار ودفعت إلى الإسراع في تنفيذه. يومًا، وبينما كانت سورما جالسة في إحدى الخيام وقد ملأ الغيظ قلبها والكره العظيم أمتلكها صرّحت قائلة: "كلكم يعلم كم تمنيتُ وعملتُ لإستعادة أراضي وطننا عسكريًا بواسطة قوّاتنا المسلحة ذاتيًا ولا زلتُ حتى هذه اللحظة مؤمنة بذلك. على هذا المبدأ يستند هدفنا المنشود والممكن تحقيقه. لكن، وبما أنّ نهاية الحرب قد أعلنت رسميًا، لذا يريدون إرسالنا إلى بلاد ما بين النهرين المجاورة لوطننا الأصلي. قد

يكون حلّ كهذا في صالح الدول العظمى، لكن أنا واستنادًا على رأيّ، أرى أنّ إجراء كهذا سيبعدنا عن هدفنا أي وطننا أرض أجدادنا وتاريخنا، جبال حكاري الشامخة. لو كنا قد بقينا مقيمين في أورميا لكنا قادرين اليوم على فرض ثقلنا الجماهيري على المفاوضين خلال فترة ما بعد الحرب. ورقة القوة والمشاركة في الحرب خسرناها ولم يبق من ورقة في أيدينا إلا المفاوضات الدبلوماسية. إننا قد دفعنا ثمنًا باهظًا عندما شاركنا في الحرب إلى جانب الحلفاء، الآلاف منا سقطوا قتلى، خسرنا أوطاننا وأملاكنا وتراثنا وحضارتنا. أين مخطوطاتنا الثمينة؟ أين طقوسنا وتراثنا الديني؟ فقدناها كلّها كما فقدنا بيوتنا. دورنا أصبحت خرائب ينعق اليوم فوقها البوم. حقولنا ومروجنا الخضراء أصبحت صحراء جرداء. كرومنا يبست وأشجارها غدت حطبًا لا تصلح إلاّ للحرق. فهل ستذكرنا دول الحلفاء عند إجرائهم مباحثاتهم ومفاوضاتهم واتخاذهم القرارات النهائية؟ اليوم، نحن شعب مهزوم منهوك القوى ومنزوع السلاح. لا أحد يريد مساعدتنا أو مد يد العون لإنقاذنا من البؤس والدمار الذي حلّ بنا أو على الأقل الوقوف إلى جانبنا أدبيًا. ماذا بقي لنا؟ لا شيء. قد يكون هناك إشارة يبديها الحلفاء تعترف بوجودنا أو تؤكد عدم نسيانهم لنا عندما سيتقاسمون الغنائم / ممتلكات العثمانيين. الآن الظروف تحتم حضورنا في لندن لنجعل من ثقلنا عملا فعالا ساعة اتّخاذ القرارات وتوقيع المعاهدات المستقبلية. حينئذ فقط سيتسنى لنا إيصال صوتنا إلى البلدان الواقعة وراء الحدود. وإبلاغ الرأي العام العالمي بقضيتنا. كل هذه الأمور هي القضايا التي علينا أن نقاتل من أجلها سلميًا وحضاريا " . بعد هذه التصريحات التي أعلنتها سورما، أعطى البطريرك مار شمعون بولس تصريحات علنية مشابهة قال فيها:

" يبدو أنه قد أصبح من المؤكد أنّ موضوع عودتنا إلى ديارنا وكذلك مستقبلنا قد أصبح خاضعا منذ الآن فصاعدً لقرارات مسبقة لذا علينا اليوم محاولة المداخلة وفرض ثقلنا على تلك القرارات. إني أقترح إيفاد أختي سورما لحضور مؤتمر باريس. أنا الآن مريض جدًا أخويّ داوود وزيا لهما الكثير من المهام وعليهما القيام بها هنا. منها إدارة قواتنا والعمل للحصول على الأسلحة وتوفير الذخيرة" . بعد ذلك نهض بعناء ومشقة، وجهه مصفر واضحة عليه علامات الألم والأوجاع التي كان يقاسيها، بارك الجميع مضيفا: " ليساعدنا الله ويبعث لنا أنواره السماوية لتنير دربنا الذي يخيّم عليه الظلام الدامس.

بعد أن حطت الحرب العالمية الأولى أوزارها بانتصار ساحق للحلفاء. بقي الذين خسروا الحرب محتفظين بمواقعهم وساكنين المدن والقرى المحتلة ودون أن يعيدوا للآشوريين بتأثير الحلفاء المنتصرين والذين سبق أن وصفوا الآشوريين بـ " الحليف الصغير " وطنهم الأصلي وقراهم وأملاكهم. أما المستقبل فترك للمجهول. حسب رأي الآشوريين كانت إستراتيجية الدول الكبرى ذاهبة في إتجاه معاكس لما يبغونه والذي ظنوه الأصح. التخطيط الذي شمل الآشوريين كان يهدف وضعهم في

عالم آخر مغاير للعالم الذي عرفوه. لذا وكردّ فعل على التخطيط الموضوع عملوا بجد وعناد لتحقيق مداخلة فورية تقتضيها الضرورة، هذا من ناحية، أما من الناحية الثانية، فلقد رأى الآشوريون أنهم ورغم الشرور الكبيرة التي حصلت لهم إنهم لا زالوا يشاركون إخوتهم الكلدان والسريان في المصير الواحد. هذا الواقع حتّم ضرورة العمل لخلق فكر ة وطنية موحدة ورأي وهدف واحد يلتفّ الجميع حوله. بعد رسوخ هذه الآراء في العقول وغدت مبادئ ثابتة لا تقبل المناقشة أو المراجعة بدأت المراهنات للبحث عن أسلم السبل الواجب إتباعها لتحقيق تلك المبادئ. لكن، عندئذ حصلت تطورات مهمة لم تدخل ضمن الحسابات منها الأوامر الواردة بترك هضاب بلاد فارس والإتجاه نحو سهول بلاد ما بين النهرين، أي إبتعادًا أكبر عن الوطن الأصلي. استبدال جبال زاكروس الشماء العاصية بقممها وسفوحها الخضراء ومضايقها الصعبة الإختراق وحيث تجري مياه روافد عديدة بجبال جرداء ومناطق خيراتها قليلة كان يعني الكثير والرفض التام.

غادرت سورما أراضي بلاد فارس والأسى يملأ قلبها، تمامًا كم حصل لها عندما غادرت من قبل جبال حكاري موطن الأجداد ومسقط الرأس والذكريات الحبيبة الجميلة، أيام الشباب الحلوة. هكذا نسدل الستار على الفصل الثاني من مأساة الشعب الآشوري وهو في طريقه إلى منفى جديد مواصلا درب جلائه الذي سينتهي حتمًا إلى الشتات طالما هناك مطامع دول كبرى ذات الأنانية القاتلة.

القسم الثالث

في العراق
فترة وصاية سورما
(من تشرين أول عام ١٩١٨ إلى آب ١٩٣٣)

لا يمكننا أن نتصوّر أن هناك امرأة أخرى جديرة بالملاحظة أو سيدة كفوءة تقدر أن تتكلم عن قضايا الطائفة التي تنتمي إليها مثلها " .

من أقوال اللورد Curzon
الشخصية البريطانية اللامعة
وزير الدولة في الخارجية البريطانية لعام ١٩١٩

" في تلك الفترة كانت سورما خانم عمة البطريرك مار شمعون (...) الشخصية الآشورية الأكثر تأثيرًا " .

من أقوال العقيد R. S. Sttafford
ضابط إنكليزي، المفتش الإداري في الموصل عام ١٩٣٥

١ . الآشوريون لاجئون في بعقوبة

في البدء كانت بلاد ما بين النهرين

منذ قديم الزمان، تعايشت الديانات والأساطير بتناغم مدهش على أرض بلاد الرافدين، بلاد الأساطير. على هذه الأرض عاش "كلكامش" ملك أورك وفي هذه البلاد عاين هذا الملك موت رفيق رحلاته " أنكيدو" إنه قد جال الفيافي نائحا. إنه لم يشك أبدًا في أن تصبح ملحمته الشهيرة، التي كتبت منذ ما يزيد على الخمسة والثلاثين قرنا في مدينة بابل عاصمة الدنيا آنذاك علامة دالة وإشارة ثابتة لماضٍ مشرق ستعرفه كل الأمم.

... " هل سيكون الموت من نصيبي أنا (أيضا)؟

وهل سأكون مجبرًا على أن أكون شبيهًا لأنكيدو؟
الكآبة ملأت نفسي، إني أخاف الموت !
لأهرب وأجول الفيافي [٩٥].

لقد حاول الإنسان في بلاد ما بين النهرين، على مدى الأزمنة، فهم سرّ الحياة ودور الموت فيها. الإنسان بالمعنى المطلق خاف دومًا الموت وحاول البحث عن سرّ الخلود. جهود سكان بلاد ما بين النهرين كانت قدوة للآخرين في الحياة والتطور. ذكراهم بقيت خالدة في ضمير الإنسانية. إنها عرفتهم كأقوام كانوا يُسمّون: سومريون أو أكديون أو أبناء "ماري" أو "أور" أو أورك وخورسابات ونمرود، وآشور وبابل أم البلدان. عرفت الإنسانية هذه الأقوام والشعوب بما تركته من آثار واضحة في تطوير الحياة. هذه البقاع هي مهد الحضارات الحقيقي. المستشرق الشهير صاموئيل نوح كرامر أكد بوضوح جليّ وثقة ثابتة أن التاريخ يبدأ بحضارة السومريين. في هذه الأصقاع عرف الإنسان الكتابة والقراءة لأول مرة وفيها تأسس أول نظام سياسي إداري عرف بـ "دويلات المدن"، وفيها وُضعت أولى الشرائع التي على أساسها حصل التطور في وضع القوانين. فيها كتب لأول مرة "أدب الأساطير" و "الملاحم" التي إحتاجت إلى استنباط الغناء الشعري الذي كان في أساس كتابة أسفار العهد القديم (التوراة) الجميلة التراكيب.

لا شكّ هناك في أصالة الحضارة التي قامت في بلاد ما بين النهرين. إنها الأرض التي باركتها المياه، وتبوركت بحضور الإلهة. في هذه الأرض قامت إمبراطوريات دوخت العالم آنذاك. شعوبها (تلك الإمبراطوريات) بنت الحضارات وأغنوا البشرية بالعلوم والمعرفة التي حملوها إلى مختلف أقطار العالم وابتداءً بالأقطار المجاورة. الأجيال التي سكنت بلاد ما بين النهرين تركت آثارًا لقراها ومدنها. في مقدورنا اليوم الكشف عنها بأساليب بحوثنا الأثرية الحديثة، فنعيّن طبقاتها بعد إزالة ما خلفته العوامل الطبيعية من أتربة وطين. كانت مبانيهم جيدة وبعضها لا زال قائمًا شامخًا كالزقورات والقصور في أور وبابل ونمرود والحضر. عدا ذلك هناك ما هو أهم ونقصد به "الكتابات" التي نعثر عليها على ألواح الطين المفخورة أو على جدران القصور أو أسوار المدن. السومريون هم أول من كتب المسمارية حوالي عام ٣٣٠٠ ق.م. إنهم خلدوا أعمالهم على رقم من الطين ثمّ فخروها. نجد من أمثالها آلاف الرقم محفوظة في مختلف متاحف العالم. بعدئذ تطورت الكتابة المسمارية وانتشرت في كافة المناطق فتعلمتها شعوب أخرى وأخذت تكتب بها وتزيد من غناها الحضاري، خاصة عندما أصبحت اللغة التي تكتب بها الآداب والعلوم والتراث والطقوس الدينية والأحداث العسكرية. كل هذا التطور حصل قبل ألف عام من بدء كتابة نصوص العهد القديم، أو ملحمات الإلياذة والأوديسة لهوميروس. في قلب بلاد الرافدين كتبت الآداب الجميلة والأشعار الحماسية والصلوات. وفيها وُضعت اللبنات الأولى لصرح العلاقات الإنسانية والحوار بين الأمم والشعوب كما أنها كشفت عن

إهتمامات الإنسان في الحفاظ على الميراث الفكري الذي خلفه الأجداد الذين استوطنوا ربوع هذه البلاد التي يسقيها النهران الخالدان دجلة والفرات. وإزادا من خصوبتها بالغرين الذي يحملانه عند الفيضان. وفرة المياه وخصوبة التربة كانا العاملان المهمان في تعلم الزراعة وتطويرها، لأنها أول مهنة عرفها الإنسان ومارسها كمهنة أساسية في حياة البشرية قاطبة وبها إنتقلت من عصر جمع القوت إلى عصر إنتاج القوت. على ضفاف نهري دجلة والفرات وروافدهما بدأت أولى محاولات الإنسان لإكتساب الخبرة في تطبيق الأساليب الفنية لسقي المزروعات تعويضًا عن النقص في هطول الأمطار وكان ذلك خلال الفترة التالية للعام ٥٥٠٠ ق.م. شعوب بلاد ما بين النهرين هي التي اخترعت العجلة والمحراث البسيط والشراع والدولاب الدوّار. حتى يومنا هذا قد نسمع أحيانًا تداول إسم حمورابي أو نبوخذنصر بطلي بابل العظيمة وارض كلدو/ كلدي وابنيها البارين أو تداول الإسمين الشهيرين آشور بانيبال وسرجون الآشوريين بطلي نينوى الجبارة. غالبًا ما تذكر هذه الأسماء رمزًا للقوة والتسلط العسكري الغاشم، لكن في الوقت ذاته علينا جميعًا ودوما أن لا ننسى العطاء السخي الذي أعطاه أبناء بلاد ما بين النهرين للإنسانية من خبرة وحضارة أو قدموه من خدمات جليلة هي اليوم أساس لما استطاعت الأجيال التالية تحقيقه من تقدم لتوفير حياة أكثر رخاء ورفاهية لكل الشعوب التي عاشت بعدهم.

عجلة التاريخ لم تقف بزوال إمبراطوريات بلاد ما بين النهرين القديمة، بل استمرت بمجيء أجيال جديدة للسومريين والأكديين... عملت على بناء حضارات واتخذت ديانات جديدة تلت عصور بابل ونينوى. نقصد بتلك الأجيال أبناء العصور العباسية والعاصمة الشهيرة بغداد التي بقيت قرونًا عديدة عاصمة الشرق وفخر الدنيا ودرّتها البراقة. في بغداد تكوّنت الحضارة العربية الإسلامية ومنها خرجت لتنتشر في باقي الأقطار. في بغداد كان يتمّ التبادل التجاري على أوسع نطاق وفيها ظهر فقهاء العلوم الدينية والفلاسفة المسلمون الكبار والأطباء والقضاة والفنانين والشعراء. وإشتهرت بغداد أيضًا بمرفقها العلمي الشهير "دار الحكمة". اهتم الخلفاء العباسيون بهذه الدار وطوّروها لذا إشتهرت بما أنتج فيها من أمهات الكتب كما ترجم فيها التراث الحضاري القديم الذي كتبه اليونانيون والآراميون، لقد كان لأباء كنيسة المشرق ورجالاتها (وهم أجداد بطاركة قوجانس) دور كبير وفاعل في ترجمة الحضارة والفلسفة اليونانية إلى العربية. بذلك توفر لهذه اللغة (العربية) التعبير الجديدة والمفردات العلمية الحديثة وإغتنت بها فأصبحت اللغة العالمية التي لا تظاهيها لغة آنذاك. هكذا انتقلت الحضارات القديمة إلى اللغة العربية فأصبحت الكنز الثمين للمعرفة ومصدرًا غنيا سينهل منه الغرب مستقبلا فيقوم بنقل البشرية إلى عصر الثورة الصناعية ومن ثمّ إلى العصور الحديثة. في عهد الخليفة العباسي الثاني المنصور / أبو جعفر بنيت بغداد فأصبحت بعد ذلك مركز الثقل لكل الإمبراطورية العباسية وأكبر حاضرة في العالم. بلغ عدد نفوسها عهدئذٍ أكثر من

مليون نسمة. عهد الخليفة العباسي المعروف بهارون الرشيد عهد خالد في الأذهان. قصص الف ليلة وليلة يقرأها الجميع في أغلب لغات العالم من خلال هذه القصص عرفت شعوب العالم علاء الدين والمصباح السحري وعلي بابا والسندباد البحري وشهرزاد وغيرهم من الشخصيات الخيالية التي ستبقى لهم بغداد رمزًا عبر الأجيال. إستطاع العباسيون بناء إمبراطورية مترامية الأطراف كان لها عصور ذهبية سجلها التاريخ لبغداد. لكن، وفقا لأحكام تطوّر الحياة انتهت إمبراطورية العباسيين إلى السقوط عام ١٢٥٨ على أثر هجوم قاده المغول فاحتلوا بلاد ما بين النهرين ومن ضمنها العاصمة الشهيرة بغداد، هجوم المغول واحتلالهم لهذه البلاد كان هجومًا وحشيا لأنه لم يتحدد بالقضاء على القوة العسكرية للعباسيين بل تعداه بالإعتداء على الإرث الحضاري "دار الحكمة". الكتب التي كانت موجودة فيها أحرقت أو ألقيت في مياه دجلة. بعد الإحتلال ساد الخراب وعمت الفوضى في طول البلاد وعرضها. دامت هذه الحالة ثلاثة قرون كاملة. بعدها كان الدور لإحتلال أقوام جديدة عرفوا بالعثمانيين. في العام ١٤٣٤، احتلت جيوش السلطان سليمان الشهير بالقانوني بغداد. بعد الإحتلال، قسّم العثمانيون بلاد ما بين النهرين إلى ثلاث ولايات هي ولاية الموصل في الشمال وولاية بغداد في الوسط وأخيرًا ولاية البصرة في الجنوب. عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى تبدلت الأوضاع. في العام ١٩١٤ بدأت جحافل البريطانيين تصل ميناء البصرة (الواقع في الفاو المطلة على الخليج)، فحطت الرحال فيها، بعد ذلك، أخذ الجيش البريطاني بالتقدم نحو الشمال دافعا القوات العثمانية المتقهقرة إلى الوراء في معارك فاصلة. في اليوم التاسع عشر من آذار عام ١٩١٧ دخل الجيش البريطاني بغداد. في اليوم الثلاثين من تشرين الأول عام ١٩١٨ أعلن وقف أطلاق النار. فعاد الإتراك إلى مواقعهم التي كانوا فيها قبل الحرب. لم يرض البريطانيون بذلك التصرف، لأن ساعة الحسم كانت قد دقت. فور ذلك عمل الإنكليز على تشكيل إدارة بديلة للتشكيلات والإدارة العثمانية. تحددت مهام الإدارة الجديد ببناء مؤسسات وتشريع قوانين جديدة. تمت كل هذه الإجراءات والشعور الوطني في تنام بين الجماهير العربية وقبائلها المنتشرة في كل المناطق. عند ذاك بدأ العراق المتلجلج المضطرب يكتب الصفحات الأولى لمستقبل الآشوريين الجبليين. واه عليكِ يا بيث نهرين [٩٦]، ها هم أبناء آشور يعودون إليكِ بعد قرون من الغياب يعودون منفيين هاربين. آه يا بيث نهرين، يا بيث نهرين... هذه هي الكلمات التي كانت تسمع من تلك الجماهير المعذّبة تنطق بها شفاههم الجافة والمرتجفة من شدة الآلام والمعاناة. إنها جماهير منهكة القوى من كثرة المصائب التي كابدتها. إسم بلاد ما بين النهرين كان مفردة متداولة وواردة على كل الألسن. أغاني الآشوريين لم تكن تخلو من ترديدها والتغني بها معبرة عن حنين أولئك الجبليين وتوكيد إنتمائهم إلى وطن الأجداد القدماء. الآن، هوذا سجل جديد يفتح لسورما وأبناء شعبها في أراض رقد فيها الجدود منذ غابر الأزمنة. كئيبة هي قلوب الآشوريين الوافدين التي غادرت الهضاب الفارسية قسرًا وجاءت إلى

هذا السهل الفسيح المترامي الأطراف يسقيه نهران أسطوريان. إنه مهد حضارة سومر وأكد، مهد حضارة بابل وآشور. إلى حضارات هذه الأقوام وأصولها يريد هؤلاء الجبليون أن يرجعوا بقوميتهم معتبرين أنفسهم أحفاد لأولئك. أحداث التاريخ وعواديها أجبرتهم في عصور ما على التخلي عن موطنهم والإلتجاء إلى الجبال العصية جبال حكاري الشماء. بعد تمزّق وانقسامات مؤلمة نتيجة لظروف قاهرة ونكبات موجعة اضطروا اليوم الإنصياع للضغوط المسلّطة عليهم العودة إلى أرضهم وموطنهم الأصلي الراسخة ذكراه الخالدة في المخيلة ومحبته في أعماق القلوب.

حصل هذا بعد أنقطاع طال القرون وغياب عاشته أجيال عديدة. لقد شعرت هذه الجماهير العائدة ورغم كل ما قاسته من مصائب مفجعة، للحظات بعاطفة الحنين والفرح تملأ القلوب وتنعش الخواطر لهذا اللقاء بأرض الآباء وترابها المقدس. قد يكون لقاء المودة والفرح العميم والشعور بالحنين قد اشتبكت ببعضها لتولد الآشوري الأصيل الجبار لولا الظروف الموضوعية التي قلبت الأمور رأسًا على عقب. فملأت القلوب غصة والعيون دموعًا حارة غزيرة.

صحيح أنّ تاريخ هؤلاء الجبليين يبدأ بسومر وأكد لكن بمتابعة مسيرة التاريخ سنصل إليهم وهم في ملجئهم الحديث حكاري ورئاستهم تقيم في قرية تكاد أن تكون منسية قرية " قوجانس ". بعد ذلك يأخذهم التاريخ في مسيرة جديدة مؤلمة وشاقة، إمتلأت أيامها بالمذابح ونهب المقتنيات والسلب والإغتصاب والفزع والرعب إضافة إلى الجوع والعطش. أخيرًا يصل بهم محطة بلاد ما بين النهرين. إنهم لم يقتنعوا بالواقع الفعلي. إنهم لا زالوا يحلمون بجبال حكاري موطنا لهم حيث عاشوا بحرية شبه تامة واستقلال غير معترف به. إنهم سيناضلون من أجل ذلك مدى أيام حياتهم.

أبناء البلاد الأصلاء يصبحون غرباء

في وسط مدينة الخيم (لأنها تشكلت من عدد كبير من الخيم سكنها المنفيون)

إنّ توجيه جماهير الآشوريين التدريجي نحو الأراض المنخفضة من بلاد ما بين النهرين، التي تشكل إمتدادات أرضية منبسطة لما وراء الجبال العالية، خلق في نفوس تلك الجماهير تناقضًا مرًّا عندما كانت الجماهير تقارن تلك المناظر بالمناظر التي تعوّدوا عليها في جبالهم العزيزة. التضاريس رتيبة التكوين لأنها سهول منبسطة فيها بعض الحيوانات الغريبة والنباتات الكثيفة تكيفت على النمو في هذه المناطق فأصبحت نباتاتها التقليدية. شاهدوا في هذه السهول الغزلان ذات القرون المعقوفة واليرابيع ذات القوائم الخلفية الطويلة والعضايا حيوانات الرمال المعروفة. هنا الحياة مملة نظرًا للجمود الذي يكتنفها. لا فرق بين الماضي والحاضر. توالى المحتلون لهذه الأرض بعد أن يطرد الجدد القدماء. فبنيت القرى الكثيرة والمدن الكبيرة. رغم كل هذه المفارقات وسلبياتها بقيت

جماهير الآشوريين تصل تباعا فتتزاحم في المناطق المخصصة لسكناهم. بالقرب من الموقع المخصص للمخيم كانت تعيش جماعات من السكان في رخاء نسبي. في قرى أو مدن تظهر مزدهرة، تختفي أحيانًا وراء التلال الرملية. نهارًا كانت تُشاهد قطعان الماشية ترعى تحت حراسة الرعاة، فيُذكر هذا المنظر الآشوريين بالرعاة الذين تحدثت عنهم أسفار التوراة. في هكذا محيط رتيب عاشت الشعوب في بلاد ما بين النهرين ومنذ فجرها الحضاري. كانت المرأة في هذا المجتمع تعمل إلى جانب الرجل، أحيانًا في البيت حيث تربية الأطفال أو في الحقل حيث يعمل الرجل في زراعة الرز والشعير والحنطة والقطن أو في سقي أشجار النخيل بمياه يجلبها من النهر بسواق خاصة، أو عندما كان يعمل في جمع الحاصل الوفير. غالبًا ما كانت العواصف الرملية تهب على هذه المناطق ولأيام عديدة فتجعل المشي صعبًا والعمل شاقًا.

في البداية، أي عند وصول جماهير الآشوريين إلى بعقوبة لم تكن على معرفة بنوع الحياة فيها. كانت الحياة في بعقوبة صعبة ومثيرة للأعصاب. بعقوبة مدينة تقع على بعد ٥٥ كم شمالي شرقي بغداد، فيها قرّر الإنكليز إسكان الآشوريين وعلى الضفة اليسرى من نهر ديالى الذي منابعه تقع في جبال زاكروس، أما مصبه في دجلة فيقع على بعد قليل عن جنوبي بغداد. نهر ديالى رافد من روافد نهر دجلة المهمة لأن مياهه تسقي واديًا غنيا بالنخيل والكروم والحمضيات والحقول الزراعية الكبيرة المساحات الخصبة الصالحة لزراعة أنواع الحبوب والقطن كما تكثر حواليه أراض غير مسكونة وغير مستغلة زراعيًا. هذا الواقع جعل من المنطقة منطقة مثالية لإستقبال جموع اللاجئين القادمين من إيران منذ العام ١٩١٨، هذه الأراضي كانت بمثابة هبة السماء لأولئك المنفيين عن أوطانهم. سكن الآشوريون هذه المنطقة التي أصل إسمها آرامي المكوّن من الباء إختصارًا للمفردة بيت ويعقوبة أو (يعقوب) [٩٧].

في هذا الموقع أسس البريطانيون مدينة تتكون من ثلاثة آلاف خيمة. هذا النوع من السكن كان الأول في نوعه يشيد في تلك المنطقة، حيث يمرّ نهر ديالى عبر التواءات عديدة وقريبة من بعضها البعض. أسكن البريطانيون جماهير الجلاء المنفية القادمة للإقامة في هذا المخيّم كثلاث مجموعات مختلفة تتكوّن من: الجبليين القادمين من تركيا (العشيرت) وعددهم (٢٥٠٠٠) نسمة ومن آشوريي سلامس وأورميا وعددهم (١٠٠٠٠) نسمة وأرمن مناطق "وان" وعددهم (١٥٠٠٠) نسمة. المجموعة "ألف" كانت متكونة من الأرمن، بينما المجموعتان "باء" و"جيم" فتكونت من الآشوريين. بعد ذلك قسّمت المجموعات أو القطاعات إلى (١٠) أو (١٢) مجموعة ثانوية، كل منها تضم خمسين خيمة تكفي لسكنى (١٢٥٠) لاجئ. كانت الخيام متشابهة. كان لكل خيمة إفريز مزدوج ولها عمودان وسطيان. هذا النوع من الخيم سبق أن أُستخدم في الهند وأحيانًا في أوربا. كل مجموعة من هذه المجموعات الثانوية كانت مزوّدة بالماء النقي الصالح للشرب بصورة مستقلة كما له

فسحة واسعة لإعداد الطعام / مطبخ/ وأخرى للمراحيض وثالثة لحرق النفايات /محرقة/ ورابعة لغسل الملابس. بالتأكيد لم يكن هذا التنظيم كاملا ونموذجيا بسبب وجود بعض السلبيات والإضطراب لكن مع ذلك التدبير كان موفقا، القسم الخاص بالخدمات الطبية كان يمثل القلب في جسم للمخيّم ذلك لأن المنفيين كانوا يصلون في حالة سيئة بسبب ما أصابهم من أوبئة وأمراض. حال وصول اللاجئ كان عليه أخذ حمام حار ومطهر ثمّ تُعطى له ثياب نظيفة وجديدة. المرضى من اللاجئين كانوا يرسلون إلى المستشفى المشيّد وسط المخيم بسعة (٧٥٠) سرير. رغم سعة هذا المستشفى، كان أحيانًا كثيرة غير كاف نظرًا لأن أعداد المرضى كانت تفوق سعته. الأطباء والممرضون كانوا منشغلين ليل نهار بمعالجة الجرحى والمرضى. الجهود المبذولة للمعالجة كانت قياسية لكن مع ذلك بلغ عدد المتوفين في ذلك المستشفى حوالي (٧٠٠٠) نسمة، بينهم من قضى نحبه بسبب الظروف الحياتية الجديدة التي لم يكونوا قد تعوّدوا عليها مناخيا. كانت التأوهات تسمع في نواح كثيرة من ذلك المخيم خاصة من النساء اللواتي كنّ يبكين الزوج والأخ والأب أو الأم والأخت والأطفال الذين قضوا نحبهم بسبب المرض أو جروح أصيبوا بها ولم يُشفوا منها.

توفير الأغذية اليومية الضرورية كان من مهام الدوائر المشرفة على إدارة المخيّم (البريطانيين) بموازاة ذلك، بوشر بتشكيل نوع من الأسواق الصغيرة التي أخذت تنتشر في أرجاء المخيّم وتتسع يوما فيوما. كان يدير هذا النوع من الأسواق اللاجئون أنفسهم. عدد الأطفال في المخيم كان يمثل ثلث المجموع الكلي للمنفيين. في البداية خصصت للأطفال فسح وساحات ليلعبوا فيها وكوسيلة من وسائل اللهو البريء. بعدئذ تطورت هذه الفسح فأصبحت مدرسة للتعليم ومركزًا للتثقيف يأتي إليها الأطفال وأحيانًا البالغون للدراسة والتعلم. إلى جانب ذلك أسس مستوصف صغير لتدريب الراغبين من الآشوريين والأرمن ليُشكلوا الكادر الطبي المساعد في معالجة الإصابات الصغيرة الفجائية، بذلك تسنى للإدارة التخفيف عن كاهل الممرضين الصحيين البريطانيين. كانت هناك أيضًا حاجة لتوفير مكان لستة آلاف حيوان (بغال وحمير والخيول الصغيرة والخفيفة الوزن والجمال...) ولحوالي ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ رأس من الماشية. هذا العدد الكبير كان بحاجة إلى العلف اليومي وعناية [٩٨]. مقابل كل هذه المعونات المجانية، قام البريطانيون باستخدام الآشوريين القادرين على العمل في أعمال فتح الطرق أو تشكيل أفواج عسكرية. فتوفرت بذلك الفرصة لهؤلاء اللاجئين تأمين موارد معاشية منتظمة للعوائل والتكييف مع مقتضيات الحاجات الآنية في الموطن الجديد (بلاد ما بين النهرين) بعد سنة من الجلاء والنزوح القسري قام أحد الأفراد في البعثة اللعازرية المدعو Asi-tride Châtelet بتنظيم جداول مهمة لمواقع اللاجئين المسيحيين وفقا لمصادره الشخصية. نقرأ في هذه الجداول أنّ عددهم في أطراف الموصل كان بحدود (٣٢٠٠٠) مسيحي من الكلدوآشوريين منهم (١٢٠٠٠) نسمة أصلهم من سهول أورميا وسلامس. الباقون قدموا من مناطق جبال حكاري

ومن همدان ٤٠٠٠ ومن كاسفان / كاشفان ٢٠٠٠ ومن ريش إنزيلي ١٠٠٠ ومن تفليس ما بين ٦٠٠٠ و٧٠٠٠ مسيحي ومن توريس ٥٠٠٠ ومن جهات روستوف ٢٠٠٠٠ (منهم ١٠٠٠٠ من أورميا و ١٠٠٠٠ جبليون) ومن بريفان ٢٠٠٠ . عدا الإحصاءات المذكورة نجد هذا المؤرخ يؤشر تكوّن شتات للآشوريين في أمبريكا الشمالية مع توثيق لعددهم الذي يحدده بـ (٢٥٠٠٠) نسمة، وفي الأرجنتين بحدود الألفي نسمة. وهناك أيضًا ملاحظة مهمة يجب الإنتباه إليها إذ تقول " أن أغلب هؤلاء اللاجئين في هذا الشتات كانوا من الشباب النشيط المحب للحياة والمؤثر فيها.

مصير العائلة البطريركية

وصل أفراد عائلة الآباء البطاركة إلى بعقوبة مع الجماهير المنفية / الهاربة من الظلم بحراسة سرية الحماية العسكرية وآمرها جورج ريد بعد معارك مستمرة خاضتها سرية الحماية مع القوات التركية –الكردية الملاحقة لجماهير المنفيين. وصلت العائلة بعقوبة في نهاية العام ١٩١٨ . كان آمر المخيم العام آنئذ العميد الركن Hubert Henry Austin .

فور الوصول، أصدر آمر المخيم العام أمرًا يقضي بضرورة إرتباط جورج ريد بقيادته مباشرة بسبب كونه (جورج ريد) الضابط الإنكليزي الوحيد الذي يتقن لغة الآشوريين (السورث) بطلاقة. نتيجة لهذا الأمر أصبحت خدماته وأمكاناته بأجمعها تحت تصرف القيادة العامة للمخيم فتوفرت الفرصة لإيجاد حوار مستمر وبناء ما بين الآشوريين وإداريي المخيم أو إداريي مخيمات أخرى من جهة وبين تلك الجماهير والسلطات الحكومية القائمة في البلاد من جهة ثانية. عند بداية العام ١٩١٩ التحق بالمخيم صديق قديم آخر هو " الراعي ويكرام " . كان الضعف قد نال من جسمه نظرًا للمعاناة التي عاشها، غير أن صحته بصورة عامة كانت لا تزال جيدة. صدى حديثه المشجع كان كهديل الحمام البهيج الذي كان يسمعه الآشوريون الجبليون سابُقا فتهدأ نفوسهم وتملأ الآمال قلوبهم. قبل وصول الراعي ويكرام إلى بعقوبة، كان أسير حرب لبضع سنوات قضاها عند الأتراك في أسيا الصغرى. فور إطلاق سراحه، توجه بسرعة إلى بعقوبة مقدمًا خدماته وكل إمكاناته وخبرته لخدمة الآشوريين. كان يأمل الراعي ويكرام أن بتعاونه مع السلطات البريطانية سيستطيع العمل من أجل الإسراع في عودة الآشوريين إلى موطنهم القديم حكاري الذي يحبونه ويفدون الغالي والنفيس في سبيله. استثمر ويكرام كل الفرص المتاحة لجمع أكبر كمية من المعلومات الخاصة بالجلاء والنزوح القسري ليكتبها قصة طويلة ومفصلة تاريخيًا. إنّ حدة البصيرة والذكاء والمعرفة الواسعة الشاملة التي كان يملكها ويكرام كانت دعامات أساسية لتنسير وتنفيذ خطط آمر المخيم العام المتعلقة بإدارة مخيم بعقوبة للاجئين.

الليدي سورما في حوالي عام ١٩١١

بعد إستتباب الأوضاع. إجتمع الآشوريون فورًا للتباحث، فتبلورت الفكرة التي قبلها كل المجتمعون ومفادها الرغبة الملحة في العودة إلى المواقع التي كان الآشوريون يعيشون فيها خلال السنوات التي سبقت الحرب. بناءً على تلك الرغبة قام قداسة البطريرك مار شمعون بولس في شهر شباط من عام ١٩١٩ بتحرير رسالة مفصلة تحوي مطالب شعبه الآشوري أرسلها إلى المفوّض السامي

Arnold Talbot Wilson طالبًا منه رفعها إلى المسؤولين في السكرتارية العامة لمؤتمر السلام في لندن. بذلك بدأ الآشوريون كفاحهم الجديد في تاريخهم الحديث ولكن هذه المرة كان ضمن الدوائر الدبلوماسية. في آذار من عام ١٩١٩ أرسل البطريرك ثانية برقية إلى لندن فيها يؤكد إصراره على ضرورة حضور ممثل عن الآشوريين أثناء المناقشات التي سيجريها مؤتمر السلام باعتبار أنه الجهة العليا التي ستضع النقاط على الحروف لنهاية الحرب العظمى وفيه ستقرر صيغ المعاهدت النهائية. المفوّض السامي Wilson دعم طلبات الآشوريين بكل قوة. آنذاك، بدأت صحة البطريرك الشاب مار شمعون بولس، الذي لم يكن يتجاوز السادسة والعشرين من عمره، تتدهور بتسارع مذهل. سورما أحست بخطورة الموقف وتأكدت من أنّ البطريرك لا يستطيع الإستمرار في قيادة شعبه ولا حتى إبداء النصح الضروري. انتشر الخبر عن الحالة الصحية الخطرة للبطريرك وعلم به الآشوريون المقيمون في بغداد وحواليها، فخيم الحزن القلق. بقيت الأوضاع هكذا من شهر نيسان إلى تشرين أول. بضمن هذه الفترة كانت أشهر الصيف المحرقة أي تموز وآب الذين قد تصل درجة الحرارة الخمسين درجة مئوية عند الظهيرة. شمس بلاد ما بين النهرين الصيفية أحرقت أجسام الآشوريين الذين لم يكونوا قد تعوّدوا على مناخ كهذا، فتعذبوا من شدة الحرّ كثيرًا، عندما كانت تشتد وطأة الحر كانوا يتذكرون

ليالي قوجانس وجبال حكاري البهيجة ونسيمها العليل بحنين وخاصة عندما كانوا يتمددون على أسرتهم المرصوفة فوق "القبرانة" [٩٩]، ويستغرقون في نوم هادئ وتيارات الهواء المنعش تداعب وجوههم وأجسامهم. في شهر نيسان من عام ١٩١٩ أرسل الراعي ويكرام على وجه السرعة البطريرك مار بولس إلى "دير الشيخ متى" للإستجمام خلال فترة الصيف، الذي هو من المراكز المهمة لدى المسيحيين الشرقيين، ومن المصايف الشهيرة. يقع هذا الدير في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الموصل. ويطلُّ على سهل نينوى الفسيح. تأسس هذا الدير في العام ٣٦١ م. على يد مار متى القادم من آمد في تركيا. جاء مار متى إلى هذا الجبل مع مجموعة من الرهبان هربا من الإضطهاد الذي أعلنه الإمبراطور الروماني جوليان المعروف بالجاحد. في البداية كان هذه الدير صرحًا فخمًا للمسيحيين المونوفيزيين. بعد ذلك انتقل في القرن السادس إلى أيدي أبناء كنيسة المشرق، ثمّ هجر فترات متتالية بسبب الغزوات وهجمات الأعداء. في العام ١٧٩٥ أعيد تجديده وتوسيعه. بسبب غياب رئاسة السلطة في كنيسة المشرق نتيجة لمرض البطريرك وعجزه التام عن ممارسة مهامه، أنيطت مهمّة تسيير الأمور المدنية إلى قائد قوات الآشوريين داوود، وإلى سورما أخته نظرًا لإتقانها اللغة الإنكليزية كتابة وتكلما. بذلك استطاعت سورما الحفاظ على علاقات وثيقة مع مسؤولي المخيم وعن طريقهم بالحكومة البريطانية. فقامت بتنظيم لقاءات متواترة مع إدارات المخيم المتتالية. هذه الإتصالات ساعدت على كسب ثقة المسؤولين البريطانيين شيئًا فشيئا. حاول القائد العام للمخيّم مرارًا وتكرارًا إقناع السلطات البريطانية في لندن بضرورة منح سورما وثيقة سفر "Laissez-passer" (السماح بالمرور) يصلح للسفر إلى أوربا. لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل. كان تأسف Austin عند مغادرته منصبه في بعقوبة كبيرًا لعدم توفقه في تعديل مسار رأي الحكومة البريطانية بخصوص القضية الآشورية. تحدث هذا العسكري الإنكليزي المخضرم عن سورما وذكرها بكل إجلال وتقدير فقال عنها: "سورما خانم تتكلم الإنكليزية بطلاقة أدبية، إنها سيدة مثقفة جدًا، ذكاؤها خارق، تجلب الإنتباه. لم تغادر أبدًا جبال كردستان. عاشت كلّ أيامها في مجتمع صاخب الأحداث وتسوده الفوضى حتى إن حلت النكبة الكبرى بشعبها الذي أحبّته كلّ الحب" [١٠٠].

في حزيران عام ١٩١٩ سلم القائد العام للمخيّم مقاليد أمور المخيّم إلى خليفته العقيد Cun-liffe-Owen. فور استلام الآمر الجديد القيادة العامة للمخيّم غادر موقعه بصحبة الراعي ويكرام. طالت فترة غياب القائد العام الجديد، والإنتظار أصبح مملا خاصة بالنسبة لسورما. معاهدة فرساي حدّدت المصير النهائي لألمانيا المندحرة. صدر القرار الخاص بهذا الحدث الكبير في الثامن والعشرين من حزيران عام ١٩١٩، ما يتعلق بموضوع تركيا فالأمر كان مغايرًا ذلك لأن هذا الموضوع كان له علاقة بشعوب كثيرة وحدود طويلة. معارك دبلوماسية كثيرة ومناقشات طويلة جرت

خاضها المشتركون في الإجتماعات. إستمرّت تلك المناقشات أشهرًا عديدة. ولم تتخذ حكومة صاحبة الجلالة الإجراء اللازم للإسراع في إرسال وفد آشوري بإدّعاء أن قضية الآشوريين وحقوقهم باقية محمية ومصانة وفق ما يستحقونه. في شهر أيار من العام نفسه، جاء تأكيد جديد للآشوريين أن هناك ضرورة ملحة ليكونوا ممثَّلين في مؤتمر السلام. بناءً على هذا التأكيد إستجابت حكومة لندن وأعطت الضوء الأخضر لمشاركة الآشوريين في المؤتمر ولكن لشخص واحد فقط. بموجب القرار البريطاني، انتخبت سورما في الحادي والعشرين من شهر تموز من نفس السنة لتكون الممثل الرسمي للشعب الآشوري في مناقشات مؤتمر السلام. بينما كانت يوما تتجوّل على ضفاف نهر ديالى ومعها جورج ريد أخذت تعبر عن إحساسها بأسلوب مجازي فقالت: "كانت مدينة أور أكبر حاضرة للسومريين. تمّ بناؤها في الألفية الرابعة ق.م. كانت تقع قرب مصب نهر الفرات (في الخليج أيامئذٍ). فيها ولد أبرام، الذي دعاه الرب الإله إبراهيم، وجعله أبا لشعوب وأمم كثيرة". في سفر التكوين نقرأ: "توفي هاران بينما أبوه تاراح لا زال على قيد الحياة في مسقط رأسه "أور الكلدان". أخذ تاراح إبنه إبراهيم وحفيده لوط (إبن هاران) وكنته ساراي امرأة إبراهيم وخرجوا من أور الكلدانيين وذهبوا إلى بلاد الكنعانيين [١٠١]. بموازاة ذلك أرى أنّ شعبنا الآشوري العزيز، وبتوجيه وتشجيع الآباء البطاركة ترك موطنه بلاد ما بين النهرين وغادر يبحث عن آفاق جديدة. عاشت جماهير شعبنا الآشوري عقودًا طويلة في حكاري وجنبًا إلى جنب مع الأكراد. هناك عملنا لنجعل من تلك الجبال ملجأ آمنا نسكنه بحرية وسلام. اليوم نرى تلك الجماهير مجبرة على إستيطان هذه السهول الفسيحة لبلاد الرافدين، أرض أجدادنا القدماء أبناء أبرام إبراهيم الذي هو أبٌ لجميعنا. يا له من قدر رُسم لنا!".

بعد صمت طويل، أطلقت سورما حسرة عميقة وقالت: "إني لا أعلم إذا ما سيحالفني الحظ لأرى ثانية جبالنا الخضراء... مع ذلك هذه هي أمنيتي وأمنية شعبنا العزيز. إني سأكافح حتى الرمق الأخير لتحقيق هذا الحلم الذي هو حلمي أنا أيضا".

حاول ريد أن يؤكد لها قائلا: "لا تقلقي أبدًا، نعم هناك تغييرات ستحصل. العالم سيصبح بشكل مغاير لما عرفناه عليه، وسيكون للآشوريين الموقع الذي يستحقونه. صديقنا الراعي ويكرام سيكون حتما ودوما إلى جانبكم بشهاداته القيمة التي هي لصالحكم والتي سيقدمها للجهات البريطانية العليا ذات القرار التي طلبت رأيه لتستأنس به".

هنا قاطعته سورما لتقول: "إني مندهشة من واقعيتكَ وتفاؤلكَ الكبير هذا، إجتماع المجلس (الشعبي الآشوري) إنتهى منذ فترة وقرر تسميتي سفيرة لشعبي – الآشوري – أمام الدول الغربية. قد أغادر إلى لندن قريبًا. من مجريات الأحداث استشفّ الرؤى أنّ التعقيدات التي تعترض مسيرة قضيتنا أخذت بالتحلحل. إنّي أصلي إلى الله وأطلب منه أن يعينني لمواجهة التطورات الجديدة

بهدوء وحكمة".

أجاب جورج ريد مشجعا سورما وبناءً على ما يتوسمه فيها من قناعة بقضية شعبها وعزم وتصميم للعمل من أجلها والمقدرة على مواجهة التظليلات الدبلوماسية بسبب ذكائها الخارق، فقال: "شعوركِ بالمسؤولية البيّن سيقنع حتمًا المتشككين الأكثر عنادًا. شجاعتكِ وإيمانك العميق والراسخ بعدالة قضية شعبكِ، سيؤثران وبقوة لإزالة المخاوف "إن آلاها باسمليه" (١٠٢).

هنا علّقت سورما على جواب ريد قائلة: "ليستمع الرب الإله إلى طلبكَ يا عزيزي جورج، نعم ليستجب الله دعاءك". رفعت سورما ناظريها فرأت المناظر البعيدة عنها فيها أعداد من الجمال الكثيرة منتشرة هنا وهناك وهي تمثل ثروة البدو الأساسية وشمس الصيف التي تحرقها حرقا. وراء الهدوء الظاهري للصحراء المجاورة الذي شعرت به سورما رأت ضلالا تملأ الأفق البعيد قادما كصخب لعلعة السلاح تبعثه شائعات صيفية. هذا المنظر المؤطر بالسماء الصافية وكثبان الرمال المترامية الأطراف كان الأفق الأبعد لتفكير سورما فتأملته وهي عائدة إلى خيمتها فملأ القلق مخيلتها وغاصت في بحر من الأفكار والخطط.

مطالبات واختلافات في الرأي

طموحات الشعب الكلدو آشوري

في تموز من عام ١٩١٩ وصلت إلى السكرتارية العامة لمؤتمر السلام مذكرتان (١٠٣) قامت بتحريرهما سورما ذات الإطلاع الواسع بكل دقائق الأمور. الغرض من إرسال المذكرتين كان إطلاع الرأي العام الغربي على الواقع الحقيقي للقضية الآشورية من خلال تفاصيل دوّنت في المذكرتين بكل دقة وعناية، كما تضمنتا أيضًا الآمال التي يأمل الشعب الآشوري تحقيقها.

أولى المذكرتين كانت موجهة مباشرة إلى مؤتمر السلام ومكتوبة بشكل نقاط تتضمن طموحات ومطالب الشعب الآشوري. إنها طالبت بمنح حق التمتع بحكم ذاتي بمفهومه الواسع أرضا وقانونا ولكافة أبناء الشعب الكلدو آشوري. طالبت أيضًا بإعادة كافة الممتلكات والأراضي مع ضمان الحماية البريطانية وإعادة تسليح الآشوريين ورفع أيدي الأغوات الأكراد وسيطرتهم على جماهير المسيحيين باعتبار أنّ أولئك الأغوات هم الجهة المسؤولة عن كل الإعتداءات التي سبق أن حصلت. تفصيل النقاط المشار إليها كان الآتي:

١ · توفير ضمانات لأمن مستتب دائم في المستقبل برعاية وحماية الحكومة البريطانية فيصبح الشعب موحدًا يعيش في ربوع مواطنه ومسقط رأسه الذي يتحدد بالموصل والجزيرة والباش قلعة

وأورميا وأن له الحق للإحتفاظ بقوة عسكرية كافية وقادرة على الدفاع عن الشعب عند حصول الإعتداءات الخارجية الموجهة إليه من قبل الأكراد والفرس والأتراك.

٢ · يجب عدم الخلط بين الآشوريين والأرمن بأي شكل من الأشكال. وأن تخصص لهم أراض منعزلة ومنفصلة عن بقية الأراضي الخاصة بشعوب أخرى فيتمكن الآشوريون من العيش مستقبلا بحرية و إستقلال ناجز.

٣ · الطلب إلى حكومة بلاد فارس أن تضمن أمن وسلامة الآشوريين المتمتعين سابقا بالمواطنة الفارسية وكذلك المطالبة بإعادة تسكينهم في مناطق أورميا. لتحقيق ذلك يقترح إيفاد قنصل بريطاني والإحتفاظ بقوة من البوليس يديرها ضباط شرطة بريطانيون.

٤ · الطلب إلى حكومة بلاد فارس أتخاذ الإجراءات اللازمة لإطلاق سراح كل المعتقلين الذين لا يزالون لديها أو لدى الأكراد المقيمين ضمن الأرضي الفارسية.

٥ · تنفيذ الإجراءات اللازمة لإعادة كل الأملاك والمباني العائدة للآشوريين، سواء كانت خاصة أو كانت تعود لرئاسة الكنيسة والتي تمّ الاستيلاء عليها بالقوة من قبل الأتراك والأكراد. نخص بالذكر تلك التي جرت السيطرة عليها خلال الخمسين عاما الأخيرة.

٦ · حماية أملاك الكنيسة مستقبلا، بحيث تصل وارداتها إلى إدارة الكنيسة التي تعمل للإستفادة منها في التعليم والتثقيف أو لصيانة مباني وأملاك الكنيسة.

٧ · الإعتراف بقانونية تشريعات الكنيسة والإلتزام بها من قبل الدولة الحامية.

٨ · إعادة كل المراعي التي كانت للآشوريين، وسبق أن طردوا منها أو ابتعدوا عنها قسراً – بسبب الضغط الإسلامي)، بذلك سيقدر الآشوريون العودة إليها بمواشيهم للرعي فيها بحرية.

٩ · هناك زعماء وأغوات/شيوخ أكراد قاموا بممارسة الضغوط بمنهجية خلال عقود السنوات الأخيرة على المسيحيين. الآن يجب محاسبة كل هؤلاء ومعاقبتهم، كما يجب أتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لوضع حدّ لكل تلك الضغوط التي هي إغتصاب غير قانوني للسلطة وفرض السلام العادل

والأمن الشامل.

من بين الذين وصفناهم بالأغوات / الشيوخ الذين أشرناهم أعلاه والذين إعتدوا فعليًا على المسيحيين نذكر بالإسم:

سمكو الشكاكي الذي دبر عملية إغتيال البطريرك الآشوري الأقدم -مار شمعون بنيامين- ورشيد بيك من برواري بالا الذي دمر وخرّب مناطق عشيرة تياري السفلى وقتل ملك "يوسف" والد ملك خوشابا الحالي...

وسونو من أورامار الذي بعد لقاء للتفاوض من أجل فرض السلام مع البطريرك مار شمعون قام بذبح النساء والأطفال في قرية Kursin الواقعة في منطقة عشيرة ديز. تمّ التوقيع على هذه المذكرة بحضور البطريرك مار شمعون بولس بطريرك كنيسة المشرق في الحادي والعشرين من شهر شباط عام ١٩١٩ .

وقع المذكرة العميد الركن H. H. Austin الآمر العام لمخيم اللاجئين في بعقوبة كما وقعها أيضًا، النقيب G. L. Reed

أما المذكرة الثانية، فكانت نصوصها موجهة على الأكثر إلى الحكومة البريطانية وتركزت نقاطها أساسًا على خلاصة لكل النقاط التي لا تقبل المناقشة، مثل الرغبة في العودة تحت حماية بريطانية وقيادة بطريركية. كل نقاط المذكرة الثانية كانت تبين بوضوح نقاطًا ثلاث هي:

١ ٠ يجب عند العمل أتخاذ الإجراءات المستقبلية بخصوص حلّ القضية الآشورية، الإنتباه إلى عدم خلط هذه القضية بموضوع الأرمن وقضيتهم.

٢ ٠ العمل على تحقيق رغبة جميع الآشوريين والتي تهدف إلى البقاء في أراضيهم لأنها موطنهم ولكن بشرط أن يكون هناك حماية بريطانية ترعاهم وتدافع عنهم.

٣ ٠ أن تعترف الحكومة البريطانية بالبطريرك مار شمعون كرئيس روحي وزمني لشعبه.

تضمنت هذه المذكرة إيضاحات بخصوص الفقرتين (٢) و(٣) هي كما يلي:

حول الفقرة (٢):

المناطق التي سكنها اليعاقبة والآشوريون معًا منذ الأزمنة القديمة هي أراض تقع ضمن كردستان وتمتد نحو الشمال أي من الخط الواصل بين الباش قلعة وبتليس وكذلك الخط الممتدّ إلى الغرب من جزيرة إبن عمر. شمالي هذا الخط المسيحيون الساكنون هناك هم في أغلب الأحيان من الأرمن بينما في النواحي الغربية هم من اليعاقبة. بطبيعة الحال في هذه المناطق يمكننا العثور على قرى تنتشر هنا وهناك تعود إلى كلّ من هاتين الفئتين. في حالة كهذه يمكن التوصل إلى حلول خاصة

بذلك وحسب كل حالة على إنفراد... أملنا هو أن ضمن هذه الحدود يكون التسلط القضائي (الحكم) للبريطانيين الذي لا نريد أن نعيش إلاّ تحت لوائه. كما نتمنى أيضًا أن يشمل ذلك التسلط القضائي المناطق التي حصل فيها أحداث جديدة مثل مناطق أورميا وصلدوز وسلامس فتصبح هي الأخرى تحت الوصاية البريطانية نظرًا لإستمرار وقوع صدامات ومواجهات جديدة في هذه المناطق.

ما يتعلق بالفقرة (٣):

نقول كإضافة، بالأستناد إلى تقاليد شعبنا نتمنى بناء مجتمعنا على أساس السيادة البطريركية على العشائر الآشورية وفقا لما كانت عليه الحالة سابقا.

عند إعلان الوصاية البريطانية الرسمية، ستكون حماية شعبنا مضمونة تماما. منذئذ سنصبح قادرين على ضمان عدم التدخل في حقوق الأكراد الذين يسكنون في جوارنا في نفس المناطق. إنهم مثلنا مواطنون أصليون ومنذ قديم الزمان. عند فرض السلطة سيوضع حدّا لإعتداءات وغارات السلب والنهب هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى الشعبان الآشوري والكردي سيستطيعان الحياة والتعايش إلى جانب بعضهما البعض بمودة وتعاون إنساني فيعم السلام وينتشر الرخاء.

كتحصيل حاصل نقول: "إذا كان هناك ضمان لكل ما جاء في الفقرات الثلاثة أعلاه، ستحلّ القضايا الأخرى ذاتيًا ونقصد بتلك القضايا موضوع إطلاق سراح المعتقلين وإعادة الأملاك ومباني الكنائس التي هدمت ورسم الحدود والتخوم بين القرى الكردية والمسيحية.

صراعات بين الإخوة

تدافعت الأحداث بعنف في بداية القرن وبشكل محير. فأحداث الحرب العالمية الأولى ونتائجها غيرت واقع العالم حيث تمّ تشكيل دول حديثة لشعوب كادت أن تكون منسية وبصخب مدهش. مقابل المناقشات الجارية حول الوضع لما بعد الحرب، وضعية اللاجئين على العموم أضعفت التماسك القائم بين الآشوريين والذي كان يشدّ بعضهم ببعض وجعلته يميل إلى التحلل والذوبان. صورة قوجانس الراسخة في الأذهان بدأت تختفي بتوالي الأيام. الإتحاد تصدّع كيانه منذ أن كانت جماهير الشعب تنفذ مسيرتها في بلاد فارس، الهدف الموحد غاب عن مسرح الأحداث. العادات والأعراف القديمة أصبحت مهددة بالآراء الحديثة التي حملها جيل الشباب. النظام الطبقي المتعارف عليه اهتزّت أسسه. بمقتل البطريرك مار شمعون بنيامين تكوّنت حركتان جديدتان متعارضتان. الأولى قادتها عائلة البطريرك المقطوعة الرأس، مع الأسف الشديد (بدون رئاسة محددة فعليا) بينما الثانية كانت بقيادة الزعيم العسكري المحنك "أغا بطرس" الحركة الثانية أيدها الشعب الآشوري في بلاد فارس والذين كانوا بالأصل وبضمنهم هذا الزعيم نفسه أبناءً لعشيرة باز. عشيرة باز من العشائر التي سكنت جبال حكاري. نتيجة لقيام هاتين الحركتين حصلت

صراعات داخلية على السلطة. لكن رغم ذلك وحتى تلك الفترة كان الآشوريون متحدين بخصوص الهدف الرئيسي الذي كانوا يعملون لأجله جميعا. ذلك الهدف كان مؤسسًا على الرغبة المؤكدة للعودة إلى حكاري تحت حماية بريطانية. آنئذ طرحت أسئلة عديدة عن ذلك وأعطيت إجابات متباينة. اهتزّت الأفكار جرّاء ذلك واختلفت الآراء فوقعت الإنشقاقات. بذلك أصبح الوضع أكثر خطرًا لأن كسب الحرب شيء وكسب ما بعد الحرب شيء آخر. القضية الآشورية خلال فترة ما بعد الحرب أصبحت قضية ثانوية حسب رأي الكبار الذين بدأوا يناقشون الأمور بجدية وحدّية مبنية أولا وقبل كل شيء على تحقيق مصالحهم في ما يخصّ وضعهم في الشرق الأوسط. هنا يجب الإجابة على سؤال مهم هو ما سيكون تأثير القضية الآشورية في خضم مطامع الكبار والرغبة في تحقيقها؟

في خريف عام ١٩١٩ كانت الأوضاع في تجاذب وتنافر والأحداث في تقلبات فجائية وصلت إلى الحد الذي عنده وافقت بريطانيا على مغادرة بلاد ما بين النهرين. الدوائر الهندية المعنية وافقت أخيرًا وبعد تأخر مقلق على سفر سورما ولكن بشرط الذهاب إلى لندن أولا. هذا مع العلم أنّ مؤتمر السلام كان قد بدأ مناقشاته في باريس منذ أشهر عديدة. اليوم، أصبح مصير الآشوريين وديعة بين أيدي سورما المرأة الشجاعة الثابتة الأهداف.المشاكل والمعوّقات التي واجهتها لم تثنها عن الإستمرار في السير على الخط الذي رسمته لمسيرتها دون أن تثبط عزيمتها. بقيت سورما مؤمنة بقضيتها وتعمل لتحقيق هدفها الرئيسي الذي كانت تطلبه وهو إنتزاع الحكم الذاتي لشعبها. إنّ نشاط سورما لم يكن الوحيد والأول في نوعه في تاريخ الآشوريين. وفقا لما نقرأه في تاريخ الآشوريين، فلقد سبق أن عهدت رعاية الوصاية على هذا الشعب لنساء أخريات. فهناك ساموramات التي حكمت آشور مدة أربع سنوات بعد وفاة زوجها. كان إبنها أدد نيراري الثالث (٧٨٣ - ٨١٠ ق.م.) صغير السن عند وفاة والده. استلمت سامورامات الحكم. ونظرًا لأنها كانت سيدة القصر المطاعة. إنها أصل سميراميس الأسطورية الشهيرة بالسيدة " الأكثر جمالا والأكثر إجراما " . كما تميزت أيضًا بكونها إمرأة قوية جبارة ذات إحساس رهيف فاقت به كل الملكات اللواتي عرفهن الشرق. كانت سميراميس ملكة لبلاد آشور وبابل. قاتلت بجيوشها حتى وصلت الهند. قامت بتشييد المباني الشهيرة منها الجنائن المعلقة. كذلك نقرأ في صفحات التاريخ عن نساء ملكات سرن على نهج سميراميس كالملكة شيرين الساسانية وشميران الأرمنية أو شهرزاد العباسية. يحدّثنا التاريخ أيضًا عن الملكة نقية زوجة سنحاريب التي مارست نوعًا من السلطة كوصية على بابل بين الأعوام ٦٧٠ - ٦٨٣ ق م.. شاركت هذه الملكة في توسيع مدينة بابل عاصمة العالم في تلكم الأيام [١٠٤] .

عندما غادرت سورما بعقوبة تسارعت دقات قلبها خفقانا بسبب شعورها بثقل المهمة الملقاة على عاتقها وقلقها على صحة أخيها البطريرك مار شمعون بولس وعلى حال أبناء شعبها الذي أُقتلع من جذوره بغية استئصاله من موطنه وإلى الأبد، فغدا مجموعات صغيرة مبعثرة هنا وهناك.

٢ • سورما تقيم في لندن (من تشرين أول ١٩١٩ إلى تشرين أول ١٩٢٠)

في الطريق إلى لندن عبر بغداد المدينة الشهيرة

غادرت سورما بعقوبة وبرفقتها جورج ريد وقائد القوات الآشورية داوود وبعض من المقاتلين الشجعان من الآشوريين. إتجهت القافلة الصغيرة نحو بغداد. في الطريق إلتقت قافلة سورما بقافلة كبيرة جدًا من البدو قال عنها جورج ريد: " نحن الآن في منطقة أراضي قبيلة شهيرة بجمالها تعرف بـ " شمر " . تمتد رقعة أراضي هذه القبيلة إلى النواحي الشمالية من بغداد. على بعد من هنا سنشاهد مركز مخيماتها. أراضي بلاد ما بين النهرين هي أراضي هؤلاء البدو النبلاء ذوو الأصول النقية. يتسلط هؤلاء البدو على هذه الأراضي بقوة ويمسكون بها بيد من حديد. لا قافلة تستطيع المرور بهذه الأراضي نزولا من الموصل أو صعودًا إليها دون دفع الأتاوة المفروضة. يستثنى من ذلك الحالات التي تشبه حالة قافلتنا، لأننا تحت حماية الحكومة. الهدوء الذي نحسّ به نحن الآن يخفي تحته صراعات دموية بين من يدعى " أمير نجد" إبن رشيد وهو أحد شيوخ أفخاذ شمر وبين عدوّه اللدود القوي إبن سعود شيخ أحد أفخاذ قبيلة عنزة التي تسيطر أيضًا على منطقة صحراوية واسعة تقع عند الحدود الغربية من بلاد ما بين النهرين. هذان الشيخان اللذان أصلهما من شبه الجزيرة العربية هما في قتال ونزاع مستمر على الواحات المنتشرة في الصحراء، وعلى مواقع ينابيع المياه الضرورية لإدامة حياة أبناء قبائل البدو وماشيتهم. لا خارطة تستطيع إيقاف تقدمهم أو انتشارهم. الحدود المرسومة على الأرض لا يفهمون معناها أو يقبلون بها أو يعترفون. إنهم يؤمنون فقط بقوة قبيلتهم وهي التي تحدّد نشاطهم باعتمادها على السلاح. نقل هذه القبائل من حالة البداوة إلى التحضر أمر بعيد المنال في أيامنا. الحكومة البريطانية ومن خلال ممثليها تحاور شيوخ هذه القبائل منذ سنوات عديدة وخططت لتنفيذ المشايع التي تمكن من جذبهم من نفوذ العثمانيين. حاليًا المشروع المستقبلي المطروح هو تشكيل دولة عربية ملكية تشمل سوريا أيضًا. الآن هناك لجنة لتقصي الحقائق شكلت من الأمريكيين Henry King و Charles. Crane هذه اللجنة الآن موجودة في البلاد المجاورة غرضها تقييم الرغبات الشعبية المحلية. تقريرها لا زال مؤتمر السلام ينتظره في باريس بفارغ الصبر.

بعد أستماع سورما لما قاله جورج ريد بإنتباه وتفكير عميق علقت: " استنتج مما قلته الآن أن هناك الكثير من التعقيدات تعترض وضعنا الحالي، كما هناك أيضًا مصالح كبيرة متضادة تتركز في جوهر الأمور. كل هذه الحقائق تنتظر اليوم العظيم، يوم القرارات النهائية. هذا بطبيعة الحال يعني أن كل من الإنكليز والفرنسيين والعرب وقبائل البدو والكلدو آشوريين والأتراك والأرمن والأميريكيين والأكراد والإزيديين واليهود والإيطاليين والروس والفرس وغيرهم من الشعوب جميعهم يشاركون في هذه اللعبة السياسية ولهم دورهم على المسرح. كل واحد من هؤلاء سيحاول الحصول على الحصة الأكبر من الكعكة. إذن لماذا نجهد النفس ونتعب الأفكار؟ يا لسعدنا

عسى الآمال التي تملأ القلوب تتحقق ويأتي اليوم الذي فيه نشاهد موطننا في المرتفعات الشامخة، بلدنا العزيز الصغير ملكا خاصًا بنا فقط. أبناء الشعب الآشوري لا زالوا حتى الساعة يبكون وطنهم السليب. هبوب ريح خفيفة تكفي لإشعال جذوة اللهب، عليّ تقع مسؤولية معالجة كل هذا الزخم من التداخلات والخروج بنتيجة إيجابية لصالح الآشوريين. بعد مسيرة طالت الأربع ساعات، بدت ضواحي بغداد تظهر في الأفق البعيد. بعد ذلك أخذت المعالم تظهر بوضوح من دور ومبان وقباب الجوامع ذات الألوان الناصعة والمختلفة. شاركت أنوار الشمس في بهرجة المنظر. عند الإقتراب والدخول من أبواب الأسوار شاهدت القافلة جامع الشيخ عمر، وموقع الست زبيدة المبني بالطابوق الملوّن والقاشاني البرّاق بالألوان الأزرق والأسود والأصفر والأبيض فأضفت على المنائر أناقة جذّابة. بقايا بغداد القديمة هذه، بغداد العباسيين. أذكت ذكرى بغداد حاضرة العالم وحلم الإنسانية آنذاك. منذ الآن أبهة تلك العهود أخذت تعود سريعا. عند نهاية الحرب العالمية الأولى كانت بغداد لا تزال تعاني من الويلات التي حلت بها بسبب توالي الإحتلالات الأجنبية ومجيء المغتصبين للسلطة والحكم إضافة إلى انتشار الأوبئة وخاصة الطاعون منها الذي حصد من نفوس بغداد بالآلاف وكذلك الفيضان الهائل الذي حصل خلال القرن التاسع عشر. كل هذه المصائب أنقصت عدد سكان بغداد بشكل مريع. لكن رغم ذلك بقيت بغداد تحتفظ بشهرتها في تموين القوافل وبكونها الواحة الكبرى ذات النخيل الوارف الذي ينمو وسط صحراء قاحلة، وبوفرة وخضرة جذّابة. المسطحات الرملية تحيط ببغداد من أغلب جهاتها. قد تطول فترة هبوب الرياح المحملة بغبار الرمال أياما عديدة وتغطي مساحات شاسعة. قد يحس الزائر وهو يمرّ بين قصور بغداد وجدران الدور المهدمة التي أصبح بعضها خرائب وأطلال عمق التاريخ وصداه الحافل بالإنجازات تجسده خطوط شرقية الأصول لا ترى في أي مكان آخر، بهذا الوضوح. هذا كان شعور سورما عندما دخلت بغداد ومرّت بشوارعها وأزقتها الضيقة. خيالها ذهب يقلّب صفحات التاريخ بشوق وحنان. تذكرت طيماثيوس الأول الشهير بطريرك كنيسة المشرق. تذكرت أقواله وهو يتربع على كرسيه بعد أن نقله إلى بغداد، تذكرت جنوده البواسل جحافل الرهبان يجوبون البلدان هنا في بلاد بابل وبلاد آثور (آشور) وفارس وهناك في البلدان الشرقية مثل الهند والصين وفي التبت وعند الأتراك وغيرها من البلدان حيث كان لكنيسة المشرق أبرشيات تتبع كرسيها البطريركي الذي غدا يقيم في بغداد...[١٠٤]

النسيج المتنوع الذي بنيت منه كنيسة المشرق آنذاك نجد تفاصيله عند الحديث عن ذلك الذي ضحى بنفسه على الصليب من أجلنا [١٠٥].

في أيام جلوس هذا البطريرك على كرسي أدّي وماري رسولَي الشرق، أمتدّ نور كنيسة المشرق وبدأ ينير ضياءً بهيًا حتى وصل البلدان البعيدة في الشرق. هناك إغتنت حضارة هذه الكنيسة بالمعرفة والثقافات المتنوعة بسبب ما تتضمنه هذه البلدان من حضارات لم تكن كنيسة المشرق قد عرفتها أو اطلعت عليها.

مع الأسف الشديد، كل هذه الأحداث البعيدة عنا اليوم. لكن كل هذه المعلومات الآتية من الماضي البعيد ساعدت سورما وشجّعتها على مجابهة التحديات. إنها ركبت المصاعب، كما سبقها من قبل الرهبان الشجعان وذهبوا لملاقاة المجهول في البلدان البعيدة. إنها ذاهبة في مركب حياتها إلى ضفاف تجهلها بإيمان راسخ في أعماقها. في داخلها كانت تسمع صوت جنية بحر (كائن أسطوري نصفه امرأة ونصفه سمكة –المترجم) يدَوّي طويلا يحطم الإحساسات، بعد فترة أسرعت القافلة الصغيرة الخطى باتجاه رصيف البواخر لتتصل إليه قبل فوات الأوان.

من البصرة إلى ساوثامبتن Southampton

إستقلت سورما في بغداد أول مركب يمخر عباب دجلة نزولا نحو الجنوبً باتّجاه البصرة. كان ريد يرافقها في سفرتها النهرية هذه. صعدت المركب من الرصيف عبر جسر متحرك. صعدت وكأنها ضابطة في الجيش البريطاني. عندما قدّمت وثيقة سفرها Laissez-passer ضنها البعض مسؤولة قيادية رسمية. عند الحبال الفاصلة ما بين البر والماء ودعت سورما أخاها داوود الوداع الأخير. ثمّ أرسلت أنظارها إلى مياه دجلة الضاربة إلى الحمرة فتذكرت أنّ هذه المياه هي نفسها مياه نهر الزاب الكبير الذي شربت منه وشعبها سنين طوال. ينبع نهر الزاب الكبير من سلاسل جبال زاكروس الشامخة ويصب في نهر دجلة بعد أن يسقي واديه الذي يخترق مضايق جبال حكاري وطنها الحبيب. عندما يصب نهر الزاب الكبير وكذلك الروافد الأخرى التابعة لنهر دجلة تحمل معها الغرين الغني بالخصوبة. لذا غالبا ما يكون لون المياه عند المصبات "أمغر" (هو لون المياه المحتوية على تربة صلصالية تزيد من خصوبة الأرض –المترجم). في مكان لا بعد كثيرًا عن موقع المركب وعلى ضفاف النهر تقع سلوقيا أو قطيسفون (المدائن) عاصمة الأرشاقيين والساسانيين وأيضًا أوِل موقع لمقر الكرسي البطريركي لكنيسة المشرق. بقي مقرّ هذا الكرسي في هذا الموقع سبعة قرون أي من العام ٣٧ م. وحتى عام ٧٨٠ م. هذا حسب تسلسل الأحداث التاريخية التقليدي. نفس الموقع استقبل خلفاء مار توما الرسول وأدّي وأجاي وماري حتى الوصول إلى البطريرك يابالاها وثمّ "داديشو" وإيشوعياب وخنانيشو الثاني أي عام ٧٨٠ وفيه تأسس أول مقرّ يقيم فيه بطريرك كنيسة الشرق. السلسلة المذكورة تضم أربعة وأربعين بطريركا، جميعهم جلسوا على هذه الكرسي وفي هذا الموقع [١٠٦]. كانت سفرة سورما بهذا المركب سفرة لإكتشاف عالم جديد مجهول. إنها إبنة جبال حكاري التركية الشامخة. اليوم نراها على ظهر مركب ينحدر بها مع مياه نهر دجلة بهدوء ومهابة. التفصيلات الدقيقة لهذه السفرة لم تمنعها من تذوّق لذة إكتشافها لهذا العالم الجديد بالنسبة لها. السفرة بهذا المركب ومن ثمّ بباخرة كبيرة كوسيلة للتنقل كانا سببين كافيين لاعتبارهما إكتشافين جديدين ومهمين مقارنة بالخبرة التي تملكها فتوسّع من أفاق رؤياها. في البصرة شعرت

سورما أنها في مدينة عانت كثيرًا من ويلات الحرب. عند النزول على الرصيف جيش جرار من الذباب والبعوض استقبلها. لاحظت أنّ البيوت مبنية من الطابوق الأصفر المفخور. طرقاتها كانت موحلة وضيقة تكثر فيها الحركة الصاخبة، من على الرصيف استطاعت الصعود على ظهر الباخرة Euri-pides التي كانت قد ألفت مرساتها في مياه هذا الميناء، كانت هذه الباخرة تقوم منذ سنوات عديدة بنشاط كثيف ومستمر لنقل العسكريين من الهنود والبريطانيين في إتجاهين متعاكسين. البعض كان في طريق العودة إلى الوطن والبعض الآخر قادما لإستلام مكان المغادرين أو لتشكيل تشكيلات عسكرية جديدة في معسكرات إضافية. كانت ناقلة الجنود هذه باخرة كبيرة حمولتها ٣٠٠٠٠ طنا وتبحر عبر المحيط الهندي. كانت تغادر كراجي وحرّها المحرق باتّجاه الخليج الفارسي وموانئه. في بلاد ما بين النهرين حيث الحرارة أكثر إعتدالا. كان هذا السفر بالنسبة لسورما مؤثرًا جدا لأنه كان المرة الأولى تبتعد فيه عن أفراد عائلتها. غاصت سورما في أفكار عميقة عندما تذكرت العائلة. تلك الأفكار أقلقتها وحيرتها. لإنها جعلتها تحسّ بطعم الحياة حلوها ومرها. عندما أخذت الباخرة بالإبتعاد عن مياه شط العرب والخليج أخذت تخترق مياه مضيقّ هرمز. عندئذ بدأت تشعر بهبوب الرياح قويا، استمرت الباخرة في طريقها حتى وصلت مياه البحر الأحمر، ذراع المحيط لهندي الذي يفصل ما بين شبه جزيرة العرب والقارة الأفريقية. عندئذ شعرت أنها ليست بعيدة عن مصر أرض الكنانة فارتعش جسمها لتذكرها كلمات الإنجيلي متى التي تقول: "من مصر دعوت إبني "(١٠٧).

أسفار الكتاب المقدس بقيت دومًا المراجع المهمة لسورما والموجه الرئيس لمسيرتها. إنها لم تخاطر في هذه السفرة الشاقة إلاّ من أجل أن تساعد أبناء شعبها الآشوريين في رسم خط واضح المعالم لمسيرتهم في المستقبل، فيولدون من جديد في أحضان الحرية. وصلت الباخرة قناة السويس بعد أن إخترقت البحر الأحمر من الجنوب إلى الشمال. ميناء السويس هو الميناء الجنوبي للقناة المعروفة بهذا الإسم. بعد ذلك أبحرت الباخرة باتجاه بور سعيد الواقع في الشمال. هذا الميناء هو الميناء الذي فيه تتوقف أغلب البواخر فيجري فيه تبادل نزول وصعود المسافرين والبضائع. بعد المرور بهذا الميناء اكتشفت سورما أنها المرأة الوحيدة على ظهر الباخرة. امرأة واحدة بين أمواج من الجنود بلباس الخاكي ورجال من ذوي الياقات المنشاة، كان على ظهر الباخرة أيضًا بعض العمال المصريين أستأجرهم البريطانيون للقيام ببعض أعمال البناء أو لقيادة قطعان الماشية من بلاد ما بين النهرين. كان هؤلاء العمال في طريق عودتهم إلى بلادهم. لحسن الحظ قبطان السفينة قام بتخصيص غرفة لسورما تقع في المؤخرة حيث الهدوء وبعض الضباط الكبار والمدني الوحيد الموجود على ظهر هذه الباخرة، أي بعيدًا عن فضولية الجنود. كان على الباخرة أحد الرهبان الدومنيكان (مبشر في البعثة التبشيرية في الموصل). كان هذا الراهب في طريقه عائدًا إلى بلده فرنسا. يا للمفارقة الغريبة المدهشة في هذا اللقاء. الآباء الدومنيكان كانوا منذ عام ١٢٣٠ يأتون إلى الشرق للبحث

عن المسيحيين النساطرة واليعاقبة الذين تنظر إليهم كنيسة روما كمنشقين وتريد عودتهم إلى أحضانها ..[١٠٨]. إنه الإهمال بعينه إذا ما تجاهلنا أحداث التاريخ والتعاليم اللاهوتية أو الطقسية التي تتبعها هذه الكنائس. لأن تلك الأمور كانت عوامل مهمة في تعميق جذور الإنشقاق والتفكك البطيء الناجم عنها. لذا نلاحظ أن العلاقات بينها كانت دومًا مشوبة بالإضطرابات والمماطلة. إهتداء هذه الكنائس كان الهدف الأساسي لرسالة (البعثة التبشيرية) الموصل. لقد توفق المنتمين إلى هذه الرسالة في إقناع مجموعة كبيرة ومهمة من الجماهير النسطورية الذين يسكنون ولاية الموصل وتوابعها للإنضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية، كان الفشل من نصيبها في ما يخص الآشوريين الجبليين، ورغم المحاولات العديدة لتحقيق المصالحة. من الأسباب التي ساعدت الآشوريين على البقاء على عنادهم تواجد البعثات التبشيرية الإنكليزية / الأنكليكانية، والأميريكية / البروتستانتية. كان التنافس بين كل هذه البعثات على أشده خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى [١٠٩]. راقب الراهب الدومنيكي الموجود على ظهر الباخرة سورما بفضولية وبقي يسأل ما الذي جاء بهذه السيدة الجميلة والمحترمة إلى هنا وعلى هذه الباخرة التي مبدئيا هي مخصصة لنقل العسكريين وفي بعض الأحيان رجال الدين من أمثاله. عند ملاحظة زيها وملابسها وما تضعه على رأسها من غطاء ضن أنها من السيدات الكريمات الكرديات اللواتي تعرفن بـ " الخانم " فحياها باللغة الكردية. ردت سورما على التحية باللغة الإنكليزية قائلة " قاشا " [١١٠]، أنا لستُ كردية، إنني آشورية، الأكراد جيراننا في الحكاري منذ أجيال عديدة، أنا " سورما د بيث مار شمعون (أنا سورما من بيت مار شمعون). أنا أخت مار بولس بطريرك كنيسة المشرق. بعد لحظات الإندهاش بدأت محاورة رغم الصراعات القائمة بين النساطرة والبابويين (أتباع البابا) إنّ ذكرى المذابح التي كانت قد حصلت خلال سنوات الحرب كانت لا تزال حية في الأذهان وتدعو إلى التعاون، شرحت سورما لفترة طويلة المآسي التي يعاني منها الآشوريون وخاصة الجلاء القسري / النزوح الإضطراري بتفصيل تام ودقيق. تأثر الراهب الدومينيكي بأقوال سورما وشرحها الممزوج بالحزن والألم، ووعد بأن يُشارك في الحملة التي تريد القيام بها في فرنسا منبها الرأي العام الفرنسي إلى ضرورة الإهتمام بقضية الشعب الآشوري المظلوم. في ميناء بور سعيد تركت سورما الباخرة التي كانت على ظهرها وصعدت على ظهر الباخرة Nevasa التي كانت تعمل على الخط البحري عبر البحر الأبيض المتوسط. عندما كانت الشمس في كبد السماء رأت سورما ولأول مرّة في حياتها سربا من الحيتان من نوع الدولفين وهو يصطاد الأسماك الصغيرة. هذه الحيتان شهيرة بفن سباحتها، فرأتها تدور حول نفسها بخفة ورشاقة ثمّ تغوص إلى الأعماق حيث المياه الزرقاء الصافية ثمّ تظهر بعيدًا فتنطلق صيحات فرح نافذة. هذه الحوتيات (رتبة من الحوتيات من الثدييات – المترجم) لم يكن لها ما يخيف أو يُفزع، إنها حيوانات أليفة ولا تطلب إلاّ العطف، وصلت الباخرة شواطئ مالطا ثمّ شواطئ

الجزائر فطنجة. بعد مضيق جبل طارق الذي لا يتجاوز عرضه الـ (١٥) كم وصلت الباخرة المحيط الأطلسي. إنّ مضيق جبل طارق هو الممر الذي من خلاله يتصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي. وهو في الوقت ذاته الممر الذي يفصل ما بين قارتي أوربا وأفريقيا، توجد في مضيق جبل طارق موانئ عديدة مثل "سبتة والجزيرة. إشتهر هذا المضيق بالملاحة الكثيفة منذ افتتاح قناة السويس، إكتشفت سورما هذه الخطوط البحرية بدهشة واسترجعت بذاكرتها إحساسات الرهبان المبشرين الذين كانوا يرافقون التجار في سفراتهم البحرية. عند الإقتراب من السواحل ومشاهدة الأرض ثانية إفتتنت سورما بالمنظر كما حصل لؤلئك الرهبان والتجار الذين كانوا يندهشون بالمنظر عند اقترابهم من الأرض ورؤيتها ثانية. إنه مشهد حيّ وجميل لهذه الطبيعة العجيبة. إنجذبت سورما بالمنظر وأخذ بمجامع قلبها. بعد دخول الباخرة مياه الأطلسي أصبح أرتفاع أمواج البحر أكبر ولو أن المياه أكثر زرقة لأن مياه المحيط تكون زرقتها عادة غامقة فيتحول اللون من الأزرق الغامق إلى الرمادي بلون الفحم الحجري. بعد لحظات تلبدت السماء بالغيوم الداكنة فأرعدت السماء وأبرقت. إنها علامات عاصفة هوجاء وعنيفة مقبلة. كانت سورما متعودة على معايشة المناخ القاسي في الجبال. لكن هذه المرة وفي البحر وعلى ظهر باخرة الحالة مغايرة. إنها لم تكن قد رأت مثلها من قبل. الباخرة ورغم حجمها الكبير وثقلها بدأت تتأرجح على صفحة الماء وكأنها ورقة في مهب الريح أو خشبة صغيرة طافية على وجه الماء. إنها قوى الطبيعة الجبارة التي لا زال الإنسان يقف أمامها عاجزًا مكتوف اليدين. وصلت الباخرة المرفأ الذي تقصده –ميناء ساوث امبتون/ الميناء الجنوبي لإنكلترا، بعد ستة أيام. كان الدخول إلى الميناء عبر لسان بحري ممتد من بحر المانش.

من ساوث أمبتون إلى لندن

بينما كان الصباح خريفي، والمطر ينزل ناعمًا مستمرًا؛ نزلت سورما من الباخرة وشاهدت مدينة ساوث أمبتون، الميناء البريطاني الكبير فاندهشت مما رأته من بواخر عملاقة ومراكب مختلفة الأحجام، بينها تتجول قوارب الخدمة ثمّ رأت أكداس الحمولات والبضائع هنا وأرصفة المسافرين المكتظة هناك. في ناحية منعزلة رأت السفن الخاصة بنقل الجنود ومختلف معدّات المجهود الحربي. الكل كان في حركة مستمرة متسارعة يسابق الزمن. سمعت صفارات البواخر تعلن ساعة الإقلاع. على الأرصفة البعيدة كان هناك عمال منشغلون بتفريغ الحمولات التي وصلت من مختلف جهات العالم ولإيصالها إلى أصحابها أو لإعادة شحنها لجهات استوردتها عبر هذا الميناء. في سقائف المخازن الواسعة كانت الفواكه مكدّسة بعد وصولها من اسبانيا أو الخمور من البرتغال والحبوب من أيرلندا والأخشاب من مناطق البلطيق وألواح الإردواز من سكوتلندا والقطن من مصر والتوابل من الهند والنفط من بلاد فارس. تحت يافطة "إمبراطورية ساوث أمبتون التجارية" [١١١] كان يحصل أوسع

تبادل تجاري دولي، هذا إلى جانب النشاط العسكري، لذا عرف هذا الميناء لدى الإنكليز بـ-Troop-ing لأن منه كانت ترسل الوحدات العسكرية المقاتلة. أثناء الحروب النابليونية كان هذا الميناء نقطة إنطلاق المجازين. أمّا في أيام الحرب العظمى، فأصبح ميناءً رئيسيًا لنقل جحافل الوحدات العسكرية القادمة من مختلف البلدان الأوربية إلى سوح المعارك. عبر هذا الميناء ذهب أكثر من ثمانية ملايين عسكري إلى جبهات القتال. الحركة الصاخبة في هذه الميناء ذكرت سورما بالحادث المفجع للباخرة "تيتانيك" عام ١٩١٢. غادرت الباخرة تيتانيك الشهيرة بأنها غير غروقة بسبب حداثتها ومعدّاتها، هذا الميناء متجهة إلى نيويورك. قرب الميناء النهائي اصطدمت تيتانيك بجبل جلدي عائم فحطمها فابتلعتها المياه وغاصت في أعماق مياه المحيط حاملة معها أكثر من ١٥٠٠ مسافر.

عند وصول سورما ميناء ساوث أمبتون، كان ينتظرها على الرصيف في ذلك الصباح القارص البرد الراعي يكرام وهو يداعب لحيته الطويلة التي وخطها الشيب بأنامله. علم ويكرام بموعد وصول سورما عن طريق برقية أرسلها جورج ريد. بينما كان الراعي في انتظار سورما قام بتهيئة اللازم لإستقبالها رغم معلوماته المسبقة أن هناك فريق فظّ من الدبلوماسيين كان يترصد وصول سورما وتحركاتها. الصالات المفروشة بالسجاد الأحمر كانت ساحات مناقشات لاذعة مزروعة بالفخاخ ولا مجال فيها للرحمة. يا لسوء حظ من يحضر هناك وهو بمظهر الضعيف، لأن في هكذا أماكن الحق هو دومًا مع الأقوى.

فور إنزال المرساة وتوقف الباخرة نهائيًا عن الحركة. بدأت جموع المسافرين تغادر الباخرة بهرج وصخب وعدم انتظام لا يوصف. الحالة نفسها تكررت عند الوصول إلى الرصيف. لقاء حار كان هناك وعناق عاطفي جرى بين الأحبة. عندما التقى ويكرام بسورما أخذها على عجل إلى محطة سكك حديد خاصة بالميناء. كانت الإمبراطورية البريطانية ومنذ القرن التاسع عشر سيدة البحار بلا منازع. بالإضافة إلى هذه السيادة قامت بإجراء التطورات اللازمة على منافذ الخروج والدخول البرية باعتبار أنها الوسائل الأساسية لتسهيل الإتصال الداخلي الضروري. كانت السكك الحديدية منذ عام ١٧٦٩ العام الذي اخترع فيه المهندس البريطاني جيمس واط القاطرة البخارية، موضوع إهتمامات الحكومة البريطانية. آنئذ كانت الصناعة بمختلف أنواعها تعتمد على الفحم الحجري كطاقة مولدة للحركة. بعدئذ أي في العام ١٨٤٠ تمّ مدّ خط حديدي ما بين ساوث أمبتون ولندن. تحقق هذا المشروع بجهود شركة لندن وسكك حديد الجنوب الغربي، صعدت سورما القطار يرافقها الراعي ويكرام بهدف الوصول إلى العاصمة بأسرع ما يمكن، والتخلص من هرج الميناء وصخبه المزعج. جلست سورما قرب إحدى نوافذ عربة القطار. فرأت المناظر تتتابع في حقول "هامبشاير". كانت أوراق الأشجار مصفرة منذرة بالسقوط قريبًا لأن الفصل هو فصل

الخريف. أحيانًا لاحظت أن الخضرة لا تزال منتشرة. بعد فترة وجيزة تغيرت المناظر وكان الدور للروابي الكلسية في المنطقة Downs الواقعة ما بين نهر التيمز وبحر المانش، بين أكمات هذه الروابي كان المشاهد يرى بين الحين والحين بقع بيضاء لمجموعة من الحيوانات الأليفة تتحرك. كانت هذه الحيوانات خراف ذات خطوم وآذان سوداء وجسم وأقدام يغطيها الصوف بكثافة. هذه الماشية كانت ترعى على سفوح الروابي أو الوديان الفاصلة بين تلك الروابي. في هذه الأثناء رأت سورما حيوانا غريبًا لم ترَ مثله في جبال حكاري العثمانية العالية أو وديانها العميقة. كان ذلك الحيوان المدهش "الخنزير". هذا الحيوان معروف وشهير بلحم لذيذ لدى الإنكليز خاصة النوع الذي يُربى في "هامبشاير" المميز بشعره الأسود المخطط بالأبيض عند العنق. كانت قطعان هذا الحيوانات ترعى في المراعي الواقعة حول المزارع الكبيرة. تتابعت المناظر وتشابكت مع بعضها عند اقتراب القطار من محطة العاصمة لندن. وبعد دقائق عبر القطار جسرًا على نهر التايمز ثمّ مرّ ببساتين وحدائق لندن الشهيرة منها .Garden Spring أخيرًا توقف القطار عن الحركة في المحطة النهائية المعروفة بمحطة Waterloo، التي تمّ بناؤها في العام ١٨٤٨ . عند الوصول لاحظت سورما أعمال التجديد والتحديث تقوم على قدم وساق. على الواجهة الأمامية شاهدت سورما "قوس النصر" كذكرى للعمال الذين احترقوا بنار الحرب التي لم تمضِ على نهايتها سوى سنوات قليلة.

ماذا كان يحدث في باريس في هذه الأثناء ...

مؤتمر السلام

خلال الفترة التي تلت مغادرة سورما مخيم اللاجئين في بعقوبة في تشرين الأول من عام ١٩١٩، وأثناء سفرة خارجية تقوم بها لأول مرة ووصولها بريطانيا، كان مؤتمر السلام قد التأم شمله. يوم الثامن عشر من كانون الثاني من ذلك العام وعند الساعة الثالثة بعد الظهر عقدت أولى الجلسات في قاعة "الساعة" الخاصة بوزارة الخارجية الفرنسية. المجتمعون كانوا يمثلون سبعًة وعشرين بلدًا وهي الدول المنتصرة المشتهرة بـ "الحلفاء" أو المتعاونين مع الحلفاء. إنه لأمر طبيعي أن لا تحضر الدول الخاسرة للحرب في هذا المؤتمر. بعد مراسيم الإفتتاح الرسمية، توزعت الأعمال على لجان متخصصة يشرف عليها "مجلس الأربعة" الممثل لرؤساء حكومات الدول الكبرى وهم: كليمانصو عن فرنسا وجورج لويد عن بريطانيا وفيتوريو أورلاندو عن إيطاليا وتوماس ولسن عن الولايات المتحدة. منذ ١٩١٩/١/٢٤ كان موضوع الإمبراطورية العثمانية هو الموضوع الرئيس المطروح على بساط جدول الأعمال. في الثلاثين من نفس الشهر صدر أول قرار. بموجبه تمّ إنتزاع كل من أرمينيا وسوريا

وبلاد ما بين النهرين وفلسطين وشبه الجزيرة العربية من الحكم العثماني / التركي. بعد ذلك تمّ وضع كل هذه الأقطار تحت وصاية تمارس باسم عصبة الأمم Société des Nations (SDN) عمليًا التوقيع على معاهدة فرساي كان في اليوم الثامن والعشرين من كانون ثاني عام ١٩١٩، بالتوقيع على هذه المعاهدة تمّ تأشير نهاية للنزاع الدولي ووضعت اللبنات الأولى للنظام الدولي الجديد (كمؤسسة عالمية). نقرأ في مقدمة هذه المعاهدة ميثاق عصبة الأمم الذي يُفصل في مادته (٢٢) مبادئ الإنتداب المستقبلي في الشرق. منها ندرج النصّ التالي "بعض من الطوائف التي كانت تعود للإمبراطورية العثُمانية حققت بعض التطورات التي تمكن من اعتبارها دولا مستقلة يمكن الإعتراف بها وبصورة مؤقتة على شرط أن يتواجد فيها مستشارون ومساعدون من الدولة المنتدبة (التي لها الوصاية). يقوم هؤلاء المستشارون بقيادة الدوائر الإدارية إلى حين أن تصبح تلك الدوائر كفوءة لقيادة نفسها بنفسها [١١٢]. استنادًا على هذه النصوص، جرى تهيئة لنوع من الكادر الجديد وُضعت مواصفاته وأشرت ساعة بدئه بالعمل. لكن علينا ملاحظة أن ذلك الإجراء كان معقدًا ودقيقا للغاية. تأسيس نظام وصاية أو انتداب على الورق أمر سهل لكن توزيع تلك الوصاية والعهد بها إلى دول معينة أمر جدًا صعب. خاصة عند اقتسام مناطق الإنتداب وتحديدها. بسبب التعقيد المشار إليه والاختلاف في تحديد معاني المفردات ظهرت نشاطات ومفاهيم متباينة لدى الأطراف المعنية. فحصلت من أجل ذلك لقاءات ومقابلات سرية ثمّ وُقعت مواثيق متتالية بين المتحالفين. استغرقت هذه النشاطات حوالي العشرين شهرًا وجرت وفقا لتطور الأحداث وبالتوافق مع المصالح التي كانت على الأغلب متضادة وبحسب رغبة المتفاوضين ذوى القوى الكبرى. التي ليس من السهل الحصول على إجماعها على قبول رأي موحد.

التناقضات لدى الإنكليز

ما يعني بريطانيا العظمى نقول: واجه الدبلوماسيون والسياسيون البريطانيون صعوبات كبيرة في تسيير دفة الأمور بسبب ضرورة الإيفاء بالوعود التي كانت حكومتهم قد قطعتها مسبقا مع بعض الأطراف والآن تريدهم أن يوفقوا بينها وبين قرارات الوصاية (الإنتداب). غالبًا ما كانت الوضعيات متعارضة الحلول وأحيانًا مستحيلة. في البداية كان هناك تنافر شديد. لكن عندما بدأ الإنكليز من تشديد قوة قبضتهم على مصر فأعلنوا وصايتهم على مصر من طرف واحد وإنهاء السيادة المطلقة العثمانية. الإجراء البريطاني ومن طرف واحد مكن من استخدام مصر كقاعدة خلفية إستراتيجية للعمليات العسكرية مستقبلا. لكن في الوقت ذاته كان بمثابة الرهان الرئيسي للبريطانيين الذين كان همهم ينحصر في الحفاظ على طرق المواصلات ومصادر تموينهم (كانت مصر المصدر الرئيبسي للقطن إضافة إلى أنّ النفط الفارسي المصدر لبريطانيا كان يمرّ عبر قناة السويس). تواجد بريطانيا

العظمى في الفاو الواقعة في الجهات الجنوبية من بلاد ما بين النهرين وقتئذ أي العام ١٩١٤ أجبرها على الإهتمام باحتلال بغداد وبنفس الكيفية التي حصلت للدردنيل عام ١٩١٥ . تحقيقًا للأهداف المرسومة أضطر الحلفاء على الإسراع في إجراءاتهم على أن تشمل جميع مناطق الصراع. لذلك، قاموا بتشكيل ألوية عسكرية جندوا فيها الأرمن والآشوريين هذا من ناحية، أما من الناحية الثانية فقاموا بتشجيع الحركات العربية المنادية والمطالبة بحكم ذاتي ناجز بكل نشاط وحيوية. في هذا المجال كان للبريطانيين شخصيتهم الشهيرة "لورانس العرب" الذي دخل على خطوط العمليات العسكرية وبدأ يعمل بكل حكمة وروية. كان لورانس شخصية بريطانية عجيبة، فإلى جانب كونه شخصية شبه أثرية أسطورية، كان أيضًا مستشرقا وكاتبًا وعميلا سياسيًا. إنه قد استطاع قيادة ثورة العرب ضد الأتراك إلى شواطئ النصر وبر الإستقرار. في أيلول من العام ١٩١٨ سمح للجيش العربي بالعودة إلى دمشق. في الثاني من تشرين ثاني عام ١٩١٧ صدر تصريح بلفور المعروف بـ "وعد بلفور" من خلال هذا الوعد دخل لاعب جديد وظهر على المسرح بسببه قامت مشكلة خطيرة أنتجت قضية مهمة في الصراعات. ستبقى هذه القضية عقودًا عديدة ورقة مهمة في يد القوى المتصارعة في الشرق الأوسط. تلك القضية هي قضية الشعب اليهودي. في عام ١٩١٨، شكلت بريطانيا فوجين من اليهود وأدخلتهما ضمن قواتها العسكرية. شارك هذان الفوجان في تحقيق النصر في فلسطين وسوريا. إلى جانب هذه الأحداث والإجراءات. كان هناك إعلان قيام ثورة البلاشفة في روسيا في نهاية عام ١٩١٧ . والاتفاقية السرية المعروفة باتفاقية "سايكس – بيكو"، التي عالجت موضوع إقتسام بلدان منطقة الشرق الأوسط. بدأت مناقشة هذه الموضوع خلال السنوات الأولى من الحرب العالمية وانتهت في ١٦/٥/١٩١٦ . إعلان اتفاقية سايكس بيكو أدّى إلى زرع بذور الشك في نفوس المعنيين وخاصة منهم العرب. بموجب هذه الإتفاقية أصبحت ولاية الموصل التي كانت ضمن الأراضي التي تتسلط عليها فرنسا منذ كانون أول عام ١٩١٨ موضع جدال ونقاش حاد لا بل البؤرة بالنسبة للحلفاء. من خلال موضوع ولاية الموصل توجهت الأنظار إلى أهداف أبعد وأدق. الحكومة الفرنسية الممثلة بـ "كليمانصو" أبدت الإستعداد للتنازل عنها (ولاية الموصل) وتسليمها إلى الممثل البريطاني جورج لويد. فور أن أصبحت ولاية الموصل بيد الإنكليز بدأت الشركات البريطانية ترسل فرق البحث لإستكشاف منابع النفط والتنقيب عنه واستثما ره، بناء على توقعات وفرته منذ القرن التاسع عشر. مقابل الإجراء الفرنسي تغافل البريطانيون من أجل تحقيق أهدافهم في موضوع النفط العراقي عن لواء الإسكندرونة (السوري) وجعلوه حصة لفرنسا رغم الأطماع التي كانت تملأ القلوب للإبقاء على هذا اللواء أيضًا من حصة البريطانيين باعتباره المنفذ الممتاز لتصدير نفط كردستان بعد استخراجه وتسويقه. بدأ التخطيط الفعلي لأستثمار النفط العراقي في المناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين في بغداد وبعد احتلالها .

هذه الرؤية الجيوستراتيجية الواضحة للأمور لم تكن بعيدة عن إمكانية تشكيل دولة كردية أو كلدو آشورية تحت وصاية بريطانية. لكن الأوضاع للفترة لما بعد الحرب أولدت خلاف في الرأي وأهداف جديدة وصلت آثارها إلى مكاتب الوزارة البريطانية نفسها. فحصلت المواجهات بين الوزراء أنفسهم. نتيجة لذلك تكوّنت كتلتان، إحداهما يتزعمها جورج لويد واللورد كورزون وهدفها تحقيق الوعود المعطاة رسميًا وتشكيل الدولة المنتظرة. أمّا الثانية فكانت بزعامة ونستون تشرتشل وبعض القادة العسكريين وهدفها تحقيق طموحات الإنكليز باستغلال الموارد الإقتصادية للبلد (العراق) إلى أقصى الحدود ومباشرة. واقعيًا كانت الطموحات في تناقض تنازلي. فبينما كانت الإحتياجات في تزايد تصاعدي وتوازيا مع الواقع الفعلي، كانت بوادر اضطرابات وثورة عارمة تلوح في لأفق وبدأت بالإنتشار الفعلي. حينذاك لم يكن في الإمكان التكهن بمَ سيجري في المستقبل؟ ولا كيف سيحدث ذلك؟

الانشقاقات بين الكلدو آشوريين

قام الكلدو آشوريون بتقديم ست مذكرات إلى سكرتارية مؤتمر السلام [١١٣]. ركزت كل تلك المذكرات في محتواها على سؤال مهم وجهته للقوى العظمى هو ما مدى تقييمها لدور الكلدو آشوريين في قتالهم إلى جانب الحلفاء (جانبها) وتتذكر بالوعود المقطوعة للكلدو آشوريين. الإتجاهات كلها كانت تشير إلى الرغبة في تشكيل دولة حوالي الموصل. أما الإسم المقترح فذهب في إتجاهات متباعدة ووفق الزعامات المطالبة ومطامعها الذاتية. المذكرات التي قدّمت كانت:

مذكرة أرسلها مار شمعون بولس (البطريرك) من بعقوبة مؤرخة في ٢١/٢/ ١٩١٩ . أرسلت هذه المذكرة عن طريق الدائرة الهندية

ومذكرة الوفود الآشورية من الولايات المتحدة بزعامة الأب يوئيل وردا – من أقرباء البطريرك مار شمعون بولس.

مذكرة وفد آشوري إيران

مذكرة وفد كلدو آشوري من القفقاس.

مذكرة وفد الإتحاد الكلدو آشوري ouradinne بزعامة Jean Gorek من Kerboran ومذكرة وفد كلدو آشوري كاثوليكي قدم من تركيا بزعامة سعيد نامق ورستم نجيب.

إستقبل الرئيس الفرنسي حينذاك Paul Deschanel الوفد الأخير رسميًا في العشرين من آذار عام ١٩٢٠ .

طلبات هذه الوفود كانت متباعدة عن بعضها، ومن دون هدف يوحدها خاصة فيما يخص القوات الحامية والوضع الحالي (آنذاك) للإنتداب الذي تمارسه عصبة الأمم. الإختلافات بين وجهات النظر كانت تخفي وراءها الصراع الداخلي الموجود بين الفرقاء والذي يتمسكون به برعونة وعناد أعميين.

هذا الواقع يُشير إلى انشقاقات كبيرة لم يتم بعد تسويتها. عمومًا نستطيع أن نوجز الطلبات بما يأتي: الكلدان وعلى رأسهم البطريرك مار يوسف عمانوئيل الثاني توما، طالبوا بالوصاية الفرنسية تحت يافطة سلطة عصبة الأمم. الآشوريون برئاسة البطريرك مار شمعون بولس كانوا مع المقترحات البريطانية ورأيها الحكومي. أمّا وفود الولايات المتحدة فكانوا مع رأي فرض وصاية أمريكية. هذا الأخلاف (الأخلاف: يعني تكاثر عدد الخلايا الحية -أو ظهور براعم زهرية جديدة أو ورقية حيث لا يكون ظهورها طبيعيا في النبات -المترجم) في الطرح كوّن سباق العدل (سباق العدل يعني لغويا سباق يتساهل فيه مع الضعيف أو يُفرض على القوي عبء إضافيّ بحيث تُصبح فرص الكسب متكافئة - المترجم) بالنسبة للمسيحيين تجاه الحلفاء. عظمت معالم ضعف المسيحيين لشدة ريبتهم المتبادلة المتولدة من صراعات قديمة ومستمرة طالت عقودًا وقرونًا عديدة. ما يتعلق بمفردة (التسمية) الإنتماء القومي هناك أيضًا إختلافات كبيرة وكثيرة. الطرفان الكلدان والنساطرة استمرّا في سياسة إلغاء الآخر وإلقاء الأخطاء على الطرف الثاني على أساس المقابلة بالمثل متناسين أنّ ماضيهم يُثبت أنّهم أبناء كنيسة واحدة وأنّ كل هذه الإختلافات هي معوّقات مهمة لخلق العداء وترسيخ الإنشقاق وإفشال كل المحاولات الهادفة لوضع أسس توحيد المشاعر والحس الديني والسياسي لدى الجماهير. هذه الحالة وفرت الفرصة لكل النمامين تحقيق وإنجاح اللعبة الميكافيلية المبنية على التمزيق واستغلال الإنشقاقات الموجودة بين المسيحيين الإخوة أصلا وعلى التهييج

البطريرك مار عمانوئيل الثاني ويوحنا ابن عم مار شمعون وأخوه نمرود والأب شموئيل جميل والمطران أيشوعياب من دوري عام ١٩٠٣

والتهريج ومن ثمّ رفع الأصبع التي تقول لهم: " إنكم لا تملكون بعد النضح السياسي اللازم. نتائج هذا الواقع لم تكن بعيدة عن المخاض القادم الذي أولد جنيناً ميتاً.

سادة الأرض أيّامئذ لم يرضوا ويكتفوا بالنصر العسكري الذي حققوه، نصر فترة ما بعد الحرب والذي كان بالنسبة لهم أمرًا حيويا. أطماعهم كانت مركزة على حاجتهم الملحة إلى مصادر جديدة للطاقة. بخصوص هذا الموضوع، علينا أن لا ننسى أن إنكلترا لم تكن الوحيدة في الميدان، كانت هناك دولة أخرى حليفة ومنافسة في الوقت ذاته تلك هي دولة فرنسا التي دخلت مضمار المنافسة بقوة وعناد. عملت فرنسا بجهد مميز لتحقيق مصالحها في الشرق الأوسط. الحالة نفسها تنطبق على كل من إيطاليا والولايات المتحدة الأميريكية على افتراض أن كل هذه الدول هي من الدول العظمى (الحلفاء الكبار) إضافة لذلك، يجب أن نتذكر طلبات شعوب كثيرة أخرى منها الشعوب العربية والأكراد والأرمن الكلدو آشوريين. كذلك يجب عدم إغفال موضوع الدول الخاسرة للحرب ونعني بذلك دولة تركيا الحديثة التي قامت على بقايا الإمبراطورية العثمانية والتي أخذ صوتها يتعالى بفم قائدها مصطفى كمال. عمل مصطفى كمال كثيرًا وأجهد النفس لإسماع صوته بتأثير قوي. كانت بريطانيا أمام ناظري سورما الإمبراطورية المسيحية والدولة الوصية (الدولة المنتدبة) على العراق وولاية الموصل مستقبلا وهذا يعني أزدياد تأثيرها وقوة مركزها لذا إنها تُشكل الورقة الأهم في اللعبة وعليها استثمارها عند مواجهة الدولة الوريثة للعثمانيين. هذه الدولة الحديثة التكوين أظهرت عدوانيتها منذ البداية وكذلك العالم العربي الذي لما يزل في المراحل الأولى من ولادته الحديثة. إعتمدت سورما ترسيخ رأيها ذاك على واقع خدمة الآشوريين الأمينة والثابتة في تحقيق أهداف الحلفاء لذا يأمل الآشوريون الحصول على حكم ذاتي حصري (خاص بمنطقة معينة) يقع حوالي الموصل. فكرة سورما وخططها لتحقيق هذا الهدف حظيت عام ١٩٢٠ بدعم وتأييد خيرة الشخصيات الإنكليزية. ركزت سورما أثناء إقامتها في الغرب كل جهودها على هذا الهدف وأخذت تعمل بجهد كبير لتحقيقه. آنئذ كانت المصالح البريطانية متوافقة مع هذا الإتجاه أي إنها كانت قريبة من مصالح الآشوريين وطموحاتهم.

أولى خطوات سورما في إنكلترا

لقاء الرئيس الأعلى للكنيسة الأنكليكانية

بعد نزول سورما والراعي ويكرام من القطار الذي أقلهما إلى لندن، أسرع نحوهما أحد الحمالين ليساعدهما في حمل الحقائب التي جلبتها سورما معها من بعقوبة، في هذه الأثناء كان هناك السائق الخاص برئيس أسقفية كنتربري في إنتظارهما. بعد أن ركبا السيارة أخذهما السائق رأسًا

إلى Lambeth الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر التايمز. كانت هذه المنطقة في الأصل قرية تنتشر بيوتها حول قصر ريفي صغير فيه كان يقيم رئيس أساقفة كنتربري منذ العام ١٢٠٠ م. تطورت هذه القرية الصغيرة بفضل التطور الصناعي الحاصل عند أواسط القرن الثامن عشر. بناء جسر ويست منستر ساعد كثيرًا هو الآخر في تطوير القرية، فأصبحت بلدة كبيرة وجميلة. مطلة على قصر ويست منستر ولوحات Claude Monet الشهيرة ومصانع الخشب والمصابغ ومعامل الصابون والشحوم والخل والخزف. ازدهرت المنطقة بهذه الحركة الصناعية وجذبت أعداد كبيرة من العمال والتجار. تجمهر العمال (البروليتارية) في هذه المنطقة أدّى إلى تأسيس مراكز المساعدات واستقبال اللاجئين واستحداث مباني للسجون. في العام ١٨٧٠ تمّ تشييد مستشفى القديس توما بالقرب من مبنى رئاسة الأسقفية، إسم مبنى المستشفى بعث بعض الطمأنينة في نفس سورما. هكذا وبعد الوصول مباشرة كان القديس توما حلقة الوصل بين سورما المشرقية الأصول وعالمها وبين العالم الغربي ذي الميزات الخاصة به والذي وصلته للتو وهي الآن تحاول استكشاف معالمه. أقتربت السيارة من البرجين المسنين المبنين بالطابوق الأحمر تعلوهما بوابة رائعة يعود تاريخ بنائها إلى عهد عائلة تيودور، هذه البوابة كانت تشير إلى أنها المدخل إلى لامبيرث. المبنى بالأصل كان يُعرف بهذا الإسم أي بـ بيت (قصر) لامبيرث. جرت على هذا القصر تطويرات كثيرة ومهمة عبر القرون التي مرّت عليه منذ بنائه. آخر تطوير جرى عليه كان على يد المعماري الشهير Edward Blore ، وكان ذلك حوالي العام ١٨٣٠ . أبلغ رئيس الأساقفة صاحب السيادة Randal Thomas Davidson (١١٤) بوصول سورما إلى لندن مقدّمًا، لذا كان موجودًا في صالة الإستقبال. صبره كان قد نفذ وقلبه يملؤه الحبور للقاء هذه السيدة المشرقية الجذور. كان هدفه الأول والمهم أن يبلغ سورما بكل عواطفه الوالدية التي يكنها للآشوريين ولكنيستهم وبدعمه اللا محدود لقضية الشعب الآشوري؛ هذا باعتبار أنه رئيس الكنيسة الآنكليكانية. عند دخول الضيوف وظهورهم في المدخل رفع رئيس الأساقفة يديه نحو السماء وتقدم نحوهم بخطى متسارعة. كان دافيدسن يلبس عندما استقبل سورما لأول مرة ثيابًا غامقة يتدلى فوقها على صدره صليب مرصع بالأحجار الكريمة. كان الناظر إلى هذه الشخصية الدينية، يراه رجلا مهيبًا يفرض احترامه على الآخرين. كان له وجه مدوّر مشرق قليل الابتسامات. شخصيته قوية يضم في أعماقه الطيبة والصراحة. كان معروفا في كل إنكلترا بمداخلاته أثناء المناقشات البرلمانية خاصة عندما تطرح القضايا المتعلقة بموضوع الآداب العامة أو الوطن ومصالحه. منذ إعتلائه كرسي رئيس الأساقفة عرف كيف يتصرف ليحظى باحترام وتقدير كافة السياسيين وعلى رأسهم الملكة فيكتوريا. جاء إلى رئاسة أسقفية كنتربري عام ١٩٠٣ خلفا لرئيس الأساقفة Frédéric Temple يحمل لقب اللورد وله تأثير كبير في طول البلاد وعرضها. كلمته مسموعة. استقبل دافيدسن سورما في

صالة فاخرة، جرى تجديدها حديثًا فأصبحت قاعة الإستقبال الرسمي. تطلّ هذه الصالة على الحدائق الواقعة في الجهة الشمالية من القصر (مبنى رئاسة الأسقفية)، لون الجدران ازرق يذكر بتغيرات عديدة جرت في الماضي. عندما كانت سورما تشرب من قدح الشاي الذي قدمته السيدة دافيدسن، تذكرت حياتها في حكاري وتقديمها أقداح الشاي للزوار، حديث رئيس الأساقفة معها وكلمات السيدة دافيدسن شجعتها كثيرًا وأنستها بعض الهموم التي تملأ أعماقها كما بعثت فيها الثقة بأن في إمكانها الأعتماد على دعم الكنيسة الأنكليكانية للقضية التي جاءت تكافح من أجلها خلال الأشهر المقبلة بواسطة هاتين الشخصيتين الجليلتين.

موقع قصر "لامبيث" موقع ممتاز حيث أنه ليس بالبعيد جدا ولا بالقريب جدًا من القصر الملكي حيث السلطة والتوجيه العام للأمور. عدا ذلك كانت إدارة الكنيسة الأنكليكانية تعمل بجدّ لتوثيق الروابط مع ما عرف بـ "Establishent" (مجمع الأساقفة). كل الأساقفة في البلاد كانوا أعضاء في هذا المجمع وكانوا مسؤولين لا فقط عن شؤون العبادة والأمور الدينية بل أيضًا كان لهم دورًا أو كانوا يشغلون وظائف في الإدارة المدنية الوطنية. ك "لوردات للشؤون الروحية". رغم استيعاب سورما الوضعية جيدًا وتحسسها بالموقع المهم الذي يشغله "دافيدسن" وتأثيره الكبير سياسيًا الأمر الذي شجعها لأن تضع ثقتها بجهوده، حاولت أيضًا الإتصال باللورد Curzon بأعتبار أنّه كان نائب الملك في الهند، وحاليًا (عند زيارة سورما لإنكلترا) هو وزير دولة للشؤون الخارجية منذ العام ١٩١٩. نظرًا لموقع هذه الشخصية البريطانية وأهميتها بقيت الآمال تداعب مخيلة سورما التي كانت تطمح للقياه بأسرع ما يمكن.

عودة اللقاء مع أخوات دير "بيت عنيا"

في ساعة متأخرة من مساء الحادي عشر من شهر تشرين أول عام ١٩١٩، رافق الراعي ويكرام سورما إلى المكان الذي ستقيم فيه سورما (دير راهبات بيت عنيا) طوال فترة إقامتها [١١٥]. في البداية كان مبنى هذا الدير يعود للأخوات الأنكليكانيات اللواتي يتبعن جمعية بيت عنيا. ويقع في المنطقة المسماة Clerkenwell منذ تأسيس هذه الجمعية عام ١٨٦٦ على يد Etheldreda Anna benette كانت الراهبات المنتسبات إلى هذه الرهبنة تهدف وقبل كل شيء الصلاة المستمرة واستقبال المعتكفين على الصلاة، ثمّ القيام بالخدمات والنشاطات الرعوية الكنسية، إسم الحيّ وحسب التقاليد الرهبانية القديمة مشتق من المفردة الإنكليزية Clerks خلال القرون الوسطى كانت العادة أن تحضر تمثيلية يقوم بأداء أدوارها على المسرح جماعة من Clercs كان موضوع التمثيلية يعتمد دومًا على مواضيع توراتية. كان المسرح يقام بالقرب من ينبوع ماء ولا يبعد كثيرًا عن طريق Farringdon، في تلك الفترة الزمنية كانت مساحات كبيرة من الأراضي تعود للمؤسسات

الدينية. خلال فترة الصليبيين كان للفرسان الذين كانوا يسمون "المضيفين" المنتسبين إلى فرسان القديس يوحنا في أورشليم مُقرّ عام (رئيسي) في Clerkenwell. كذلك كان يعيش في هذه المنطقة رهبان تابعين لرهبنة "إخوة المحبة" وأخوات القديسة مريم. كان اللندنيون يومئذ يتجولون في الحدائق الموجودة في هذه المنطقة طلبًا للراحة والنزهة أو لمشاهدة التمثيليات التي تمثل على المسارح الموجودة في النواحي القريبة. بعد قيام الثورة الصناعية تغيرت الحالة، فعوض ذلك شيدت معامل البيرة وتقطير الكحول والمطابع الحديثة فاتجها العمال نحوها وتجمهرت أعداد غفيرة من السكان في المنطقة كعمال وحرفيين وتجار. بذلك تغيّرت أوضاع المنطقة كلها وأخذت بذرة لمجتمع جديد ترسخ في الأرض وتنمو. نتيجة لقيام المجتمع الجديد، تأسست جمعية "أخوات بيت عنيا" واتخذت لها مركزًا في هذه المنطقة. المؤسسة لهذه الجمعية، دخلت دير الإبتداء عند "أخوات الفقراء" كراهبة مبتدئة، بعد وفاة والدها. عام ١٨٦٤ [١١٦]، في لندن. في العام ١٨٦٦ أعلنت نذورها وذهبت تعمل في إحدى الخورنات اللندنية واستقرّت في Clerkenwell لتقوم بتنظيم رياضات روحية. أخيرًا انتهى نشاطها بتأسيس جمعية أخوات بيت عنيا. توفيت مؤسسة هذه الجمعية في اليوم السابع والعشرين من شباط عام ١٩١٣ . بعد ذلك، افتتحت لها هذه الجمعية فروع عديدة في أنحاء مختلفة من إنكلترا. خلال الأعوام ١٨٩٠ - ١٨٩٨، كان لهذ الجمعية فرع في بلاد فارس. في العام ١٩١٥ بعض من الأخوات المنتسبات لهذه الجمعية ذهبن إلى أفريقيا الجنوبية بغية تأسيس وإدارة ميتم ومدرسة في Plumstead.

استقبلت الرئيسة العامة "الأم" المحترمة Bessie سورما عند مدخل باب الدير الذي تمّ بناؤه في العام ١٨٨١ في زاوية من الموقع المسمى Loyd Square Park، استقبلتها بزيها الرهباني الذي هو عبارة عن ثوب رهبانيّ بسيط، لونه رماديّ فاتح فوقه "كنفية" (ثوب يلبسه الرهبان والراهبات على الكتفين ويتدلى على الصدر والظهر –المترجم) لونها رمادي غامق. كانت الرئيسة العامة امراة تجلب انتباه الزائرين، وكانت الطيبة والحكمة تتجلى على محياها المشرق تحت غطاء وضعته على رأسها اسود اللون وعلى حواشيه ثبت شريط أبيض. كان مساء يوم استقبال سورما فترة مملوءة بال انفعال الظاهر بوضوح على الوجوه واضحا لعودة الذكريات القديمة دمعتان ساخنتان نزلت من عيني الأم "بيسيّ" وكذلك من عينيّ سورما. الألسن تلعثمت وساد صمت رهيب. الراعي ويكرام انسحب خفية وغادر لأنه أحسّ أن لا معنى بعد لوجوده. من كان يتصوّر أن سيأتي يوم ستحضر سورما في هذه المكان "لويد سكوير بارك". قائدة آشورية قادمة من جبال حكاري وتستقبل كل هذه الإستقبال الرائع المشبّع بالحنان والضيافة الكريمة التي أبدتها هذه الأم، والرئيسة العامة لجمعية رهبانية يطفح قلبها بمحبة الآخرين؟ تركز الإستقبال على مراجعة صفحات من تارخ قريب. تذكرت سورما لقاءاتها مع "أخوات بيت عنيا" في أورميا في بلاد فارس وخاصة منها تلك التي جرت

في أيلول عام ١٨٩٥، أي لما كان عمرها لا يتجاوز الإثنتي عشرة عاما. حينذاك كانت برفقة عمتها صلتي/ سلتي Sulti والمرحوم الأب الدكتور "براون". حصل ذلك اللقاء قبل أن تذهب لزيارة ضريح والدها "شماشا إيشاي" الذي دُفن في "جار باش". والتي من أجلها قامت بتلك السفرة. أقامت سورما في دير ببيت عنيا في أورميا حوالي الشهر. ذكريات تلك الفترة لا يطويها النسيان رغم مرور الأيام وتوالي السنين. خلال مدة إقامة سورما في إنكلترا عند أخوات بيت عنيا كانت الأم بيسي تتذكر دومًا أيام إقامتها في أورميا ومعايشتها للشعب الآشوري المحببة إلى قلبها خاصة النشاط التعليمي والعناية بالمحتاجين. تذكرت أيضًا الرسائل الطويلة التي كانت تكتبها وتوجهها إلى الرئاسة العامة في لندن. الذكريات أدخلت الجميع في فترة صمت مهيب وهدوء شامل، أخيرًا قالت الأم "بيسيّ": "عزيزتي سورما إنني جدًا سعيدة لإستقبالي لك في بيتنا المتواضع هذا. إننا نأمل أنا وأخواتي أن تقيمي بيننا بأخوّة حقة سبق أن عشنا مثلها هناك في دياركم البعيدة وأوطانكم. إننا لا زلنا نتذكر جبالكم الشامخة وكتبنا عنها ووصفناها بمعجزة الرب الإله الخالدة. إنها بالحقيقة جبال رائعة الجمال ومدهشة، تغطيها الورود البهية الزاهية والعبقة الرائحة. قبل وصولك بقليل، أعدتُ قراءة أحد المقاطع في إحدى الرسائل أعجبتني كثيرًا. في هذا الجزء من الرسالة أذكر زيارتكِ لنا في أورميا وأقول عنها: "خلال هذا الأسبوع تشرفنا نحن الأخوات بزيارة الأميرة سورما. استقبلتها جماهير الشعب الموجودة هنا بكل محبة وتقدير معبرين بذلك عن الولاء الذي تكنه هذه الجماهير للبيت البطريركي "بيت مار شمعون"... إنها شابة رائعة الجمال حسنة الأخلاق ترتدي معطفا جميلا جدًا وتحته جاكيت زواوية (نوع من ثياب أهل مراكش والجزائر. كان الجنود الفرنسيين يلبسونها أيضًا - المترجم) الأكمام من القطيفة البنفسجية اللون ومطرزة بخيوط ذهبية "[١١٧]... بعد الانتهاء من قراءة الرسالة أضافت رئيسة الدير تقول: "بعد عشرين عامًا من ذلك التاريخ، أرى ثانية القلوب يملؤها الفرح والسرور بلقاء جديد لذا أقول لكِ العبارة التي كنا نستعملها عند لقاء الأحبة وهي: بشينا بشينا ميوقرتا سورما أي (ما معناه أهلا وسهلا بكِ أيتها المحترمة سورما). عندئذ تعانقت المرأتان وهما مسرورتان من سرد ذكريات الماضي. استغلالا للفرصة المتاحة قدمت سورما شكرها العميق للأخوات ولجمعيتهن فقالت: "شلاما، شلاما / السلام أيتها الأم الموقرة "بيسيّ" إنّي مسرورة جدً لأبلغك أنّ المحبة العميقة تغمر قلبي لكنّ جميعا وخاصة منكنّ الأخوات اللواتي اظهرن تعاطفًا كبيرًا ومؤثرًا تجاه أبناء شعبنا الآشوري. ليس لديّ الكلمات التي تستطيع أن تُعبر عن شكري الجزيل. أعداد كبير من الأولاد في قرانا المنتشرة في المناطق القريبة من مركز بعثتكنّ استفادوا من تربيتكنّ وتعليمكنّ إضافة إلى العناية الوالدية التي أظهرتن تجاههم. الأسابيع القليلة التي قضيتها عندكنّ دعمتني وساعدتني في مسيرتي الحياتية. عندما الأب المحترم ويكرام أبلغني برغبتكنّ استضافتي خلال الفترة التي سأقيم في لندن. فرحتُ جدًا وشكرتُ الله على ذلك. إنّي متأكدة

إنّي سأجد في ديركن هذا السلام الداخلي الذي أحتاجه خلال سفرتي هذه. هذا السلام سيساعدني عند مواجهتي للمعوقات المستقبلية ومعالجتها بروية وصبر. الكثيرون يعرفون أنّ شعبنا فقد أرضه وموطن أجداده. كل أمله اليوم معلّق على نتائج جهودي. أملنا جميعًا يعتمد على القرار الذي ستتخذه الدول الكبرى.

في هجيع متأخر من الليل. وضعت سورما حقائبها في الغرفة الصغيرة التي خصصت لها من هذا المكان ذي الأمتياز، تمنت سورما أن تتوفر لها المقدرة اللازمة والطاقة الكافية لمواصلة جهودها وتحقيق أهدافها. كانت سورما تعبة جدًا ولكنها مسرورة، استغرقت في تأملاتها الليلية. قبل أن يغلبها النعاس عادت بالذاكرة إلى رابي يونان " ناسك قوجانس" الشهير وأخذت مسبحتها ولفتها حول أصابعها كما كان هو يفعل مواصلة التأمل والتفكير حتى استغرقت في نوم هادئ مريح.

أقامت أخوات جمعية بيت عنيا في أورميا وكما سبق أن ذكرنا، منذ عام ١٨٩٠ إلى العام ١٨٩٨، بمساعدة الأم "ببسي" ، أتيحت الفرصة اليوم لسورما، فقرأت المراسلات المحفوظة عن تلك الفترة. بعض المراسلات تحدثت عن ظروف وفاة والدها المرحوم "شماشا ايشاي" . الذي توفي في أورميا عام ١٨٩٥ . عن تفاصيل الدفن قرأت في رسالة أخرى ما يلي: "بسبب شدة برد شتاء ذلك العام والصعوبات الكثيرة المتوقعة، اقتنع الآشوريون بضرورة إجراء مراسيم الدفن في أورميا وعدم المحاولة لنقل الجثمان إلى قوجانس لأن هذا الإجراء سيعني حمل الجثة أحيانًا على الظهر. اشترك في مراسيم التشيع أكثر من ألف شخص. وَضع الجثمان على ظهر "زلاّجة" تسحب سحبًا. هكذا تمّ نقل الجثمان باحتفال مهيب شارك فيه أتباع وفرسان محافظ المدينة. أتجه المشيعون نحو قرية "جاباش" الواقعة على بعد ثلاثة أرباع الساعة عن أورميا مشيًا على الأقدام. عندما كان النعش يمرّ كانت النسوة والأطفال يشتركون في التشيع ويذرفن الدموع الغزيرة. بعضهن أغشي عليهن. قراءة هذه التفاصيل أثرت في أعماق سورما وذكرتها بسفرتها إلى أورميا ومجيئها لتلقي بنفسها على القبر الذي يضم رفات أبيها. كان يرافق سورما آنذاك وكما قلنا عمتها صلنتي أي شقيقة البطريرك مار شمعون روئيل وأخت والدها إيشاي. أقامت سورما آنئذٍ سبعة أسابيع قضتها عند أخوات بيت عنيا اللواتي كنّ يعينها ويُشجّعنها عل الصبر والتحمل ويعتنين بصحتها عناية فائقة. ذكريات سورما عن تلك الفترة كانت ذكريات طيبة ولا زالت تتحدث عنها. بيت (دير) أخوات بيت عنيا في أورميا كان مشيدًا قرب كاتدرائية "مارت مريم" ، مركز العبادة والطقوس لكنيسة المشرق. لم يكن بين المبنيين سوى جدار يفصل بين حديقتي الكاتدرائية والدير. في هذا الجدار كان يوجد باب صغير يسمح للتلاميذ والأطفال العبور السريع عندما كانوا يريدون الإشتراك بالصلاة اليومية بانتظام [١١٨] . ما هو جدير بالملاحظة هو أننا لا نعثر على أي شهادات تتحدث عن الصعوبات والمعوّقات التي كانت تعترض مسيرة حياة راهبات بيت عنيا عندما كنّ يستقبلن أطفال قرى حكاري، ما بقي ولا زال محفوظا ولحسن الحظ هو

القضايا الإيجابية فقط.

كانت فترة إقامة سورما في منطقة لويد سكوير بصحبة الأخوات الراهبات في دير بيت عنيا اللواتي حياتهن اليومية تستند على الصلاة والعبادة. بذلك ازدادت الروابط بينهن وبين سورما وتوثقت. أوقات الصلاة كانت مقسمة إلى: صلاة الصبح، وصلاة الساعة الثالثة، وصلاة الظهر، والستار والعصر وأخيرًا صلاة ما قبل النوم. الصلاة الأخيرة كانت تنهي النشاط اليومي إنتظارًا لفجر اليوم التالي لإعادة الدورة من جديد. في هذا الدير تتجلى ميزات "الربانيثا" /الراهبة التي كانت تتصف بها سورما. فبعد المصائب التي حلت بسورما نراها اليوم تتعزى بالصلاة اليومية ومنها تستقي مياه الشجاعة والصبر وبها تتغذى فتشبع جوعها الروحي وتتقوى لمواصلة المشوار ووفقا للوصية Silentrium et Spes التي تعني الصمت والرجاء. على هذه الأسس كان يوم بيت راهبات "أخوات بيت عنيا". بيت عنيا قرية تقع قرب مدينة أورشليم (القدس). فيها كان يوجد بيت مريم ومرتا. وفيها يوجد أيضًا المكان الذي وقف عليه الرب يسوع المسيح وصرخ بصوت عظيم مناديًا لعازر الذي مات ودفن منذ أربعة أيام قائلا: هلم يا لعازر واخرج [١١٩]، فخرج لعازر مشدود اليدين والرجلين بالعصائب... العناية الإلهية، التي كانت تعتمد عليها سورما كل الإعتماد تلقائيًا هي التي دبرت هذا البيت السعيد لإقامتها. إقامة لعازر من القبر كانت حسب إيمان سورما مؤشرًا لإقامة (إحياء) شعبها الذي تخلص له الحبّ والتضحية.

سورما امرأة سياسة

مقابلة مع اللورد كورزون / Curzon

بعد أن حطت سورما الرحال على أرض لندن [١٢٠] وتجولت فيها، أكتشفت أنها مدينة صناعية كبيرة ومعقدة، فيها ترسم السياسات الدولية ومنها تصدر الأوامر، لكن في الوقت ذاته هي مدينة جميلة جذّابة ومركزًا للثقافة والإقتصاد الذي تعتمده إنكلترا كلها. اعتمدت لندن منذ تأسيسها على نهر التايمز، وهو سرّ بقائها قرونًا عديدة وتطورها ونموّها حتى يومنا هذا.

في إحدى جولاتها في لندن وقفت سورما تتأمل مياه هذا النهر الجارية طويلا في محاولة لفهم أسرار هذه المدينة وشعبها. في البداية تأسست لندن عند أقدام المرتفعات التي تسمّى Cotswold Hills عبرها يجري نهر التايمز وهو يتلوا تارة ويستقيم أخرى حتى تصل مياهه بحر الشمال فتصب فيه. الموقع الجغرافي المهم للندن مكن سكانها من تبادل السلع التجارية الواردة من الجهات الشمالية والجنوبية من البلاد. اندهشت سورما عندما أطّلعت على الأحداث الزمنية المميزة المسجلة في صفحات تاريخ لندن. كما أصابها العجب من شدة الأزدحام البشري في شوارعها

وأسواقها والحركة الصاخبة حواليها. بعد التفكير مليئًا أكتشفت أن بريطانيا العظمى كانت ولا تزال تكافح من أجل حماية شبه القارة الهندية والطرق الموصلة إليها. كما إنتبهت أيضًا إلى ملاحظاتها الخاصة بموضوع أهمية حقول النفط في بلدان الشرق الأوسط. إنّ الثروة النفطية المتوفرة في تلك الأقطار كانت دليلا واضحا ومؤشرًا مهمًا للتطور السريع لتلك الأقطار وشعوبها. لكن في نفس الوقت، هذه الثروة كانت تعني لبريطانية موردًا إقتصاديا وفيرًا وشبه دائم وتبشّر بآفاق تقدّم هائل .فهمت سورما بحدة بصرها وبصيرتها الحاجة البريطانية الملحة للنفط كأهم مصدر للطاقة. بعد تمحيص كل هذه الحقائق بعناية إنتضحت الرؤية أمام سورما وتساءلت هل أنّ قضية شعبها التي جاءت لتدافع عنها تحتلّ موقعا مهما في هذه الخضم من المصالح المتصارعة في جسم هذا الكيان السياسي العملاق والذي لا يتنازل عن مصالحه قيد شعرة؟ بقي هذا السؤال حيا في ذهن سورما وبموجبه كانت تزن تطورات الأحداث.

في ظهيرة أحد الأيام من شهر تشرين ثاني عام ١٩١٩ ذهبت سورما إلى قصر ويستمنستر، حيث كانت قد بدأت اجتماعات البرلمانيين البريطانيين، بعد الإستماع إلى خطاب العرش التقليدي الذي يلقيه الملك. هناك علمت سورما أن السياسة البريطانية في لندن تعتمد في نظامها الملكي البرلماني على مجلسين كسلطة تشريعية. يتألف هذان المجلسان من: مجلس اللوردات ومجلس العموم (النواب)، وهما مدعومان بهيئات ملحقة تنظم نشاط المجلسين بكل دقة وانضباط، عندئذ وضحت الأسس التي تقوم عليها الدولة البريطانية وبانت هيكلتها. أمام أنظار سورما. عند مبني سانت اسطيفان كان في إنتظارها أسقفًا لندن وكنتربري. إستطاع هذان الأسقفان من إقناع اللورد كورزون – وزير الدولة للشؤون الخارجية (حسب التسمية الرسمية البريطانية، أمّا حسب التسميات في دول الشرق الأوسط فهو "وزير الخارجية الفعلي" – المترجم)، رجل الدولة المعتمد لتسيير دفة السياسة الخارجية لبريطانيا العظمى – لإستقبال سورما في مقابلة رسمية. قام هذان الأسقفان بمرافقتها عبر ممرات المبنى الفخم والتي قد يتيه فيها الزائر. أثناء نزول الدرجات المغطاة بسجاد من القطيفة المميز تمكنت سورما من إلقاء نظرات فاحصة على البهو الكبير الذي نجا مع قبوه الرائع المعروف بـ "قبو سانت ماري" من الحريق الهائل الذي دمر معظم أجزاء المبنى عام ١٨٣٤ . رئيس أساقفة كنتربري أخذ على عاتقه مهمة إعطاء بعض التفاصيل عن هذا المبنى فقال: "يشتهر البهو الرئيس في قصر ويستمنستر بكونه أوسع بهو في العالم كله بسبب عدم وجود دعائم أو أعمدة وسطية تسنده. في القرن الرابع عشر للميلاد أمر الملك ريشارد الثاني ببنائه. في هذا البهو حصلت أحداث مهمة تخص العائلة المالكة البريطانية وما جرى عليها من تطورات تعتبر تاريخ البلد كدولة عظمى. بقي هذا المبنى زمنا طويلا مقرًا للمحكمة العليا. فيه صدر الحكم بالأعدام على الملك شارل الأول، وفيه أعلن اللورد "كروموبل" وصيًا على الملكية. إننا نبذل جميعا الجهود الكبيرة للحفاظ على

ميراثنا الحضاري. أنظري كل هذه مواقع العمل الكثيرة المنتشرة في أرجاء المبنى، إنها لغرض صيانة وتحديث أقسامه. في هذا المبنى جرت اللقاءات العلنية العامة لمسؤولي الدولة مع مسؤولي المنظمات الشعبية الوطنية منها تلك التي نظمها اللورد ماير في الرابع من كانون أول عام ١٩١٨ . تلك اللقاءات نُظمت لصالح الآشوريين والكلدان والأرمن. للإشتراك في تلك اللقاءات جاءت شخصيات مهمة وطنية وعالمية.، كما تواجدت الصحافة بمختلف ألوانها واتجاهاتها " . بعد الإنتهاء من المرور ببهو سانت إسطيفان، واصل رئيس الأساقفة الحديث فقال: " صرح العمارة الحالي هو تحديث لما كان عليه المبنى قبل الحريق. المهندسان المعماريان الشهيران: Charles Barry وAugustus Pugin هما اللذان قاما بتنفيذ التطوير والتوسيع الذي جرى على المبنى ووفقا للضروريات الفعلية خلال العصر الفيكتوري وبالتناغم مع ظروف المباني المجاورة ونسقها المطابق لمباني القرون الوسطى. المبنى اليوم مُخصص لنشاطات السلطة التشريعية أي مجلسيّ اللوردات والعموم، والإحتفالات الخاصة بالملكية البريطانية. يوجد في هذا المبنى أكثر من مائة قاعة وصالة وأكثر من مائة مجموعة درج. وما يزيد على (١١ كم) من الممرات التي تتنيه المتجول فيها " . هنا قاطعت سورما محدّثها فقالت: " أولا وقبل كل شيء أشكرك شكرًا جزيلا بدعمكَ ومساندتكَ بكل حرص وأمانة لقضيتنا. إني أرجو أن تسمح لي بالمداخلة لأعبّر لكَ عن مشاعري. منذ وجودي في بلدكم وعاصمتكم الشهيرة لندن كنتُ أفكر دومًا وأعود بخيالي إلى عاصمة العالم التاريخية "بابل" الشهيرة التي إتسعت فأصبحت قبلة الدول والشعوب. أطرافها جاورت النهرين الخالدين دجلة والفرات. كانت تضم بابل أيام عظمتها أكثر من ألف هيكل ومعبد. كان يحميها سوران تخترقها أبواب ضخمة تحرسها قوات كبيرة. جمال أبوابها كان يختلف الواحد عن الآخر. باب عشتار كان الأشهر نظرًا للزينة والزركشة الجميلة الظاهرة عليه من جميع الأطراف والمحققة بالطابوق الملوّن بالأزرق والأخضر والأسود والفسيفساء المدهشة. عدا ذلك، صوّرت على الجدران رسوم بارزة لحيوانات ملونة بالأبيض والأخضر والأصفر أو الأزرق. أما نينوى عاصمة الآشوريين فكانت سطوتها على الكثير من البلدان، وكانت تحرس أبوابها وأبواب قصورها ثيران مجنحة بوجوه بشرية. تحدث يونان النبي [١٢١] عن نينوى فقال: "كانت نينوى العظيمة واسعة وكبيرة جدًا. كان حجمها مسيرة ثلاثة أيام. اليوم وبعد مرور ٢٦ قرنا لم يبق منها إلاّ بعض من الآثار المندرسة، تلال من الأتربة، اليوم أحفاد نينوى يستجدون العطف والمساندة لإستعادة أرض الأجداد. الأمجاد أحيانًا تعمي العيون، لكن لا زال لدينا الأمل بالدول ذات القوى العظمى متمنين أن تكون رؤيتها للأمور واضحة، وإن لا تنسى حليفها الصغير الذي تخيل قديما أنه شعب لا يُقهَر. الحبران الجليلان المرافقان لسورما إتفقا مع رأي سورما بسكوتهما وعدم تعليقهما لأنهما فهما عمق الحكمة المبطنة في حديثها. أخيرًا وصل الجميع إلى الرواق الرئيسي المؤدي إلى الغرف والقاعات والمكان الذي فيه يجتمع البرلمانيون للمناقشة. كان

اللورد كورزون الذي كان أحيانًا يلقب(١٢٢) Earl Cuezon of Kedleston دقيقا في مواعيده. ظهر كورزون أمام الحاضرين ووقف أمام الجدارية المعمولة من الموزائيك التي تمثل القديس الشفيع. كان بمنظره المهيب رجل دولة، عمره بحدود الستين. كان رجل سياسة وشخصية موقرة. رغم عمره الستيني نراه لم يفقد جمال شبابه البادي على قسمات وجهه. تقدم كورزون نحو القادمين بخطى ثابتة وقيافة كاملة تبدو على محياه الجدية بكل معانيها. ألقى نظراته الثاقبة على زواره فرأوه رجلا ذا إرادة قوية لا تتخاذل وعلامات مثابرة وجدية في العمل واضحة. لم ترتسم على وجهه أيّ علامة تدل على الجفاء سوى إشارة واحدة تعنى بعض الخشونة وتخفي وراءها التآم جرح قديم سببته سقطة من على ظهر جواد أدّت إلى كسرٍ في الظهر انتهى بآلام مزمنة بسبب عدم الإستماع إلى نصائح الأطباء المعالجين. كان هذا الحدث الصحي في زمن الشباب. أما اليوم فهو بحاجة لشد حزام جلدي على الظهر للتخفيف من تلك الآلام المبرحة التي يعاني منها. لم يستطع اللورد كورزون إخفاء إندهاشه عندما رأى سورما، رغم احتفاظه بالأبهة البريطانية وارستقراطيتها. رآها سيدة بملامح مشرقية جذّابة، مدّت يدها لتصافحه وتقدم له الإحترام الواجب والتقدير البالغ اللذين طلب أخيها مار شمعون بولس بطريرك كنيسة المشرق نقلهما إليه. بعد المصافحة فهم اللورد كورزون أنّ تعامله سيكون مع شخصية مهمة تمثل بحق الجماهير الآشورية. جلس الإثنان متقابلين وتباحثا لوحدهما بين جدران الغرفة. لا أحد يسمعهما. عقب المحادثات دعى اللورد كورزون سورما إلى شرب الشاي. جلسا على شرفة مطلة على نهر التايمز. عادة، هذه الشرفة تكون مخصصة لجوس البرلمانيين فقط... في جلسة شرب الشاي التحق الحبران المرافقان باللورد كورزون وسورما فجلس الجميع في هذا المكان الهادئ ذي الطابع البريطاني الأصيل. أثناء الجلسة بدأ اللورد بالكلام فقال: "إني قرّرتُ طرح القضية الآشورية أمام مجلس اللوردات للمناقشة في كانون الأول القادم. وبما أني أحد أعضاء الحكومة لذا سأكون إيجابي أثناء المناقشة ومع صالح القضية. الليدي سورما أوضحت الكثير من النقاط المهمة. سأحتفظ بكل الملاحظات التي سجلتها لأهميتها، لكن هناك نقطة مهمة يجب عدم إغفالها تلك هي نشاطكما أنتما اللوردان العزيزان. (يقصد الحبرين المرافقين)، عليكما شحن الموضوع وإحيائه بالتأكيد على وجود المشكلة من الأعوام التي سبقت الحرب العالمية الأولى. عليكما الأستناد حاصة على حضور الكنيسة الأنكليكانية وخبرتها في ربوع جبال حكاري، هذه النقاط مهمة جدًا وقد تساعد في توضيح الرؤية وتقييم أهمية القضية.

بعد ذلك أنتقل الحديث إلى الحضارات الآسيوية التي كان اللورد كورزون من الخبراء القليلين في دقائقها. من خلال حديثه عنها لمس الحاضرون ذكاءه المفرط وعمق وسعة معرفته. التي وظفها لخدمة وطنه. قبل موافقة هذه الشخصية المهمة على قبول تحمل المسؤولية نائب لملك بريطانيا في شبه القارة الهندية والتي تحملها وهو لا يزال شابًا يافعا (اللورد كورزون هو أصغر نائب ملك أشغل

هذا المنصب في التاريخ البريطاني)؛ قام بجولات في أرجاء آسيا. بعد إنتهائه من تلك الجولات، أصدر ثلاث مؤلفات تصف جولاته. أهم تلك الكتب التي ألّفها كان كتابه بعنوان "بلاد فارس والقضية الفارسية" الذي نُشر عام ١٨٩٢. بالتأكيد أنّ الأصول القديمة والحديثة لسورما ساعدتا اللورد كورزون من إقحام تعليق جانبي ألهب المشاعر الداخلية فتجددت بعد أن كانت قد خمدت. عند ذاك تغير الوضع، فرجل الدولة الذي عرفناه قبل قليل نراه الآن يتخلى عن شخصيته الرسمية ويدخل في مناجاة أوضحت خطوطها الرئيسية أنّ اللورد كورزون إنسان بحاثة وعلاّمة ذو إهتمامات عديدة ومتباينة.

خرجت سورما بعد هذه المقابلة المهمة من قصر ويستمنستر وقلبها طافح بالآمال. لقد أعطت هذه المقابلة إنطباعا إيجابيًا، اليوم يستطيع الطرفان البريطاني والآشوري أن يعلنا عن وجود أرضية لأقتراب مصالحهما. استمع اللورد كورزون إلى حديث سورما باهتمام ومتابعة. نظرته الإستراتيجية لم تستثنِ إمكانية إقامة "آشور" ذات حكم ذاتي تحت مضلة إنتداب بريطاني، لكنه في نفس الوقت لم يخفِ الحقيقة الفعلية التي تظهر أن بريطانيا ليست القوة الوحيدة التي تلعب في الميدان وتقوم بإعادة رسم خارطة بلدان الشرق الأوسط، هذا بالإضافة إلى وجود وجهات نظر مخالفة لرأيه حتى في مؤسسات الدولة البريطانية نفسها والتي قد لا ترضى بوجهة نطره. هو شخصيًا أظهر الاستعداد الكامل للدفاع عن وجهة نظره هذه وسيقوم بذلك أثناء المناقشات البرلمانية المقبلة.

مناقشات برلمانية خلال شهر كانون أول ١٩١٩

منذ أن زارت سورما قصر ويستمنستر ولقائها اللورد كورزون، بقيت تسأل نفسها عن تفاصيل النظام الذي يقوم عليه التشريع الإنكليزي الثنائي المجلسين. للمقارنة وإيضاح الرؤية حاولت تتبع ما كان عليه الوضع في بلاد ما بين النهرين لتكتشف جذوره البعيدة التي عثر عليها الآثاريون وخاصة منهم المتخصصون "بالسومريات". إنهم قد اكتشفوا آثارًا يعود تاريخها إلى ٣٠٠٠ عام ق.م. عثروا عليها في بلاد سومر الواقعة في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين. هناك، قامت حضارة عرفت بـ "دويلات المدن". كانت هذه الدويلات في نزاع مستمر. تفوّق "كيش" أصبح مهدّدًا بـ "أورك" (الوركاء) نظرًا لتنامي قوتها وتأثيرها. ملك كيش Agga أجّا" قلق كثيرًا وتحدّى "كلكامش" ملك الوركاء. وهذا الأخير، ولمواجهة للتحذير النهائي المبلغ إليه، إستشار جمعية الشيوخ (تنظيم إداري في تلك العهود –المترجم)، كذلك إستشار مجلس الرجال الخاصين بالمدينة (الوجهاء من العموم). هذان التنظيمان قد يُشابهان - نوعا ما - مجلسي العموم واللوردات المكوّنان للبرلمان في بريطانيا. هناك أبيات نقتطعها من قصيدة شعرية وُضعت منذ قديم الزمان بخصوص الأزمة بين المدينتين السومريتين المشار إليهما أعلاه. كل هذه الحقائق لم تغادر مخيلة

سورما، لذا، إنها كثيرًا ما كانت تذكر بتلك الأبيات لمن تتحدث إليهم لإقناعهم. نصّ هذه الأبيات هي:

غادر كيش مبعوثو الملك أجّا

إبن انمبار اكجيسي

لمقابلة كلكامش في الوركاء

السيد (الرب) كلكامش عرض الموضوع

أمام شيوخ المدينة (المجلس)

وطلب مشورتهم، جواب الوركاء كان

لا تنازل ولا خضوع لسلطة كيش،

لنضربها بسلاحنا!

أما جواب مجلس شيوخ مدينة الوركاء

لكلكامش فكان لنتنازل لكيش ولا يجوز لنا

أن نضربها بسلاحنا.

عند سماع هكذا أقوال، قد نشعر أن مهد النظام الديمقراطي كان تاريخيًا ومنذ آلاف السنين قبل الميلاد في الشرق الأوسط / في بلاد ما بين النهرين. هناك نشأت الديمقراطية وترعرعت هناك كان يوجد مجلس للشيوخ، وآخر للرجال الوجهاء. كانت هذه المجالس تجتمع للمناقشة في القضايا المهمة وأحيانًا كان لها إجتماعات استثنائية تمامًا كما يحصل اليوم للبرلمانات الحديثة. كانت تلك المجالس تحاول توضيح الرؤى للأمور لدى ملوك وحكام بلاد سومر وأكد خصوصًا الأمور التي تخصّ مواضيع إعلان الحروب أو إنهائها وعقد اتفاقيات السلام [١٢٣]. إنه من المؤكد أن كان للملوك والحكام هيبة ونفوذ شبه مطلق في بلاد سومر لكن رغم ذلك كانت قراراتهم وأعمالهم محددة وتخضع لمشاورات واستشارات الآخرين. كانت سورما تعلم عند وصولها لندن أن وجودها كان جدًا ضروري وحيوي في ما يتعلق بقضية شعبها، لأن إتّصالاتها بالدوائر السياسية المعنية بالقضية الآشورية ستوفر الفرصة لتقديم المعلومات الحقيقية أولا ومحاولة توجيهها نحو الإتجاه الذي يفيد القضية حسب رأيها المعتمد على القراءة الصحيحة للتاريخ وتقارب الحضارات الشرقية والغربية على حدّ سواء، وقيام علاقات وثيقة وروابط قوية منذ قرون عديدة. على مدى الأجيال نرى الإنسان يشيد صروح الحضارات على ضفاف شواطئ الأنهار وينظم المجتمعات بشكل وتفصيل مدهش. قد يقول البعض إن هناك فروقات وهذا جدا صحيح لكن الأسس والتطلعات تبقى نفسها ومن دون فوارق حقيقية.

في اليوم السابع عشر من كانون أول عام ١٩١٩ حصل حدث مشابه لما كان يحدث قبل خمسة آلاف سنة. كان ذلك الحدث: إجتماع مجلس اللوردات البريطاني لغرض مناقشة قضية الآشوريين

والإعتراف بهم كجهة سياسية. بعد الإجتماع حققت سورما أول أهدافها ذلك هو المطالبة بحق تقرير المصير للشعب الآشوري وطرح الموضوع رسميًا وعلنيا. كان الصراع السياسي بخصوص هذه القضية على أشده. اللورد كورزون قدم مشروعا ينص على إنشاء "حبيسة آشورية" (أرض محصورة –المترجم) تقع شمالي ولاية الموصل. إعتمد اللورد كورزون المعروف بأنه رجل دولة وسياسة من الطراز الأول والمدافع المتحمّس عن الإمبراطورية البريطانية ومحترمًا من قبل كل الأطراف عند تقديم اقتراحه هذا على دعم الكنيسة الأنكليكانية وعلى المفوّض العام للشؤون المدنية في بلاد ما بين النهرين أي Sir Arnold Talbot Wilson ذي الشخصية الشهيرة ذوالثقافة العالية والذكاء الخارق. كان ولسن مؤيدًا لمشروع الوصاية البريطانية الشاملة على العرا ق، هذا يعني أنه كان مع الرأي الذي يدعو إلى إنشاء "حبيسة آشورية" في منطقة تقع في نواحي العمادية لكيما تكون مجاورة لمنطقة حكاري. أيد الفكرة والمقترح مار شمعون نفسه وكذلك "ولسن" بعد التنبيه إلى ضرورة الأخذ في نظر الأعتبار أهمية النفط وتجنبا لمخاطر فقدان بلاد ما بين النهرين بأجمعها. في إحدى المذكرات التي تركها "ولسن" نقرا: "تتوفر في محافظة الموصل وضفاف الفرات الأوسط منابع للنفط وفيرة... غير أن أهمية كل هذه الحقول هي احتمالية نظرًا لأنه لم يتم بعد حتى الآن الكشف الفعلي عليها وتحديدها بدقة... فلو استطعنا القيام ببناء خط حديدي ورصيف نفطي على سواحل البحر الأبيض المتوسط تتوفر فيه الكفاءة اللازمة لتصدير النفط وكما هو مخطط للسنوات العشرة المقبلة، عند ذلك موقع بريطانيا كقوة بحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط سيكون مضمونا ومصونا ضعف ما هو عليه اليوم. كما أنّ ذلك سيقلل من إعتمادنا على قناة السويس التي هي نقطة ضعف لنا في مجال طرق إتصالنا بالشرق [١٢٤].

في خطاب ألقاه اللورد كورزون أمام مجلس اللوردات قال: "إنّ سياستنا واضحة جدًا وتعتمد على الأسس التي تقر عودة آشوريي بلاد فارس إلى مناطقهم الأصلية حالما تسمح الظروف بذلك. أما موضوع الآشوريون الذين كانوا يسكنون المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني سابقًا والذين رغبتهم تتركز على طلب العودة إلى تلك المناطق، فهناك إمكانية لأسكانهم في حبيسة (enclave) مجاورة على أن يكون ذلك تحت رقابتنا. بهذا سيمكنهم الأستفادة من حمايتنا وبسهولة أكبر. في حالة بديلة، هناك إمكانية أخرى تتحدد بمنحهم منطقة محددة في ربوع الأراضي التي سكنوها سابقا لكنها قد تكون أبعد نوعا ما وأنهم سيكونون أقرب إلى مناطق الأكراد. علينا المحاولة للبحث عن حلول بديلة باستطاعتها ضمان سلامة هذه الشعب وأمنه وتوفير حياة مشرّفة له." بعد ذلك، أنتهز اللورد كورزون فرصة إلقاء خطابه فكال المديح لسورما فقال: "عمليًا من الصعب لا بل من المستحيل أن نتصوّر أن هناك امرأة تستحق الملاحظة والإهتمام أو سيدة أكفأ من سورما. هي الوحيدة التي باستطاعتها التحدث عن الطائفة التي تنتمي إليها بشكل واف وبحجة [١٢٥].

بعد العودة من مقابلة اللورد كورزون والتي كانت المحطة الأولى لسورما عرضت فيها قضية شعبها على مستوى علني وشبه رسمي، توقعت ردود فعل مهمة من جانب الرأي العام البريطاني. فعلا بعد المقابلة بقليل لاحظت سورما أنّ الصحافة البريطانية اهتمت بموضوع "قضية الشعب الآشوري ومشروع الحبيسة المطروح" وبمثابرة وخاصة بشخصيتها، وبأعطائها لقب الليدي سورما. نتيجة لإهتمام الصحف، بدأت تردها طلبات لمقابلتها وخاصة من الصحف اليومية والمؤسسات والمنظمات الخيرية والشخصيات الشهيرة المعروفة التي تريد الإستماع إليها. كان كل ذلك يحصل مع دعم بالصور الفوتوغرافية. واجهت سورما هذا النشاط الإعلامي بشجاعة وحكمة. بعض من الصحف اقترحت اعتبارها أول امرأة سترأس مستقبلا جمهورية صغيرة قد يتم تأسيسها في جبال كردستان. صورها المنشورة وهي بالزي التقليدي كانت موضوعا رئيسيًا لبعض الصحف اليومية وتحت عنوان كبير هو آشور [١٢٦]. جمال سورما ومحبتها لأبناء شعبها وذكاؤه إخلاصها لمبادئها، كانت عوامل مؤثرة في الشعب البريطاني، علما أن هذه السفرة كانت أول سفرة تقوم بها سورما خارج وطنها. بالحقيقة كانت سورما خير سفير لشعبها. لقد طرحت بوضوح طموحات ومطالب شعبها العادلة بأمانة أمام الحكومة البريطانية وأمام الرأي العام الأوربي. طرحت كل آرائها بتحديد وتوكيد وجراءة. إقامة سورما في إنكلترا أدّت إلى زيادة الروابط والحصول على لقب الليدي /Lady سورما. تمّ ذلك بناء على طلب الملكة "ميري" زوجة الملك جورج الخامس. أيد جورج ريد والجنرال أوستن في كتاباتهما لقاء سورما مع الملكي. اللقاء لم يثمر عن نتائج أيجابية رغم أنّ الملكي قيمت شخصية سورما وذكاءها. ختاما نقول إنّ إقامة سورما في لندن كانت فترة مضيئة في تاريخ كنيسة المشرق لأنها أعادت ذكرى ماضيها المشرق وأظهرت تألّق نجم حمل معه آمالا عريضة فسطع نوره في سماء الشعب الآشوري المعتمة.

سورما، إمرأة مثقفة ومسكونية

إندفعت سورما في كتابة مؤلفها بعنوان "الكنيسة الآشورية، تقاليدها وأغتيال البطريرك مار شمعون" بنفس النشاط الذي رأيناها تعمل بموجبه عندما كانت في لندن. من خلال هذا الكتاب استطاعت سورما أن تقدّم الأمة الآشورية وكنيستها بجلاء وبالوان جذابة. احتوى الكتاب عشرة فصول. في أحدها تحدثت عن الطقوس والمراسيم والإحتفالات الدينية وفي فصل آخر عن الحياة النسكية والرهبانية ودور الإكليروس في حياة المؤمنين والعقيدة الإيمانية، في فصل ثالث تحدثت عن البطريركية وأهميتها لدى جماهير الآشوريين كما تحدّثت بتفصيل عن الأغتيال البشع للبطريرك مار شمعون بنيامين وتطورات الأحداث المأساوية التي حلّت بالشعب الآشوري بسبب الحرب العظمى. التمهيد الخاص بهذا الكتاب كتبه رئيس الأساقفة "دافيدسن" بعد تقديم أبتدائي كتبه

الراعي "ويكرام". استقبلت الجماهير البريطانية هذا الكتاب الذي صدر في شهر نيسان من عام ١٩٢٠ بتشجيع كبير. اللورد دافيدسن أهتمّ بهذا الكتاب اهتماما شديدًا واعتبره وثيقة حية ومفيدة للتعريف بالكنيسة الآشورية لأوسع الجماهير. إنه لم يخفِ على الجماهير وضعه ثقته الكاملة في سورما نظرًا لما لمسه فيها من أندفاع وغيرة للدفاع عن قضية شعبها. إنه قد وصفها بمستشارة الكنيسة الأنكليكانية وصديقتها الوفية. أما الراعي ويكرام فانه قد حاول بأسطر قليلة أن يوضح الأصالة الرسولية لكنيسة المشرق وازدهار تبشيرها بتعاليم الإنجيل على يد المرسلين الرهبان إلى ربوع بلدان آسيا قاطبة ثمّ أشار إلى الأنحطاط الذي أصابها، ونسيان الغرب لها تماما. في تلك الأثناء كان الراعي ويكرام قد نشر كتابه الشهير تحت عنوان "حليفنا الصغير". في هذا الكتاب سجل ويكرام الدور الكبير الذي لعبته الجماهير الآشورية رغم كونها أصغر حليف للبريطانيين. خلال سنوات الحرب العالمية الأولى.

تأسس إيمان سورما على مبادئ كنسية مسكونية وفي هذا الإتجاه كان نشاطها. لذا خلال إقامتها في لندن حضرت العديد من اللقاءات للأنكليكان الذين كان لهم رسالة (بعثة تبشيرية) خاصة بالآشوريين وبقيت مقيمة بينهم حتى مغادرتهم بجلاء جماعي / نزوح قسري. من بين تلك اللقاءات نذكر اللقاء الذي عقد في قصر Lambeth في تموز عام ١٩٢٠. تميّز هذا اللقاء بالأهمية والثقل بسبب الدعوة التي وجهها اللورد دافيدسن –رئيس أساقفة الكنيسة الأنكليكانية – إلى كل أساقفة الكنيسة الأنكليكانية وأساقفة كنائس إنكلترا المتحدة معها إيمانيًا. هكذا لقاء بكل أساقفة البلاد لم يكن يحدث إلاّ كل عشر سنوات، مقررات هكذا لقاء، بعد مباحثات ونقاشات مطولة كانت الآلية الرئيسية التي ترسم مخطط مستقبلي لحياة الكنيسة الأنكليكانية المنتشرة في العالم. رغم أن تلك المقررات كانت غير موجبة (الزامية) للكنائس الوطنية الأخرى الموجودة في إنكلترا. تاريخيًا، أول لقاء من هذا النوع كان في عام ١٨٦٧ ثمّ عقبه لقاء عام ١٨٨٨. في هذا اللقاء إتخذت أربعة قرارات قبلها الجميع لأنها الوسيلة الفعالة لتحقيق إتحاد الكنائس وتؤكد أن الشراكة الإيمانية لكل الانكليكان تعتمد على الكتاب المقدس وسرّي العماذ والأفخارستية وإيمان الرسل والأسقفية التاريخية. بعد اجتماعات لامبيث (لقاء)عام ١٩٢٠ وجه نداء يدعو إلى اتحاد كل الكنائس المسيحية وبالأستناد إلى الخبرة الخاصة بكل كنيسة.

كان رئيس الأساقفة دافيدسن عضوًا فعالا في هذه الحركة المسكونية لكونه رئيسًا للمؤتمر (اللقاء) وله دور أساسي فيه. بمناسبة إنعقاد مؤتمر عام ١٩٢٠، أتيحت الفرصة لسورما لتوجيه كلمة إلى المجتمعين. كلمتها حازت على تأييد الجميع وهذا سهل إدراج النصّ التالي في القرار رقم (٢٠): "يُعرب المؤتمرون عن تعاطفهم العميق مع المسيحيين: الأرمن والآشوريين والسريان واليعاقبة الذين يعانون إضطهادًا قاسيًا، ويستنكرون ويدينون المذابح الفظيعة التي جرت قبل

وأثناء الحرب العظمى، ويطالبون لأن تكون الإجراءات المستقبلية المتخذة بشأن القضايا الشرقية التي تهدف لتأسيس حكومة عادلة تمنع المضايقات والضغوط. مقررات مؤتمر عام ١٩٠٨، سبق أن نصّ في القرار رقم (٦٣) على تشجيعه ودعمه كل خطوة من شأنها تنقية بعض عقائد كنيسة المشرق القديمة لأجل تواصل الشراكة الإيمانية المحتملة [١٢٧]. بقي اللورد دافيدشن مثابرًا على متابعة النشاط الخاص بالتقارب بين الكنيستين.

تابعت سورما علاقات الصداقة التي تأسست واستثمرتها بكل حماسة وتفعيل بينما كانت تقيم مع عائلتها الجديدة، راهبات دير بيت عنيا. بمناسبة الإحتفال بعيد الفصح ومراسيمه قامت بتقديم وصف مفصل لمراسيم هذا العيد الكبير في طقوس كنيسة المشرق التي تجري في قوجانس. فقالت: "بيرمون د بصخا، (وتعني بذلك عشية يوم عيد ديني عند المسيحيين - المقصود هنا عيد الفصح - المترجم) في قوجانس تبدأ الإحتفالات عند منتصف الليل عندما يُقرع ناقوس الكنيسة مبددًا الصمت المخيم على جبالنا الشامخة، يطلق رئيس القرية من فوق سطح داره رشقة من أطلاقات طبنجته، إحتراما لهذه الليلة المقدسة، في الوقت ذاته تشعل مئات الشموع لتنير داخل الكنيسة فيزول ظلامها الدامس. فورًا تبدأ الصلاة المرنمة التي يتلوها الكهنة فتجيب عليها جوقة الشمامسة بجناحيها وبالتبادل. أحيانًا تشترك جماهير المؤمنين في الصلاة أو الإنشاد. عند إقتراب الصلاة من مرحلة ذكرى القيامة المجيدة (قيمتا) يتوجه الحاضرون نحو فناء الكنيسة وهم يرددون عبارات تتوافق مع معاني الصلاة التي يصليها الكهنة والشمامسة وبعد كل مقطع. نصّ الردة هو: "حقا لقد قام ربنا المجد لأسمه". يلي ذلك تصفيق مفاجئ يلعلع موقفا الصلاة فترة. بعدئذٍ تصل المراسيم إلى فترة التبرك ويكون بتقبيل الصليب المقدس الذي يحمله من يترأس الاحتفال، بعد تقبيل الصليب يستلمون شمعة مشعولة ليحملونها إلى المقبرة القريبة كل واحد يضعها على أحد القبور الخاص بقريب أو صديق. بذلك تحصل إنارة باهرة لموقع المقبرة كما تنير النجوم السماء الصافية. بعد إتمام زيارة القبور وتذّكر المتوفين والصلاة على نياتهم يرجع الحاضرون إلى بيوتهم للراحة والتهيؤ لمراسيم مقبلة. في البيوت، عادة ما تقوم النساء بصبغ البيض بقشور البصل، ويكون ذلك قبل حلول موسم العيد. بعد انتهاء مراسيم الإحتفال بليلة العيد، تجري صباحا مراسيم أخرى تتركز على إقامة الذبيحة الإلهية (القداس). من أجل ذلك على المسؤول إختيار الدقيق الأكثر نعومة ونقاء ويُسمى (نشيبا)/Nshuipa / فيعجنه ويخبزه أقراصًا من الخبز المقدّس. يوم الإثنين الذي يلي أحد القيامة، يحضر المؤمنون إلى الكنيسة وينشدون لحنا لتذكار الموتى ثمّ تجري فعالية تحكي قصة اللص التائب الذي صلب مع الرب يسوع المسيح والذي كان عن يمينه وطلب من يسوع أن يذكره في ملكوته، فوعده يسوع بدخوله الفردوس معه نفس ذلك اليوم عندما قال له "اليوم تكون معي في الفردوس"... تبدأ الفعالية بمحاولة اللص دخول المذبح الذي يحرسه الكاهن وهو يحمل سيفا لامعا ممثلا للملاك

الذي يحرس باب الفردوس. دور اللص يقوم به عادة أحد الشمامسة. السيف يكون عادة مزينا بشموع متلألئة. الملاك الواقف على باب المذبح يمنع اللص من دخول المذبح أو حتى الإقتراب منه مرات عديدة رافعا سيفه تارة وملاحقا اللص إلى الجهة البعيدة من المذبح تارة أخرى. اللص يبقى مصرًا على رغبته ومحاولاته للصعود إلى المذبح ودخول الفردوس طالبًا من الملاك فتح الباب. كل هذه الحركات تجري والإثنين يتبادلان المحاورة بلحن عذب. الملاك يصرّ على رأيه ويأمر اللص،قائلا: "إبتعد أيها اللص الشرير عن ديارنا، إنك مطرود من هذا الفردوس منذ أيام جدك آدم وجدتك حواء الممثلين للجنس البشري الذي أنت تنتمي إليه. اللص يحتار وأخيرًا يخرج صليبيًا كان يحتفظ به بين طيات ثيابه ويرفعه عاليًا صارخا: "خذ هذا الصليب شهادة لوعد يسوع لي لأن أكون معه اليوم في الفردوس ودلالة لتمتعي باستحقاقات الفداء التي حققها الرب يسوع المسيح بموته وقيامته. عندئذٍ يتنازل الملاك عن أصراره وعناده ويسجد للصليب المقدس ثمّ يعانق اللص التائب ويدخله المذبح/ الفردوس" . المشهد الأخير مشهد رائع ومؤثر خاصة في نفوس الأطفال، وضع نصوص هذه الفعالية نرساي معلمنا الكبير من القرن الميلادي الخامس. وضعها باسلب شعري تعليمي وجميل. له كتابات كثيرة منها (٣٦٠) مقالة تعالج مواضيع تعليم لاهوتي. يعتبر هذا المعلم الشهير في كنيستنا كنيسة المشرق معلما لاهوتيًا وشاعرًا سلسًا وأبا من آباء الكنيسة الكبار. لقبته الكنيسة بـ "كنارة الروح القدس" أو "لسان المشرق" وأيضًا "معلم المعلمين، أبا الآباء"، طرد نرساي من الرها على أثر قرارات مجمع أفسس، توفي في العام (٥٠٢) م. نرساي هو أحد مؤسسي مدرسة نصيبين التي فيها كان يتمّ الدفاع عن عقيدة كنيستنا المشرقية. لقد لعبت مدرسة نصيبين دورًا مهما في تثقيف أجيال شعبنا. كما تعتبر مدرسة مكملة لنشاط مدرسة الرها التي جرى غلقها نهائيًا في عام ٤٨٩ بعد أن طرد النساطرة منها . وفي كل عام يحتفل بمار نرساي كذكرى لذلك [١٢٨].

خلال هذا الحديث والوصف الجميل الذي قدّمته سورما، كانت الراهبات المستمعات في صمت عميق. إنهن كنّ على إيمان مؤكد أنّ أبناء تلك الجبال الصعبة الإختراق هم مسيحيون ويصلون إلى نفس الإله الذي إليه هنّ يصلين ومنذ قرون غائرة في التاريخ. إنهن تذكرن أنّ المراسيم التي تحدثت عنها سورما تعني أن هناك من حمل شمعته إلى المقبرة التي ترقد فيها إحدى أخواتهنّ "كاترين ميلدرد" المتوفية في أورميا والتي كانت يوما ما تعمل مع جماهير النساطرة بكل نشاط ومحبة مسيحية وأمانة.

إستحقاقًا لجهود سورما في إلقاء أنوار كاشفة على أبناء طائفتها وكنيستها التي بقيت زمنًا طويلا في شبه عزلة تامة عن العالم، خلال زيارتها للندن، توفرت الفرصة لتعزيز موقفها أمام الأوساط الرسمية ذات الأثر الكبير في السياسات الخارجية. أما جهودها فكانت تطورًا متقدمًا للقضية الآشورية والتعريف بالآشوريين الذين كانوا شبه منسيين، حصل كل ذلك التقدم بواسطة

الكنيسة الأنكليكانية. بدعم هذه الكنيسة وتأثيرها استطاعت سورما من توصيل صوتها إلى الدوائر التي بيدها القرار. لقد حاولت سورما دومًا أن تفرض ثقل شعبها على لوحة الشطرنج التي تمثل العالم واللاعبين عليها من قوى عظمى. إنّ آمالها كانت كبيرة في نتائج إتصالاتها التي توقعتها وسيلة فعالة وفرصة مؤاتية ليأخذ الشعب الآشوري موقعه العادل واستحقاقه الكامل، رغم أن في باطنها كان هناك هاجس يؤكد لها أن للدول الكبرى مصالح ذاتية تعمل لتحقيقها وأنّ إجرآتها المستقبلية ستكون حتما متوافقة مع الأحداث والواقع الفعلي، لذا يجب على الآشوريين أن يكونوا حذرين وأذكياء لإستغلال الفرص لمصلحتهم.

من سان ريمو إلى سيفر

محاولات تشبّث سورما

في مطلع العام ١٩٢٠، انشغل الرأي العام بموضوع الإنتداب المطروح على الساحة آنذاك. لذا نلاحظ أن كل من الفرنسيين والإنكليز دخلوا في صراع مستميت ليجعلوا صوتهم الأعلى ولتكن لهم كلمة الفصل. نظمت لقاءات وراء الكواليس وعقدت اجتماعات سرية هنا وهناك. منذ أيلول عام ١٩١٩، أبدى الإنكليز الرغبة والإستعداد للإنسحاب من بعض المناطق لصالح الفرنسيين، إذا ما وافق هؤلاء (الأخيرين) على التخلي عن ولاية الموصل. غير أنه في تلك الأثناء، ظهر على مسرح الأحداث رجال آخرون أخذوا يلعبون أدوارًا لم تكن تتوقعها الدول الكبرى. من أمثال هؤلاء الرجال الأمير فيصل من العائلة الهاشمية. كان الأمير فيصل أحد أبناء الشريف حسين المكيّ الأصل. قاد الأمير فيصل الثورة العربية ضد العثمانيين منذ عام ١٩١٦ . شعبية فيصل جعلت منه الحاكم العسكري في سوريا. بعد ذلك أعلن ملكا عليها، في آذار عام ١٩٢٠ . تمتع فيصل بدعم الإنكليز خلال سنوات الحرب. بعد انتهاء الحرب جاهد للأحتفاظ بدعم بريطانيا ومساندتها. نتيجة لتخلي الإنكليز عن الأراضي السورية لصالح الفرنسيين. أصبح موقف الملك فيصل في سوريا قلقًا. لأن إعتماده أصلا كان مؤسسا على إنتداب الإنكليز على سوريا. أضطرّ فيصل على التعامل مع الفرنسيين أصحاب الإنتداب الجدد الفعليين الذين لم يريدوا بقاءه ملكًا على سوريا. الواقع الجديد فاجأ الملك فيصل حيث لم يكن يتوقعه.

ما يتعلق بموضوع الآشوريين وقضيتهم، علينا وقبل كل شيء الإنتباه إلى أنّ سورما التي بقيت متشبثة بموضوع تحقيق أهدافها، أبدت الاستعداد الكامل لحضور جلسات مؤتمر السلام في باريس على أمل التمكن من توصيل صوتها للمجتمعين وأقناعهم بعدالة قضية شعبها. لكن وكما يقول المثل لا تجري الرياح دومًا وفق ما تشتهيه السفن. الحضور إلى مؤتمر السلام بقي حلما لم توفق في تحقيقه نظرًا لعدم توفر الموافقات الضرورية لدخول الأراضي الفرنسية. سورما لم تستسلم للواقع

وبقيت تتوسل بعناد إلى اللورد كورزون وتطلب منه العمل لتحقيق حلمها. في مذكرة أرسلتها له بتاريخ السابع عشر من شباط ١٩٢٠ أكدت حقها في المطالبة بحقوق شعبها العادلة. كما أبلغت سورما بصريح العبارة إن كان هناك اعتراف نافذ، أعطته الحكومة البريطانية خلال سنوات الحرب، بموجبه يكون الآشوريون حلفاء فعليين، وإن هذا يعني أن للآشوريين الحق أن يكون لهم صوت مسموع. في ما يلي نص الرسالة:

" صاحب السيادة الموقر،

لقد سمحت لنفسي لأن أكتب هذه الرسالة وأوجهها لسيادتكم بأعتباري ممثلة للآشوريين الذين عرفوا رسميًا في السابق بـ " ملة النساطرة " . حتما سيادتكم تتذكرون أنه كان لي الشرف في مقابلتكم في شهر تشرين الثاني الماضي عام ١٩١٩، وأن قضية الآشوريين والأرض التي سكنوا عليها قرونا عديدة ستطرح للمناقشة في مؤتمر السلام في باريس. لذلك أرجو سيادتكم أن لا تنسوا حاجة وعرائض شعبنا التي سبق أن أكدت فيها مطالب شعبنا.

طلبنا الأساسي وبما أننا أمة نريد أن نبقى تحت حماية بريطانيا العظمى وأن نعيش على أرض كانت أصلا وطننا منذ زمان قديم وحاليًا تتمتع بهكذا حماية.

لتسمح لي سيادتكم لأن أذكر بأنه سبق وان أعترف بنا خلال سنوات الحرب كحلفاء لبريطانيا العظمى ورغم اعتبارنا " الحليف الصغير " . جاء هذا الإعتراف على لسان الجنرال .Offley Shore منذ أيام الحرب كان شعبنا يوفر تشكيلات عسكرية كقوة محاربة ضمن الجيش البريطاني. شاركت تلك التشكيلات في حروب جرت في مختلف البلدان وفي وقت كانت بقية الشعب لا تزال ترزح تحت نير عدونا المشترك (الأتراك والفرس والأكراد السائبين) الذي قاتلناه سوية جنبًا إلى جنب وبحماس مشترك.

كم أتمنى أن تكونوا قادرين على التأكيد لنا أن عرائضنا ستسمع باهتمام خلال جلسات المؤتمر تأكيد كهذا سيكون كافيا لنا لأنه برهان على أننا أودعنا شؤوننا المهمة إلى الحماية البريطانية ووضعناها بكل ثقة في أيد أمينة، وكانت دومًا صديقة مخلصة.

في حالة عدم التمكن من إعطاء هكذا تأكيد، نرجو سيادتكم إعتباري ممثلة للملة أن تقدموا هذه العريضة إلى المؤتمر لإعلانها رسميًا أمام المجتمعين في مؤتمر السلام في باريس، لأنها عريضة رسمية يقدمها الشعب كله وأرسلت لي مباشرة .

في الختام تقبلوا يا صاحب السيادة احتراماتي وتقديري.

(التوقيع) سورما [١٢٩]

بعد مجادلات ومناقشات عديدة ومطولة ما بين البريطانيين والإنكليز تمّ الإتفاق على توزيع البلدان العربية المحرّرة من نير العثمانيين. اجتمع مؤتمر السلام في سان ريمو في إيطاليا في الفترة من ١٩ إلى ٢٦ نيسان من عام ١٩٢٠ أوقف (ألغى) شروط إتفاقية سلام مع تركيا. على ضوء الإتصالات الجديدة أعطي الإنتداب لفرنسا على سيسيليا وسوريا، ولبريطانيا الإنتداب على فلسطين وبلاد ما بين النهرين. سجل المؤتمر عدم رغبة فرنسا في فرض إنتدابها على الموصل. واتفاق الدولتين على استثمار النفط. أخيرًا تمّ التوقيع على مذكرة بين الدولتين (فرنسا وإنكلترا) وتحت رعاية عصبة الأمم. بموجب هذه الإتفاقية أصبحت ولاية الموصل جزء من العراق وتحت الإنتداب البريطاني علما أن الحدود بين تركيا والعراق لم يتمّ رسمها بعد.

بناءً على هذا الواقع، لم يتمّ حسم موضوع حكاري، هذا معناه أنّ موضوع عودة الآشوريين تحت حماية بريطانية أصبح أمرًا غير مؤكد ومضمون بشكل قاطع.

بقي كفاح الليدي سورما مستمرًا. لذا وبعد الأخذ في نظر الأعتبار المستجدات الأخيرة وتطورات الأحداث في سان ريمو، قامت سورما بصياغة بعض المقترحات، وبدأت تفتش عن دعم ومساعدة بعض الأصدقاء لتلك المقترحات. في برقية أرسلتها إلى أهلها في بلاد ما بين النهرين فصلت بها وجهة نظرها الشخصية بوضوح مع ومقترحاتها. أتبعت تلك البرقية ببرقية ثانية أرسلتها إلى "السير ولسن" من الكنيسة الأنكلكانية تبلغه فيها بكل التفاصيل. بعد استحصال موافقة رئيس أساقفة كنيسة كنتربري قام الراعي ويكرام بإرسال نسخة من نفس البرقية إلى اللورد كورزون وكان ذلك في الثاني عشر من أيار عام ١٩٢٠. في رسالة مرفقة مع البرقية أبلغ ويكرام أنّ الموضوع يتحدد في أن ثقته بالأكراد هي أكبر من ثقته بالأتراك، كما أكد أن تشكيل منطقة كردستانية مستقلة هو خير للسكان ولجيرانهم وأقل اضطرابات رغم الفوضى الداخلية المهيمنة. ثمّ أضاف، وضع كهذا سيكون في صالح الجميع وأفضل من البقاء تحت النير التركي. في أدناه نقرأ نصّ البرقية المشار إليها:

"من سورما خانم إلى المفوّض العام للشؤون المدنية في بغداد ومنه إلى قداسة مار شمعون والمجلس الشورى الخاص (بعقوبة)، الوضع السياسي الحالي هو الآتي:

تحقق الإنتداب البريطاني على بلاد ما بين النهرين ومن دون كردستان. مستقبل كردستان لم يتقرر، قد تفرض عليه سيادة تركية، أو الإستقلال، اللجنة الدولية في تشاور ونقاش، لا حماية مضمونة في بلاد فارس.

نصيحتي بخصوص القضية الخاصة بأمتنا الآشورية هي: العودة تحت التسلط التركي في كل الأحوال يعني الموت المحتوم لجميعنا. الحياة في بلاد فارس دون حماية مستحيلة، كنت أفضل حماية بريطانية وانتداب في منطقة الحكاري، لكني أعلم هذا محال. لو تمّ منح الإستقلال لكردستان يمكننا العيش في الحكاري موطننا القديم مع الأكراد بشرط توفير السلاح الضروري لندافع عن

أنفسنا ذاتيًا. كأبعد الحلول أفضل هذا كبديل. في حالة وقوع كردستان تحت التسلط التركي، أنصح بالبقاء تحت الإنتداب البريطاني في بلاد ما بين النهرين. في الأرض (المنطقة) المعروضة لكل شعبنا والواقعة قرب الطون كوبري. أقترح إرسال رجال موثوقين إلى هذه المنطقة برفقة ضباط بريطانيين لدراسة الوضعية وأتخاذ قرار حول ملائمة المنطقة لحياة شعبنا [١٣٠].

هذه الرسالة تضمنت حلين:

الأول تؤيده سورما بقوة وفحواه: تأييد إستقلال كردستان الذي يشمل أراضي الموطن الأصلي للآشوريين في الحكاري. أملها من ذلك التمكن من إقامة منطقة بحكم ذاتي خاصة بالآشوريين مسنودة بتسليح حديث لجماهير العشيرت. هذه الآمال هي نفسها الآمال التي كانت تداعب أذهان الشعب الآشوري منذ عقود لمجاورتهم الأكراد وبالرغم من الإختلاف الديني الموجود بين الطرفين. عاش الآشوريون والأكراد متجاوريين في القرى وأحيانًا متجاورين في قرية واحدة، هذا الحل بدى لسورما كأحسن حل حكيم وعملي.

أما الثاني، ويتم تطبيقه في حالة فشل مشروع منح الإستقلال لكردستان من خلال المناقشات المقبلة، فهو إختيار التجذر المتجانس للآشوريين في بلاد ما بين النهرين، في المنطقة الواقعة حوالي الطون كوبري حيث تتوفر أراض تقع شمالي كركوك ويقع إلى جنوبها نهر الزاب الصغير. لهذه المنطقة فوائد إستراتيجية أكيدة. أراضيها سهول فسيحة تمتد نحو الشمال حتى تصل حافات المنطقة الجبلية، عبرها كانت تمر القوافل. إشتهرت هذه الأرضي بسبب وجود شبكة من الطرق الواسعة المنتشرة في أرجائها أو المارة من خلالها. المعلومات المتوفرة لسورما منذ صغرها تقول إن الفرس شقوا في هذه الأراضي طرقا ملكية مهمة، كانت صيانتها مستمرة وكذلك حمايتها سهل التنقل عبرها. أهم الطرق المارة في هذه الأراضي كانت الطريق التي تربط بين سارداس (الواقعة شرقي أزمير / تركيا) ومدينة السوس العاصمة والمركز الإداري للأخمينيين وكانت بطول (٢٤٠٠) كم. كانت هذه الطريق تخترق المناطق المعروفة قديما فريجيا Phrygie (وهي الأراضي الواقعة في الجهة الغربية من آسيا الصغرى. في القرن الثاني عشر ق. م. احتلتها أقوام أتت من البلقان وأسست فيها مملكة بقيت قائمة حتى القرن السابع ق. م. –المترجم) وتستمر حتى تصل ساموسات Samosate ثمّ تعبر نهر دجلة قرب نينوى فتستمر بمحاذاة النهر مخترقة منطقة سوزيان / Susiane التي تعرف اليوم بـ "خورسابات". المؤرخ اليوناني هيروديت: كتب عن هذه الطريق ووصفها أنّها "الطريق التي تذهب من البحر إلى Roi" ومسارها: كركوك الطون كوبري، أربيل، تلعفر... وغيرها من الحواضر التي كانت تعطي معالم لهذه الطريق". أملا في تحقيق بعض الفوائد الإقتصادية من هذا الموقع، انشغلت سورما بهذا الاختيار التعبوي، وهي تتوقع أن يكون وسيلة فعالة للدفاع عن مصالح شعبها ولضمان مستقبل زاهر وحياة كريمة. كانت سورما مقتنعة كل الإقتناع أن لا بد أن تنتهي تشبثاتها الحالية

نهاية مشؤومة وان تشتت جماهير الآشوريين يعني موتها دون شك.، لذلك ركزت إهتمامها على محاولة تجميع جماهير الأمة كلها على أراض مشرقية على أن تكون قريبة من جبال حكاري، وجعلت هذا الإهتمام خطا أساسيًا تسير عليه وموجهًا رئيسيًا لنشاطاتها وجهودها. بهذا التوجه اقتنع أيضًا حلفاء الشعب الآشوري.

دعمت الكنيسة الأنكليكانية إستراتيجية سورما أمام كبار مسئولي الحكومة البريطانية وبقيت تعترف بها وصية على الشعب الآشوري وقضيته العادلة وبأهمية الدور الذي تلعبه في قيادة الأمة.

الوهن يحاصر مؤتمر سيفر وقراراته

نتيجة لإتجاه إتصالات ولقاءات الحلفاء مع تركيا لتحقيق أتفاق محدود، تمّ في العاشر من آب عام ١٩٢٠ توقيع معاهدة في إحدى قاعات معمل في سيفر. بموجب هذه المعاهدة أسست دولة أرمنية في الأنضول الشرقية ومنطقة كردستانية ذات حكم ذاتي. ما يخص الآشوريين، أعلنت المعاهدة إعطاء ضمانات وتوفير حماية لهم ضمن إطار كردستان متمتع بحكم ذاتي. المواد ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ من الباب الثالث من المعاهدة أوضحت الأتزامات الرئيسية. المادة ٦٢ نصت على تأليف لجنة تقوم بتنظيم الحكم الذاتي المحلي في المناطق التي فيها السيادة للأكراد على أن يتحقق ذلك خلال الستة أشهر التالية لتاريخ نفاذ المعاهدة. ما يعني الكلدو آشوريين فكان هناك النص التالي:

" يجب أن تتضمن هذه الخطة ضمانات تامة لحماية الكلدو آشوريين وغيرهم من الأقليات الإثنية أو الدينية الذين يسكنون ضمن هذه المناطق" .

المادة ٦٤ نصّت على: " إذا أبدى الأكراد المشار إليهم في الفقرة (٦٢) خلال فترة السنة التالية لتاريخ وضع هذه المعاهدة حيّز التنفيذ الرغبة في التوجه إلى مجلس عصبة الأمم مؤكدين رغبة أغلبية الأكراد القاطنين في مناطق الحكم الذاتي بالإستقلال والإنفصال عن تركيا، وإذا ما قدّر مجلس عصبة الأمم آنذاك كفاءة جماهير الأكراد واستحقاقها للتمتع بالإستقلال المطلوب، فالمعاهدة توصي حينئذ بمنحهم الإستقلال. عدا ذلك على تركيا منذ الآن أن تتعهد أنها ستتخذ الإجراء اللازم للتجاوب مع هذه التوصية فتتخلى عن كافة حقوقها وسلطتها على تلك المناطق (١٣١). بعد التوقيع على معاهدة سيفر، أصبح الآشوريون قادرين على تنفس الصعداء وملأت قلوبهم الآمال بإمكانية التوصل إلى تفاهم تام مع كردستان مستقل مؤقتنا هو تحت " سلطة مجاملة" تختلف كل الإختلاف عن النير التركي القديم الغاشم. لم يدم شعور الآشوريين هذا واطمئنانهم طويلا بسبب حصول أحداث موضوعية، فحلّت بثقلها مغيّرة الأوضاع. تلك الأحداث بدلت رأي القوى العظمى. عند توقيع معاهدة سيفر كانت تركيا العثمانية حاضرة ضمن الموقعين

وممثلة للسلطان محمد السادس. عند المصادقة عليها كان هناك رفض عنيد وكره للمعاهدة أعلنه مصطفى كمال الذي كان يقود الحركة الوطنية/ القومية التركية التي انبثقت عام ١٩٢٠. كان مصطفى كمال آنذاك رئيسًا لحكومة أنقره وطرح نفسه كخصم لدود للسلطان ولمعاهدة سيفر وللإنكليز واليونانيين. تماشيًا مع هذا التطور الذي لم يكن من الأمور غير المتوقعة أو جديدًا على الساحة، خاصة إذا ما تفحصّنا جيدًا الأوضاع القائمة عند توقيع المعاهدة أو قبل ذلك. عند ذاك كان هناك رجالات من الأتراك عارضوا بعضًا من بنود المعاهدة وطالبوا مراجعتها بغية تعديلها، هذه التطورات دفعت بالبعض، ومنهم **Jean Pichon** الذي صرّح فور التوقيع بما يلي: "ما بقي علينا إنجازه هو الجزء الأصعب والأهم وأقصد بذلك، علينا أن نفرض شروط الحلفاء على الكماليين وإجبارهم على العمل على تنفيذ بنود المعاهدة. تلك الشروط كانت بنود اتفاقية السلام التي وقعت مع دولة تركيا: واقعيا وضع الإتفاقية وبنودها كان هشًّا لا بل أكثر هشاشة من خزف سيفر (مدينة سيفر فرنسية تشتهر بصناعة الخزف الجيد والرقيق والسهل الكسر) (١٣٢).

بينما كانت الليدي سورما تتهيأ للعودة إلى بلاد ما بين النهرين، قام القوميون الأتراك ببذل جهود مضنية لتعليق العمل ببنود الإتفاقية التي كانت ولادتها جدًا عسيرة، بسبب ذلك بدأت أسس معاهدة سيفر تهتز شيئًا فشيئًا حتى انتهت إلى التفتت التام.

المآسي تتوالى مواصلة مشوارها

وفاة البطريرك مار شمعون بولس

خلال فترة غياب سورما عن الديار، حصلت أحداث مهمة لجماهير الآشوريين عامة ولأفراد عائلتها خاصة بينما هم مقيمون في بلاد ما بين النهرين، فأدمت القلوب وسلخت الجلود بسياطها المؤلمة. من جهة تمّ نقل أفراد عائلة البطريرك من مخيّم بعقوبة إلى مناطق أخرى. حصل هذا الحدث نتيجة لاتخاذ قرار غلق المخيّم. في نيسان عام ١٩٢٠، غادرت المخيم أعداد كبيرة من المقيمين فيه، وذهبت لتستقرّ في مناطق تقع على بعد (٥٠) كم شمالي شرقي الموصل قرب ضفاف نهر الخازر، في قرية تدعى "منذان"، أو في أطراف مدينة عقرة. بيوت عقرة مبنية على سفح جبل وهي مركز تسوّق مهم، تعلوها قلعة كردية قديمة، وتجاور الأطراف الجنوبية من جبال حكاري. وقرب نهير صغير من جبل عقرة. القرى المنتشرة في هذه المناطق عانت في القرن الثامن عشر نفس المصير الذي حصل لقرى سهل نينوى. عندئذ تحوّلت أغلبية جماهير النساطرة إلى أحضان الكنيسة الكلدانية. قبل غلق مخيم بعقوبة في أواخر شهر أيلول عام ١٩٢٠ كان لا يزال يوجد في المخيّم حوالي (٣٠٠٠) لاجئ. هؤلاء الباقون، وقبل المغادرة النهائية للمخيم، أقاموا نصبًا تذكاريًا لكل

الذين قضوا نحبهم عند الجلاء الجماعي / النزوح القسري. النص المحفور على شاهد النصب كان مكتوبًا باللغتين الآرامية والإنكليزية ونقرأ عليه ما يلي:

" هنا يرقد آلاف المسيحيين من الآشوريين القادمين من جبال كردستان ومنطقة "وان" ومناطق سلامس وأورميا. إنهم قد قاتلوا أعداءهم الأتراك والأكراد والفرس بشجاعة وبسالة. حصل هذا قبل مجيئهم إلى بعقوبة تحت الحماية البريطانية. كان ذلك في عهد الملك جورج الخامس"(١٣٣) .

البطريرك مار بولس شمعون في العراق عام ١٩٢٠

من ناحية أخرى، حلّت بالجماهير الآشورية المعتبرة قومية أقلية وبسورما وأفراد عائلتها نكبة جديدة موجعة للغاية، تلك كانت وفاة البطريرك مار شمعون بولس الذي عانى طويلا آلاما وأوجاعا مبرحة. كانت وفاة هذا البطريرك في اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٢٠ . وبوفاته أصبح الآشوريون مرة أخرى أيتاما وبلا رأسٍ للكنيسة. كانت سورما لا تزال في لندن وحيدة وبعيدة عن الأهل والأقارب. ها هي تبكي من جديد وفاة أخ. إنها الوفاة الرابعة من الإخوة، أي بعد وفاة هرمز، إيشعيا وبنيامين القتيل. هكذا هو مسلط سيف الموت على الإنسان. بموت مار بولس تجددت أحزان سورما وعادت ذكريات اغتيال البطريك الأقدم ما شمعون بنيامين الذي اغتاله الجبناء الغدّارون عام ١٩١٨، دُفن جثمان البطريرك مار بولس في كنيسة الأرمن في بغداد. هذا ما أرادته العناية الإلهية، وارى التراب جثمان هذا البطريرك إلى جانب بطاركة كنيسة المشرق الأصيلة، الذين سبقوه وعندما كان نجم هذه الكنيسة يسطع نورًا بهيا في سماء التاريخ العام. نعم، لقد كان لكنيسة المشرق صفحات خالدة خاصة عندما كان بطاركتها مقيمين في بغداد وكان ذلك ما بين القرنين الثامن والثالث عشر. عندما كانت بغداد العاصمة الشهيرة أيامئذ وكانت أيضًا المقر البطريركي لكنيسة المشرق، فيها الكنائس العامرة الأديرة العديدة. نتيجة لهذا الواقع يوجد في بغداد أضرحة البطاركة الذين جلسوا على الكرسي البطريركي الخاص بهذه الكنيسة، منها ضريح البطريرك طيماثيوس الأول (٧٨٠ - ٨٢٣) وأضرحة البطاركة الذين خلفوه. آخر الأضرحة هو ضريح البطريرك " مكيخا "

(١٢٥٧ - ١٢٦٥). مقر إقامة البطريرك كان يُعرف بـ "دير كليليشوع" أو (دار الجاثليق)، عند وصول المغول عام ١٢٥٩ تمتع المسيحيون ببعض الراحة. لكن عند بداية عام ١٢٩٥ تسلط على المسيحيين ظلم غاشم واضطهاد رهيب. تحمل بعض المسيحيين ذلك الإضطهاد فبقوا مقيمين في بغداد حتى مجيء تيمورلنك عام ١٤٠١. بعد وصول تيمورلنك حصلت للمسيحيين، الذين كانوا لا يزالون مقيمين بعدُ في بغداد، مذابح مريعة قضى خلالها (٩٠٠٠٠) مسيحي نحبهم، جميعهم كانوا من سكان بغداد الأصليين. على أثر تلك المذابح، لم يبق للمسيحيين من أتباع كنيسة المشرق في بغداد من ذكر. عن القرن السابع عشر، نقرأ في كتابات الرحالة الأيطالي Pietro Della Valle تؤكد أنّه قد التقى في بغداد بتجار يعرفون بالنساطرة. وبتأثير البعثات التبشيرية الكاثوليكية اللاتينية أخذ عدد الكلدان يزداد ويرتفع في بغداد وبشكل ملحوظ خاصة في القرنين الميلاديين التاسع عشر والعشرين.

بعد وفاة البطريرك مار شمعون بولس طرحت قضية مهمة جدًا هي: من هو المؤهل للجلوس على الكرسي البطريركي؟ هذا الموضوع أفرز مشكلة عويصة ومعقدة. قبل وفاة البطريرك بولس، كان هناك تصريح صدر عنه، وهو لا يزال على فراش الموت، نص على أنه لا يؤيد الأسلوب الوراثي المتبع —أي اختيار البطريرك من بين أفراد نفس العائلة (البطريركية تقليدًا). أفراد العائلة نفسهم كانوا في أوطأ درجات الوهن والضعف. بعد انتهاء مراسيم العزاء تهيأت الفرصة لإنتخاب شخصية قوية وفقا لرغبة البطريرك الراحل. لكن هناك من عارض ولم يستجب لتصريح مار بولس ولم يوافق على تنفيذه. هكذا، وبينما كان الآشوريون المرحلون من مخيم بعقوبة، تمكن نفر منهم من ممارسة الضغوط لإستمرار العمل وتطبيق النظام الوراثي لاعتلاء المنصب البطريركي. ولما لم يكن هناك بين أعضاء العائلة البطريركية من هو مؤهل فعليًا سوى شخصين، يمكنهما إشغال المنصب وهما "تيودور" و "إيشاي" المولود عام ١٩٠٨. إيشاي هو إبن داوود وأمه استير التي كانت أخت المطران مار "يوسف خنانيشوع". كان عمر إيشاي يومذاك (١٢) عامًا. تمت مراسيم تنصيبه وتجليسه على الكرسي على يدي خاله في اليوم العشرين من حزيران عام ١٩٢٠. وكان ذلك في كنيسة مريم العذراء في مخيّم بعقوبة. عمه زيا قدّر أنّ الأمة الآشورية تلحّ على مواصلة تطبيق النظام الوراثي التقليدي، بينما أم البطريرك استير عارضت بعناد ولم تؤيد القرار وكانت تقول: كفانا ما حلّ بنا من مصائب وانهار الدموع التي ذرفناها. ما أصابنا من نكبات سحق العائلة البطريركية ودمرها. هذا القرار بالنسبة لسورما كان يعني استمرارها في تحمل أعباء المسؤولية الملقاة على كاهلها. وهذا يعني بقاءها وصية على إدارة شؤون جماهير الآشوريين أبناء شعبها الذين أخلصت لهم الحب وكرّست ذاتها لخدمتهم.

أغا بطرس يحاول العودة إلى الوطن

بالإضافة إلى ذلك، قامت بريطانيا، خلال فترة غياب سورما عن البلاد (ما بين النهرين) بتحضير خطة للعمل دعمها المندوب السامي "ولسن". المسار الرئيس لهذه الخطة كان يهدف إلى ترحيل الآشوريين وإعادتهم إلى موطنهم الأصلي حيث مسقط رأسهم. كان ذلك في شباط عام ١٩٢٠. هذه الخطة كانت تتوافق مع السياسة الانكلو – هندية، الجزء الذي يتعلق ببلاد ما بين النهرين. لكن، هذه الخطة كانت في الوقت ذاته معادية لأي حكومة عربية. ولسن كان يأمل أن يكون بمقدوره التأثير على مجريات المناقشات الجارية آنذاك. لتحقيق هذا الهدف أضطرّ الإنكليز على التفتيش عن شخصية آشورية قادرة على قيادة المعركة التي قد يضطر الآشوريون خوضها. رؤساء العشائر "الملكي" لم يكن لهم ثقة إلاّ بأبناء عشائرهم. الإنكليز أختاروا لهذا الموقع – "أغا بطرس" –أغا بطرس قبل ترشيحه لهذا المنصب كان قد وافق على المشروع وقدّمه بحماس شديد مستندا على التشجيع الكبير الذي أبداه الشعب الآشوري. ثلثا الجماهير الآشورية المعنية والمعروفين بالجبليين وافقت على المشروع، كما وافقت عليه أيضًا الجماهير الآشورية التي كانت تسكن مناطق أورمي. أبناء عشيرة "باز" والإكليروس لم يؤيدوا الخطة ولا المشروع، وانتظروا عودة سورما. أبناء العائلة البطريركية لم يوافقوا هم أيضًا على هذا الحلّ، فانعزلوا عن إدارة المخيّم. بموازاة حصول هذه المواقف المتضادة اندلعت انتفاضة (ثورة) عربية [١٣٤] في ربوع بلاد الرافدين. هذه الإنتفاضة سببت تأخيرا في تنفيذ المشروع. محصلات سان ريمو أنتجت ردود فعل عنيفة في أوساط الشعوب العربية التي انشغلت جدًا بموضوع الإنتداب وصيغته أضافة إلى قلقها من شروط السلام الموضوعة الخاصة بتركيا بالذات. المناقشات الخاصة بتحديد معنى الإنتداب وهيكليته ومدة تطبيقه كانت تسير في الإتجاه الجيد. قرار منح الحكم الذاتي كان وعدًا قطعيا، غير أنه لم يكن هناك من يقدر أن يقول متى سيكون ذلك فيصبح واقعا حقيقيًا ومطبقًا. عند نهاية شهر حزيران من عام ١٩٢٠ اندلعت الإنتفاضة التي أشرنا إليها. إنها انقلبت إلى ثورة شعبية عارمة سرعان ما سرى أوارها وانتشر في مختلف المناطق. انتشرت في أرجاء القرى والريف الجنوبي من بلاد الرافدين المترامية الأطراف. كنتيجة لتلك الثورة، قام أبناء قبيلة "شمر" السنية بمهاجمة تلعفر التي لا تبعد عن الموصل كثيرًا. شيوخ هذه القبيلة دفعوا وشجعوا أبناء قبيلتهم على الإلتحاق بالثوار الوطنيين والعمل على قتل الإنكليز. تتابعت الأحداث الجسيمة وكثرت خاصة في مناطق الفرات الأوسط حيث قام الثوار بمهاجمة القوافل والقطارات فيسلبونها. عندئذ أصبح العصيان خارج نطاق السيطرة وانفلت زمام الأمن. في آب من نفس العام كان مخيّم بعقوبة تحت التصفية لغلقه نهائيًا. لكن رغم إجراءات التصفية لم يسلم هذا المخيم من الإعتداءات والهجمات المفاجئة. كذلك تمّ قطع طريق مندان الموصل بسبب كثرة قطاع الطرق واعتدائهم على المواطنين الأبرياء. الآشوريون لم يستسلموا

للأمر الواقع فواجهوا العدوان بدفاع شجاع مذهل أوقف العدوان عند حدوده. المندوب السامي ولسن، رأى في مقررات سان ريمو التدمير الشامل لكل جهوده التي كانت ترفض تأسيس حكومة عربية كل الرفض. جوابه للعصاة كان قاسيا وموجعا أطلاقات رشاشته كانت تزرع الموت وتحصد النفوس. بيوت العصاة كانت تدمر بمنهجية ودقة مع إصرار على منع بنائها ثانية. نتيجة لهذه المواجهة العنيفة التي نفذها الإنتداب بدت بوادر خمود الثورة تظهر للعيان بعد ثلاثة أشهر من اندلاعها وعاد الهدوء يخيم على ربوع بلاد ما بين النهرين من جديد. من الطبيعي إلى أن نشير إلى التكاليف الباهظة التي تحمّلتها البلاد بسبب تلك الثورة. التكاليف المالية زادت على الأربعين مليونا من الجنيهات الإسترلينية وأربعمائة قتيل من صفوف الجيش البريطاني. أما الجانب العربي فعدد قتلاه جاوز الألفي قتيل.

في التاسع عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٠ بدأ الآشوريون المسيرة لإستعادة حكاري، لكن للأسف الشديد أثناء المسيرة بدأت تظهر انقسامات في صفوف الآشوريين وخاصة في الأفواج المقاتلة. غاب الإنضباط العسكري ولم يعد الإلتزام به الواجب الأساس للعسكري حتى إن كان متطوعا. بعض من المقاتلين تسارعوا بأسلوب فوضوي إلى قراهم بعد مواجهات عنيفة مع الأكراد في وقت كان الشتاء وقساوته يخيمان على تلك المناطق. هذا الوضع لم يسمح لآغا بطرس تحقيق النصر الذي كان هدفه، فأضاع السيطرة على القوات التي كانت تحت إمرته وكانت بحدود ستة آلاف مقاتل مسلح. من الأقوال والحكم الشهيرة: " الإتحاد قوة" والعكس أيضًا هو صحيح إذن في " الإنشقاق ضعف " .

هذا ما حصل لقوات آغا بطرس، أي خسارة القضية بأكملها. تراجع آغا بطرس القهقرة وعاد إلى مخيّم مندان. الإنكليز لم يغفروا لآغا بطرس هذه النتيجة المحزنة واعتبروه منذئذٍ شخصًا غير مرغوب فيه (١٣٥). بعد تحقيق التغيير في الإتجاهات السياسية وحصول أحداث موجبة لذلك التغير، طلب " ولسن" استبداله، فكان له ما أراد. كان البديل السير " بيرسي كوكس" / Sir Pecy Cox الذي وصل في العشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٠ وأصبح المندوب السامي لبلاد ما بين النهرين. بعد الوصول، بدأ المندوب السامي الجديد بوضع الخطط الجديدة لحكومة صاحبة الجلالة الخاصة بالشأن العراقي. مهامه الأساسية تركزت على نشر الأمن والسلام وقبل أن يبدأ التشاور مع أبناء الشعب العراقي وتأسيس حكزمة عربية تحت رعاية الحكومة البريطانية. هكذا قلبت صفحة من تاريخ الإمبراطورية البريطانية وفتحت أخرى جديدة، وهذا ما انطبق على الآشوريين وتاريخهم.

بين المطرقة والسندان

في نهايات العام ١٩٢٠، كانت ملامح مستقبل الآشوريين حالكة جداً. النظام العشائري القديم لم يعد يستقيم مع نتائج كارثة الجلاء الجماعي/ النزوح القسري ولا مع الصراعات الداخلية الراسخة في أعماق قلوب الجماهير. وفاة البطريرك الشاب مار بولس المبكرة جعلت كنيسة المشرق جسداً مقطوع الرأس. لم يكن قد بقي من اكليروسها الأسقفي سوى أربعة مطارين، أي أربع أبرشيات فقط. عندئذ حصلت الإنشقاقات وبانت الإختلافات في وضح النهار، بينما كانت حركات القوميين الأتراك والعرب تعمل بجد وفي أوج نشاطها. نصوص إتفاقية سيفر لم تكن تبقي للآشوريين إلاَ بصيصاً من الأمل ضعيف قد يكون نوعاً من الحكم الذاتي في أحضان كردستان مستقل. إضافة إلى ذلك كان هناك موضوع ارتباطهم الوثيق بالإنكليز الذي كان يسمم أجواء وضعهم مع جيرانهم. تركيا الحديثة لم تكن ترفع أنظار مطامعها عن ولاية الموصل. أما الأكراد فكانوا يبدون عدم رضاهم وكرههم الشديد لتصنيفهم مع الطوابير التي شاركت في مذابح المسيحيين. موضوع تأسيس حكومة عربية كان يُقلق الأكراد قلقاً شديداً. الآشوريين بدورهم كانوا يشعرون أنهم مطوقون من كل الجهات، فسألوا انفسهم ما العمل؟ ومع من علينا أن نتفاهم؟ هذا في الوقت الذي كانت فيه الأحداث في زخم جريانها وبتسارع مذهل. الشعب الآشوري كان في تفكك وتشرذم بسبب ثقل الوقائع الثابتة التي تعاديه. إلى أي إتجاه يجب إدارة دفة الآمال لهذا الشعب المظلوم؟ كيف يمكن الحصول على الأسلحة اللازمة لضمان الحماية الضرورية؟ كل هذه الأفكار وغيرها الكثير كانت تملأ عقل سورما وتقلقها ليل نهار. كانت بريطانيا إلى جانب الآشوريين، وكالت لهم الوعود المغرية منذ مغادرة الروس، فصدقوها وانتظروا التطبيق من قبل حكومة لندن. كانت بريطانيا العظمى أمام أنظار الآشوريين ومنطقهم رمزاً للحليف المسيحي غير قابل الإستغناء عنه، الذي به يمكنهم مواجهة العالم الإسلامي الذي يحاصرهم، إضافة إلى ضغوطات القومين الجدد الممثلين لتهديد دائم لتطلعات الشعب الآشوري. رأي سورما بخصوص كل هذا الواقع الأليم لم يكن يختلف عن أراء الكثيرين من أبناء الشعب الآشوري. بعد إخفاق أغا بطرس في تحقيق هدف العودة إلى الوطن. أقترح المندوب السامي البريطاني ولسن تأسيس حبيسة (أرض مطوقة enclave) آشورية في المناطق المجاورة للعمادية، لكن بعد التغييرات والمستجدات الحاصلة هل هناك من حلّ آخر؟ وهل يا ترى المندوب السامي الجديد السير بيرسي كوكس هو مع الفكرة ويساند المبادرة؟ هذا مع العلم أنّ بعض الآشوريين سبق لهم أن اطمأنوا إلى هذه المناطق وسكنوا فيها. حضور الآشوريين في المنطقة واستيطانهم لها سيدفع الأتراك والأكراد لمضايقة الإنكليز وأزعاجهم. لندن نظرت إلى هذا الحدث بعين الرضى. غير أنّه رغم هذا الموقف الإجابي من قبل بريطانيا صارت تعمل على تأخير التطبيق جغرافيًا (فرز الأراضي وتعيين الحدود). هذه المرة أيضًا تردد الإنكليز في أتخاذ القرار الحازم بعد أن

أبدوا تقييمهم العالي للمساهمة العسكرية الفعالة للآشوريين أيام الحرب. إنهم لم يقفوا الوقفة الحاسمة لصالح الآشوريين. الإنكليز وبصريح العبارة استغلوا الآشوريين لتحقيق مصالح بريطانيا الذاتية والتي لم تكن قد إتضحت معالمها. سورما كانت في خضمّ كل هذه المشاكل تفهم جيدا وبكل تفصيل وعمق ما تعنيه الأوضاع وما مسارها. إنها كانت تعلم أن مجال نشاطها في كل هذه المواضيع ضيق ومحدود. إذن عودتها إلى بلاد ما بين النهرين لم تكن تشكل الثقل الفعال ولا يمكنها أن تعطي المردود الكبير الضروري. هذه الحقيقة لم تفلّ من عضد سورما أو تقلل من نشاطها فاندفعت بشجاعة الرجال وواجهت الجبهة المعادية ببطولة وبسالة منقطعة النظير.

العودة إلى بلاد ما بين النهرين

لقاء مع جيرترود بيل

غادرت سورما لندن يوم الثلاثين من آب عام ١٩٢٠ يرافقها الراعي ويكرام. أخذا الباخرة المتجهة إلى البصرة من Playmouth عند الوصول إلى مدينة البصرة كان عليهما الأخذ في نظر الإعتبار أنّ السفر إلى بغداد بالقطار على الخط الحديدي الذي تمّ مدّه يستغرق ثلاثين ساعة. إسم هذا الخط كان خط بغداد البصرة ويمر عبر أراض رملية، أحيانًا يخترق هضاب وتلول قليلة الإرتفاع فينساب بينها ملتويا التواء الأفعى. كانت عربات القطار شديدة الإهتزاز. كان الإثنان منشغلين بالتفكير في الصعوبات التي يواجهانها وإمكانية التغلب عليها. هذا التفكير أشغلهما عن تحسس أتعاب السفر والتمتع بالمناظر الجميلة التي يشاهدانها عبر نوافذ القطار. بعد الوصول إلى بغداد، أقامت فيها شهر تشرين أول بكامله. كان جو بغداد مشحونا بالعداء والكراهية. ما يعني الآشوريين، كان الوضع الذي يلاقونه وضعا مؤلما مملوء بالمضايقات وبشكل لم يسبق لهم أن لاقوا مثله. حاولت سورما بنشاط وحيوية جمع الصفوف وتوحيد الأراء وتوجيهها نحو أهداف محددة يكون لها تأثير على مجريات الأمور والقرارات المستقبلية. القضايا العديدة التي لم يتم التوصل لحلّ لها كانت تشغل بال سورما وترهقها فتبقى مستيقظة طوال الليل ولا تعرف للنوم من طعم. أحيانًا كان الشك والقلق يملآن جوانب تفكيرها بخصوص إغتيال أخيها البطريرك مار بنيامين. غيابه عن ساحة النضال شكل خسارة فادحة لا تعوّض. حينذاك لم يبقَ لها من معز سوى الصلاة. بها كانت تتغلب على القلق والخوف من المستقبل الرهيب المتوقع. قابلت سورما في بغداد جيرترود بيل الشخصية البريطانية الشهيرة والوجه النسائي المؤثر في أحداث الشرق الأوسط أيامئذ. كانت بيل تتقن الفارسية والعربية، كانت تشبه إلى حدّ كبير زميلها الشهير "لورانس الرب". المسز بيل هي أول بريطانية حاملة شهادة جامعية من أكسفورد. قامت برحلات عديدة إلى الشرق الأوسط. بين الأعوام ١٨٩٩ و ١٩١٤، كانت بيل خلال رحلاتها تلك تنظم بعثات أثرية عملت في أقطار الشرق الأوسط..

لذا كانت من الآثاريين المرموقين وكاتبة معروفة ألفت الكتب ودبجت التقارير الكثيرة. من كتبها ذات التأثير الكبير على الرأي العام كتاب The Desert and the sown الذي نشرته عام ١٩٠٧ . عن هذا الكتاب علقت جريدة التايمز اللندنية فقالت: " إنه كتاب مشرق جذاب خاصة ملحقه الأدبي" . إشتهرت بيل بكونها أكبر مطلعة بشؤون بلاد ما بين النهرين وبدقة متناهية. كتبت عن هذه البلاد من نواحٍ عديدة وبتفصيل، أحبت هذه الأرض ورغبت العيش فيها. في عام ١٩١١ نشرت كتابها Amurath to Amurath الذي هو عبارة عن "سجلٍ لحوليات رحلتها إلى بلاد الرافدين" فيه كتبت عن السكان وغنى البلاد الآثاري. تعلقها الشديد بقيم ذلك العصر وانجذابها إلى الشرق دفعاها نحو محاولة تفهم أسرار المنطقة التي سكنت حواليها العشائر الأشد قوة. بعد إندلاع الحرب العظمى طلبت الحكومة البريطانية من بيل العمل مع الطاقم الخاص بها والذي كان يُدير شؤون الشرق الأوسط. فعملت أولا ولبضعة أشهر في دوائر الإستخبارات في القاهرة. هناك اختصت بالشؤون العربية ومنها العلاقات بين القبائل خاصة. بعد ذلك إنتقلت للعمل إلى بلاد ما بين النهرين، فعملت أولا في البصرة ومنها إنتقلت إلى بغداد. في عام ١٩١٨ نشرت كتابها بعنوان " عرب بلاد ما بين النهرين" من دون أن تذكر اسمها عليه. في عام ١٩٢٠ نشرت كتابًا آخر بعنوان "نظرة عامة على الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين" . صدر هذا الكتاب في لندن. هكذا أصبحت شخصية المسز بيل شخصية مهمة لا يمكن لمن يريد البحث في قضايا الإستعمار والإقليمية تجاوزها. كانت المسز بيل عيون الحكومة البريطانية وآذانها في المنطقة علاوة على أنها كانت المستشارة الأولى ذات الكلمة المسموعة لدى دوائر القرار. استقبلت "جيرترود بيل" العديد من الشخصيات العربية المهمة لغرض الإستشارة واستعراض وجهات النظر. بعض من الشخصيات المرموقة أعطوا المسز بيل كنية " أم المؤمنين" [١٣٦] لسعة باعها في المعرفة والتأثير.

عندما اقتربت سورما من مبنى بيت المسز بيل اندهشت من كثرة أنواع الطيور الموجود في هذه البلاد. مع امتداد الشاطئ رأت وبلمح البصر طيور مائية طويلة السيقان وأنواع البط والهدهد والمازور (طائر من القواطع - المترجم) كانت كل هذه الأنواع من الطيور تختفي بين القصب أو تهدر / تبقبق في المياه الرقراقة. كان البيت واقعا على بعد قليل من ضجيج المدينة وصخبها مطلا على مجرى النهر وطيوره المتنوعة. كانت تحيطه حديقة عامرة بأنواع الزهور والأوراد الزكية الرائحة والأشجار المثمرة المتنوعة، كما كانت هناك لاحات عديدة زرعت بمختلف الخضراوات الشهيرة المعروفة لدى البغداديين. كان المسكن جميلا وجوه منعشًا لهبوب تيارات الهواء الباردة الآتية من مجرى النهر القريب من البيت. كان المسكن يحتوى على غرف عديدة ومؤثثة بآثاث فاخرة فجعلت المكان مريحًا ومناسبًا لإجراء المباحثات والمناقشات المهمة الخاصة بالشؤون العالمية. زار المسز بيل كما سبق أن أشرنا شخصيات كثيرة ومهمة. فكان بين زوارها الدبلوماسي والسياسي ورجل الدين

وبعض من علية القوم ووجوه المدينة المعروفين، هذا إضافة إلى العسكريين وطلاّب المناصب. كانت المسز بيل تستقبل عادة ضيوفها بنفسها. كانت دائمة الإبتسامة ومحياها مشرق. تلبس ثوبا طويلا من الحرير بتحزيزات ناشزة عند الرقبة حيث تتدلى قلادة من اللؤلؤ الناعم جلبت لها من شواطئ المحيط الهندي. كانت تثبت عادة فوق القلادة أصلية لفرو ثعالب (الأصلية قبة كانت النساء تضعنها على أعناقهنّ تشبه الثعبان -المترجم) وتضع على رأسها شفقة تزينها الورود. بهذا الزي عرف البغداديون المسز بيل واشتهرت به كما كان مثار جدل ونقاش. من بين الذين زاروا المسز بيل بعض العسكريين البريطانيين ومن بينهم تحديدًا جورج ريد.

زيارة سورما للمسز بيل هذه لم تكن الأولى أو للتعرف عليها لأنه سبق وان زارت بيل الآشوريين في مخيّمهم في بعقوبة عام ١٩١٨ . وقد كتبت عن تلك الزيارة لأبيها Hugh Bell التالي: "بعد ذلك بيومين، زرتُ مخيم اللاجئين النساطرة في بعقوبة، كنتُ برفقة الجنرال Lubback وكان معنا Stuart Wortley، كان عددهم بحدود الـ (٨٠٠٠٠) [١٣٧] نسمة. لم تفت "المسز بيل" أيّ حركة من تحركات هذا الشعب. رغم إقامتها على أرض بلاد ما بين النهرين المشرقية الأصالة مدة طويلة، فإنها لم تتخلَ أو تتغافل عن عاداتها وتقاليدها الغربية. تربيتها وأصولها بقيت هي هي. تصرفاتها بقيت مطبوعة بالملامح الإنكليزية الأرستقراطية. المشرفون على الخدمة في بيتها كانوا يقدمون الشاي والقفازات في أيديهم، يقدمونه في أقداح هي من الزجاجيات الشهيرة المستوردة من منطقة Maples البريطانية كانت المناقشات تجري وقعقعات الأقداح تُسمع عالية وكما كانت العادة جارية في بيت المسز بيل فتزيد من بهجة المكان وإطمئنان الزائرين. في هكذا جوٍّ جرت مقابلة سورما للمسز بيل. إفتتحت بيل الحديث بالقول: "السيد ولسن المندوب السامي المغادر هو على أهبة الرحيل. بديله سيكون السيد بيرسي كوكس. إنه رجل دولى متمرّس في الشؤون الدبلوماسية. إنه محترم من قبل الجميع وذو خبرة دقيقة بأمور الشرق المتعددة الألوان في كل النواحي. اللورد كورزون كلفه بالبحث عن منطقة جديدة يتوفر فيها الأمن على أن تكون في منطقة الشرق الأوسط. على شرط أن لا يكون هناك إخلال بالنظام أو إثارة فوّضى. سيستلم السيد بيرسي كوكس مهامه في الحادي عشر من تشرين أول القادم. بالتأكيد إنه سيقوم بتسمية مجلس شورى عربي ورئيس يكون على رأس وزارة محددة المعالم. كل ذلك سيكون تحت رقابة بريطانية".

كانت جيرترود بيل من بين أعضاء الجوقة المقتنعة تمام الإقتناع بضرورة تشكيل حكومة عربية في العراق. هذا الموقف جعلها في صفوف المعارضة العلنية لآراء ولسن المندوب السامي المغادر ومؤيديه التي كانت تهدف وصاية بريطانية تامة على هذا البلاد، بوصول بيرسي كوكس اختفت الآمال المعقودة على أن يكون للإنكليز القدرة على ممارسة تأثيرهم وتفعيل علاقاتهم لمنع كل ما يُشوّش الأوضاع ويُغرق البلاد بين أمواج الفوضى والتخريب.

أيدت سورما الفكرة مبدئيًا، لكنها أبدت قلقها علانية فعلقت قائلة: "إني أعتبر مغادرة ولسن الفجائية وبهذه العجالة باعثا لمزيد من القلق". كما أنّ العمل لتسمية حكومة عربية يدفعها لأن تتوقع أن ذلك سيكون حتما وسيلة لتأخير العمل لإيجاد حلول للقضية الآشورية". تعليق المسز بيل على ما قالته سورما كان: "بناء على صلاحيات السيد بيرسي كوكس كمندوب سامٍ، ستحتفظ بريطانيا بدور مهم في رسم خارطة هذه البلاد، وسواء كان ذلك من ناحية السياسة الخارجية أو الداخلية هذا بالإضافة إلى تحديد ورسم الحدود. ما هو أكيد اليوم، شعبكم لا يمكنه استعادة وطنه في حكاري، غير أنّ ذلك لا يعني بالضرورة عدم وجود إمكانية لتأسيس "حبيسة آشورية" في الشمال. بخصوص هذا الموضوع بالتحديد، الإثنان - السير بيرسي كوكس والسير ولسن متفقان في الرأي. السير كوكس سيعمل في هذا الإتجاه آملا أن الحكومة ستدعمه في ذلك باتخاذها القرارات الضرورية. الآن وبينما أنا أحدّثك الأمور تسير في هذه الإتجاه، طالما مخيمات اللاجئين الآشوريين هي تحت إجراءات الغلق النهائي، وهذا بالتأكيد يُشير إلى أنّ هناك ضرورة ملحة لإسكان جماهيركم الآشورية. نحن على تمام الإستعداد لمعاونتك في هذا الشأن".

عندما حلّ الظلام، بدأ الضيوف بالمغادرة، سورما إنسحبت بدورها، وعزمت على أن تقضي فصل الشتاء في الموصل قرب أفراد عائلتها وانتظارًا للعثور على سكن مناسب (موطن) وأكثر ملائمة لنمط حياة الآشوريين. عن مقابلة سورما للمسز جيرترود بيل التي تحدثنا عنها أعلاه، نقرأ في إحدى رسائلها الأخيرة الموجهة إلى أهلها والمؤرخة في ١٠/١١/١٩٢٠: "منذ مدة قصيرة حظيتُ بزيارة سيدة آشورية تختلف كل الإختلاف عن بنات طائفتها. إنها اخت البطريرك الراحل "مار شمعون بولس". وعمة البطريرك الذي خلفه (الحالي) والذي لا يزيد عمره على(١٢) عامًا، إسمها سورما، وهي سيدة عازبة جميلة وحادة الذكاء، بشرتها سمراء، شعرها أبيض، محياها ذو مهابة وجلال، هي وأخوها يكونان الإطار الخارجي الذي يجمع الشعب الآشوري. عادت من بريطانيا في التو بعد إقامة إمتدت لسنة. الآن تفكر في الإقامة في الموصل. اللاجئون الآشوريون من النساطرة الذين أقاموا في مخيم بعقوبة غادروا المخيم وذهبوا لاجئين في مخيمات أخرى تقع على بعد (١٦) كم. عن مدينة الموصل وكلهم أمل للعودة إلى موطنهم الأصلي. الآن، ونظرًا لقربنا من نهاية العام سيكون من الصعب جدًا التوجه إلى تلك المناطق الجبلية. وفق معلوماتي، الأكراد المحليون قرروا معارضة عودة الآشوريين إلى موطنهم الأصلي حتى وإنّ كلفهم ذلك حياتهم. الأكراد سوف لن يتخلوا عن الأراضي التي أضافوها (إحتلوها) إلى أراضيهم خلال الفترة الأخيرة المنصرمة. إذن المشروع الذي نحن في صدد تحقيقه ليس بالأمر السهل أو الهين. حاليا، اتخذت سورما قرارًا للإقامة في الموصل في بيت تسكنه عائلتها هناك" [١٣٨] (...).

رافق جورج ريد سورما إلى مسكنها (في بغداد)، فتهيأت الفرصة بسبب وقت فراغ مكنه تأمل

جمال سورما وجاذبيتها التي بقيت علامة فارقة لشخصيتها رغم شعرها الذي وخطه الشيب. بعد مرور عام على غيابها ها هي ملتحقة ثانية بأفراد العائلة أي أخويها داوود وزيا وأختها رومي وأبناء وبنات الإخوة والأخت، الآخرون كانوا من يهمها أمرهم كثيرًا. لقد إشتاقت إليهم إشتياقا كبيرًا. تساءلت سورما عن ردة الفعل لدى إبن أخيها مار إيشاي عندما أُختير للمنصب البطريركي. أسرّت سورما إلى جورج بحديث خاص به كلفته إبلاغ البطريرك الجديد أنها على إستعداد لتستلم الأمور من جديد بيديها والعمل لإيجاد جماعة موّحدة حواليه (البطريرك). لتحقيق خطتها اتخذت قرارًا بموجبه يقوم البطريرك بجولة بصحبتها في القرى التي تقطنها جماهير الآشوريين للمشاركة في احتفالات تكريس الكنائس الجديدة. كان نشاط سورما وفعاليتها خلال هذه الفترة كالسابق مما دفع الآشوريين لمزيد من الإعجاب بها وبالشخصية التي عرفها بها وهي شابة ذكية وذات حيوية وتصميم لا يجاريان. ذلك الإعجاب شمل كل الشخصيات التي تعرّفت عليها بعد عودتها من بريطانيا. مساءً، وبعد أن إلتقت الأحبة، كان الفرح يرتسم على وجهها المشرق لكن بشكل غير طبيعي وحقيقي لأن خلف كل تلك المظاهر كان يكمن حزنا عميقًا وهما مرهقا كانت تتحمله منذ أعوام خمسة مضت بتثاقل ولا زالت تتحمله بصبر وجلد. مستقبل الشعب الآشوري بقي مجهولا في حساباتها. القضية الآشورية أخذت تفقد بريقها شيئًا فشيئًا بسبب التعقيدات الطارئة على الأحداث الجارية في الشرق الأوسط. نكبات الحرب كلفت عشرات ومئات الألوف من البشر ولا زالت نتائجها تنذر بالمزيد.

الإقامة في الموصل

غادرت سورما بغداد وهي تصغي إلى هديل الحمام البري الهادئ وزقزقة العصافير وهي تطير فوق رأسها، فابتعدت عن بغداد قليلا فقليلا حتى إختفت معالمها. توالت المناظر وتغيرت تمامًا. عند الإقتراب من مدينة الموصل حاضرة الشمال الكبرى، رأت في الجهة الثانية منها آثار نينوى العظيمة التي سطرت صفحة من تاريخ مشرق على عهد الإمبراطورية الآشورية التي امتدت سلطتها من البحر الأبيض المتوسط غربا حتى أواسط آسيا شرقا. كانت الموصل المركز التجاري الرئيسي، ونقطة إنطلاق القوافل المارة بها والمغادرة منها إلى كل الإتجاهات. لهذا إنها كانت على مرّ العصور هدفا لمطامع الأعداء. موقعها على نهر دجلة الخالد جعلها نقطة لإنطلاق ملاحة نهرية مهمة نظرًا لقربها من المنطقة الجبلية. مجرى دجلة يحيط بمدينة الموصل ويدور حولها بهدوء وجمالية ومنذ أقدم الأزمنة. إلى الغرب منها يقع جبل سنجار المتسلط على طرق القوافل الذاهبة إلى سوريا. أما إلى الشرق منها، فهناك جبل مقلوب وسلسلة جبال حمرين المتقطعة هنا وهناك والتي كانت ملاجئ أمينة لأجداد القبائل الكردية. في سهول نينوى الشاسعة ذات التربة الغنية والمياه الكثيرة

الضرورية للسقي زرع الفلاح الحنطة والشعير وغيرها من المحاصيل، فحقق ناتجًا وفيرًا إشتهرت به هذه الربوع وأصبحت تعرف بمركز أهراء بلاد ما بين النهرين. تعتبر نينوى من أقدم العواصم التي عرفها العالم. يرجع تاريخ تأسيسها إلى الألف السادس ق. م. في زمن الملك سنحاريب أصبحت نينوى عاصمة للآشوريين. فيها أسس آشور بانيبال مكتبته الشهيرة. عبر نينوى مرّت جيوش الإسكندر الكبير (المقدوني) وجيش صلاح الدين وجحافل تيمورلنك التي دمرتها بالتمام وقضت على البقية الباقية من معالمها آنذاك. منذ أزمنة سحيقة كانت الموصل مركز تجمع القوافل القادمة والذاهبة إلى مختلف الجهات. كانت الموصل حلقة الوصل ما بين سوريا غربًا وبلاد فارس شرقا. بعد انتصارات العرب عام ٦٤١ م. أصبحت الموصل المركز التجاري الأهم للجزء العلوي من بلاد ما بين النهرين. إشتهرت الموصل بنسيجها القطني الناعم والخفيف المعروف بـ " الموسلين" أو فقط بـ " نسيج الموصل" . اشتهار هذا النسيج بـ " الموسلين" كان منذ مطلع القرن السابع عشر، وكانت القوافل تنقل الموزلين محملا على ظهور الجمال أو معبأ في عنابر البواخر أو صناديق خاصة يجلبها تجار جنوه.

تضاعفت أهمية مدينة الموصل التي كان عدد سكانها عام ١٩٢٠ لا يزيد على (٤٠٠٠٠) نسمة منذ بداية القرن العشرين لوجود السهول الواسعة التي تحتوي في أعماقها ثروة هائلة من الذهب الأسود، الذي أسال لعاب الدول العظمى فاستماتت لإستثماره من منابعه المنتشرة في هذه السهول. أهمية النفط كمصدر طاقة بديلة عن الفحم الحجري. وضعت أسسًا لأهداف أساسية بإمكانها تحقيق مشاريع مستقبلية مهمة، منها رسم الحدود التركية العراقية. استقرّ الآشوريون الجبليون كلاجئين في مخيمات شيدت في أطراف الموصل. مشاهدة تلك المخيمات أصبحت من الأمور المألوفة. يا لسخرية الأقدار ها هو التاريخ يُعيد أحداثه أمام الأنظار لكن بصورة معكوسة. في ماضي الزمان ألم يكن سكان هذه الأراضي التي عرفت بـ " أرض آثور " آشور " يتفاخرون بعظمتها مرفوعي الرأس! في القرن الميلادي السادس ق. م. كان سهل الموصل وروابيه المجاورة ضمن المقاطعة الكنسية الشهيرة " حدياب " التي كانت تضم أبرشيتا (الأبرشية تنظيم إداري كنسي –المترجم) "بيث نوهدرا " ونينوى. كل هذه المناطق كانت موطنا للمسيحيين التابعين لكنيسة المشرق. الأديرة التي انتشرت في هذه الربوع تمّ تشييدها منذ فجر المسيحية في هذه البلاد. من تلك الأديرة. دير مار متى (الشيخ متي) ودير مار ميخائيل ودير مار إيليا ودير ما كيوركيس. كل هذه الأديرة كانت في الأصل لكنيسة المشرق وتتبعها إداريا. بالإنفصال عن الكنيسة الأم حصل ما نسميه بالمزائيك الجميل. في القرن الميلادي الرابع تأسس دير مار متى المدهش. بني هذا الدير على قمة جبل مقلوب. بلغ عدد الرهبان الذين كانوا يسكنون فيه أو في المغائر المجاورة في بعض الأحيان سبعة آلاف راهب وناسك. كان دومًا مركزًا مهما للعبادة والصلاة والحج. كانت جماهير المسيحيين من نساطرة وكلدان وسريان

تأتيه للزيارة والتبرك. دير مار ميخائيل هو الآخر من الأديرة القديمة. بُني في القرن الميلادي الرابع قرب نهر دجلة في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الموصل. في القرن الميلادي السادس تمّ تأسيس دير آخر هو دير مار إيليا. ويقع في الناحية الجنوبية الغربية من الموصل. كان الغرض من تأسيسه استقبال و إسكان طلاب مدرسة نصيبين الذائعة الصيت. أما دير مار كيوركيس فبناؤه كان في القرن الميلادي العاشر ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الموصل منه تخرج البطريرك اللامع مار عبد يشوع الأول، الذي يُعرف لدى الغربيين بـ Ebedjesus (١٣٩)، حتى القرن الثالث عشر كانت المنطقة الشمالية من بلاد ما بين النهرين تشكل وبكل تأكيد المنطقة القلبية في جسم كنيسة المشرق. الإجتياحات الهمجية للمغول ومن بعدهم للعثمانيين أضعفت هذه الكنيسة، هذا بالإضافة إلى الصراعات الداخلية التي غذتها ودعمتها مساندات أجنبية ونشاطات محمومة قام بها مبشرون غربيون فأدّت إلى توجه أعداد كبيرة من المؤمنين التابعين لكنيسة المشرق وشجعتهم للإلتحاق بصفوف أبناء الكنيسة الكلدانية التي مثلت العمود الفقري والشرخ الأكبر في هيكل كنيسة المشرق. نعني بذلك الإنشقاق العظيم الذي حصل عام ١٥٥٣ م.

إستقر المقام أخيرًا بأفراد عائلة البيت البطريركي في مدينة الموصل نفسها. كان المقرّ بيت إعتيادي يُشبه غيره من البيوت. منظر البيوت من الخارج كان موحدًا وبلون رمادي الجدران. كانت البيوت مبنية من طينٍ مجبول ومجفف بالشمس فيعكس الأشعة ويحتفظ بالحرارة. داخل الجدران العالية والملساء كانت تحصل نشاطات حياتية مشبعة بالمحبة والتفاني التي تميز شعوب الشرق عامة. شبابيك الغرف كانت تطلّ على الفناء الداخلي الوسطي. وفيها يطيب الجلوس. الأسرار الداخلية الخاصة بحياة السكان كانت تختلف وتتباين مع وفرة الحيوية المفرطة وهرج الحياة في الخارج. إعتمدت الحياة في مدينة الموصل على المقايضة والأتجار والتسكع / البطالة، (لعدم توفر العمل) الوضع لجماهير الآشوريين اللاجئين كان وضعا محرجا ومؤلما لأنه صعب عليهم التأقلم مع المجتمع الجديد. الطرقات الضيقة يتيه فيها الغريب لتشابهها وتماثلها. الإستدارة فيها غالبًا ما تكون بزاوية قائمة البيوت مصفوفة بمستطيلات متوازية. تتابع الحمير متجولة في تلك الطرقات حاملة البضائع أو المياه لمن يحتاجها. النقوش القليلة التي تشبه الرسوم على الخزانات والأثاث الخشبية كانت مرصوصة على الجدران فتجعل المنظر رتيبا ولكن لحسن الحظ مختلفًا بين حيّ وآخر. منظر سوق النحاسين (الصفافير الذين يصنعون القدور والمعدات المطبخية) يختلف عن منظر سوق الإسكافيين،، سوق بائعي الأقمشة عن سوق الفخارين، سوق الصاغة عن سوق القصابين. في هذه الأسواق كان الزائر يرى العمال يعملون بصبر مدهش كما كان هناك الهرج والصخب في بعض تلك الأسواق. هنا كانت قدور تطرق بنغمة وكأنها موسيقة رتيبة. وهناك طاولة نشرت عليها جلود الحيوانات المدبوغة لقطع أجزاء يحتاجها الإسكافي بسكينه الحادة. السوق

الذي امتاز بالضوضاء الأكبر كان سوق الخضار الذي هو فسحة (ساحة) تجمهر فيها باعة مختلف أنواع الخضار والفاكهة كالبطيخ والرقي والطماطة والخيار. أحيانًا كان هناك أيضًا باعة للحلويات. في هذا الزحام المنقطع النظير كان هناك مقاعد من الخيزران أو القصب وجريد النخيل يجلس عليها المارون لتناول قدح من الشاي أو القهوة أو لتدخين غليون من التبغ. في هكذا مجتمع جديد كانت تمرّ حياة سورما وعليها تحمله والقبول به .

الكلدو آشوريون بيادق في أيدي اللاعبين الكبار

سجل التاريخ للمسيحيين حضورًا مهما خلال قرون عديدة في بلاد ما بين النهرين.إنهم قد شاركوا في بناء الحضارة. اليوم كل ذلك أصبح من الماضي المنسي. أحفادهم أصبحوا مخذولين، لا دور لهم يذكر. إنهم يعيشون الخذلان والحذر ولا أمل لهم بالمستقبل. قبل الحرب كان الآشوريون الجبليون يعيشون حياتهم في شبه استقلال طبيعي تام. يدير مجتمعهم نظام عشائري. الكل يعمل تحت سلطة البطريرك مار شمعون. بقوا يعيشون في جبال حكاري وعلى تخومها حتى جاء اليوم الذي أجبروا فيه على الجلاء الجماعي، فتركوا تلك الجبال. قبل الإنصياع للظروف القاهرة أبدوا مقاومة عنيدة للبقاء في موطنهم. بعد المغادرة حاولوا بشجاعة مدهشة العودة واسترجاع الأراضي والأملاك. الرجال منهم وأيضًا النساء تمرسوا على حالة اللجوء وتعلموا منها الكثير. أغلبيتهم فهمت الألاعيب السياسية وتعلمت خلفياتها بإتقان. بقوا دومًا يعيشون حلم إعادة تأسيس إمبراطورية آشورية حديثة. لكن ومع الأسف الشديد حلمهم ذاك اصطدم بواقع مرير أيقظهم فندموا ولآت ساعة مندم. استيقظوا فرأوا أنفسهم منقسمين على بعضهم ودون خبرة عميقة بالأمور السياسية. عند عودة سورما من سفرتها وجدت أبناء شعبها في اقتتال وتنازع خطير إنهم أصبحوا شراذم مبعثرة وفي حالة لم يعرفوا مثلها أبدًا. الكلدان من السكان الأصليين لم يكونوا راغبين في التدخل في الشؤون الداخلية الخاصة بالآشوريين الجبليين. إلى جانب ذلك كان هناك فئتان متصارعتان إحداهما تؤيد البطريرك مار شمعون والأخرى تقف ضده. الكتلة المؤيّدة لمار شمعون ونظرًا لنشاطها و إستمراريتها تمكنت من البقاء حية في ربوع ما بين النهرين. إنقسام الآشوريين على بعضهم خدم قوات الإنتداب وأفادهم كثيرًا بعد أن عرفت تلك القوات الإستفادة من تلك الفرصة المتاحة. فجذبت بعض المتعاونين معها وشجعتهم على الإنخراط في صفوف الأفواج التي شكلتها. لعبت كل من فرنسا دولة الإنتداب على سوريا وبريطانيا دولة الإنتداب على العراق على تلك الاختلافات لعبة قذرة. الآشوريون الجبليون بقوا مصرين على ارتباطهم ببريطانيا العظمى بينما الكلدان كان ارتباطهم أقوى بالفرنسيين ودولتهم. تمثل الأرتباط الثاني / الكلداني الفرنسي/ بالشخصيتين البارزتين: أغا بطرس وملك قمبر تشجيعا لهذا التوجه ألقيت الخطب وأعطيت التصريحات الملهبة للمشاعر برعاية الكنيسة الكلدانية

ورجالاتها الرعاة للمؤمنين وعلى رأسهم البطريرك مار يوسف عمانوئيل الثاني توما (١٩٠٠- ١٩٤٧). في عام ١٩٠٠ النائب البطريركي المطران أوجين منا طلب من الرجال الذهاب وراء الخط الفرنسي. الطبقة العامة قبلت الرأي بغباوة عند الإستماع إلى هذا المطران وهو يقول بالحرف الواحد: "إننا سنغشّ أنفسنا وسنكون غير عادلين إذا ما لم نتبع فرنسا اليوم التي جاءت لتطرق بابنا وقد أدماها المشوار للوصول إلينا وتقديم المساعدة التي نحتاجها في إسترجاع حقوقنا أمام أعين العالم أجمع. رفضنا مساعدتها يعني الغباء بعينه. فرنسا هي الدولة المنتصرة بلادنا المحررة على أياديها. نعم إخوتي الأعزاء علينا أن نكون طيعين لفرنسا وممثليها [١٤٠] الأمينين.

لم يبخل الممثلون الرسميون للسلطات الفرنسية بجهودهم لتشجيع الكلدو آشوريين للإنخراط في العملية بتلميع وعود "بحكم ذاتي"، لكن كل تلك الوعود كانت من دون تحديد حيث لم يبينوا أين سيكون موقع المنطقة التي ستتمتع بذلك الحكم الذاتي ولا متى سيتحقق. في الخارج كانت تظهر فرنسا ذاتها أنها بلد كاثوليكي وحامية للأقليات المسيحية الموجودة في الشرق. هذا كان نهج اتجاهات السياسة الفرنسية. وكانت تكشف عن ذاتها أنها يقظة تجاه كل ما كان يحصل للمسيحيين الشرقيين وتتابعه باهتمام بالغ. كذلك كانت تعتبر المسيحية في هذه البلدان الهدف الرئيسي الذي تعمل لأجله. كانت أيضًا تراقب بحذر تنامي تأثير الإنكليز على الآشوريين الجبليين بعين الحذر والحقد. منذ البدايات الأولى قام الدبلوماسيون الفرنسيون بإحاطة حكوماتهم بكل ما يفعله الإنكليز وأنذروها بالمخاطر التي ستنجم عنها. في الثامن من أيلول عام ١٩١٩ وجه القائم بالأعمال في القنصلية الفرنسية في بلاد ما بين النهرين / M. Roux السيد رو رسالته الشهيرة إلى وزير الخارجية الفرنسي يومئذ M. S. Pichon قال فيها: "هذه الوضعية تستوجب اهتمام الحكومة الفرنسية البالغ، إني أعني بذلك مستقبل جماهير واسعة تقف إلى جانبنا أن لم أقل إنها تحت سيطرتنا. إنها تعرف ثقافتنا وتحبها. هذه الجماهير هي أدوات اللعبة. لذلك إننا سنخسر زبوننا مهما لو خسرنا هذه الجماهير بتركنا لها دون عون أو إهتمام فعلي [١٤١].

ملاحظات هذه الرسالة كشفت الرفض الفرنسي القاطع لإتجاهات سياسة الإنكليز بخصوص وضع المسيحية الكاثوليكية في بلاد ما بين النهرين الزبون المفترض في نصّ الرسالة وأنه قد أصبح موضوع رهان لهاتين القوتين والمتنافستين من خلال صراع خفي غرضه كسب تأثيره الفعال في حساباتهما الإستراتيجية. إقحام الإقليات المسيحية في اللعبة الدولية واعتبارها بيدقًا يلعبون به ولغايات ميكافيلية كان ممارسة مدروسة مقدّما وعلى أساسها تمّ الإتفاق على إقتسام الغنائم بين اللاعبين. هذه المحصلة المنهجية فتحت بابا نموذجيًا يسمح بالدخول إلى الحلبة وتقوية وتفعيل الحضور في هذه البلاد. رغم ذلك. لم توقف سورما نشاطاتها أو تعطلها، بل إنما استمرت في لعب دورها كوصية بنشاط وشجاعة مذهلين. إبتداءً من كانون ثاني عام ١٩٢١ قامت بأول عمل

خططت له وهو تقوية علاقاتها مع أبناء الشعب بواسطة جولات منهكة وبرفقة إبن أخيها البطريرك مار شمعون إيشاي.

تأملات على أطلال نينوى

عملت سورما جهدًا كبيُرا لإقتطاع بعض الوقت من نشاطها فتذهب لزيارة ومشاهدة بقايا آثار نينوى العظيمة عاصمة الآشوريين فتقف على أطلالها متأملة تاريخ الجدود وعظمة حضارتهم. رافق جورج ريد سورما في إحدى تلك الزيارات وقام بما يلزم للأعداد لها. في الصباح الباكر كان هناك حصانان مهيآن لهما وثالث للدليل الذي سيرافقهما حمل الدليل حصانه جيبتين تحويان ما يلزم من ماء وطعام للسفرة. ركب جوج ريد وسورما الحصانين ومرّا بالسوق الذي بدأ يستقطب نشاط يوم جديد. في طريقهما شاهدا الدواب المحملة بالأحمال الثقيلة وهي تدخل باب المدينة. بعد ذلك شاهدا ساحة واسعة استعملت كمقهى جلس فيه رجال يدخنون بلا مبالات غير آبهين بالفوضى المحيطة بهم. أخيرًا وصلا إلى الجسر حيث الإزدحام الشديد. الجمال المضطربة كانت تقلب أحمال الحمير بعدم إهتمام أو اكترات . بعد " اللتي واللتيّا " استطاعوا العبور إلى الضفة المقابلة فبدت وراءهم أسوار مدينة الموصل واضحة وأمامهم أسوار نينوى وقد غدت أطلالا مندرسة. بنيت أسوار الموصل في مطلع القرن التاسع عشر على يد العثمانيين والغرض منها الدفاع عن الموصل ضد هجمات القبائل العربية... إجزاء من تلك الأسوار تهدمت لأن بناءها كان رديئًا حيث كان من الطابوق المجفف بالشمس فغارت البقايا في الخندق المجاور للأسوار. اتجه الثلاثة في سبرهم نحو الشمال وبموازاة مجرى النهر فوصلوا مناطق زراعية غنية الغلات،المؤكدة لجودة الأرض وخصوبتها. كانت بقايا الحصاد التي فيها تمكن من تمييز نوع المحصول من حنطة وشعير. بيوت الفلاحين كانت عبارة عن مكعبات يتراوح طول ضلعها مابين ٣ إلى ٤ أمتار وكذلك ارتفاعها. الفتحات التي تضيئوا داخل المساكن كانت: الباب وبعض الكوّات الصغيرة. حافات النهر خارج المدينة كانت أجمات عليق تختفي بينها أعداد كبيرة من أنواع طيور الحجل. أما المياه القريبة فكانت غنية بالأسماك من النوع المعروف بـ' توبي " / طوبيا، الذي طوله قد يصل المتر أو أكثر. إنتهزت سورما الفرصة فقصت على ريد قصة طوبيا التي تقول: " لما خيم طوبيا على ضفاف نهر دجلة وبصحبته رفيقه روفائيل. اصطادا سمكة كبيرة، منذ ذلك الحين عرف هذا النوع من السمك يسمك طوبيا، أخيرًا اتجهوا نحو مجرى الخوصر الذي يصب في نهر دجلة قرب الموصل وساروا بموازاته لكن عكس اتجاه جريانه. يجري هذا النهر ملتويًا عدة مرات فاصلا بين التلين الشهيرين الباقيين من آثار نينوى عاصمة الآشوريين العظيمة. نعثر على إسم نينوى مكتوبًا على رقم الطين في نصوص كُتبت باللغة المسمارية يعود تاريخها إلى القرن الحادي والعشرين ق.م. نرى إسم نينوى مرسوما بشكل سمكة وسط مدينة. حسب رأي الآثاري

André Parrot هذا هو "رمز فكرة" (رسم شيء أو صوت يمثل الكلمة الدالة على الفكرة –المترجم) وكان يعني الإلهة "نينا". فأصبح هذا "الرمز الفكرة" شعارًا ورمزًا لنينوى. عدا ذلك لهذا الرمز علاقة تربط ما بين نينوى ويونان الذي ابتلعه الحوت.

في الجهة الشمالية الغربية يوجد "تل قوينجوق" بعرض يتجاوز الستمائة متر وطول يزيد على الكيلو متر. أما من الجهة الجنوبية الشرقية فهناك تل النبي يونس. هذا التل أقل أهمية. يقابل هذان التلان مدينة الموصل. إنهما جلبا إنتباه العلماء. الحفريات الآثارية بمعناه العلمي بدأت بعد تسمية القنصل الفرنسي الشهير Paul Emile Botta بدأ "بوتا" حفرياته الأولية في عام ١٨٤٢ وكانت على تل قوينجوق. بعد ذلك انتقل إلى خورسابات الواقعة على بعد ١٦ كم من هذا التل. بعد عام ١٨٤٧ وصلت باريس أعمال غريبة من المنحوتات الآشورية والرقم الطينية مفخورة تحكي قصة حضارة عريقة لم تكن معروفة حتى تلك الأيام. بعد بوتا كان الدور لخليفته عام ١٨٥٢ Victor Place في عام ١٨٤٥ كان القنصل البريطاني في البصرة– لايارد .Austin Henry Layard قام لايارد بحفريات آثارية في تلك المناطق (تل قوينجوق). هنا أيضًا سنلاحظ التنافس الشرس بين الدولتين الحليفتين بريطانيا وفرنسا. هكذا تمّ إقتسام تل قوينجوق إلى حصتين، الجزء الشمالي للفرنسيين والجنوبي للبريطانيين. كان النشاط الإنكليزي تحت إشراف شخصية كلدو آشورية معروفة اسمها "هرمز رسام". سبق لهذا الشخص أن ساعد لايارد في حفرياته في منطقة النمرود. كان هرمز الأخ الأصغر لكريستيان أنطون عيسى رسام. تزوج هرمز من ماتيلدة بادجر Badger، هي أخت لراعي والدكتور بالعلوم اللاهوتية جورج بيرسي بادجر الموفد إلى الموصل وجبال كردستان عام ١٨٤٢ . بعد عودته إلى وطنه نشر كتابه الشهير "النساطرة وطقوسهم" بجزئين. أخيرًا خسرت فرنسا حصتها في الحفريات في آثار نينوى بينما بقي الإنكليز مرتبطين بمواقع حفرياتهم للبحث عن الكنوز واللقى الآثارية الثمينة. استمرت الحفريات وتتابعت بعثات التنقيب حتى عام ١٩٠٥ . في مطلع القرن العشرين دخل الألمان مسرح التنقيبات الآثارية في العراق فذهبوا إلى بابل. مجيء الألمان كان بمباركة الحكومة العثمانية، لكن لما دقت طبول الحرب العظمى عندئذ دقت ساعة خيبة الآمال فخمد الحماس (١٤٢). بعد ذلك بدأ ريد يشرح الموقف الحالي والتطورات الجديدة الطارئة فقال:

في نية بريطانيا بدء حفرياتها الآثارية من جديد حال أن تسمح الظروف بذلك حيث هناك تغيرات في طور الأعداد والتهيئة، سابقا كانت الشروط المنظمة لنشاط الحفر تقول بتقسيم اللقى المكتشفة بين البلد الذي تعمل البعثة لحسابه والدولة صاحبة الآثار أي التي دعت البعثة للعمل. هذا هو السبب لوفرة الآثار السومرية والبابلية والآشورية في متاحف باريس وبرلين ولندن وشيكاغو وأخيرًا اسطنبول. حاليًا المسز بيل تحاول تنظيم أول هيئة عراقية تشرف على الآثار. منذ عام ١٩٠٠، إخراج الآثار أصبح ممنوعًا من الناحية القانونية على الأقل بالحقيقة هذا هو أول إجراء قد نعتبره ثورة في

هذا المجال.

عندئذ إقترب ريد وسورما من تل النبي يونس، الذي تستقر فوقه قرية بهذا الاسم، منظر التل أكثر حيوية. حياة القرويين هنا نراها ممزوجة بأسرار هذه الأرض التي يعود تاريخها إلى ألفيات عديدة قبل الميلاد. بعد تفكير عميق، تذكرت سوما أقوال يونان، ناسك قوجانس الشهير والذي سبق أن أخبرها أنّ أحد بطاركة كنيسة المشرق المدعو "خنانيشوع" الأول (٦٨٥ - ٧٠٠) كان قد استقرّ في دير يونان المشّيد فوق قمة تلّ قرب نينوى. بعد مرور ٦٥٠ عامًا على وفاة هذا البطريرك أكتشف أنّ جثمانه بقي سليما وموضوعا في تابوت خشبي من الصنار (نوع من الخشب) في موضع صلاة خاص بالمسلمين سبق أن احتلّ مكان الدير الأصلي. فحصلت عملية استحالة ومسخ لحقيقة ولا زالت حيّة قائمة. فأصبح بطريرك كنيسة المشرق نبيا يهوديًا هو يونان النبي بإجراء إسلامي بحت. هكذا منذ ذلك التاريخ فصاعدًا اعتبر هذا الموقع "قبرًا ليونان". إنفعلت سورما إنفعالا هزّها عندما أنهت أقوالها وخيم الصمت فأخذت مسبحتها بين أصابعها تداعب حباتها بقوة وعزم شديد.

واصل الإثنان طريقهما برفقة الدليل وهما راكبين الحصانين مرة حُضرًا (العدو السريع للفرس ويكون فيه الوثب - المترجم) وأخرى إعتياديًا حتى وصلا حزام القمم المشكلة من خرائب أسوار نينوى فتوقفا متأملين المناظر التي يُشاهدانها بإنجذاب واندهاش، متذكرين المقولة الشهيرة أن تلك الأسوار كانت يومًا ما حصونا منيعة لا يستطيع العدو إختراقها. أسماء ملوك نينوى كانت تبعث الرعب في القلوب لرشاقتهم في استعمال السلاح ولإتقانهم فنون الحرب. خلف تلك الأسوار بنوى بيوت العلم التي فيها حفظوا كل تراثهم من العلوم والفنون. فتح الآشوريون المدارس لتعليم أولادهم الخط المسماري والكتابة على رقم الطين ثم يفخرونها فتبقى سجلا لمعرفتهم وحضارتهم وأمجادهم الدينوية أو لإيمانهم بالروحانيات والعقيدة الدينية. الإكتشافات الآثارية التي تمّ النعرف عليها بعد العثور عليها بين خرائب نينوى والحفريات المبرمجة كشفت عن الكثير مما تخفيه تلك الأسوار خاصة تلك التي عثر عليها في الهيكلين الشهيرين: الأول منهما كان مكرسًا للإلهة عشتار إلهة الحب والحرب. لقى هذا الهيكل أكدت شهرة الآشوريين الحربية وبراعتهم في فنونها. أما الثاني فكان مخصصًا للإله "نبو" إله الكتابة. لهذا الهيكل أهمية أخرى تركزت على الدور الحضاري لما تركه الآشوريون للعالم من ميراث يصعب تقييمه، في نينوى عثر المنقبون على عشرات الألوف من الرقم الطينية مكتوبة بالخط المسماري كما تمّ العثور على تماثيل كبيرة الحجم منحوتة من صخر أصمّ. وُضعت تلك التماثيل في مداخل القصور الملكية لتكون حراسًا للقصر وساكنيه. سبق أن أشار النبي حزقيال قائلا: "أما أشكال أوجهها، فكان لكل واحد منها وجه إنسان، يحاذيه إلى اليمين وجه أسد، وإلى الشمال وجه ثور، ثمّ إلى جواره وجه إنسان" (١٤٣). ما قاله النبي حزقيال في نصّه يطابق ما نشاهده فعلا عندما نلقي نظرة على هذه التماثيل. إنها ثيران ذات رؤوس بشرية، صدرها كصدر أسد وأجنحتها أجنحة النسور. بعد

حزقيال اليهودي كان الدور للمسيحية التي إتخذت من هذه الرموز إشارات واضحة لمعلميها الكبار كتبة الإنجيل. فالقديس يوحنا الإنجيلي يُشار إليه واقفًا وإلى جانبه نسر، ولوقا نراه واقفا وإلى جانبه ثور، ومتى يظهر كرجل ذي جناحين وأخيرًا مرقس أسد مجنح.

كان المنظر الذي شاهدوه منظرًا خلابًا ومهيبًا، فشعر ريد بشعور ديني يريد التوفيق بين ما يراه وما يؤمن به. بينما كانت جماعتنا الصغيرة تواصل التجوال فوق أطلال نينوى شاهدوا ما يُكمل كل هذه الوقائع التاريخية بأخبار تنبأ بها أنبياء من العهد القديم أو ذكروها برموز واضحة فالناس اليوم رجالا ونساءً هم كؤلئك الذين سبق أن سكنوا هذه الربوع وبنوا هذه الحضارة الشامخة التي يُشاهدون بعضا منها متجسدة بهذه التماثيل أو بالرقم الطينية. لبعض الناس اليوم نفس عادات أولئك وتقاليدهم. حياة سارة وإبراهيم المذكورين في التورات لم تكن تختلف عن حياة هؤلاء كثيرًا. فهناك راعٍ بسيط يرفع يده محييًا ولا زال يضع على كتفه فروة مصنوعة من جلد خروف بيضاء اللون كما كان يفعل الأجداد قديمًا حسب العهد القديم. كذلك نراه واضعا منديلا على رأسه مثبتا بخوط ضفرت كحبل أسود تمامًا كما نفعل نحن اليوم. طوال هذه الفترة كانت سورما غارقة في أفكارها لكن مع ذلك إنها يقظة لملاحظة كل ما تشاهده أو يجري حواليها حتى إن هبت رياح هادئة. لما ألقت نظراتها على الشمس وهي تغيب مودّعة القمم العالية أولا شعرت بحسٍّ نسكي (رهباني)، فزفرت عميقا وقالت مرتعشة: "ترى ما بقي من نينوى العظيمة؟ أين مدينة الإلهة الجبارة التي قيل عنها أن إختراقها كان يستوجب مسيرة ثلاثة أيام كاملة؟ الأسوار غدت أطلال وتلال تكوّنت من خرائب قصور عظيمة شُيدت منذ أزمنة غابرة. توالت الإمبراطوريات العظيمة على هذه الأراضي المقدسة أراضي بلاد ما بين النهرين المحصورة ما بين قمم الجبال الشماء والصحاري المترامية الأطراف. سكان هذه الأراضي عملوا بجدّ ونشاط للتغلب على المعوّقات الطبيعية مؤكدين إرادتهم القوية لبناء حضارة إنسانية تثبت دومًا أن للإنسان إرادة خيرة مواهب. اليوم تحاول أوربا وضع هذه البقاع الصاخبة في تشكيل يُتوافق ومصالحها الخاصة، متناسية أنّ أسس الشرق الأوسط تستند على أنظمة إجتماعية وثقافية وسياسية تعود بجذورها إلى آلاف من السنين سبقت الميلاد... لنتذكر بعض ما جاء في سفر الجامعة من الكتاب المقدس / العهد القديم: "باطل الأباطيل، كل شيء باطل. ما كان فهو الذي سيكون، وما صُنع فهو الذي سيصنع. فليس تحت الشمس من جديد [١٤٤]. الكل يدّعي الإكتشاف ويريد إعادة تشكيل تملك الأرض. دورة الحياة تتكرر باستمرار لكن بصيغ وأحوال تناسب الفترة الزمنية التي تحصل فيها الأحداث".

بعد توقف قصير أردفت تقول بنبرة حكماء الشرق المشهورين: "انظر هذه المناظر الريفية الخلابة يا جورج، إنها تختصر ظروفنا الإنسانية بصورة عجيبة، وتظهر مقدرة الإنسان على الإنبعاث رغم المعوّقات. انظر قرية النبي يونس التي أمامك، إنها قرية وديعة، مبنية على أطلال ورماد إمبراطوريات

كانت في ما مضى من الزمان قوية تنحني لها الرؤوس. هذه التله قد تخبرنا يوما ما بكل الأسرار التي تخفيها. سكانها ومنائرها العالية، حقولها وقطعان الماشية فيها تشهد دومًا على انتصار الحياة وغلبتها على الموت. إنها رسالة بسيطة معبقة بالآمال للبشرية جمعاء". عند هذا الحد توقفت سورما عن الكلام وأفسحت المجال لتفعيل كلماتها الملهبة للمشاعر، ثم واصلت تقول: " أرجو أن لا تنسى يا جورج أن من هنا واقصد الشرق ذي التاريخ الذي يتجاوز قدمه ألفيات عديدة انبثقت رسالة التحرير التي بشر بها ربنا يسوع المسيح الذي قال: " أنا القيامة والحياة، من آمن بي و إن مات فسيحيى، ومن كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد." (١٤٥). هنا توجد الحقيقة وهنا سلامنا الحقيقي. من هنا نستمدّ قوتنا ونستلهم شجاعتنا. سيأتي يوم فيه سيكتشف الغرب أوهام المجد وأباطيل التسلط، سيحدث ذلك بعد أن يكون قد إستنفذ كل ردود فعل الإنتصارات والحروب التي ستمرّ عليه. إنّ العطش سيحرق جوف الفرنسيين وسيفتشون عن الماء ولا يجدونه لإطفاء اللهيب في باطنهم. حينئذ سيتذكرون الحكم التي علمها حكماء الشرق .

٣- حثيثًا نحو خيبة الآمال والإحباط
التوجه الجديد للإنتداب البريطاني

مؤتمر القاهرة في آذار عام ١٩٢١

في مطلع عام ١٩٢١، سخنت المناقشات الخاصة بموضوع بلاد ما بين النهرين وأصبحت البؤرة في السياسة البريطانية نظرًا للتكاليف الباهظة التي سببها الإنتداب في الشرق الأوسط، (بلغت عشرين مليون باونًا إسترلينيًا لعام ١٩٢٠). مواجهة لهذه التكاليف الباهظة اضطرت الحكومة البريطانية على إتخاذ القرارات الحاسمة. الوضعية القائمة أقنعت السلطات بوجوب الإنضمام إلى صفوف المنادين بقبول الحلول المقترحة من قبل الإدارة في القاهرة. نادت تلك الحلول بضرورة إرخاء السيطرة والتسلط على العراق والعمل لتأسيس حكومة وطنية مؤطرة بالمستشارين السياسيين البريطانيين. في تلك الأثناء عين ونستن تشرشل وزيرًا لشؤون المستعمرات. فور استلام هذا الوزير مهامه، قرّر الدعوة لعقد اجتماع يحضره حوالي الأربعين شخصية بريطانية متخصصة بشؤون الشرق الأوسط. تركزت مهمة المجتمعين على إعادة رسم السياسة البريطانية، وتقرير مصير بلاد ما بين النهرين، وشرقي الأردن وفلسطين. تمّ عقد الإجتماع في مصر التي كانت حين ذاك تحت الحماية البريطانية. في السابع عشر من كانون أول عام ١٩١٤ كانت قد قامت لندن بإلغاء السلطة العثمانية المطلقة فعليا. عينت عوضًا عن ذلك مسؤولين يقفون إلى جانب سياستها. عمليًا كانت

حالة مصر مشابهة لحالة بلاد ما بين النهرين أي كان هناك أيضًا مندوب سامي بريطاني يحتفظ بالسلطة ويُدير دفة الحكم.

الوفد القادم من بلاد ما بين النهرين كان يضم السير بيرسي كوكس والمسز جيرترود بيل باعتبارهما الممثلين لبلاد ما بين النهرين والخبراء الأصليين في شؤونها. كان لهاتين الشخصيتين الثقل الأكبر في المؤتمر، لذا لم تدع أيّ شخصية أخرى بريطانية ولا حتى من أبناء تلك البلاد [١٤٦]. كذلك لم تحضر جلسات المؤتمر أيّ شخصية عربية أو بدوية أو كردية أو آشورية أو تركمانية. أبناء البلدان الأخرى المعنية بالمناقشات وبمختلف قومياتهم لم يسمح لهم بحضور الجلسات أو الإشتراك في المناقشات التي أصلا تخص بلدانهم والمستقبل الذي ينتظرونه. رُسمت الخطوط العريضة وأشرت الخطوات الضرورية لمستقبل بلدان الشرق الأوسط التي تحت الإنتداب البريطاني بأيدٍ أجنبية وفي قاعة في أحد قصور القاهرة الشهيرة. عقد المؤتمر في مدينة القاهرة العريقة التي كان بناؤها في العهد الفاطمي (٩٦٩-١١٧١) لتكون العاصمة الجديدة للفاطميين وكمركز جامعي للدراسات الدينية العليا [١٤٧]. إشتهرت القاهرة بجمالها وبزّت أخواتها من المدن والعواصم كدمشق وبغداد وأورشليم. ضمت حدود مدينة القاهرة وبين أسوارها العديد من الصروح الفخمة بنتها أجيال من الأمراء الذين جلسوا على سدة الحكم فيها، فأغنوها ثراءً وحضارة. من بين هؤلاء نذكر الطولونيين والأيوبيين والمماليك. جميع هؤلاء تركوا بصمات حضارة عصورهم لتبقى شاهدًا وذكرى لوجودهم ولحكمهم. خلال القرن العشرين أخذت بعض تلك الصروح والمباني الفخمة تقل وتختفي فأصبحت نادرة الوجود. رغم هذا الواقع الأليم فبيرسي كوكس والمسز بيل كانا لا يزالان يتذكران القاهرة التي سبق أن عاشا فيها عندما كانت تلك القصور والمباني الفخمة لا زالت قائمة مدهشة. فيها كانت تقع القلعة التي بناها صلاح الدين. وكان يوجد في القاهرة أيضًا المباني الجميلة المخصصة للعبادة وكان لها ثلاثة أبواب واسعة ومهيبة. قاومت هذه الأبواب عوادي الزمن وهجمات الغازين فبقيت شامخة تحكي للأجيال التالية أحداث القرون. عندما شاهدت المسز بيل احد الأبواب عادت الذكريات فاندفعت بحماس تقول: "كم يلذ لي زيارة هذه المدينة ومشاهدة زيارة المباني فيها. كلما آتي إليها وأتجول في أسواقها أو شوارعها أتذكر كلمات المؤرخ الشهير والفيلسوف اللامع "ابن خلدون" الذي توفي فيها عام ١٤٠٦ إذ قال "القاهرة حاضرة البلاد الكبرى وجنة الكون". في القاهرة أعلى مركز إسلامي وهي مركز الحكم ودوائر السلطة. وفيها نشاهد أيضًا مباني وقصور رائعة ومدارس عديدة والخانات التراثية المنتشرة بن أرجائها. غالبًا ما تجولتُ في طرقاتها فرأيتُ الناس يتزاحمون. أسواقها تعجّ بأنواع البضائع. إني أتمنى الإقامة فيها والبقاء في الشرق. إني أظن يا سير كوكس أن وفاتي ستكون يوما ما في هذه الربوع الجميلة".

في صباح اليوم الثاني عشر من آذار عام ١٩٢١، خيمت على أجواء فندق سميراميس ضوضاء

وحركة غير إعتيادية حيث في هذا المبنى الفخم ستعقد جلسات "مؤتمر القاهرة" الذي ستبقى بصماته على مجريات التاريخ عقودًا كثيرة. في الجلسة الأولى قدّم كوكس التقرير الخاص ببلاد ما بين النهرين فقال: "فور عودتي، يجب تأسيس حكومة مؤقتة يرأسها نقيب بغداد "السيد عبد الرحمن الكيلاني". بعد ذلك سيتم تشكيل أول وزارة تكون برئاسة عبد الرحمن. على هذه الوزارة أن تتعاون معنا بجدية وأمانة. السيد عبد الرحمن شخصية موقرة، إنه كبير السن وذو لحية بيضاء رجل دين مطاع ورئيس للطائفة السنية. تعود شجرة عائلته إلى عصر النبي. تأثيره كبير على كل الأوساط في داخل وخارج بلاد ما بين النهرين.أنا شخصيًا أرى أنه من الضروري أن نصرح علنًا ومنذ الآن، أنه قد تمَ تأسيس نظام جديد للسلطة وحسبما طلبه مجلس الشورى المؤقت". بعد مداخلات وتعديلات عديدة حصل الإتفاق على أن تكون السلطة بين أيدي رئيس واحد فقط. هنا طرح السؤال المهم الخاص بهذا الموضوع وهو: "من هو ذاك الشخص المؤهل ليكون الرئيس؟". هنا كان الدور للمسز بيل فقالت: "إنه الأمير فيصل إبن الحسين شريف مكة". صديق المسز بيل وصديق مواطنها الشهير "لورنس العرب" الذي كان يحضر المؤتمر وكان له التأثير البالغ على كل الحاضرين دعم الإقتراح بقوة وبكل حماسة. عند ذاك إتجهت الأنظار نحو الأمير فيصل وبدى اهتمام كبير بالإقتراح خاصة لأن الأمير فيصل لم يكن شخصية مجهولة لدى الكثير من الحاضرين ولا على مسرح الأحداث العربية خاصة. إنه الإبن الأكبر للشريف حسين شريف مكة المنتمي إلى العائلة الهاشمية. قاد فيصل الثورة العربية ضد العثمانيين عام ١٩١٦ .كانت شعبيته واسعة بين القوميين العرب. نظرًا للجهود التي بذلها لتخليص العرب من النير العثماني الغاشم وسياسة التتريك. ثابر فيصل على نهجه فكسب التأييد التام لمطالبه عام ١٩١٩ في مؤتمر السلام المنعقد في باريس. من قرارات المؤتمر إعلان استقلال الشعوب الآسيوية المتحدثة باللغة العربية، إعلانها مملكة عربية واحدة لكن هذا القرار لم يحظ برضى الجميع وخاصة الدول الكبرى فصرف النظر عن ذلك وكان التفضيل لنظام الإنتداب. في السابع من آذار عام ١٩٢٠ نادى المؤتمر السوري بالملك فيصل ملكًا دستوريًا على سوريا المستقلة. الدولة المنتدبة على سوريا (فرنسا) راقبت الأحداث بحذر ويقظة. لم تنتظر طويلا بعد الإعلان الذي أصدره السوريون في مؤتمرهم. كان رد فعل الفرنسيين حازما وفوريا، فأعطيت الأوامر للجنرال "كورو" فقام بقيادة الجيش الفرنسي الموجود في سوريا بإرغام فيصل على مغادرة دمشق حالا. على أثر ذلك أعلنت حالة الطوارئ وحتى قبل أن تستطيع بريطانيا إتخاذ الإجرآت التي ترتئيها. واجه البريطانيون هذه الأحداث بغضب وترو ودون انفعال ظاهر، فدعوا الأمير فيصل ليتوجه إلى بغداد لتنصيبه ملكًا على دولة جديدة في العراق. بعد ذلك نظمت اجتماعات لمعالجة قضية / مشكلة الموصل العويصة وقضية الحدود التركية - العراقية اللتين ستكونان مدار جدالات وبحوث طويلة في المستقبل.

ما يخصّ كردستان، إقترح تشرتشل تحقيق الحكم الذاتي للأكراد باعتبار منطقة كردستان منطقة سداد بين العرب والأتراك، خلال المناقشات أصرّت جيرترود بيل على جعل الموصل عاصمة للعراق نظرًا لأهميتها الإقتصادية والديموغرافية إضافة إلى أهمية جماهير السنة الذين يسكنونها ويعادلون الأكثرية الشيعية، وأن لا مجال هناك لمزيد من التأخير أو الإنتظار. اقتراح المسز بيل وتحليلها لم يلقيا التأييد اللازم وأجلا إلى أجل غير مسمى. إنتظارًا للتقرير النهائي وضعت منطقة كردستان تحت الرقابة المباشرة للمندوب السامي وبشرط أن تنقل جماهير الآشوريين إلى المنطقة ويكونوا هم أيضًا تحت عناية المندوب السامي الشخصية ورعايته. تماشيًا مع خطة تشرتشل كان على بريطانيا تخفيض قواتها المتواجدة في العراق (إنسحابها). مقابل هذا التخفيض إقترح تشرتشل زيادة قدرة القوة الجوية البريطانية وفعاليتها إضافة إلى تشكيل تنظيم عسكري جديد يعرف بـ "الليفي العراقي" levi مبدئيا هذا التنظيم الجديد يعتبر البديل والقوة المعوّضة عن القوات البريطانيا المنسحبة وفي الوقت ذاته جزء من الجيش الإمبراطوري البريطاني. في عام ١٩٢١ كان تشكيل الليفي يضم العرب والأكراد والآشوريين وكانت الخزينة البريطانية تتحمل رواتبهم. كان الرأي منذ البداية عدم الرغبة في انخراط العرب في تشكيل الليفي، لذا إتخذت الإجراءات لإلغاء صنفهم من التشكيل والسبب كي لا يكون صنف العرب في الليفي العراقي قوة منافسة للجيش العراقي تحت التأسيس. عوضًا عن إلغاء صنف العرب في الليفي بذلت جهود كبيرة لزيادة عدد الآشوريين المنخرطين في التشكيل. عدا ذلك تضمنت خطة تشرتشل اتخاذ إجراء لتخفيض المبالغ المخصصة التي كانت الحكومة البريطانيا تدفعها لشيوخ القبائل العربية لكسب تأييدهم. بعد الإنتهاء من المناقشات وإتخاذ القرارات رأى المؤتمر أنه أنهى جدول أعماله تمامًا وحتى القضايا البسيطة مثل مصروفات عقد المؤتمر ومنها تكاليف كؤوس الخمر التي شربها المؤتمرون في الحفلة الختامية التي أدخلت في أبواب الصرف وحسب جداول وزارة الدفاع البريطانية. في اليوم الخامس والعشرين من آذار عام ١٩٢١ أحتفل المؤتمر بإنهاء جلساته ومناقشاته واختتم ذلك بحفلة عشاء احتفالية أقيمت في قصر السلطان عابدين. هكذا استطاعت القاهرة أن تضع اللمسات الأخيرة على الخطط الجديدة التي ترسم مسيرة السياسة الإنكليزية في منطقة الشرق الأوسط. لكن السياسة الجديدة هذه غيبت حقوق الآشوريين تمامًا إضافة إلى أنها لم تعطِ أيّ ضمان لتقرير المصير بتبرير أعتمد على عدم الإنتهاء من حلّ قضية / مشكلة الموصل. نتيجة لهذا الواقع بقيت الآمال التي كانت تراود الآشوريين تتفاعل مع قلق وشكوك قاتلة [١٤٨]. قرارات مؤتمر القاهرة أدخلت سورما في زوبعة من القلق والشكوك لا بل الضياع التام بقيت تعيشه في خضم المشاكل التالية.

تتويج الملك فيصل (الأول) ملكا على العراق

وافق البريطانيون (كدولة الإنتداب) على اختيار الأمير فيصل ملكا على العراق. لذا مهمة ممثلي المستعمرين إنحصرت في إقناع العراقيين بأن يكون الأمير فيصل المرشح الوحيد انتخبوه بحريتهم المطلقة وأن لا مجال للتراجع عن ذلك. دوائر الإستعمار وضعت المخطط اللازم لتحقيق هذا الهدف. الخطوة الأولى من المخطط تحددت بأن يعلن الشريف حسين ترشيح إبنه الأمير فيصل لهذا المنصب أي أن يرأس الحكومة العراقية. بعد ذلك يقوم فيصل بسفرة من مكة إلى البصرة، ثم يغادر البصرة باتجاه بغداد. طبق المخطط بحذافيره. والتقى ملك المستقبل بجماهير العراقيين وحاول التعرف عليهم فاسحًا المجال لهم ليتعرفوا هم أيضًا عليه، كان الأمير فيصل شخصية عربية حقيقية، وسيم المحيا، معتدل القامة، يلبس الزيّ العربي الفضفاض. في البداية ظهرت مهام الملك الجديد صعبة التحقيق خاصة موضوع تأصيل قدرته وتأثيره في نفوس العراقيين. هامشه كان ضيقا جدًا معلوماته عن المجتمع العراقي آنذاك كانت قليلة جدًا وكذلك عن البلاد جغرافيا وتاريخيًا وتكوينيًا. خبرته عن تشكيل القبائل الساكنة في الأراضي العراقية كانت ضئيلة ولا تفي بالمرام. عدا ذلك لم يكن له روابط وعلاقات مع شيوخ القبائل الذين كان لهم التأثير الكبير في توجيه الجماهير. ما كان يعرفه عن منطقة الأهوار في جنوبي العراق قليل، أما المنطقة الشمالية وجبالها الشماء فكانت مجهولة بالنسبة له. المشكلة الرئيسية التي واجهت الملك فيصل كانت لهجته التي كان عليه أن يتحدث بها ويخاطب الجماهير بها. لهجته الأصلية كانت مغايرة للهجة سكان العراق. امتاز الملك فيصل بحدة الذكاء وماهر في التعامل مع الناس. كان رجلا ذا كارسمية جذابة وشخصية مهيبة من النظرة الأولى. بمساعدة المسز بيل التي أهلته بأسلوبها المنطقي للتعايش مع جماهير هذه البلاد المتعددة القوميات. بتطبيق التعاليم التي تلقاها الأمير فيصل استطاع إكتساب ثقة بعض شخصيات علية القوم في بغداد. بعد مدة لم تتجاوز الخمسة أسابيع بدأ يحصد ثمار ما زرعه مع برجوازيي المدن العراقية الكبرى. تعامل مع الشبيبة بفطنة، ضاربا على وتر المواطنة العراقية فقط باعتبار أنها الأداة الوحيدة التي قد تجمع كل العراقيين في بودقة واحدة. كثيرًا ما كان يسمع قائلا: " لا فرق هناك في المعنى بين من نسميهم مسلمين أو مسيحيين أو يهودًا خاصةً عندما نقارن هذه المفردات مع مفردة الوطنية، طالما لجميعنا وطن واحد نسميه " العراق " . نحن جميعا لسنا إلا عراقيين. إنّي أطلب من جميع مواطنيّ أن لا يكونوا إلا عراقيين وعراقيين فقط. جذورنا كلنا نفس الجذور وتعود إلى جدنا الواحد سام. نحن ننتمي إلى هذا الأصل النبيل ولا تمييز أو فرق بيننا. عندما كان الأمير فيصل يتحدث مع شيوخ القبائل كان يكلمهم بلهجة بدو الصحارى التي كانوا يفهمونها جيدًا. كان يخاطبهم وكأنه شيخ قبيلة إخواني: " إنّ كلماتي هي كلماتكم وأتحدث إليكم كما يتحدث الأخ إلى أخيه أو كصديق يخاطب صديقه، إني لا أتحدث إليكم كحاكم أو رئيس يخاطب أبناء شعب يخضعون له أو هم تحت سلطته.. " . لقد استطاع فيصل بصبره الجميل وتوازن شخصيته أن يقترب أكثر فأكثر إلى قلوب العراقيين ويأسرها بأسلوب حديثه الهادئ وخاصة منهم طبقة النبلاء في

المدن الكبرى أو الصحارى مترامية الأطراف. كل ذلك فعله فيصل لتحقيق الإنتصار يوم الإنتخاب (١٤٩)

بعد تهيئة الأوضاع بالشكل المناسب واتخاذ الإجراءات اللازمة، جرى استفتاء شعبي. كان السؤال المطلوب الإجابة عليه هو: "هل تريد أن يكون فيصل ملكا؟" جرى الإستفتاء يوم الرابع عشر من آب ١٩٢١ . من الطبيعي أن لا تكون النتيجة مفاجئة، صناديق الإقتراع أبلغت أنّ الفوز كان لفيصل وبنسبة عالية جدًا. البعض انتقد العملية وشكك في نتائجها بسبب التعتيم الذي فرض على معرفة أعداد المشاركين وأعداد الذين أدلوا بأصواتهم الرافضة. رغم ذلك اعتبرت النتائج نهائية يمكن الإعتماد عليها ليكون فيصل ملكا على العراق. في صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب من عام ١٩٢١، وعند الساعة السادسة صباحا أي قبل أن يُصبح الجو حارًا خانقا بسبب شمس آب الحارقة، اجتمع حوالي (١٥٠٠) شخصية من أصحاب المقامات بينهم بريطانيون وعرب ومسيحيون ويهود ورؤساء قبائل ورجال دين وسياسيون لحضور حفلة تتويج الملك فيصل. كلمة الإفتتاح ألقاها المندوب السامي "السير بيرسي كوكس" باللغة العربية فقال: "إنه قد تمّ انتخاب الأمير فيصل ملكا على العراق من قبل شعب بلاد ما بين النهرين بنسبة ٩٦٪. عدد نفوس العراق أيامذاك كان بحدود الثلاثة ملايين عراقي. بين الحضور كان هناك وفد من الآشوريين ترأسه مار شمعون إيشاي الذي كان برفقته سورما. وكان هناك أيضًا وفد آخر عن الكلدان. تزاحم الحاضرون بعد التتويج للسلام على الملك الجديد الذي لم يكن يتجاوز عمره ٣٦ عامًا.

المرحلة الحاسمة

هدوء يسبق العاصفة

بعد الإنتهاء من مراسيم الإحتفال بالتتويج الملكي، قام البطريرك الشاب مار شمعون إيشاي الذي لم يكن عمره يتجاوز الثالثة عشرة بزيارة المسز بيل ومعه عمته سورما. في دائرة المسز بيل وأثناء الزيارة، قامت الليدي سورما بعرض موضوعين رئيسيين كانا يشغلان بال الشعب الآشوري أجمع وألحت عليهما إلحاحا شديدًا. الموضوع الأول كان يتعلق بقضية رسم الحدود العراقية – التركية، أما الثاني فكان يخصّ قضية إسكان جماهير الآشوريين. علقت المسز بيل على الموضوعين وباعتبارها الشخصية البريطانية الأعرف بدقائقها فقالت: "أني أضمن دعم إنكلترا الكلي للملك، انه هو من جانبه سيأخذ في حساباته كل ما له أهمية ويتعلق بموقف إنكلترا تجاه قضايا تهمها". بعد تتويج الملك فيصل، أصبحت المسز بيل أقرب المستشارين إلى الملك، تأثيرها كان الفيصل في إتخاذ القرارات وهذا لا فقط بالنسبة للملك بل أيضًا في قضية رسم الحدود العراقية. كانت المسز بيل دومًا تؤكد وجود عراق مستقل يضم ولايات: البصرة وبغداد والموصل بالتخصيص. رأيها كان مسموعا لدى دوائر القرار. رهان الجبليين كان صميميًا ومهما. في العام ١٩٢١ كان التصور النموذجي المثالي يهدف إلى

تأسيس مملكة في العراق، لذلك عملت بريطانيا العظمى جهدها لإدخال الموصل ضمن حدود المملكة الجديدة. كانت ولاية الموصل ولاية مهمة جدًا للبريطانيين لما تتضمنه من حقول نفطية واسعة واعدة بمستقبل مشرق، وهذا كان ما يسيل لعاب الإنكليز ويوقظ شهيتهم. خط الحدود عند البداية رُسم لغرض مؤقت وللفصل بين البلدين (العراق وتركيا). هذا الخط قسّم الوطن الأصلي الذي كانت جماهير الآشوريين تسكنه. بعض قادة الآشوريين وبتشجيع من سورما اعتمدوا على بريطانيا وتعلقت أنظارهم بها وعلى جهودها وطالبوها إسماع أصواتهم المستنكرة لكل العمليات الجارية ضد مصالحهم وعلى المستويات محاولة منهم للأخذ برأيهم عند اتخاذ القرارات النهائية الحاسمة مستقبلا. بقي هؤلاء المعارضون مصرين على رأيهم ذاك بدافع اليقظة والقناعة بأن خط رسم الحدود سيعني الكثير في ما يتعلق بمستقبل الآشوريين. سورما بالمقابل كانت قد وضعت كل ثقتها بدعم وتأييد الحليفة بريطانيا العظمى المقتدرة.

مشكلة الحدود ورسم خطوطها لم تكن المشكلة الوحيدة المطروحة، بل كان هنالك أيضًا مشكلة القرار المتخذ بشأن غلق مخيم "مندان" الذي حدّد فصل الصيف موعدًا لتنفيذه (صيف ١٩٢١) هذا كان يعني ضرورة إيجاد منطقة جديدة لإسكان الآشوريين الذين لجأوا إلى بلاد ما بين النهرين. نظرًا لعدم التوصل إلى قرار ثابت لذا بقي هذا الموضوع في حالة تأرجح ووفقا لذلك كان الآشوريون يُنقلون من مخيم لآخر ومن دون إجابة محددة عند طرح هذا الموضوع للمناقشة. أغلبية الآشوريين اللاجئين والقادمين من أورميا استطاعوا العودة إلى مناطق سكناهم الأصلية (كانوا بحدود ٥٠٠ عائلة) الباقين منهم ذابوا في خضم سكان المدن الكبيرة كبغداد. البعض منهم استوطن مناطق ريفية. جماهير اللاجئين من الرايا وكانوا حوالي ٨٠٠ عائلة وهم من الذين عاشوا تحت تسلط أغوات أكراد عادوا فانتشروا في أراضيهم الواقعة في منطقتي برواري بالا ونيروريكان اللتين مبدئيًا هما ضمن الأراضي العراقية... الأكراد الساكنين في هاتين المنطقتين أظهروا الرضى بعودة هؤلاء الفلاحين لأنهم كانوا يتقنون فنون الزراعة ويجيدونها بمثابرة وحماس. أما المجموعة الثالثة والتي هي الأكبر بسبب حجمها (٣٠٠٠ عائلة) والتي موطنها الأصلي جبال حكاري العثمانية -التركية فكان موضوع إعادة توطينهم من أعقد القضايا وغير قابلة للحل. محاولة للتغلب على المشكلة قام البرلمان البريطاني بتخصيص مبلغ (١٢٠ روبية - ٩ باونات إسترلينية لكل فرد يريد الإستقرار في القرى الحدودية ومتخليا عن المطالبة طالما كان العراق حينئذ في طور التأسيس وكانت الحدود لا تزال غير ثابتة المعالم. بموازاة هذا الإجراء سارع البريطانيون في تشكيل أفواج الليفي العسكرية خاصة بالآشوريين، وبقيافة وتنظيم بريطاني و إعادة تسليحهم. جماهير مخيم مندان تمّ نقلهم بشاحنات بإتجاه دهوك، ووزعت عليهم بعض المبالغ من المال والأسلحة. في خريف عام ١٩٢١ ظهرت أعداد كبيرة من الآشوريين في مناطق من ولاية الموصل منها: ٦٩٥٠ نسمة في شمالي العمادية و ١١٠٠

نسمة حوالي العمادية و ٧٤٥٠ في دهوك وزاخو وعقرة والشيخان... حسب رأي البريطانيين، عملية الإسكان التي تمت لأفراد عشيرتي " جيلو " و" باز " كانت الأوفق وكان التنفيذ في المنطقة الواقعة جنوب الشرقي من دهوك أي قرب نهر الكومل. سابقا عرفت هذه المنطقة ب " بيث رستاق " (أبرشية نسطورية قديمة يعود تاريخ تأسيسها إلى بداية القرون الوسطى). كان المسيحيون يعيشون حينئذ مع الإزيديين. في السنة التالية أي عام ١٩٢٢ عاد أبناء عشائر تياري العليا والسفلى وتخوما إلى حكاري دون أن يلاقوا أيّ صعوبة أو مقاومة تركية [١٥٠].

هكذا بدا للعيان أنّ مشكلة الآشوريين قد حلت بأعتبار أنّ القسم الأعظم منهم قد استطاع العودة إلى موطنه الأصلي والذي كان يعيش فيه قبل سنوات الحرب العالمية الأولى. البقية الباقية منهم توفرت لهم مساحات واسعة من الأراضي البكر في محافظتي الموصل وأربيل. عائلة البيت البطريركي كانت بحاجة إلى مقر تستقرّ فيه كما فعلت الجماهير الآشورية. العودة إلى قوجانس دون ضمان أكيد كانت تعني مغامرة محفوفة بالأخطار. لذا طرح أحتمال آخر ذلك هو " الإستقرار في مدينة الموصل وفتح مدرسة تدار من قبلها، طرح هذا الرأي رغم التنبيه الذي أشارت إليه المسز بيل وهو وجود نية لتقليص النفقات. نظرًا لعدم التوصل إلى حلّ لمشكلة إسكان عائلة البيت البطريركي، قدّم الراعي ويكرام [١٥١] حلا بديلا هو " إمكانية استعمال مقر البعثة الأنكليكانية الموجود في قرية " بيبادي " الواقعة على بعد (١٥) كم غربي العمادية ليكون مسكنًا لعائلة البيت البطريركي. وافقت الحكومة البريطانية على الإقتراح وخصصت بعض المبالغ لتأهيل المبنى وإصلاحه فيصبح مسكنا مناسبًا للبطريرك ولعائلته. من ناحية أخرى قام السير كوكس بتخصيص مبلغ قدره (٣٠٠ روبية - ٢٢ باونا إسترلينيا) يدفع لعائلة البطريرك شهريًا. المبلغ المخصص لم يكن مبلغا كافيًا لحياة جيدة، لكن مع ذلك كان مبلغا يمكن الإستفادة منه إذا أحسن التصرف به. قامت سورما، ذات الخبرة الواسعة، بتدبير أمور العائلة ضمن الحدود المعقولة. بعد دراسة الوضعية بتأمل وترو رأت سورما أنّ ما يتحتم عليها أولا هو العمل على تقوية جذور كنيسة المشرق وفق الأوضاع المتوفرة والظروف الواقعية. لم تكن كنيسة المشرق آنذاك تضم بين اكليروسها السامي المقام سوى أربعة مطارين هم: مار يوسب خنانيشوع الذي تمّ اختياره لهذا المنصب منذ شهر نيسان عام ١٩١٩ وكان عمره آنذاك ٢٦ عامًا، إرتقى خنانيشوع الكرسي الأسقفي بعد وفاة عمه، ومار سركيس من جيلو، ومار يابالاها ومار طيماثيوس من ملابار الذي عاد إلى الهند.

إقامة مؤقتة في قوجانس

تقع قرية بيبادي في الجهة الجنوبية من جبال حكاري وعلى مسافة مسيرة ثلاثة أيام عن الموصل، وعلى طرفي إنفراج (فتحة) مدخلها كان هناك واديان. كانت قريبة من بروراي ويفصل بينها وبين

الزاب الكبير منطقة عشيرتي تياري وتخوما، سلسلة جبال. الدخول إلى مواطن جماهير العشيرت الآشوريين كان يمرّ عبر قرية بيبادي. هذا الموقع الإستثنائي لهذه القرية أقنع وشجع سورما على الموافقة وقبول الإقتراح والذهاب للسكنى في بيبادي. ما يجدر بالملاحظة هو أنه خلال العام ١٩٢٠ حصلت اضطرابات في المنطقة، فاستخدمت بريطانيا العظمى القوات العسكرية المشكلة من الآشوريين للقتال تحت رايتها وإخضاع الثورة الكردية التي قامت بتلك الإضطرابات فأخمدتها بقسوة بعد اشتداد أوارها. مبدئيًا كان غرض بريطانيا من استخدام تلك القوات العسكرية الآشورية للتمكن من خلق "حبيسة آشورية" (أرض محصورة) في هذه المنطقة. السير ولسن المندوب السامي الأسبق كان مؤيدًا لهذا المشروع. لندن عطلت العمل لتنفيذ هذا المشروع، خوفًا من حصول تعقيدات أو مضاعفات قد تعرقل خططها. كان باستطاعة سورما القيام ببناء قوة متحركة تحيط بالبطريرك مار شمعون إيشاي وتبقى تنتظر تثبيت الحدود بصورة نهائية. عند نهاية العام ١٩٢١ تهيأت عائلة البيت البطريركي للتوجه نحو بيبادي. عندما أصبحت كل الأوضاع على ما يرام غادر الجميع ومعهم جورج ريد. غادرت القافلة التي كانت تتكون من الرجال والنساء ومعهم البغال والحصن المحملة بما بقي من ممتلكات. فاخترقت السهول الفسيحة، سهول ما بين النهرين الشهيرة بخصوبتها. ثمّ إتجهت القافلة نحو الشمال الشرقي من مدينة الموصل حتى إن وصلت حوافي الجبال القريبة. في هذه المناطق، مرّت القافلة ببيوت الفلاحين المبنية من الطين. إستمرت المناظر رتيبة لا أشجار ولا ضلال والطريق ترابية. واصلت القافلة السير حتى وصلت تله يرجع تاريخها إلى حادثة الطوفان. بعد الطوفان أستقرّ أبناء نوح في الأرض وتوالت الأجيال وكثر الناس على وجه الأرض، كما جاء في سفر التكوين. أحد أحفاد نوح المدعو "كوش" أولد نمرود. حكم نمرود إمبراطوريةً واسعة امتدت أطرافها حتى وصلت بابل وأروك وأكد الواقعة في أرض شنعار، ومنها خرج آشور الذي بنى نينوى [١٥٢].

تتعرض سهول ما بين النهرين (أرض السواد) والمنطقة المتموّجة لرياح حارة جدًا آتية من الصحراء العربية فتجعل المناخ حارًا جافًا نظرًا لأنها ارض مكشوفة أمام تلك الرياح، بينما الرياح الباردة التي تهب من الجهات الشمالية والشمالية الشرقية لا تسمح لها سلاسل الجبال والغطاء النباتي من الوصول إلى تلك السهول. والتأثير على مناخها. وصلت القافلة بعد ذلك مضيق دهوك المدخل الرئيسي إلى المناطق الجبلية. رحالة كثيرون جاؤوا إلى هذه المناطق لزيارة المنحوتات الآشورية التي تظهر عليها تماثيل الآلهة والإلهات. وضعت هذه المنحوتات على المدخل لتسد الطريق الخاص بكبير الملوك وتقطعه أمام الأرواح الشريرة المقبلة من الشمال. تعود هذه المنحوتات إلى بقايا العاصمة المسيحية القديمة "معلثايا"/ "معلثا" التي قامت خلال القرن الميلادي الرابع.

ظهرت دهوك أمام أنظار أفراد القافلة وكانت عبارة عن قرية صغيرة لا يتجاوز عدد بيوتها ستين

بيتا. توسعت هذه القرية وازداد عدد سكانها نتيجة لتدفق اللاجئين الآشوريين عليها. المنطقة والطبيعة هنا كانت معروفة جدًا لأفراد القافلة لأنها تشبه جبال حكاري موطنهم الأصلي. تمتعت سورما بمشاهدة المناظر التي أمامها وهي تسلك الطرقات الجبلية مرة صعودًا، أخرى نزولا وأحيانًا ملتوية حول المضايق ذات الوهاد العميقة. الطريق المؤدية إلى قرية داوودية كانت هي الأخرى طريقا كثيرة التعاريج وتسلكها قوافل التجار منذ أزمنة قديمة. على السفوح كانت تنتصب أنواع من أشجار البلوط. بعضها كان يحمل العفص الكبير الحجم، أو أشجار الزعرور التي كان ثمرها كبير الحجم. أحيانًا كان بحجم التفاحة الصغيرة. طعمها حامض ولكن لذيذ. تقع قرية داوودية في الجهة الغربية من وادي صبنا، سكنتها جماهير (الرايا) منذ ماض بعيد. كان يخترقها ممر جبلي إتجاهه من الشرق إلى الغرب تحيطه من الجانبين سلسلتان جبليتان وفيرة الينابيع، تجاور سفحها الجنوبي رياض غناء وكروم وحقول الرز. في أطرافها انتشرت (١٥) قرية. عند منتصف السفح ومن أحد جوانبه ظهرت هضبة العمادية. كانت العمادية قديما قلعة حصينة ذات أهمية قيادية، لكن يومئذ كان الدمار قد نالها بسبب الأحداث التي حلت بها. الباقي من سكانها كان يعيش في فقر وبؤس، لكن رغم ذلك كانوا قانعين بحياتهم في وسط بساتين خضراء زاهية.

منذ زمن بعيد عاش جورج ريد حياة موزّعة بين فترات طويلة يقضيها في ربوع الشرق المتعدد العناصر وبين فترات قصيرة يقضيها في لندن عاصمة بلاده. في كل فترة كان يعود إلى لندن لقضاء إقامة قصيرة، كان الفرح يملؤ قلبه ويريحه بعض الشيء من صخب الحياة اليومية. لما وصلت القافلة المرتفع الأخير في سفرتها همس جورج في إذن سورما قائلا: " بالحقيقة إنّ الأراضي التي تجوّلتُ فيها في ربوع هذا الشرق الحبيب وسواءُ كان ذلك في منطقة الحكاري أو في بلاد فارس أو في بلاد ما بين النهرين هي أراض مدهشة جدًا وموحشة أيضًا. إنها تسكرني بجمالها الأخاذ وقسوتها المريعة. من يتجول فيها أو يخترق ربوعها ينجذب إليها رغم عدم وصول الحداثة والتطور إليها. سكانها لا يهتمون بالآخرين ولا بمحبتهم. من هذه الربوع ومن سكانها رجالا ونساءً حصلتُ على قوتي ومنها استلهمت الشجاعة. عفويتهم وحرارتهم، أفراحهم وأتراحهم، روحانيتهم وتصوّفهم غمرتني قليلا فقليلا واستحوذت على أحاسيسي. هذا الجانب السري من الحياة يسمو بها في التطبيقات اليومية وهذا ما يمكن ملاحظته واستنتاجه إذا ما تأملنا حركات الراعي البسيط أو الجمال كذلك نتحسسه عند سماع الصوت المدوّي في أعماق الوديان السحيقة. أو من كثبان الرمل المتحركة بفعل الرياح تحت أشعة الشمس المحرقة. وأيضًا قد نشعر بها عندما ننظر سماء الشرق السامقة أو عيون النسوة التي جمالها يفوق جمال القمر وهو بدر... ".

بعد برهة من الصمت، أخبر جرج ريد سورما بنبأ مفرح فقال: " إني قد تزوّجتُ جانيت، إنها إمرأة رائعة وذات رقة عجيبة ".

أقوال ريد الأخيرة والمفاجئة أفرحت سورما، وتنازعتها الإنفعالات فأجابت: "ليباركما الله ويقوي اتحادكما ويسكب عليكما مراحمه وخيراته.

إلتفتت سورما بعد ذلك نحو أخيها داوود وهمست في إذنه بعض الكلمات. فور ذلك سمعت القافلة أصوات رشقة من الإطلاقات النارية تبعتها زغاريد النساء الفرحات بقدوم ووصول أفراد عائلة البيت البطريركي.

إنتهت السفرة دون إزعاجات تذكر. الحدث الوحيد السيئ الذي حصل أثناء السفر، كانت إصابة أحد الحيوانات. بينما كانت القافلة تمرّ في طريق ضيق شقّ في الصخور الصماء زلقت الرجلان الخلفيتان لأحدى البغلات المحملة بالأحمال الثقيلة وكادت أن تسقط في هوة عميقة، لكن بأعجوبة استطاع الحيوان أن يثبت الرجلين الأماميين بقوة بحافة الطريق وينتظر المساعدة من الرجال الذين تسارعوا وأنقذوا الحيوان من سقطته بسحبه من ذيله، فواصلت القافلة السير بعد أن زال الفزع الذي أصاب أعضاء القافلة ونسوه بسرعة خاصة بسبب حصول الحادث قرب نقطة الهدف، ووقائع الإستقبال الرائع. قرية الداوودية قرية مسيحية. مدخلها كثير الحصو. على جانب منه يوجد سياج وترعة ماء. كانت هذه الطريق آخر عقبة في المسيرة. أيام السفر كانت الشمس مشرقة فيها وبلا غيوم تلبد السماء. فور الوصول، ترك ريد عائلة البيت البطريركي في مسكنها الجديد وقفل راجعا إلى بغداد بسبب إلحاح مسؤولي الجيش على ذلك نظرًا لإتقانه اللغة (العربية) وخبرته الواسعة بجماهير الآشوريين وطبائعهم وأحيانًا كان يشارك المسز بيل دائرتها. تركز إنشغال سورما واهتمامها بتحقيق الوحدة بين صفوف أبناء شعبها والتصاقهم بالكرسي البطريركي. جهودها كلها وجهتها بهذا الإتجاه. كان البطريرك كثير الإصغاء إلى أقوالها والعمل بنصائحها. رغم صغر سنّ البطريرك مار إيشاي، إنه قد لعب دورًا مهما في تحقيق هدف عمته سورما الذي تركز على توحيد صفوف جماهير الآشوريين الذين تحقق لهم بعض الإستقرار. رافقت سورما البطريرك في زياراته العديدة للقرى والمراكز السكنية المتواجدة حول قرية داوودية، آخذين بنظر الإعتبار جغرافية سكن تلك الجماهير الجديد وتوزيعهم العشائري. في منطقتي العمادية وبروار، كانت قد استقرت عشائر نياري وتخوما وبعض من أبناء عشيرة باز، في دهوك وألقوش والشيخان استقرّت غالبية عشيرة باز. في عقرة وبيرا كبره أبناء عشيرة تياري السفلى. أثناء الزيارات، كان مار إيشاي يبذل الجهود للتوفيق بين وجهات النظر بين العشائر وتشجيع بناء الكنائس أو أصلاح المدمر منها. بدون موافقة البطريرك أو المطران لم يكن في الإمكان تكريس أيّ كنيسة جديدة. كان التكريس يتمّ بدهن جدران الكنيسة الأربعة من الداخل والخارج وكذلك الهيكل والمذبح وقوائم الأبواب. عادة يكون الدهن المستعمل زيت زيتون خاص طبيعي سبق تكريسه لهذه الغاية أو مناسبات مشابهة. لم تتوقف سورما عن زياراتها، إضافة إلى إهتمامها بتثقيف إبن أخيها البطريرك طالما هو حافظ ذاكرة الأمة. مرة أخذت سورما

البطريرك الشاب إلى أحد مراكز كنيسة المشرق القديمة والمعروف دير الربان هرمز [153]. كان يعتبر هذا الدير من أهم الأديرة الموجودة في بلاد ما بين النهرين. يقوم هذا الدير في صدر واد يبعد عن ألقوش (من قرى سهل نينوى الكبيرة) ٢ كم وإلى الشرق منها. بناء الدير معلق على سفح جبل شديد الأنحدار قلآياته (القلآية عادة مسكن الراهب سواء كان ضمن جماعة من الرهبان أو منفردًا – المترجم) غالبًا ما تشبه أعشاش النسور مبنية على صخور الجبل الناتئة المجدبة. مؤسس هذا الدير راهب فارسي الأصل من خوزستان. ولد في نهايات القرن الميلادي السادس. سكن هذا الراهب في مغارة في هذا الجبل. متخذًا منها قلآية لراهب ناسك. بطريرك كنيسة المشرق حينذاك والذي كان إيشوعياب /إيشوعياو الثاني (٦٢٨ – ٦٤٤). ساعد الراهب هرمزد في مشروع بناء الدير إضافة إلى إثنين من المحسنين من نينوى. بمرور الأزمنة وتوالي السنين أصبح هذا "الديرا" مركزًا شهيرا[154] لدراسة العلوم الدينية بعد سلوقية – قطيسفون وبغداد والموصل. إتخذ هذا الدير مقرًا للكرسي البطريركي لكنيسة المشرق فترة ما [155]، تسعة من بطاركة كنيسة المشرق دُفنوا فيه. جميعهم كانوا من أبناء بيت البطريركي، الذي كان أبناؤه يتوارثون هذا المنصب. في القرن السادس عشر كان يعيش في هذا الدير أكثر من مائتي راهب. في عام ١٧٢٢ كان لا يزال فيه حوالي الستين راهبا في عام ١٧٤٣ قام جنود نادر شاه بتدمير الدير، فأصبح خربيات وأطلال. بقي الوضع على حاله قرابة الستين عاما. لم يجر على الموقع أيّ إصلاحات أو بناء إضافي إلا في عام ١٨٠٨ على يد رهبنة كلدانية جعلت الربان هرمزد وحياته قدوة ورمزًا لقانونها ونظامها. هكذا أصبح هذا الدير من ممتلكات الكنيسة الكلدانية، الرهبنة المذكورة قامت في عام ١٨٥٨ ببناء مبنى ثاني كدير جديد. لكن هذه المرة كان موقع المبنى الجديد في السهول القريبة من حوافي الجبل والوادي الذي فيه يستقر الدير القديم. الدير الجديد هو تحت إسم "دير العذراء مريم حافظة الزروع". ما بقي من الرهبان في الدير القديم الأصلي لم يكن عددهم يتجاوز أربعة رهبان. عند زيارة البطريرك مار شمعون إيشاي وعمته سورما الدير القديم إستطاعا زيارة صومعة الربان هرمزد ثمّ إنتقلا لزيارة موقع أضرحة البطاركة التسعة الراقدين في هذا الدير والذين هم في الوقت ذاته أسلاف للبطريرك الحالي مار شمعون إيشاي. زيارة هذا الدير وتذكر ماضيه كان للزائرين (سورما وابن أخيها) توبيخا صارخًا ومنبها لضرورة العمل لنقل ذلك التاريخ المشرق لاولئك البطاركة ولغتهم وتقاليدهم إلى جماهير شعبهما الذي غدا مشتتا.

تنفيذًا لمقررات مؤتمر القاهرة حاولت بريطانيا العظمى ممارسة الضغوط المختلفة على عائلة البيت البطريركي في محاولة لتطويع الآشوريين وإقناعهم بضرورة الإنضمام إلى أفواج الليفي. أولى المحاولات كانت في شهر نيسان من عام ١٩٢١، عندما كانت جماهير الآشوريين لا تزال في مخيم مندان. غير أنّ المحاولة فشلت بسبب معاتبة الآشوريين للإنكليز واتهامهم بعدم احترام وعودهم

التي أعلنوها سابقًا. بعد شهرين أو ثلاثة من تلك المحاولة بلغ عدد المستجيبين للدعوة البريطانية حوالي المائتي متطوع. في العام ١٩٢٢ ارتفع العدد إلى ١٥٠٠ متطوع. تمّ هذا التغيير في الموقف بتشجيع من سورما، أخيها داوود أصبح ضابطا للإرتباط بين المتطوعين والقيادة. في البداية وكما سبق أن قلنا إنظمت إلى هذا التشكيل العسكري البريطاني أفراد من الأكراد والعرب والأتراك. بقي الآشوريون يبذلون الجهود للحصول على السلاح للحفاظ على وضعهم هذا الهدف تحقق بانخراطهم في أفواج الليفي إضافة إلى حصولهم على راتب شهري. زعماء الجماهير الآشورية استفادوا كثيرًا من الفرصة المتاحة. تشكيل البريطانيين هذه القوة العسكرية النظامية ساعدت عائلة البيت البطريركي على توطيد موقعها في أوساط الآشوريين المنظمين إلى صفوف الليفي. في تشرين أول من عام ١٩٢٢ بلغ عدد الآشوريين من الليفي فوجين [١٥٦] كاملين من المشاة وكتيبتين من الخيّالة ومفرزتين/ سريتين للمدفعية. بذلك ظهر أنّ وحدة الآشوريين الجبليين قد تحققت مرة ثانية ومجتمعة حول النواة التقلدية البيت البطريركي.

هكذا استقرّت الأوضاع، ولم يعد يدور في مخيلة أي فرد أنّ هذا الاتحاد والتجمهر حول الأب الروحي والرئيس الأعلى للكنيسة هو حدث آنيّ وقصير الأمد.

معاهدة لوزان

انتصار تركيا الكمالية (نسبة إلى كمال أتاتورك)

إجتمع الحلفاء مع حكومة أنقره التي سبق أن رفضت معاهدة سيفر في لوزان في مؤتمر لدراسة الأوضاع وحل المشاكل، كان الإنكليز حينذاك يشاركون البيت البطريركي في الرأي. تواصلت أعمال واجتماعات المؤتمر [١٥٧]. خلال جلسات المؤتمر طرح اللورد كورزون عدة مرات القضية الآشورية على المؤتمرين. طرح القضية أول مرة في الثاني عشر من كانون أول عام ١٩٢٢ ، عند مناقشة موضوع حماية الأقليات. والمرة الثانية كانت في التاسع من كانون ثاني عام ١٩٢٣، في المرة الثانية طرح اللورد كوريزون بعض الأفكار العامة ووضعها بين أيدي الوفد التركي وكان نصها التالي: " قد يكون هناك من يقول أنّ التجمع الكلدو آشوري عدديًا هو قليل، وهذا قول فيه شيء من الصحة. لكن لو عدنا إلى الأصول القومية لهذا التجمع وإلى تاريخه وديانته والنكبات التي حلت به والجلاء الجماهيري / النزوح القسري الذي حصل له سنرى أنه بستحق اهتمامنا أكثر من أيّ طائفة أخرى في العالم هي بنفس الحجم. تجمع الكلدو آشوريين اليوم مشتت. إنهم مبعثرون في أرجاء العالم. بسبب الحرب طرد هذا التجمع من وطنه أي هجر قسرًا. إني أقصد بوطنه، مواقع سكناه الموجودة في

تركيا وإيران. أعداد كبيرة من الكلدو آشوريين، هم اليوم تحت الحماية البريطانية ويسكنون الأراضي العراقية. اهتمام البريطانيين بهذه الجماهير حاليًا اهتماما أفلاطونيًا. صرفت بريطانيا على الكلدو آشوريين حتى الآن أربعة ملايين باونا إسترلينيًا ومنذ إعلان الهدنة فقط. قسم من هذه الجماهير هي حاليًا في تركيا وهناك قسم آخر يتمنى الرجوع إلى هناك. ما يتعلق بمنطقة "جولاميرك" ستحاول الحكومة البريطانية بذل الجهود اللازمة للكلدو آشوريين الموجودين هناك لمساعدتهم والتخفيف عن مصائبهم نظرًا لأن المنطقة لا زالت تحت السيطرة البريطانية. إنّ حكومتي سوف لن تبخل بمساعداتها أيضًا على أولئك الكلدو آشوريين المقيمين في الأراضي التركية أو الذين يتهيأون للعودة إليها. إني آمل أن الحكومة التركية ستعطي لكل هؤلاء الضمانات الضرورية الكاملة والحرية التامة لإستعمال لغتهم وفتح مدارسهم الخاصة وممارسة تقاليدهم وطقوسهم الدينية حسب معتقداتهم الإيمانية " (١٥٨). إلى هنا أنتهى طرح اللورد كورزون.

راب خيلا (القائد) داوود د بيث مار شمعون بزي جيش الليفي

كانت الحكومة البريطانية تأمل التوصل إلى أتفاق ما رغم العراقيل المحيطة بالقضية والظروف الشائكة التي تمر بها. في الثالث والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٢٣ طرحت المشكلة ثانية عند مناقشة موضوع تثبيت الحدود بين العراق وتركيا. كان هذا الموضوع من أعقد القضايا، لذا حصلت الموافقة على دراسة الموضوع مرة أخرى وفي اجتماع عام يستطيع الطرفان البريطاني والتركي إظهار رأيهما بوضوح وتحديد. قدّم الطرفان وجهتي نظرهما بتفصيل في الإجتماع العام وحصلت بعد ذلك مناقشات ومداخلات طويلة. موقف الجانب البريطاني والدول المؤيدة له كان أكثر لينا وتصالحيًا من موقف الجانب التركي الذي تعنّت وأبدى صراحة موقفا مغايرًا عما كان عليه عام ١٩٢٠.

كانت معاهدة (سيفر) قد وضعت الأختام على قرار تفتيت الإمبراطورية العثمانية بشكل نهائي

وبذلك انتهى وجودها رسميًا. عوض عنها ظهرت للوجود حركة قومية يرأسها ضابط تركي اسمه مصطفى كمال. الرئيس التركي الجديد رفض معاهدة سيفر جملة وتفصيلا هذا من جهة. أما من الجهة الثانية فكان هناك قضية اليونانيين الذين احتلوا آسيا الصغرى. قاد مصطفى كمال حربا شرسة لتحرير الأجزاء المحتلة ضدّ اليونانيين والإنكليز المتحالفين معهم. بعد معارك دامية حقق مصطفى كمال والجيش التركي الذي يقوده انتصارات باهرة. في آب من عام ١٩٢٢ وقعت وثيقة الانتصار الحاسم للأتراك على اليونانيين فقلبت صفحة الإحتلال اليوناني وإلى الأبد. هذا الإنتصار جعل الأتراك في موقع القوة والإحتفاظ بحدودهم الشرقية المحاذية لليونان ووفق ضوابط تراس/ Thrace أي حدود المنطقة الجنوبية الشرقية من أوربا وتشمل النهاية القصوى الشمالية الشرقية من اليونان –المترجم). حروب مصطفى كمال وانتصاراته أعادت للأتراك مفاخرهم وأسقطت الحكومة القائمة آنذاك. إلى جانب انجازات مصطفى كمال الحربية فإنه قد حقق خروقات في النشاط الدبلوماسي أيضًا. فباستثناء سنجق الإسكندرونة، هناك مناطق تخلت عنها فرنسا لصالح تركيا مثل مقاطعة كيليكيا التي من مدنها أدنه وطرسوس. كذلك تحقق لتركيا اعتراف فرنسا الرسمي بحكومة مصطفى كمال رسميًا (بحكم ضرورة الواقع) نتيجة لما حصل، قامت فرنسا بتجهيز الأسلحة التي تحتاجها الحكومة الكمالية. في أيلول من عام ١٩٢٢ قامت كل من فرنسا وإيطاليا بإخلاء الضفة الشرقية من الدردنيل. هذا الإجراء أغضب حكومة إنكلترا. حسب الوقائع التاريخية حصلت مشادات كلامية بين وزيري خارجية فرنسا Raymond Poincaré واللورد كورزون مسؤول الشؤون الخارجية. في التاسع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٣ أعلن قيام الجمهورية التركية (الحديثة) رسميًا، وأصبح مصطفى كمال أول رئيس للجمهورية التركية. في لوزان أخذ اللورد كورزون يتعامل مع حكومة الكماليين رسميًا تاركا جانبًا السلطان محمد السادس بسبب الضعف

والوهن السياسي الذي أصابه. بعد توقيع معاهدة لوزان مباشرة في الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٣ أصبحت معاهدة سيفر ملغية وتمّ الإعتراف بتركيا الجمهورية كقوة جديدة تدخل الميدان ورُسم الجزء الأكبر من حدودها. عندئذ وبسبب التأخير الذي أبدته الحكومات المعنية ولعدم اتفاقها في الرأي أجل البت في موضوع الحدود التركية - العراقية. هذه النتيجة أدّت إلى ظهور مشكلة متعلقة بتلك الحدود الجديدة عرفت فيما بعد لدى الأوساط الدولية بمشكلة الموصل (ولاية). بقيت هذه المشكلة تتأرجح وتتقاذفها أيدي الدول الكبرى ذات القرار مدة طويلة نظرًا للآراء الكثيرة والحلول المختلفة بسبب اختلاف مصالح الفرقاء. يُقصد بالفرقاء هنا: الأتراك والبريطانيين ودولة العراق الحديثة والأكراد والآشوريين. فالأتراك طالبوا بالموصل كولاية تركية تابعة لهم (عندما نشير إلى الموصل نشير أيضًا إلى حقولها النفطية التي تسيل لعاب الدول). العراق من جانبه، طالب هو أيضًا بالموصل رغم حداثة تأسيسه. دور بريطانيا لم يكن يختلف عن الدولتين السابقتين لا بل زاد عليهما أن بريطانيا نظرت إلى نفط العراق وحقوله كوحدة واحدة لا تقبل التجزئة. جماهير الأكراد والآشوريين لم تكن تتطلع إلا إلى تحقيق حكم ذاتي خاص بهم. كثرة المطامع والآراء أدّت إلى تعليق الموضوع وتأجيل إقراره إلى أجل غير مسمّى. نصت المادة الثالثة من معاهدة لوزان: "يجرى تثبيت الحدود بين تركيا والعراق بموجب أتفاقات ودية بين كل من تركيا والعراق وبريطانيا العظمى وخلال فترة لا تتجاوز التسعة أشهر. في حالة عدم التوصل الحكومتين إلى انفاق نهائي خلال الفترة المحددة ترفع القضية إلى مجلس الهيئة العامة لعصبة الأمم".

الطرفان المعنيان أصرّا كل على رأيه وبعناد شديد. فامتدت قبضة حديدية لحل المشكلة المستعصية بين الأتراك والإنكليز. مع إشتداد الصراع نزلت سورما ومعها الشعب الآشوري إلى ساحة النزال مدافعة عن القضية الآشورية بكل شجاعة وحكمة.

القبضة الحديدية

قضية مستقبل الحدود الفاصلة بين العراق وتركيا أعادت قضية الكلدو آشوريين على مسرح الأحداث ودخلت في جدول أعمال المؤتمرين. مؤتمر لوزان هيّج أطماع الدول الحديثة التكوين والقوى العظمى على حد سواء. ها هي ساعة المساومة تدق. تحذرًا من أخطار الموقف المخيفة ودفعا للنتائج غير المتوقعة أو المرغوبة، اضطرّ مار شمعون إلى الإسراع وعدم الإنتظار في إظهار ردود الفعل حتى نهاية شوط المناقشات في لوزان. قدم البطريرك مار شمعون إيشاي في الثامن من تموز عام ١٩٢٣ رسالة إلى المندوب السامي البريطاني Sir Henry Dobbs مسجلا جزعه وجزع شعبه كله بخصوص الموضوع. المندوب السامي أجاب مؤكدًا رغبة الإنكليز دعم البطريرك والشعب الآشوري فقال: "إنّ الحكومة البريطانية مقتنعة كل الإقتناع بكل الخدمات التي قدّمها شعبكم

ومطلعة في الوقت ذاته على كل الصعوبات التي يواجهها. الحكومة البريطانية ترغب في إيجاد حلّ يضمن حقوق الشعب الآشوري ومصالحه" [١٥٩]. تطبيقًا لنصوص المادة الثالثة من الإتفاقية، بدأت المباحثات الأنكلو- تركية في اليوم التاسع عشر من أيار عام ١٩٢٤ في القسطنطينية. مندوب بريطانيا العظمى لهذه المباحثات السير بيرسي كوكس كلف بالدفاع عن مصالح بلاده وحلفائهم الآشوريين، على شرط الأخذ في نظر الإعتبار ما سبق أن تمّ إقراره، أي دعم موقف العراق: تجاه مشكلة ولاية الموصل حسب ضمانات الإنتداب. مطالبات العراق بولاية الموصل بحاجة ماسة للدعم البريطاني لمواجهة الإلحاحات الدولية. مما لا شك فيه أن بريطانيا العظمى كانت تفضل أن ترى هذه البلاد تدار بأيدي أبنائها العراقيين. سبق أن تمّ الإتفاق على ألاّ يطالب العراق بالإستقلال الفوري، مقابل ذلك يحتفظ الإنكليز بوضعهم كدولة منتدبة. لكن حالة كهذه ستبرز مشكلة جديدة هي مشكلة عوائد النفط. إنّ شركة النفط التركية المعروفة تسميتها إختصارًا بـ Turkish Petrole-um Company / (TPC) أسسها الإنكليز عام ١٩١١ أصبحت باطلة بعد أن تمّ تفكيك الإمبراطورية العثمانية. عند نهاية العام ١٩٢٣ جرت مباحثات جديدة. تنفيذا لبنودها منح العراق بريطانيا العظمى الكثير من الإمتيازات. في الخامس والعشرين من آذار عام ١٩٢٥، وُقعت إتفاقية نفطية بموجبها أعطى العراق للشركة التركية TPC إمتيازًا لإستثمار الحقول النفطية في العراق عدا البصرة. وإعفاءً ضريبيًا جزئيا. مقابل ذلك يحصل العراق على ٢٠٪ من صافي الأرباح كعوائد نفطية ومبالغ إضافية تدفع عن كميات النفط.المصدرة بالأطنان. ترضية للحلفاء وتجنبًا لأيّ تدخلات قررت بريطانيا توزيع أسهمها عليهم [١٦٠].

كانت إهتمامات بريطانيا المشار إليها أعلاه بعيدة كل البعد عن المشكلة الآشورية، غير أنه رغم ذلك استمرت بريطانيا على المطالبة بوطن لحليفها الصغير. ركز كوكس عند حضوره مؤتمر القسطنطينية على المطالبة بولاية الموصل لتكون عراقية ولدفع الحدود بين العراق وتركيا إلى الشمال ليكون جزء من جبال حكاري ضمن الأراضي العراقية، كيما على هذا الأساس يمكن تحقيق عودة الآشوريين إلى وطنهم الأصلي حسب رغبتهم ومنحهم الحكم الذاتي الذي يهدفون الحصول عليه. الحكومة التركية عارضت لا فقط فكرة تعديل الحدود المؤقتة، بل أيضًا جعل ولاية الموصل من حصة العراق. الحكومة التركية بإدّعائها ذاك أبلغت المعنيين أن ليس في النية التنازل عن حكاري التي طالب الإنكليز بجزء منها. مطالبات تركيا تلك تبعها تأييد شعبي تركي كبير. إنتهى مؤتمر القسطنطينية في الخامس من حزيران عام ١٩٢٤ وفي جعبته خيبة أمل بالتوصل إلى إتفاق مرضي للطرفين. هذه النتيجة حتمت ضرورة رفع القضية برمتها إلى المجلس العام لعصبة الأمم (ما يشبه مجلس الأمن للأمم المتحدة اليوم). نتائج مؤتمر القسطنطينية أقلقت سورما كثيرًا وسرعان ما غدى ذلك القلق هما واقعيا وفعليا. في ذات الوقت كان الأتراك قد إتخذوا الإجراءات اللازمة لتعبئة قوات عسكرية كبيرة وأرسلوها إلى منطقة حكاري. هذا

الإجراء استوجب إنتشار القوات التركية على المناطق الحدودية التي كانت موضع الخلاف واحتلتها إحتلالا عسكريًا تاما. كانت دولة تركية الحديثة تبحث عن ذريعة لطرد الآشوريين العائدين إلى موطنهم الأصلي منذ سنتين مضت. في العام ١٩٢٤ وفي شهر آب منه عثرت تركيا على الذريعة المطلوبة نتيجة للحدث التالي: عندما جاء جابي الضرائب التركي المقيم في جولاميرك وطالب بالمبالغ المفروضة لاستلامها لحساب الدولة، حصل خصام بينه وبين بعض من أبناء عشيرة تخوما بسبب ضخامة المبالغ المطالب بها. فور ذلك، أبلغ الجابي المسؤولين رفض الآشوريين دفع الضرائب المفروضة، فقاموا بإرسال قوة عسكرية للإنتقام. عند وصول أفراد تلك القوة إلى مناطق سكنى الآشوريين، قاموا بسلب ونهب القرى المسيحية دون استثناء وثمّ حرقوها كاملة. بعد مقاومة عنيدة وقصيرة، اضطرّ المقاومون الآشوريون الذين حاولوا صد هجوم القوة التركية إلى الإنسحاب باتجاه الحدود العراقية بسبب عدم التمكن من الإستمرار في المقاومة نتيجة للنقص الحاصل في صفوفهم بعد انخراط ما يزيد على (٨٠٠٠) مقاتل آشوري في صفوف تشكيلات الليفي البريطانية. إنسحاب المقاومين وملاحقة القوة التركية للمنسحبين دفع بالجماهير الآشورية المقيمة وراء الحدود التركية إلى تدخلهم الفوري، فشكلوا قوة آشورية صرفة على وجه السرعة ودخلت الميدان فأوقفت الملاحقة التركية عند حدّها. تشكيل القوة الآشورية الفوري ودخولها الميدان على عجل كان بمبادرة شخصية من سورما، حيث فور إبلاغها بالأمر استلمت القيادة بيدين قويتين وباشرت بإدارة الأوضاع مباشرة فأمرت القوة التي تمَّ تشكيلها على عجل دخول المعركة وإجبار الأتراك المحتلين على إيقاف ملاحقتهم المقاتلين الآشوريين المقاومين للهجمة التركية. هكذا استطاع الآشوريون الحفاظ على خط الحدود الذي كان لا يزال في نظر العراق خط حدود مصطنع، خطًا حدوديًا واقعيًا، وإن يكبحوا جماح الهجمة التركية الشرسة وإيقافها عند حدّها. في كانون الثاني عام ١٩٢٥، وجه نائب مارشال الجو للقوات البريطانية في العراق شكره الحار والعميق إلى الليدي سورما للخدمة المؤثرة التي قدمتها عند موجهة القوة الآشورية الحملة العدوانية التركية. على أثر ذلك قام العقيد Dobbin بتوثيق العمليات القتالية الآشورية في تقرير مفصل قال فيه: "هنا لا بد لي لأن أسجل الأثر الكبير للمساعدة القيمة التي قدمتها لنا الليدي سورما آل مار شمعون ولا زالت، وذلك لتهيئتها الفورية قوة قتالية عسكرية ولكن غير نظامية شكلتها من مجندين سابقين، كما نجدها دومًا متطوعة تلقائيا لتوجيه المقاتلين المتطوعين وتشجيعهم في إنجاز المهام الموكلة. حاليًا لا زالت تساعدني بشكل أعجز عن وصفه كما توفر لي النصائح اللازمة لقيادة وتدبير القوات البريطانية التي شكلناها[١٦١]".

بجهود القوات الآشورية غير النظامية، ومن وجهة عسكرية محظة، نستطيع القول وبتأكيد، أنه كان للعمليات العسكرية التي حققتها تلك القوات أثرًا كبيرًا في مستقبل الأحداث، علما أنّ القوات العراقية آنذاك كانت لا تزال تحت التشكيل ولا قدرة لها التدخل أو التعامل مع الأحداث الجارية. يقصد بالأحداث مشكلة ولاية الموصل التي الحقت فيما بعد بدولة العراق الحديثة التكوين. تلك

القوة غير النظامية استطاعت إيقاف الأتراك ومخططاتهم عند حدّها ومنعتهم من إلحاق مناطق من هذه الولاية بالأراضي التركية كما كانوا يريدون بقوة السلاح. تنفيذ الآشوريين لخطط سورما حقق الحماية الفعلية لجماهير الآشوريين الساكنين في الأراضي الواقعة ضمن الأراضي العراقية. إضافة لذلك، كان لتدخل القوة الآشورية في سير الأحداث تأثيرًا إيجابيًا في مواقف بريطانيا العظمى في المجالات الدولية وأحداثها حينذاك، وخاصة بعد فشل المحادثات التركية البريطانية المباشرة، كل هذه الوقائع تمّ إبلاغها إلى عصبة الأمم ودخلت ضمن أرشيفها.

قضية الموصل

الليدي سورما تحت قبة قاعة اجتماعات عصبة الأمم

كانت أطماع الدولة التركية الحديثة بالثروات النفطية المتوفرة في ولاية الموصل كبيرة ولا تقلّ عن تلك لتي كانت للإنكليز. هذه الحقيقة جعلت عصبة الأمم في موقف حرج، لا من الناحية القانونية فقط بل أيضًا من ناحية تصادم مصالح الأطراف المعنية. هذا الواقع أدخل قضية الكلدو آشوريين في سياق تطور الوقائع فشوّشت عليها وخلطت الأوراق. الدول الحاضرة في المناقشات بقيت ثابتة على مواقفها دون تراجع. في نهاية عام ١٩٢٤ وصل إلى جنيف " الملك قمبر " من عشيرة جيلو، موفدًا من قبل الجانب المنادي بإستقلال الكلدو آشوريين وقدّم مطالبهم واضحة ومبوّبة. في شباط من عام ١٩٢٥ تكررت المطالبة (١٦٢) . لكن ورغم الإلحاح، لم تتحقق أيّ نتيجة إيجابية. كانت مشكلة الموصل خلال تلك الفترة بؤرة المناقشات في إجتماعات عصبة الأمم. أخيرًا قرر مجلس (١٦٣) الجمعية العمومية في عصبة الأمم تشكيل لجنة لتقصي الحقائق، في الثلاثين من أيلول ١٩٢٤ . في التاسع والعشرين من تشرين أول من نفس العام قرّر مجلس الجمعية العمومية لعصبة الأمم تثبيت خط حدود مؤقت هذا القرار لم يجسد عمليًا أيّ حلّ نهائي للمشكلة. عرف هذا الخط بـ " خط بروكسل " . خط بروكسل لم يكن يختلف عن سابقه المعروف بـ " خط لوزان " . كان خط بروكسل خطًا لا ينسجم مع تطلعات وطموحات الكلدو آشوريين. إنه كان ضد مصالحهم تمامًا لأنه قسّم موطنهم إلى قسمين بينهما حدود دولية. عمل لجنة تقصي الحقائق المؤلفة من ثلاثة أعضاء تركز على إجراء تحقيقات موقعية حصلت خلال الفترة بين كانون الثاني وآذار عام ١٩٢٥ . وعلى التحقيق القلق وغير الدقيق للمستندات المختلفة والمقابلات التي أجريت مع شخصيات البلد البارزة. بعد ذلك وضعت اللجنة تقريرها المفصل المؤرخ في ١٦/٧/ ١٩٢٥ احتوى التقرير رأيًا أذهل الآشوريين وحطمهم. في قسم خاص من التقرير تحت عنوان " القضية الآشورية " أظهر التقرير الآشوريين مذنبين فوجه إليهم الإنتقاد اللاذع لحملهم السلاح بوجه الدولة التركية ودون إشارة إلى التحريض الذي مارسته السلطات التركية للإيقاع بالآشوريين. ناقش المجلس التقرير وحلله من خلال جلسات

عديدة ومطوّلة استغرقت الفترة من أيلول إلى كانون أول من نفس العام.

إستنتاج التقرير تركز على إتهام الآشوريين بإعلانهم ثورة مسلحة ضد الحكومة الشرعية القائمة آنذاك [١٦٤]. ردًا على نصوص التقرير الكارثية، وبناء على طلب وزارة الخارجية البريطانية، تمّ استدعاء الليدي سورما إلى جنيف لتقدم شهادة عن وضعية الشعب الآشوري. بناءً على الدعوة، توجهت سورما إلى لندن ووصلتها في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الأول عام ١٩٢٥. سجل الأحداث لدير بيت عنيا يُشير إلى وصول سورما في هذا التاريخ، في العشرين من آذار ١٩٢٥، سبق أن أجرى اللورد كورزون عملية جراحية. هذا الحدث الطارئ غيب أحد الخطباء المتحمسين للقضية الآشورية والمؤثرين في الرأي العام البريطاني، ولم يبق من المؤيدين المهمين لسورما إلا رئيس أساقفة كنتربري. حضر هذا الحبر الجليل الإجتماع وهو متأثر من الشائعات التي كانت تهدف التقليل من شأن الالتزام البريطاني تجاه بلاد ما بين النهرين، فرفع صوته مجلجلا وأخذ القلم وكتب في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٢٥ رسالة مفتوحة نشرتها جريدة التايمس اللندنية الشهيرة. كتب مخاطبًا رئيس الوزراء البريطاني فقال: " الإعتبارات الإقتصادية لا يجب أن تكون مبررًا للتخلي أو تناسي تعهدات بريطانية العظمى التي التزمت بها تجاه الآشوريين. نتيجة للدعم الذي لمسته سورما من لدن رئيس الأساقفة، حاولت تشكيل لوبي بريطاني مؤثر في الأوساط المعنية في جنيف. البيت البطريركي لم يرض أو يوافق على وجهة نظر لجنة تقصي الحقائق باعتبارها مجحفة بحق الشعب الآشوري وظالمة. غادرت الليدي سورما لندن والألم يحز قلبها. وصلت سويسرا للمشاركة في المناقشات الجارية في مقرّ عصبة الأمم. وصلت والقلق يلفها لا فقط نتيجة للإستنتاجات التي توصل إليها تقرير اللجنة والذي قدّمته إلى مجلس عصبة الأمم بل أيضًا قرارات محكمة العدل الدولية الدائمة التي مقرها لاهاي / هولندا. لأن ملف هذه القرارات كان يحوي صعوبات ومعوقات ذات طبيعة قانونية بحتة. كان أساس تلك الصعوبات استفسار عن الصلاحيات المخوّلة لمجلس عصبة الأمم بموجب المادة الثالثة من معاهدة لوزان. هذه المادة نفسها كانت موضوع خلاف كبير بين الطرفين، البريطاني والتركي، بسبب هذا الخلاف، رُفعت القضية إلى منصات محكمة العدل الدولية لإستبيان رأيها كجهة أستشارية. في الحادي والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٥ أصدرت محكمة العدل الدولية توصيتها بعد جلسة علنية وأرسلتها إلى عصبة الأمم. استلم مجلس عصبة الأمم التوصية وأطلع عليها في الثامن من كانون الأول من نفس العام في جلسته السابعة الثلاثين. هنا نقتطف بعضًا من التوصية: " التصرف كوسيط ومستشار يعني أن كل منهما يكونان جزءًا أساسيًا عند إسناد المهام من قبل المجلس في حالة الفشل (وهذا ما حصل فعلا) تستنفذ مقدرته في أتخاذ القرار [١٦٥].

بعد هذه الجلسة حددت سورما موقعها واستطاعت أن تبين وجهة نظرها بدقة ووضوح وتفصيل.

جورج ريد وزوجته الشابة الحسناء تشرفا بمرافقة سورما إلى جنيف وكانا شاهدي عيان لتأثيرها البالغ على زعماء العالم الحاضرين في الجلسة. كتب ريد [١٦٦] عن ذلك قائلا: " عندما كانت تلقي كلمتها تخيلتها ملكة أو معلمة حقيقية مهيبة، لو كان المرحوم الدكتور براون حيا ورآها لازداد افتخارُه بها. جورج ريد نفسه ورغم كونه من ضباط صنف الخدمات الخاصة لصاحبة الجلالة لم يخف دهشته وتعجبه بشجاعة هذه المرأة الجسورة التي سبق وأن تعرف عليها منذ حوالي العشرين عامًا. شرحت الليدي سورما تفاصيل تاريخ شعبها والآلام التي قاساها شرحا مؤثرًا. ثمّ دافعت عن حقه في مقاومة أعمال الظلم التي حصلت على أيدي الحكومة الرسمية، بينما المفروض فيها أن تكون حامية لمواطنيها. هنا ركزت على توضيح ما حصل من مذابح فظيعة ومجازر وحشية عانى منها الشعب الآشوري وكانت بعلم وتنظيم مسبق وفق قرارات رسمية أو أوامر تصدرها الحكومة. كذلك أكدت حق الشعب الآشوري في العودة إلى وطنه والعمل على أراضيه " . أخيرًا أنهت الليدي سورما مداخلتها بذكر التقارير الرسمية الأخرى التي لم يسبق تقديمها لمجلس عصبة الأمم إعتمدت سورما تلك التقارير وإتخذتها مستندات داعمة لأقوالها ومقنعة مطالبة المجلس بقبولها كوثائق جديدة ليدرسها بعناية وروية وأناة حيث ورد فيها حجج وبراهين دامغة ثم يحتفظ بها مع الوثائق الأخرى التي هي في حوزته. ختمت سورما كلمتها بكل نبل ومهابة فقالت: " في هذه الساعة وبينما أنا أخاطبكم أريدكم أن تتذكروا ماضينا القريب المملوء بالمآسي،إننا شعب، له تاريخ عريق مجيد، حاضره بؤس وشقاء ومستقبله حسبما تبدو البوادر سيتضمن مزيدًا من الآلم والعناء. لأن الجماهير التي تعيش شمال الخط الحدودي الذي تعرّفونه بخط بروكسل لا زالت تعيش نظام حكم ظالم يهضم حقوق الآشوريين وينصب لهم المكائد. هناك براهين منصفة قد تنير وتبين وضعية الشعب الآشوري اليوم أعرضها أمام مجلسكم الموقر حسب الواقع الفعلي. ها هو تقرير الجنرال الأستوني Laidoner أقدمه لكم مع المذكرة الإضافية المرفقة المؤرخة في ٢٣/١١/١٩٢٥ .

المستندان يُكملان أحدهما الآخر ويوضحان الحالة المزرية والمؤلمة التي يعيشها اللاجئون. التقرير يصف حالة اللاجئين البائسة، وهناك أيضًا فقرة بعنوان " نفي المسيحيين " / جلائهم، تصف هذه الفقرة المأساة المريعة التي عاشها الآشوريون وهم في طريق النفي القسري، وأن هناك لا زال (٣٠٠٠) عائلة آشورية لاجئة في زاخو محرومة من كل شيء. عدا ذلك يتحدث التقرير ويؤكد حصول إعتداءات وحشية وجرائم مخجلة إرتكبت بحق اللاجئين الآشوريين واختتمت بمذابح جماعية نفذتها فرقة عسكرية تركية. وأنه لا زالت تتوافد أعداد من الضحايا القادمة من قرى: بلّون / Bellon وآلتو Alto وبيجو Baijo ومركا Marga كل هذه القرى تقع شمال خط بروكسل. الآن أرجو أن تسمحوا لي أن أقرأ بعضًا مما جاء في التقرير بخصوص قرية بيجو التي كان عدد سكانها (٢٠٠) بيتا: " حاصر القرية (٣٥٠) جندي تركي واحتلوها ، كان يقود هذه الفرقة من الجنود

الضباط التالية أسماؤهم: جمال بيك، تحسين أو ياسين بيك Yassin (أعتقد أن هناك خطأ في كتابة الإسم باللغة الفرنسية، لذا كتبت الإسم بصيغتين محتملتين –المترجم) نازي بيك، وحمدي بيك، بعد الإحتلال قاموا بانتقاء أجمل أربعين إمرأة موجودة في القرية لقضاء الليل معهنّ، أزواج هذه النسوة أعتقلوا في مكان منعزل ثمّ قتلوا في مجزرة جماعية. عملية النفي لم يبدأوا بها إلاّ بعد ستة أيام من احتلال القرية. خلال هذه الفترة قام الجنود بقتل الشيوخ والمرضى والأطفال والأولاد الذين لم يكونوا قادرين على مرافقة قوافل النفي. كان القتل الفوري من نصيب كل من يقف عاجزًا عن مواصلة المشي. أكبر عوائل القرية كانت عائلة المختار. كان عدد أفرادها يزيد على المائة شخص. ما وصل منهم كلاجئين إلى زاخو كان فقط ١٣ شخصًا، الباقون قضوا نحبهم على الطريق أو قتلوا لعدم مقدرتهم على مواصلة السير..." .

البراهين الأخرى التي جاءت في التقرير أثبتت وعزّزت بنصوص رسمية وبرقيات أرسلت إلى مجلس عصبة الأمم من قبل شخصيات معروفة وشهيرة من بينها Sir Amer عدا ذلك هناك شهادات جمعت محليًا، كلها كانت تؤيد هذه التصريحات وتثبت صحتها مثل الشهادة المفصلة التي سجلها أحد كهنة الكلدان الموجودين في زاخو واسمه الأب بيدارو. كتب هذا الكاهن تلك الشهادات التي سماعها يدمي القلوب الصخرية بعد أن سمعها مباشرة ممن نجوا من سيف القتلة الأتراك.

واصلت الليدي سورما كلمتها، فوصفت الحالة المأساوية لوضع المسيحيين الكلدان، من الذين كانوا يسكنون تلك المناطق عامة والآشوريين منهم خاصة. مداخلة سورما أخذت وقتا طويلا. بعد انتهائها خيّم صمت رهيب على جميع الحاضرين، حتى إن أخذ الكلام متحدث آخر.

كان بين أيدي مجلس عصبة الأمم كل التفاصيل الضرورية لتنوير الأراء بشكل واف ، مثل التقرير الذي أرسله الجنرال Laidoner الذي قدّم يوم ١٤/ ١٢/ ١٩٢٥ [١٦٧] . لكن، هل يا ترى، كانت كل هذه المستندات كافية لمنح الإستقلال الناجز للآشوريين وتفتيت الضغوطات المستمرة التي كانت الدول والقوى العظمى تفرضها؟ هذا ما تمنته الليدي سورما من كل قلبها. غير أنّ الجواب هو لا وألف لا. عادت الليدي سورما إلى لندن تاركة عيونها وآذانها في جنيف منتظرة بلهفة وقلق القرار الخاص بهذه المشكلة الدولية التي أشغلت العالم زمنا طويلا.

كانون أول الأسود من عام ١٩٢٥

لم تفد كل الجهود المبذولة، ولاية الموصل ألحقت بدولة العراق الحديث الولادة القابع تحت الإنتداب البريطاني. في نفس الوقت طلب تعديل الحدود في منطقة الحكاري، لكن ذلك رُفض من قبل مجلس عصبة الأمم، عوضًا عن ذلك إتخذ قرارًا إعتمد فيه على خلاصة ما جاء في تقرير اللجنة

الأولى لتقصي الحقائق (لجنة شهر تموز عام ١٩٢٥) ومهملا كل ما جاء ذكره في في تقرير Laidoner ومذكرته الإضافية. كان قرار المجلس النهائي حسب النصّ التالي:-

١ • تثبت الحدود بين تركيا والعراق بالشكل التالي: يكون خط الحدود وفق خط التحديد بحيث تكون كل ولاية الموصل من حصة بريطانيا العظمى، أي أن يكون هذا الخط هو نفس الخط الذي يمكن من الحفاظ على الحالة التي هو عليها حاليًا ووفق ما جاء في القرار الذي تبناه المجلس في بروكسل في ١٩/ ١٠/ ١٩٢٤.

يدعو المجلس الحكومة البريطانية لتقدم له معاهدة جديدة تعقدها مع العراق، تؤكد استمرار تنفيذ نظام الإنتداب مدة خمس وعشرين عامًا حسبما أشير إليه وحدّد ببنود معاهدة التحالف المعقودة بين العراق وبريطانيا العظمى، وطبقا لمرسوم الإلتزام الذي قدمته الحكومة البريطانية إلى المجلس والمصادق عليه في ٢٧/٩/ ١٩٢٤ بشرط أن يكون تاريخ التقديم غير متجاوز الفترة المحددة لنفاذ مفعول قبول العراق عضوًا في عصبة الأمم وفق المادة الأولى من الميثاق (ميثاق عصبة الأمم) [١٦٨].

اجتمع مجلس عصبة الأمم للمرة الأخيرة في اليوم السادس عشر من كانون أول عام ١٩٢٥، وتبنى الإقتراح المشار إليه باتفاق الآراء ودون الأخذ في نظر الإعتبار تأثير أصوات المعنيين ذوي المصلحة المباشرة. هكذا أصبح الإقتراح قرارًا نافذ المفعول. السير أمري وزير الدولة لشؤون المستعمرات البريطاني كان الشخص الوحيد الذي قدم تحفظه قائلا: " تبدي حكومة صاحبة الجلالة أسفها لعدم قبول المجلس اقتراح الحكومة البريطانية لتعديل خط الحدود القائم حاليًا، الذي كان من المفضل قبوله من الناحيتين الإستراتيجية والإدارية، إضافة إلى مقدرته لأن يكون آلة فعالة لضمان أمن اللاجئين الآشوريين في موطنهم الأصلي وكذلك الكلدان من الكويان الذين سبق أن أشير إلى مصيرهم التعس في تقرير لجنة الجنرال Laidoner بالمقابل تعلن حكومة صاحبة الجلالة باسمها ونيابة عن العراق أنها تقبل قرار المجلس وتعمل بموجبه بكل إخلاص. هكذا قطعت مقصلة مجلس عصبة الأمم الرقاب وأسدلت الستار على المشكلة، فأصبحت أراضي الموطن الأصلي للآشوريين مقسمة بين دولتين، دولة تركيا ودولة العراق الحديثتي التكوين وغدًا خط بروكسل[١٦٩] الحدودي الذي كان في السابق خطًا حدوديًا مؤقتا، خطًا حدوديًا ثابتًا ونهائيا يفصل بين الدولتين.

تحددت مشكلة الموصل وأقرّت بناءً على اعتبارات جغرافية وإستراتيجية واقتصادية وسيادية دولية، ودون الإهتمام بمصالح جماهير السكان الأصليين وكذلك الأقليات المسيحية خصوصًا. أثيرت هذه المشكلة مرات عديدة وخلال فترات متباعدة، غير أنّ الموضوع لم يحظ أبدًا بالإهتمام الواجب والمستحق ورغم الإحتجاجات المبنية على التخوّف من حصول مذابح جماعية للأقليات بأسلوب منهجي، بينما العدالة كانت تستوجب أن يكون لهذه الأقليات حماية دولية مضمونة. كل الجهود

المبذولة في هذا الإتجاه ذهبت أدراج الرياح. مراقبون كثيرون تحدثوا عما أسموه آنذاك "غلطة" إرتكبتها لجنة تقصي الحقائق ومجلس عصبة الأمم. عن هذا الموضوع صرّح البروفسور الشهير Louis le Fur "طالما أننا لا نشك أنّه لم يكن في نية لجنة تقصي الحقائق التضحية بالمسيحيين الساكنين هناك، فكان عليها الأخذ في نظر الإعتبار وقائع أحداث الماضي كمستند تعتمده مستفيدة من الخبرة التي اكتسبتها عوضًا عن التبرير الذي أدرجته متهمة الآشوريين بإثارة الهياج دون براهين ثابتة. كان على السلطات العثمانية واجب تقديم كل ما يؤكد قيام الآشوريين بثورة مسلحة ضد الحكومة الشرعية. كل ما إعتمدته اللجنة كان حجج واهية ومرفوضة". الواقع الفعلي الذي كان يجب الإستناد عليه في معالجة هذه القضية وعوضا عن إبداء الحزن والأسف اللذين لا يشبعان جوعا، إن لم يكونا للسخرية والتهكم فقط، هو دراسة حالة المسيحيين الواقعية في الأراضي التركية، ومواجهة المسلمين لهم أتراكًا كانوا أو أكرادًا. تبرير اللجنة يذكرنا بحكاية الذئب والحمل ونعتبره حجة مرفوضة كالحجة التي أعتمدها العثمانيين في اتهامهم الموجّه للأرمن فقالوا عنهم إنهم عصاة متمردون. كل هذه التبريرات والاتهامات فندها السيد Mandelstam بشدة وتصميم(١٧٠).

قرر مجلس عصبة الأمم إلحاق ولاية الموصل بالعراق الواقع تحت الإنتداب البريطاني. إكتشاف واستثمار الحقول الغنية بالثروة النفطية والموجودة في الموصل وكركوك جعلت المنطقة التي تسكنها جماهير كردية وكلدو آشورية موضع رهان. بريطانيا العظمى لم تكن على استعداد للدخول في حرب ضروس جديدة وغير محسومة النتائج من أجل إقرار حق تقرير المصير للشعوب، هذا في الوقت الذي كانت فيه مصالحها في اتجاه مغاير. الحرب العالمية الأولى أتعبت دون شك الدول المشاركة فيها وكلفتها الخسائر الجسيمة بالأنفس والمال. هذه الحقيقة دفعت بالدول الحاضرة في جلسات مجلس عصبة الأمم على الإتفاق فيما بينها ووفق مصالحها تاركة وراء ظهرها قضية الكلدو آشوريين. بريطانيا العظمى وتركيا الحديثة وقعتا معاهدة وضعت حدًا نهائيًا لأي خوف من حصول أزمة مستقبلا. تعلّق بريطانيا وطمعها بثروات ولاية الموصل المستثمرة من قبلها أجبرتها على الموافقة على دفع تعويضات إلى حكومة تركيا الحديثة من واردات النفط نسبتها ١٠٪ ولمدة خمس وعشرين عامًا، وأيضًا دفع مبلغ قدره عشرين مليونا من الجنيهات الإسترلينية سنويا كرسم طابع إضافي. جريدة التايمس اللندنية كتبت عن هذا الموضوع مقالا أبدت فيه أسفها فقالت: "رغم توصيات عصبة الأمم، لم يخطط لأي إجراء مستقبلي يمكن الكلدو آشوريين من العودة إلى وطنهم الأصلي الواقع ضمن الأراضي التركية من دون خوف أو قلق، إنه الإهمال المشين بعينه. كل الآمال التي بنيت بتشجيع من القوى العظمى (منها بريطانيا) ولمرات عديدة قد تحطمت، تحقيق الأحلام في تجميع العشائر الآشورية في منطقة محددة ومعينة أصبحت من الماضي المنسي وخرافات عجائز. أحبطت سورما عند سماعها قرارات مجلس عصبة الأمم وقالت عنها إنها الظلم بعينه، وأصبحت عاجزة

تمامًا عن القيام بأي جهد إضافي لإصلاح الخلل. إنه قد أصبح لديها مؤكدا وبألم شديد أن الحكم الذاتي الذي كان الشعب الآشوري يطمح إليه لا يعني الكثير مقارنة بالمصالح الاقتصادية والسياسية للدول المشاركة في اللعبة. التاريخ يعيد نفسه. هناك ما يزيد على ٢٢٩٠ عائلة طردتها القوات التركية وألقت بها على أراض عراقية. عملية الطرد المفضوحة هذه لم تجابه بأي رد فعل مناسب.ما تحقق فعليا هو إعادة هذه الجماهير إلى حالة اللا وجود. بعض من هؤلاء المطرودين سكنوا في مخيمات أمينة نصبت بالقرب من دهوك والشيخان. موضوع سكناهم الثابت عاد إلى السطح ثانية. هذه الوضعية أصبحت مصدرًا جديدًا لمعوّقات ومشاكل ستواجه السلطات البريطانية والمملكة الحديثة التكوين –العراق – في المستقبل. المشاكل الإقتصادية ستبعث من جديد طالما قرار غلق المخيمات لا زال نافذ المفعول! هذا القرار هو ما كان يهدد مصير ساكني هذه المخيمات وغدهم غير المضمون. بينما كانت مشكلة الموصل تعاود الظهور على مسرح الأحداث بين الحين والآخر، إستمرت الظروف الدولية في مواصلة تطورها دون توقف أو تأخر، ومن دون الإجابة على السؤال ما هو التصرف الذي يجب تبنيه والعمل بموجبه رغم تأثره بعاملين متضادين هما الدولة ك كيان سيادي تمثل الأكثرية أولا، وثانيا واجبها في حماية الأقليات طالما هي دولة الجميع وعليها أن لا تغفل واجبها الأساسي وهو المحافظة على إقتصاد البلد العام والمصالح الإستراتيجية لمختلف الفئات.

٤ . تعويم قضية الكلدوآشوريين
سورما في الولايات المتحدة

إبحار نحو نيويورك

ها هي سورما ومنذ سويعات قليلة على ظهر الباخرة " أكيتانيا " الشهيرة الموصوفة بـ " الباخرة الجميلة " رفعت الباخرة مرساتها وأبحرت بإتجاه الغرب، فواجهت مياه المحيط الصاخبة بسبب العلامات المنذرة بعاصفة شديدة وبهياج بحري شديد. توالت بوادر الهياج البحري فزاد القلق وانتشر الهلع. أبرقت السماء وأرعدت وهطلت الأمطار وكأنها سيول سماوية شديدة الجريان. الرياح هبت عاصفة قاصفة فقلبت الموائد.وبدأت السفينة الضخمة تتأرجح وكأنها على كف عفريت. لحسن الحظ وبعد الحادث المشؤوم الذي جرى للباخرة السيئة الحظ "تيتانيك" زوّدت الباخرة " أكيتانيا " ذات الهيكل الحديدي الضخم التي بنيت في عام ١٩٢٠ وإرضاء للمسافرين وطمأنتهم، بنظام جديد يمنع الترنح أو الأرجح وكما هي الحالة في البواخر العملاقة عابرات المحيط ذات أنظمة أمان وسلامة حديثين، ناقلة المسافرين من العالم القديم إلى الجديد. إنتهت رحلة " أكيتانيا "

بوصولها إلى ميناء نيويورك القسم الداخلي من هذه الباخرة كان مؤثثا تأثيثا فاخرًا يبعث إلى الإنبهار والمفاخرة. رغم مظاهر الإقامة المريحة والفخمة التي عاشت أيامها سورما على ظهر الباخرة "أكيتانيا" فإنها لم تشعر بالطمأنينة والراحة النفسية الإعتيادية. داخلها كان في غليان وهياج. القلق الذي كان يخيّم عليها يشبه الظروف الجوية التعسة التي رافقت الباخرة أيام رحلتها. راودت سورما أسئلة عديدة لم تجد لها الإجابات المقنعة. ها قد مرّت عليها أربعة أشهر منذ أن غادرت مقرّ إقامتها في بلاد ما بين النهرين وابتعدت عن أبناء شعبها الآشوري المظلوم. والآن هي في طريقها إلى قارة أخرى. قرارها للذهاب إلى العالم الجديد لم يكن للترفيه والإستجمام. بعد التدمير النفسي الذي أصاب سورما على أثر قرارات مجلس عصبة الأمم، قضت أعياد الميلاد في لندن فحظيت برعاية أبوية مشجعة وفرها لها رئيس أساقفة كنتربري. هذه الفترة ساعدت في التغلب على المحنة الكارثية التي حلت بالآشوريين عامة وبها خاصة. هذا من ناحية. أما من الناحية الثانية، كان هناك العطف والحنان الذي أبدته راهبات بيت عنيا فدفعا في داخلها الحرارة والحياة فانتعشت روحها. الموقف المشجع الذي وقفه الجميع كان ضروريا لسورما في تلك اللحظات الحرجة والأوقات العصيبة التي مرّت بها وهي تقيم في لندن. مؤخرًا جرت إتصالات وتبودلت رسائل ما بين اللورد دافيدسن و Canon Heazell وشخصيات مهمة أخرى أكدت قلق الكنيسة الأنكليكانية بشأن المصير المستقبلي المرسوم للآشوريين. إنّ رسالة Canon Heazell المؤرخة في ١٩٢٥/١٢/٣٠ كانت تتضمن تشاؤما واضحا فيما يخص مستقبل الآشوريين، خاصة لأن قرار مجلس عصبة الأمم الأخير قطّع أوصال موطن الشعب الآشوري وإلى الأبد (...)، كما يجب ملاحظة أنّ مواقع الاستقرار الأخرى حدّدت بشكل غير موفق لأنها تقع في الطرف الثاني من الحدود و ليست أراضي الموطن الأصلي[١٧١].

أقام البطريرك مار شمعون إيشاي في كنتربري من شهر كانون الثاني عام ١٩٢٥ بوضع شبه متخفي، لأنه كان يتابع دراسة تحضره للإلتحاق بكلية القديس أوغسطين للتخصص في دراسة التاريخ والعلاقات الدولية المدنية. تقع هذه الكلية في مدينة صغيرة فيها مقر كرسي رئيس الأساقفة - أعلى شخصية في الكنيسة الأنكليكانية -تبعد ١٠٠ كم عن العاصمة لندن وشمال شرقي مدينة Kent. إعتبرت هذه المدينة الصغيرة المكان النموذجي لإقامة البطريرك الشاب الذي التحق بعمته عندما كانت في لندن. أحيانًا كانا يتجولان في الأسواق وكان التجوال يبهر الإثنين لكن سورما كان إنبهارها أكبر وبخصوصية. فكانت تنجذب نحو الواجهات الزجاجية للمحلات المملوءة بمختلف معدات الزينة النسائية أو تلك المعروض فيها الملابس النسائية الحديثة كالفساتين والشفقات والمعاطف والأحذية. عند العودة كانت تشاهد سورما وهي تحمل بعض العلب وهي تحوي بعضًا من تلك البضائع المعروضة. الحساب كانت تدفعه في الغالب النسوة المرافقات. عملية التبضع هذه كانت مكلفة للنسوة وتظهر الجبليين القادمين من حكاري شخصين لا يقيمان المال ويفهمان أهميته.

التجوّل في الأسواق خفف من بعض الهموم والأحزان بعض الوقت. بقيت سورما مقيمة عند اللورد دايفيدسن حتى الحادي والثلاثين من كانون أول عام ١٩٢٥ ، بعد ذلك عادت لتقيم عند راهبات بيت عنيا اللواتي يقع ديرهن في Lloyd Square. كانت حالة الآشوريين آنذاك حالة مزرية وقاسية. جماهيرهم كانت مستمرة على التدفق على العراق كلاجئين. هذا الواقع أولد ضرورة ملحة لإتخاذ الإجراءات السريعة لمعالجة هذا الواقع كتأسيس صندوق خاص لجمع التبرعات. في خريف عام ١٩٢٥ أطلقت نداءات استغاثة شملت أرجاء بريطانيا تطلب المساعدات اللازمة للآشوريين تمكنهم قضاء فصل الشتاء القادم. أطلقت هذه النداءات بمبادرة من Sir Henry Lunn (١٧٢)

ووزير شؤون المستعمرات السير إمري. وفقا للنداء تمّ تأسيس صندوق معونة للجنة الآشوريين والكلدان المؤسسة في العراق. برعاية السير Lunn نظم أول أجتماع للهيئة المشرفة على شؤون الصندوق وكان ذلك في اليوم الثاني من شباط عام ١٩٢٦ . رئيس أساقفة كنتربري وافق على أن يكون رئيسًا لهذا النشاط. شاركت سورما في النشاط الداعم للصندوق وبذلت الجهود للتعريف به وتوضيح أهدافه. في شهر آذار من عام ١٩٢٦ كان مجموع مبالغ التبرعات (٢١٤٠٠) جنيهًا إسترلينيًا. حينئذ ولدت فكرة لدى المنظمين تقول بضرورة متابعة نشاط هذه الصندوق في الولايات المتحدة الأميريكية. بناءً على ذلك اقترح السير Lunn على سورما الذهاب إلى هناك، لمواصلة الجهود في جمع التبرعات كمبالغ إضافية تضاف إلى موجودات الصندوق في بريطانيا. في البداية ترددت سورما لأنها شعرت أنّ الذهاب إلى الولايات المتحدة سيعني إبتعادها عن مساعدين مهمين في مواصلة العمل. الشعب الآشوري لم يستوعب العملية وأغراضها الحقيقية بشكل جيد رغم أن داوود أخ سورما كان له حضوره المؤثر من جهة، ومن الجهة الأخرى طرح سوآل مهم هو: هل لا يزال هناك من مجال للوثوق بالإنكليز بعد كل خيبات الأمل التي لاحقت الآشوريين بسبب حرص بريطانيا على مصالحها؟ أما السؤال الثاني فكان: أليس من المحتمل أن إرسال سورما إلى الولايات المتحدة هو لغرض إبعادها عن الميدان والتخلص من المشاكل في العراق نتيجة لوجودها في إنكلترا؟ في نفس الوقت تذكرت سورما المساعدات الكبيرة التي كانت ترد من الروس. وكيف انّ وصولها كان في فترة كانت فيها الجماهير الآشورية منهكة ولم يبق لها أي مصدر للحياة. اليوم أيضًا، قد تكون التبرعات التي تمّ جمعها ضرورية لبعض من تلك الجماهير اللاجئة في العراق. إنها حاجة ذات حدّين والإختيار صعب للغاية. ضخامة الحاجة والضيق والمعاناة الأليمة والضغوطات الثقيلة المفروضة على الشعب الآشوري أقنعت سورما بضرورة السفر إلى الولايات المتحدة الأميريكية (١٧٣). لتوثيق إختيارها قام Sir Samuel Hoare بإرسال الرسالة التالية: " إني أكتب إليكِ هذه الكلمات متمنيا لكِ التوفيق في سفركِ إلى أميريكا ومؤكدًا أن سيكون في استطاعتكِ الإعتماد على السيد أمري وعليّ أنا شخصيا كل الإعتماد. إننا سنعمل كلّما هو مقدرتنا والتي قد تساعد في معالجة مشاكل شعبكِ " (١٧٤).

قبل المغادرة أصرّت الليدي سورما على ضرورة الإعلان أن ذهابها إلى الولايات المتحدة الأميركية لم يكن للمتعة. رافقها في الطريق بالسيارة إلى الميناء الأب H. Buxton والراهبتان: الأخت "إيلين إيرنيه" والأخت "لويزا". غادرت الباخرة "أكيتانيا" (كما سبق أن بيّناه) ميناء Southampton في اليوم العاشر من آذار عام ١٩٢٦ بإتجاه نيويرك. المدينة الأولى في العالم يومذاك. انتهت الرحلة بوصول الباخرة خليج هدسن، فألقت المرساة قرب أحد أرصفة الميناء. على بعد من الميناء شاهدت سورما تمثال الحرية يتلألأ بأنواره الجذابة. ففهمت سورما أن وقوف التمثال بهذا الشموخ كان دلالة لقوة عظمى جديدة أخذت تطلّ على العالم والبشرية التي تسكنه ورغم عدم مرور وقت طويل منذ أن كان الهنود الحمر يحكمون هذه البقاع البعيدة عن العالم. الهنود الحمر هم السكان الأصليون وأصحاب هذه الأرض الحقيقيون. في عام ١٦٢٤ تنازل أصحاب الأرض المعتمدين على القنص وصيد الأسماك وزراعة الذرة والقرع والفاصوليا عن حقهم في أرضهم لصالح شركة الهند الغربية لقاء مبلغ قدره (٢٤) دولار فقط. يا له من مبلغ تافه وصفقة خيالية. في البداية كان التنافس فترة ما بين الإنكليز والهولنديين، لكن في النهاية استتب الأمر للإنكليز فاستعمروا الأرض. في عام ١٦٦٤ تمّ تغيير إسم مدينة "نيو أمستردام" (أمستردام الجديدة) إلى "نيويورك"، ومع توالي السنين توسعت المدينة شيئًا فشيئًا واكتسح عمرانها الجزر الموجودة في المصب الخليجي المعروف بخليج هدسن. إنه خليج واسع ينفتح على الأجزاء الخلفية من البحيرات العظمى والحقول الواسعة، التي مكنت من تحقيق تطور مذهل لم تعرفه المنطقة من قبل، هكذا أصبحت نيويورك الميناء الأكبر للعالم الجديد والمدينة الأكثر ازدحامًا بالناس من كل الولايات المتحدة الأميركية، فبلغ عدد نفوسها ٣،٥ مليون نسمة (يومذاك)، إنها أيضًا المركز الصناعي الأول لكل البلاد. ثلثا البضائع المستوردة تمرّ عبر مينائها، وهي تمثل العالم الجديد بديناميكيته و إعتداده بنفسه. عندما ألقت سورما نظراتها الأولى على تمثال الحرية، تخيلته العالم الجديد يفتح ذراعيه لها ولكل المغتربين الذين وصلوا المراسي الواقعة عند أقدامه ليعيشوا فيه.

من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي

عند وصول سورما إلى ميناء نيويورك كان في إنتظارها المطران James W. Perry راعي أبرشية Rhode كان هذا المطران عضوًا في الكنيسة الأسقفية الأميركية وصديقًا قديمًا وحميمًا لرئيس أساقفة كنتربري. استقبل المطران جيمس سورما بحنان وعطف أبوي، تعرفت الليدي سورما على هذه الكنيسة الجديدة (الأجنبية لسورما) ودرست تاريخها الذي كانت بدايته في هذه القارة مع بداية الإستكشافات الجغرافية وتأسيس نظام المستعمرات في إنكلترا الجديدة (العالم الجديد). هذه الكنيسة هي واحدة من الكنائس المعمذانية الأميركية وتعارض الكنيسة الأنكليكانية. في بداية

عصر الإغتراب، أعداد كبيرة من الانكليكان قدموا إلى القارة الجديدة وسكنوا المناطق الجنوبية الشرقية من البلاد أي كارولينا، وميريلاند وفيرجينيا. بعد الثورة الأميريكية، انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الأم مع الإحتفاظ بإرثها الأنكليكاني ومتفتحة على المثاليات الأميريكية مؤيدة لمبدأ فصل الدين عن الدولة. تاريخها واكب التطور الحاصل في البلاد من إنتصارات ونمو ديموغرافي. في عام ١٩١٩ دعت هذه الكنيسة إلى مؤتمر وطني فقبلت بين أحضانها كل المؤسسات التبشيرية والتعليمية والإجتماعية الموجودة في البلاد. كان المطران جيمس سعيدًا جدًا لإستطاعته من تقديم بعض المساعدة لأخوته من الإكليروس الأنكليزي. قبل وصول سورما، أعدّ المطران جيمس لايري برنامجا مفصلا، بتنفيذه ستتقدر الضيفة الكريمة زيارة المناطق الشمالية الشرقية من أميريكا والمناطق الكندية الفرنسية القريبة من حدودها. تضمن البرنامج أيضًا سفرة بعيدة تنتهي بالغرب الأمريكي. الجزء الأكبر من البرنامج خصص للسفر من نيويورك إلى فيلادلفيا ومدنها القريبة من نيوجرسي والبروفيدانس بإتجاه بوسطن ثم إلى بافلو ومنها إلى أوتاوا فمونتريال. بعد ذلك يكون الإنتقال إلى الساحل الغربي –كاليفورنيا... الغاية من كل هذه السفرات البعيدة والطويلة كانت محاولة جمع أكبر كمية من التبرعات الممكنة، لدعم اللاجئين الآشوريين في العراق. في نفس الوقت كانت هذه السفرات وسيلة مفيدة وفرصة جيدة لإطلاع الرأي العام الأميريكي على حالة المسيحيين الحقيقية في الشرق الأوسط المجهولة التي لا يعرف عنها الأمريكيون الشيء الكثير.

أثناء تنفيذ فقرات البرنامج كانت سورما تقضي أغلب أوقاتها في لقاءات ومقابلات لا أول لها ولا آخر. في البداية وكما نوّهنا، اتجهت سورما نحو المناطق الشمالية الشرقية التي كانت تعرف حينئذٍ بـ "إنكلترا الجديدة" والتي شكلت المستعمرات أبريطانية القديمة. الولايات التي زارتها في هذه المناطق كانت: Connecticut، Maine، Massachusetts، New Hampshire، Rhode Island، Vermont بعد ذلك قامت بزيارة New Jersy of Pennsylvania، Newark، وأخيرا New York شكلت فيلاديلفيا وبروفيدانس مرحلة مهمة في سفرات سورما وبرنامج زيارتها للعالم الجديد. بعد فترة قصيرة قضتها سورما في المناطق المجاورة من كندا، غادرت باتجاه الغرب الأميريكي، إلى ولاية كاليفورنيا التي لم تدخل ضمن الولايات المتحدة الأميريكية إلاّ في عام ١٨٤٨. تحقق الرفاه الإقتصادي في هذه الولاية، أولا بعد اكتشاف الذهب في أراضيها. كانت هذه الثروة في البداية متوفرة وسهلة الجمع فانجذب المغتربون طلاّب الثروة نحوها فازدحمت المنطقة بالوافدين. ثانيًا، بسبب مد خط سكة حديد يقطع القارة من شرقها إلى غربها. أول منطقة في الغرب وصلتها سورما كانت سان فرنسيسكو وما يحيطها من مدن وبلدات. من المراسلات المتبادلة بين المطران جيمس مطران روودآيلند الأميريكي وزميله اللورد دافيدسن الإنكليزي نقتطع جزءًا يتعلق بزيارة سورما للولايات المتحدة الأميريكية وأشارات وردت في الصحف أو النشرات الكنسية الصادرة حينئذ.

في إحداها نقرأ العنوان التالي: "ملكة آشور الوصية تتحدث" وفي أخرى: "سيادة المطران لايري يحيّ إقتراحات الليدي سورما قائلا: "إنها تدهش كل من يراها أو يتحدث إليها أو يقابلها، تتحدث وكلها ثقة وإعتداد بالنفس، إنها امرأة حكيمة ولا تتكلم إلاّ عن الأمور الحقيقية الثابتة المدعومة بالبراهين والتي جرت فعلا في هذه الحياة".

الكثيرون ممن إستمعوا إليها من أبناء الأبرشيات الذين حضروا اللقاءات مع سورما إندهشوا وتألموا من سماعهم تفصيلات المأساة الآشورية [١٧٥]. السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى. كانت بداية لإنتشار الرفاه الإقتصادي في ربوع كاليفورنيا نظرًا لما حققته من إنتاج صناعي وزراعي وفيرين، سبقت بهما ما حققته أوربا مجتمعة. بذلك أصبحت هذه الولاية البؤرة التي ركز عليها المستثمرون والمقاولون أصحاب الشركات الكبرى وبيت المال الأنظار وبذلوا الجهود. في ذات الوقت أصبحت ولاية كاليفورنيا هدفا للمغتربين والباحثين عن العمل، فتوفرت نتيجة لذلك اليد العاملة ذات الخلفيات الفنية والخبرات المتنوعة. هذا الواقع ضاعف عدد السكان إلى الثلاثة أضعاف ما كان عليه في البداية وخلال الفترة المحصورة بين عامي ١٨٦٥ و ١٩١٤ (فأصبح عدد السكان الكلي للولايات المتحدة الأمريكية ٩٥ مليون نسمة). ركب الآشوريون بدورهم هذه الموجة لكن عددهم كان قليلا. إلتقت سورما آشوريي كاليفورنيا أثناء زيارتها مناطقهم.

سورما تلتقي مع المغتربين من الكلدو آشوريين

كانت بداية إغتراب الآشوريين في نهاية الثمانينيات من القرن التاسع عشر (١٨٩٠). تمّ ذلك عندما الآشوريين البروتستانت الذين كانوا يسكنون أراضي بلاد فارس (في أورميا) وأولئك الذين سكنوا الأراضي التركية (في ديار بكر) قرروا الإغتراب والذهاب إلى العالم الجديد طلبًا للحرية والعيش الرغيد. دخلت البرتستانتية موطن الآشوريين بعد نشر كتابات Caalude James Rich عام ١٨٢٠ وتوزيعها بين جماهير الآشوريين. تلبية لرغبة المبشرين الأميريكيين قام المسؤولون عام ١٨٣١ بإيفاد إثنين من المبشرين إلى مواطن الآشوريين البعيدة عنهم (في الشرق الأوسط). في عام ١٨٣٤، وصل هذه المناطق Justin Perkins . في عام ١٨٣٥ تبعه Asahel Grant بعد وصول هذين المبشرين تأسس مركز خاص بالبعثة، قاما ببناء بعض الكنائس والمدارس والمستشفيات وتأسيس مطابع. عدا هذه النشاطات تحقق إنظمام بعض العائلات الآشورية إلى الكنيسة البروتستانتية. على أثر ذلك بدأ المبشرون من البرتستانت المعمذانيين الأميريكيين بتشجيع الآشوريين المنظمين إلى كنيستهم على الهجرة إلى أميريكا باعتبار أنها بلاد الحريات. بتأثير المبشرين وافق الكثير من الرجال على الهجرة إلى الولايات المتحدة للعمل. غالبًا ما كان الكثيرون من المغتربين الآشوريين يعودون إلى موطنهم الأصلي بعد فترة مناسبة من الإقامة في الولايات المتحدة

الأميريكية... في العام ١٩٠١، كان عدد الآشوريين المغتربين في ولاية Connecticut حوالي ٧٠٠ آشوري، في العام ١٩٠٩ بلغ عدد العائلات في شيكاغو حوالي الثلاثين عائلة و ٦٠٠ شاب أعزب. مع توالي السنين أي خلال القرن العشرين وبدعم من البروتستانت بدأت تظهر للوجود مستعمرات آشورية صغيرة وتنتشر هنا وهناك. تمركزت تلك المستعمرات في البداية في ضواحي شيكاغو (من ولاية إيلينويز) ونيو بريتين من هارت فورد (ولاية Connecticut و Yonkers في ولاية نيويورك). الكثيرون رأوا بهذه الهجرة حلا مناسبًا وموفقا لمشكلتهم. منذ العام ١٨٩٧، قام آشوريو ديار بكر المغتربون بتأسيس أول منظمة آشورية -أميريكية باسم "جمعية المدارس القومية الآشورية / Assyrian National School Association. كانت هذه المؤسسة تهدف وتعمل للمساعدة على فتح مدارس في القرى الموجودة في الأراضي العثمانية بتمويل من منظمات خيرية. في العام ١٩٠٠ طبع السيد أبراهام يونان قاموسه السرياني - الإنكليزي في جامعة كولومبيا في نيويورك. طبع أبراهام قاموسه من أجل مساعدة المهاجرين الآشوريين على تعلم اللغة الإنكليزية. أخذت المستعمرات الآشورية بالنمو السريع خاصة بعد أحداث عام ١٩١٥، وظهرت مستعمرات أخرى جديدة في فلينت (في ولاية ميشيكان) وكاري (في ولاية أنديانا) وفيلادلفيا (في بنسلفانيا) وتورلوك (في ولاية كاليفورنيا) نتج عن هذا الدفق الكبير من المهاجرين الآشوريين القادمين من العراق وتركيا وإيران مضاعفات سيسيولوجية في مستعمرات الآشوريين وتجمعاتهم. في نهاية العشرينات من القرن المنصرم (قرن العشرين) أصبح للآشوريين تجمعات متميزة تنتمي إلى كنائس مختلفة كالبروتستانتية والكلدانية والآشورية والسريانية الأرثوذكسية، أبناؤها جميعا وصلوا على أثر الحرب العظمى. إستمر تدفق هجرة المسيحيين الشرقيين ومنهم الآشوريين وبوتيرة تصاعدية.

في العام ١٩١٥ أسس الآشوريون أول حركة قومية لهم باسم "الجمعية القومية الآشورية في أميريكا". في البداية، مثّل هذه الجمعية: يوئيل إي. وردا وأي. ك. يوسف ويعقوب تاستجي، وسنحاريب بالي، وشارل إس. دارتلي، وتوماس إلبي، ولايرا بنيامين، ودافيد جاكوب، وداريوس بنيامين وأخيرًا يوناثان كوليا... خلال فترة إنعقاد مؤتمر السلام في باريس، قامت هذه الجمعية بكتابة المقالات المطوّلة واصفة حالة الآشوريين. نذكر من تلك المقالات المقالة التي كتبها يوئيل وردا بعنوان "وميض يخبو في آسيا". المقالة وثيقة دامغة لأنها تحكي قصة معاناة الآشوريين ودورهم أيام الحرب العظمى، كما يصف أيضًا مراحل الجلاء القسري/ النفي الإجباري من حكاري إلى بلاد فارس ثمّ من أورميا إلى همدان. القيادة الآشورية آنئذ كانت إلى جانب المصالح البريطانية والأميريكية. ألف يوئيل وردا قاموسًا سرياني -إنكليزي، وإنكليزي- سرياني خلال العشرينيات من القرن العشرين. إلى جانب كل هذا النشاط، قام يوئيل وردا بتأسيس مركزًا نشطا متخصصًا بالشؤون الآشورية وكان لهذا المركز فروع في ست من الولايات التي تعرف بإنكلترا الجديدة وولاية

Connecticut قابلت سورما مسؤولي هذ الفروع يوم العشرين من تموز عام ١٩٢٦ كما قابلت أيضًا الشخصيات المعروفة ومن بينها السيد دارتلي وعقيلته والسيد يوسف وعقيلته. السيد جاكوب تاستجي استقبل الليدي سورما بباقة جميلة من الأزهار البيضاء. استقبال الجماهير الحار الذي حظيت به سورما أثر فيها تأثيرًا كبيرًا. كانت تلك الجماهير من أبناء إقليم خربوط/ خربوت التركي. كان للمسيحيين في هذا الإقليم ٢٤ قرية. عانت هذه القرى الأمرين من التعسف التركي، تمامًا كما حصل للآشوريين الجبليين أبناء حكاري. أغلبية مسيحيي هذا الإقليم كانت تنتمي إلى كنيسة طائفة السريان الأرثوذكس. عدد كبير منهم قتل أثناء المذابح المريعة. استمعت سورما إلى أحاديث هؤلاء الناجين من المجازر الجماعية بانتباه واهتمام. الكل أدانوا واقع عدم وجود تنظيم عام يجمع الكل تحت راية واحدة. وعود كثيرة قطعت لتهيئة الظروف المؤاتية لإقامة روابط دائمة بين تلك الجماهير والجماهير التي لا زالت تقيم في الشرق. أثناء اللقاء أهديت لسورما مجموعة من أعمال روئيل وردا ونسخة من كتاب الأب جوزيف نعيم الكاهن الكلداني. (سبق أن قمتُ بترجمة هذا الكتاب عن الإنكليزية وبعنوان "هل ستفنى هذه الأمة؟ صدرت الترجمة عام ٢٠٠٦ وهي من منشورات مكتبة الناصرة في بغداد – المترجم) يحوي هذا الكتاب على شهدات قيمة قدّمها مسيحيون أصلهم من مختلف مقاطعات تركية منها خربوط /خربوت. تحكي تلك الشهادات وقائع تفتيش الدور، والإعتقالات الكيفية للشباب أو وجهاء الجماهير والإعدامات دون محاكمات أصولية ثمّ تنتقل إلى وصف المجازر الجماعية وإلى مسيرة قوافل المنفيين المبعدين وإغتصاب النسوة أو نهبهم وهنّ في الطريق. كل هذه الأحداث جاء سردها بتفصيل وأسلوب حزين مؤلم فجعلت من صفحات الكتاب صفحات سوداء من تاريخ العثمانيين والمتعاونين معهم من الأكراد والفرس. ما جاء في هذا الكتاب وثائق دامغة ومستندات موثوقة. مقابل ذلك سلمت سورما نسخ من الكتاب الذي ألّفته هي نفسها عن القضية. كتاب سورما هو عبارة عن سرد لذكريات مؤلمة عاشتها أيام الجلاء القسري/ النزوح الجماهيري المطعم بفصول تقصّ مشاهد من الأهوال المريعة والبؤس المدقع الذي تحمله المنفيين المطرودين من ديارهم وأوطانهم قسرًا وظلما وعدوانا، بعض من هؤلاء كانوا لا زالوا أحياء يرزقون. لا أحد من كل هؤلاء المنفيين الباقين على قيد الحياة إستطاع نسيان الأحداث المتجذرة في القلوب أو التمزّق الداخلي للنفوس جراء ترك الأوطان ومسقط الرأس. عندما أذنت ساعة الفراق تكرر قطع الوعود الجادة وتبادل عبارات التشجيع والتقاء الأهداف والعمل على تحقيقها. أخيرًا غادر الجميع كل إلى سبيله ممارسًا نشاطه وحياته الإعتيادية مع آمال مشرقة لبناء مستقبل زاهر.

في القسم الغربي من الولايات المتحدة الأميريكية، زارت سورما تورلوك بعد توقف قصير في سان فرنسيسكو. تقع " تورلوك " في منطقة زراعية، في وسط ولاية كاليفورنيا، في وادي San Joaquim بين نهري Mercedès و Tuolumne. يعود الفضل في بناء تورلوك وتطويرها للإنكليز والأيرلنديين

الذين كانوا طليعة من سكنوها. كان عدد سكانها في البداية لا يتجاوز (١٥٠٠) نسمة. بعد ذلك كان الدور في العام ١٩١٥ للأرمن ثمّ للصينيين واليونانيين واليابانيين والبرتغاليين والسويديين وبعض من العوائل الآشورية. جاء أفراد من الآشوريين إلى هذا الجانب الغربي من البلاد طالبين السكن المستقر بعد تركهم الجانب الشرقي الذي كانوا يعيشون فيه. أتوا تلبية للحاجة الماسة إلى اليد العاملة، على أثر الزلزال المدمر الذي ضرب مدينة سان فرنسيسكو والحرائق الشاملة التي انتشرت في المنطقة كلها عام ١٩٠٦ ، أفراد آخرون جاؤا ليبنوا حياتهم في المناطق الزراعية المحيطة بتورلوك وبتشجيع من الدكتور أسحق آدم، الطبيب الآشوري القادم من أورميا. جاء هذا الطبيب ومعه (٤٥) آشوري يملؤ قلبهم الحنين إلى الأوطان وحقولها الزراعية الغناء التي كانوا يعملون فيه بجد و إخلاص. هنا أيضًا عملوا كفلاحين ومزارعين. إنتاجهم اشتهر بالجودة والوفرة. بعضهم عمل كملاكين للأراضي التي يزرعونها. الفكرة الأساسية التي عمل الدكتور آدم على تحقيقها اعتمدت النشاط الفردي لمواطن مخلص يخدم البلاد من جهة وأبناء قومه من جهة ثانية.

الصحافة المحلية كتبت عن هذا الحدث بتفصيل مسجلة وقائعه على صفحات تاريخ تورلوك[١٧٦] . حوالي العام ١٩٢١ إزداد عدد العائلات الآشورية القادمة وتضاعف كثيرًا، فأصبح لهم منطقة محدودة المعالم خاصة بهم تقع في الجهة الجنوبية من المدينة سموها " أورميا الصغيرة" . واصل اسحق آدم الجهود في تشجيع الآشوريين على التوجه نحو الغرب الأمريكي والإستقرار فيه. بناء على ذلك ظهرت في العام ١٩٢٤ رغبة ملحة لتأسيس كنيسة خاصة بالآشوريين. تحقق ذلك فعلا في ١٩٢٤/١١/٢٩ عندما صدر قرار ولاية كاليفورنيا معترفا بالكنيسة الآشورية الإنجيلية رسميًا. في مقابلة مع الدكتور اسحق آدم أجرتها المراسلة Hélène Hohenthal عام ١٩٣٠ سرد تفاصيل اللقاء الذي كان له مع الليدي سورما عام ١٩٢٦ [١٧٧]. أثناء اللقاء الذي تمّ بين الدكتور اسحق آدم والليدي سورما المشار إليه في الهامش الأخير قدم الدكتورآدم اقتراحات محددة، بناء عليها أظهرت سورما اهتماما كبيرا بها، لأنها كانت تعالج موضوع الآشوريين واستقرارهم في الربوع الأميريكية. خلال نفس اللقاء عرض الدكتور آدم رغبته في العمل لتجميع الآشوريين البروتستانت والميثوديين (كنيسة تأسست على حركة دينية أصلاحية قادها في اكسفورد عام ١٩٢٧ تشارلز وجون ويزلي محاولين بذلك إحياء كنيسة إنكلترا –المترجم) والمعمذانيين (مذهب يقول أنّ المعمودية يجب أن تتمّ بعد سنّ البلوغ – المترجم) والكلفانيين (مذهب لشيعة بروتستانتية بشر بها كالفان، وهي لا تعترف بسلطة الأساقفة –المترجم) في كنيسة واحدة إنجيلية. بخصوص هذا الإقتراح كانت لسورما حساسية وكانت حذرة جدًا لأن انبثاق كنيسة موحدة بهذا الشكل قد تعني تجميع كنائس صغيرة جدًا وخسارة لهوية كنيسة تاريخها يمتدّ عشرين قرنا. تحدثت سورما بعد عودتها عن " أورميا الصغيرة" في كاليفورنيا بحماس وانفعال. خلال العقد الثاني من القرن العشرين حصل على

الجنسية الأميريكية أكثر من ألف آشوري، أما الباقين فكان عددهم أكبر بكثير وكانوا لا يزالون ينتظرونها ويتوقعون الحصول عليها خلال السنوات القليلة المقبلة. في اللقاءات التي جرت لسورما أثناء إقامتها في العالم الجديد، طرحت عليها أسئلة عديدة ومعمقة مستفسرة عن كل الأحداث التي حصلت لجماهير الآشوريين خلال السنوات المنصرمة. إجابة على كل تلك الأسئلة وبدافع الحرص على مصلحة الآشوريين ومستقبلهم بينت أن هناك ضرورة قصوى تحتم على البطريرك (آنئذ إبن أخيها) أنّ يوجه الإهتمام بالجاليات الآشورية في الشتات، خاصة بعد أن أصبح الأمل بالعودة إلى الموطن الأصلي غير مؤكد ورغم تجذّره في أعماق القلوب.

أطلقت صفارة الباخرة Minnetonka التي تمّ بناؤها في بلفاست عام ١٩٢٤ نداءها ثلاثيًا معلنة ساعة الرحيل نحو أوربا القارة القديمة. كانت سورما بين المسافرين. كانت لا تزال شديدة ال انفعال لمغادرتها أراضي العالم الجديد بعد جولة متعبة جدًا لكنها مطعمة بلقآءات ودية ومفيدة زادت من خبرتها. سفرة سورما إلى الولايات المتحدة لم تحقق كلما كانت قد خططت له. ولم تحصل منها على الثمار التي كان البعض ينتظرها ومن بينها ما يعني الجانب المالي من المعونات التي تمناها Sir Lunn والتي لم تتحقق. ما تمّ جمعه من مبالغ كان دون المتوقع ولا يمكنه الإستجابة للحاجات الآنية الملحة. اللاجئون الآشوريون في العراق كانوا في إنتظار مساعدة سخية، لكن مع الأسف الشديد كل ذلك كان آمالا وتمنيات خيالية. المبلغ الكليّ الذي تمّ جمعه لم يتجاوز (٤٠٠٠) جنيها إسترلينيا. ضالة المبلغ كانت محبطة للآمال وجعلت المشرفين على عملية الصندوق الخاص بالمساعدات عاجزين عن الإيفاء بوعودهم وتطلعاتهم لإعادة توطين الآشوريين. الحال لم تكن بهذا الشكل بالنسبة لسورما حيث أنها من خلال لقاءاتها تمكنت من إقامة روابط جديدة ودائمة بين جماهير شعبها والأميريكيين الذين كانوا يجهلون حقيقة الشعب الآشوري وتاريخه القديم المشرق وتطلعاته المستقبلية. من هذه الناحية يمكننا القول أنّ سفرة سورما قدّمت خدمات جليلة للقضية الآشورية كما ساعدت على كشفها و إيضاحها أمام الرأي العام الأميريكي.

بعد الوصول إلى لندن أرسلت سورما الرسالة القصيرة التالي إلى السيد دارتلي وعقيلته المقيم في مدينة جيرسي:

" عزيزي السيد دارتلي المحترم،

إنني جدًا متأسفة لعدم توفر الفرصة للاجتماع بك مرة ثانية وقبل مغادرتي الولايات المتحدة. بالحقيقة لم يكن هناك أي مجال لذلك. إنني سوف لن أنسى اللقاء الودي الذي كان لي معكم. رقتكم ورقة الآشوريين أبناء تورلوك تأسست مردوداتها في أعماق قلبي. ليباركم الله جميعا. أرجو إبلاغ الجميع شكري الجزيل وتمنياتي لهم بالخير العميم. منذ وصولي، أنا مقيمة عند رئيس أساقفة

كنتربري، إني آمل الغادرة على الباخرة Kalyan باتجاه الموصل يوم الثامن عشر من تشرين الثاني القادم. أرجوكم الكتابة بين الحين والحين. تقبلو تحياتي الحميمة كما أرجو إبلاغها إلى السيدة دارنتلي حرمكم المحترمة. مع تمنياتي القلبية.

التوقيع[١٧٨] سورما.

أثناء إقامة سورما في لندن بعد عودتها من الولايات المتحدة الأميريكية أبلغت سورما أنّ الحكومة البريطانية منحتها بتاريخ ١٩٢٦/٦/٥ وسام الإمبراطورية البريطانية[١٧٩] مع ألقابه الفخرية، اندهشت سورما لذلك وتساءلت عن السبب؟ فكان الجواب، تقديرًا لخدماتها واعترافا بجهودها القيمة التي بذلتها خدمة لبريطانيا في العراق خلال عام ١٩٢٤ وبناء على التقارير الكثيرة التي قدمتها الجهات البريطانية العاملة في العراق، مؤكدة شجاعة سورما ودعمها القوي والفعال لصدّ القوات التركية ودفعها بعيدًا عن الحدود العراقية. وضع هذا الوسام الملك جورج الخامس عام ١٩١٧، منح الوسام هو توكيد السلطات البريطانية شكرها لحامله عن الخدمات التي قدمها دعما للإمبراطورية (البريطانية). إنها المرة الأولى التي يمنح هذا الوسام – وسام الفروسية –لنساء أو رجال غرباء (غير بريطانيين). الإجراء أثر في إحساس الليدي سورما. منذ ذلك التاريخ أخذت تضيف سورما إلى توقيعها الأحرف OBE موعد تقليدها الوسام لم يكن ممكنًا تحديده سلفا بسبب وصولها الفجائي إلى لندن في ١٩٢٦/١١/١، بعد الوصول إنشغلت في تهيئة الأوراق اللازمة للمغادرة إلى الشرق الأوسط في ١٩٢٦/١١/٦ ذهبت للإقامة في Lambeth Palace لمدة عشرة أيام فقط، هذه الفترة كانت المدة اللازمة لمسؤلي الكنيسة الأنكليكانية لإعداد الأوراق والوثائق الضرورية للسفر والحجز على الباخرة الناقلة. قبل السفر ذهبت للسلام للمرة الأخيرة على أخوات رهبنة "بيت عنيا" والسيدة دافيدسن التي كانت تسكن في Saint Pancras وهي كنيسة قديمة تقع في وسط لندن. في اليوم الثامن عشر من تشرين الثاني جاء الأب Heazell إلى محل إقامة سورما وأخذها ليوصلها إلى الميناء في Tilbury من هذا الميناء أبحرت سورما على ظهر الباخرة Kalyan المتجهة نحو الشرق الأوسط.

العودة إلى العراق

توقف قصير في القدس

في العام ١٩٢٢ أقرّت عصبة الأمم رسميًا نظام الإنتداب البريطاني على فلسطين. فاحتلت بريطانيا العظمى هذا البلد الذي كان سابقًا تحت الإحتلال العثماني مدة أربعة قرون تقريبًا. لما وصلت سورما ميناء بورسعيد تركت الباخرة وغادرت بالقطار إلى أورشليم. هذه الرحلة غير المنتظرة

تطابقت مع نذر قديم نذرته سورما وبقي حلما يراود مخيلتها سنين كثيرة. تلاحق الأحداث التاريخية والتمزق المتنوع لم يستطيعا النيل كثيرًا من القدس فبقيت العاصمة الروحية لجميع المسيحيين كافة بمختلف طوائفهم ومذاهبهم. قديما كان للنساطرة ممثلية لكنيستهم في هذه المدينة، فكان لكنيسة المشرق مطرانية في القدس منذ العصور الأولى للمسيحية. هناك قائمة بأسماء مطارين هذه الكنيسة الذين جلسوا على كرسي هذا المركز الأسقفي (أورشليم) حتى القرن السابع عشر. عام ١٢٤٧ طلب البطريرك سبريشوع الخامس الجالس على الكرسي البطريركي لكنيسة المشرق الموجود في بغداد يومذاك من البابا أنوسنت الرابع التوسط لدى الأمراء الصليبيين [١٨٠] حكام الأراضي المقدسة لصالح المؤمنين التابعين لكنيسته. لما إنحسرت سلطة كنيسة المشرق نظرًا لإنعزالها عن العالم الخارجي، انقطعت علاقاتها بالمراجع العليا القائمة في أورشليم، وخاصة بعد نقل مقر الكرسي البطريركي إلى قوجانس، ففقدت وانقطعت كل إرتباطاتها بالأراضي المقدسة. حزنت سورما كثيرًا عندما تحسست كل هذه الحقائق ومآسيها، وشعرت بالخسارة العظيمة. فور الوصول راجعت مطرانية الكنيسة الأنكليكانية في المدينة. يرجع تاريخ هذه الكنيسة إلى عام ١٨٤١ فقط. أول مبنى للكنيسة الانكليكانية كان يقع قرب باب " يافا "، وتمّ تكريسه عام ١٨٤٥ . على أثر ذلك تم تأسيس (٤٠) مدرسة كانت تحت إدارة الكنيسة الأنكليكانية. مقرّ المطرانية الخاصة بالانكليكان تمركز حول كاتدرائية سان جورج. بعد تعميرها عام ١٨٩٨ .

تجوّلت سورما في أزقة القدس الضيقة والمزدحمة بالزوار فشعرت بقدم المدينة والروابط الوثيقة التي تربطها بالمسيحية. فيها (٥٦) كنيسة قديمة طرقاتها تعبق بالروائح الذكية المنبعثة من دكاكين صغيرة لا تكاد تلاحظ. عند التجول في أسواقها يشاهد الزائر السقاءين والإسكافيين وحلاقي الأسواق المتجولين وأحيانًا حدّادي السكاكين.عاشت سورما في القدس حلمها الذي يحلم به أغلب المسيحيين ويتمنى تحقيقه. تجوّلت سورما في كل المناطق وحاولت أن تعيش السويعات القليلة التي قضتها في القدس التي غالبًا ما تعرف بأرض الأنبياء ومدينة المسيح مخلص البشرية. تحتفظ القدس بذكريات خالدة عن حياة يسوع الفادي. أزقة القدس العتيقة هي نفس الأزقة التي سار فيها الرب يسوع المسيح حاملا صليبه فداءً للبشر كلهم مكملا المشوار الذي انتهى به على قمة الجلجلة والقبر الذي وُضع فيه الجسد المقدس. من هذا القبر نفسه قام يسوع المسيح منتصرا على الموت والشيطان والخطيئة. سارت سورما في الطريق المسمى: Via Dolorosa / طريق الآلام على نفس هذا الطريق سار يسوع المسيح وعلى منكبيه الصليب الثقيل. شهقت سورما لهذه الذكريات، حواسها كلها كانت يقظة ومنفعلة خاصة عندما كانت تلقي نظراتها على صور تذكر بالمشاهد والوقائع التي جرت هنا وحسب ما جاء في الإنجيل المقدس. نعم، إن ما كانت تشاهده سورما من مشاهد هي نفسها التي كتب عنها الإنجيليون الأربعة وذاتها التي عاشها الرب يسوع تنفيذًا لحكم الموت الصادر

بحقه ومنذ اللحظة الأولى التي وضع الجند الرومانيون أيدهم عليه في بستان الزيتون إلى اللحظة الأخيرة عندما أسلم روحه إلى أبيه السماوي وهو معلق على الصليب. في طريق الآلام التقى يسوع أمه العذراء الحزينة ثمّ بنات القدس واللواتي نصحهنّ بالبكاء على خطاياهنّ ثمّ وارينه التي مسحت وجهه بالمنديل وأخيرًا سمعان القيرواني الذي ساعد يسوع في حمل الصليب جبرًا. أقوال الإنجيل بقيت حية في مخيلة سورما وهي تواصل السير على الطريق. تذكرت جماهير الشعب التي كانت تتبع يسوع، والنسوة اللواتي كنّ يضربن على صدورهنّ وهنّ نائحات [١٨١] ... واصلت سورما السير ومعها الذكريات المؤلمة حتى وصلت كنيسة القبر المقدس / كنيسة القيامة. إنها أقدس موقع في القدس بالنسبة للمسيحيين. إنها المكان الذي دفن فيه يسوع المسيح بعد موته. في الأصل كان هذا المكان معبدًا رومانيًا. كنيسة القبر المقدس تعرف أيضًا بكنيسة القيامة. بناها الصليبيون في القرن الحادي عشر بعد الخراب والدمار الذي عانته مرات عديدة. في العام ١٨٥٢ أي إبان العهد العثماني وضعت هذه الكاتدرائية تحت رعاية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (اللاتين) واليونانية الأرثوذكسية والأرمن. الكنائس الأخرى أي السريانية والقبطية والحبشية تمتعت هي الأخرى بمواقع محددة داخل مبنى هذه الكنيسة الكبيرة. مقابل المدخل مباشرة رأت سورما الصخرة المعروفة بصخرة الزيت. عليها سجوا الجسد المقدس ليدهن حسب التقاليد اليهودية. وعند هذه الصخرة استلمت العذراء الحزينة جسد إبنها بعد تنزيله من على الصليب فدهنته بالدهونات المعطرة والمراهم والمطيبات. هنا تذكرت سورما أقوال الإنجيلي متى: " خيم الظلام على الأرض كلها من الظهر إلى الساعة الثالثة. نحو تلك الساعة صرخ يسوع صرخة عظيمة وقال " إيلي، إيلي، لَما شبقتاني؟ " ...

ثمّ صرخ قائلا " ها قد تم ولفظ الروح [١٨٢] . هنا توقفت سورما وأخذت تتأمل الأحداث وتحاول أن تعيش ضمن سياقها بإحساس وإنجذاب نحو العلى تاركة العالم الأرضي الذي يحيطها. فبكت بمرارة كما بكت النسوة المرافقات للعذراء أمّ يسوع وقرعت صدرها مثلهنّ. داخل كنيسة القبر المقدس (القيامة) توجد معابد صغيرة (كنائس) عديدة. كل واحدة من هذه الكنائس كانت مكرّسة لمشهد من مشاهد آلام المسيح. هنا تأملت سورما المشاهد الأخيرة من الآلام بدقة منتهية بالصعود إلى الجلجلة، القمة التي عليها نصب الصليب معلقا عليه يسوع المنازع ثم المنادي لأبيه بأعلى صوته قائلا " بين يديك أستودع روحي " . بعد ذلك نزلت إلى حيث القبر المقدس الذي احتضن جسد يسوع. في العام ١٨١٠ بنت الكنيسة الروسية والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية معبدًا صغيرًا حول القبر. القبر المقدس هو عبارة عن دكة مستطيلة الشكل أرتفاعها لا يزيد عن المتر من المرمر الأبيض. في هذا المكان وضعوا جسد الرب يسوع دخلت سورما معبد القبر بخشوع وتأمل ومتذكرة أن من هذا المكان قام الرب يسوع المسيح ممجدًا حيا منتصرًا على الموت والشرير منجزًا عمله الخلاصي الذي انتظرته البشرية منذ بداية الخليقة. أمام القبر إزداد بكاء ونحيب سورما حرارة وكثر شهيقها فركعت تصلي

متذكرة الآلام والعذابات التي قاساها ولا زال شعبها الآشوري يقاسيها طالبة العون الإلهي الذي هو الملجأ الوحيد للتغلب على شرور الأعداء وظلمهم الوحشي. بعد أن أنهت سورما صلاتها وأودعت أمانيها للتدبير الإلهي أمام القبر المقدس ولرعاية الفادي المنتصر على الشرّ، خرجت متجهة إلى جبل الزيتون، فصعدته متأملة أقوال الإنجيلي لوقا "وبينما هنّ (النسوة المسرعات نحو القبر) في حيرة من ذلك، إذ حضرهنّ رجلان عليهما ثياب برّاقة، فخفن ونكسن وجوههنّ نحو الأرض، فقالا لهنّ: "لماذا تبحثن عن الحيّ بين الأموات؟ إنه ليس هنا، بل قام" (١٨٣) . يقع جبل الزيتون في الجهة الشرقية من القدس ويشرف عليها متسلطًا على أحيائها، في هذا الجبل كان يطيب ليسوع الصلاة والانقطاع عن الناس، ومن على هذا الجبل ترك يسوع العالم صاعدًا إلى السماء ليجلس عن يمين الأب حسبما جاء في إنجيل لوقا: "ثمّ خرج بهم إلى القرب من بيت عنيا، ورفع يديه فباركهم. وبينما هو يباركهم أنفصل عنهم ورُفع إلى السماء" (١٨٤) .

إعتبرت سورما أيام سفرة حجها، أجمل أيام حياتها. قبل المغادرة، لم تستطع مقاومة الرغبة الملحة لوشم يدها تخليدًا لحجها إلى المدينة المقدسة أورشليم. فوضعت الوشم على رسغ يدها اليسرى. كان الوشم صليبيًا أورشليميًا ثابتًا مدى الحياة. الوشم نقش على الجلد يستعمله الرجال والنساء على حد سواء وهو من العادات القديمة التي مارسها الإنسان، وهو يرمز إلى الإنتماء وتحقق أمنية كما له دور شفاعة طقسية أو تعيين طبقة أوطائفة من المسيحيين الأوائل كانوا يضعون الوشم على أجسامهم بأشكال ورسوم تدل على معتقدهم الديني كما كان يفعل الصليبيون والحجاج الذين كانوا يزورون القدس فيعودون إلى بلدانهم حاملين الوشم على جسمهم كذكرى خالدة لحجهم. وفقا للعادة المنتشرة في البلدان الشرقية قامت سورما بوشم يدها، فذهبت إلى إحدى البدويات المعروفات بـ "محبرات الشوارع" الشهيرات بمهارتهن في هذا النوع من الفنون - فن الوشم. كان الحجاب على وجهها ولا يظهر منه إلا عينين كستنائيتين. جسمها تستره الثياب تماما. لكن رغم ذلك كان الناظر إليها يرى فيها القوام الصحراوي. عندما مدّت سورما ذراعها أمام البدوية سمعتها تقول: "سيدتي إنكِ سوف لن تشعري بأي ألم طالما عرفت الألم وذقتِ مرارته. هذا ما تشير إليه تقاطيع وجهكِ. ها هي الجذور العميقة رسمتها مصائب الأيام ونكبات السنين. كل ذلك محفور حتما في أعماق القلب. إنّ آلام إبري الصغيرة التي سأغرسها في أعماق الجلد سوف تكون عذبة مقارنة بآلامك الحقيقية.

بدأت البدوية برسم صليب على ورقة مدهونة بالزيت لكيما تنسخه على يد سورما. بعد ذلك رشت عليه قليلا من النيلج ثمّ قامت بغرز إبر صغيرة مربوطة مع بعضها بعد تحبيرها بحبر صيني. الصعوبة الوحيدة في العملية كانت عدم غرز الإبر عميقا في الجلد فتنفذ الغرزات إلى الأعماق. عند حصول حالة كهذه قد تحدث مضاعفات والتهابات مؤذية. بعد إنتهاء عملية الوشم أصبحت سورما

تعرف بـ "مقدسية" / حاجة إلى بيت المقدس (أورشليم) وفي الآرامية "حقانيثا". شكرت سورما البدوية بعد إنتهائها من عملها التي حتما تحمل هي أيضًا بعض الوشوم على جسمها المغطى بالثياب حسب التقاليد القبلية.

سفرة سورما إلى القدس كانت سفرة ممتعة إنها ذكرتها بأحداث قديمة وعظيمة لا مثيل لها على مدى العصور غيّرت مصير البشرية، ومنحتها ينابيع نعم وخيرات كثيرة. كانت بالحقيقة سفرة إلى أرض الإيمان والمحبة إضافة إلى أنها أرض الأحزان والآلام والإرهاب والعنف وسواقي دماء الأبرياء. لكن رغم كل ذلك ستبقى القدس أرض الرجاء والأمل الذي يطلبه كل من يطلب الغلبة على مآسي الحياة وفق ظروفه الإنسانية.

أوضاع مضطربة

بعد وصول سورما العراق ونزولها من السفينة في كانون أول ١٩٢٦ رأت شعبها قلقا والإضطراب والإنقسام والتشرذم يخيم عليه. إثناء غيابها وغياب أخيها البطريرك كانت القضايا الكنسية والأمور البيعية مودعة لرعاية المطران مار يوسف خنانيشوع وفقا لما تفرضه القوانين الكنسية المرعية. رب خيلا داوود (القائد) كان مسؤولا عن أفواج الليفي البريطانية ومشغولا بالإغارة على الأكراد التابعين للشيخ محمود. هذا كان يعني أنه لم يحصل أيّ تطور في الإستراتيجية السياسية الخاصة بالآشوريين. الكثيرون من الآشوريين بدأوا ينقدون عائلة البطريرك علنا ويتهمونها بأنها أصبحت متحزبة للإنكليز. هذه الردة الشعبية أدّت إلى مواجهات مع بعض رجال الدين المهمين، منهم مار طيماثيوس مطران الملابار. عند عودة هذا المطران إلى العراق أعلن نفسه وصيًا على الكنيسة، فأخذ يقاوم مار إيشاي (البطريرك) علانية وقام بمبادرات زادت من شدة التوتر منها فتح مركز لبعثة تعليمية ترعاها الكنيسة الأسقفية الأنكلكانية الأميريكية. عمليًا بعد سفرة محرّضه W. C. Emhardt إلى الموصل عام ١٩٢٤ وهو أحد الرسميين في المجلس لإستشاري الوطني لهذه الكنيسة، عاد يحمل فكرة ضرورة إستلام كل الأعمال المعلقة العائدة إلى بريطانيا العظمى والعمل على إنهائها. في نيسان من العام ١٩٢٥ تمّ استلام مبلغ (١٢٠٠) جنيهًا إسترلينيًا وتوظيف شخصين. المطران الانتهازي مار طيماثيوس ساند الفكرة، بالأضافة إنه كان معاديًا بشكل منهجي كل ما هو إنكليزي أو له صلة بالإنكليز، إنزعج رئيس أساقفة كنتربري من تصرفات المطران المذكور إنزعاجا كبيرًا لأن هذه التطور في العلاقات كان يعني إنتشار فكرة أنّ عمل البريطانيين قد أهمل وترك للأمريكيين. هكذا حصلت الموافقة في شهر أيلول عام ١٩٢٥ على منح صلاحية العمل للكاهن John B. Panfil بسبب ورود هذه الصلاحية من إنكلترا، لم يوافق المطران على ذلك ورفض كل الرفض الإجراء، وأصبح الكاهن المعني Panfil من بين الأشخاص الذين يعتبرهم المطران طيماثيوس من

أعدائه: كان الكاهن بانفيل في الأربعين من عمره، أصله بولوني، تعلم الإنكليزية بصعوبة، درس في القدس ككاهن كاثوليكي في العام ١٩١٧ وقبل إلتحاقه بالكنيسة الأنكليكانية. عند الإقامة في الموصل تظاهر بالغنى وأنه يملك أكثر من ما هو له كراتب. بعد وصول الليدي سورما إلى الموصل ورؤيتها ما يدور حولها قررت أن لا تضع إلاّ بعضًا من ثقتها في الكاهن بانفيل وبنشاط بعثته.

عدا هذا الاضطراب الحاصل للآشوريين كان هناك الخصام قائما بين الجميع والإنجذاب نحو السلطة والتعلق بها والجهل المطبق المنتشر بين صفوف الجماهير، كما كان هناك مشكلة عدم اهتمام المملكة العراقية بالآشوريين أبناء الجبال وعدم إعطائهم المجال لتمثيلهم في المؤسسات والهيئات الرسمية. بعد تتويج فيصل ملكا على العراق، تمّ إنتخاب هيئة لوضع الدستور الأساسي للبلاد. في آذار من عام ١٩٢٥ حصل الإستفتاء على الدستور الجديد (الأساسي). بموجبه، أعطي الحق للمسيحيين كأقلية وكذلك لليهود لأن يكون لهم ممثلين في مجلس النواب أربعة مقاعد. واحد لبغداد وإثنان للموصل والأخير للبصرة. نصّ الدستور أن السلطة التشريعية في البلاد تقوم على نظام المجلسين -نواب وأعيان. كان للمسيحيين تمثيل في مجلس الأعيان بشخصية واحدة هي شخصية البطريرك (الكنيسة الكلدانية).

وكان مجلس الأعيان يعتمد أساس التعيين المباشر من قبل القصر [١٨٥]. هذا الواقع المرير جعل الآشوريين الجبليين محرومين من أي حضور أو تمثيل، وبذلك أيضًا حرموا من حقوق المواطنة لادعاء أنهم لم يكونوا مواطنين يقيمون في البلاد قبل العام ١٩١٤ . بالحقيقة هذا التصرف الرسمي كان له وقع مؤلم ومؤثر في نفوس الآشوريين.

رسالة من الموصل

بعد الوصول إلى الموصل، واجهت الليدي سورما واحدة من أصعب فترات حياتها نظرًا للمشاكل الكبيرة والمعقدة التي إعترضتها. الشعب الآشوري كان في إنتظار إجابات واضحة وفورية. واقع عدم التمكن من العودة إلى الحكاري كان أمرًا غير مفهوم بالنسبة للكثيرين. معالجة للموقف قامت الليدي سورما بتنظيم ملخص للواقع الحالي أوضحت فيه بتفصيل كل ما جرى ويجري آنذاك. هذا الملخص أرسلته ضمن الرسالة التالية إلى رئيس أساقفة كنتربري اللورد دافيدسن [١٨٦].

نصّ الرسالة:

عزيزي سيادة رئيس الأساقفة واللورد المحترم،

آمل أن تكون قد إستلمت الرسائل التي أرسلتها لك منذ عودتي. بعد وصولي، عدد كبير من الآشوريين جاءني لسلام والإستفسار، أو طرح السؤال: " أين سيكون استقرارنا النهائي في

المستقبل؟ هذا السؤال كان السؤال الأكثر إيلاما لي. عندما أعلمتهم انّ موضوع توطينهم أمر لم يتم حسمه بشكل نهائي بعد، كنتُ أرى علامات خيبة الأمل ترتسم على الوجوه فورًا وبإنعكاسات واضحة المعالم. حول هذه القضية، أبلغني المندوب السامي البريطاني عندما كنتُ في بغداد أنه سيعدّ قريبًا برنامجا لإعادة توطين الآشوريين، وأنه سيرسله فور الإنتهاء من إعداده كاملا. إلى الآن لم أستلم أيّ شيء ولم تتحقق أيّ محاولة للتوطين. المنطقة المخصصة لتوطينهم لا يمكنها استيعاب كل الجماهير الآشورية. عدا ذلك جماهير الأكراد الساكنة في المنطقة المعنية جماهير معادية وقامت بتقديم طلبات تؤكد رفضهم لهذا الإجراء. منذ إعلان المندوب السامي اقتراحه المرسل إلى عصبة الأمم المتضمن منح كردستان بعض الحرية، أخذ الأمل يداعب مخيلة الأكراد بتحقق " كردستان مستقل"، هذا الأمل جعلهم يخشون توطين الآشوريين في أي منطقة من كردستان، تحذرًا من أن يكون ذلك عائقا لتحقيق الإستقلال الذي يريدونه. دعما لهذه الإتجاهات، نرى اليوم الشيخ محمود ذا النفوذ التام في السليمانية يقوم بخلق الإضطرابات ضد الدولة ونظامها.

حول موضوع عودة المار شمعون إلى العراق لبعض الوقت، أكرر ما سبق أن كتبت عنه لسيادتكم فأذكر بما يلي: "كما لا يخفى على سيادتكم، هنا القلة فقط من الناس قد يفهمون موضوع ضرورة دراسته وتثقيفه عندكم في إنكلترا أما الأغلبية فلا. لذا كم أتمنى عودته إلى العراق ولو لمدة أربعة أو خمسة أشهر، بعدئذٍ قد يستطيع العودة إلى إنكلترا لمواصلة دراسته. سيفرح الشعب بعودته حتما لأن لقاءه بأبناء شعبه أمر مهم وضروري. في حالة موافقتكم على الإقتراح أرجو أن يكون وصوله في نهاية شهر تموز. عندئذ المناخ سوف لن يكون شديد الحرارة وسيكون في إمكانه زيارة جماهير المؤمنين بسهولة. في حالة عدم التمكن من تحقيق العودة في الموعد المقترح من الممكن أن يكون الموعد البديل نهاية شهر آب حيث ستكون فترة نهاية موسم الحر قد قربت.

عن موضوع البعثة التبشيرية الأميريكية، التي جاءت لمساعدة كنيستنا، أفيد سيادتكم، أنه منذ البداية وقع خصام بين المعنيين وبأسلوب غير مقبول وغير ودي، هكذا تصرّف أعطى صورة رديئة عن شعبنا. مع الأسف الشديد بعض من المعلمين الآشوريين ومن بينهم الدكتور جاكوب، كانوا منقسمين بين الجانبين المتخاصمين الأمر الذي عقد الأوضاع، حيث كل من الطرفين حاول سحب النار قرب رغيفه وذهب شاكيًا حاله إلى كل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة مدعيًا باتهامات لم تحصل البتة. الشكاوى أدّت إلى استدعاء السيد Splegut إلى الولايات المتحدة أما بانفيل فإنه بقي هنا.

بعد عودتي، وبعد الحصول على موافقة أخي تمّ فتح مدرسة خاصة بالآشوريين. تنظيم المدرسة كان جيدًا ومناسبًا، خاصة بعد بناء صالة صغيرة لتكون معبدًا للصلاة وإقامة القداس. سارت الأمور بشكل مرضي وعندما كان Splegut يعمل بحرية واستقلالية عن بانفيل. من أغلاط بانفيل الكبرى محاولته إقناع الآخرين أنّ وجوده ضروري جدًا، إنه يبالغ في أهمية إنجازاته. هناك حادثة

وقعت قبل وصولي بقليل تتلخص في أنّ بعض من مسيحيي قرية ألقوش حالوا الإندماج مع كنيستنا. ذهب بانفيل للقائهم ومحاورتهم. أبلغهم أثناء اللقاء أن باستطاعته بناء مدررسة خاصة بهم... بعد وصولي جاؤا إلى عندي للسلام. أثناء مقابلتي لهم طلبوا مني العمل للإسراع في طلب مجيء بانفيل إلى عندهم ليقوم بتنظيم الكنيسة الخاصة بهم وأيضًا المدرسة وغير ذلك من القضايا التي وعد بتحقيقها. فسألتهم عن سبب رغبتهم الملحّة في طلب كاهن أجنبي لا كاهن من أبناء شعبنا؟ فأجابوا بكل وضوح وصراحة: " إننا نريد أن نبين للكلدان التابعين للرومان (اللاتين) أن لديهم فرنسا الواقفة إلى جانبهم أما نحن فلنا الولايات المتحدة واقفة إلى جانبنا " . إني لم أرَ رأيهم صائبا خاصة ونحن نمرّ بهذه الظروف الصعبة المعقدة. أجبتهم: " إنّ الكاهن الذي تطلبونه سوف لن يأتي لمقابلتكم الآن " ، ثمّ بعد ذلك أخبرت بانفيل أنّ الجماعة التي اتصلت به نفسها هي جماعة الكلدان التي جاءت إلينا قبل الحرب وطلبت الإنضمام إلينا. بعد الإتصال بنا ومحاورتنا عادت فانضمت إلى الجانب الروماني (اللاتين)، لذا علينا أن نكون حذرين معهم. إني أواصل الإتصال بهم لكن بهدوء وروية. ما يتعلق بموضوع بانفيل أعود لأقول بكل صراحة: " إنه يعمل الكثير الذي يسيء إلى كنيستنا، ونظرًا للضرر الجسيم الذي يسببه لنا والذي يفوق ذاك الذي يحصل لنا من اللاتين أنفسهم والكلفانيين (لقد سبق التعريف بهم). إنه بالتأكيد يريد مساعدتنا، إنه شخص كفوء في مجالات عديدة لكن مع شديد الأسف إنه ليس بالمبشر المخلص، إنني قد أغفلتُ بعض تصرفاته المؤذية في الماضي بغية معالجة أمور الأوضاع المالية. إنني أنصح وبإلحاح ضرورة إبداله. وأرجو أن يحصل ذلك فور إنتهاء الدراسة. هناك ضرورة لإرسال مبشر آخر عوضه ليقوم بمواصلة الأعمال التي بدأها بانفيل، إني سوف أقوم بالكتابة لسيادة المطران Perry وإلى الدكتور Emhardt حول هذا الموضوع.

هنا لا بد لي أن أتساءل، إذا ما كان سيادتكم يفكر في تعيين أحد الإكليروس لمتابعة شؤون البعثة، الذي سيكون حتما أكثر إجابية وفائدة.

في النهاية أتشرف لأن أطلب بركتكم لكنيستنا ولشعبنا مقبلة أياديكم.

المخلصة إبنتكم المحبة سورما

إنشقاقات وخلافات

أخذت إقتراحات سورما التي تضمنتها رسالتها الموجهة إلى رئيس الأساقفة اللورد دافيدسن بنظر الأعتبار ونفذت. البطريرك عاد إلى العراق. عمته أعدّت لإستقباله كل ما يلزم ليكون حافلا لأن تعلقها به كان كبيرًا، وكانت تعمل لحمايته كمقلة عينها. كانت تشدّ من عزمه وتسنده في المواقف

الحرجة بقوة وحكمة. عندما كانت تذكره في مراسلاتها كانت تقول إن حمايتها له ستبقى أجنحة تضلله وحارسًا أمينا لشخصه المفدى وكأنها الأم الحنون على وليدها الوحيد. كان البطريرك مار إيشاي بالنسبة لها إبنا حقيقيًا. لقد كانت دثاره الوثير تبدى له النصائح وتشجعه في كل مراحل حياته. كان مار شمعون إيشاي ضعيف البنية والصحة، لذا كانت سورما تحاول أن تجنبه كلما قد يؤثر على صحته المتأرجحة. بعد الخسارات الجسيمة التي لحقت بالشعب الآشوري عامة والبيت البطريركي خاصة، ولم تكن تريد سورما المزيد منها، فكانت ترافقه في حله وترحاله وتشاركه في الجهود لحلّ المشاكل التي تواجهه وتسنده لتحمل مهام مسؤولياته التي يفرضها عليه مقامه الرفيع. كان البطريرك وفيا لعمته مصغيًا لنصائحها يناديها بكل دالة "آنتي سورما" – عمتي سورما. إنه كان متعلقًا بها مشدودًا إليها بصورة مدهشة، وكانت هي تجسد بشخصيتها السيدة القوية المطاعة دون مناقشة. كانت تواجه الأزمات بحزم وحكمة فتفرض احترامها والأخذ بآرائها، كما فعلت عندما وقفت بين رجالات العالم الكبار تخاطبهم وتقنعهم بعدالة قضية شعبها. كانت قدوة لشعبها خاصة لابن أخيها البطريرك، مخلصة لقضيته غيورة على مصلحة الجميع مستعدة للتضحية بالنفس والنفيس. هكذا استطاع البطريرك الشاب التغلب على الصعاب وإجتياز المحن والتخلص من القلق المسيطر في أعماقه عند الأزمات. في مراسلاته كان يشير إليها باهتمام. لم يكن له أسرار يخفيها عنها. منذ البداية فهم مار إيشاي أنّ كنيسته كانت مهددة. المطران طيماثيوس قام برسامة بعض الكهنة والشمامسة دون الرجوع إليه أو طلب موافقته مثل شماشا يوسلا. سورما لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه التحديات بل واجهتها بعناد ورفضتها. قامت برفقة إبن أخيها بجولة شملت ربوع صلانا والبرواري ودهوك. من هناك توجها إلى راوندوز حيث الآشوريون الليفي. كان عمر سورما يومئذ أربع وأربعين عامًا، إنها لم تتردد في مرافقة شاب لا يتجاوز عمره (١٩) عامًا، تمتطي ظهر الحصان أو ماشية على الأقدام وأحيانًا راكبة عربة. خلال الجولة كان الزائران يستعرضان الجماهير المستقبلة تمامًا كما كان يحصل للبطاركة قديما في الحكاري. غادر مار إيشاي حكاري وهو لما ينهي السابعة من عمره. أثناء الجولة كانت تصف له جمال الطبيعة في تلك الجبال الشامخة وتقصّ عليه السعادة والرخاء اللذين عاشت في أحضانهما خلال عهد البطريرك الشهيد مار بنيامين، والذي كانت ترافقه في جولاته.

كان البطريرك مار شمعون بنيامين من البطاركة العظماء في تاريخ الآشوريين را فقته سورما في مشوار حياته و إن لم تكن ما تزال شابة قليلة الخبرة. كانت تقول عنه:

"كانت شجاعته مدهشة وشهيرة، وكان الشعب يفرح بزياراته ويتهيأ لها، لا عائق يقلل من إيمانه أو ينال من أماله العريضة التي كان يبشّر بها، رؤياه كانت واضحة، يعترف ويعلم أنّ العزلة تبعث إلى إكتشاف المعرفة والخبرة التي يجب الإعتزاز بها. هذه المعرفة الواسعة هي التي ساعدت المبشرين

قديمًا فحملوا بشارة الإنجيل إلى الهند والصين، ونفس المعرفة والخبرة تساعدان في التغلب على الصعاب وقبول التطوّر. ديننا ساد المناطق التي يخيم عليها الجهل فأنارها بضياء الإيمان القويم المتجذر في باطن النفوس. أنتم اليوم تكافحون وتناضلون للبقاء أحياء. علينا أن نرضى بالقوانين التي تطبق في أرجاء العالم الجديد. علينا التمسك بالمبدأ القائل إن لا سبيل للشعب للإحتفاظ بكيانه وحضارته إن لم يحافظ على وحدة جماهيره. بتشتته ستدق ساعة موته معلنة نهايته " .

بهذه التوجيهات إستطاعت أن تثبت خطى إبن أخيها. بعد ذلك التفتت سورما إلى البطريرك إيشاي مضيفة: " على كاهلك موضوعة أحمال ثقيلة يا عزيزي إيشاي، أنا سأبقى إلى جانبك حتى الرمق الأخير. قبل يومين من وصولك حلمت فرأيت مار بنيامين يفتح الباب في بيتنا في بيبادي ويدخل" فتحسس البطريرك الشاب ما تعنيه سورما من خسارة كبيرة لحقتها بمقتل أخيها مار بنيامين. الحادث سحق قلبها لكن رغم ذلك لم تعرف للشكوى من معنى. إنها كانت تحاول دومًا قيادة الجماهير نحو أفاق مشرقة. واصلت بعد ذلك سورما قائلة: " كأن أخي الذي أغتاله الأثمة، ياعزيزي إيشاي لا يهاب الموت غيورًا على شعبه. إني أراه اليوم في شخصك. إنني لا أرى فيك فقط روعة الشباب التي تتجلى على محياك التي كان يتمتع بها هو أيضًا بل علامات الرجولة الناضجة وهي تسير بشموخ حاملة المهام الجسام التي تنتظر منك التحقيق. اختلفت حياة مار إيشاي بعد عودته من إنكلترا عن حياته التي كان يحياها هناك وهو طالب يدرس في كمبرج وكنتربري. كنيسته وشعبه أصبحا الهدفين الأساسيين المتمتعين بالأفضلية المطلقة. فأخذ يفكر كيف يكافح لإقامة مجتمع متجانس بين أبناء شعبه الذي كاد أن يستوطن العراق الجديد. كان موقفه متحفظًا وحذرًا عندما طرحت مخططات نشر مواطن الجماهير الآشورية (في مناطق متباعدة) التي إقترحتها السلطات البريطانية. حينئذ كان للإنكليز اقتراحان، الأول يقول إن الآشوريين أفراد إعتياديون يطلبون الإستقرار في مكان ما، بينما الثاني والذي يصرح به الآشوريون أنّهم شعب واحد يريد أن يحافظ على كيانه التقليدي بأمانة وبموجب ذلك يريدون أن يعيشوا. هذا يعني رفضهم لكل محاولة تهدف إلى تفكيك مجتمعهم وتفتيت وحدتهم. عدم فهم الآشوريين للواقع المفروض أدى إلى إظهار شجاعة وجراءة وأصرار على رأيهم والإعتراض على كل اقتراح مغاير. وفق وجهة نظر البريطانيين توطين الآشوريين في شمال الموصل كان ممكنا لكن من دون أيّ ضمان لأن يحققوا ذلك بشكل تجمع موّحد ليكونوا مجتمعا متجانسًا. في تموز من عام ١٩٢٧ عيّن ضابط برتبة نقيب يدعى Fowraker يتحدث السورث بطلاقة ليقوم بمهام تنظيم عملية التوطين بشرط أن يتم ذلك تحت رعاية المندوب السامي Dobbs نفسه وحسب أوامره مباشرة. قام هذا النقيب بزيارة أبناء العشائر الآشورية خلال السنتين ١٩٢٧ و١٩٢٨ وسجل كل إحتياجاتهم ثم فتش المواقع وتحدث مع المسؤولين في الحكومة العراقية وكذلك المحليين. ساعد العديد من العوائل لوضع الأسس الصحيحة لحياة جيدة

مستقبلا في موطن جديد. تحقق ذلك بفضل المساعدات المالية التي قدمها الصندوق الذي أسسه Lunn لكن رغم الأنشاءات العديدة المحققة، فإنّ بعثة النقيب لم تحقق أي نجاح يذكر لأن كل ما عمله النقيب لم يُعجب الحكومة من جهة ولا الآشوريين ككل، من جهة ثانية. لقد تأكد للآشوريين بعد بعض التطبيقات أنّ الهدف غير قابل التحقيق من الناحيتين الفنية والإدارية طالما لم يتحقق هدف تجميعهم في مجتمع موحد أي بناء مجتمع جماهير العشيرت التي لا تعترف بالتطور السياسي الجديد. بسبب وجود مصالح إقتصادية وإستراتيجية خاصة بالبريطانيين، فحكومتهم لم يكن في مقدورها توفير ضمان العودة إلى الموطن الأصلي في حكاري. كل هذه الحقائق تجمعت فوق بعضها البعض وأصبحت عقدة كأداء أمام مخططات البيت البطريركي. في تشرين الثاني من عام ١٩٢٨ صرح الميجرً Wilson المفتش الإداري في الموصل بما يلي: " إننا أنا والنقيب Fowraker نستنكر إصرار البعض على الإدعاء أنّه لم يتم توطين غالبية جماهير الآشوريين " (١٨٧) . وفق المعطيات الواقعية والمثبتة كتابة كانت تصريحات الإنكليز صحيحة، لكنه مع ذلك، إنهم نسوا أنّ الآشوريين يشكلون حالة قديمة جدًا ولم يقيموا (الإنكليز) الإحساس النفسي والقومي وأثرهما البالغ. إنهم ضنوا أن رأيهم أكثر صوابا من رأي الآشوريين الذين يرون الحالة معكوسة ويظنون إنهم على حق. إن الشعور القومي عند الآشوريين قاوم رأي البريطانيين. مقابل ذلك كانت للحكومة العراقية وللبريطانيين هدف أساسي يحتم ضرورة إخماد شعلة المشكلة بأسرع ما يمكن. هذا كان يعني إنهاء فترة تسلط مار شمعون وسورما وأبناء العائلة الآخرين وأيضًا وضع حد لسلطة رؤساء العشائر الوصوليين بعد أن تمتعوا بالسلطة المطلقة في بلاد ما بين النهرين.

نحو إنهاء الإنتداب البريطاني

المناورات

تأثر القدر العراقي كثيرًا بعامل إقتصادي مهم نظرًا لما كان له من ثقل في الحياة، ذلك العامل كان النفط. في ١٥/ ١٠/ ١٩٢٧ تحقق الإكتشاف الفعلي للنفط في الأراضي العراقية. في ذلك اليوم تدفق النفط من الآبار العراقية الواقعة على بعد ستة أميال شمالي شرقي كركوك. يوم ذاك جرت آلاف الأطنان من هذا السائل الحيوي الخام فغمرت أراضي الأرياف المجاورة. عملية إيقاف تدفق النفط كانت شاقة. عرفت منطقة تدفق النفط في كركوك بـ " بابا كركر " ، هكذا دخل الذهب الأسود مسرح الحياة العراقية كثروة مهمة ووسيلة فعالة لتطوير الحياة ورفع المستوى المعاشي للسكان. بعد هذا الحدث المهم بدأت تصل وفود المستثمرين الأجانب تباعا لتوقيع العقود المجزية. كانت تلك الوفود

تمثل شركات أجنبية: فرنسية وإنكليزية وأمريكية. بعد توقيع العقود بدأت أعمال البحث والتنقيب عن النفط لإستثمار التجاري، لذلك أصبحت مناقشة موضوع الحكم الذاتي للآشوريين قضية حساسة لا يمكن طرحها البتة، خاصة بعد ظهور حركات إنفصالية في المناطق التي غدت من اليوم فصاعدًا مناطق جذابة لما تحويه من ثروات. هكذا أجلت مناقشة القضية الآشورية مرة أخرى، وصدرت فجأة توجيهات سياسية جديدة. بسبب ذلك أخذت إنكلترا تتبع إسلوبا معقدًا من المناورات والتكتيكات الذكية لإنهاء انتدابهم على العراق، فأعطوا الفرصة لدولة العراق الفتية لدخول مجتمع عصبة لأمم، كما حصلت مناقشات كثيرة وراء الكواليس لوضع صيغة لمعاهدة توقع من قبل الطرفين تسهل إنضمام العراق إلى هيئة عصبة الأمم. في بداية الأمر لم يتضح الهدف الرئيس من كل هذه الإجراءات. الفرص المؤاتية للإنكليز لم تكن قليلة أو غير متوفرة. في الثالث من شباط عام ١٩٢٩ حضر المندوب السامي إلى الموصل ليقلد الليدي سورما وسام الإمبراطورية البريطانية OBE. كان الوسام مدالية (نوطا) تحمل على أحد الوجهين خارطة بريطانيا مؤطرة بكتابة تنص: من أجل – والأحرف GRI التي تعني جورج الملك والإمبراطور Georges Rex & Imperator لم يكن هناك أيّ علامة تدل على تغيير في السياسة الإنكليزية وذلك لأن بريطانية لم تكن تريد التخلي عن إنتدابها على العراق سوى قبل بضعة أشهر من تخليها الرسمي عنه. في اليوم الرابع من تشرن الثاني عام ١٩٢٩ وبعد دراسة التقرير الخاص بتأثير دوائر الإنتداب على السلطلت العراقية خلال عام ١٩٢٩، قامت الحكومة البريطانية بإبلاغ عصبة الأمم بنياتها الجديدة حول الإنتداب ورغم التحفظات التي وضعتها اللجنة الدائمة للإنتداب التي تهتم بموضوع حماية الأقليات العرقية والدينية. أصرّت بريطانيا على رأيها وواصلت نهجها.

مناقشات دولية استعرت بين أعضاء اللجنة المشار إليها بسبب القلق الحقيقي الذي تحسسه المناقشون عند تخلي الإنكليز عن إنتدابهم على العراق. كل تلك الجهود ذهبت أدراج الرياح. المندوب السامي البريطاني Sir Francis Humphrys كان منذ عام ١٩٢٨ يدافع عن توجهات الحكومة البريطانية الجديدة بكل قوة. الأقليات توجهت إلى اللجنة الدائمة بطلبات توضح فيها تفهمها للمصير الذي ينتظرها في عراق تخلص من النير البريطاني. كثيرة كانت الطلبات والإعتراضات التي وصلت دوائر عصبة الأمم. كان مقدموها أكراد ومسيحيون. لكن النتيجة كانت إهمال كل تلك الطلبات والإعتراضات ولم تدرس ولا حتى ينظر إليها خلال الدورة الحادية والعشرين المنعقدة في جنيف ما بين الخامس والعشرين من تشرين الأول والثالث عشر من تشرين الثاني عام ١٩٣١. ما قرره المجتمعون هو التالي: "إننا نؤكد الرغبة لتوفير إهتمام كبير للقلق المتزايد لدى الجاليات"... من المؤكد أنّ اللغة الدبلوماسية في هذه النصّ كانت تعني محاولة البقاء ضمن الشعارات التي كانت ترددها شفاهيًا وتتمشدق بها. فقط المطلعون على خبايا الأمور كان في مقدورهم حل رموز هكذا

نصوص معقدة وطلاسمها لأن المعنى، كان ضمنيًا. قرار عصبة الأمم جاء إيجابيا ووفق الرغبات البريطانية ودون تجريح لعواطف الأقليات. حصل كل هذا وفق المبدأ القائل " رأي الأقوى يغلب دومًا رأي الضعيف" .

قلق البيت البطريركي

بناء على الثقة العمياء التي وضعها البيت البطريركي بالبريطانيين وبقدرة المندوب السامي وانتظار تدخله المؤثر لدى مكاتب عصبة الأمم لصالح القضية الآشورية تضاعف القلق عندما علم البيت البطريركي بقرب إعلان نهاية الإنتداب البريطاني على العراق، وتوقيع البريطانيين لمعاهدة الثلاثين من حزيران عام ١٩٣٠ .

بيّنت شروط المعاهدة بوضوح مستقبل العلاقات بين الطرفين العراق وبريطانيا وخلال الخمس والعشرين عامًا المقبلة. كذلك نصت الشروط على إستقلال العراق الناجز. ما نصت عليه في صالح البريطانيين هو السماح لهم بالإحتفاظ بقاعدتين عسكريتين جويتين دائمتين وعلاقات وثيقة لدوائرهم مع الدوائر العراقية الخاصة بالشؤون الخارجية. ما يخص حماية الأقليات العرقية والالتزامات المفروضة على دولة الإنتداب فإنها نقلت وعهدت إلى الحكومة العراقية، هذا الواقع أزاد من امتعاض الآشوريين ودفع بهم إلى ردود فعل مضادة والعمل على تنظيم جموعهم لمقاومة المعاهدة. قبل هذه التغيرات حاولت سورما حرف مجرى الأحداث التاريخيّة عن مسارها بالإستفادة من علاقاتها الشخصية. لقد حافظت على تبادل المراسلات المنتظمة مع أصدقائها، خاصة منهم رئيس أساقفة كنتربري الذي لم يتوانَ أبدًا عن الإستماع إلى شكواها. في تشرين الأول من عام ١٩٢٧ قام بإيفاد ويكرام إلى العراق لدراسة الإمكانيات المتوفرة لإعادة فتح بعثة للأنكليكان كما استقبل في الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٧ الوزير العراقي جعفر باشا العسكري وتباحث معه حول وضع الآشوريين ومستقبلهم [١٨٨]. في تشرين الثاني من عام ١٩٢٨ ولبلوغه الثمانين من عمره قدم اللورد دافيدسن استقالته من منصبه. هذا الحدث لم يؤدِ إلى قطع علاقة سورما بالكنيسة الأنكليكاني، فاستمرّت تعمل لإطلاع الرأي العام العالمي بالأخطار المهددة لكيان الآشوريين في العراق. استمرار نشاط سورما مع الكنيسة الأنكليكانية كان برعاية خليفة دافيدسن أيّ رئيس الأساقفة Cosmo Gordon Lang . أول عمل قام به رئيس الأساقفة الجديد هو نشر تحفظاته الجدية تجاه المعاهدة العراقية البريطانية التي حررت بريطانية العظمى من إلتزاماتها، بعد ذلك في تموز عام ١٩٣٠ وجه سؤالا واضحا ومهمًا في مجلس اللوردات فقال: "إني أطالب بإيضاحات عن الإجرآءات المتخذة لضمان حقوق الآشوريين النساطرة والكلدان" . إستنادًا إلى التقارير، لوحظ في مضمونها قلة ضمان السلامة اللازمة وأن الحكومة البريطانية لم تفعل ما كان يجب عليها عمله

لتحسين ظروف حياة الآشوريين " . أجاب السير فرانسيس هامفري على سؤال رئيس الأساقفة في العشرين من تشرين الثاني من نفس العام بكل وضوح بما لي: " حسب رأي، إني أرى أنّ الآشوريين يعيشون في ظروف حياة جيدة. وانّ الدافع للتساؤلات هو تحركات أشخاص منهم الأب المحترم ويكرام أو النقيب رسام " .

خلال الفترة بين العامين ١٩٣٠ و ١٩٣٤ عاش رئيس الأساقفة Lang يقاتل على جبهتين متصارعتين فيما بينهما، الأولى ممثلة بـ Heazell، Wigram والنقيب رسام (هو إبن هرمز رسام) الذين كانوا يشاركون مار شمعون في مخاوفه بعد وقوع الآشوريين تحت سلطة حكومة عربية معادية، بينما الثانية كانت ممثلة بالحكومة البريطانية التي كان لها منطقها الخاص ومفهومها الذي كانت معتندة به المتعلق بالقضية الآشورية. فعملت من أجل قبول العراق في عصبة الأمم [١٨٩]. الموضوع بالنسبة للآشوريين تجدد بتسليط الأنظار على البطريرك وجهوده المحددة بالعمل مع عصبة الأمم. قام البطريرك بإرسال العديد من العرائض المعبرة عن المخاوف، والمذكرة بالأخطار الجدية لحصول إبادة جماعية للآشوريين قد تحدث على أيدي العراقيين الذين تحرروا حديثًا. ثمّ اقترحت في حالة عدم توفر حل عادل للقضية يجب التفكير في هجرة جماعية للجماهير الآشورية إلى بلد آخر مثل سوريا التي هي تحت الإنتداب الفرنسي. استمرت بريطانيا في جهودها لقبول العراق عضوًا في عصبة الأمم، ومن دون أي حضور للآشوريين، أو استلام أيّ جواب من عصبة الأمم عن كل العرائض والمذكرات المرسلة من قبل البطريرك الممثل الرسمي للآشوريين. اجتمع رؤساء الشعب الآشوري الدينيون منهم والمدنيون ومن ضمنهم سورما. حصل الإجتماع في الموصل في تشرين الأول من عام ١٩٣١ ، ركز جدول الإجتماع إهتمامه على الإجابة على السؤال التالي: هل من الممكن استمرار الإقامة في العراق أم لا؟ بعد المناقشات الطويلة أقرّ المشتركون بالاجماع بأن ذلك غير ممكن. كتحصيل حاصل، المشروع الابتدائي الذي نادى بتوطين الآشوريين في العراق فشل. بعد ذلك توصل البطريرك إلى قناعة دوّنت كتابة ووقعها المطارين ورؤساء العشائر وتنص على ما يلي: " إننا نناشدكم العطف علينا ومساندتنا لتوطيننا في بلد يقع تحت أيّ سلطة غربية تتوقعون أن تكون خير لنا وفي صالحنا. في حالة عدم توفر فرصة كهذه نرجوكم أن تطلبوا من الحكومة الفرنسية موافقتها لقبولنا في الأراضي السورية وأن نكون تحت سلطتها المباشرة طالما ليس في استطاعتنا البقاء في العراق الذي رغبنا العيش فيه بكل رضى [١٩٠]. وُجّه هذا الطلب إلى رئيس اللجنة الدائمة في عصبة الأمم بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٣١، حيث هي الجهة المسؤولة عن طلبات كهذه. اللجنة لم تنظر في هذا الطلب إلاّ بعد مرور عام من تاريخ تقديمه، أي بعد دخول العراق عصبة الأمم رسميًا وبعد إلغاء نظام الإنتداب على العراق وطبق تنفيذه تلقائيًا. ها هي ذي مرة جديدة تتغلب فيها مصالح الدول الكبرى على مصالح الشعوب المغلوبة على أمرها. مواجهة لهذا الصمت المطبق الذي مارسته الدول

المعنية. قدمت سورما مبادرة وللمرة الثانية وكما يلي؛

٥ - الإهمال الإنكليزي

سورما توصف بالمتزمتة

بعد تقديم العرائض والمذكرات العديدة، والمباحثات والتنقلات بين مختلف المراجع حصلت ثورة قام به تنظيم الليفي الآشوري التابع للقوات البريطانية، خلال هذه الفترة الفاصلة من تاريخ الشعب الآشوري. بسبب الموقف الحرج الناجم من إنسحاب القوات البريطانية الفجائي وإلغاء العقود الموقعة مع المجندين الآشوريين المتطوعين في الليفي، انتشر التذمر بين صفوف هؤلاء المجندين سرعان ما تحوّل إلى نوع من العصيان رافضين الموافقة على نقض العهود وإلغاء العقود بهكذا سهولة. البيت البطريرك ونظرًا للضغوط المسلطة عليه أضطر إلى دعم العصيان. درست سورما الموقف بروية ولمست الخطر الذي يُهدد عوائل المجندين حيث أصبح مصيرهم في يد القدر وقررت التحرك. الإنكليز لم يكونوا يتوقعون هكذا عصيان. من تنظيم الليفي الآشوري. قلق الإنكليز وأخذوا يتساءلون عما تبغيه سورما من تحركها ودعمها لتصرف المجندين؟ كان الإنكليز متأكدين من أنّ سورما، لم تكن تخطط لمواجهة مباشرة معهم حتما. من خلال إجراءات عديدة ومختلفة وأشخاص مقربين تمّ التحالف مع بعض القبائل الكردية لمحاولة الضغط على الحكومة العراقية. الغرض الأولي لهذا التصرّف الآشوري كان العمل لتوحيد صفوف الآشوريين ودفعها لتبني هدف موحد والعمل بموجب توجه واحد. العمل على أسس هذا التخطيط هو أسلوب عمل ذكي لتحقيق الهدف والتخلص من كل أنواع الإنشقاقات الحاصلة بين جماهير الآشوريين. خاصة لأن بعض الجماعات كانت ترى في الحلّ المقترح " الإنسحاب باتجاه سوريا " تصرفا خياليًا. قامت سورما بدعوة رؤساء العشائر الآشورية ورجال الدين للإجتماع في العمادية. في الإجتماع أتفق الجميع على ميثاق وطني قومي يضم كل الآشوريين ويجمعهم حول مار شمعون إيشاي. تمّ التوقيع على الميثاق في اليوم السابع عشر من حزيران عام ١٩٣٢ . تضمن الميثاق تسع نقاط جميعها تتصدى للحكومة العراقية وتشترط إعادة اندماج صفوف الليفي ضمن التوجه القومي. أرسل الميثاق إلى عصبة الأمم وإلى دوائر الإنتداب للحصول على حماية خاصة. تطلع الميثاق وبين بوضوح رغبة الآشوريين للعيش في مجتمع واحد يجمعهم، محافظا على نظام الحياة الذي عرفوه تقليديًا وعلى لغتهم وعلى حريتهم. في أدناه نقرأ بعضًا مما تضمنه الميثاق من نصوص [١٩١].

- طالما لم يبق هناك من أمل أو إمكانية لعودة الآشوريين إلى الحكاري. فيجب تجميعهم في جالية موحدة تعيش في أحد أقضية لواء الموصل على أن تعرف رسميًا كملة معترف بها.

– منحهم ممرًا يسمح لهم الإتصال بالآشوريين الباقين في الأراضي التركية والسماح لأولئك بالمجيء إلى القضاء العائد للواء الموصل.

– أن تقوم لجنة رسمية معينة بإعداد تحقيق عن الوضع الحالي الذي يعيش فيه الآشوريون وتقديم المقترحات لتحسين وضع الحالة الآشورية في العراق.

– تكون ملكية الأراضي الممنوحة بموجب سندات تمليك رسمية.

– يجب تسمية المواطنين الإداريين الآشوريين وتحديد درجاتهم على أن يتم ذلك وفق ما جاء في توصيات لجنة الحدود.

– أن تكون اللغة السريانة اللغة الرسمية لهذا القضاء ويكون لها نفس الحكم الذي للغة العربية.

– أن تعترف الحكومة العراقية رسميًا بالسلطة المدنية والدينية التي للبطريرك مار شمعون.

– فتح مستشفى مدني في دهوك ومستوصفات مساعدة في قرى القضاء.

– عدم مصادرة الأسلحة التي يملكها الآشوريون.

عمومًا انحصرت طلبات الآشوريين في تشكيل مجتمع متجانس يسكن في لواء الموصل، على أن يتمتع ذلك المجتمع بإدارة تقوم على أسس الحكم الذاتي. بذلك سيتحقق الحلم الذي عاشه الآشوريون وهو الحفاظ على كيانهم الخاص. رد فعل الإنكليز لم يكن إيجابيًا. خلال شهر حزيران أرسل السير هامفري عدة رسائل إلى البطريرك. مار إيشاي أبدى إستعدادًا لإقناع مجندي الليفي الآشوري بالموافقة على تمديد عقودهم مع الإنكليز على شرط أن يكون هناك مساندة منهم (الإنكليز) لتحقيق أماني الآشوريين التي كان البطريرك مهتما بالمطالبة بها أمام الجهات الدولية التي كان له علاقات معها. الدعم المطلوب كان مؤسسًا على الحصول على وعد وكلمة شرف يقدمها السير هامفري.

الجهات المختصة لم تستجب لطلبات الآشوريين. البريطانيون أبلغوا مار إيشاي أن الظروف الآنية لم تكن تسمح للحكومة العراقية الفنية إعطاء أيّ ضمانات لمنح حقوق خاصة، خوفًا من أن يؤدّي هذا الإجراء إلى تفتيت وحدة البلاد وقد يدفع الأقليات الأخرى المستندة على وحدة اللغة أو المذهب الديني إلى المطالبة هي أيضًا بإمتيازات مشابهة بناءً على شكاوى قد ترفعها تلك الأقليات مستقبلا... أخذ البطريرك هذه التبريرات بنظر الإعتبار واقتنع بوجود مخاوف من هذا القبيل، فعمل على تخفيف نبرة المطالبات والتشكي. الليدي سورما إقترحت محاولة لقاء الملك فيصل نفسه لمناقشة القضية معه شخصيًا. فعلا تمّ اللقاء في اليوم التاسع من آب عام ١٩٣٢ وكان في العمادية. أثناء اللقاء أكد البطريرك مار شمعون إيشاي للعاهل العراقي إخلاصه التام ومعه كل الآشوريين للملك وللدولة العراقية، راجيًا دراسة طلباته بدقة واهتمام. استمع الملك فيصل بانتباه إلى كل ما

قاله البطريرك، ابلغه تفهمه الجيد للإهتمامات المشار إليها لكن بسبب الظروف القائمة يرى نفسه غير قادر على إعطاء أيّ ضمانات آنية بخصوص ما يطالب به الآشوريون. أضاف الملك بعد ذلك، أنه كان منشغلا ببناء دولة العراق الحديثة العهد لتكون ثابتة الأركان من جهة وبالعمل على توحيد العرب من جهة ثانية. هذه المهام الثقيلة أنهكت الملك وأجهدته وجعلت قدراته لحلّ القضية الآشورية محدودة جدًا. لم تحاول الليدي سورما تفهّم الموقف بالشكل الصحيح فقامت مع " الملكة " / رؤساء العشائر، وخاصة منهم رؤساء عشائر التياري بحملة مكثفة ضد الحكومة العراقية في أوساط القبائل الكردية المجاورة غرضها حث الأكراد على الإنضمام إلى صفوف الآشوريين وجعل المطالبات الآشورية مطالبات جماعية لجماهير غفيرة، فيُشرّع قانون الحكم الذاتي الذي تطالب به الجماهير بقوة. مبادرة سورما هذه زادت من شكوك القيادة العراقية وعمقتها خاصة الناحية المتعلقة بإخلاص الآشوريين لدولة العراق. تطرف سورما ونزوعها إلى إتجاهات قومية آشورية بحتة ذات فعالية ومطالبتها الملحة لم تتقبله السلطات البريطانية برضي، فقررت عدم الإستماع إلى الآشوريين وأبلغوهم صراحة أن الصبر قد نفذ. موقف البريطانيين هذا قد نقرأ عنه في تقرير Stafford، ومن نصوصه:

" إنّ الخانم سورما، عمة مار شمعون، التي كتب عنها الكثير وقيل عنها الأكثر هي الشخصية الآشورية الأكثر تأثيرًا في الأوساط الشعبية حاليًا " (...)، ثمّ يواصل قائلا: " عمة البطريرك مار شمعون إيشاي أيّ سورما سيدة ذكية ورشيدة، غير أنّ الظروف جعلت منها إمرأة متعصبة ومتزمتة [١٩٢] " (...). يا لسخرية القدر، سورما التي إعتبرتها السلطات البريطانية دومًا " الليدي سورما " وخاصة عند انعقاد مؤتمر سيفر توصف اليوم بالمتزمتة والمثيرة للقلاقل والعصيان. هذا يحصل بعد استقلال العراق و إكتشاف النفط الوفير فيه. المصالح البريطانية الآنية تصدرت الموقع الأول. إن بريطانيا العظمى هجرت حليفها الصغير بخشونة، وتخلّت عن تعاونها القديم معه وتنكرت له متهربة من تنفيذ وعودها. وجود عراق موحد مستقرّ كان يعني لبريطانية سهولة استثمار حقول النفط ذي الأفضلية لدى البلدان لأهميته. الإثارة المهيجة التي أشعل فتيلها الرؤساء الآشوريون أصبحت أعمالا مزعجة ومعوّقة للمسيرة. هذا ما استوجب المقاومة بأيّ ثمن كان والحد من نفوذهم. في الثالث من تشرين أول عام ١٩٣٢ أنظم العراق إلى عصبة الأمم. فورًا بعد ذلك صوّبت بغداد سهامها باتجاه تشتيت جماهير الآشوريين. إضافة إلى عدم تحقق أيّ محاولة جدية لتوطينهم في مكان مناسب وفق ظروفهم الإجتماعية الخاصة. ما تحقق فعلا، كان عكس المطلوب، الجهود المبذولة كانت للنيل من وحدتهم و إضعافهم وترحيلهم من مكان لآخر. البريطانيون اتخذوا موقفًا نهائيًا، ولم يبق لهم ملجأ يلجؤن إليه، سوى أملا ضعيفا يسندون إليه ظهرهم كان مركزه دوائر جنيف.

في أيلول من عام ١٩٣٢، وعندما رأى البطريرك مار إيشاي أنّ جميع الأبواب مسدودة بوجهه ووجه كل الآشوريين، قرر التوجه إلى مقر عصبة الأمم لرفع شكواه إليها ومحاولة طرح قضية الشعب الآشوري مجددًا بمذكرة رسمية يقدمها لمجلس عصبة الأمم. قال البطريرك في تلك المذكرة: "يشكل الآشوريون حاليًا قومية هي من أقدم القوميات في العالم. اليوم هم موجودون في العراق لا كأفراد يبحثون عن أرض ليست أرضهم، إنهم شعب محافظ على قوميته التقليدية ويفخرون بها. إنهم قد عاشوا ضمن إطارها منذ ما يزيد على ١٩ قرنًا" أقوال البطريرك هذه لم تحظ بالإهتمام المتوقع ولم يكن لها التأثيرَ الكبيرَ الحاسم، لأن ما كان يجري وراء الكواليس كان يهدف إلى تفتيت وحدة الآشوريين القومية أي عكس المطلوب.

تهاوي الميثاق الوطني الآشوري

مواجهة لهذا التغيير الكلي والمفاجئ في الموقف الآشوري لم يقف البريطانيون مكتوفي الأيدي ودون إهتمام. إنهم تشاوروا مع السلطات العراقية ووضعوا الخطط للتقليل من تأثير البيت البطريركي، فدعموا المعارضين له. فتنازل الموقعون على الميثاق سريعًا عن مطالبيهم. بعد أن تمت كتابة الميثاق وإتفاق الجماعي على كل ما جاء فيه. خرج البعض ومن بينهم الملّك خوشابا معارضًا وتخلى عن المسؤوليات المذكورة في نصوص الميثاق. فورًا إتصل ومعه آخرون بالحكومة العراقية وأعلن في رسالة موجهة للحكومة أنّ مار شمعون لا يمثل الشعب الآشوري كما يدّعي، فاجأ الملك خوشابا الإنكليز والعراقيين بموقفه هذا وخاصة إعلانه الرسمي الذي لم يكونوا يتوقعونه أو ينتظرونه ولا حتى يحلمون به. من الطبيعي إذن أن يستجيبوا للموقف ويمسكوا بتلابيبه مستفيدين من الفرصة المتاحة، فأفسدوا أجواء الأوضاع وبتعمد فتكون في صالحهم. قام العراقيون بعرض رسالة الملك خوشابا على أعضاء عصبة الأمم مؤكدين أن البطريرك مار إيشاي ليس الممثل الشرعي للآشوريين. هكذا زال الأمل بالتمتع بحق تقرير المصير من الأذهان وإلى الأبد وأيضًا صراع الإتجاهات والنزاعات القبلية تخلت عن مراكزها عوضها صرنا نرى على المسرح تنافس بين الأفراد وهياج ساخن متأثرًا بالعوامل الجغرافية. عندئذ أصبح موقف البطريرك حرجا وضعيفًا جدًا، بموازاة هذا الواقع تمّ تعيين الملك خوشابا رئيسًا للجنة الآشورية. تصرف الحكومة العراقية ضاعف من حنق الآشوريين على ملك خوشابا بينما غدا وحسب التقييم الحكومي بطلا وشخصية معتمدة لدى السلطات. تمتع خوشابا نتيجة لموقفه بامتيازات شخصية منحتها له الحكومة العراقية وبقي يحيا متمتعا بها حتى وفاته عام ١٩٥٤.

فتحت كل هذه الأحداث المحزنة في تاريخ الآشوريين أبناء الجبال صفحات مملوءة بالآلام والأحزان، وجروح عميقة في جسم الجماهير كلها فبقيت تأن بسببها سنين عديدة. التخوّف من

الإنقسامات في الصفوف إنضحت معالمه وأصبح واقعا ملموسًا وحقيقة حيّة. هذا ما دفع سورما إلى الإعلان عن أسفها الشديد لكل ما يحدث. هذا الفصل من الأحداث أوضح بجلاء كم كان الآشوريون بحاجة إلى نضوج سياسي لمواجهة القوى العظمى ذات الخبرة بدهاليز الحيل السياسية وفن إبتلاع الضعفاء. كما برهن أيضًا على صحة إعتماد البريطانيين على مبدأ "فرّق تسد" وتطبيقها بدقة مستغلين عدم خبرة الآشوريين. لوم أيّ طرف اليوم لا يفيد. المجتمع العشائري للآشوريين إنفرط عقده بسبب ما واجهه من نكبات كثيرة ومنذ مغادرته موطنه الأصلي في حكاري ووضعه اليوم كجماهير لاجئة لم ولن يساعد على الخروج من المأزق الأليم الذي يعيشونه.

جنيف آخر ملجأ

خلال هذه الفترة استمعت اللجنة الدائمة للانتداب إلى العديد من العرائض التي قدمها الآشوريون مطالبة النظر فيها خلال فترة إنعقاد دورتها الثانية والعشرين. بين التوصيات الموجهة إلى عصبة الأمم كان هناك توصية تقول: "إنّ سبب الحالة المأساوية المحزنة التي يعيشها الآشوريون اليوم والتي جاء وصفها في العديد من العرائض والتي انشغلنا بدراستها هو الواقع الفعلي لحياة الآشوريين الموجودين في العراق حيث أنهم لم يتمكنوا من توحيد صفوفهم. حسب مفهوم الآشوريين، هناك اعتقاد مؤكد أن في نهاية المطاف سيكون هناك تجمع متجانس لجماهيرهم وسيعيشون في مكان مناسب لحاجتهم. البرهان الوحيد الذي قدّم إلى لجنة الرقابة المحايدة هو أنه كان هناك محاولة لتحديد بعض الأراضي التي قد تتوفر فيها الشروط المطلوبة لإقامة تجمع متجانس وهذا ما لم يتحقق حتى الآن. اللجنة لم تقتنع حتى بهذا البرهان.

موضوع إعادة توطين الآشوريين في موطنهم الأصلي، أصبح أمرًا غير وارد البتة ويجب عدم العودة إليه أو حتى ذكره. الحلّ الوحيد قد يكون في الإستمرار في المحاولة والعمل بأمانة وإخلاص لإيجاد منطقة مناسبة يعيش فيها الآشوريون (١٩٣).

قدمت اللجنة الدائمة للإنتداب في الرابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٣٢ تقريرها النهائي. ما جاء في التقرير لم يكن في صالح الحكم الذاتي الإداري، إنما فقط دعما لإقامة الآشوريين في تجمع متجانس، وتاركًا الأمر لقرارات الحكومات المعنية بالقضية. هذا في الوقت الذي كان فيه العراق قد أصبح دولة مستقلة بدعم من عرّابه دولة بريطانية العظمى، فدخل مجتمع عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٣٢ . قرار اللجنة لم يوفق طالما كان العراق دولة مستقلة وذات سيادة تامة. في كانون الأول من نفس العام اجتمع مجلس عصبة الأمم ودرس قرار اللجنة الدائمة ودعا إلى تأسيس منطقة يسكنها مجتمع متجانس من الآشوريين. دعوة مجلس عصبة الأمم كانت بحاجة لموافقة عراقية. عند إطلاع الجانب العراقي على الدعوة أقرّ الدعوة على أساس تأسيس تجمعات

متجانسة. هذا التغيير البسيط في العبارات تحوّل التجمع الموحد الواحد (الذي كان بصيغة المفرد في قرار المجلس) الكبير إلى تجمعات متجانسة (بصيغة الجمع) صغيرة. قرار السلطات العراقية أثار الآشوريين ودفع بالبطريرك إلى التصريح وبكل حزن ومرارة فيقول: "إنّ التغيير في صيغة القرار وأعني من تجمّع واحد كبير إلى تجمعات عديدة صغيرة (كتل صغيرة) مبعثرة يعني بكل تأكيد الرغبة في إلغاء الفكرة الأساسية المحددة في قرار مجلس عصبة الأمم كليًا. لأن موافقة الحكومة العراقية تعني السماح للسلطات العراقية العربية القيام بتفتيت كتلة الآشوريين الكبيرة الموحدة وجعلها كتل صغيرة. أنا الآن عائد من جنيف مقر عصبة الأمم (التي سبق وأن أقرّت تسليم موطننا الأصلي إلى تركيا تسوية لخلافات بين تركيا والعراق بشأن الحدود) وبدي فارغتان. أعودُ لأواجه شعبي الذي لا زال يحمل صفة "اللاجيء" ويقيم تحت رحمة حكومة عربية"[١٩٤].

من الآن فصاعدًا سيكون البيت البطريركي (العائلة البطريركية) شوكة مؤلمة مغروسة في خاصرة دولة العراق الحديثة. فتنامى الكره بين الطرفين. بعد أن كان الآشوريون حليفًا تعترف به بريطانيا العظمى أصبح البيت البطريركي جهة غير مرغوب بها، هذا الرأي أخذ في الإنتشار والتجذر في أعماق المشاعر. وغدا الآشوريون عقبة كأداء في طريق تطور دولة العراق الفتية. وفقا لذلك تغيرت تصرفات السلطات بادعاء وجود الشكوك. مارست السلطات الضغط على مار شمعون وعمته سورما. الإجراءات المنفذة كانت جميعها تصب في الرغبة لخلق الأوضاع المتأزمة القابلة للإشتعال السريع وصعبة السيطرة عليها. إنتهت المضايقات بمجابهة حقد شامل على شعب مستضعف يحمل في طيات قلبه ردود فعل قابلة للإنفجار في أيّ لحظة.

مذبحة شهر آب ١٩٣٣

أوضاع مُتفجرة

بعد سفر البطريرك مار إيشاي إلى جنيف وعودته، أصبح هدفًا لمراقبة شديدة خاصة به. المسكن الذي كان يقيم فيه كان تحت المراقبة الدقيقة وكذلك عمته سورما. تصرفات البطريرك وتحركاته كانت تحت سيطرة السلطات العراقية مع التضييق الشديد عليها. عندما حاول مار إيشاي الإجتماع برؤساء العشائر وكما كانت العادة، أبلغ بإنّ هناك منع إداري لإجتماعات من هذا النوع، كما رفعت ملاحظات ضد الآشوريين إلى البرلمانيين العراقيين. الصحافة الوطنية كانت الجهة المشجعة بكل فعالية وبدور تخريبي ومعادٍ مكشوف. عدا كل ذلك نظمت حملات تتهم الآشوريين بالفساد. الموظفون الإداريون العراقيون أشعلوا حربًا ضد سلطة رؤساء العشائر القدماء في القرى وقاموا بتعيين رؤساء جدد، فدفعوا لهم المبالغ السخية. أغلبية الآشوريين بقيت أمينة ومخلصة

لاجئون آشوريون في دير مار ياقو (للآباء الدومنيكان) عام ١٩٣٣

لبطريركهم ووضعوا أنفسهم تحت الإنذار بسبب انتشار الدعايات المغرضة ضدهم. بناء على طلب الحكومة العراقية وصل في ٣١/ ١٩٣٣/٥ الميجر D. B. Thomson كمستشار لمعالجة الملف الخاص بالآشوريين الملتهب. وفق الإحصائيات التي كانت بين يدي المستشار الإنكليزي لم يكن يبقى للتوطين من الآشوريين سوى أربعمائة عائلة، بينما، وفق رأي الآشوريين، كانت الحالة مختلفة تماما، لم يكن الخلاف يعني الأرقام بل أيضًا جماهير غفيرة سبق أن منحت أراض، لكن وحسب تصورها، كانت لا تزال تعتبر نفسها جماهير لاجئة. كانت تعيش وتنتظر تحقق آمال تداعبها في حياة ضمن تجمعها المتجانس الموحد. كانت تلك الجماهير تسلط أنظارها على البيت البطريركي رغم ظهور إتجاهات معادية لمار شمعون في بعض الأحيان. سوء الفهم هذا لحقيقة الأوضاع من قبل الآشوريين، كان عامًا وشاملا، وكل الجهود التي بذلها الإنكليز وتصريحاتهم لتبديل الوضع كان عبثا ومرفوضة.

كان مفهوم الآشوريين يستند دومًا على حقيقة أنه في نهاية المطاف سيكونون قومًا غير مرغوب فيه ضمن المجتمع العراقي، علاوة على أنّ الشارع العربي كان هو أيضًا شديد الحقد عليهم وميالا إلى الثأر. التوتر أصبح جليًا وأي حركة قد تكون مؤهلة لتسبب أفظع الشرور. في خضم هذه الأوضاع الملتهبة حصل حادث كبير تبلور بمحاولة الآشوريين الهجرة باتجاه سوريا مما أدّى إلى انفجار الضغينة العدوانية. في الفترة ما بين ١٧ تموز والثالث من آب عام ١٩٣٣ عبر النهر في شمال العراق وفي الموقع المسمّى Suffen Déré ، خمسمائة آشوريًا مسلحًا دخلوا الأراضي السورية،

إعتبرت هذه الهجرة حركة قد تدفع آخرين، قد يصل عددهم ثلث مائة عائلة ومن بعدهم خمسة آلاف آشوري. هذه الحادثة قد تعني في المستقبل هجرة جماعية حقيقية لشعب كامل يقودها ملك ياقو (زعيم عشيرة تياري العليا) وملك لاوكو (زعيم عشيرة تخوما) التخطيط كان بموافقة مار إيشاي البطريرك الذي كان ينتظر التنفيذ، غير أنّ عائقًا ظهر على مسرح الأحداث أخر التنفيذ. عدا ذلك كان موضوع عودة بعض الآشوريين إلى قراهم قد بدأت مناقشته في الرابع من آب. بينما كان العائدون يعبرون النهر انطلقت أطلاقة تبعتها إطلاقات أوتوماتيكية آتية من الجانب العراقي. هذا الشجار المسلّح فجر موجة من الأحقاد والمطالبة بالثأر من قبل الآشوريين الذين كانت علاقتهم مع العرب دومًا متوترة وتبعث إلى الشك. النهب حقد الرأي العام في الشارع وظهرت بوادر الأعتدائية صريحة على الوجوه. أصبح كل المسيحيين غير مقبولين في المجتمع، كما كان العرب يشككون أيضًا بنيات الأنكليز وينتظرون اللحظة المناسبة للتدخل وتهديد استقلال البلاد. عن هذا الوضع القلق القائم حينذاك كتب العقيد ستافورد واصفًا الوضع النفسي للجماهير فقال: " ليس في مقدور من لم يكن موجودًا آنئذٍ في العراق أن يتصوّر الحالة والرأي السائد في البلاد (١٩٥).

إنتشرت موجة الغليان وتطورت فشملت الأسواق والعاملين فيها، فاختلطت الرؤى أمام الرأي العام نظرًا لتداخل القضايا السياسية بالأمور الدينية والخلفيات الثقافية. عدا ذلك كان هناك مشكلة تضخيم عدد الآشوريين المسلحين في الشمال، فأصبح الأمر تهديد الشعب العراقي بكامله والكيان السياسي للدولة كلها. استلمت الصحافة الوطنية الحالة وأخذت تكتب عنها بتفصيل وعداء مفضوح مما أزاد سكب الزيت على النار. الطرفان خافا الوضع المتفجر وعاشاه بقلق وانتظار نوجزه بالآتي: " ظنّ الآشوريون أنّ الحكومة العراقية كانت تخطط لمذبحة ستنال جماهيرهم ومنذ زمن بعيد بينما العراقيون كانوا يضنون أن الآشوريين كانوا يمثلون خطرًا دائميًا لدولتهم الحديثة العهد. سريعًا ما تمّ تجاوز الخطوط الحمراء الفاصلة بين الطرفين. الشعارات المناوئة كانت توبخ " الخطر الآشوري " المفترض وتزيد من شدة العداء بحيث أنها كانت تدعو إلى قتل كل الآشوريين من الرجال. استمرت الأوضاع في التدهور، وأصبحت الحكومة مطالبة بالتدخل المؤثر والسريع. لكن ذلك لم يحصل. على العكس حينئذٍ حصل ما زاد من خطورة الحالة وعمّق جذور المشكلة. عودة الآشوريين من سوريا إلى العراق، كانت لغرض اللحاق بعائلاتهم لا غير، عندئذٍ، أي في شهر آب ١٩٣٣ كانت القوات العراقية المستقرة في النواحي الشمالية من البلاد معروفة بعدائها للبريطانيين وتأييدها العلني لإبادة الآشوريين، على اعتبار أنهم حلفاء الإنكليز وأصدقاؤهم الأوفياء. لا أحد تحرك لإصلاح الأوضاع أو تهدئتها، لا البريطانيون ولا من كانوا يمثلون وزارة الدفاع الموجودون في الموصل يوم السابع من آب. وفق ما قاله المستشار البريطاني العقيد ستافورد، هناك مستندات مزوّرة، جاء فيها تأكيد لأهمية القوات الآشورية نُشرت وأعلنت على نطاق واسع من قبل دوائر الأمن السرية

العراقية، عدا ذلك، كان هناك أيضًا قوات من الجيش العراقي، متواجدة في شمال العراق، موقفها كان شره أعظم وإثارته كانت أبلغ. إعتمدت قيادة تلك القوات على قرار مؤسس على ضرورة التخلص من القضية الآشورية والآشوريين المقيمين في البلاد، وعملت على تنفيذ القرار مستندة على دعم الرأي العام الشعبي.

سميل صفحة سوداء في تاريخ العراق

إنطلقت إطلاقات من الرصاص صباح يوم الإثنين المصادف السابع من آب عام ١٩٣٣ في كل من زاخو ودهوك بعد صراخ هيستيري أطلقها أبناء الشوارع بأمر من المسؤولين الإداريين المحليين. الصراخ كان يبلغ السامعين بالويل والثبور والعقاب الصارم لكل من يأوي الآشوريين أو يحميهم. في الثامن من آب قام الطيارون العراقيون بالقاء منشورات تدعو الآشوريين إلى إلقاء السلاح والذهاب إلى سميل القرية الواقعة على بعد (١٠) أميال من دهوك، لأن فيها يوجد عدة مئات من عوائل عشيرة "باز" التي كانت عند ذاك معارضة لسياسة البطريرك. بعض العائلات الآشورية استجابت للنداء فالتحقت بعوائل سميل الآشورية مع قطعان الماشية التي تملكها. مساء الحادي عشر من آب المصادف يوم الجمعة، غادرت جماهير العرب التي كانت تسكن هي أيضًا سميل تاركة القرية. مباشرة بعد ذلك وصل الجنود العراقيون سميل بشاحنات عسكرية ودخلو القرية لتنفيذ المذابح المخطط لها سلفا، فخيم الرعب والخوف على السكان. في البداية كان الأعدام نصيب كل الرجال البالغين ثمّ كل الذكور إلى سنّ العشر سنوات فما فوق. قتل كل هؤلاء الابرياء بأيدي الجنود العراقيين ذوي القلوب المتحجرة. بعد إنتهاء مجزرة الرجال والذكور، دخل القتلة المجرمون البيوت وقاموا بتفتيشها بهمجية ووحشية. أثناء التفتيش كان الجنود يسوقون الرجال الذين يعثرون عليهم مختفين مأسورين إلى ساحة الإعدام لتصفيتهم جسديًا. معارضة النسوة ومقاومتهن قابلها الجنود بوحشية فكان القتل الفوري لتلك النسوة جوابًا على المعارضة بعد إغتصاب همجي. أثناء هذه الأحداث المهولة لم يكن هناك تمييز بين الجماعات المؤيدة للبطريرك والمعارضة له. الجميع كانوا أهدافا للقتل والتصفية. عند الظهر انسحبت القوات العسكرية النظامية، وأفسحت المجال للقبائل الكردية والعربية القادمة لسلب ونهب القرى المسيحية كغنائم غزو (عرفت حينئذٍ بالجسيية - المترجم). أخيرًا، بعد يومين من الأحداث قدم عمال من الموصل لدفن الجثث إخفاءً لمعالم آثار الجريمة المروعة والمذبحة الوحشية التي ارتكبها المجرمون القتلة. الباقون على قيد الحياة من النساء والأطفال من أقرباء الضحايا بقوا لوحدهم ستة أيام كاملة دون طعام أو حماية. بعد ذلك وصلت بعض المعونات، إنتهت المذابح رسميًا يوم الرابع عشر من آب. لكنه رغم ذلك حصلت هنا وهناك أعمال قتل وإعدام فردية. أوفد العقيد ستافورد المستشار الإداري في الموصل منذ أيار عام

١٩٣٣ عن الجانب الإنكليزي، إلى المنطقة لغرض الإطلاع على الواقع الفعلي فابلغ عن الأحداث بشهادات مختلفة.

الأرشيف العسكري الفرنسي يذكر أنّ العقيد ستافورد المفتش الإداري سابقًا في الموصل كتب في أحد تقاريره المتعلقة بمذبحة الآشوريين والذي تسلمه اللورد لايارد ما يلي: "سبق لي أن شاهدتُ وقائع فظيعة، وأحداثا رهيبة حصلت أثناء الحرب العظمى، لكن ما رأيته في سميل يفوق كل تلك الأحداث ولا يمكن للعقل البشري أن يتصورها "... الحكومة البريطانية منعت نشر هذا التقرير [١٩٦].

لعبت الرقابة دورها ونفته على أكمل وجه. لكنها مع ذلك لم تستطع منع العقيد ستافورد من أن يكتب عن بعض الحقائق الدامغة تخفيفًا عن ضميره، بعد عامين من الأحداث. نشر ستافورد كتابه بعنوان "مأساة النساطرة". أهدى ستافورد كتابه في المقدمة إلى زوجته التي كانت موجودة في الموصل عام ١٩٣٣، فكانت الشاهد الوحيد ذو الضمير الحيّ، لمسلسل الأزمات، وكانت تتذكرها بتقزز ومرارة وألم. أستهل ستافورد كتابه بمقولة شهيرة للمؤرخ الإنكليزي Edward Gibbons مؤلف كتاب "سقوط الحضارة الرومانية"، يقول فيه الكاتب: بالتأكيد التاريخ ليس هو فقط سجل لسرد الجرائم والحماقات ومصائب الجنس البشري... ثمّ ينهي ستافورد قوله بخاتمة لما كتبه عن مأساة سميل: "عندما زرتُ مع النقيب ثومسن يوم السابع من آب مسرح الأحداث، لم يكن هناك باق شيئًا كثيرًا من آثار الجريمة والمجزرة الرهيبة، مع ذلك أنّ ما شاهدته مرسومًا على وجوه النساء والأطفال من حزن ولوعة كان سجلا خالدًا للأهوال التي مرت بهم والنكبة المهولة التي حلت بجماهيرهم. كانوا جميعا أبرياء قضوا نحبهم على أيدي جلّادين عتاة لا ضميرلهم يسيرهم ولا دين قويم يردعهم. إني سوف لن أنسى مدى حياتي تلك المشاهد [١٩٧]، التي بقيتُ أتحسسها بـ انفعال طوال السنوات التالية. لقد كانت فعلا تعذبني أكثر من السنوات الثلاث التي قضيتها في الخنادق الفرنسية. من المؤكد أن هذا الضابط شعر بالحيرة وخيبة الأمل المرتسمة علاماتها على وجوه الضحايا المكفهرة، تستر أجسامهم أسمال بالية تكاد لا تستر عوراتهم. سميل لم تكن الوحيدة التي نكبت بالمجازر التي طالت الآشوريين الهمجية بل كان هناك مجازر قد تقل عن ضخامة مجزرة سميل، مثل دهوك وزاخو وسافورا وقلعة بدري، هذه الإقضية شملها طوفان الظلم وطالتها مخالب الشر. كان أغلب الآشوريين الذي استشهدوا في هذه المذابح فلاحين بسطاء لم يقاموا الحكومة أو يهينوا رجالها. السلطات المحلية دعمت الجنود المجرمين في تنفيذ مهمتهم القذرة. عدا عن مذبحة سميل، حصلت أعمال نهب وسلب لستين قرية. وستين أخرى نالها التدمير التام. كل تلك القرى كانت تقع في الجبال شمالي شرقي سميل. في المدن لم تحصل أيّ مذابح، بل إنما ردود فعل مؤثرة مثلما حصل لقرى مسيحية لم نذكرها. ففي مدينة الموصل كان الكره والحقد لا فقط على الآشوريين بل أيضًا شمل المسيحيين قاطبة والأجانب من إنكليز وفرنسيين. الجميع أصبحوا أهدافًا مباشرة

للهجوم خاصة في الصحف المحلية. لذلك لم يكن يستطيع الآشوري مغادرة محلته دون أن يسمع السباب والشتائم أو يناله الضرب من جماهير المسلمين الحاقدة. استعر الحقد على أثر نشر الصحافة المحلية كذبة مفضوحة تفيد أنّ أحد الآشوريين حاول وضع فتيلة تحت جسر المدينة بغية تفجيره، وآشوري آخر يحاول تسميم مياها الشرب الخاصة بالمدينة بسبب الجهل الشبه عام المخيم على جماهير المدينة لم يبق من مجال لأي إنسان أن يُفكر عميقًا ويكشف الدعاية الكاذبة وبثبت أغراضها الشريرة فيوقف إنتشارها بين الجماهير الشعبية الساذجة والقول علانية أنها محض أكاذيب هدفها الإضرار بالمسيحيين والمسلمين على حد سواء.

أيامئذ ، سادت الغباوة على العقول، فانبثق الإنفعال والعنف. هذه كانت الإحسسات التي تشبعت بها نفوس الجماهير الشعبية المبتلاة بالجهل وسرعة تصديق الأكاذيب. بهذه الآلية تحرك التاريخ في هذه المناطق. الموازنة كانت مرهقة. حسب المصادر الآشورية كان عدد القتلى من الآشوريين ثلاثة آلاف آشوري، بينهم بضعة مئات من النساء والأطفال والشيوخ. بعضهم ذبحوا من الوريد إلى الوريد. الأحداث الجارية في سميل والقرى المحيطة بها، كان لها أبعاد وتأثير كبير على جماهير الآشوريين الموجودين في مناطق أخرى من العراق. الموظفون الآشوريون لدى الإنكليز في دوائر السكك سرّحوا من وظائفهم دون سبب. آخرون كانوا يعملون مع شركات النفط هوجموا بعنف وطالتهم خسارات فادحة. عن مثل هؤلاء نقرأ في أرشيفات الجيش الفرنسي. " إستلمت الإدارة الإنكليزية لشركة نفط العراق IPC أوامر مرسلة من لندن تلزم تسرح كل الكلدو آشوريين الذين يعملون لديها فورًا. بوشر بتنفيذ هذه الأوامر يوم العاشر من آب. هذا الإجراء أدّى إلى ثورة مسلّحة في بيجي .

من ضمن محتويات نفس الأرشيف، هناك شهادة واضحة ولا غموض فيها، جاءت على لسان بعض النسوة من الآشوريات اللواتي نجين من المذبحة، فيها تحدثن عن بعض الأحداث التي شاهدنها بالعين حصلت في سميل [١٩٨]، كان ذلك بعد أن أخذن إلى الموصل يوم السابع عشر من آب. كانت هذه النسوة وحيدات دون رجال لأن الرجال لم ينجُ منهم أحد. في واحدة من تلك الشهادات نقرأ " في اليوم الثامن من آب وصل سميل عدد كبير من الآشوريين الذين كانوا يسكنون القرى القريبة منها، بناء على أوامر وتعليمات صادرة من الشرطة تأمرهم بالتوجه إلى سميل والإقامة فيها للتمكين من حمايتهم من هجمات العرب والأكراد. قدم هؤلاء الآشوريين من قرى سعيد زاره، وموانه، وقصر يزدين، ومنصورية، ولأما، وكوره، وخراب كوشيش، ودوره، وصحاحوري، وسيربيليه، وبوسوريه (هنا نذكربالملاحظة التي سجلناها في بداية الكتاب بخصوص الأسماء، كتبت أسماء القرى الآنفة الذكر نقلا عن الفرنسية لذا من المحتمل أن لا تكون وفق التسمية الأصلية والمعروفة محليًا – المترجم) وهم يحملون أمتعتهم الشخصية ومعهم قطعان ماشيتهم والحيوانات الأخرى التي يملكونها. في الأيام التالية صدرت

الأوامر بوجوب تسليم الأسلحة التي معهم، نظرًا لزوال الخطر المهدد لحياتهم حيث أصبحوا تحت حماية الدولة والحكومة الرسمية. بعدئذ قام المدعو "يونا البازي" زعيم القرية بجمع كل الذين يحملون وثائق رسمية تثبتُ مواطنتهم العراقية في مركز الشرطة. هناك أخبر المجتمعون إنهم الآن في أمان طالما هم تحت العلم العراقي. إثنان وثمانون من الحاضرين قضوا النهار كله وكذلك الليل التالي داخل مركز الشرطة أو يتجولون حواليه. البعض كان برفقة زوجته وأطفاله. في اليوم العاشر من آب أعادت الشرطة الأسلحة إلى أصحابها من دون عتاد. في الفترة من بعد الظهر من نفس النهار، عادت الشرطة فأخذت الأسلحة وحفظتها في مشاجبها. في الصباح الباكر من اليوم التالي أي الحادي عشر من آب المصادف ليوم الجمعة، قام عريف الشرطة ناشد جواد بفصل النساء والأطفال دون العاشرة عن الرجال والذكور من عشر سنوات فما فوق. طلب العريف من النساء الأنتشار ودخول بيوت القرية. حوالي الساعة الثامنة رفع العلم العراقي على مبنى المركز. بعد ذلك شوهدت أعداد من الجنود العراقيين بقمصانهم الزرقاء الغامقة يتقدمون نحو سميل قادمين من الطريق المتجهة إلى زاخو. كما شوهدت جموع سائبة وكأنها ذئاب خاطفة من عرب قبيلة شمر ومعهم أكراد تابعين لمحمود أغا السيواني . عندما وصل هؤلاء القرية، قاموا بمحاصرة القرية من كل الجهات، الضابط الذي كان يقود الجنود العراقيين توجه إلى مركز الشرطة ومعه جنديان. عند وصول الضابط المبنى قال له كوريال شمعون البازي وهو أخو يونا البازي رئيس القرية: "أنا مواطن عراقي وكذلك كل هؤلاء الحاضرين هنا، إننا كلنا عراقيون. إذا ما كنتم تريدون التعرض لنا، فنرجو أخذنا إلى القائم مقام في دهوك وهناك سترون أسماءنا في السجلات الرسمية للدولة" . تظاهر الضابط بالإقتناع بما سمعه من كوريال، وأنزله من المكان الذي كان يقف فيه إلى أسفل المنحدر برفقة أحد الجنود عندئذٍ الجندي الآخر أطلق النار على كوريال من الخلف. هذه الإطلاقة كانت العلامة لبدء تنفيذ المجزرة. تسارع الجنود بقمصانهم الزرقاء الغامقة بعد ذلك، نحو بيوت القرية وقاموا بقتل كل الذكور الذين يزيد عمرهم على العشر سنوات. الآشوريون البازيون الذين كانوا مع كوريال البازي كان عددهم ٨١ رجل تمّ إعدامهم بإطلاقات مسدسات. ست من النساء حاولن الدفاع عن أزواجهن فقتلن في الحال مع الرجال ومعهن ستة أطفال. الرجال الآخرون الذين كانوا لا يزالون أحياء داخل البيوت تمّ القبض عليهم وإعدامهم داخل البيوت. بينما كانوا يحاولن الدفاع أو الهرب. عدد القتلى الذين عرفت هوياتهم كانوا: ١٣ آشوري من قرية سعيد زاره، و ١٤ آشوري من قرية خراب كوشيش، وآشوريان من قرية موانه وآشوري واحد من دهوك، أما عدد القتلى من البازيين لوحدهم فكانوا ٨٢ بازي.

عدد القتلى الذين لم يتم التعرف عليهم كا ن يتراوح ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ قتيل أو قد يزيد على ذلك. ما ثبت وبالتأكيد هو وجود ثلاث نسوة قتيلات عرفت هوياتهن مع ثلاثة من الأطفال، كما كان هناك امرأة حامل تدعى كاميه وهي زوجة هاويل قتلت بعد شق خاصرتها و إخراج الجنين من بطنها. كان

الجنين لا يزال حيا فذبح ذبحا. هناك كذلك أحد عشر كاهنا معروفة هوياتهم قتلوا بعد تعذيبهم بوحشية. إثنان من هؤلاء الكهنة كانا كاثوليكيان. بعد تنفيذ المذبحة المرعبة بدأ الجنود المتوحشين بتجريد الضحايا الأبرياء من كل ما كانوا يملكونه من مال أو حلى ذهبية. بعد ذلك توجهوا نحو النسوة وخاصة منهن الجميلات واغتصبوهنّ كوحوش كاسرة وكلاب مسعورة. العرب والأكراد قاموا بنهب وسلب كل ما يجدونه من أمتعة وملابس وأثاث بعد أن يقضوا وطرًا مع النسوة اللواتي اغتصبهن جنود الجيش العراقي وتحت راية العراق. زوجة ياقو الذي كان المفروض فيه أن يكون قائدًا للآشوريين وسبق أن غادر إلى سوريا اغتصبت مرات عديدة وسلبت الحلى التي كانت معها ثمّ تركت ذليلة محطمة لقدرها المجهول ومعها ابنتيها اللتين كانتا برفقتها.

عند الغروب صدرت الأوامر للجنود بالإنسحاب. العرب والأكراد بقوا ليكملوا الغزوة فينهبوا ما تبقى من أسلاب في البيوت. أثناء البحث عن الأسلاب المتبقية تمّ العثور على بعض الرجال الذين كانوا لا يزالون جرحى يأنون فإجهزوا على ذبحهم بخناجرهم ذبح النعاج أو برصاصات رحمة أن توفرت لهم. عندما جاء الليل وخيم الظلام قامت جماهير العرب والأكراد بنهب الماشية العائدة للمغدور بهم ومعها الحيوانات الأخرى وعادوا إلى خيمهم بعد غزوة موفقة ومجزرة ناجحة خططت لها دولة دخلت عصبة الأمم حديثا كدولة متحضرة قدمتها ورعتها دولة تسمّى بريطانيا العظمى. غادر الجميع قرية سميل تاركينها تلعق جراحاتها وتشكو إلى الله رب السماوات ظلم الإنسان لأخيه الإنسان. الباقون على قيد الحياة من النسوة الثكالى والأيتام المساكين قضوا الليل في بكاء ونحيب ورعب وكوابيس رهيبة داهمتهن من شدة الخوف ومنتظرين شروق صباحٍ جديدٍ تاركين الأمر للعدل الألهي الذي لا تغفوا عينيه عن أعمال خليقته التي ستجازى بحسب ما تستحقه. مذبحة سميل الرهيبة سجلها التاريخ في صفحاته السوداء وستبقى خالدة على إسم دولة العراق الفتية وحكومتها ورجالاتها وخاصة العسكريين الذين خططوا واشرفوا على التنفيذ مدعين البطولات الكاذبة وأيًضا على إسم كل أولئك العرب والأكراد الذين شاركوا في المجزرة فلطخوا أيديهم بدماء بريئة مشوهين دينهم الذي يدعو إلى السلم والمحبة والتعاون، فأين هذا من ذاك وما أبعد الثرى عن الثريا.

في اليوم الخامس عشر من آب وصل المنطقة وزير الداخلية قادما من الموصل التي كان يقيم فيها منذ الأيام التي سبقت المذبحة مراقبًا وموجهًا العمليات ويتابع تفاصيل الأحداث بدقة. وصل هذا الوزير وبرفقته العقيد البريطاني ستافورد المفتش الإداري الممثل للإنتداب البريطاني. تجوّل الإثنان بين أطلال سميل والغربان تنعق على خرائبها. شاهدا الكناسين الذين أرسلتهم سلطات الموصل لينظفوا بقايا الهمجية الوحشية محاولين طمس آثارها خاصة منها آثار الدماء التي صبغت الأرض أو سالت سواق حفرت له أخاديد عميقة في الأرض. آثار الدماء مخيفة دومًا ومرعبة للقتلة لأنها تبقى توبخ الضمائر وحتى المتحجرة مذكرة بقائين قاتل أخاه هابيل الذي دماؤه شكت الظلم إلى

العدل الإلهي.

صباح اليوم السادس عشر وصلت شاحنات لنقل (٤٠٠) آشورية إلى الموصل، هاته النسوة كنّ البقية الباقية من آشوريي قرية سميل والقرى المجاورة. في الموصل، وضعت النسوة في خيام معزولة، وقدم لهن الطعام الضروري من قبل الحكومة. بعد ذلك أعلنت الحكومة للعالم كله عبر الصحف ووسائل الإعلام والنشر أنها قد قضت على الثورة الآشورية المندلعة في العراق، مضيفة أنّ السلام عاد يُخيّم على شمال البلاد وأنّ غالبية جماهير الآشوريين تشكر الحكومة وتقيّم جهودها وتسامحها وخاصة الشهامة التي أبدتها تجاه المتمردين. وإنها في الوقت ذاته تقدم الشكر العميق لإمكانية بقائها في العراق.

بعد وصول نساء وأطفال سميل إلى الموصل ووضعهم في الخيام، خصص لهم إثنان من الكهنة هما: القس يوسف آل قليتا والقس كنا البازي، الغرض من ذلك كان لإقناع النسوة لأن لا تقلن أنّ المنفذين كانوا ضباطًا وجنودًا عراقيين، والإكتفاء بالقول إن المنفذين كانوا عربا وأكرادًا فقط. وأنّ الجيش جاء لحماية الآشوريين. الكل يعلم أنّه بعد يومين من وقوع المذبحة قامت طائرات تابعة للقوة الجوية البريطانية المرابطة في العراق بالتقاط الصور الجوية لقرية سميل. بعض تلك الصور تظهر جانبًا من الأعمال الوحشية التي أرتكبت بحق سميل الشهيدة. صرح أحد الموظفين البريطانيين الذي زار سميل فورًا بعد أحداث المذبحة فقال: " إنني من المشتركين في الحرب العظمى. خلال تلك الحرب سمعت وشاهدتُ الكثير من الأعمال الوحشية والجرائم المرعبة، لكن كل ذلك لا يمكن مقارنته ولا قياسه بما جرى في سميل " .

يوم الجمعة التالي أي الثامن عشر من آب، استقبل الجيش العراقي العائد مظفرًا (حسب إدعاءات المسؤولين العراقيين) بعد تحقيق نصر رائع استقبالا مشرفا من قبل جماهير الموصل. أحد الجنود من الجيش العائد زار مخيم النسوة الآشوريات من سميل وصرح قائلا بتألم وحزن: " إننا لم نكتف بقتل الآشوريين في سميل بل واصلنا قتلهم وذبحهم عندما كنا نصادفهم ونحن في الطريق إلى سميل قادمين من زاخو. في كل المناطق التي مررنا بها، وراينا فيها آشوريين أو ظنناهم آشوريين أعدمناهم على الفور وفي الموقع نفسه " بريطانيا العظمى لم تقدم أيّ مساعدة للضحايا خلال الأيام العشرة التي سبقت المذبحة. الأجانب الذين كانوا في المنطقة استلموا أوامر بالإنسحاب الفوري. القوة الجوية الملكية البريطانية اكتفت بالتقاط الصور للأحداث. السياسة الإنكليزية لم تكن تدعم القضية الآشورية. اهتمامها أنصب على رعاية قضية العرب وتطوير دولتهم الحديثة.

ألزمت المصالح البريطانية الحكومة البريطانية بضرورة إنجاز استقلالية الأراضي العراقية والمحافظة عليها. الخط السياسي البريطاني المتبع آنذاك أوجب على الحكومة البريطانية، التغافل عن الأحداث وخاصة منها المذبحة المرعبة والتزام الصمت التام وإغماض العيون محاولة لتجنب

فضيحة دولية تهز كيانها وتنال من هيبة سياستها الإنتفاعية. لقد ذهبت كل جهود بريطانيا كحكومة لإغفال المذبحة ووقائعها أدراج الرياح. ذلك لأن هذه القضية طرحت للمناقشة والمسائلة خلال جلسة اجتماع مجلس اللوردات التي عقدت في اليوم الثامن والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٣٣. أثناء تلك الجلسة ناقش القضية ثلاثة من أصحاب السيادة الأحبار وهم: رئيس أساقفة كنتربري الأنكليكاني Lang صاحب المبادرة ومحرك القضية واللورد Noël Buxton والكونت Listowel أثناء المناقشة ذكر الأحبار الثلاثة حكومة بريطانية بالتزاماتها ووجوب تنفيذها[١٩٩]. شارك في تأييد وجهة نظر الأحبار الثلاثة بعض من أعضاء البرلمان منهم أحد قدماء المندوبين الساميين في العراق وهو السير هنري دووبس الذي صرّح قائلا: "إننا بتخلينا عن الآشوريين والإزدراء بقضيتهم ضحينا بشرفنا الذاتي". الصحافة البريطانية هي الأخرى لم تسكت عن موقف الحكومة البريطانية أو تلزم الصمت. جريدتا الديلي ميل والتايمس قامتا بنشر مقالات مهمة تعنى بالقضية الآشورية ومذبحة سميل خلال فصل الصيف من عام ١٩٣٣. أما ويكرام فقام بكتابة سلسلة من المقالات نشرتها الجريدة اليومية Church Time[٢٠٠] (هي جريدة خاصة بالكنيسة الأنكليكانية) ذات التأثير البالغ على الرأي العام لإنكليزي. الغرض من أتخاذ هذه المواقف المتكررة، كان للإشارة إلى حصول قناعة لدى الرأي العام بالمقولة "أنّ الإنكليز لعبوا على من قطعوا لهم العهود وأعطوهم الوعود، أولئك المساكين الذين خدموهم بعد وثوقهم بوعود الإنكليز"، تضايق رئيس أساقفة كنتربري المهموم عندما طلب إليه عدم إزعاج الحكومة البريطانية كثيرًا بالحاجه في توسيع الموضوع، كما طلب إليه التحدث بصوت هادئ عندما يُناقش أحداث شهر آب ١٩٣٣. شاركت الصحافة العراقية في الموضوع ولكن بشكل معاكس. الصحافة العراقية شحنت بنبرتها العدوانية الرأي العام في الشارع العراقي وألبته على الآشوريين بمنهجية شوفينية. إنها قد لعبت أقذر الأدوار في تاريخها[٢٠١]

عندما نتحدث عن الجانب العراقي، نندهش عندما نرى أن المذبحة تتم بكامل فصولها والملك فيصل قمة الهرم غارق في جهل مطبق ولا يعلم ما يجرى في ربوع مملكته. وقد نقول عن ذلك إنه لأمر غريب، غير أنّ الأغرب هو أنّ نفس الملك الذي لا يعلم أيّ شيئ عن كل هذه الجرائم الفظيعة وأحداث هذه المذبحة الدموية الهمجية التي نفذها جيشه من وراء ظهره (إن كان هذا الإدعاء صحيح) يقوم هو نفسه باستقبال قادة الجيش الميامين كأبطال حقيقين شجعان ويقلد البعض منهم أوسمة رفيعة تقديرًا وتخليدًا لأعمال القتل والذبح والسلب والنهب والإغتصاب التي قاموا بها أو أمروا الآخرين للقيام بها. بعد عودة الملك فيصل من لندن في بداية آب (أتوقع حصول خطأين في النص، الأصح هو نهاية آب وليس بدايته، لأنه من المؤكد أن الملك فيصل لم يكن في العراق أيام المذبحة، الأمير غازي كان هو المسؤول عندئذ نظرًا لأنه كان وليًا للعهد. أما الخطأ الثاني فهو وجود الملك فيصل في سويسرا للمعالجة وليس في لندن، والدليل هو أن الملك فيصل فور انتهائه من تهدئة الأوضاع في العراق بعد

رجوعه إلى بغداد عاد ثانية إلى سويسرا لمواصلة العلاج وهناك توفي بعد أيام قليلة. الإحتمال الوحيد لقبول العودة من لندن هو عدم وجود طيران مباشر بين سويسرا والعراق في ذلك الزمان أو اضطرار الملك لعودة فجائية وهذا ما لم يكن ممكنا تحقيقه إلا بطائرات القوة الجوية الملكية البريطانية العسكرية - المترجم) عند وصول الملك فيصل إلى العراق واجه أوضاعا نتجت عن أحداث فاته الإطلاع عليها أو التحقيق في دقائقها، عاد وهو مريض هزيل البنية. لم يقم الملك فيصل في بغداد سوى بضعة أيام اي في اليوم الثاني من أيلول غادر إلى سويسرا لإكمال المعالجة وهناك بعد إقامة خمسة أيام من الوصول توفي. كان جورج ريد وكما سبق أن اشرنا أمرًا لكتيبة بريطانية في العراق. في العام ١٩٢٢ عرض على جوج ريد منصب دبلوماسي في دائرة الخدمات الدبلوماسية الإنكليزية في أورشليم، فوافق على ذلك. بالموازاة مع هذا التعيين حصل تغيير في الحضور البريطاني في العراق بناء على صدور قرار لسحب القوات البريطانية البرية من العراق والإكتفاء بحضور القوة الجوية الملكية البريطانية. فور وصول جورج ريد القدس واستلام مهامه، اهتمّ بتنظيم أوضاعه بشكل مناسب وموقعه الجديد. بينما هو منشغل باستلام مهامه وصلت طائرة خاصة لتأخذه إلى العراق بصورة فجائية. وصول جورج ريد إلى العراق كان قبل تنفيذ المذبحة بأيام قليلة. فورالوصول إلى العراق انتقل إلى الموصل. هناك تبيّنت له معالم مذبحة دموية تحوك خيوطها السلطات العراقية وتريد تنفيذها بحق الآشوريين. وقف جورج ريد عاجزًا أمام هذا المخطط الجهنمي. حاول الإتصال بسورما فلم يوفق لأنها كانت مقطوعة عن محيطها بسبب الإقامة الجبرية المفروضة عليها ورقابة الدوائر الأمنية الشديدة من جهة، واعتقاله من قبل السلطات العراقية من جهة ثانية. الإعتقال لم يثن جورج ريد عن عزمه، بل على العكس إزداد تصميمًا في مواصلة المشوار بشجاعة وحكمة. بعد عودته إلى فلسطين بقي يعمل خمسة عشر عاما بكل جد ونشاط. هناك استطاع العمل مع بعض الآشوريين الذين عرفهم لاجئين في العراق عند إنقضاء مدة خدمته في فلسطين عاد إلى وطنه بريطانيا العظمى ليقضي بقية أيام عمره متقاعدًا.

منذ شهر آب من عام ١٩٣٣ عاش الآشوريون أحداثا مروعة وحياة بؤس وشقاء. كانت تلك الفترة أياما سوداء، خلالها وضحت خيانة البريطانيين للآشوريين وظهر غدرهم علانية عندما تخلوا عنهم بجبن ونذالة، تحقيقا لمصالح اقتصادية وإستراتيجية ومدفوعين بأنانية مقيتة. الدولة العراقية الحديثة التأسيس كانت منشغلة بكتابة صفحات تاريخها الأسود الخاص بتلك الأيام. المأساة الآشورية شملت جماهير الآشوريين واستمرت فصولها تتابع فغدت أمرًا إعتياديًا ولبوسًا إضافيًا غطى الأجسام وأصبح طبقة جديدة فوق الجلد.

جلاء الآشوريين من العراق

البطريرك

شمل قرار النفي الصادر عن السلطات العراقية البطريرك وعائلته مع توكيد خاص. أي إنه قد أشار إليهم بكل وضوح. جراء ذلك اتخذت الترتيبات اللازمة وبأسرع ما يُمكن وخاصة بالنسبة للبطريرك مار شمعون إيشاي وعمته سورما. كان هذا الإجراء باكورة التطبيق لقانون النفي القسري الصادر في عام ١٩٣٠ .وكانت أولى ضحاياه السيد يوسف مالك الشخصية الكدوآشورية المعروفة. ولد يوسف مالك عام ١٨٩٩ من والدين أصلهما من تلكيف - إحدى القرى التابعة للواء الموصل (اليوم محافظة نينوى). تمكن يوسف مالك من تحقيق نجاحا كبيرًا في حياته نظرًا لما تمتع به من ذكاء وفطنة. تحلى يوسف مالك بهاتين الموهبتين واستطاع بهما أن يحتل موقعا مهمًا في الإدارة العراقية. في البداية عمل مترجمًا ومن ثمّ وكيلا للمسؤول الإداري في سامراء. أنهى يوسف خدماته مع السلطات سكرتيرًا في دائرة المفتش الإداري للواء الموصل. في السادس عشر من آب قام المفتش الإداري للواء الموصل بتعيين يوسف مالك عمدة (إداريا قائممقام) لقضاء الشيخان. بعد يومين من التعيين أصدر وزير الداخلية قرارًا بموجبه سحبت كل الصلاحيات المخولة ليوسف مالك قانونيًا وأمر بنقله إلى الناصرية. تمّ هذا التغيير دون ذكر الأسباب الموجبة لذلك. رفض يوسف مالك أمر الوزير ولم ينفذه. كان يوسف مالك وكما أشرنا شخصية كلدانية فذة، مشبعة بالحس القومي الآشوري والإخلاص له كما أنه كان ذا تأثير بين أبناء طائفته وحذرًا من السياسيين العراقيين ومن الإنكليز. بسبب ما كان يتمتع به من ذكاء لامع وشخصية قوية إعتبرته السلطات شخصًا مزعجا إذا ما بقى في لواء الموصل. عندما لم يستلم أيّ توضيح عن قرار الوزير لا من الجانب العراقي ولا من جانب المندوب السامي البريطاني ترك العراق وغادر إلى لبنان. كانت مغادرته في شهر نيسان من عام ١٩٣١ . من بيروت قام يوسف مالك بفضح السياسة الأنكلو-عراقية ونقدها بشدة. كان السبب حسب رأيه، لأنها لم تتعاون مع القادة الآشوريين. تمامًا قبل ترك يوسف مالك وظيفته في دائرة المفتش الإداري في الموصل أصدر الميجر ولسن، توصية لإعتقال البطريرك وعمته سورما و "ملك ياقو" . عدا ذلك أبدى إلحاحا كبيرًا بضرورة إقناع مار شمعون إيشاي الموافقة على توقيع وثيقة رسمية، يعترف بها إلغاء سلطته الزمنية. نتيجة لتطبيق العراق سياسته الهادفة تفتيت وحدة الجماهير الآشورية سقطت ضحايا أخرى. خلال شهر آب من عام ١٩٣٣ نفذت السلطات العراقية قانون النفي بحق الزعماء الآشوريين وعائلة البطريرك. نشرت جريدة "العالم العربي" [٢٠٢] نبأ نفي سبعة من زعماء عشائر النياري الذين وصفتهم الجريدة "بالعصاة" إلى الناصرية بعد توقفهم في الموصل. كبر الإختلاف في الرأي وتباعدت وجهات النظر بين البطريرك والحكومة العراقية وازداد الخلاف تأصلا فوصلت الحالة إلى نقطة اللاعودة. في شهر أيار عام ١٩٣٣ استدعى وزير الداخلية

العراقي البطريرك مار إيشاي إلى بغداد لإجراء تحقيق معه، وصل مار إيشاي بغداد يوم ٢٨/ ٥/ ١٩٣٣ وهو يأمل مقابلة الملك شخصيًا، لكن ذلك لم يتحقق نظرًا لوجود الملك خارج العراق في جولة أوروبية مع بعض من أعضاء الحكومة من ذوي التأثير. طلب الوزير من البطريرك التخلي عن سلطاته الزمنية مع تأكيد باعتراف الحكومة بسلطاته الروحية. في الوقت عينه أكد الوزير شروط إعادة التوطين وإعادة صياغة وثيقة الإخلاص للملك (المواطنة الأمينة). لم يستجب البطريرك لطلب الوزير وحاول التوجه نحو الملك مباشرة. استمرت الإتصالات بين الطرفين مدة ثلاث أسابيع، خلالها جرت لقاءات ومناقشات مطوّلة. في اليوم الرابع والعشرين من حزيران أبدى البطريرك الرغبة في العودة إلى الموصل. جاء الجواب بالرفض. احتج البطريرك على قرار الرفض وعدّ اعتقاله إجراءً غير عادل وغير مؤسس على الدستور العراقي إضافة إلى أنه يخالف الضمانات التي أعطتها الحكومة العراقية لعصبة الأمم في شهر أيار عام ١٩٣٠ . عدا الإحتجاج الذي قدمه البطريرك للوزير الداخلية، قام بتقديمه أيضًا يوم التاسع والعشرين من حزيران إلى وزراء آخرين وإلى الهيئات القنصلية الموجودة في بغداد. تصرف البطريرك أغضب مجلس الوزراء العراقي وضاعف الحقد عليه، لكنه رغم ذلك لم يتوقف عند هذا الحد بل تمادى في المجابهة التي أدّت إلى تعقيدات مركبة. بدأ البطريرك مباحثات مباشرة مع السلطات البريطانية فكتب لها بتاريخ ١٥/٨/١٩٣٣ عن تفاصيل الموضوع بوضوح تام فقال:

صاحب السيادة،

إلحاقا بحديثنا يوم أمس أي الرابع عشر من أيار الجاري، والذي كان موضوعه قرار الحكومة البريطانية بأبعاد عائلة البطريرك وأعني بذلك أنا شخصيًا ووالدي وأخي والليدي سورما وللأسباب التالي:

١). تجنبًا الأخطار التي تهدد حياتهم.

٢). أخذا بنظر الأعتبار وضع العراق الحالي، وتمتعه بميزات الدول المستقلة ذات السيادة، فلا مجال لإعطاء أيّ ضمانات من قبل الإنكليز وتوفير الحماية للآشوريين.

٣). في حالة مغادرتي العراق بصورة وقتية يجب أن أكون حرًا للذهاب إلى جنيف أو أيّ جهة أخرى يمكنني فيها تقديم المساعدة لشعبي الآشوري وخدمته كما ينبغي.

البديل سيكون إعطاء الحكومة العراقية الحق لإتخاذ قرار لأسجن في الناصرية أو الرطبة. في حالة اعتبارنا أفراد غير عراقيين سيكون مصيرنا النفي والأبعاد إلى ما وراء الحدود. أثناء الحديث معكم ورد ما معناه، إن الحكومة العراقية تتهمني بأني أنا هو المسبب للوضع الحالي.

وفقا لما سبق أن قلته البارحة شفهيًا، أود أن أوثقه اليوم تحريريًا فأقول: " عائلة البطريرك لا

ترغب في الإستفادة من أيّ حماية خاصة بها لا تشمل كل جماهير الشعب الآشوري. الأمر الأهم الذي يجب معالجته فورًا هو أنه يجب على الحكومة البريطانية التي عملت على توطيننا في العراق أن تبذل الجهود الحقيقية لإيقاف المذابح والإضطهادات وكل أعمال الإبادة التي تنفذ بحق عائلات كاملة وكذلك تلك التي تهدف قتل الشباب من أبناء شعبنا الذين لا يزالون في خدمة المصالح البريطانية المتوفرة في هذا البلد. يجب فسح المجال لهؤلاء الشباب للدفاع عن عوائلهم التي تُركت دون عون عند الضرورة. هذه الأمور أراها أكثر مهمة وجديرة بالإهتمام أكثر من سلامتي وحمايتي من الأخطار.

في حالة إقتناعكم أنّ بقاء أعضاء العائلة البطريركية المتكونة من (١٨) شخصًا مقيمة في العراق يشكل تهديدًا جديا على حياتهم، أو سببا لأزدياد الأخطار على سلامة الشعب الآشوري بسبب أخلاصه وأمانته للبطريرك وعائلته عندئذ يجوز الأمر بالإنزواء في مكان منعزل قد يكون موقع (مقر) القوة الجوية الملكية البريطانية في الموصل أو في الهنيدي بذلك ستتوفر الحماية الكافية.

إذا صحّ ما تقولون عن اتهام الحكومة العراقية بأني أنا المسؤول الوحيد عن الأوضاع المتردية الحالية في العراق وأن وجودي يعرقل إمكانية التوصل إلى وضع حد للمذابح والقضاء على الأحقاد عندئذ ولتوفير الفرصة لإستتباب السلام، أنا مستعد للموافقة على نقلي شخصيًا تحت حراسة إنكليزية إلى مكان ما على أن يكون ذلك لمدة محدودة وعلى شرط أن استطيع الذهاب من ذلك المكان إلى مقر عصبة الأمم.

في حالة الموافقة على اقتراحي هذا سوف لن يكون هناك ضرورة لأن يكون معي أيّ مساعد" [٢٠٣].

كان لرسالة البطريرك رد فعل جيد، وهذا أدى إلى إبعاد اقتراح نفي البطريرك من بين الاقتراحات المطروحة لحل المشكلة وإخراجه من سياق البحث والمناقشة. بذلك أصبح في استطاعة مار شمعون إيشاي الوصول إلى جنيف متى رغب ذلك. غير أنّ الحكومة العراقية نظرت إلى القضية من خلال منظار آخر. لذا قامت في الخامس عشر من آب بنشر القانون رقم (٦٢) الذي بموجبه قرر مجلس الوزراء حرمان البطريرك وأعضاء عائلته من الجنسية العراقية. جاء في قرار مجلس الوزراء المعتمد على القانون المنشور والمنظم "وفق الحاجة" أن لمجلس الوزراء الحق في سحب الجنسية التي تمّ منحها بعد حرب عام ١٩١٤ من كل أجنبي ينتمي إلى عائلة لم تكن تسكن العراق قبل ذلك التاريخ، وشرط أن وجود ذلك الأجنبي في العراق يهدد الأمن الوطني. عند ذاك لوزير الداخلية صلاحية نفي ذلك الأجنبي باعتبار أنه شخص خطر. التحصيل الحاصل من الإجراء هو الخسارة التلقائية للمواطنة. تمّ تنفيذ القرار فورًا بحق البطريرك وعائلته وآخرين. في الثامن عشر من آب، أصبح البطريرك مار شمعون إيشاي تحت رحمة هذا القرار القانوني فنقل إلى قبرص بعد موافقة بريطانيا على استقباله هناك [٢٠٤].

ما جرى لسورما

خلال فترة الأحداث المشار إليها أعلاه، كانت سورما تقيم في أحد الأحياء من مدينة الموصل، وعرفت المحلة بمحلة " الآثوريين" . منذ الثاني عشر من آب أبعد الرب خيلا (منصب عسكري رفيع – مثل زعيم أو لواء أو فريق – المترجم) داوود وابنه تيودور من مدينة الموصل. السلطات العراقية لم تتوقف في إجراءاتها عند هذه الحدود. لأنها كانت مصممة على مواصلة تنفيذ خططها حتى النهاية. فقررت التعرض لسورما معتبرة إياها شخصية ذات تأثير بالغ وخطرة. وفق المعطيات الرسمية كانت سورما تترأس الحملة المعادية للحكومة وقام بنشرها الآشوريون. أجل قرار نفيها لفترة ما. يوما وبينما كان ضباط الشرطة واقفين أمام مبنى مسكنها حصل مشهد فريد لم يكن أحد ينتظره. حسب أقوال ستافورد: " تجمّهر أمام مسكن سورما عدد كبير من النسوة الآشوريات وقد امتلكتهن هيستيريا جنونية بسب أخبار واردة عن المذبحة المريعة التي حصلت في سميل وما حواليها. جمهور النسوة شكل سدًا بشريًا منيعًا منفعلا وقف مواجهًا قوات الشرطة التي كانت تراقب الموقف بحيطة وحذر. أرتفع الصراخ ورفعت النسوة قبضات أيديهنّ مهددات. أخريات فتحن الأذرع ورفعن الأنظار نحو السماء مستنجدات بساكن السماء ليأتي ويعين الشعب الآشوري الذي أذله الطغاة. كما سمع النحيب والبكاء. تلاحمت أجساد النسوة ببعضها فغدت حاجزا منيعا لا يمكن اختراقه، وتفريقهن أصبح مستحيل التحقيق. أمام هذا المشهد المعقد ارتبكت سورما واحتارت في ما يجب عليها فعله تجاه هذا الوضع الحرج. من جهة كانت تشارك النسوة إحساساتهنّ وآلامهنّ، من جهة أخرى أعطت الحجة للسلطات العراقية للمضي في تنفيذ مشاريعها العدوانية تجاه الآشوريين عامة وتجاهها خاصة. الموت لم يعد يخيف الآشوريين طالما شربوا كأس مجازر الوحوش البشرية حتى الثمالة. الغضب الممزوج بالشجاعة كان دومًا سيد المواقف. قوات الشرطة لم تجد حلا أحسن من الإنسحاب بهدوء ودون أيّ استعمال للقوة أو العنف.

بعد انفراط عقد تجمهر النسوة، رأت سورما نفسها وحيدة لا معين لها في تدبير الأوضاع. أخبار المذابح تصلها بالتقسيط. الأحداث تفرض عليها السكينة والهدوء والعمل بحكمة وإلا سيكون هناك المزيد من سفك الدماء وسقوط الضحايا والدمار. أخيرًا قررت مغادرة الموصل بعد أيام قليلة ودون ضجة قد ينجم عنها ما لا يحمد عقباه. كان برفقة سورما يوم المغادرة بعض الأقارب. وصلت بغداد بطريق البر. هدفها في البداية كان الإنزواء في إحدى القواعد الجوية الملكية البريطانية. لكن رغبتها تلك لم تستجب. في اليوم الرابع والعشرين من شهر آب كتبت صحيفة الأهالي عن سورما النبأ التالي: " قامت الحكومة العراقية بسحب الجنسية من عمة البطريرك مار شمعون إيشاي المدعوة سورما. ذلك بموجب قانون " التجريد من المواطنة" . كما سبق ذكره، غادرت سورما وعائلتها الموصل بخمس سيارات وتحت حراسة قوات الشرطة. عند الوصول إلى بغداد تمّ إسكان الجميع في مبنى جمعية

الشبان المسيحيين المعروف بـ YMCA انتظارا لأبعادهم إلى ما وراء الحدود، أبناء عائلة البطريرك الآخرون وأقرباؤهم وحسب قول الجريدة فموضوعهم لا زال قيد الدراسة من قبل السلطات المختصة. وسيصدر القرار النهائي في شانهم في حينه.

أقامت سورما مع المرافقين من الأقرباء في مبنى جمعية الشبان المسيحيين بعض الوقت. عندما أزفت ساعة الرحيل تملك سورما الحزن وغطت الكآبة وجهها فتذكرت لحنًا أنشده أحد عازفي العود. العود آلة موسيقية، عزف عليها الأجداد بمصاحبة القيثارة والناي. هذه الآلات الموسيقية لها ماض مشرق في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. لما تذكرت سورما ذلك اللحن تفجر الأنين في أعماقها ومرّت أمام عينيها الذكريات ومنها المرة، تذكرت كيف كان وضعها دوما بعيدًا عن المجتمع البغدادي الذي أحبته. تأسفت لوجود الجدار الفاصل بين جماهير شعبها الآشوري وجماهير أبناء بغداد الطيبي القلب، فنقطر قلبها دما من حزنها الشديد وهطلت دموعها مدرارا، ها هي تغادر أرض الرافدين التي أحبتها كل الحب متجهة نحو جزيرة قبرص، مصنفة كشخص غير مرغوب فيه وستبقى حاملة هذا التوصيف زمنًا طويلا. ملحمة شعبها في هذه البلاد كانت تعني إسدال الستار على تاريخ طويل مشبع بالأفراح والأتراح ورفعه لمشاهدة فصول جديدة ومشاهد مختلفة لم تتضح

عائلة سورما في المنفى، قبرص عام ١٩٣٣

معالمها. زمن نظام الإمبراطوريات والتمتع بقوانين "الملة" ولى وإلى غير رجعة. الحكم العثماني الذي تميز بالسيطرة على شعوب كثيرة انتهى وحلّ محله نظام الشبان القوميين الذين تشبعوا بالروح الأوربية وأفكارها التحررية. إنه من المؤكد أن القوى العظمى الغربية تدخلت في هذه التغيير ورسمت الحدود حسب ما تفرضه مصالحها لا بحسب مصلحة الشعوب ذات الشأن التي تعيش فعليًا على تلك الحدود. هكذا تتابعت فصول نزوح/ جلاء سورما نحو النواحي الجنوبية تاركة جبال حكاري الشامخة فوصلت بلاد فارس أولا ومنها إلى العراق ثانيًا واليوم نزوح ثالث نحو قبرص حيث المستقبل المجهول.

المؤلفة مع زوجها البروفيسور الدكتور جوزيف يعقوب في ٢٠٠٨/٥/١٧

القسم الرابع

في قبرص سورما في ميدان المقاومة

(من ٣١ آب ١٩٣٣ لغاية آب ١٩٥٤)

رفض طلب السماح لعائلتي للبحث عن العمل خارج قبرص (...)، كنا غرباء في بلد غريب. كنا عائلة وحيدة مقطوعة وعشنا كـ "لاجئين سياسيين"، بينما حقيقة واقعنا كنا كبش فداء للسياسة العراقية (...) إننا قطعنا عن أبناء شعبنا وأبعدنا عن أصدقائنا وعن أهلنا وتُركنا للأقدار ودون أن يكون لنا مشروع ما للمستقبل.

مار إيشاي شمعون

بطريرك كنيسة المشرق ١٩٤٣

١ - منفيون في جزيرة ميالة إلى التمرد

نيقوسيا، "الوطن" الجديد

إجتاحت قبرص بعد الحرب العظمى أحداث دامية وهذا ما كان شأنها على مدى العصور، سبب كل ذلك كان موقعها الجغرافي الذي يؤجج الأطماع ويزيد رغبة التجار والمسافرين للإتجاه نحوها للإقامة فيها منذ أكثر من ألفي سنة. تقع جزيرة قبرص ذات الجمال الساحر في البحر الأبيض المتوسط مستقرة بين أحضانه المشرقية. طالتها الغزوات المتلاحقة منذ عام ١٤٠٠ قبل الميلاد. جاءها المقدونيون خلال الحرب البونية وأقحموا حضارتهم الهيلينية ناشرين اللغة اليونانية وعاداتهم ودينهم. بعدهم جاء الفينيقيون ثم الآشوريون فالمصريون. بعد المصريين كان الدور للفرس فالاغريق فالرومان فالبيزنطيين فالفرنجة فأبناء فينيسيا. بعد ذلك احتلها العثمانيون قروناً عديدة. لم يترك الإحتلالان الآشوري والمصري لقبرص الكثير من الآثار. ملوك قبرص بقوا على سدة الحكم راضين بدفع الإتاوة. كان للفرس الوافدين تأثير بالغ لأنهم جعلوا للفن والثقافة جذور أصيلة في هذه الجزيرة. في العام ٣٣٣ ق.م. أدمج الإسكندر المقدوني جزيرة قبرص ضمن حدود إمبراطوريته، ابتدأ العصر الهيليني في قبرص بنقل العاصمة من "سالامين" إلى "بافوس". خلال فترة الحضور البيزنطي الطويلة (٣٣٠ - ١١٩١) أسست مدن عديدة مثل "قوسطانطيا التي بنيت في أطراف سالامين المدمرة بالزلزال الهائل الذي أصابها. أصبحت قوسطانطيا عاصمة لقبرص وقبل أن يغيّر

اسمها ليكون نيقوسيا، كما غدت أيضًا موطنا لإقامة الملوك الذين عرفوا بـ Luisgnan عائلة جاءت من بواتييه/ مقاطعة فرنسية حكمت جزيرة قبرص منذ العام ١١٩٢ كإمارة لاتينية - كذلك أصبحت مركزا للكرسي الأسقفي لطائفة اللاتين. خلال فترة عهد حكم الفرنجة (١١٩٢ - ١٤٨٩) العزلة المرتبطة بجزريتها لم تؤدِّ بها قط إلى الإنفرادية، تقاطعت الشعوب على أراضي قبرص، فجلبت معها خصائصها لكنها لم تتمكن من إزالة الطابع الهيليني المتجذر في الأعماق، نتيجة لكفاح القبارصة المرير للحفاظ عليه. ألحقت اسطنبول قبرص بممتلكات الدولة العثمانية عام ١٥٧١، وبقيت قواتها فيها لغاية العام ١٨٧٨ .

(هنا سقطت صفحة كاملة سهوا راجع ص ٣٨٣ - الناشر)

إن بصمات العثمانيين هي أكثر وضوحا في قبرص واستمرت عهودا طويلة بداية بالقرون الوسطى وانتهاء بالعام ١٨٧٨ . عاش سكان نيقوسيا عند تأسيسها داخل مدينة قديمة تحيطها الأسوار، بيوتها مبنية حسب نمط بيوت فينيسيا خلال القرن السابع عشر. كما بنيت فيها الصروح والمباني الشامخة من كنائس ومساجد ومساكن قديمة محتفظة بمظاهر البيئة الرومانسية لماضيها المشرق. الإنكليز ومنذ وصولهم الجزيرة عملوا على تحقيق المشاريع الكبرى، عندئذٍ بدأ سكان المدينة يوسعون مناطق سكنهم بالتدريج فخرجوا إلى ما وراء الأسوار ذات الأبواب الثلاثة وأحد عشر برجا للمراقبة والحراسة.

بعد عبور السور ودخول المدينة من الباب المسمى "بافوس" استمرت سيارة موكب القافلة الصغيرة القادمة من العراق منفية تسير باتجاه هدفها، بعد مسافة مائتي متر استدارت إلى ناحية اليمين وسارت بمحاذاة جدار السور حتى إن توقفت أمام مبنى قديم يتكون من أربعة طوابق. منظر المبنى من الخارج كئيب، لون الواجهة من الخارج يضرب إلى الحمرة الداكنة. شبابيكه كانت مغلقة، كان هذا المبنى فندق الهلال. موقعه لم يكن بعيدًا عن برج طرابلس. عندما سمع مار إيشاي شمعون صوت محركات السيارة قبل أن تتوقف إنتبه وأسرع الخطى نحو المدخل الرئيسي للفندق، فلحق به كل من داوود وتيودور. فورًا أشرقت الوجوه وزال الغم. الصالة الداخلية كانت عبقة برائحة التبغ المعطر الفواحة من رأس النركيلة التي كان يتناوب على تدخينها عجوزان إضطربا من شدة الضوضاء والصخب اللذين خيما على الصالة. في الفناء الخارجي سمعت أصوات الأطفال الفرحين بعد أن كان الهدوء التام سائدا على المكان. بعد هنيهات تسمرت عيون الأطفال على أطباق الفاكهة وقطع الحلويات المحلية كالبقلاوة والكعك المتنوعة والمطيبة بعطر البرتقال وعصير العنب واللوز. وُضعت الأطباق على المائدة منتظرة الأطفال الذين سال لعابهم لمنظر الأطعمة الشهي. ابتسم البطريرك وابتهج للقاء الأحبة خاصة عندما رآهم يهاجمون أطباق الطعام والفاكهة والحلوى بنهم وشهية. أقامت سورما في فندق الهلال حتى العاشر من أيلول عام ١٩٢٣ . بعد ذلك انتقلت العائلة

إلى أول مسكن أقامت فيه في قبرص. كان هذا المسكن دارا مؤجرة تقع في منطقة خارج الأسوار غير بعيد عن مدرسة هيلينيون وتشرف على شارع "ليوفورتوس ستازينو". كانت المدرسة مجاورة للسور وتقع بين برجي آفيلا وكوستانزا. من هناك كان يمكن رؤية منارة جامع بيرقدار. للوصول إلى الدار كان يجب صعود الطريق المنحدر المسمّى "بوم لاولينا". كانت الدار بطابق واحد وبسيطة جدا بخلاف فيلات الموسرين الواقعة داخل الأسوار. حداثتها كانت تعني فقط ناحية تشيّدها ليس إلاّ. كان للدار فناء صغير يطلّ على فناء مبنى الأكاديمية فيوفر بذلك الظل الضروري لمواجهة حر الصيف المحرق. كانت الدار غير مؤثثة لذا قامت سورما بإجراء اللازم بخصوص الأثاث وفق توجيهات الإنكليز. ذهبت سورما إلى أسواق السيد "كريستوفيدس" التاجر المعروف ذي الشهرة الواسعة وكان لأسواق كريستوفيدس واجهات عريضة تطلّ على شارع رئيسي في العاصمة. في هذه الأسواق الكبيرة وجدت سورما كل ما تحتاجه العائلة لحياتها اليومية. عند مدخل الأسواق كان هناك لوحة من الموزائيك تزين أرضية المدخل. عند الدخول إلى الأسواق. توقفت سورما وتأملت اللوحة وأبدت إعجابها. كان كريستو فيدس رجلا قصير القامة ممتلئ الجسم ذو عينين براقتين وخلق مرح يتحدث الإنكليزية بنبرة متقطعة وأداء متوسطي (نسبة إلى البحر الأبيض المتوسط). إنتبه كريستوفيدس إلى تأمل سورما للوحة المدخل التي كان معجبا بها هو أيضًا واقترب من سورما قائلا: "ليس هناك من قبرصي جدير بحمل هذا الإسم وينسى أنه كان هناك في قديم الزمان الإلهة العظيمة أفروديت. إنها كانت إلهة الحب والجمال ولدت من زبد البحر بعد تلقيحه بدماء أورانس. لقد ظهرت منتصبة من أعماق إحدى الموجات، هذه الموجة حملتها إلى شواطئ قبرص. حدث هذا عندما كانت عاصمتنا لا تزال تحمل إسم بافوس. لقد كانت قبلة العبادة، آثار ذلك سوف لن تنمحي. خرائب معبد أفروديت الشهير لا زالت تشهد على حضورها السحري، منذ القرن الثاني عشر ق.م. وحتى القرن الثالث أو الرابع كان ذلك المعبد مزارا مكرما يأتيه الحجاج من كل مناطق البلاد. تجولي سيدتي المحترمة في مدينتنا وستشاهدين معالمها. استنشقي الروائح العطرة المنبعثة من هنا وهناك. كل هذا سيمكنك أن تفهمي نفسيتنا وعمق جذورنا.

اندهشت سورما من حديث صاحب الأسواق وابتسمت لكنها بقيت صامتة تتذكر صورة الإلهة أفروديت. بعد سماعها عن إرث ثقافي قديم جدا تصورت أنه توبيخ لها هي إبنة نينوى العريقة التاريخ. كان للإلهة اينانا عشتار الأنثى الإلهية أهمية عظمى في بلاد ما بين النهرين. هنا أحسّت سورما بتشابه مضطرب بين الإلهة إينانا عشتار وأفروديت. سكان أورك تخصصوا بعبادتها. كانت هذه الإلهة تعرف بأنها إلهة الحب والحرب، كانت إبنة الإله أيا إله المياه والحياة والحكمة والسحر والرحمة. مورست عبادة الإله أيا باعتباره الإله الخالق والمنعم على البشرية بالأفضال والخيرات. مع الأسف الشديد لم تتوفر الفرصة لسورما الإتجاه نحو هذا المنحى في الميثيلوجيا (قصص

والأساطير والخرافات المتعلقة بالإلهة وأنصاف الإلهة والأبطال الخرافيين عند شعب ما –علم الأساطير –المترجم) الخصبة. الحياة بهمومها أجبرتها على الاتجاه إلى منحا آخرا أدّى بها إلى شواطئ مغايرة وبعيدة.

الحرية المقيّدة

لم تكن الحياة سهلة لعائلة مار شمعون سواء كان ذلك من ناحية المواطنين القبارصة الأصليين أو من ناحية البريطانيين. الكنيسة القبرصية نفسها كانت حذرة من أبناء هذه العائلة. عدم التفاهم معهم كان واضحا وعميقا. بسبب السياسة الإستعمارية البريطانية أصبح تحقيق آمال جماعات ال Enosis من القبارصة الأصليين الراغبين في الإتحاد مع اليونان غير ممكن وهذا ما أولع الكره في نفوس الجماهير المحلية للعائلة. إستنادًا إلى النيات الطيبة المتوفرة قامت بريطانيا العظمى مرة بنشر دعاية تفيد أنها قد عزمت توحيد قبرص مع اليونان. بينما واقعيا كانت تقاوم وبعناد تحقيق ذلك بتبريرات مستندة على أنّ الوضع الاستراتيجي للجزيرة لا يسمح بذلك. التأجيلات المستمرة خيبت آمال جميع الجاليات وعقدت موضوع التعايش السلمي ، بينما في السابق كانت كل طائفة تعيش وفق معتقدها وعاداتها مشاركة في الحياة الجماعية في نفس المناطق ومترددة عل نفس المقاهي الموجودة في المنطقة الواحدة. قرارات بريطانيا العديدة المتخذة كانت أحادية الجانب وهذا ما زاد كره الشعب وغضبه على السياسة البريطانية. هذه الحالة سببت أندلاع ثورة يونانية عارمة في تشرين أول عام ١٩٣١ كانت في صالح حركة Grec Enosis الموالية لليونان. نظمت هذه الثورة وقادتها الكنيسة الأرثوذكسية في قبرص. نتيجة لقيام هذه الثورة، تأججت ردود الفعل الشديدة والمضادة في نفوس البريطانيين. الإدارة الإنكليزية تمكنت من وضع حد للثورة و إخمادها. فسجنت ما يزيد على الأربعمائة من الثوار. أما القادة من رجال الدين والسياسيين فقد تمّ نفيهم كما منع تدريس مادة التاريخ الوطني في المدارس وفرضت الرقابة على الصحف وعلق النشاط السياسي إلى أجل غير مسمّى كما منع أيضًا استعمال العلم الوطني. دامت هذه الإجراءات الشاذة حوالى عشرة أعوام. كان على رأس الثورة المعلنة ضد الإنكليز المطرابوليطان الجالسان على كرسيي "كيتوم" و "كيرينيا" . لذا حُكم عليهما بالنفي مدى الحياة، فنفيا إلى منطقة جبل طارق التي تقع ضمن منطقة تسلط البريطانيين حيث النهاية القصوى من الحدود الجنوبية من أسبانيا. رئيس الأساقفة كيريلوس الثالث طالب البريطانيين بعودة المنفيين لكن طلبه لم يستجَب. تعقدت الأوضاع بموت رئيس الأساقفة في الخامس من تشرين ثاني عام ١٩٣٣ . الجهود لإنتخاب رئيس أساقفة بديل فشلت ولسنين عديدة. الإدارة البريطانية حددت نفسها بالمقولة الشهيرة " اقطع الرأس لإخماد الفتنة " ! هذا الشعار كان نفس الشعار الذي عمل بموجبه البريطانيون في بلاد ما بين النهرين ضد الآشوريين

وطبقوه بحق الأرثوذكس اليونانيين في قبرص. قد نستنتج من هذا أن أتباع سياسة التفريق بين رجال الدين الوطنيين وأبناء الشعب من المؤمنين لم يتم تطبيقها في بلاد ما بين النهرين وضد الآشوريين فقط بل شملت كل من عارض البريطانيين وسياستهم أينما كانوا.

نفيت عائلة مار شمعون من العراق ونقلت إلى قبرص عبر تبرير يعتمد على تمرّد سابق. هذه الوضعية الحساسة لم تكن لتسهل اندماج العائلة في المجتمع القبرصي. الشكوك والريبة الملطفة بالكياسة المنظمة كانت تشكل حملا ثقيلا وُضع على كاهل أبناء العائلة. سريعًا ما تبينوا أن الحرية التي يتمتعون بها هي حرية مقيدة جدا. لذا لم يُخفِ مار إيشاي شمعون غضبه من تصرفات البريطانيين. لما نُقل البطريرك ووالده داوود وأخيه تيودور من العراق إلى جزيرة قبرص على وجه السرعة وبطائرة خاصة كان يتوقع (البطريرك) وصوله إلى جنيف بأسرع وقت ممكن، لأن مستقبل شعبه وتقرير مصيره كان قيد الدراسة أمام مجلس عصبة الأمم في جنيف ومن ثمّ أصدار القرارات النهائية. هذا الأمر كان بالنسبة لمار إيشاي شمعون أهم الأمور في حياته ولا أمر آخر يفوقه أهمية، وأنه لا يوجد أيّ قوّة في العالم يمكنها تأخيره عن الوصول إلى هناك. عندما استلم البطريرك المشعل من عمته التي عرفت كيف تحافظ على شعلته مضيئة منيرة، رغم الرياح القوية والمد والجزر في الأوضاع، شعر بثقل الحمل وجسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه. منذ الحادي والعشرين من آب عام ١٩٣٣ قدم مار إيشاي شمعون طلبا إلى حاكم جزيرة قبرص للموافقة على سفره إلى سويسرا. فور استلام الطلب من قبل الحاكم العام، تمّ إبلاغه إلى لندن نظرا لمعرفته ما يشوب هذا الملف من تعقيد وحساسية. اعتمد البطريرك عند تقديم الطلب على أصدقائه الأنكليكان. جواب الجهات البريطانية تأخر فطال الإنتظار، انزعج البطريرك وقلق وكاد أن يفقد الصبر. عندما كان مقيما في نيقوسيا أرسل نداء في العشرين من أيلول من نفس العام ووجهه إلى كافة الكنائس المسيحية قال فيه:

"بسبب الحالة المؤلمة والوضع الخطر الحالي الذي يعيشه الآشوريون أبناء أول شعب قبلوا المسيحية والإيمان بها، أجد نفسي وأنا المسؤول عنه من الناحية الإيمانية وروحيا ونظرا لأني رئيس كنيسة المشرق مضطرا لأن أبعث نداء استغاثتي هذا لتسمعه جميع الكنائس المسيحية راجيا عونها ومد يد المساعدة للآشوريين الموجودين في العراق. إنهم ولأسباب مفتعلة ممزوجة بتهييج ديني أصبحوا هدفا لإضطهاد علني ورسمي تنفذه الحكومة نفسها. تبلور النشاط الحكومي العدواني للآشوريين بمذبحة مريعة جرت أحداثها خلال شهر آب المنصرم (١٩٣٣). هنا يؤسفني أن أصرح أن كل هذه الأحداث تحصل تحت أنظار أعظم إمبراطورية "مسيحية في العالم".

"الساعات التي تمر اليوم بها كنيستنا الآشورية هي من أظلم الساعات في تاريخها بسبب إقحام أبنائها في الأزمة العالمية وحربها الضروس دون رغبة منهم أو علمهم بها. نتيجة لذلك خسر الآشوريون أراضي موطنهم الأصلي في تركيا بينما صفتهم كمقاتلين مشاركين في الحرب فعليا قد

استغلت خلال الثمانية عشرة سنة الأخيرة من قبل السلطات البريطانية استغلالا بشعا. حصل كل هذا للآشوريين بناء على الآمال العريضة التي ملؤا بها النفوس على أنه في نهاية المطاف سترد بريطانيا الإستحقاق بمثل مقابل. بقي الآشوريون مخلصين لبريطانيا وفقا لعهود أعطتها للآشوريين بموجبها سيكون لهم وطن خاص بهم وبيت يلجأون إليه ويعيشون فيه مطورين حياتهم نحو رخاء عميم يتماشى مع المبادئ المسيحية وتعاليمها " .

إنّ العلاقات العراقية الإنكليزية مرّت بالكثير من التغيير وانتهت أخيرا بوثيقة المعاهدة التي عُقدت بين الدولتين في الثلاثين من حزيران عام ١٩٣٠ . نصوص المعاهدة أهملت بتعمد المصالح الآشورية وتركتهم مشردين دون وطن ودون ملجا ودون مصادر للحياة تساعدهم لمواصلة المسيرة. اختارت الحكومة البريطانية هذا الأسلوب من التعامل مع الآشوريين أي الدعم غير المشروط للإدارة العراقية أمام مجلس عصبة الأمم منذ العام ١٩٢٩ . الدعم البريطاني للعراقيين مكنهم من الدخول كأعضاء في تشكيلة عصبة الأمم عام ١٩٣٢ . بذلك هيأ البريطانيون للعراقيين الفرصة لتحقيق كل ما يريدونه ودون إتخاذ أي إجراء مماثل لحماية الآشوريين حسب الإتفاق السابق. لهذا تدخلنا في العام ١٩٣٠ لدى عصبة الأمم وبينا بعبارات واضحة وصريحة تخوّفنا من المستقبل الذي ينتظرنا (...).

(...) إننا ندين موقف عصبة الأمم على صمتها المطبق الذي لازمها تلبية لرغبات بريطانيا العظمى وتحديد نص القرار باشتراط توفير ضمانات مكتوبة على الورق توصي بحماية أبناء الأقليات في العراق والمحافظة على ممتلكاتهم (...) تخوفاتنا المؤسسة على الخبرة والوقائع الفعلية ثبتت صحتها بالمذابح الفظيعة التي نفذت في لواء الموصل على نطاق واسع وبالإضطهادات التي وقعت في مناطق أخرى من البلاد (...) جموع كثيرة من نساء ورجال وأطفال ذبحت كالشياه (...) جرائم وحشية إرتكبتها السلطات العراقية من مدنية وعسكرية (...) الطيارون البريطانيون لم يستطيعوا القيام إلاّ بأخذ الصور الجوية للأحداث، أما أولئك الذين كانوا في خدمة الدولة العراقية فلم يُسمح لهم الدخول إلى المناطق التي حصلت فيها تلك المذابح (...) بينما نعيش ظروفنا المأساوية هذه أبعث بندائي هذا إلى جميع الكنائس والمؤسسات المسيحية مستغيثا بهمتهم وطالبا استغلال تأثيرهم وكل وسيلة يملكونها لنشر هذه الوقائع الحقيقية وتعريفها للرأي العام لتحريكه لمساندة قضية شعبنا الآشوري أمام الحكومات المعنية وأمام مجلس عصبة الأمم " [٢٠٥] .

أخيرًا حصل البطريرك على الوثائق الضرورية للسفر في ١٩٣٣/٩/٢٨ . لكن مقابل هذه الموافقة أشترط عليه التعهد أمام الحاكم البريطاني في قبرص أن لا يقوم بأي نشاط علني عند وجوده في إنكلترا. هذا يعني أن حريته في العمل كانت مُقيدة وحسب المقولة الشهيرة " يستطيع أن يقول كل ما يريد ويفعل كل ما يشاء على أن يكون ذلك فقط في نيقوسيا " من هذا يتضح أن بريطانيا

العظمى رغبت في هذا الإجراء منع جعل القضية الآشورية قضية عامة تُطرح على بساط البحث والمناقشة والمساءلة الأمر الذي قد يؤدي إلى نقد سياسة الحكومة وإلهاب الرأي العام البريطاني المعادي للحكومة. في الرابع من تشرين الأول من نفس العام، قدمت سورما طلبا بينت فيه رغبتها الذهاب إلى بريطانيا. إنها كانت على تمام الثقة أنّ طلبها سيُرفض أن لم يكن هناك دعم خارجي، وهذا كان يعني إضمحلال القضية الآشورية ونهايتها الأبدية. الحكومة البريطانية عالجت الموضوع بأسلوب مغاير وأكثر تعنتا. رفضت الطلب رفضًا باتًا ودون إعطاء أي تفسير لذلك. أبلغت سورما برفض طلبها في ١٧/ ١٠/ ١٩٣٣ من خلال رسالة سلمتها لها دوائر وزارة المستعمرات[٢٠٦] ، والتي نصها الآتي:

سيدتي،

إشارة إلى المحادثة التي جرت بيننا مؤخرا حول موضوع إصدار الوثائق اللازمة لسفرك إلى إنكلترا، أراني مجبرًا لأن أبلغك أن ذلك غير ممكن في الوقت الحاضر وذلك وفقا لقرار صادر عن حكومة صاحبة الجلالة.

عن سكرتير (وزير) المستعمرات

الإنكليز لن يغامروا ولم يكونوا يريدون إيقاظ مشاعر وذكريات أحلام تأسيس وطن للآشوريين يتمتع بحكم ذاتي ترأسه ملكة قادمة من حكاري. هكذا حقيقة كانت تشوّش مسيرة سياستهم في الشرق الأوسط أولا والرأي العام العالمي ثانيا. إنهم لم يتنازلوا لاستماع شكوى سورما. في ٣٠/ ١٠/ ١٩٣٣ كتبت سورما رسالة إلى صديقتها الصدوقة مدام Moss ونصّها الآتي:

عزيزتي مدام موس، أشكرك على رسالتكِ التي استلمتها اليوم. الآنسة موس، ابنتكم تفضلت فكتبت لروينا وبذلك أطلعتُ على أخباركم. نعم إني قد طلبتُ وثائق سفر تمكنني الوصول إلى إنكلترا للإلتقاء بالأصدقاء هناك. طلبي رُفض. مع رسالتي هذه ستجدين الرسالة التي استلمتها جوابا على طلبي. الفضائع الوحشية التي حصلت على يد السلطات العراقية جرائم يندى لها الجبين لذا تخاف الخارجية البريطانية أن تحكي تفاصيلها حتى لأصدقائنا الطيبين من الإنكليز.

عندما كنتُ أقيم في الموصل، تمّ إعتقال مار شمعون في بغداد. الآن لدي الكثير من المعلومات عن اللعبة القذرة التي لعبت ضدنا. إني قد كتبت بخصوص هذا الموضوع إلى كل من الليدي دافيدسن والكانون هيزل. إني لم استلم الرسالة المرفقة إلاّ مؤخرا. حزنت كثيرا لوفاة صديقتي العزيزة السيدة "ماركو" مؤخرا. إنها كانت صديقة وفية وقريبة من نفسي. أين هو البروفسور ماركوليوث الآن؟ كم أرغب أن أكتب له. هل تقدرين مساعدتي في هذا الشأن وإعطائي المعلومات اللازمة؟ سبب عدم كتابتي لأصدقائي الإنكليز هو توقعي اللقاء بهم ورؤيتهم قريبا. إننا لم نسمع بعد قرار عصبة الأمم

بخصوص مستقبل الآشوريين. الصحف القبرصية تتكهن بمجيئهم إلى قبرص. إننا دوما نفكر بشعبنا في العراق وحالته المأساوية تقلقنا كثيرا. أرجوكِ إبلاغ تحياتي إلى الأم الموقرة رئيسة دير بيت عنيا والأخوات الموجودات معها، طالما سوف لن أستطيع أن أراهنّ في القريب العاجل. سأحاول الكتابة لهن قريبا.

تحياتي لكِ وللعزيزة الأنسة موس إبنتكم [٢٠٧].

رغم كل هذه المشاهد التي تكشف عن إمكانية تسخير الحريات لمجابهة العقل وجعلها أداة لخدمة مصالح الدولة، أتسع موضوع قضية الآشوريين وتعدى الحدود البريطانية وألهب يقظة الشعوب الأخرى. القضية الآشورية دخلت حتى المخادع الخاصة وأصبحت من أسرارها المهمة. ففرنسا مثلا أخذت تهتم بهذه القضية وتطوراتها الدقيقة التي كانت تنقلها دوائر المخابرات الفرنسية الموجودة ضمن هيأتها الدبلوماسية. تحركات البطريرك وأعماله لم تغب عن أعين المخبرين الفرنسيين ولا عن تعليقاتهم أو كتاباتهم. المقال التالي يخبرنا باهتمام الفرنسيين الكبير بهذه القضية.

" نزل البطريرك مار إيشاي شمعون، ضيفا على فندق الهلال في نيقوسيا (قبرص). برفقته كان والده وأخاه مع إثنين من الضباط الآشوريين كحراس له هما: " ياقو خوشابا من ألقوش و " ملك " هرمز من تخوما. تمّ نقل البطريرك ومرافقيه بطائرتين مائيتين إنكليزيتين يوم الرابع والعشرين من شهر آب ١٩٣٣ . جرت هذه الأحداث بناء على قرار النائب مارشال الجو وبعد موافقة البطريرك نفسه على مغادرة العراق وبشرط إفساح المجال له (للبطريرك) للذهاب إلى جنيف للترافع عن قضيته عندما يحين الوقت المناسب. في الحادي والثلاثين من نفس الشهر لحق البطريرك الليدي سورما و(١٣) من أبناء العائلة البطريركية. حاكم قبرص البريطاني أبرق الأسبوع الماضي إلى لندن مبلغا بوصول عائلة مار شمعون عن طريق "كيفا" وطالبا السماح لمار شمعون بالمغادرة إلى أوربا. الحاكم لم يستلم أيّ جواب. الحكومة البريطانية أخذت على عاتقها مسؤولية الإهتمام بعائلة البطريرك. الضابطان الآشوريان المرافقان كانا ملزمين بالعودة إلى العراق لإعطاء الشهادة عن وصول البطريرك إلى قبرص سالما وأنه يقيم في مكان أمين ويتمتع بالحرية التامة [٢٠٨].

منغصات مستمرة

نفي البطريرك وعائلته من العراق كان يعني تجريدهم من ثروتهم وممتلكاتهم. وصل الجميع خاليي الوفاض. مبدئيا/ أفتراضيًا كانت بريطانيا مسؤولة عن كل ما يلزم توفيره لإستمرار كل هؤلاء الأشخاص في حياة جيدة. في وضعية كهذه كان التصرف البريطاني غريبا وذا دور قذر في مجمل

العملية. لذا تحملت سورما منغصات كثيرة. احتجاجاتها على الإجراءات البريطانية تجاهها وتجاه أفراد العائلة لم تتوقف، ذلك دفاعا عن إسم العائلة وعلو شأنها وعزة شرفها رغم ضيق اليد الذي عانت منه طويلا في قبرص. كتبت سورما باستمرار لدائرة الخزينة البريطانية ووزارة المستعمرات والخارجية البريطانية والكنيسة الأنكليكانية وإلى بعض الأقرباء وعلى رأسهم ابن أخيها البطريرك. كانت الكتابة السلاح الوحيد الذي كانت تملكه في منفاها لمقاومة التناسي والإهمال المتعمد، رافضة الظلم المسلط على أبناء شعبها. إنها لم تتوانَ عن تذكير الحكومة البريطانية بالتزاماتها وبالخروقات الكثيرة التي إرتكبت. كل ذلك قالته سورما للمسؤولين البريطانيين من خلال المراسلات العديدة التي أرسلتها أثناء الفترة المحصورة بين شهر آب عام ١٩٣٣ وشهر أيار عام ١٩٣٦ . أولى المناسبات التي أثارت سورما وكتبت عنها بغضب شديد كانت حادثة تعليق صحيفة Eleftheria القبرصية، فنشرت خبرا في ١٥/١١/ ١٩٣٣ يفيد أن عائلة مار شمعون لا تسدد الديون المترتبة بذمتها. توضيحا للموضوع نقول: "كان هناك قائمة بمبلغ ١١٠ باونا لمواد اشترتها العائلة لتصريف شؤونها الحياتية لم يتم تسويتها حتى تاريخ نشر الخبر. كانت القائمة تعود لحساب أسواق كريستوفس. علمت سورما بالخبر بعد أيام من نشره، فجرحت كرامتها وتأثرت جدا. وهذا ما دفعها إلى الإستفسار من دائرة سكرتير (وزير) المستعمرات برسالة مؤرخة في ٢١/١١/ ١٩٣٣، فيما يلي نصها [٢٠٩]:

سيدي المحترم،

إشارة إلى مذكرة الحكومة القبرصية المنشورة في صحيفة "إلفثريا" بتاريخ ١٥/١١/١٩٣٣ التي لم أعلم بها إلا يوم أمس (ذلك لأنني لا أقرأ اليونانية)، أرجو التفضل بتوضيح الموضوع وبالسرعة الممكنة. كما أرجو الإجابة على السؤال الذي أحدده بـ: ما هو الدافع الذي أقنع الحكومة لنشر هكذا خبر في هذه الصحيفة؟ صحيح أنه تمّ سرقة كل ثروتنا وسلبت كل ممتلكاتنا وهذا أمر واقع، لكنني أرفض كل الرفض سرقة سمعتنا وتشويه إسم العائلة وشهرتها الكريمة التي عرفنا جميعا كيف نحافظ عليها في أحلك الظروف بيضاء ناصعة، وتفضلوا بقبول خالص التحية.

سورما د مار شمعن

لم تترك الهموم المرتبطة بقضايا التمويل اللازم لتسير أمور الإقامة الجبرية في قبرص مخيلة سورما. إنها كانت تلازمها ليل نهار. في أواسط العام ١٩٣٤ واجهت العائلة صعوبات مالية كبيرة أخذت تظهر على السطح. بعد أن خفض الراتب التقاعدي الشهري للعائلة البطريركية الذي كانت تستعمله لسد الحاجات اليومية (إيجار سكن،أجور مدارس الأطفال، شراء ملابس للأطفال، أغذية

أدوية...الخ) لكن هذه التخصيصات، توقف دفعها منذ شهر حزيران عام ١٩٣٤. هذا الإجراء أقلق سورما كثيرًا. يوم ٢٥/٧/١٩٣٤ وجدت نفسها مضطرة لإرسال البرقية التالية إلى وزير المستعمرات(٢١٠):

سيدي المحترم

سأكون جدا ممتنة إذا ما تفضلتَ وأعلمتني سبب تأخير دفع راتبنا التقاعدي المخصص لنا طوال المدة من حزيران الماضي. في حالة استمرار التأخير سيعني ذلك وضعنا في أزمة مالية خانقة. لذا أرجو التفضل بإبلاغي بتفاصيل الموضوع في الوقت المناسب وتقبلوا إحتراماتي الشخصية،

المخلصة سورما

إنحرجت دائرة وزير المستعمرات من شكوى سورما، لكنها لم تبق صامتة، فأجابت بتاريخ ٣٠/٧/١٩٣٤(٢١١):

سيدتي المحترمة،

إشارة لرسالتك بتاريخ ٢٥/٧/١٩٣٤،التي تسألين فيها إبلاغك عن سبب التأخير في دفع التخصيصات التقاعدية الواجبة الدفع من قبل الحكومة العراقية ل مار شمعون، نجيب هناك تحقيقات واستفسارات عن هذا الموضوع أرسلت إلى الدوائر المعنية لتوضيح رأيها حول ذلك.

(التوقيع) سكرتارية المستعمرات

أخيرا انتهى موضوع تأخير دفع المخصصات التقاعدية الشهرية للبطريرك وتعدى حدود قبرص، وذلك بسبب انتقال الملف إلى أيدي الكنيسة الأنكليكانية. في الرابع من آب عام ١٩٣٤ كتب كانون جون البرت دوكلاس، السكرتير العام للهيئة الرسمية للكنيسة الإنكليزية / دائرة العلاقات الخارجية الرسالة التالية إلى الخارجية البريطانية (٢١٢).

أبلغني مار شمعون، إن العراق قام بتخفيض تخصيصاته التقاعدية الشهرية بمقدار ستين باونا وذلك من أجل إطفاء تكاليف السفر الناجمة عن إنجاز إجراءات نفيه من العراق إلى قبرص الذي تمّ في العام الماضي وكذلك نفي والده والليدي سورما وباقي أعضاء عائلة البطريرك الآخرين والعسكريين المرافقين من قوات الليفي لتأمين حياته. جراء ذلك الحكومة القبرصية لا تدفع له سوى (١٨) باونا شهريًا. هذا يعني أنه يجب على الليدي سورما إطعام (٢٠) شخصًا وتغطية حاجاتهم كلها مدة شهر كامل. أقصد بذلك واجب تغطية كل المصاريف والنفقات التي تحتاجها

العائلة كأجور المدارس للأطفال وإيجار سكن وخدمات. وقد أبلغني أيضًا أن السبعين باونا المستحقة لوالده داوود قد علق دفعها (أوقف دفعها) لنفس الأسباب والتبريرات. فهل في الإمكان تقديم الإيضاحات التفصيلية لكل هذه الإجراءات؟

(التوقيع) المخلص J. A. Douglas

رغم هذه المداخلة لم يحصل أي تغيير ملموس خلال الأسابيع التالية. من ناحيتها قامت سورما في ١٩ من أيلول عام ١٩٣٤ بكتابة وإرسال الرسالة التالية إلى الخارجية البريطانية (٢١٣):

(١٨) شخصًا بينهم (١٤) امرأة وطفل، جلبوا من العراق وفق أوامركم، في حينه سألتُ النقيب "هولت" أن يترك عائلتنا في الهنيدي مع بقية الآشوريين. طلبي ذاك رُفض وأبلغت بواسطة السفارة البريطانية أن كل شيء سيُنظم من الناحية المالية وبشكل جيد لتوفير الإقامة المريحة في قبرص. أثناء الأشهر الثلاثة والنصف الأخيرة لم نحصل على أي مبلغ، وضعيتنا أصبحت صعبة ومحرجة، بسبب الحاجة الماسة إلى المال. إني لا أعتقد أن سياسة حكومة صاحبة الجلالة توافق على ترك وإهمال عدد من النساء وأطفال صغار أبرياء تحت رحمة الأقدار، في الوقت الذي يفترض فيه إنهم تحت حمايتها. من الناحية المالية هم اليوم في حالة مزرية تكاد تحاكي البؤس والفقر المدقع.

نرجو إعادة النظر في الموضوع بالسرعة الممكنة، وأن لا تلقوا بمسؤوليتكم أخيرًا على آخرين. إنني لا أشك أبدًا، أنه لم تتمّ إحاطتكم علما بكل هذه التفاصيل، من قبل البطريرك. في حالة رغبتكم التخلص من مسؤوليتكم تجاهنا، نرجو عطفكم عندئذ والطلب إلى الحكومة الفرنسية في سوريا الموافقة على استقبالنا وضمنا إلى باقي أبناء شعبنا المقيمين هناك.

(التوقيع) سورما آل مار شمعون

عندما هاجت أحاسيس الخيبة والفشل لدى سورما، نتيجة للتصرفات البريطانية، غدت إنسانة أكثر إلحاحًا، تساؤلاتها السابقة إنقلبت اتهامات. الحكومة البريطانية أصبحت وكأنها تريد التخلص من مسؤولياتها. التعهد الأدبي والقانوني الذي قطعته حكومة بريطانيا العظمى الممثلة بمسؤوليها الرسميين، للعائلة البطريركية أسقطته من حساباتها. فمثلا السفير البريطاني في بغداد السيد Golvie Forbes استدعى مار شمعون إلى السفارة وحقق معه في ١٩٣٣/٨/١٢، ثم أبلغه بالقرار الخاص بالطرد المؤقت من الأراضي العراقية، هذا مع العلم أن العائلة لم تطلب سوى البقاء والإقامة في إحدى القواعد العسكرية المحمية من قبل الآشوريين العسكريين من تنظيم

الليفي. لم تستجب السلطات البريطانية للطلب، عوضا عن ذلك تمّ إبعادهم فورا. الضمان الوحيد الذي أعطي لهم كان تحمل المسؤولية الكاملة للإهتمام بهم جميعا. هذا الضمان أكدته حكومة صاحبة الجلالة. أبلغت سورما كل هذه الحقائق إلى الخارجية البريطانية ثم قدمت إقتراحًا تحدد بتسفيرهم إلى سوريا نظرًا لأن الآمال في تحقيق تجمع آشوري في أراض شرقية كانت لا تزال تراود الأذهان. واقعيا تصرفات سورما أزعجت كثيرا حكومة بريطانيا العظمى، لذا أمرت بإجراء تحقيق مفصل عن الأحوال المعيشية للعائلة البطريركية [٢١٤]. في ٣/٩/١٩٣٤، أجابت السلطات البريطانية في نيقوسيا وبشكل سري وزير المستعمرات بالآتي:

إشارة إلى رسالتكم المرقمة ٢/١٩٣٣/٨٦٧ والمؤرخة في ٢/١١/١٩٣٤، يُشرفني أن أبلغكم أن عائلة مارشمعون المقيمة في نيقوسيا تعيش الآن في دار مؤجرة تقع قرب مدرسة " هالينيون، إيجارها الشهري يتراوح ما بين ٨ و ١٠ باونات. إعتبارًا من هذا الشهر سيتحدد الإيجار بـ (٩) باونات. تتكون العائلة من الليدي سورما وأخ وزوجته لهم خمسة أطفال وولد بعمر الشباب، واخ ثاني له زوجة ولهم أيضًا خمسة أطفال مع كل هؤلاء هناك كاهن اسمه اسحق.

تعيش اليوم هذه العائلة المتكونة من (١٧) شخصًا بواسطة بعض المال الذي إقتصدته. هذا الواقع تعيشه العائلة منذ إيقاف دفع التقاعد المخصص لها. المال الذي إقتصدته كاد أن ينفذ. لم يبق منه سوى ٦ باونات كمبلغ نقدي. إضافة لذلك، إنهم لا يملكون إي مصدر مالي آخر. كذلك أود أن أبلغكم أنّ الأطفال قد توقفوا عن الدراسة بسبب عدم توفر المال اللازم لدفع الأجور المترتبة. الحالة المعيشية التي تعيشها العائلة البطريركية تؤكد هشاشة وضعها المالي. إني لا أرى سبيلا لإستقامة الأوضاع في حياة هذه العائلة المسكينة واستمرارها في الحياة إلا بعون مالي يصلها سريعا. بالمناسبة أود أن أبين لكم أن التجار والباعة لا يريدون التعامل مع العائلة بالآجل.

اللوحة المأساوية التي رسمها المحقق لحالة الشمعونيين، كشفت الحالة الفعلية وأوضحت البؤس والشقاء اللذين تصارعهما العائلة. حقيقة كانت العائلة تعيش فقرًا مدقعا نظرًا للأزمة المالية التي تمرّ بها نتيجة لتخلي الحكومة البريطانية عن عودها والتزاماتها. الكنيسة الأنكليكانية لم تترك الأوضاع على هذه الحال بل تدخلت وقامت بدور السامري الصالح (المذكور في الإنجيل). فتحملت مسؤولية توفير النفقات الشهرية اللازمة فخصصت راتبا شهريا مقداره ٥٠ باونا. وفرت الكنيسة هذا المبلغ من صندوقها الخاص ومن المساعدات والهبات الواردة من المؤمنين. عند نهاية العام ١٩٣٤، تحسّن وضع العائلة البطريركية المالي وأصبح أكثر استقرارًا.

أثناء الفترة العصيبة التي واجهت الشمعونيين، عاشت سورما الامًا نفسية بقيت تصاحبها دوما فجعلتها إنسانة عصبية المزاج. عبر مصدر غير متوقع، أبلغت لندن في العاشر من تموز عام ١٩٣٥ عن طريق الخارجية البريطانية وعبر رسالة موجهة إلى Sir Cosomo Perkins الموظف التابع

لوزارة المستعمرات أن هناك نداء عاجل يخص الليدي سورما وجهته الرئيسة العامة لراهبات بيت عنيا التابعة للكنيسة الأنكليكانية، فيه تطلب التدخل السريع، كما يبلغ أيضًا أن الحالة الصحية لليدي سورما حالة قلقة لأصابتها بمرض خطير. بعد ذلك يوضح النداء أن هناك توقع أن الليدي سورما قد لا تشفى من مرضها شفاء تاما. إذا لم تتمّ معالجتها في إنكلترا. درست الدوائر المختصة ملف الطلب مقيّمة الإيجابيات والسلبيات على حد سواء. من خلال مناقشات مطولة ومراسلات متبادلة ومتشابكة تبين واضحا أن النظرة البريطانية الخاصة بالليدي سورما كانت حينئذ تعتمد رأي اعتبار سورما شخصية غير مرغوب بها ولا يجوز مصادقتها.

بناء على ذلك كتب أحد الموظفين في الخارجية البريطانية في ١٠/٧/١٩٣٥ إلى الدوائر المعنية بما يلي [٢١٥]:

" إنه من المؤكد أنه يجب عليكم التذكر أنّ هذا الموضوع ظهر تحت هيأت مختلفة وكثيرة وتمت معالجته. منذ أن أرسلت (نُفيت) سورما إلى قبرص في خريف عام ١٩٣٣، موقفنا بالنسبة للقضية كان وهو حتى الآن وبناء على الأضواء المسلطة على المشكلة الآشورية لا زال موقفا حساسا وقلقا. لا تحاولوا تبرير إعطاء موافقتكم أي المغامرة بذلك فتسمحوا لها بالمجيء إلى أوربا، ذلك لأن هذه الليدي هي سيدة ذات تصميم عنيد وأحيانًا إيحاءاتها شديدة."

رغم التحفظات الواردة، قرر السيد Sir Samuel Hoar وزير الدولة، السماح لليدي سورما القدوم إلى بريطانيا فورا. إتخذ الوزير هذا الإجراء على أساس أنّ مرور الأيام والشهور كان له فعله المؤثر، ولم يكن قد بقي هناك ما يخشى عاقبته سوى أمرا واحدا كان دوما يُقلق المسؤولين ذلك هو ضرورة العمل لمنع الليدي سورما الإلتقاء بأناس كثيرين. لذا أكد الوزير عند إعطاء موافقته على هذه الناحية كثيرا. أخيرا أرسلت البرقية التالية إلى الإدارة البريطانية في قبرص بتاريخ ١١/٧/١٩٣٥ [١١٦]:

" قرّر وزير الدولة في الخارجية البريطانية الإستجابة للطلب الذي قدمه أصدقاء الليدي سورما الموجودون في البلاد بالموافقة على مجيئها إلى بريطانيا فورا. إنها مريضة وبحاجة إلى معالجة فورية هنا في إنكلترا، أرجو إصدار الوثائق الضرورية التي تمكن من سفرها. في حالة وجود ضرورة لمرافقين، يرجى إصدار وثائق لهم أيضًا شرط أن لا يزيد العدد على الشخصين، هذا يتم للتمكين من المغادرة والوصول إلى هنا بالسرعة الممكنة وبالطريق المناسب. يجب الإبلاغ عن أسماء المرافقين وعددهم والمدة المطلوبة للإقامة. الإجراءات التالية اللازمة سيتم إنجازها هنا من قبل دوائر وزارة الداخلية. أرجو أن لا تتأخروا في إصدار وتسليم الوثائق المطلوبة. في الوقت ذاته، أؤكد أنه لا يجوز تحميل الدوائر الرسمية أيّ مصاريف أو تكاليف قد تترتب على هذا الموضوع".

بعد يومين من ورود البرقية، راجعت سورما برفقة إبن أخيها تيودور الدائرة البريطانية المختصة

في قبرص الواقعة قرب الساحة المركزية في وسط المدينة القديمة. بعد الدخول من باب "كيرينيا" مرورا بالشارع التجاري المؤدي رأسا إلى الدائرة، الشهير بالحركة والنشاط التجاري وبالعمود الأثري العالي الذي جلبه من "سلامين" التاريخية الفينيسيون. بعد إبلاغ سورما وابن أخيها بقرار الوزير البريطاني، غادرا الدائرة للتجول في رحاب نيقوسيا القديمة. فمرّا بأزقة ضيقة تصطف على جوانبها فضاءات ودكاكين لباعة، ثمّ وصلا إلى المكان المعروف بـ "بيدستن" وهو ما يشبه السوق المسقف بسبب الأغطية المفروشة في الأعلى. فيه بناء كان في الأصل كنيسة بيزنطية يعود تاريخها إلى القرن الميلادي السادس. في القرن الثاني عشر قام الملوك المعروفون بـ Lusignan بتطوير هذه الكنيسة وسمّوها على إسم القديس نيقولا. بعد أحتلال العثمانين للجزيرة جعلوا هذه الكنيسة سوقا. أدهش المبنى بعمارته الهجينية واستعماله الحالي سورما، فتساءلت كيف يمكن تحويل مزار ديني شهير كهذا إلى سوق تجاري؟ لكنها سرعان ما تذكرت حادثة دخول الرب يسوع إلى القدس قاصدًا الهيكل. عند وصوله هناك امتلأ بغيرة سماوية لما رآه من إعتداء سافر على حرمة بيت الله، فقام بطرد الباعة الموجودين في أرجاء مبنى الهيكل، وقلب موائدهم وكراسيهم. لاحظ تيودور اندهاش عمته سورما فسألها: "أمتي (عمتي) بماذا تفكرين؟ أجابت بربنا يسوع المسيح يا عزيزي تيودور. ألا ترى معي ضرورة أخذ هذا الواقع كمثال واضح وبأسلوبه الخاص أن بإمكان الأمور التجارية وأصحابها التجار في أي وقت كان أن يُشوّهوا الغايات النبيلة للرسالات الروحية فينزلونها من منزلتها السامية؟ إنّ جنون الإستهلاك والجاذبية الجشعة للبضائع التي غالبا ما تكون تافهة لا تستحق الإهتمام تنتهي بجعل قلب الإنسان جافًا وكأرض جدباء. الإنسان الشره بأطماعه للحصول على كل ما يعرض أمامه أو المندفع نحو تحقيق أعلى الأرباح قد تفوق في غالب الأحيان ومع شديد الأسف، مزاياه الإنسانية وطبيعته الأصلية. لقد واجه الإنسان ومنذ قديم الزمان هذه التجارب التي داعبت أحساساته ولا تزال تداعبها اليوم وستبقى هكذا غدا و إلى الأبد.

علق تيودور على كلام عمته رغبة في تأكيدها فقال: "لا تقلقي يا "أمتي"/ عمتي هناك بلا شك أمر يجب القيام به، ذلك هو تحويل هذه السوق من هنا إلى الجهة الأخرى من الطريق إذا ما أريد الحفاظ على الخرائب القليلة الباقية من هذه الكنيسة التي كانت صرحا فخما يوما ما".

أجابت سورما: "ليسمع صوتك الرب الإله ليسمعه ويستجيب لما تمنيته يا عزيزي الصغير". سوق نيقوسيا لم تكن تعوزه المغريات ذات الجاذبية لفضولية الإنسان. في طريق العودة مرّا بمحاذاة جامع "سليمية" ذي العمارة غير الإعتيادية لما امتزج فيه من فنون بناء وتعمير. في الأصل كان هذا الجامع كاتدرائية تحمل إسم "سانت صوفيا". تمّ تشييدها في القرن الثالث عشر من قبل معماريين فرنسيين جاء بهم الصليبيون. في العام ١٥٧٠، حوّلها العثمانيون إلى جامع / مسجد بعد إضافة منارتين تشاهدان من بعيد إلى المبنى الأصلي كما أضافوا أيضًا ينبوع ماء للوضوء. أما الداخل فقد

تمّ تغيره بالكامل ووفقا للحاجة. عبرت سورما وابن أخيها بعد ذلك أمام محلة الأتراك المسماة "تحت القلعة" ثم وصلا إلى الباب الذي يعدّ الأجمل والأكثر تراثا تاريخيا من البابين الآخرين. بعد المرور بشارع "ليوفوروس- سلامينوس"، وصل الإثنان إلى محطة ليوفوروس. الضابط المسؤول في الدائرة البريطانية في قبرص، أبلغ وزير الدولة (٢١٧) بعد مقابلته الليدي سورما بما يلي: "لقد زارت السيدة المعنية في برقيتكم دائرتنا في مقر الحكومة. حاليا لا ترغب السفر إلى بريطانيا العظمى، لأنها تشعر أنّ صحتها قد تحسّنت وليس لها مشاكل مع مرضها سوى حمى تنتابها."

سَرّت دوائر الخارجية البريطانية بهذه الأخبار واتصلت بالرئيسة العامة لراهبات بيت عنيا بتاريخ ١٩٣٥/٧/٢٠ فأبلغتها أنّه تمّ الإستجابة لندائها من قبل السيد Hoar والدوائر المختصة مستعدة لإصدار الوثائق الضرورية للسفر، غير أنّ الليدي سورما، ووفقا للمعلومات المتوفرة التي نقلتها دوائر قبرص غير راغبة في السفر حاليا رغم أنها لا تزال تشكو من بعض الحمى. حسب تصريحها، صحتها الآن أحسن من السابق. عمليا، أجلت سورما سفرها إلى بريطانيا لأنها ظنت أن الوقت غير مناسب لذلك."

عندما كان مار شمعون في جنيف لم يكن يهتم إلا بتوطين شعبه الآشوري ووضع مخطط نهائي لذلك التوطين متخليا عن فكرة العودة إلى الموطن الأصلي في الحكاري. التوطين أصبح المطلب الآني والهدف الرئيس. للوصول بالقضية إلى حلّ مرضي. إنتظرت سورما النتيجة النهائية بفارغ الصبر رغم شعورها العميق بالحزن بسبب إبعادها عن ميدان المنازلة. عوضًا عن ذلك كانت تسلية سورما الكبرى تعتمد وجود أخويها وزوجتيهما مع أولادهم قربها. تجمعهم حولها كان يسرّها لأن هدفها كان الإهتمام بالجميع وجعلهم مسرورين وراضين بالحياة. لم يكن يغيب عن بالها موضوع مستقبلهم لحظة واحدة. إهتمت بهم وبتربيتهم القومية وهي في هذا المنفى البعيد عن الأوطان. شجعتهم بكل طاقتها ليحافظوا على الجذور الأصيلة في أعماق نفوسهم وعلى الهوية القومية مطبوعة على لوح قلوبهم المتبلورة بتقاليد ثقافية ولغوية ودينية خاصة بالشعب الآشوري. كل هذه الاهتمامات كانت محل الرهان الحقيقي. بقيت سورما تعمل بجدّ ونشاط وإلى جانبها زوجتا أخويها استير وإيلشوا اللتان ساعدتاها كثيرًا نظرا لأن الجميع كانوا واثقين أن في هذا الرهان يتركز على التحدي النهائي للآشوريين.

مار شمعون في جنيف

في هذه الظروف التعسة تواجد البطريرك مار شمعون إيشاي في جنيف. أقام في المبنى رقم ٧ الواقع في شارع "البوو مونت". بمساعدة الجالية الدولية، حاول البحث عن الفرص المتوفرة لتوطين شعبه ومد يد العون للآشوريين الباقين في العراق. إنه قد حصل على الموافقة التي تسمح له مغادرة

الأراضي القبرصية. في الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٣٣ توجه مباشرة إلى جنيف ووصلها في اليوم الرابع من تشرين الأول من نفس العام. فور الوصول إنكبّ على البحث والعمل ومعه السيد يوسف مالك الذي بقي يعمل مع البطريرك كسكرتير حتى شهر أيلول عام ١٩٣٤ . كان يوسف مالك قد نفي هو أيضًا إلى قبرص استجابة لضغوطات الحكومة العراقية. رافق مالك مار إيشاي شمعون في سفرته إلى سويسرا. عملا الإثنان معا ساعات طويلة. أحيانًا كانت تمتد ساعات عملهما إلى ١٨ ساعة يوميا. كانا يعدّان الملفات اللآزمة للمرافعة. في ذلك الحين أنضم إليهما الراعي "ويكرام" لكن بصفة مستشار شخصي فقط. رئيس أساقفة كنتربري تعهد بتغطية أجور إثنين من المحامين السويسريين هما: "بورل" و "لاشنال". إلى هذين المحاميين عهد ملف القضية الآشورية ليترافعا ويدافعا عنها أمام مجلس عصبة الأمم. في السادس عشر من آب عام ١٩٣٣ قدم البطريرك عريضة إضافية لعصبة الأمم. لكن، ونظرا لوفاة الملك فيصل الفجائية في الثامن من أيلول عام ١٩٣٣، أتيحت الفرصة للحكومة العراقية لطلب تأجيل إنعقاد الجلسة المقررة. بذلك

البطريرك مار إيشي شمعون الثامن عشر جاثليق كنيسة المشرق ١٩٢٠-١٩٧٥

تأجلت المناقشات بخصوص المذابح الوحشية. دراسة القضية الآشورية ومناقشة الحلول المتوفرة لها تأجلت هي أيضا. الموعد الجديد لعقد الجلسة كان الثالث عشر من تشرين الأول من نفس العام. حضر جلسة المناقشات كل أعضاء الوفود. الظرف الطارئ لتأجيل جلسة أيلول أدّى إلى استبعاد الكثير من المتعلقات المرتبطة بالقضية ودقائقها. في ٢٤/ ١٠/ ١٩٣٣ قدم مار إيشاي شمعون لمجلس عصبة الأمم (١٤) اقتراحا كلها تصلح لتنفيذ إجراءات نقل الآشوريين إلى خارج العراق وبنجاح تام. غداة اليوم التالي أوضح في قائمة منفصلة أسماء البلدان والدول القادرة على استقبال الآشوريين. في القائمة جاء ذكر: سوريا والبرازيل والأرجنتين وقبرص وفلسطين وكندا. ما يعني قبرص وفلسطين كان هناك تحفظ معيّن وشك بسبب الظروف الإقتصادية والسياسية المخيمة على هذين

البلدين. عدا ذلك، تركز الحديث على إمكانية تنفيذ هجرة جماعية إلى الولايات المتحدة الإميريكية، كما جاء ذكر أرمينيا وحكاري في القائمة. التقى مار شمعون أثناء وجوده في جنيف بالعديد من الشخصيات المهمة والمؤثرة ودخل في مسَاومات مع تركيا خلال شهر حزيران ١٩٣٤ . عن هذا الموضوع نقرأ ضمن وثائق الأرشيف العسكري الفرنسي ما يلي: "التقى اليوم (١٩٣٤/٦/٦) قداسة البطريرك مار إيشاي شمعون، في جنيف جمال بيك الوزير التركي. تمّ اللقاء في المبنى رقم ٤٦ الواقع في شارع "كيه ديزو فيف" في الساعة الحادية عشرة والنصف. حضر اللقاء القنصل التركي في جنيف كما حضره أيضًا السيد يوسف مالك الذي قام بمهام المترجم [٢١٨]. موضوع المناقشة كان: البحث عن موطن جديد للآشوريين، بقيت المجموعة الدولية المجتمعة تحت مظلة عصبة الأمم تعمل بجد ونشاط مدة أشهر عديدة، فأرسلت النداءات وقامت بالإتصالات الضرورية مع كل الجهات المعنية. نتيجة لذلك وصلت بعض الإيجابات المشجعة التي تبعث الآمال. من الدول التي استجابت للنداءات دولة البرازيل وكان ذلك في شهر كانون الثاني عام ١٩٣٤ . لكن العرض البرازيلي أصطدم ببعض المعوّقات فصرف النظر عنه. في شهر حزيران عام ١٩٣٤ . في شهر أيلول من نفس العام قدمت بريطانيا عرضا لتوطين الآشوريين في غيانا Guyane التابعة للإنكليز (بريطانيا)، وفرنسا عرضا آخر لتوطينهم في النيجر الواقعة في أفريقيا الغربية. العرضان رُفضا بسبب صعوبة ظروف الحياة والإختلافات الكبيرة بين عادات الآشوريين وعادات أهل البلد الأصليين. رغم النتائج غير الموفقة لم يستسلم المسؤولون الدوليون أو ينحنوا أمام المعوّقات. المخابرات الفرنسية النشطة يومذاك، نشرت أخبارا تفيد أن هناك ضغوط تمارس على مار شمعون لإقناعه بقبول مبدأ هجرة الآشوريين الجماعية إلى قبرص. ثمّ أضافت بعد نشر تلك الأنباء، "يظهر أن الموضوع لا يتعلق بقبول العرض أو رفضه، بل إنما هناك تخوفات من حصول أزمات بين اليونانيين والآشوريين قد تنفجر بسبب قلة المياه الضرورية في الحياة والزراعة. نتيجة لذلك، تركز الرأي على اختيار سوريا لتكون البلد المناسب لتوطين الآشوريين [٢١٩]. حسب الرؤى آنذاك، كان البطريرك يرغب في الهجرة إلى سوريا لكن الظروف لم تكن مؤاتية. إهتم البطريرك جديا بالآشوريين المقيمين في العراق. وغالبا ما حذّر عصبة الأمم من الأخطار المحيطة بهم هناك. إنه قد بين تلك المخاطر بوضوح وتفصيل ولمرات عديدة. إنه قد ذكر بالحالة المزرية والبؤس المدقع الذي يعيشه الآشوريون في مخيم الموصل، خاصة بعد مذابح آب عام ١٩٣٣، كما تحدث أيضًا عن الضغط الشديد الذي تمارسه السلطات العراقية لإجبارهم على العودة للعيش في القرى، هذا الواقع كان يُنغصّ حياة الجماهير الآشورية دوما.

كان عام ١٩٣٤، وفق منظور البطريرك عام تجارب واختبارات وإخفاقات متتالية لكل الخطط الموضوعة، إختتمها بخيبة أمله التامة نتيجة لتعقيدات وتقييدات فرضت عليه شخصيا. فجوابا على

طلب قدمه للحصول على فيزا تمكنه من دخول إنكلترا استلم رفضا باتا لذلك. حسب الأرشيف الفرنسي العسكري نقرأ في بعض الوثائق التالي: "بينما كان البطريرك النسطوري، مار شمعون يقيم في جنيف، قدم طلبا لمنحه سمة تسمح له الذهاب إلى لندن. جوابا على الطلب أبلغ القنصل البريطاني بضرورة توقيع تعهد لأن لا يقوم بأي نشاط عند وجوده في إنكلترا أو محاولة التأثير على الرأي العام البريطاني، كما أبلغه أيضًا أن السمة الممنوحة ستكون صالحة لمرة واحدة فقط. وفي حالة بقائه مقيما في لندن بعد إنتهاء المدة المحددة، سيؤخذ إلى قبرص. مقابل التعنت البريطاني اضطر مار إيشاي شمعون على محاولة الحصول على جواز سفر من نوعية Nansen وكان ذلك في أواسط شهر حزيران عام ١٩٣٤ . قرّر البطريرك إتباع هذا الإجراء، ظنا منه أنه إذا ما توفق وحصل على الجواز المطلوب قبل نهاية شهر حزيران، سيتمكن من الذهاب إلى إنكلترا بمرونة أكبر، وإلاّ سيضطر على البقاء والإقامة في جنيف[٢٢٠]".

مرارة الغربة والبعد عن الأحبة أبناء العائلة البطريركية أثرا في مار إيشاي شمعون، وفجرا في داخله الأحزان والغم، أيامه غدت سوداء مليئة بالكآبة. ما زاد الطين بله، الأخبار المزعجة عن الخصام القائم بين أبناء الشعب الواحد، نجم هذا الخصام بسبب الإتجاهات الجديدة التي مزّقت جماهير الكلدو آشوريين منها الأفكار السياسية كالبلشفية. حسب كتابات "ستافورد" نقرأ أن البطريرك واجه صعوبات جمة أقلقته ونالت من كيانه، فأصيب بانهيار عصبي كاد أن يقضي عليه لولا الصلوات والتضرعات التي رفعتها عمته نحو السماء طالبة من الله العون والدعم. نعم أنّ دعاء العمة وصلواتها ساعدت البطريرك كثيرا ومكنته من التغلب على الصعوبات والمشاكل التي كان يوجهها. في حينه (أي الفترة التي كانت فيها سورما الممثلة الرسمية للآشوريين - زمن البطريرك مار بولس شمعون المتوفى في العراق) واجهت العمة سورما ظروفا دولية مشابهة، خاصة منها الأحداث الدبلوماسية التي غالبا ما كانت تبعث الشك والقلق. كل تلك العراقيل لم تنل من عزيمة سورما أو ترخي نشاطها. هكذا أيضًا كانت الحال مع البطريرك. فواصل العمل بصبر وجلد متبعا خطى عمته. إنه قرر عدم الرجوع إلى قبرص، لأن ذلك كان بالنسبة للبطريرك عودة إلى سجن كبير، لا يمكنه من تقديم الدفع الضروري للقضية الآشورية إلى الأمام وتحقيق حلّ مشرّف لها، هذا كان ما لا يريده مار إيشاي ويعتبره حياة لا تطاق.

آمال للتوطين في سهل الغاب السوري

بقيت سورما تتحمل الهموم والمصائب بكل صبر وأناة، بينما كانت الإجراءات الدولية الرسمية تتقدم في مسارها الإعتيادي. في نيسان من عام ١٩٣٥، طلب مجلس عصبة الأمم من الحكومة الفرنسية الموافقة على استقبال الكلدو آشوريين على الأراضي السورية، بناء على وجود مشروع

خطة يهدف توطين الآشوريين في سهل الغاب السوري. تعرض هذا المشروع لمساومات علنية. يقع هذا السهل على بعد ٤٠ كم شمال غربي حماة. أجزاء منه هي مستنقعات صرفت مياهها بالسحب المباشر. تحيط السهل جبال شديدة الانحدارات ذات غطاء نباتي كثيف، تعرف هذه الجبال بـ "جبال النصيرية". كانت المنطقة بحاجة إلى تطوير، أي بذل جهود كبيرة وتوفيرمبالغ ضخمة. الجهات المعنية قامت بدراسة الموضوع تفصيليا وحددت المبالغ اللازمة لتحقيق التطوير بدقة. جزء كبير من المبالغ اللازمة تمّ رصدها للمباشرة بالإنفاق.

ما بقي معلقا كانت المبالغ التكميلية لإنهاء المشروع كاملا. لذا صدر نداء موجه إلى المؤسسات الخاصة وإلى الكنائس المسيحية في الغرب والتي كانت تدعم كل تضامن إنساني وتحفظ للجالية الآشورية اهتماما مميزا. عند نهاية آب عام ١٩٣٥ بدأت أعمال التنفيذ في المنخفض الواقع شمالي غربي سوريا. النزوح المؤقت لآشوريي العراق بدأ باتجاه منطقة الخابور السورية الواقعة شمالي شرقي البلاد. بلغ عدد النازحين عند نهاية تشرين الثاني عام ١٩٣٥ حوالي خمسة آلاف نسمة. الأوساط القومية العراقية إبتهجت وهللت لهذا النزوح وعملت ليبلغ عدد النازحين عشرين ألف نازح في نهاية صيف عام ١٩٣٦، الدول التي تعهدت بالمشاركة في تغطية كلفة المشروع دفعت حصتها فورا. المبالغ المتجمعة بلغت ٧٣ مليون فرنك فرنسي بينما المبلغ الكلي المقدر كان ٨٦ مليون فرنك فرنسي. الكنيسة الأنكليكانية تعهدت بدفع مبلغ ٥٠ ألف باونا لتغطية الجزء الباقي للتحصيل والمقدر بـ ١٨٠ ألف باونا... في شهر آذار عام ١٩٣٦، أعلن عن تأسيس تنظيم يحمل إسم "النداء القومي لتوطين الآشوريين Assyrian Setllement Natiional Appeal ترأس التنظيم اللورد Lang، عيّن السير Amery سكرتيرا للتنظيم. في الشهر التالي نظم لقاء عام في لندن للتضامن مع الآشوريين. خلال هذا اللقاء أعلنت الدعوة لجمع المبالغ اللازمة وتأسيس صندوق خاص بالتنظيم. شارك في اللقاء اللورد رئيس بلدية لندن ورئيس أساقفة كنتربري والسير "صاموئيل هوور" والسير أمري".

لما وصل البطريرك مار إيشاي شمعون إلى لندن في تموز عام ١٩٣٥ ظهر رجلا نشيطا وبصحة جيدة. أثناء اللقاء تمّ تشكيل تنظيم جديد إضافي يكون مساعدا للتنظيم الأول. كان إسم التنظيم الجديد "أصدقاء الآشوريين" Friends of the Assyrians عقد أول اجتماع للتنظيم الأخير في ١٩٣٥/١٢/٥. شارك في هذا الإجتماع: البطريرك نفسه و Canon Douglas وCanon Alan Don والكاهن الخاص بخدمة رئيس الأساقفة Canon Heazell والدكتور ويكرام والسيد Riley والسير Moss ووالدته والسير Gracey المعروف بشهرته "النقيب كريسي". الشخص المذكور في الآخر لم يكن شخصًا نكرة أو غير معروف لدى الآشوريين. إنه نفس الشخص الذي وعد الآشوريين وتعهد باسم حكومته بريطانيا العظمى لمنح الآشوريين "حكما ذاتيا" لما كان القتال على أشده في

جبهة أورميا خلال شهر كانون الأول من عام ١٩١٧ . حاليا كان " النقيب كريسي " يدير صندوق Save the Children Fond وهو صندوق يعنى " بالطفولة " ويساعدها. الوضع حينذاك حتم ضرورة تأسيس لجنة ثانوية تهتم بالمرأة وشؤونها وخاصة تلك المتعلقة بنشاطات النسوة المهتمات بالقضايا المستعجلة والمرتبطة بالكنيسة ومدارسها. في ٢٨/٢/١٩٣٦ قامت السيدة " موس " بزيارة لدير راهبات بيت عنيا الواقع في ساحة لويد. أثناء الزيارة قامت هذه السيدة بشرح الآفاق المستقبلية التي تهدف إليها هذه اللجنة القانونية. ومؤكدة زيارة سورما المتوقعة قريبا التي سبق تأجيلها لأن سورما آنئذ ظنت أن وقت زيارتها لبريطانيا لم يكن ملائما. هنا لا بد لأن نذكر أن هذا اللوبي البريطاني دعم بجدية مشروع توطين الآشوريين في الغاب السوري.

٢ - سورما في بريطانيا العظمى

في دير راهبات بيت عنيا

في اليوم الحادي والعشرين من شهر أيار عام ١٩٣٦، توقف القطار القادم من الجنوب الشرقي عند الرصيف رقم (١١) بعد أن سُمع صرير دواليبه الحديدية عاليا بسبب الضغط الشديد على الكوابح. حصل ذلك في محطة فيكتوريا الشهيرة ذات البناء الشامخ الواقعة قرب القصر الملكي بيكنكهام بالاس. نزلت سورما وحيدة من العربة التي كانت راكبة فيها. معها كان هناك بعض الأمتعة البسيطة. ها قد مرّت فترة تقارب العشرين عامًا منذ أن غادرت سورما إنكلترا. كانت سورما مسرورة من وصلها أرض بريطانيا مرة ثانية رغم أنها لم تعد " أميرة حكاري " الجميلة وكما كان حالها عندما قدمت لتمثل شعبها أمام عظماء العالم حينذاك. جاءت سورما إلى بريطانيا مرتين سابقتين كانت الأولى عام ١٩٢٠ والثانية عام ١٩٣٦ . لما تعدّت الرصيف ودخلت القاعة الرئيسية، بدت سيدة جذابة، محياها مشرق يجذب الأنظار. كانت تضع على رأسها قبعة من القش، تتطاير من تحتها خصل شعرها البيضاء السميكة. لباسها كان عبارة عن ثوب من نسيج سميك مطبوع لبسته كبديل لثيابها التقليدية. كانت سورما وحيدة في خضم الجموع التي ملأت جوانب القاعة المركزية للمحطة. سارت وبين أصابع إحدى يديها المسبحة التقليدية التي كانت تحملها عادة كذكرى لقوجانس البعيدة. وجهها ونظراتها لم تكن تظهر التعب والعناء اللذين تعاني منهما خاصة بسبب المناخ المزعج للغاية. على العكس من ذلك، كان منظرها يوحي أنها مسرورة ووضعها مريح.

كان في إنتظار " سورما " راهبتان هما: الأخت Dorothée والاخت Zoé إنهما لم تخطئانها حالما وقعت أنظارهما عليها. ارتبطت النسوة الثلاث بمحبة صميمية ومنذ اللحظات الأولى من اللقاء. بعد التحية والتعارف، أخذن الطريق إلى ساحة لويد حيث يقع الدير، ذهبن بالسيارة التي

كانت الراهبتان قد استعارتاها من السيد "موس". في السيارة لاحظت سورما أن اللندنيين قد أصبحوا يمتلكون السيارات الخاصة أكثر من السابق. استنتجت ذلك من شدة الازدحام. وقعت أنظار سورما على صناديق غريبة الشكل حمراء اللون مثبتة في وسط ساحة صغيرة تكثر فيها الحركة. الأخت Zoé لاحظت أنشغال نظرات سورما بهذا المنظر فأخذت تشرح ما تراه سورما فقالت: الصناديق الحمراء التي تشاهدينها هي مقصورات التلفون التي خطط لها السير Giles Scott عددها يزداد من يوم لأخر. بدأوا بنصبها منذ بداية العام. اسمها الشعبي أكشاك التلفون، إنها تضفي على منظر لندن جمالية خاصة وتزيد من بهائها وجاذبيتها. بعد الوصل إلى الدير، التقت سورما ببقية راهبات الدير وسلمت عليهن بقبلات حارة متذكرة أنها منفية إلى جزيرة قبرص النائية منذ شهر آب ١٩٣٣. بعد ذلك التقت إبن أخيها البطريرك مار إيشاي شمعون وبقية الأصدقاء الذين كانوا في إنتظار وصولها. اللقاء الودي والحار الذي شعرت به سورما في دير بيت عنيا انسياها همومها ودهنا إحساساتها ببلسم منعش كما رفع من معنوياتها كثيرا. ها هي ذي مرة أخرى مع صديقاتها الراهبات، تشاركهن بيت سكناهن في ساحة لويد. كان هذا الدير بالنسبة لسورما ميناء السلام والمحبة الحقيقية النزيهة. بحذر شديد خصصت الراهبات لسورما مركعا خاص بها (المركع: كرسي خفيف ذو مسند أمامي للذراعين يستعمله المصلون في الكنائس-المترجم). في المصلى/ في معبد الدير الصغير. منذ زمن بعيد، كانت الصلاة تجمع هذه النسوة روحيا وبغض النظر عن المسافات الشاسعة التي بينهن والحدود التي تمنع لقائهن. في مساء يوم الوصول نفسه وبعد الصلاة القانونية الإعتيادية اجتمعت الراهبات حول سورما ودارت أحاديث عن الذكريات القديمة، فتذكرن الراهبات المتوفيات وخاصة منهن الأم Bessie رحمها الله واسكنها فسيح جناته. عندما كان الدور لسورما بالحديث قالت: "بصوت هادئ ورزين سأبقى أتذكر مدى حياتي ذلك اليوم الذي أستلمتُ فيه البطاقة التي أرسلتها الأخت Ellen Joanne بها نعت الأم "بيسّي". حدث ذلك يوم الثالث من كانون الثاني عام ١٩٢٩، وفاتها أحزنتني كثيرا وتركت في أعماق قلبي جرحا لا يندمل. كذلك وفاة الأخوات الأخريات اللواتي تعرفت عليهن في أورميا عندما كنت لا أزال شابة في مقتبل العمر. إنهنّ قد ساعدنني لتحمل الأحزان التي أصابتني جراء وفاة والدي. إنهنّ كنّ نموذجا لي وقدوة في الصبر والشجاعة والمواظبة على الصلاة.

بقيت راهبات بيت عنيا محتفظات في أرشيف الدير بالرد الذي أرسلته سورما من الموصل جوابا على النعي والمؤرخ في ١٩٢٩/٣/٢٠، إنهن قد احتفظن بالرد بكل عناية واهتمام [٢٢١]، في أدناه نصّ الرد:

عزيزتي الأخت آيلين جوانا،

رسالتك لشهر كانون الثاني وصلتني متأخرة. إنني متألمة وحزينة جدا لأخباري بوفاة أمنا

العزيزة والمحبوبة " ببيسي " . كانت حياتها تتميز بغيرة منقطعة النظير لعملها. تصرفاتها المستقيمة وحنانها الوالدي كان يغمر قلوب الجميع وحتى أولئك الذين لم يكونوا منتمين إلى رهبنتها. أنا شخصيا سوف لن أنسى لطفها وعطفها الوالدي علي مدى حياتي. إنها كانت أما حقيقية لي. إنها ساعدتني وأعانتني دوما لكن مساعدتها الفورية وخاصة عند حصول الحاجات الملحة أمر لا يمكنني أن أنساه البتة، أرجوك أختي العزيزة وصديقتي الوفية أن تنقلي تعازيّ القلبية وتحياتي الأخوية إلى باقي الأخوات. إني أشاركهن الشعور بعظم الخسارة التي أصابتهن جراء وفاة هذه الإنسانة الرائعة ورغم أننا جميعا على علم يقين أن هذه الخسارة ليست إلا خسارة وقتية. سأكون جدا ممتنة إذا ما تفضلتي بإعلامي باسم الأم الرئيسة العامة القادمة لديركن. أرجو أن تكنّ متأكدات أنني سأبقى دومًا أحمل أجمل الذكريات لكنّ ولديركنّ المقدس. تعازيّ القلبية لكنّ جميعا وليشرق النور الإلهي البهي على المرحومة العزيزة أبدا ودوما، آمين.

صديقتكنّ المخلصة سورما

خلال الايام التالية، قامت سورما بالإتصال بشخصيات عديدة، وتمكنت على أثر ذلك أن تعقد مع البعض منها صداقات عميقة ومؤسسة، ومع البعض الآخر حلقات مؤيدة للقضية الآشورية. في ما يخص الناحية السياسية، أظهرت إنتخابات مجلس العموم، التي جرت في تشرين الثاني عام ١٩٣٥، أنها كانت في صالح المحافظين الذين حصلوا على أغلبية المقاعد. هذا يعني أن تحركات سورما كانت في أوساط قريبة من الكنيسة الأنكليكانية، التي كانت عصب المساعدة المؤثر والداعم للقضية الآشورية. الأخوات الراهبات كنّ يراقبن سورما بكل دقة [٢٢٢]. ما يتعلق بزيارة سورما لقصر " لامبيث " /مقر رئاسة أسقفية كنتربري/، إنها قد تمت في اليوم السادس والعشرين من شهر أيار عام ١٩٣٦ . كانت الأخت جوآنا برفقة سورما خلال هذه الزيارة. في اللقاء مع رئيس الأساقفة Cosmo Gordon Lang تأكد الدعم الكامل للقضية وعلاقته التضمينية الشخصية والدليل هو المساعدة غير المشروطة للتنظيم الذي يحمل إسم " النداء القومي لتوطين الآشوريين " . خلال الزيارة أخبر رئيس الأساقفة سورما أن الملفات الخاصة بالمعلومات المتعلقة بهذا الصندوق كانت تحت الطبع. عند مغادرة سورما مبنى رئاسة الأسقفية تذكرت وبحزن عميق وحنين مؤلم رئيس الأساقفة الأسبق. اليوم صاحب الكلمة في قصر لآمبيث هو بالتأكيد وحسبما يظهر شخصين ذي تأثير قوي ومهتم جدا بالقضية الآشورية. لكن رغم ذلك فان تصرفاته حسب إحساس سورما كانت دون المستوى الذي كانت عليه أيام اللورد دافيدسن وزوجته الليدي دافيدسن الرائعة. المكان فقد الإحساس القلبي الشفاف ودفئ العواطف الإنسانية رغم بقاء فخامة المبنى وهيبته.

الأحداث الخاصة بالعائلة المالكة أشغلت الشعب وأصبحت حديث الساعة، كانت المناقشات

تجري حولها في المحلات العامة أو في البيوت على حد سواء، كل الطبقات الأجتماعية كانت تشارك في الحديث والمناقشات. واقعيا في العشرين من كانون ثاني عام ١٩٣٦، توفي الملك جورج الخامس. إبنه البكر "أدوارد" الثامن كان المرشح لاعتلاء العرش. هذا الحدث الكبير مكن سورما في التاسع والعشرين من أيار عام ١٩٣٦ حضور حفلة التتويج وجلوس الملك الجديد على العرش بصحبة الأم المحترمة "بارتليت" الرئيسة العامة لدير راهبات بيت عنيا. هذا الحدث الخطير في حياة العائلة المالكة، لم يمر بشكل خفي أو دون إهتمام. حتى في دير الراهبات، حظي هذا الحدث باهتمام بالغ بسبب الفضولية المستقرة في أعماق النفس البشرية. تحديات كثيرة وكبيرة كانت تنتظر إدوارد الثامن، منها وعلى سبيل المثال: كان إدورد يحمل لقب أمير الغال Galles وكان يحظى بإعجاب، كل بريطانيا العظمى والعالم أجمع وكذلك علية القوم والجماهير الشعبية على حد سواء. قبل إعتلائه العرش تلبدت سماء حياته بغيوم داكنة بسبب علاقات حب مع سيدات متزوجات. هذا الواقع أذكي إحساس الأقرباء في العائلة المالكة فبدأت الأضطرابات ضده خاصة عندما إلتقى الأمير بالآنسة Wallis Warfield Simpson المتزوجة للمرة الثانية بعد طلاقها الأول. انتشر أمر الفضيحة. كان إدورد قاب قوسين أو أدنى من العرش (٢٢٣)، ورغب الوصول إليه وبصحبته صديقته. تقاليد العرش البريطاني لم تكن تسمح له بذلك. الموضوع حظي باهتمام الكثيرين وأضرم نار حب الإستطلاع في قلوب جميع البريطانيين. أخيرا اضطر إدوارد التنازل عن العرش و إفساح المجال للأخ الذي يليه أن يرتقي العرش باسم جورج السادس، والد الملكة ابليزابيث الثانية. توالي الأحداث لم تتح الفرصة لسورما التخلص من إبداء رأيها في مجريات الأمور، عندما سألتها مرة إحدى الصحف بينما كانت في زيارة لبعض الأصدقاء.

جولة سورما لزيارة بعض الأصدقاء

في شهر حزيران من عام ١٩٣٦، قامت سورما بتنظيم جولة بين المعارف والأصدقاء لتفعيل مشروع توطين الآشوريين في سوريا والتشجيع على تحقيقه. وصولا إلى هذا الهدف، أجرت سورما بعض المقابلات التي نظمتها بكتمان وسجلت في كتاب "وقائع الأحداث" الخاص براهبات ديربيت عنيا .

في الخامس من حزيران من نفس العام، ذهبت إلى كنتربري في "كنت" حيث كانت تقيم سابقا عائلة دافيدسن. أثناء هذه الزيارة لاحظت سورما، إنسحاب الليدي دافيدسن من تحت الأضواء، بعد وفاة زوجها اللورد دافيدسن عام ١٩٣٠ وانزوت لتعيش في جناح صغير مجاور لدير أسسه القديس أغسطينوس رسول إنكلترا الذي كان البابا غريغوريوس الكبير قد أرسله لتبشير الأنكلو -

سكسون. إرتقى اغسطينوس الدرجة الأسقفية عام ٥٩٧ وهو الذي أسس الكرسي الأسقفي في كنتربري وهذا الدير الذي جعله الدير الرئيس. لكن هذا الوضع لم يستمر طويلا حيث قد حصلت تغيرات كثيرة عليه مع توالي العصور. اللقاء بين سورما والليدي دافيدسن كان حارا ومشبعا بالإنفعالات فتبادلنا الذكريات والحديث عن مستقبل كنيسة المشرق. بقيت سورما محتفظة في أعماق قلبها بذكرى عطرة لهذه السيدة النقية التي غالبا مل سمتها بـ "يميّ" (٢٢٤)

في اليوم الثالث عشر ذهبت سورما إلى Christ Church حيث كان يعيش العميد J. Gilbert Brown خدم هذا الضابط القديم بلاده مدة طويلة في بلاد ما بين النهرين. في العراق الحديث انحصرت مهامه بإدارة تنظيم الليفي. عدا ذلك قام في العام ١٩٣٢ بنشر كتاب لقصة مكتوبة على حوالي المائة صفحة. في هذه القصة تحدث عن الليفي العراقي. جزء كبير من تلك الصفحات كرسها براون للآشوريين الذين عملوا في تنظيم الليفي. ظاهريا كان براون سعيدا بلقاء سورما في منطقة سكناه الجميلة الواقعة في ناحية تستحق المشاهدة من Comté de Dorset القريبة من Browne mouth والغابات الصنوبرية. المدينة القديمة تستقر في سهل فسيح يضللها الدير الرئيس بمبانيه الفخمة. ما يشاهده الناظر صفحة لحركة تاريخ عريق وحضارة ملأت الآفاق. هذا المكان أفعم قلب الضابط براون بالسكينة والإطمئنان، فكان الميناء الذي فيه رست سفينة حياته بسبب ما لمس فيه من نعومة وأجواء معبقة برائحة البحر من جهة وبرائحة العصارات الرارنجية التي تفوح من الأشجار من جهة أخرى. قدم براون إلى هذه المنطقة تلبية لدعوة تلقاها من رئيس أساقفة كنتربري وهو يتسأل عن مصير القضية الآشورية. كان قلب براون يكن محبة خالصة للآشوريين ويتمنى لهم كل الخير، لذا كان قلقا من التصرف الفرنسي في سوريا ولم يرضه أبدا. تأثرت فرنسا بالأزمة الأقتصادية المخيمة على العالم حينئذٍ وعدم هدوء الأوضاع المنتشر في معظم بقاع الأرض. رائحة الفضائح كانت تزكم الأنوف. فحصلت الإضرابات والهيجان الشعبي. كان الضابط براون يشك في أن يكون في مقدور فرنسا الوصول عبر سياستها الخارجية المنفذة إلى شواطئ السلام العميم. أمّا بالنسبة لبريطانيا العظمى فإنه كان يشكو إهمالها وكثرة الحلول التي تعطيها للموضوع الواحد. عدا ذلك أبدى براون كامل تأيده لمشروع الغاب السوري شرط أن لا تتداخله الأوهام فيغدو سرابًا في صحراء.

عادت سورما يوم الثامن عشر من حزيران إلى دير راهبات بيت عنيا في ساحة لويد. بعد أربعة أيام هيأت نفسها للذهاب عند مدام Moss في أوكسفورد فوصلتها يوم الثاني والعشرين من نفس الشهر. مدينة أوكسفورد مدينة جميلة وساحرة. إنها مدينة جامعية تقع عند أعالي نهر التايمز. تعتمد في جاذبيتها على الكليات العديدة المنتشرة في أرجائها. بناؤها يتميز بمواصفات الفن الغوطي. فيها نصب كثيرة ومباني فخمة منها الكاتدرائية الشهيرة بزجاجياتها (الزجاجيات: زخارف من زجاج

مختلف الألوان والأشكال مرصوف يُثبت على شبابيك المباني وخاصة منها الكنائس -المترجم). نصب جامعتها الشهير يعود إلى تاريخ هنري الثاني مؤسس التقليد المتوارث فيها. للتذكير نقول أنه في عام ١١٦٧ كان عدد الطلاب الإنكليز في باريس يزيد على الألف طالب. قابلت سورما مدام "موس"، ذات التأثير الكبير في مجتمعها، أرملة رئيس بلدية Shrewsbury ووالدة البروفيسور C. B. Moss سكرتير الهيئة الجديدة "أصدقاء الآشوريين" Friends of Assyrians كانت أيضًا مؤسسة اللجنة النسوية. إبنها كان أستاذًا في كلية "لانكلن" للعلوم اللاهوتية المعروفة عالميا أنها أقدم المؤسسات الأكاديمية. كما كان أيضًا الأستاذ المشرف على دراسة مار إيشاي شمعون عندما كان يدرس في إنكلترا. غيرة عائلة موس على مصلحة الآشوريين جعلت العائلة دعامة أساسية لكنيسة المشرق. لما كان البطريرك يدرس في إنكلترا أقام في قصر Manor Appelton الريفي وهو مبنى تملكه عائلة "موس" يقع في Abingdon، المسافة بينه وبين أكوسفورد قليلة ويتبع إداريا بلدية Berkshire من هذا القصر، كان البطريرك يبعث برسائله البطريركية.

الأخبار الواردة من فرنسا وجنيف كدّرت جو اللقاء. خلال السنوات العشرة الأخيرة كانت العلاقات السورية الفرنسية مختلة وداخلتها بعض الإضطرابات. بعد قتال دموي مرير توقفت فرنسا عن مجابهة ثورة سورية مسلحة. في بداية صيف عام ١٩٢٦ خيّم الهدوء على الأجواء السورية. في الميدان السياسي بقي الصراع مستمرًا. عند ذاك، كانت السلطات الفرنسية والقوميون السوريون في صراع شديد حول المستقبل الآشوري. في عام ١٩٣٢، تمّ التوقيع على معاهدة فرنسية -سورية أخذت أصولها من المعاهدة العراقية -الإنكليزية. لكن هذه المعاهدة لم تقدّم أبدا إلى البرلمان الفرنسي لإقرارها. في شهر أيار عام ١٩٣٦ إستلمت الجبهة الشعبية مقاليد الحكم. فور هذا التغيير، أنكبت الجبهة على دراسة الوضع في سوريا ونوقفت طويلا عند النقطة المتعلقة بنزوح الآشوريين إلى سوريا. نتائج الدراسة لم يتأخر الإعلان عنها. في الخامس والعشرين من حزيران عام ١٩٣٦، أبلغت الحكومة الفرنسية عصبة الأمم أن حظ نجاح مشروع توطين الآشوريين في الغاب السوري قليل والإستمرار في تنفيذه مجازفة خطرة. لما علمت سورما بهذا القرار أسرعت للحاق بالراعي "ويكرام" ومار إيشاي شمعون. وصلت سورما "ويلز" في الرابع من تموز. ويلز مدينة صغيرة هادئة تقع ضمن بلدية Comté Somerset وتقع في الناحية الغربية من لندن، لكن رغم ذلك، إنها مركز تجاري نشط، أختارها ويكرام لتكون المكان الذي سيقضي فيه سنوات تقاعده. كان منزله يقع قرب إحدى أجمل كاتدرائيات إنكلترا قاطبة، نمط بنائها بالحجارة وبفن غوطي يعود إلى القرن الثاني عشر. إضافة لذلك، في جوار الكاتدرائية كان هناك بعض الدور التي يعود تاريخ بنائها إلى القرن الرابع عشر. سكن هذه الدور سابقا أعضاء فرقة الإنشاد الخاصة بالكاتدرائية.

بعد وصول سورما إلى ويلز والتقائها بالبطريرك والراعي ويكرام، بدأ ثلاثتهم يدرسون الأوضاع

المستجدة في سوريا ويقيمونها سوية بهدوء وروية. تركز اهتمام الثلاثة على المعوّقات التي تعترض مسيرة القضية الآشورية على أثر تغيير فرنسا إتجاهات سياستها. في الرابع من تموز من نفس العام قرّر مجلس عصبة الأمم التخلي عن مشروع توطين الآشوريين، وتعيين لجنة لمعالجة الموضوع. عندئذٍ طفت على السطح مرة ثانية مناقشة لإعداد حلول ممكنة للقضية. بعد البحث المستفيض ركزت اللجنة أنظارها على بلدان عديدة كانت جزء من الإمبراطورية البريطانية اختيرت لتكون المكان المناسب لتوطين الآشوريين بعد نزوحهم إليه. قلقت سورما من هذا الوضع فغادرت يوم ١٤/٧/١٩٣٦ إلى لندن. يوم السادس عشر من تموز انتقلت إلى Baldslow الواقعة في East Sussex أقامت سورما في هذه المدينة الصغيرة الواقعة على بعد بعض الأميال شمالي محطة الإستجمام "هاستنك" حتى الثالث والعشرين من تموز. عاشت سورما أيام إقامتها في "بالدسلو" في قلق وتعب مستمرين، إنها لاحظت كيف أنّ حظوظ الشعب الآشوري كانت تفشل الواحد تلو الآخر وكلما كان يبين في الأفق بعض الأمال. في اليوم الرابع من آب رافقت الأخت سيسيلي سورما إلى مقر رئيس اساقفة كنتربري في "لآمبيث بالاس" لترجوه أن يمارس تأثيره على جماعته في مجلس اللوردات فيصدر قرارًا يكون في صالح القضية. في اليوم التالي قامتا بزيارة كنيسة الصلاة الربية الواقعة في منطقة "سان ميشيل". تمّ بناء هذه الكنيسة في القرن الثالث عشر، ثم تهدمت فأعيد بناؤها بعد الحريق المدمر الذي حدث في لندن. أثناء زيارة سورما ورفيقتها الراهبة سيسيلي الكنيسة أقام مار شمعون قداسا في الكنيسة المذكورة، هذه الفاصلة الطقسية أي إقامة القداس حسب طقس شرقي أحيت الآمال في القلوب من جديد. في الثامن من آب زار البطريرك مار إيشاي شمعون دير الراهبات الموجود في المنطقة وتناول الشاي، وشكر الراهبات على غيرتهنّ على القضية الآشورية. وعلى المساعدة القيمة التي يقدمنها لعمته سورما. غداة اليوم التالي ذهبت سورما برفقة إبن أخيها البطريرك لزيارة الميجر "رينتون" المقيم في "بيلنك هورست" الواقعة في منطقة West Sussex خدم هذا الضابط البريطاني بلاده عندما كان يعمل في بلاد ما بين النهرين في تنظيم الليفي العسكري. كان من الضباط البريطانيين اليقظين. قام بحملة موفقة لإقناع الآشوريين للإلتحاق بصنوف الليفي. هناك تعرّف علي سورما. بمساعدتها استطاع رينتون تأليف قوة من تنظيم الليفي العسكري قوامها (٦٠٠٠) مجند، كان يقودها رب خيلا داوود (كان القائد العام لهذه القوات) والد البطريرك مار إيشاي شمعون. سبق أن التقت سورما هذا الضابط البريطاني مرات عديدة في العراق. عرفته إنسانا شريفا، يقدر شجاعة الآشوريين ويريد إسماع صوتهم من أعلى المنابر. نصائحه كانت دوما مهمة ومفيدة جدا. يوم الرابع عشر من تموز غادرت سورما إلى "ساوث بورن" الواقعة على الساحل الجنوبي، إنها غير بعيدة عن "بورن ماوث" التي كانت مقر إقامة الجنرال "أوستن" أثناء فترة تقاعده. بقي الجنرال أوستن مسؤولا عن مخيّم بعقوبة للاجئين الآشوريين حتى شهر حزيران عام

١٩١٩، نتيجة لخبرته التي اكتسبها خلال فترة خدمته تكوّن في أعماقه شعورا قويا مؤيدا للقضية الآشورية. في الكتيب الذي أصدره بعنوان "مخيّم اللاجئين في بعقوبة" رسم خريطة واضحة للمخيم مع تفصيلات كثيرة ودقائق وافية. لذا يمكن اعتباره الأول من نوعه هذا إضافة إلى الجهود التي بذلها اللاجئون الآشوريون لتسيير الأمور. لقاء سورما للجنرال "أوستن" في بريطانيا كان الثاني من نوعه (اللقاء الأول كان عام ١٩٢٠). في اللقاء الأول،وحسب تصريح الجنرال أوستن نفسه امتلكت سورما أثناء زيارتها الأولى قلوب أبنائه الشباب الثلاثة. استقبل أوستن وزوجته الليدي سورما وكانا مسرورين من الزيارة. ومستعدين لإستقبال سورما في مدينتهم الجميلة والشهيرة باسم "المدينة ذات بساتين الريفيرا الإنكليزية". قامت سورما بصحبة مضيفيها بالتجول على شواطئ البحر متذكرين أيام مخيم بعقوبة المليئة بالأحزان والمصائب، استغلت سورما توجدها في المنطقة فقامت بزيارة دير راهبات بيت عنيا الموجود في "بورن ماوث". شيدت هذه الرهبنة ديرها في هذه المنطقة عام ١٨٧٢. بعد انجاز بناء الدير قامت الراهبات بتأسيس ميتم. بقيت سورما تفكر في أقوال كل هؤلاء العسكريين البريطانيين الذين خدموا في العراق وعرفوا الشعب الآشوري حق المعرفة.إنهم لم يطبقوا مبدأ "العصا لمن عصى" إنهم بقوا متأثرين ومعجبين ببطولة وشجاعة الآشوريين وحفظوا لهم (للآشوريين) ذكرى خالدة في أعماق نفوسهم. بعد لقاء سورما كل هؤلاء الضباط شعرت بالأسى الذي يتملكهم بسبب مجريات الأحداث التي لم تكن في صالح الآشوريين وقضيتهم العادلة.

في اليوم التاسع من أيلول قامت سورما بزيارة مدينة Surfleet الصغيرة. إنها بلدة ريفية يخترقها نهير صغير يسمى Glen ويقع بين Pinch beck و Gosberton ضمن بلدية "لنكلن شاير". هنا أقامت سورما عند بعض أقارب مدام "موس". المناظر الخلابة أدهشت سورما لأنها شاهدت هناك الوديان الخضراء المزينة بالمزارع المنظمة وبعض القصور الفخمة الجميلة التي تشبه القلاع. النزهات الطويلة عبر الحقول والغابات أبهجت أيام الإقامة وأشغلتها بالتمام. عند عودة سورما من جولتها كانت الراهبات قد أنهين رياضتهن الروحية السنوية. في الرابع والعشرين من أيلول استقبلت سورما ويكرام، فقدم ملخصًا للوضع السياسي الحالي. منذ الخيبة الكبرى التي حلت بالآشوريين في تموز عام ١٩٣٦، كانت الحكومة البريطانية منشغلة في إجراء التحريات المتعلقة بالإمكانات المتوفرة لإستقبال الآشوريين في البرازيل أو كويانا البريطانية. بدأت تتفحص عن قرب الوضعية وتدرس الصعوبات التي ظهرت أثناء البحث والتدقيق. نتيجة لذلك لم تستنتج أيّ عامل يضمن نجاح العملية، وأن أيّ إجراء في هذا الإتجاه سيكون للآشوريين بمثابة مرحلة جديدة لإجترار الآلام والحياة مع ذكريات مريرة، طالما لم يكن بمقدوره تغيير أوضاعه أو التأثير على مساراتها.

سورما في المشفى

توقعت سورما هكذا نتائج لمحاولات الحكومة البريطانية بسبب خبرتها المتراكمة المتجمعة لديها على أثر ما واجهته من أوضاع مشابهة أيام الإضطرابات عام ١٩٢٥، أيام ترسيم الحدود التركية - العراقية. لذا نراها اليوم أيضا متوعكة الصحة، تفتقد العائلة وخاصة أبناء وبنات الإخوة جميعا وبمرة واحدة. لحسن الحظ كان إلى جانبها الراهبات اللواتي إحتضنَّ سورما بمودة منقطعة النظير. هذا الإحتضان خفف الكثير من الأحزان وملأ حزءًا كبيرا من الفراغ الحاصل من جهة، والقلق على إبن اخيها البطريرك الذي كان يعيش أياما حرجة ومضطربة من جهة أخرى. الجميع عاشوا لحظات الإنتظار لتوقعات ايجابية سرعان ما قد تنقلب عكسيا فتخيب الآمال وتزداد الشدائد. أقام البطريرك يوم الرابع من تشرين أول عام ١٩٣٦ قداسا في المعبد الصغير الموجود في دير الراهبات. قام بخدمة البطريرك أثناء القداس الاب Batlett في تلك الأيام كانت صحة سورما في تنازل وضعف مستمر. بعد أيام أصابتها حمى شديدة. عند منتصف تشرين أول أدخلت مشفى القديس لوقا الواقعة عند ساحة Fitzroy المؤسسة عام ١٨٩٢ على يد Canon Henry Coaper. تخصص هذا المشفى بتقديم الخدمات الطبية والعناية الصحية للإكليروس من الأنكليكان وكان له سمعة طبية وشهرة في الجراحة ومعالجة مشاكل سن اليأس وآلام الظهر. أثناء إقامة سورما في المشفى جاءت الراهبات لزيارتها مرات عديدة نذكر منها زيارة الأخت هيلين لوسي التي جرت يوم الثالث والعشرين من تشرين الأول. يوم الثلاثين منه زارتها الأم الرئيسة العامة "ماري بلانش". يوم التاسع من تشرين الثاني عادت لزيارتها الأخت هيلين لوسي. في السادس عشر منه زارتها الأخت "كريزل". يوم الثامن عشر من تشرين ثاني صادفت الذكرى الثانية والسبعين لقيام العلاقات بين الكنيسة الأنكليكانية وكنيسة المشرق. بهذه المناسبة أقيم إحتفال مهيب. تغيبت سورما عن الإحتفال بسبب مرضها ودخولها المشفى. استغل الراعي ويكرام فرصة المناسبة فقدم كلمة موجزة عن العلاقة القائمة بين الكنيستين ومؤمنيها. ركز ويكرام في كلمته على الحظ العاثر والبائس للآشوريين وخيبات الأمل المتتالية التي تصيبهم. عصبة الأمم ختمت مداخلاتها بكلمات قليلة تملأ القلب مزيدا من المرارة". ثم أضاف قائلا: "بلادنا قطعت العهود لهذا الشعب، وأعطته الوعود البراقة. لكنها اليوم تتنكر لكل ذلك. إنها تهمل الآشوريين وتهمش قضيتهم من أجل مصالحها الخاصة. بلادنا استخدمت هذا القوم من البشر واستغلتهم وجعلت العرب يكرهونهم. كل هذا تمَّ لتحقيق الرفاهية لنا فقط. فهل سيكون في الإمكان جعل صورتنا الوطنية رائعة ونظيفة ثانية دون العمل على مبادلة جهود الآشوريين بأرض تكون لهم وطنا يبنون عليها مستقبلهم المشرق ومستقبل أجيالهم الصاعدة من بعدهم؟" (٢٢٥).

غادرت سورما مشفى "القديس لوقا" يوم السادس والعشرين من تشرين الثاني، لتمضية فترة نقاهة. أقامت عند راهبات بيت عنيا وأخذت تعيش حياة رهبانية حقة، لا تتخلى عنها إلا صدفة. يوم

التاسع من كانون الأول ١٩٣٦ قامت بزيارة إحدى المكتبات اللندنية ومعها الأخت "ميلين لوسي" والأخت إيفا. اشترت العديد من الكتب التي تخصّ المسيحيين الشرقيين. لدى سورما العلم والمعرفة كانا الأمران الأكثر أهمية في حياة الإنسان. اشترت أيضًا كتابا قدمته هدية للأخوات راهبات دير بيت عنيا – لا يزال هذا الكتاب محفوظا في مكتبة الدير، والإهداء لا زال مكتوب على الصفحات الأولى وموقعا من قبلها. نص الإهداء يقول: إلى الأم الموقرة والأخوات القديسات راهبات بيت عنيا في لندن عام ١٩٣٦ . مع أطيب تمنياتي وتهاني القلبية بمناسبة عيد الميلاد. التوقيع سورما آل مار شمعون. عنوان الكتاب هو The Syrian Christ مؤلفه (١٨٦٩ – ١٩٤٤) Abraham Mitrie Rihbany المؤلف مسيحي لبناني من قرية تقع في جبل لبنان، توفي في الولايات المتحدة الأميريكية. نشر هذا الكتاب عام ١٩٢٤ ويتألف من عشرة فصول. إنه بحث عن بقايا الثقافات القديمة في الهلال الخصيب السرياني. وهو يوفر الفرصة للمتابعين في الشأن المسيحي للإطلاع على الحضارات السابقة ومعرفة الأصول الثقافية والنفسية والاجتماعية المعاصرة للسيد المسيح.

كان اليوم السابع من كانون الثاني عام ١٩٣٧ يوما مؤشرا لدير راهبات بيت عنيا باعتبار أنه يوم عيد الميلاد لكنيسة المشرق والليدي سورما. في الصباح جاء البطريرك مار إيشاي شمعون مع الشماس الخاص به إلى دير الراهبات لتناول الفطور وقضاء بعض الوقت. أيام هذا الشهر كانت محملة بأخبار فيها بعض الندرة وتبعث الآمال في النفوس من جديد. في جنيف، أعلنت المملكة المتحدة أن مراجعة للقضية الآشورية لم تعط نتائج مرضية بسبب الصعوبات التي تعترض سبيل حلّ هذه القضية والتي ظهرت خطورتها واتضحت. لذلك قررت حكومة المملكة المتحدة بذل جهود إضافية ومحاولة إيجاد حلّ ما. هذا التصريح وضع الجميع في حالة إنذار وإنتظار وإزادت من درجة تخوفات سورما من جديد. لحسن الحظ، حصلت خلال تلك الأيام بعض النزهات التي قامت بها سورما بصحبة الأخوات الراهبات، ذصرفت عنها بعض الهموم والقلق. منها كانت نزهة يوم الثاني عشر من آذار عام ١٩٣٧ . كان برفقة سورما ذلك النهار الأخت "جان لويس". وكانت النزهة إلى Crowborought الواقعة في منطقة "أيست سوسيكس". في شهر أيار من نفس السنة حصل حدث مهم أوقف مجرى الحياة اليومية واعترضها.

في تتويج الملك جورج السادس

إستلمت سورما بطاقة دعوة رسمية للمشاركة في احتفالات تتويج الملك جورج السادس. وصلت الدعوة لسورما على عنوانها في ساحة لويد بتاريخ السابع من أيار ١٩٣٧ . كان البريطانيون يتابعون منذ أشهر بفارغ الصبر، تطور سلسلة الأحداث الخاصة بالعائلة المالكة. في نهاية عام ١٩٣٦، أصرّ "أدورد الثامن" المرشح لإعتلاء العرش، وكما أشرنا سابقا، على رغبته في الزواج من

Miss Simpson التي كانت سيدة متزوجة ومطلقة. تعليمات الكنيسة الأنكليكانية تمنع الزواج ثانية بعد الطلاق. بعض العوائل قدمت بعض الحلول لإدوارد لحلّ الإشكال، منها الزواج غير المتكافئ (صفة لزواج بين ملك وامرأة من عامة الشعب مع عدم إشراكه إياها في حقوقه السياسية – المترجم) إدورد استمرّ على عناده. فتخلى عن العرش بإعلان رسمي أصدره في الحادي عشر من كانون الأول عام ١٩٣٦ متنازلا عن العرش. في اليوم الثاني عشر من نفس الشهر أي اليوم التالي لإعلان إدورد تمت تسمية خلفه دوق يورك وهو أخو أدورد الثاني ملكا لبريطانيا العظمى. الملك الجديد كان صديقا لرئيس الأساقفة Lang الذي كان في الوقت ذاته أحد المستشارين المقربين من الدوق (الملك الجديد). والذي أختار له إسم جورج السادس ليعيد الثقة إلى النفوس في مختلف أرجاء المملكة.

تمت احتفالات تتويج الملك جورج السادس وزوجته اليزابيث في قصر ويستمنستر في الثاني عشر من أيار عام ١٩٣٧ . صباح ذلك اليوم ذهبت سورما باكرا إلى موقع الإحتفال الذي هو كنيسة فخمة داخلها يحكي أحداث تاريخ العائلة المالكة. يذكر باحتفالات تكريس الملوك (تتويجهم) السابقة التي جرت في هذه الكنيسة والرسامات والإحتفالات الملكية الأخرى. فيها يوجد أيضًا قبور الرجالات العظام نخبة الشعب الإنكليزي. في هذه الكنيسة جرت إحتفالات تتويج كل الملوك والملكات الذين جلسوا على العرش منذ عصر غليوم الذي دخل البلاد منتصرا. إندهشت سورما من رؤيتها العمارة الرائعة وأعمال النحت الباهرة ومنها لوحات شواهد القبور. كذلك تعجبت من أرتفاعات المبنى الشاهقة والعرض الواسع المسافات الموجود بين أجزاء المبنى الفخم وبين أجنحة الكنيسة وعقدة القبة الشهيرة المعرقة. سبق لسورما أن أختلت مع الليدي ديفدسن في الكنيسة الصغيرة التي هي على إسم هنري السابع بعض الوقت لما كانت في زيارة لهذا المبنى. الكنيسة الصغيرة تلك هي بالحقيقة رائعة داخل كنيسة فخمة مدهشة. جدرانها مزينة بلوحات وشعارات الفروسية. الإجراءات المتخذة لتنفيذ الإحتفال زادت من روعة وهيبة المكان والحدث. الدعوة التي استلمتها مكنتها من الدخول إلى موقع الإحتفال دخولا إحتفاليًا كما هي الحالة مع الكثير من الشخصيات، ظروف الإحتفال سمحت لإجراء بعض التغييرات في مبنى الكنيسة. كرسي عرش التتويج الذي هو عبارة عن كرسي بسيط من الطراز الغوطي ذو مسند للظهر مرتفع من الخشب وُضع العرش تحت المنبر. البلاط الإيطالي الثمين الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر غطته الطنافس الزاهية الغالية، احتفال التكريس / التتويج جرى عند مذبح الكنيسة الرئيس الذي يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر. أمامه وُضعت باقة عملاقة من الأوراد والزهور. شاركت سورما في الإحتفال بفرح وافتخار لأن حضورها كان رمزا للإتحاد والإستمرارية. اهتمت سورما بمسيرة هذه الملكية البرلمانية ودوراتها، لأنها كانت ذات فائدة وعاملا لزيادة خبرتها السياسية. اسلوب الحياة والإدارة هنا مغاير لما عرفته من أسلوب أتبعه نظام " الملت " العثماني من جهة ونظام العشيرت الذي عاشته بعض

جماهير الآشوريين في حكاري إبان العهد العثماني. عندما أشارت الساعة إلى الثانية عشرة ظهرا، بدأت الأجراس الإثنا عشر المثبتة في أبراج الكنيسة تدق بنغمة مدهشة معلنة لإنكلترا قاطبة تتويج ملكها الجديد.وتدعوه ليحتفي به ويهتف له. في السابع عشر من أيار روت سورما الأحداث التي شاهدتها –احتفالات التتويج – للأخوات الراهبات في دير بيت عنيا. بعض المدعوين ركزوا رواياتهم على حضور رؤساء الدول والملوك والوزراء. آخرون تحدثوا عن القداس الإحتفالي أو عن زينة السيدات الحاضرات وأسلوب تجميلهن. بهذا الإحتفال أنهت سورما إقامتها. يوم السابع عشر من أيار اجتمعت الراهبات لتوديع سورما الوداع الأخير. كان بين الأخوات الأم " ماري بلانش" الرئيسة العامة والأخت سيسيلي والأخت زوبه. أثناء التوديع أكدت الراهبات الاتحاد الروحي عن طريق الصلاة. وصلت سورما منفاها في قبرص مرة ثانية والقلب ممتلئ بالآمال العريضة متوقعة أن هذه المرة سيحالف الحظ الشعب الآشوري بصدور قرار عادل عن عصبة الأمم ويكون في صالح القضية.

٣ - غلق ملف قضية الكلدو آشوريين

عصبة الأمم تتأسف

في جنيف، كان ممثل صاحبة الجلالة يرى دومًا استحالة توطين الآشوريين على أراضٍ بريطانية بسبب المشاكل المالية والسياسية والمادية التي إتضح عدم إمكانية التغلب عليها. هذا الواقع الفعلي دفع إلى الإنتهاء بقرار جديد أصدره مجلس عصبة الأمم يومي الخامس والعشرين والتاسع والعشرين من أيلول عام ١٩٣٧ . عبر المجلس في قراره هذا عن أسفه الشديد لذلك رغم الجهود التي بذلتها اللجنة الآشورية خلال السنوات الأخيرة. " لم تستطع اللجنة من وضع خطة شاملة لتوطين الآشوريين خارج العراق. الآشوريون الموجودون في العراق أبدوا الرغبة في مغادرة ذلك البلد "[٢٢٦]. بهذه العبارة المقتضبة أنهى مجلس عصبة الأمم الموضوع وغلق ملف القضية غاسلا الأيدي بالإنفاق مع الحكومة البريطانية. عند إصدار القرار كان مار شمعون لا يزال مقيما في لندن. على أثر إصدار القرار توجه فورا إلى جنيف. هناك تمّ الاتصال بالعديد من الشخصيات بقي هناك ٢٨ يوما. لكن كل المحاولات باءت بالفشل وذهبت الجهود أدراج الرياح. حينئذ إتخذ البطريرك توجها جديدا كان يراوده منذ زمن طويل ونضج بصدور القرار الأخير. تداول مار إيشاي شمعون بشأن توجهه الجديد مع مستشاريه الأقربين ومع عمته. فوُضعت اللمسات الأخيرة على التوجه. يوم العشرين من تشرين الثاني عام ١٩٣٧، قام بإرسال الرسالة التالية إلى الشعب الآشوري فقال:

" لقد تمّ إنفاق مبالغ طائلة وستنفق لتوطين آشوريينا في منطقة الخابور السورية. أثناء إقامتي في جنيف أرسل لي شعبنا في منطقة الخابور مبلغ ٣ آلاف باونًا إسترلينيًا لتغطية النفقات اليومية.

إننا شكرناهم باسم شعبنا كما بينا أننا على ثقة أنّ كلمات الشكر لا يمكنها أن توفر لا الأمن على حياتهم ولا السلامة لممتلكاتهم. ذلك لأن الشعب سوف لن يستطيع العيش باطمئنان تام مواجها المستقبل القاتم بسبب ما يظهر في الأفق من غيوم داكنة ومصاعب يخطط لها لتعترض مسيرة تطور الحياة. واحسرتاه، الكبار لا يريدون تحقيق ذلك.

من البديهي أن نبين أنّ حكومتي بريطانيا العظمى وفرنسا قلقتان، وتبحثان عن وسيلة ما لوضع حدّ لإنهاء وضعية هذه الأمور. الأعضاء في عصبة الأمم لا زالوا ينتظرون ذلك بفارغ الصبر. غالبا ما سمعنا ممثلي الدول في عصبة الأمم يعبرون عن امالهم بلغة دبلوماسية واضحة أنهم قد وضعوا كل ثقتهم وأملهم في جهود الحكومة البريطانية التي قد تثمر حلولا مرضية بشأن القضية الآشورية، إننا نعلن هذه الحقيقة دون الدخول في متاهات الوقائع التي تضادد عدالة القضية وصواب الإجراءات الواجب تنفيذها. نحن هنا لا نريد تسجيل استنكار أو توجيه توبيخ لهذا الجانب أو ذاك من المعنيين طالما شعبنا في موقع الضعيف، وهكذا تصرف سوف لا يغني الشعب ولن يُغير أو يؤثر في تطبيقات السياسة السرية أو حتى تلك المعلنة التي ينفذها الكبار الأقوياء.

حاليًا، أعداد كبيرة من أبناء هذه الدول يتحدثون ويذكرون الخدمات المهمة التي قدمها شعبنا الصغير لحكومات هذه الدول. إنهم يذكرون أيضًا الإخلاص والوفاء اللذين عملنا بموجبهما دفاعا عن قضاياهم. لا أحد يستطيع توجيه أيّ نقد لنا بخصوص ذلك. لقد احتفظ شعبنا دوما بثقة عميقة لبريطانيا العظمى.

ها هي ١٢ عامًا تمرّ منذ أن خسرنا أرض الأجداد، وأربعة عوام ونحن نتذوق المرارة. الخبرة الحياتية التي عشناها في العراق تؤكد أنه رغم ما خسرناه من أموال وممتلكات وثلاثة أخماس أبناء شعبنا، فإننا لم نفقد الرؤى الواضحة، أو ننسى تاريخنا. كل ذلك أكسبنا خبرة جديدة كانت تعوزنا.

لنستعد لمرحلة مقبلة من الكفاح بكل قوانا ولنعمل لإنقاذ الشعب بإتباع أسلوب النضال السلمي في معترك الحياة تجنبا الإبادة الشاملة. لنبذل الجهود لإحياء الآمال من جديد. غالبا ما تركزت أفكارنا على أننا كنا نرى آمالا مشرقة تشير إلى مستقبل منير سنحظى بها، لكن في كل مرة كنا نواجه عواصف هوجاء تهب فتمحي الآمال. تحقق ذلك على أيدي بعض من أبناء شعبنا الخونة، الذين لعبوا لعبتهم القذرة. بعون الله ومساعدته سينتصر الحق وتظهر الحقيقة وتكون لها كلمة الفصل الأخيرة.

عصبة الأمم أقرّت أنه من المستحيل لشعبنا أن يعيش في العراق. أحداث غير منتظرة قد تحصل. في عالمنا المعاصر. منها الأحداث التي حصلت في إيطاليا والحبشة واسبانيا والصين واليابان والشرق الأوسط. أحداث كهذه كانت السلاح الذي استخدمه المعارضون لنا. هذه المرة أيضا وجدنا أنفسنا أمام مستقبل معتم، عملنا على سحق كل العوامل التي تثبط العزائم بسبب خيبة الأماني والآمال.

السؤال اليوم هو ما العمل؟ وكيف العمل؟ الجواب هو أن نقتدي بالأرمن وغيرهم من الشعوب، مستغلين خبرتنا الجديدة التي أنضجتنا. ليكن كفاح هؤلاء نموذجا حيا علينا جميعا إتباعه. لتحقيق هذا الهدف، علينا أولا كسب مودة وثقة جيراننا بأعمالنا المستقيمة، وعدم السماح للآخرين ليدفعوا بنا إلى العمل ضد مصلحة جيراننا كما سبق أن فعلنا. علينا، وأينما نكون وحتى إن كانت الإقامة موّقتة أن نعمل لبناء مستقبلنا الإقتصادي. على أولئك الذين أنعم الله عليهم بالخير والغنى الوفير من أبناء شعبنا أن لا ينسوا إخوانهم المحتاجين. يجب علينا وضع تأمين التعليم الضروري للجميع كهدف رئيس أمام أنظارنا. العلم اليوم هو ركيزة تقدم الشعوب، لذا يجب العمل لتوفير التعليم الجيد في مختلف الميادين لأبنائنا وبناتنا. كما يجب الإهتمام بلغتنا وتعلمها وتطويرها لأنها دعامة أساسية للحفاظ على كياننا وهويتنا.

سبق لأجدادنا أن أوصونا بالحفاظ عل خاصيتين نبيلتين هما الإيمان والرجاء. بهاتين القوتين استطعنا صيانة وجودنا كشعب حيّ إلى يومنا هذا، شرط أن يستند ذلك على ما علمنا القديس بولس عندما قال: "إنّ جوهر كل ذلك هو المحبة". طالما لا تملأ المحبة قلب أبناء شعبنا، لا نور هناك ينير دربنا نحو مستقبل مشرق. إذا، لنركز الأنظار على المستقبل ولنعمل لجعله مشرقا عندما نكون مسلحين بالشجاعة والتضحية والمحبة الخالصة لبعضنا البعض" (٢٢٧).

بلا ريب، إنّ ما أراده مار إيشاي شمعون برسالته هذه هو تأشير لحظة لقلب صفحة تاريخية لوجود الشعب الآشوري وفتح أخرى جديدة، بعد أن أصبح مشتتا بسبب خيبات الأمل بوعود لم يلتزم بها من قطعها. المطالبة بوطن محدد المعالم اصبحت حلما بعيد المنال فعليا. الواجب المطلوب هو التفرغ للحفاظ على خصوصية الهوية. يجب إبدال المرارة المخيمة على النفوس بالرجاء والآمال الواقعية والشجاعة. قدّر مار شمعون في رسالته ضرورة التركيز على موضوع أهمية التربية والتعليم والحفاظ على لغة الأم. بتحقيق هذين الهدفين سيكون في الإمكان توجيه الإستراتيجية السياسية. كان محور رسالة البطريرك، تغيير مطالبة الآشوريين التي تركزت سابقا على "حق تقرير المصير" إلى مطالبة تحقيق وعي ثقافي وتعليم شامل وإهتمام باللغة القومية ركيزة الهوية.

بقي الآشوريون مقيمين في العراق ومنطقة الخابور السورية. عشية أندلاع الحرب العالمية الثانية كان عدد الآشوريين الذين كانوا لا يزالون في شمال العراق حوالي العشرين ألف آشوري. بينهم كان هناك ضحايا المذابح والإعدامات. هؤلاء لم يعودوا إلى قراهم. إنهم بقوا يسكنون مدينة الموصل. الصراع الداخلي كان لا يزال قائما على قدم وساق، رغم أنّ البطريرك مار إيشاي شمعون أخذ يكسب المؤيدين شيئا فشيئا. عدد المعارضين لم يكن يتجاوز ال ١٠٪ من المجموع الكلي للشعب الاشوري. الأحقاد كانت لا تزال راسخة في قلوب البعض. عندما زار المعارضون وبعض النسوة مار شمعون في مخيم الموصل، إعتدت عليهن نسوة من عشيرة باز وتخوما ووبخوهنّ على تشجيع أزواجهنّ على وضع

الثقة بالحكومة العراقية. وها هم اليوم جميعا أمواتا أو أشباه موتى. هذه الحادثة كانت تُشكل دوما شوكة مؤلمة في خاصرة البطريرك.

في نهاية عام ١٩٣٧ بلغ عدد المهاجرين من الآشوريين إلى سوريا حوالي (٩٠٠٠) آشوري. جميعهم إستطاع الحصول على الجنسية السورية. بينهم كان هناك عائلات الرجال الذين عبروا نهر دجلة سباحة للوصول إلى الأراضي السورية. في البداية كانت الإقامة في العراق في مخيّم خاص باللاجئين الآشوريين نصب قرب الموصل. بقي هذا المخيم قائما حتى شهر أيلول عام ١٩٣٤ . بعد ذلك سمح الفرنسيون لـ (١٤٠٠) إمرأة وطفل اللحاق بأزواجهن أو آبائهم الموجودين في الحسكة. أثناء الفترة المحصورة بين آب ١٩٣٣ وبداية عام ١٩٣٥، كان عدد الآشوريين الذين استوطنوا منطقة الخابور (٢٠٠٠) آشوري. خلال شهر أيلول عام ١٩٣٥ إلتحق بالمجموعة الأولى (٤٠٠٠) آشورى إضافي.

الموقف لدى مار شمعون كان قد تغير، لأنه استطاع أخيرًا الحصول على الجنسية الإنكليزية عام ١٩٣٩، بعد ذلك غادر البطريرك إلى الولايات المتحدة في تموز عام ١٩٤٠ بينما العمّة سورما بقيت منفية في قبرص.

العلاقات مع الكنيسة الأنكليكانية

إستجابت الكنيسة الأنكليكانية لقرار عصبة الأمم، وأعادت توجيه نشاطها مع الآشوريين باتجاه يناسب الأوضاع الجديدة، فاتخذت قرارًا لفتح بعثة تبشيرية لهم مرتبطة بالمنطقة الواقعة تحت سلطة الأسقف الأنكليكاني المقيم في أورشليم. مقابل هذا الإجراء أعلن مار إيشاي شمعون أن ذلك يعني منحه هبة لكنها مقيدة بخيوط وأحيانًا بحبال. أخيرا رضي البطريرك بالعرض وقبله على مضض مع بعض التحفظات. بعثة القدس الأنكليكانية لم يكن لها صفة المندوبية لتتمكن من مساعدة المحتاجين أو تغطي نفقات الإحتياجات الآنية الخاصة بالعائلة البطريركية. هذه المسؤولية كانت من أختصاص رئيس أساقفة كنتربري فقط. هذه الوضعية أقلقت اللورد Lang أشد القلق خاصة لأنه كبير السن وقارب أن يترك كرسيّه للدخول في فترة التقاعد. إنه لم يكن يرغب أن يترك لخلفه بعد مغادرته منصبه هذا الملف مفتوحا ومثقلا بالإلتزامات المالية. أبلغ اللورد "لانغ" مار شمعون برغبته تلك، واقترح عليه، تفضيل أن تكون العائلة قادرة على تغطية نفقاتها ذاتيا. من أجل تحقيق هذا الغرض قام الراعي ويكرام بجمع مبلغ (١٥٠٠) باونا استرلينيا وخصصه لشراء قطعة أرض في قبرص. من الواضح أن تفكير رئيس الأساقفة كان يرتكز على الأمل في الوصول إلى حلّ نهائي للمشكلة خلال العامين القادمين. أبلغ مار شمعون وعمته سورما بمجمل المخطط. لكن تحقيق ذلك واجه معوّقات كثيرة. أولها المناخ السياسي (الوضع الدولي) الذي كانت أزماته في تفاقم مستمر، والريبة

والشكوك التي يكنها القبارصة للآشوريين وخاصة منهم أبناء عائلة البطريرك باعتبار أنها جهة قريبة جدا من البريطانيين وخادمة أمينة لمصالحهم هذا من ناحية. أما من الناحية الأخرى فلها عدد كبير من الأولاد الصغيري السن (هذا في العام ١٩٣٨). عدا ذلك كانت رغبة بريطانية تهدف إلى تجنب حصول مشاكل واضطرابات. قضية الآشوريين كانت في نظر البريطانيين من القضايا المحسومة وملفها تمّ غلقه سياسيا. لكن وفق وجهة نظر الكنيسة الأنكليكانية فالموضوع لا زال هما حقيقيا، لذا إنها كانت تنبه الحكومة البريطانية إليه من حين لآخر وتدعوها للإهتمام بالظروف المعاشية الصعبة التي تعاني منها عائلة البطريرك. بقي رئيس الأساقفة اللورد Lang وكذلك خلفاؤه William Temple و Geoffrey Fisher محافظين على العلاقة التي كانت قائمة مع البطريرك الآشوري ومع عمته سورما. بقيت الكنيسة الأنكليكانية هي الأخرى تمارس الضغط المستمر على الخارجية البريطانية وعلى وزارة المستعمرات من خلال المؤسسة المشكلة ضمنها والتي كانت تمثلها كهيئة رسمية تعرف بـ "مجلس الكنائس/ دائرة العلاقات الخارجية". مراسلات كثيرة تمّ تبادلها بين هذه التشكيلات وحكومة قبرص لا زالت محفوظة ضمن الأرشيف الوطني البريطاني. يمكن الإطلاع عليها لكل من يريد ذلك بعد مرور ثلاثين عاما - فترة التقادم (إكتساب حق بمرور الزمن - المترجم).

٤ - سنوات المقاومة الطويلة

في نيقوسيا وفي ميرتو Myrtou

في ربيع عام ١٩٣٧ جرى تمديد فترة نفي سورما إلى قبرص. هذا الإجراء كان يعني أن لا نهاية قريبة متوقعة لذلك النفي. في نفس الوقت، وكما اشرنا سابقا، كان قد صدر قرار عصبة الأمم وكذلك قرار رئيس الأساقفة الخاص بموضوع الآشوريين. لكن سرعة الأحداث لم تسمح لسورما تحريك الإهتمامات والتأثير على الأحداث بسبب المنغصات اليومية كتأمين المصادر المالية والإهتمام بالتربية والقضايا المدرسية المتعلقة بأبناء العائلة أو تلك التي تعني بأمر تشغيل البالغين...الخ. الإنشغالات هجمت على سورما مرة واحدة وابتلعت كل وقتها.

المشكلة الآشورية في نظر حكومة صاحبة الجلالة تغيرت جذريا، وأصبحت لا تعني إلا مشكلة بسيطة، تحدد معالمها أمور مالية تخص أفرادا في جزيرة قبرص فقط. بمرور السنين إنخفضت التخصيصات اللازمة لإدامة الحياة. فازداد إثر ذلك قلق أفراد العائلة وتضاعف الشعور بالألم. الخارجية البريطانية لم تكن ترضى دفع المزيد من المبالغ. موقف الخارجية البريطانية جعل الكنيسة الأنكليكانية مضطرة لدفع تخصيصات شهرية مقدارها خمسون باونًا إسترلينيًا لليدي سورما. استمر الحال هكذا حتى نهاية ١٩٤٤. حينذاك (أي السنوات التي سبقت الحرب العالمية

الثانية) أزداد الوضع الدولي توترا. وغدا العالم على شفى كارثة عرفت بالحرب العالمية الثانية. في ألمانيا وصل هتلر إلى سدة الحكم. إنكلترا أعلنت الحرب على ألمانيا يوم الثالث من أيلول عام ١٩٣٩ بعد اجتياحها بولونيا... عندئذٍ اتجهت الأزمة إتجاها مغايرا واتسع نطاقها وغدت أزمة دولية. ما يخص تركيا (الحديثة) فإنها قد احتفظت بموقف حيادي. أقحم الآشوريون في غمار تلك الحرب. ففي العراق قاموا بمنع هذا البلد من الغرق بين الأمواج المتلاطمة فيصبح لقمة سائغة لألمانية. (١٥٠٠) مجند من تشكيلات الليفي الآشوري قاموا بحماية القاعدة العسكرية الموجودة في الحبانية وإبقوها تحت سلطة الحلفاء. (٥٠٠) مجند منهم أعلنوا استعدادهم للخدمة في صفوف قوات الحلفاء. الشباب من عائلة البطريرك أعلنوا استعدادا مشابها.

عائلة البطريرك بقيت تحمل صفة المنفيين في بلد كان يرزح تحت نير الإستعمار البريطاني. كان القبارصة ينظرون العائلة كجماعة شديدة الإرتباط بالبريطانيين، فتبعث الريبة في نفوسهم إضافة إلى الكره الشديد. عدا ذلك كانت إقامة العائلة في قبرص تعني الإنقطاع عن الشعب الآشوري وعن الأهل والأقارب منتظرة مستقبلا مشكوك في أمره. فحاولت الحياة في محيط لا يختلف كثيرا عن قدرها المكتوب. في تموز من عام ١٩٤١ تركت العائلة نيقوسيا بسبب ضيق اليد. تميزت هذه الفترة من الأزمة العالمية بارتفاع هائل ومتنامي للأسعار خاصة تلك المرتبطة بالمنتجات الغذائية الأساسية. جراء ذلك كانت العائلة البطريركية تتناسى الأمرين للوصول إلى نهاية الشهر ضمن تخصيصاتها الشهرية. الباونات الخمسون التي كانت تستلمها سوريا أصبحت غير كافية للحياة في العاصمة نيقوسيا. لذا بدأ البحث عن حل بديل لم يتوفر إلا بالانتقال من العاصمة إلى منطقة نائية شبه منسية. فاتجهت إلى ميرتو Myrtou ، وهي قرية تقع شمالي شرقي جزيرة قبرص. تجمع أعضاء العائلة في بنغلتين (البنغلة مسكن من طابق واحد مشيد على الأغلب من صفائح معدنية أو ألواح خشبية ويكون عادة غير ثابت وسهل النقل عند الحاجة —المترجم) بدائيتين. لا تأسيسات صحية فيهما بهذا تحققت العزلة التامة لهذه العائلة.

ميرتو قرية مسيحية تقع في منطقة / Kyrenia كيرينيا. اسمها مشتق من المفردة "ميرت" التي تعني نبات الآس المعروف بأنه شجيرة عطرة دائمة الخضرة أوراقها مجدولة عند الحوافي ولونها يميل إلى اللون الأخضر الداكن، عكس أزهارها البيضاء. سابقا كان المطرابوليط الجالس على كرسي كيرينيا هو الذي يدير هذه القرية. قام المطرابوليط ببيع بعض القطع من الأراضي بغية زيادة عدد السكان. في عام ١٨٨١ كان عدد سكان ميرتو (٢٨٠) نسمة فقط. عشية الحرب العالمية الثانية كان عدد السكان قد تضاعف. بذلك عادت العائلة البطريركية تعيش حياتها مرة ثانية بين الفلاحين والمزارعين ومربي الحيوانات من ماشية وأبقار. النمو السكاني في القرية أدى إلى جذب بعض الباعة من أصحاب الدكاكين الصغيرة وبعض الحرفيين. كان للمطران اليوناني الأرثوذكسي مبنى خاص في القرية

ليقيم فيه. تمكنت العائلة البطريركية مواصلة الحياة في ميرتو والمقاومة بفضل المعونة التي كانت تصلها مرتب شهري خصص لسورما. أيام النفي عززت الإرادة وشجعت على الإحتفاظ بالهوية القومية وتنمية المعارف. قامت سورما بتعليم أبناء وبنات أخويها مبتدئة أولا بقراءة وكتابة اللغة السريانية. ساعدها في مشروعها ذاك كتب تعليم اللغة السريانية من تأليف الكاهن الشهير "قاشا قلبنا". ولد الأب قلبنا في قرية مار بيشو، وهي قرية من قرى تيركافار وتقع قرب الحدود الإيرانية التركية. واكب الشعب الآشوري في مسيرته الشاقة وبقي مرافقا له حتى وافته المنية في ٢٥/٢/١٩٥٢ وله من العمر ٨٢ عاما. واقعيا كان الأب يوسف قلبنا معلما من الطراز الأول وكاتبا شهيرا بينما كانت الكنيسة الآشورية لاجئة في مدينة الموصل. هناك أسس مطبعة. في عام ١٩٢٨ أصدر كتابا طقسيا كاملا سماه "كتاب الصلوات الطقسية للكنيسة الآشورية"، الذي أصبح فيما بعد الكتاب المنهجي الوحيد الذي نشرته الكنيسة. في عام ١٩٢٩ أصدر كتابا لتعليم قواعد اللغة الآرامية باللغة السريانية. أدّى هذا الكتاب خدمات جليلة. استعملت سورما هذا الكتاب لتعليم اللغة للأطفال. إنها بذلت قصارى جهدها في تربية أبناء وبنات العائلة. بسبب غياب البطريرك كانت تعتبر سورما رئيسة للعائلة إضافة لكونها حامية للوحدة والجذور. بقيت تعيش مع أعضاء العائلة وفق التقويم الكنسي. كان الأب قاشا اسحق يقيم الإحتفالات الدينية بانتظام ووفقها وضعت أسس الحياة اليومية، مثل الأعياد بمختلف أنواعها ومناسباتها وكذلك مواعيد الصوم وأيامها. تمّ الإلتزام بكل ذلك بدقة وحرص شديد. لولا التطبيق الدقيق لهذا النموذج من الحياة، لما استطاعت هذه العائلة الإستمرار في الحياة في ظروف شاذة كالظروف التي عاشتها. عاشت سورما في قرية ميرتو حياة تقوى، غارقة بكل لذة ورضا بين كتبها التي جلبتها من اوربا. أخذت تراجع ما نقلته تلك الكتب من أفكار تيودورس المصيصي[٢٢٨]، فتدرسها بتعمق وروية... تعتبر كنيسة المشرق تيودورس المصيصي معلمها الكبير بخصوص الكتاب المقدس من الناحية الطقسية وإليه تعود الأنافورة الثانية المعروفة بـ "قوداشا تريانا"، أي أسلوب إقامة الذبيحة الإلهية طقسيا. يتبع هذا الأسلوب في إقامة القداس من الأحد الأول من السوبار (الإنتظار) - وهي فترة تسبق عيد الميلاد بأربعة أسابيع - إلى أحد السعانين "داخل" ولد تيودورس المصيصي عام ٣٥٢ م. في أنطاكية. رُسم مطرانا لمصيصة الواقعة في منطقة سيليسي التركية غير البعيدة عن "تارز" عام ٣٩٢. كان هذه المعلم العلم وجها مهما من وجوه معلمي المدرسة اللاهوتية الأنطاكية. مهامه كمطران مكنته لترأس المجامع وإجراء المناقشات مع الهراطقة والأشراف على الإنتخابات وحلقات تفسير الإنجيل وحملات نشره وتعليمه. لم يكن يعرف تيودورس معنى للتعب. بقي يؤلف الكتب الواحد بعد الآخر. توفي عام ٤٢٨ وقبل أن تصبح تعاليمه موضوع شكوك وانتقاد. خلال حياته، كان يُنظر إليه كأقوى مدافع عن الأرثوذكسية وألد أعداء الآريوسية l'arianisme (مذهب آريوس الذي ينكر وحدة جوهر الأقانيم الثلاثة وينكر بالتالي

الوهية المسيح- المترجم) والابولينارية appolinarisme مذهب له علاقة بالمونوفيزية التي تناقش طبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية مؤسسه ابوليناريس توفي عام ٣٩٠م والبيلاجيانية pélagianisme مذهب لهرطقة تنكر الخطيئة الأصلية وتنادي بحرية الإرادة التامة مؤسسه بيلاجيوس- ٣٥٤ إلى ٤٢٠م). لم تدم شهرة تيودورس المصيصي طويلا ، ذلك لأن نسطورس طالبه الذكي ،والذي جلس على الكرسي البطريركي في القسطنطينية، عمل برفقته في إذكاء نقاشات معقدة موضوعها المسيحانية (علوم تبحث في المسيح وطبيعتيه وأقنومه -المترجم). في العام ٤٣١ أدان مجمع أفسس نسطوروس وعزله عن كرسيّه. بعد مرور ١٢٥ عامًا على وفاة تيودورس أدينت تعاليمه وحرمت. عند بداية القرن العشرين، عثر على بعض من كتابات تيودورس. قام المختصون بإعادة دراستها لفهم أفكار تيودورس بشكل جيد. في العام ١٩٠٥ . نشر رئيس أساقفة سعرت الكلداني " أدي شير " النص الكامل للمقالة التي تبحث في عقيدة التجسد المكتوبة باللغة السريانية. بعد أدي شير كان الدور ل " الفونس منكنا " الذي إكتشف في عام ١٩٣٢ نصًا سريانيا هو عبارة عن موعظة وتعليم ديني مكتوب في مخطوطة تعود إلى القرن السادس عشر.

إهتمت سورما بهذا المعلم الكنسي وببحوثه اللاهوتية الحديثة بينما كانت كنيسة المشرق تعاني الفرقة والضعف. بعد تعمقها في الدراسة لمحت بصيص أمل يظهر في الأفق فركزت الإهتمام على مختلف ما نشره منكنا حيث إنه لم يُحدد نفسه بنصّ واحد لتيودورس المصيصي. ولد منكنا في اليوم الثالث والعشرين من كانون الأول عام ١٨٧٨ في إحدى القرى القريبة من الموصل. إسمه الحقيقي هو " هرمز منكنا، ترعرع في أحضان عائلة كلدانية كبيرة قبل دخوله كطالب في معهد مار يوحنا الحبيب للآباء الدومنيكان في الموصل. في عام ١٩٠٢ رسم كاهنا باسم الفونس وبعد دراسة مستفيضة للعلوم واللغات الشرقية واللاتينية والفرنسية. بعد رسامته قام بتدريس اللغة السريانية في نفس المعهد سنين عديدة. في العام ١٩١٣ ترك كنيسته بعد موجة من القيل والقال. على أثر ذلك الحدث المهم في حياة الفونس منكنا غادر إلى إنكلترا. هناك وجد له منزلا جديدا يحتمي به وزوجة مخلصة تساعده فعمل في مانشستر في مكتبة John Rylands عمله في المكتبة تحدّد بالحفاظ على المخطوطات الشرقية. بقي منكنا في عمله ذاك حتى عام ١٩٣٢ . في عام ١٩٢٠ حصل ألفونس على الجنسية البريطانية. بناء على مبادرة طرحتها كلية Selly Oak في بيرمنكهام تمكن من القيام بعدة سفرات إلى الأقطار الشرقية، عاد بعدها محملا بعدد كبير من المخطوطات [٢٢٩] . بين العامين ١٩٣٢ وتاريخ وفاته أي ١٩٣٧/١٢/٢٢، راجع قسمًا كبيرًا من مخطوطاته ونظمها في فهرس مستقل كبير نشر منها جزئيين ضخمين.

عدا ذلك، كتب منكنا مقالات عديدة [٢٣٠]. كان لمقالات منكنا صدى عميق في اهتمامات الأوساط الغربية من الأكاديميين المعنيين بهذا الميدان من العلوم.لذلك أصبح للدراسات الخاصة بكنيسة

المشرق قسما مستقلا يدرس على المستوى الجامعي ذا قيمة وأهمية مما أدّى إلى تطويره بفضل الدفع الذي حققه منكنا. ابتهجت سورما بكل تلك المعلومات التي اطلعت عليها.

مناقشات لندنية حول مصير العائلة البطريركية الكانون دوكلاس الرجل الرجل (٢٣١)

(الكانون، درجة لرجل الدين في الكنيسة الأنكليكانية)

في حزيران عام ١٩٤٢ ملأ الحزن نفس مار شمعون إيشاي بسبب القلق الذي راوده لسوء الحالة المعاشية لعائلته. بعد تخلي اللورد "لانغ" عن منصبه كرئيس لأساقفة كنتربري لكبر سنه وتقاعده. أرسل مار شمعون إيشاي برقية إلى رئيس الأساقفة الجديد السير "وليم تامبل"، الإبن الثاني لفريدريك تامبل الذي سبق أن كان رئيسا للأساقفة عام ١٨٩٧. كان فريدريك شخصية مسكونية شهيرة. التقى وليم رئيس الأساقفة الجديد، بعد تسلمه منصبه بكل ثقله على قضية الآشوريين، فجمع حوله المستشارين الأكفاء مثل "الكانون دكلاس" الذي كان يشغل منصب السكرتير العام الدائم لمجلس كنيسة إنكلترا / Church of England Council/ للعلاقات الخارجية. كان الكانون دوكلاس شخصية ذكية ومؤثرة وذات خبرة في اللعبات السياسية ودهاليزها، الصالحة للإستخدام مع الجهات المعنية ووفقا للظروف. اي وزارة المستعمرات والخارجية البريطانية من جهة وزملائه الأنكليكان من جهة ثانية. موقع الكانون دوكلاس الرسمي سمح له إخذ المبادرات، في الثاني من أيار عام ١٩٤٢ التقى الكانون دوكلاس صدفة بـ "الكانون دون/ "Don وبإثنين من موظفي الخارجية البريطانية. أثناء اللقاء قام دوكلاس بشرح موقف الآشوريين من بريطانيا من ناحية وموقفهم من جيرانهم الذين يعيشون في كنفهم من ناحية ثانية فقال: "يعتبر الآشوريون في العالم العربي الذي يعيشون فيه، جماعة منحازة إلى البريطانيين. نظرا للعلاقة الوثيقة المفترضة القائمة بين الطرفين والتي كان يظن أن سببها تطابق المصالح، لذا يجب الحذر منهم واتخاذ الإحتياطات تجاه مخططاتهم. بعد ذلك أضاف،أنه كان على قناعة تامة أنّ مستقبل كنيسة المشرق سيتأسس في الولايات المتحدة بسبب وجود الجالية الآشورية الكبيرة التابعة لهذه الكنيسة هناك. علاوة على ما تقدم، هناك الكنيسة الأسقفية الأميريكية التي بإمكانها أن تقدم لهم مساعدة مهمة وفعالة. علما أنّ عدد الآشوريين يُقدّر بثلاثين ألف آشوري يعيشون في الشتات منتشرين ما بين روسيا وبلاد فارس. كما هناك عدد منهم في العراق يُقدر عددهم ما بين ١٥ إلى ٢٠ ألف وما بين ١٠ إلى ١٥ ألف يعيشون في منطقة الخابور السورية". بعد ذلك أنتقل بالحديث إلى الموضوع المعقد أي قضية العائلة البطريركية فقال: "إنه يرى أن من الأصلح العمل على نقلها إلى

الولايات المتحدة لأن في ذلك سيكون الحلّ النهائي للمعضلة بكاملها "؟ هنا علينا التذكير بأن هذا الرأي لم يكن رأي جميع الأنكليكان خاصة أولئك الذين لهم علاقة بالآشوريين منذ زمان قديم كالراعي ويكرام وهيزل وغيرهم، الذين كانوا لا يرضون باقتلاع هذه الكنيسة العريقة ذات التاريخ القديم الذي يطول عشرين قرنا، من جذورها ومن تربتها الأصلية. ويكرام لم يقطع الأمل في إيجاد ملجأ للعائلة البطريكية تحتمي فيه من عاديات الزمان. شعور ويكرام كان يعتمد على إحساسات قومية، رغم أن الأوضاع الحالية (آنذاك) تشير إلى أن الزمن صعب وأن زمن نظام العشيرت قد ولّى وإلى غير رجعة.

في السابع والعشرين من حزيران عام ١٩٤٢ إتصل الكانون دوكلاس بدوائر وزارة المستعمرات. في السابع من تموز من نفس العام دعم رئيس أساقفة كنتربري ما جاء في إتصال دوكلاس وإجراءاته. رغم ما ظهر من معوّقات أمام نقل عائلة البطريرك المحتمل إلى الولايات المتحدة. دوائر الوزارات المعنية وجدت الفكرة مقبولة ومثيرة للإهتمام. الكانون دوكلاس كان هدفه إعادة بناء علاقات الثقة بين الكنيسة الأنكليكانية والمؤسسات الحكومية التي سبق أن ساءت على أثر مذابح عام ١٩٣٣. إنه قد حاول بذلك تسوية الخلافات في وجهات النظر القائمة بينه وبين بعض من زملائه. جهود دوكلاس وفقت بنجاح.

في الحادي والعشرين من أيلول عام ١٩٤٢ قابل دوكلاس كل من الراعي ويكرام والكانون هيزل والكانون دون. بعد المقابلة صدرت مذكرة مشتركة تتكون من خمس نقاط بها يبيّنون لرئيس الأساقفة "وليم تامبل" كيف يجب أن يكون التصرف تجاه الآشوريين. في ١٩٤٢/٩/٢٥ كرر الكانون دوكلاس الكتابة إلى دوائر الوزارات المعنية (المستعمرات والخارجية البريطانية) مؤكدًا موافقة الراعي "ويكرام" والكانون "هيزل" على الخطوات التي ستتبع من الآن فصاعدا لتحقيق مشروعه، أي إيجاد وطن دائم للآشوريين والذي أسسه النهائية تمّ وضعها.

بهذا المشروع إفترضت الكنيسة الأنكليكانية أنّها تستطيع طمأنة السلطات البريطانية عن النوايا الحقيقية التي تبغيها من المشروع. تعاون دوكلاس تعاونا وثيقا مع الدوائر المعنية واستطاع دفع وجهة نظره الشخصية إلى الأمام فاقترح قائلا: "إنه ليس من المحبذ أن يعود مار إيشاي شمعون إلى العراق أو سوريا". أبلغ دوكلاس وجهة نظره تلك أعتمادًا على رأي مفاده أن هناك ضرورة لمرور وقت كاف على أحداث الماضي ليكون لدينا برهانا ثابتا لنسيانها تمامًا. إضافة لذلك قدم دوكلاس نسخة من مشروعه إلى الخارجية البريطانية. الخارجية البريطانية أعطت رأيها بخصوص المشروع في ١٩٤٢/١٠/٣. الخارجية لم تستثنِ إمكانية تجميع أعضاء العائلة البطريركية في الولايات المتحدة الأميريكية شرط أن يتم ذلك في وقت مناسب ودون مبادرة من قبلها أي أنّ على مار شمعون أن يتحرك بهذا الإتجاه. بعد ذلك بدأ دوكلاس يعالج الموضوع الشائك في هذه القضية وهو توفير المصادر

المالية اللازمة للعائلة. إنه قد أوضح جليا أنه سيكون من المؤسف حقا إذا ما تركت هذه العائلة دون دعم أو مساعدة. إنه توقع أن الكنيسة الأنكليكانية سوف تضمن دفع راتب شهري مقداره ٥٠ باونا وبصورة مستمرة وحتى إن تنتهي التخصيصات المقررة لغاية عام ١٩٤٢ . رأي دوائر وزارة المستعمرات: " أنها لا ترى في هذا الحل نقطة مركزية لأيّ فائدة مرجوة، أما ما يتعلق بموضوع المسؤوليات المحتملة فهذا شأن يخص الخارجية البريطانية.

لقد حاولت الوزارات البريطانية المختلفة دوما إلقاء الكرة في ملعب جهات أخرى أو أقله تأجيل الإجراء اللازم إتخاذه إلى مواعيد متباعدة. عدا ذلك إنّها قد عارضت موضوع نقل العائلة إلى الولايات المتحدة حيث كانت إجاباتها قليلة التشجيع. أصدقاء آخرون لمار شمعون تدخلوا في الموضوع بصورة عرضية. من أولئك الأصدقاء نذكر السيدة "موس" التي استجوبت حاكم قبرص عن الموضوع مباشرة عندما كان في زيارة لبريطانيا يوم السادس والعشرين من شباط عام ١٩٤٣ . كما أنها ناقشت الموضوع أيضًا مع الميجر رينتون الذي أيد المشروع كما دعم الطلب الذي قدمه تيودور أخو مار شمعون عارضا خدماته في القوات المسلحة.

بقي مصير عائلة البطريرك ومستقبل الآشوريين تتقاذفها آراء المعنين آنذاك لكن دوما بعيدا عن رغبات ذوي الشأن (الآشوريين وأفراد العائلة البطريركية). إجراءات الكانون دوكلاس وجهوده وإن كانت بدوافع خاصة، إنها بقيت تهدف الدفاع عن أفراد إعتياديين لا عن شعب كامل. إستراتيجيته تركزت على طمأنة الحكومة البريطانية تجاه نياته التي كانت تهدف أخيرا إلى التخلي عن كل المطالبات المتعلقة بأراض إقليمية أو تلك التي لها أهداف سياسية. طرح دوكلاس قضية الآشوريين ومصير عائلة البطريرك على بساط البحث بدافع إنساني لا غير. إنّ المداخلات المنتظمة التي حصلت على القضية الآشورية وملفها الضخم هي التي مكنت من الحفاظ على القضية حية. لولا ذلك لكان حظها الإستقرار على الرفوف العالية منسية ودون متابعة لولا الدعم الخارجي الذي حظي به المعنيون بها (الآشوريون) لتبخرت المطالبات بين دهاليز دوائر الإدارة.

تحريات على أرض الواقع

جوابا على أسئلة الكنيسة الأنكليكانية، ودعما لرأي وزارة المستعمرات، أعلنت هذه الوزارة على لسان ممثلها Sir Bsttershill أنها طلبت من دوائرها المعنية تهيئة وتقديم كل الوثائق الخاصة بعائلة البطريرك ونشاطاتها كما تمّ تهيئة تحقيقين موقعيين أجريا في قبرص ودون كشف عن النيات الحقيقية لذلك الإجراء. التحقيقان رسما خطا بيانيا واضحا يعكس الواقع الفعلي لحياة عائلة مار شمعون والمصادر المالية اللازمة لمعيشتها في ميرتو. لقد كان التحقيقان الإجابة الأولى لدوائر قبرص البريطانية على استفسارات وزارة المستعمرات وكان ذلك في ٢٤/٨/١٩٤٢ الإجابة كانت بصيغة

وثيقة ذكرت فيها أنّ ٢١ شخصًا يعيشون في حياة مشتركة قوامهم عـائلتان ترأسهما الليدي سورما وعمرها ٦٠ عاما وحسب التفصيل التالية:

"تتكوّن العـائلة الأولى وسمّيت في التقرير بعـائلة داوود (عمره ٥٥ عامًا وهو أخو الليدي سورما) وتتألف من زوجة اسمها استير وعمرها ٥٠ وأولادهم: تيودور وعمره ٣٣ عامًا، روبنا ٢٨ عـامًا، هيلين ٢٦ عـامًا، سركون ٢٣ عامًا، بلاريم ١٨ عـامًا، وردية ١٥ عامًا وسرجينا ١٠ سنوات. أما الثانية فكانت عائلة زيا وعمره ٥٠ عامًا أخو ثاني لسورما فتتكون من زوجته إيليشوا وعمرها ٤٠ عامًا وأولادهم "بول وعمره ٢١ عامًا، إيشعيا ١٨ عـامًا، فيرجينيا ١٥ عامًا جورج ١٢ عـامًا، مرسينا ٩ سنوات، صوفيا ٨ سنوات وأخيرا صولطي ٥ سنوات. يعيش معهم أيضًا يوسف ملك إسماعيل وعمره ١٨ عامًا وهو إبن رومي أخت سورما، كانت تقيم في سوريا وتوفيت هناك منذ زمن. ويوجد أيضًا مع كل هؤلاء الكاهن "قاشا اسحق ريحانا" وعمره ٣٥ عامًا، ويقوم بواجبات الكاهن الخاص بالعائلة. تعيش هاتان العائلتان حاليا في ميرتو باستثناء سركون الذي يعمل برتبة ضابط في الجيش. يعيش سركون حياة شبه مستقلة معتمدا على راتبه، لكنه لا يستطيع تقديم أيّ مساعدة مالية للآخرين. من أبناء العائلة روبنا تعمل في مدرسة فيكتوريا للبنات وهي في إنتظار الألتحاق بوظيفة في بور سعيد. جاء في التحقيق أيضًا أن إيشعيا عمل فترة كمساعد مراقب طرق لكن حاليا هو عاطل عن العمل وتيودور عمل في إحدى الدوائر وحاليا هو الآخر عاطل عن العمل. أما بول فيتوقع التمكن من الإلتحاق بتنظيم الليفي، لكنه حتى الآن لم يصله أيّ جواب على طلبه من الدوائر العسكرية. ما يخص الناحية المالية، تستلم العائلة مبلغا قدره ٥٠ باونا من صندوق خاص يديره كانون هيزل في Croydon، يوزع هذا المبلغ على الجميع وفق حاجات كل واحد. من حين لآخر يرسل البطريرك مار شمعون بعض المساعدات المالية الإضافية. قبل الحرب أرسل مبلغ ٢٠٠ باونا تمّ إيداعها كوديعة في بنك باركلي يستعان به لتغطية الإنفاقات غير المتوقعة. حاليا لا يزال على هذا الحساب مبلغ قدره ١١٠ باونات لا زالت باقية كوديعة. قبل فترة وجيزة ورد مبلغ قدره ٤٠ باونا أضيف إلى الوديعة. بعد هذا التحقيق المفصّل تبين للمحقق الضيق الذي تعيشه العائلة والظروف المأساوية التي تمر بها وهذا ما يبعث إلى تخوّفات كبيرة على المستقبل الذي ينتظره هذا الجمع الصغير. العائلتان أكدتا أنّ إرتفاع الأسعار ضاعف من ضيق الوضع الأقتصادي للعائلتين وصعوبة استمرارية الحياة. الصرف تحدد حاليا لشراء الحاجيات الضرورية فقط من غذاء وملابس متوفرة في ميرتو. أمّا الأدوية فمشكلتها أكثر إزعاجا ومقلقة لعدم إمكانية شرائها خاصة لأن الوضع الصحي لداوود غير مريح، إنه يشعر بالتعب الدائم وإنه شبه معوّق. صولطي دخلت المشفى لفترة، حاليا تقضي فترة نقاهة. ما يخص أموالهم وممتلكاتهم، فقد ذكر التحقيق أنّ هاتين العائلتين أجرتا بنغلتين صغيرتين لا تتوفر فيهما الراحة الضرورية وغير مناسبتين للحاجة الفعلية لسكانهما. الحياة فيها

في فصل الشتاء متعبة وصعبة أما في الصيف فالوضع قابل للتحمل. الكل يأمل التوفق في العثور على مسكن في نيقوسيا (نيقوسي) في الشتاء القادم يكون إيجاره أقل.

أخيرا عالج التحقيق موضوع الأوراق الثبوتية الرسمية فقال: " ١٢ شخصًا من هذا الجمع الصغير وبضمنهم سورما حائزون على الجنسية البريطانية، روانا تحمل جوازا فلسطينيا. قاشا اسحق يحمل جوازًا عراقيًا إنتهى مفعوله. يوسف يحمل جواز مرور/ Laissez passer سوري، الباقون لا زالوا بلا جنسية (مشردين)".

ختم Sir Woolley حاكم قبرص التحقيق الأول قائلا: "جميعهم أشخاص محترمون، غير إعتدائيين وكما هو معلوم لديكم، إنهم لم يسببوا لنا أيّ مشاكل أو إزعاجات "[٢٣٢].

يوم السادس عشر من شباط عام ١٩٣٤ [٢٣٣]، قامت الدوائر الإنكليزية في كيرينيا بإجراء تحقيق ثاني، جاء في خلاصته، استنتاجا لبعض التفاصيل التكميلية الخاصة بشؤون المدرسة ومواظبة الأطفال عليها وكذلك التكاليف المعاشية الحقيقية في ميرتو لشهر شباط ١٩٤٣ ما جاء في التقرير الثاني: "عدد الموجودين (٢٠) شخصا. روانا غادرت إلى بور سعيد للعمل كمعلمة. بين الذكور فقط سركون و إشعيا استطاعا الأنخرط في صفوف العسكريين، بينما بولس وتيادور لا زالا ينتظران الجواب على طلبهما. بلاريم ووردیا وفيرجينيا لا زلن طالبات في المدرسة الأميريكية في نيقوسيا بينما جورج ويوسف لا زالا طالبين في المدرسة الإنكليزية في كيرينيا. اجور الدراسة تبلغ ١١٥ باونا سنويا. هذا المبلغ يمثل أجور التسجيل والدراسة الداخلية هذا باستثناء أثمان الكتب والمستلزمات القرطاسية. بخصوص مارسينا وصوفيا وسرجينا، فهنّ طالبات في المدرسة الابتدائية في ميرتو. من هذا يتضح أن عدد الأشخاص الباقين على المساعدة الشهرية مباشرة هو ١٨ شخصا. أضاف التقرير بعد ذلك، إنّ بولس وتيودور يتوقعان الحصول على وظيفة دائمة قريبا. بولس سبق أن اشتغل كعامل فترة ما. إيجار البيتن هو ٦٦ باونا سنويا. هذا المبلغ لم يكن يتضمن المبالغ اللازمة للطعام والملابس وغير ذلك من المصاريف اليومية. لما سأل المحقق الليدي سورما عن دخل العائلة، كررت أقوالها السابقة مؤكدة أن هناك مبلغا قدره خمسون باونا شهريا يردها من لندن بواسطة البنك العثماني. ثم أضافت أن هذا المبلغ سيتوقف دفعه بنهاية عام ,١٩٤٤ نظرا لنفاذ التخصيصات. أقوال سورما أيدها رئيس أساقفة كنتربري للخارجية البريطانية ولوزارة المستعمرات ولحاكم قبرص. كذلك أضافت سورما قائلة إنّ هناك بعض المبالغ قد تصلها بالصدفة يرسلها البطريرك أو بعض الأقرباء. حاليًا الجميع في وضع لا يُحسدون عليه، وأن هناك مبلغ قدره ١٥ باونا يصلها مرة كل ستة أشهر من صندوق خيري اسمه William Henry Brown Trust هذا المبلغ هو جزء من فوائد سنوية مجموعها ٣٠ باونا. لما سأل المحقق عن التكاليف المعاشية بصورة عامة، أجابت: "إن التكاليف قد ارتفعت جدا وخاصة منها تكاليف الأغذية الأساسية. حاليا

(آنذاك) التخصيصات المتوفرة صرفت لشراء الملابس والجزم اللازمة لفصل الشتاء القادم وأقدر أن الحاجة الشهرية هي بحدود المائة باونا بذلك سيمكننا تجاوز العوز والإستدانة.

في نهاية لقاء التحقيق، بين كاتب التقرير (حاكم قبرص) لليدي سورما أنّ حكومة قبرص ليست مهيئة لتخصيص أيّ مبلغ لتغطية النفقات اللازمة للعائلتين. فأجابت سورما أنها تفهم جيدا الصعوبات التي تواجهه وأنها لا تريد أن تخلق له متاعب إضافية، رغم أن الواقع الحالي يؤكد عظم الصعوبات التي يواجهها هذا الجمع الصغير من المنفيين لإنهاء الشهر دون استدانة أو ضيق مالي يفرض ضغطًا إضافيًا على الغذاء. المفروض، كان على الحكومة البريطانية التي أخذت على عاتقها مسؤولية جلب هذه العائلة منفية إلى قبرص أن تحسب حساباتها جيدا وتبحث عن الحلول العملية لكل هذه المشاكل مسبقا. وأن عليها أن لا ترضى أبدًا أن ترى هذه العائلة في وضع مخز كهذا دون أن تتخذ الإجراءات اللازمة لمعالجتها. من أقوال سورما وإجاباتها نستنتج نوعا من التورية التي تعني الهدوء الحكيم والمحاججة والنقد القاسي للموقف البريطاني الذي يريد حجب المساعدة المالية اللازمة التي تضمن لأبناء وبنات أخويها دراسة منتظمة تفي بالمرام.

أنهى المحقق تحقيقه مستنتجا أن الخمسين باونًا التي تستلمها سورما كانت مبلغا غير كاف لتغطية النفقات الشهرية من إيجار وطعام وأجور دراسة وملابس لعائلة عدد نفوسها (١٨) شخصا. أخيرا تساءل إذا ما كان في الإمكان زيادة التخصيصات الشهرية بمقدار ٢٠ - ٣٠ باونًا إسترلينيًا، ذلك سيكون حلا مناسبا وواقعيا.

موازنة محزنة

وجه مار إيشاي شمعون يوم ١٩/٦/١٩٤٣ رسالة طويلة إلى رئيس أساقفة كنتربري وليم تامبل الذي كان قد استلم مهام منصبه حديثا. في الرسالة أدرج البطريرك بدقة متناهية وجهة نظره بخصوص أوضاع شعبه الآشوري إبتداء من الماضي البعيد وحتى المستقبل القريب. إنه لم يخف مسؤولية هؤلاء أو أولئك، كما ذكر بالوعود المقطوعة من قبل حكومات ممثلة برجالاتها وموفديها والتي لم يتمّ ايفاؤها. الحلفاء مسؤولون جميعا عن الإخلاف بالوعود بصورة عامة وحكومة صاحبة الجلالة خاصة. إنه كتب يقول: "إني بهذا أكرر ما سبق لي أن أكدته كتابة لمن سبق سيادتكم أي رئيس الأساقفة اللورد "لانغ". إنّ من أعطى الأمر لدعوتي للمجيء إلى بغداد والحضور أمام المسؤولين العراقيين للتحقيق معي ومن ثمّ إصدار أمر توقيفي وأخيرا طردي من العراق وتنفيذ ذلك هي السلطات البريطانية، بمشورتها وتوجيهاتها تصرف العراقيون. دور العراقيين أنحصر في التنفيذ ليس إلا (...) خلال المذابح التي جرت في آب ١٩٣٣ تمّ تجريدي من الجنسية العراقية ونفي من العراق دون محاكمة عادلة علنية (...) في العام ١٩٣٧ أغلقت عصبة الأمم ملف القضية الآشورية

بعد أن غسلت الأيدي وتخلت عن مسؤوليتها التاريخية. حصل ذلك أيضًا بموافقة الحكومة البريطانية.

لم يتردد مار شمعون في التصريح أن حضوره في عصبة الأمم كان حضورا يُفتخر به، لأنه قام بنشاط جدي أثبت مسؤولية الحكومتين البريطانية والعراقية عن المذابح المنفذة بحق الآشوريين عام ١٩٣٣ .عدا ذلك أكد أنه غير متأسف على أيّ عمل قام به. على العكس أن كل ما حققه كان واجبا عليه القيام به وتأديته على أكمل وجه. بعد هذا العرض التاريخي المفصل، قال: " أجد نفسي مضطرًا لأتحدث عن الأوضاع المعاشية الخاصة بأفراد أسرتي المنفيين إلى قبرص وبي أيضًا أنا شخصياً، بموجب البلاغ المعلن والتصريحات الإنكليزية الرسمية كان النفي مؤقتا وعلى مسؤولية الحكومة البريطانية بالذات" ، في أدناه يجد القارئ الكريم نص الرسالة: " السماح بالبحث عن عمل خارج قبرص ممنوع علينا، الحالة الإستثنائية الوحيدة حصلت لأختي روينا التي كان بحوزتها جواز فلسطيني. (...) أعضاء أسرتي غرباء في بلد غريب. إنهم العائلة الوحيدة التي تعيش في الجزيرة تحت تسمية "لاجئون سياسيون" بينما حقيقتهم هم كبش فداء للسياسة العراقية، وضحية لخيبة أمل، أثبتت الوقائع صحة ما أقول بتتابع مراحل تنفيذ المخطط ونسقه. عائلتي اليوم مقطوعة عن الأهل والأقرباء والأصدقاء ومن دون أن يُوفر لهم أو يطرح أمامهم مشروع واقعي يهتم بمستقبلهم " (٢٣٤) .

أخيرا إقترح بعض الحلول التي قد تساعد على إزالة العقبات التي تعترض المسيرة وتحسين الأوضاع. منها أولا وقبل كل شيء وحسب وجهة نظره أنها ضرورية جدا، توفير مبلغ (٢٠٠٠) باونا ووضعه تحت تصرف عائلته كيما ما تستطيع بواسطته الإنتقال والسكن في سوريا أو العراق. هذا الطلب يوضح لنا أنّ التوطن في أراض شرقية (قريبة من حكاري) لا زال هدفا يرغب الوصول إليه وحلما يأمل تحققه. في حالة عدم توفر الإمكانية لهذا الحلّ، هناك بديل، ذلك هو التوطين في الولايات المتحدة الأميريكية. كان مار شمعون يتوقع أن أحد هذين الإقتراحين يمكن تحقيقهما. هدف البطريرك من الرسالة هو التمكن من إعلان نص الرسالة لأبناء الشعب الآشوري وهذا ما كان يتطابق مع رأي سورما نفسها. في حالة فقدان كل أمل في الإستجابة لطلبه نرى مار إيشاي شمعون يعبر عن إحساساته بخيبة الأمل ومرارة الحياة التي يعيشها الآشوريون وأبناء عائلته على حد سواء كما صوّر المعاناة والشقاء والمصائب التي حلت بالآشوريين خلال السنوات الأخيرة؛ حاليا إهتمامه انحصر في إستثمار إرث الأجداد الثقافي والتاريخي ونقله إلى الأجيال الناشئة للحفاظ عليه وتطويره. هذا الإهتمام كان الهدف السامي الذي وضعته العائلة أمام أنظارها ذلك بسبب أنقطاع تواصلها مع أبناء الشعب الآشوري عامة والأهل والأقارب خاصة. النفي والأبعاد كانا يشكلان خطرا فعالا لفقدان الهوية. لكن ولحسن الحظ وجود سورما بين أبناء العائلة كان العامل

الإيجابي لا بل الحجر الأساس لتربية أبناء وبنات العائلة تربية قومية صحيحة بواسطتها سينمون أجيالا جديدة ويكونون معلمين ومربين لأولادهم وبناتهم مستقبلا، وكذلك أولئك الذين سيعايشونهم. استطاعت سورما تحقيق التربية التي تراها لازمة بإنكبابها الجدي وبعزيمة مستمرة ومن دون كلل أو ملل وحتى عندما كان يكلفها ذلك التضحيات الجسام طالما كان مبدأها: " القومية والعلم قبل كل شيء " .

كانت كنيسة المشرق موجودة سابقًا في قبرص

عند نهاية الحرب العالمية الثانية، وبينما كانت سورما تتجول يوما في أطراف ميرتو ومعها إبن أخيها جورج وإبنة أخيها ميرسينا، اكتشفت أن هناك دير مهجور يقع بالقرب من ضيعة صغيرة تسمّى Margh. كان يحتمي بمبنى هذا الدير شيخ نالت منه الأيام، لما وصلوا إليه لاحظوا بقربه بعض الشباب، سلمت سورما على الشيخ باللغة الإنكليزية. الشباب الموجودون قرب الشيخ ردوا التحية بلكنة ولهجة غريبة لم تكن قد سمعتها من قبل في قبرص.، لكن رغم ذلك إستطاعت أن تتبين فورا بعض المفردات السريانية المشوّهة. أشرق وجه سورما، انتبه الشيخ لدهشتها، ثم أخذت تحدثه باللغة السريانية من مجرى الحديث، إزداد إهتمام سورما بالموضوع وجذب فضوليتها إلى مزيد من التحقيق والبحث. استرسلت في مخاطبة الشيخ، فعلمت أنه أصلا من قرية Kormakitis ومن أبناء الكنيسة المارونية التي كانت كنيسة مزدهرة في غابر الأيام [٢٣٥]. إضاف الشيخ بعد ذلك يقول: "يُعرف هذا الدير باسم " العذراء القديسة" وكان يسكنه في غابر الزمان بعض الرهبان" . بعد لقاء الشيخ والتحدث إليه، قررت سورما الذهاب إلى قرية الشيخ "كورماكيتيس" التي يشبه إسمها إسم قرية كور اللبنانية الواقعة في منطقة البترون في الشمال اللبناني. منذ قرون مضت، جاء الموارنة اللبنانيون إلى قبرص وسكنوها. إنهم بقوا محافظين على لغة الأم رغم تأثير اللغة المحلية التي كثيرا ما شوّهت المفردات. تاريخ هذه الجماعات اللبنانية كثير الصلة بتاريخ الكلدو آشوريين. كان من بين اللبنانيين الوافدين زاهد من تلاميذ مار مارون توفي عام ٤١٠ م. اشتهر هذا الراهب بقداسة وروحانية إنجذبت إليها الجماهير. في البداية أختلط الموارنة بالميسحيين الآخرين من أبناء سوريا. بعد ذلك استوطنوا ضفاف نهر العاصي، قرب أديرة تنامى عددها. كان الصراع والتنازع مع النساطرة واليعاقبة مستمرا. خلال القرن الثامن، أصبح للموارنة بطريرك خاص بهم وهاجرو إلى لبنان. هناك، قامت علاقة بين الموارنة والصليبين. عند انسحاب الصليبيين الفرنجة من لبنان باتجاه أوربا، تبعهم بعض الموارنة ولحقوا بهم فاستوطنوا جزيرتى "روودس" و"قبرص" القريبتين من لبنان. بالنسبة لقبرص فلقد استوطنها الموارنة منذ القرن الميلادي الثامن، مكونين فيها مستعمرة مارونية. في القرن الثامن عشر إحتل اللاتين قبرص، فاجبروا الموارنة على الإنكماش والتقوقع منعزلين في مناطق محددة.

مع ذلك بقي عددهم يشكل الأغلبية التالية لليونان الأرثوذكس. في عام ١٢٢٤ كان للموارنة (٦٠) قرية. لما وصل تجار فينيسيا في القرن الخامس عشر، وفدت جماهير لبنانية أخرى. بعد الأحتلال التركي لقبرص لم يبق من قرى الموارنة سوى (٣٣) قرية. إستمر الإنخفاض في أعداد الموارنة في قبرص خلال المائة والخمسين سنة التالية. في عام ١٨٤٨، زار بطريرك الموارنة أبناء رعيته في قبرص، آنذاك كان قد بقي للموارنة في قبرص ثلاث قرى مارونية بالكامل هي: "كورماكتيس" و "أسوماتوس" و "كورباسيا". أما في قريتي: "آجيا مارينا" و "كامبيلي"، فكان الحضور الماروني مختلطا مع التواجد التركي. في التسجيل العام للنفوس عام ١٩٢٨، كان عدد الموارنة الساكنين في الأراضي القبرصية (١٦٢٠) ماروني وكان سكناهم يتركز في منطقة "كيرينيا" وأقليات صغيرة في المدن الكبرى. كان تعامل اليونانيين القبارصة مع الموارنة تعاملا سلبيا وتهميشيا لأنهم كانوا يتهمونهم بمساندة المستعمرين الإنكليز.

سمعت سورما كل هذه التفاصيل الدقيقة من الكاهن الماروني في "كورماكتيس". بعد ذلك أخذت تبحث عن روابط كل هذه الوقائع مع كنيسة المشرق. أضاف الكاهن يقول أنه خلال عصر إجتياح اللاتين للجزيرة. وفدت جماهير غفيرة من المسيحيين الشرقيين إلى جزيرة قبرص. كانت الجماهير الوافدة خليط من الأرمن والأقباط واليعاقبة والجورجيين والأحباش ومعهم بعض النساطرة. من ذلك قد نستنتج أنه كان للنساطرة وكنيستهم الشهيرة بكنيسة المشرق حضور في ربوع قبرص. تجمع النساطرة الوافدون في "نقوسي" و "فاماكوست". عمل كل الوافدين في التجارة حالهم حال الموارنة، ذلك لأن قبرص تشكل نقطة تلاقي التجارة وتبادل البضائع. في أواسط القرن الرابع عشر كان النساطرة يشكلون الطبقة الأرستقراطية التجارية الثرية في فاماكوست. كنسيا كانوا يتبعون رئيس الأساقفة في طرسوس في كيليكيا التركية، الذي كان مرتبطا بجاثاليق بلاد ما بين النهرين. هذا ما جاء في "سجل وقائع الأحداث" الخاص بجزيرة قبرص الذي كتبه Léonce Machéras [٢٣٦] عن القرن ١٥ نقرأ في السجل ما يأتي: "كان التجار يبعثون بواخرهم إلى فاماكوست التي تركزت فيها التجارة. كان الإخوة " Lachas / لاشاس" النساطرة مسيطرين على التجارة باعتبار أنهم وسطاء في عمليات التبادل التجاري، بينما البواخر التجارية كانت تعود ملكيتها لفينيسيا وجنوة وفلورنسا وبيزا وقطلونيا وباقي المدن الغربية الشهيرة. عندما كانت البواخر تصل فاماكوست، كانت تجد كل أنواع البضائع التي تريد شراءها والعودة بها إلى أصحابها... ثروة الأخوان لاشاس كانت ضخمة جدا فاستطاعوا أن يهبوا الكثير منها للقضايا الدينية أو خدمة الميدان الإيماني. عدا ذلك إنهم قاموا بتشييد كنيسة خاصة بالنساطرة...".

ما يعني اللغة السريانية نقرا في السجل: "قبل أن يحتل اللاتين مذهبيا هذه الجزيرة كان القبارصة يعترفون بسلطة إمبراطور القسطنطينية كحاكم لهم مدنيا وبسلطة البطريرك الجالس

على كرسي أنطاكية دينيا. لذا كان علينا أن نتعلم اللغة الهيلينية والسريانية معًا كما نستطيع الكتابة إلى الإمبراطور وإلى البطريرك. كان الأطفال يدرسون هاتين اللغتين ليتمكنوا دخول الدوائر القنصلية الرسمية. سبق أن كان لسورما معلومات مشوّهة عن كل هذه التفاصيل. معلوماتها تركزت على أنّ جزيرة قبرص كانت تحت سلطة أسقف طرسوس كنسيا، لكن لم يدر في فكرها يوما أو تتصور أنه كان للنساطرة هكذا تأثير واسع. لم تجد سورما الكلمات الوافية لتشكرالكاهن الطيب القلب لما أبلغها من معلومات مهمة بالنسبة لها ولضيافته السخية. الليلة التالية للقائها بالكاهن كانت ليلة سهر ويقظة لأن سورما لم تعرف فيها للنوم طعما. إنها بقيت تفكر مليا. وقررت الذهاب لزيارة فاماكوست حيث ستجد بعضا من آثار الجدود. فعلا في الأيام التالية أخذت إثنين من أبناء أخوتها: تيودور وجوزيف إلى فاماكوست ليبحثوا ويفتشوا عن الآثار التي قد تكون باقية وظاهرة للعيان.

بمجيء الصليبيين عام ١٢٩١، تحولت فاماكوست من ميناء صيد هادئ إلى مدينة ينتشر فيها الرفاه، فجاءها التجار والفنانون ورجال الدين وما إليهم. وفد كل هؤلاء من البلدان الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط. فشيدت الكنائس وبنيت الدور الفخمة، لأن الميناء الشبه منسي قديما أصبح ميناء مهما يعج بحركة تجارية مكتظة وينافس الموانئ الشهيرة. بعد الإحتلال العثماني عام ١٥٧١ الذي تحقق بعد حصار دام عشرة شهور كاملة للجزيرة، عاد فأصبح ميناء إعتياديا كما كان عهده سابقا. عند زيارة سورما فاماكوست القديمة كانت هذه المدينة لا تزال محتفظة باسوارها المدهشة المنيعة. كما أنه كان لا يزال فيها العديد من النصب القديمة والغريبة الهيئة إحيانا. تعجبت من مشاهدتها جامع لالا مصطفى باشا الذي أصلا كان كاتدرائية على إسم القديس نيقولاوس تمّ بناؤها على الطراز الغوطي بين العامين ١٣٠٠ و١٣٢٦. هنا أيضًا تذكرت سورما كاتدرائية Reims لأن مصير الكاتدرائيتين متشابه، بتحويرهما إلى جامع خاص بعبادة المسلمين بعد إضافة المنارة وإزالة كل ما فيهما من رموز مسيحية في الداخل. التداخل المعماري في الكنيسة/الجامع أدهش سورما، كما أندهشت عندما زارت كاتدرائية نيقوسيا الشهيرة باسم "آيا صوفيا" التي أضيف إلى بنائها الأصلي منارتان فأصبحت جامعًا للمسلمين.

ما دفع سورما إلى دهشة أكبر، كانت الساحة المركزية الغاصة بالكنائس.ففي الجهة الجنوبية من الساحة كان يوجد مبنى كنيسة القديس جورج لليونان ثم كنيسة ثانية لهم أيضًا هي كنيسة "آجيوس سيميون". على مسافة منهما كان يرتفع مبنى بعمارة غوطية هو كنيسة القديس جورج للاتين، تمّ تشييدها في القرن الثالث عشر. المهندسون المعماريون الذين قاموا ببنائها إتبعوا الأسلوب المعماري المنفذ في Sainte Chapelle في باريس. شمالي الساحة كان يوجد كنيسة مخصصة لمن عرفوا بـ Hospitaliers et des Templiers المضيفون للمسافرين وأبناء السبيل. "فرسان الهيكل" (وهم جماعة محاربة من الصليبيين عرفهم العرب باسم الدوّاية - المترجم). مع إمتداد

الشارع كانت ترتفع بناية لكنيسة سميت على إسم القديس "آجيوس يوريوس إكزوريوس" / القديس جورج / التي يعود تاريخ بنائها إلى القرن الرابع عشر. هذه الكنيسة كانت في الأصل تعود للنساطرة، تمّ بناؤها عام ١٣٦٠م بفضل هبات الأخوان لاشاس. هذه الحقيقة لم يذكرها مؤرخ سجل وقائع الحوادث الخاص بقبرص. إنّ ثروة وسخاء الأخوان لاشاس مكنا من تشييد هذه الكنيسة وساعدا على استمرار كنيسة النساطرة قائمة في فاماكوست مدة طويلة.

إنّ كنيسة المشرق القديمة لم تبق على حالها. بانتصار العثمانيين. العديد من دور العبادة الخاصة بالمسيحيين تمّ الإستيلاء عليها وتحويرها إلى جوامع. فكنيسة النساطرة في فاماكوست أصابها ما أصاب غيرها من دور العبادة لا بل وضعها كان أتعس لأنها حورت أولا فجعلت إسطبلا للجمال. في العهد البريطاني أعيد استعمالها كنيسة. لكن تحت سلطة الأرثوذكس. هكذا أصبح اسمها "آجيوس يواريس كزوريوس"، بينما في الأصل كانت على إسم مريم القديسة (باللغة الآرامية مارت مريم). عندما دخلت سورما باب هذه الكنيسة، امتلكها إحساس غريب التأثير. فقالت لمرافقيها، هيا انظرا قدم هذه الكنيسة وأصالتها المشرقية. أثناء التجوال في رحابها شاهدوا صورا فقدت رونقها وكتابات آرامية لا تزال تزين الجدران. ترقرقت الدموع في عيون سورما وسالت على وجنتيها، وقف الثلاثة يصلون صلاة حارة متذكرين أبناء كنيستهم الذين قاموا بتشييد هذا الصرح الفخم تخليدا لإيمانهم وتعلقهم بأمهم كنيسة المشرق. هذه الزيارة كانت مسك الختام لإقامة سورما في منفاها في قبرص مع أعضاء العائلة البطريركية، من خلال الزيارة، وضح تاريخ كنيسة سورما الأصيل والقديم، وتأكدت سعة إنتشارها المدهش وبصورة لا تقبل الشك [٢٣٧].

منغصات جديدة

أعلنت نهاية الحرب العالمية الثانية رسميا في عام ١٩٤٥ لكن السلام المعلن لم يعنِ للكلدو آشوريين آنذاك الشيء الكثير ولا حتى لمستقبلهم. في اليوم السابع من أيار من نفس العام، سُمع صوت البطريرك مار إيشاي شمعون، وأثناء حضوره المؤتمر الأممي المنعقد في سان فرانسيسكو، الذي من نتائجه كانت ولادة منظمة الأمم المتحدة UN، بديلة للمرحومة عصبة الأمم. أسست هذه المنظمة لغرض ضمان إقامة السلام وضمان الأمن في العالم وحامية لهما. استلمت هذه المنظمة بعد تأسيسها رسميا العديد من العرائض أرسلها البطريرك خلال العامين ١٩٤٥ و١٩٤٦. آنئذ لم يكن هناك من فائدة من الحديث عن الخدمات التي قدمها الشعب الآشوري دفاعا عن القضايا التي كانت تهم الحلفاء أيام الحرب العالمية الأولى ولا وصف التضحيات الجسام التي تحملها. الأمم المتحدة لم تولِ الإهتمام اللازم لطلبات الآشوريين التي وصلتها من خلال عرائض البطريرك وألقت بملف القضية الآشورية في خضم المشاكل المطروحة، فأهمل حتى إن غرق في لجيج ما يسمى

بالنظام العالمي الجديد.

ما يخص أفراد عائلة البطريرك، إنهم بقوا في قبرص في وضع يشبه وضع السجناء وفريسة للمصائب اليومية ومتاعب الغد المجهول. خلال العامين ١٩٤٦ - ١٩٤٧ جرت أحداث خاصة بموضوع المصادر المالية الضرورية للعائلة فدخلت ضمن أعمال الخارجية البريطانية [٢٣٨]. منذ شهر آب عام ١٩٤٦، لم يتم دفع أي مبلغ للعائلة، في نهاية عام ١٩٤٦، إضطرت سورما ونظرا للحاجة الملحة أن تقدم شكوى قوية اللهجة بواسطة سكرتير شؤون المستعمرات في قبرص، بعد الوثوق والإتكال على مساعدته ودعمه. السكرتير وحسب النظم المتبعة، أرسل الشكوى إلى وزير المستعمرات. عندئذٍ جرت نقاشات حادة بين مختلف الدوائر المعنية ممثلة بموظفيها بحثا عن الجواب الذي يجب إرساله لليدي سورما التي ألقت من خلال شكواها مسؤولية القلق والإرتباك الذي تعانيه العائلة على عاتق الحكومة البريطانية. بطبيعة الحال الخارجية البريطانية رفضت إتهامات سورما إعتمادًا على نظرية وضعت في حينه تتلخص كما يلي: " حسب تقدير الوزارة آنذاك، منحت حق اللجوء على أساس مؤقت أي إنها لم تكن تهدف الإبقاء على العائلة في المنفى إلى أجل غير محدد، كما أنها لم تكن تبغي إيقاظ الكره الذي تكنه للآشوريين الحكومات الحديثة التكوين في العالم العربي، بينما ضخّ النفط العراقي يتم بأقصى الطاقات. كذلك من أجل تجاوز كل إنحراف في الشرق الأوسط الواعد للبريطانيين، تمّ تخصيص مبالغ من خزينة المال العام البريطانية لتدفع شهريا للعائلة البطريركية وبكتمان تام. هكذا مرت الشهور ومن بعدها السنون ومنظمة الأمم المتحدة غير مبالية أن لم نقل متناسية مسؤوليتها حتى إن حلَ عام ١٩٥٠، فخيم على أجواء الدوائر المعنية في وزارتي الخارجية وشؤون المستعمرات [٢٣٩] لغط جديد، بسبب العودة إلى مناقشة موضوع التمويل المالي للعائلة الذي طرح على بساط البحث والنقاش. حصل هذا اللغط واحتدم النقاش على أثر طلب قدمه البطريرك لإستبدال " قاشا اسحق " الكاهن المرافق للعائلة بآخر. قدم البطريرك الطلب نتيجة لاختياره الكاهن المعني الشاب لموقع أهم في New Britain في ولاية Connecticut نظرا لرغبة البطريرك مار إيشاي شمعون عدم ترك عائلته دون كاهن يوفر لها الخدمات الروحية الضرورية لذا قرّر إرسال كاهن بديل اسمه " قاشا عجمايا إيشو " وعمره ستون عاما. كان قاشا أجمايا يعيش في منطقة الخابور السورية. في الطلب أكد البطريرك استعداده لتغطية كل المصاريف اللازمة لسفر قاشا أجمايا ولحياته اليومية أثناء فترة إقامته في قبرص المقدرة بـ (١٠) باونات شهريا. بعد دراسة الدوائر المعنية الابتدائية للطلب، رفضته جملة وتفصيلا. تأسس الرفض على رأي قوامه أن الموافقة ستعني التعارض مع سياسة الحكومة التي لم تكن تشجع إدخال آشوريين آخرين إلى قبرص. لما علمت سورما بالقرار الصادر، تناولت القلم وكتبت إلى الراهبات في دير بيت عنيا، طالبة منهن نقل هذه المعلومة المؤسفة إلى مراجع الكنيسة الأنكليكانية. دائرة

العلاقات الخارجية التابعة لمجلس "كنيسة إنكلترا" العضو الفعال في تنظيم رئاسة أسقفية كنتربري، الدائرة المشار إليها اهتمت بالموضوع ودخلت على الخط مباشرة. في ٢٧/ ١١/ ١٩٥٠ كتبت دائرة العلاقات الرسالة التالية إلى الخارجية البريطانية:

"إستدعى مار شمعون كاهنا ليعمل في الولايات المتحدة حيث يتوفر عمل كثير ينتظره. الآشوريون موجودون بكثرة في تلك البلاد. طلب مار شمعون من حكومة قبرص السماح بمجيء كاهن آخر من سوريا. لكن حكومة قبرص لم تسمح بذلك. إننا نرى عدم توفير كاهن لأعياد الميلاد والفصح أمرا فضيعا". الكنيسة الأنكليكانية، تدخلت في الموضوع ووقفت إلى جانب طلب البطريرك وأيدته كما أنها أوضحت أنّ منع رجل دين من الذهاب إلى قبرص لممارسة واجباته هو إجراء خاطئ ومضر وتخريبي سيسبب تشويها لصورة بريطانية العظمى. نتيجة للمداخلات المذكورة، إضطرت الجهات المعنية على التراجع عن قرارها الأول، فسمحت للكاهن الجديد القادم من سوريا دخول قبرص والإقامة لفترة عيد الميلاد، كما أنها لم تستثن أيّ مناسبة أخرى شبيهة بذلك رغم مرور (١٧) عام على نفي عائلة البطريرك إلى قبرص، بقيت المراقبة المستمرة على أفراد عائلة البطريرك، المفروضة من قبل البريطانيين. تحركاتهم كانت مقيدة، ضغوط ومعوّقات مزعجة كانت توضع أمام أبناء العائلة لمنع إنتقالهم وتحركهم الفجائي. كذلك عدّت السلطات المعنية في قبرص وصول الكاهن الجديد إبن الستين عامًا، أمرا خطيرا قد يمس أمن بريطانيا العظمى ويهدد كيانها لأن وجوده يعني تشويش هدوء المنطقة التي سيقيم فيها مبادئ الحرية التي تتبجح بريطانيا بالمناداة بها قد نسفت من الأساس. إنها كانت أكوام ثلج سرعان ما ذابت بعد شروق الشمس وسقوط أشعتها الحارة عليها. هذه الحقيقة ثابتة وستبقى ثابتة طالما هناك مصالح عليا للدول. هناك أمور أخرى أشد أذية لعمل كنيسة المشرق ونشاطاتها أفرزت حالة مماثلة. منذ العام ١٩٤٨، أبدى مار شمعون الرغبة في لقاء أساقفة كنيسته في مجمع مقدس (سنهودس). مار يوسب النائب البطريركي ومطران شمس الدين في العراق وافق على ذلك، لكن بريطانيا العظمى لم توافق. إستقلال العراق أصبح ناجزا وواضحا للعيان. وغير مهدد. في عام ١٩٥٠، التخوف من تنقلات الآشوريين في مناطق غير تلك المخصصة، جعل إنكلترا مترددة حتى لو كان ذلك التنقل على شكل إنعقاد مجمع أساقفة هدفه التخطيط لمسيرة كنيسة المشرق مستقبلا. حكومة صاحبة الجلالة لم ترض المغامرة. لذا لم يتم عقد مجمع الأساقفة. كل هذه الوقائع توضح كم كانت تحركات الآشوريين مراقبة. مار إيشاي سبق، أن لوّح مرات عديدة بمطالبات تعني الإستقلال، هذه المطالبات لم ترق للبريطانيين باعتبار أنها غير مرغوب فيها في العراق. إنّ التحديدات المستمرة لنشاط عائلة البطريرك في قبرص والمنغصات اليومية المخططة عكرت حياة هادئة طبيعية إنتهت بالطلب إلى السلطات الأميريكية الموافقة على هجرة عائلة البطريرك إلى الولايات المتحدة الأميريكية.

إنتقال العائلة إلى كارافاس Karavas وكيرينيا Kyréniya للإقامة

في نهاية عام ١٩٤٩، غادرت عائلة ما رشمعون ميرتو وذهبت لتسكن في كارافاس وكيرينيا الواقعتين على الساحل الأوسط من شمالي قبرص. بنى هاتين المدينتين اللاجئون اليونانيون في القرن العاشر ق.م. بقيت كيرينيا عصورا طويلة ميناء يعيش الرخاء يحميه موقعه الطبيعي المنيع. بعد إحتلال الأتراك العثمانيين لجزيرة قبرص أخذت شمس العصر المشرق لهذا الميناء بالأفول فاختفت أنواره الجذابة وزالت أهميته الإستراتيجية والتجارية. بعد مجيء الإنكليز، تغيرت الأوضاع، فقاموا بتجديد منشآت الميناء وربطه بمختلف المناطق الداخلية للبلاد بطرق جيدة. في هذه المنطقة تنبسط سهول ساحلية واسعة تنمو فيها أشجار الخرنوب (شجر مثمر من الفصيلة القرنية –المترجم) والزيتون واللوز. أشجار الحمضيات تسور المدن بكثافة. في الجهة الغربية من كارافاس تنتشر قرى صغيرة يمكن رؤيتها قائمة على سفوح الهضبة المنحدرة. تشتهر كارافاس وكيرينيا بكونهما مركزين مهمين لإنتاج الحرير. أثناء الحرب العالمية الثانية، قدمت الحكومة البريطانية بيوض دودة القز مجانا إلى الكثير من العوائل التي تسكن هذه المناطق ودعمتهم في معيشتهم اليومية تشجيعا للتوجه نحو تربية هذه الحشرة لإنتاج الحرير الذي تحتاجه في صناعة المظلات الخاصة بصنف المظليين في الجيش البريطاني. بعد الحرب أنخفض معدل إنتاج الحرير في قبرص بسبب المنافسة الآسيوية.

منذ زمن بعيد كانت الخارجية البريطانية تفكر في خفض تخصيصات المساعدة المالية الممنوحة لعائلة مار شمعون. عندما قرّرت تنفيذ الفكرة تحركت بهذا الإتجاه وطلبت تحقيقا جديدا. تمّ إعداد ملف التحقيق المطلوب عام ١٩٥٠ . إيشعيا كان يرغب إكمال دراسته في العلوم الزراعية، فقدم طلبا لذلك وحصل على الموافقة دون تأخير شرط أن يلتحق بدورة تأهيلية في بريطانيا. وردية وبلاريم إنكبتا على دراسة تكميلية في مجال السكرتارية لكن بتردد لأنهما كانتا تنتظران تحقق الهجرة المتوقعة إلى الولايات المتحدة الأميركية. إنهما كانت تخافان الإنخراط في مشروع عمل طويل الأمد. في نهاية عام ١٩٥١ نضجت الفكرة التي عملت من أجلها الخارجية البريطانية وهي تقليص المخصصات المدفوعة من قبل الخزينة، فأمرت بإجراء تحقيق تكميلي. حاكم قبرص نفذ الطلب ورفع تقريرا في ٢١/٢/١٩٥٢ [٢٤٠]. عند إعداد التحقيق ورفع التقرير كان عدد أفراد العائلة (١٥) شخصًا وكان عمر سورما (٦٨) عاما. كان محل إقامتها كارافاس حيث تعيش مع زوجة أخيها استيرالتي تهتم بشؤون البيت الجديد الذي هو مريح أكثر من البنغلة في ميرتو. جورج وبول كانا يعملان في المحطة الأميركية للبث الإذاعي في كارافاس، بول يعمل كمدير للمطعم الخاص بالمحطة وجورج مسؤول قسم الطباعة التلغرافية/مكتب الشؤون الخارجية. راتب كل واحد منهما ٣٠ باونا شهريا. البيت الثاني للعائلة كان يقع في كيرينيا، فيه تسكن إيلشوا وتديره بمفردها. من نوافذ هذا

البيت كان يمكن مشاهدة مبنى القصر الشامخ المطل على مياه الميناء البحري الخاص بالمدينة، بنى الرومان هذا القصر ثم جدده ووسعه البيزنطيون ومن بعهدهم تجار فينيسا. حاصره العثمانيون، بينما الإنكليز حوّلوه إلى سجن. منذ شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٩ توظفت وردية كمسؤولة صندوق في البنك الأيوني الموجود في المدينة براتب قدره ١٨ باونا شهريا. تيودور كان عاطلا عن العمل كما كانت الحال مع بلايرم وفيرجينيا. شخصان من العائلة كانا قد تخلفا عن العائلة وبقيا يقيمان في نيقوسيا هم: روبنا التي كانت تعمل مدرسة في الأكاديمية الأميريكية وسرجون الذي كان يعمل مع الخطوط الجوية القبرصية. أمّا سرجينيا وصوفيا وصولطي فكنّ لا تزلن طالبات تدرسن في الأكاديمية الأميريكية في نيقوسيا. كمحصلة لكل ما ذكر جاء في التحقيق الذي رفعه حاكم قبرص: "عند نهاية عام ١٩٥٢، خمسة من أعضاء العائلة يعملون وستة آخرون لا يزالون دون عمل وأربعة يواصلون الدراسة. إضافة لذلك، ستة أعضاء منهم كانوا لا يزالون دون جنسية بريطانية هم استير وتيودور وروبنا وبلاريم ووردية وسرجينا. التحقيق أشر أيضًا إلى أن الذين كانوا يعملون كانوا عزّابا وهذا يعني أن في إمكانهم توفير بعض المعونة المادية لمن لا مصدر مالي له يعتمده.

غادر رب خيلا داوود إلى الولايات المتحدة الأميريكية لمعالجة عيونه التي كان يشكو منها لذا كان يعتبر معوّقا. على هذا الأساس استطاعت هيلين ابنته مرافقته إلى الولايات المتحدة. إيشعيا إلتحق بالدراسه في بريطانيا بينما جوزيف عاد إلى سوريا.

توفي زيا أخو سورما الأصغر فجأة في كانون الأول عام ١٩٤٧ ودفن في مقبرة الأرمن في نيقوسيا. استطاعت العائلة من إقامة علاقات مع الجالية الأرمنية التي كان عدد أفرادها ١٣٠٠ أرمني. تواجدت هذه الجالية على الأراضي القبرصية منذ القرن الميلادي السادس، غياب داوود الأخ الوحيد الباقي على قيد الحياة، جعل سورما دائمة الحزن لأنها بموت زيا وابتعاد داوود شعرت بفقدان طعم الأخوة العذب وبقيت تقضي أيام حياتها مع زوجتي أخويها اللتين كانتا تجلانها وتحترمانها كل الإجلال والإحترام. حاكم قبرص لم يتوانَ أو يتأخر عن الطلب في تقريره تخفيض المخصصات التي تدفع لسورما شهريا بمقدار (١٥) باونا. طلب حاكم قبرص تمت الإستجابة له فورا ونفذ عمليا. في البداية إعترضت سورما على القرار المتخذ من طرف واحد ودون التشاور معها. حسب رأيها كان من المفروض على الحاكم ومن باب التأدب أن يخبرها بالإجراء قبل تطبيقه [٢٤١].

حالة العائلة لم تتحسن مع توالي السنين عدا ما يتعلق بشأن السكن نتيجة الإنتقال من ميرتو إلى كارافاس وكيرينيا. تحسن وضع السكن أثر في حياة العائلة اليومية. عدا ذلك لم تظهر في الأفق أيّ علامة تشير إلى تحسن أو بعض الرفاهية في حياة العائلة في المستقبل. ما شعر به بعض الأعضاء هو أنهم يستطيعون توفير مصدر مالي لحياتهم بتعبهم وكدهم وبصورة مشرفة وباستحقاق. هذا الواقع إعتبر باب فرج يُفتح لهم للتخلص من حياة المنفى. أصبح عمر سورما آنذاك

يناهز السبعين عامًا. بقيت سورما ترفع كل أيام حياتها راية الإرادة الراسخة بمقاومة الظلم والتعسف رغم المآسي الكثيرة التي تميزت بها حياتها. صفتها كأميرة لشعبها إنتهت بنفيها إلى قبرص وباستلام إبن أخيها البطريرك مقاليد الأمور بيديه. كانت دومًا فخورة بما أنجزته رغم أنها كانت تراه دون الواجب. محبة شعبها وتعلقها به كانت جذوة مستعرة في أعماق قلبها، وكذلك الإخلاص لكنيستها وخدمتها بكل تضحية وأمانة. كانت دوما إلى جانب إبن أخيها البطريرك عند مواجهته المصائب والمحن. رافقته في زياراته، نصحته عندما يطلب النصح المشورة، كانت دوما ترى ما يتحقق دون ما تتمناه. بقاء كنيسة المشرق حية وفعالة كان الطموح الأكبر. كانت تصرح دائمًا وتقول نور كنيسة المشرق المنبعث من الشرق يجب أن يستمر فينير الغرب.

منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حصلت في قبرص تغيرات سياسية ملحوظة. فالكفاح ضد قوى الإستعمار تفجر في العام ١٩٤٥ بقيادة وتوجيه الكنيسة القبرصية اليونانية. الحركة المنادية بإلحاق قبرص باليونان إنتعشت بحيوية مدهشة وأتجهت نحو آفاق عالية تهدف تحقيق الآمال. في العام ١٩٤٧ أقترحت بريطانيا دستورا جديدا للجزيرة يكون أكثر تحررا، لكن جماهير القبارصة رفضت الدستور المقترح شكلا وتطبيقا. الغالبية بقيت تطالب بإتحاد قبرص باليونان. يوم ١٨/١١/١٩٥٠، أنتخب مكاريوس الشخصية الشعبية المحبوبة رئيسا لأساقفة البلاد وعمره لما يتجاوز السابعة والثلاثين. كان مكاريوس ذا شخصية قوية، أحبتها الجماهير. وصوله إلى هذا المنصب أفرز أبعادا إضافية لكفاح اليونانيين ضد قوى الاستعمار وركائزه. هذه الحالة أدّت إلى زيادة كره الجماهير المحلية للآشوريين بإعتبارهم مؤيدين للبريطانيين. هذا الكره أنسحب على أفراد عائلة مار شمعون الذين ألقت بهم السلطات البريطانية في هذا الخضم الذي لم يريدوه أو يهدفوا إليه.

٥ – نحو فجر كلدوآشوري مشرق

وضوح الرؤية لدى مار إيشاي شمعون

جابه البطريرك مار إيشاي شمعون أوضاعًا مأساوية بقيت تخيّم على أبناء قومه والكنيسة التي يرأسها خاصة لفشله في عقد المجمع المقدس لأحبار كنيسته (السنهودس) لغرض رسامة أساقفة جدد لكراس شاغرة. عدا ذلك عايشته خيبات الأمل في توطين الآشوريين بشكل مرضي، وفي نكث الحلفاء بوعودهم التي قطعوها ولم ينفذوها. النزاع الداخلي المستمر بين الآشوريين كان هو الآخر سيفا يدمي قلب البطريرك ليل نهار. أخيرا قرر القيام بمحاولة أخيرة، فبذل الجهود المضنية لتحريك ضمائر الآشوريين ودفعهم إلى العمل الجاد لبناء المستقبل السعيد. فور وصوله إلى الولايات

المتحدة عام ١٩٤٠ قام بدعم من الكنيسة الأسقفية الأميريكية الأنكليكانية بتنظيم الخورنات والنشاطات الكنسية الضرورية لخدمة المؤمنين. بازدياد عدد أبناء الجالية الآشورية بسبب الهجرة الكبيرة التي حصلت بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح للآشوريين حضورا ملحوظا ومهما واضح المعالم في مجتمعهم الجديد. الوافدون القدماء الذين سبق أن تركوا كنيستهم الأم/ كنيسة المشرق العتيدة عادوا إلى أحضانها. بعد مرور عشر سنوات على وصول مار إيشاي شمعون موطنه الجديد في الولايات المتحدة ونتيجة لعمله الدائب بدأت ثمار جهوده تنضج والنتائج الايجابية تتحقق. في شيكاغو تأسست خورنة باسم مار سركيس. في تورلوك تمّ إحياء نشاط الجالية. عندئذ بدأ البطريرك شراء قطع الأراضي اللازمة لخدمة نشاطات كنيسته. في عام ١٩٤٧ قام البطريرك بوضع حجر أساس أول كنيسة تبنيها الجالية الآشورية، بعد ذلك توالت حفلات وضع حجر الأساس لكنائس أخرى في: كاري وسان فرنسيسكو ونيو بريتين ويونكرس. عدا بناء الكنائس أتجه النشاط نحو تحقيق مشاريع أخرى منها: إصدار مجلة للجالية اسمها "نوهرا من مذنحا" [٢٤٢]. في ٣/ ١١/ ١٩٤٩ تمّ عقد أول إجتماع للجمعية التأسيسية لكنيسة المشرق. بعدئذٍ، في العام ١٩٥٠ ظهر للوجود أول معهد بطريركي خاص بالدراسات الآرامية.

لم يتوقف نشاط مار إيشاي شمعون في حدود النشاطات المذكورة آنفا، بل إنما شمل الميدان الدولي أيضا. في اليوم الثالث عشر من آذار عام ١٩٤٧ قدم البطريرك عريضة إلى الأمم المتحدة تخص شان الآشوريين في إيران ذلك لأنه في عام ١٩٤٥ اندلعت ثورة عارمة قامت بها جماهير أذربيجان الغربية مطالبة بتأسيس جمهورية مستقلة لهم. هذه الحركة المعارضة للأوضاع السائدة دفعت بالأكراد عام ١٩٤٦ للإنظمام إلى صفوف المناضلين والكفاح إلى جانبهم من أجل استقلالهم. الحكومة الإيرانية لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه تلك الثورة حيث قامت فورا بإرسال الجيش لإخمادها. عند عودة الجيش نفذ مذابح مريعة ووحشية طالت حتى الكلدوآشوريين. كان الشغل الشاغل والرئيس للبطريرك وكذلك لعمته سورما صيانة كيان كنيستهما ودفع موتها المحقق التي بانت بوادره في الشرق. لذا قام مار إيشاي شمعون باتصالات مع مختلف السفراء في الولايات المتحدة الأميريكية داخلتها صعوبات ومعوّقات. كان البطريرك يشعر دوما بثقل الكآبة لمخيمة على تفكيره لأن حدسه كان ينبئه أن مع مرور الزمن ستتلاشى الروابط القائمة بينه وبين أبناء قومه وتختفي وإلى الأبد.

قام البطريرك بنشاطه على المستوى الدولي أولا لتحقيق فائدة مرجوة للآشوريين وللإقناعهم بأنه كان قد عزم ليلقاهم ويتحدث إليهم أينما كانوا. إنه قد كرّر محاولاته للإجتماع بصف مطارين كنيسة المشرق مرات عديدة. لكن ومع الأسف الشديد كل تلك المحاولات انتهت إلى الفشل. في العام ١٩٥٢ قام بمبادرة جديدة فأرسل نداءً إلى الوصي على عرش العراق أيامئذَ الأمير عبد الإله - يرجوه

المساعدة بالموافقة على سفر المطرابوليط مار يوسب خنانيشوع النائب البطريركي في العراق، للقائه (البطريرك) في قبرص، عندما سيكون هذا الأخير في زيارة لهذه الجزيرة. قام البطريرك بعد ذلك بإبلاغ السفير البريطاني في واشنطن بالإجراء المتخذ. كذلك قام البطريرك بطلب المساعدة والدعم من الكنيسة الأنكليكانية. يوم ٢٢/٧/١٩٥٢ إتصل البطريرك برئيس أساقفة كنتربري " جيوفري فرانسيس فيشر " الذي سبق أن استلم مهام منصبه عام ١٩٤٥ والذي أصبح بعد ذلك رئيسا لمجلس الكنائس العالمي. في ٣١/٧/١٩٥٢ إتصلت الكنيسة الأنكليكانية بالخارجية البريطانية لدعم طلب البطريرك مار شمعون، ارفقت مع الملف نسخة من الرسالة الموجهة إلى السفير البريطاني في واشنطن ونسخة من النداء الموجه إلى الأمير عبد الإله. في ما يلي نص النداء [٢٤٣] :

" صاحب المعالي،

سأسافر قريبا إلى قبرص لزيارة والدتي وأهلي الذين يعيشون هناك. نظرا لقرب جزيرة قبرص من العراق نوعا ما، لذا طلبت من سيادة المطرابوليط مار يوسب خنانيشوع رئيس أساقفة شمس الدين في العراق والذي يعيش في قرية حرير القريبة من مدينة أربيل، أن يتوجه إلى قبرص للتباحث معه أثناء تواجدي في قبرص. غرض المباحثات هو دراسة الأوضاع الحرجة التي تمر بها كنيسة المشرق في العالم أجمع. في الوقت ذاته نود أن نقوم بترقية كهنة إلى الدرجة الأسقفية للكراسي الشاغرة منذ الحرب العالمية الأولى. سبق أن قام مار يوسب بتقديم طلب إلى السلطات المختصة في حكومة المملكة العراقية لمنحه جواز سفر يمكنه من المغادرة إلى قبرص، لكن طلبه ذاك رُفض دون توضيح الأسباب الموجبة لذلك. رفض مماثل كان نتيجة لطلب أسبق قدمه في حينه للحصول على جواز يمكنه السفر إلى إيران لغرض رسامة بعض الكهنة الجدد الذين تحتاجهم الكنيسة هناك لتوفير الخدمات الروحية الضرورية. كان ذلك قبل عامين خلت.

منذ سماعنا، بقرب زيارتكم لواشنطن ارتأينا توجيه ندائنا هذا إلى سموكم عسى أن تتفضلوا وتأمروا بمنح الجواز المطلوب للمطرابوليط مار يوسب، هكذا سيتمكن من مغادرة العراق والوصول إلى قبرص للقائنا. كذلك نرجوكم أيضًا التفضل بالأمر لمنح جوازات سفر للإكليروس المرافق المرشحين للدرجة الأسقفية.

تقديرا لوقتكم الثمين الذي سيكون حتما مثقلا بالمواعيد واللقاءات خلال فترة الزيارة التاريخية لعاصمة الولايات المتحدة الأميريكية، لذا قررنا توجيه نداءنا هذا مكتوبا آملين الموافقة على ما جاء فيه من طلبات طالما سوف لن يكون في استطاعتنا لقاءكم شخصيا والتحدث إليكم مباشرة.

الآن لا بد لأن نقول إن كنيستنا وكما تعلمون كنيسة عريقة عرفت في التواريخ الإسلامية بكنيسة النساطرة، تاريخها الثقافي عاصر التاريخ الإسلامي مدى القرون ولعب دورا مهما خلال قرون عديدة

وعلى إمتداد حكم خلفاء كثيرين جلسوا على كرسي الحكم. خدم بطاركة كنيسة المشرق الدولة والخلفاء بكل أمانة و إخلاص موطدين الحكم من خلال قوانين وتشريعات ساعدوا في صياغتها. اليوم نفس تلك الكنيسة تمرّ بأوقات صعبة وأوضاع حرجة لم تعرفها البتة في العهود الإسلامية، علما أن فترة وجودها تناهز الألفي عام. أملنا وطيد في أنكم ستنظرون في هذا الموضوع بالعطف الضروري وتولونه الإهتمام الذي يستحقه.(...).

إنتظارًا لردود الفعل على النداء، غادر مار إيشاي شمعون إلى أوربا مستقلا الباخرة من نيويورك فوصل أوسلو / السويد بتاريخ ٥/٨/ ١٩٥٢ ، من هناك أخذ القطار إلى Lund حيث حضر ندوة دولية عن الإيمان والدرجات الكهنوتية. من السويد غادر إلى لندن حيث أكد رغبته في الذهاب إلى قبرص للقاء نائبه مار يوسلا الغاية من توكيد البطريرك للدوائر الرسمية الرغبة في الذهاب إلى قبرص كانت لإقناع تلك الجهات بنياته الحقيقية وإزالة كل الشكوك التي قد تكون لا زالت راسخة في اذهان تلك الدوائر. الأولوية عند البطريرك كانت تتركز على الشؤون الثقافية والتربوية. إنه كان يتطلع دومًا إلى تحقيق مستوى عال من الثقافة والتربية لشعبه ومهما كانت التضحيات. في الخامس من أيلول عام ١٩٥٢ أقام السير هاري لوك حفل إستقبال على شرف البطريرك مار إيشاي شمعون في Nikaean في أدناه نسجل نص الكلمة التي ألقاها في الحفل:

" إذا كان الآشوريون مصممين على البقاء والعيش في هذه الحياة، عليهم أن لايسمحوا أيضًا لأمتهم بالزوال والإنقراض، عليهم تطوير أنفسهم ومجتمعهم بشكل موازٍ لحياة الأكثرية التي يعيشون إلى جوارها وفي أي بلد كانوا موجودين فيه. هذا هو الواقع الفعلي اليوم. الجنرال رينتون وغيره آخرون فتحوا المدارس لأبناء شعبنا من الآشوريين. هذا ما أرجو أن يستمر. كذلك أن أراد الآشوريون الحفاظ على خصوصيتهم ضمن المجتمع الكبير الذي يعيشون ضمنه عليهم الإلتحاق بمؤسسات التربية والتثقيف ليرتفع مستواهم الحضاري وفق المعايير المعاصرة. عظمة كنيستنا العريقة قامت دوما على أسس التعليم العالي المستوى والثقافة الشهيرة التي أستفاد منها الغرب وشعوب كثيرة أخرى. كل هؤلاء مدينون لحضارتنا. إننا نرجو ونأمل أن تعطى لشعبنا الساكن في البلدان الشرقية الحرية للتمتع بحقوقه فيتمكن من البحث والتعمق في حضارته الأصيلة التي انتشرت في ماضي الزمان في ربوع آسيا[٢٤٤]. (...)

بعد أن أعاد مار إيشاي شمعون وعمته سورما قراءة صفحات تاريخ كنيستهما بأمعان ودقة وتحليل الواقع الحالي بحكمة وروية توصلا إلى قناعة أن سرّ تمكن كنيسة المشرق البقاء مرتفعة الجبين وشامخة مدى الأجيال رغم النكبات والمصائب التي تحملتها منذ الغزو المغولي ومن بعده الإجتياح العثماني الذي فرض نيره الغاشم على الرقاب يكمن في المعرفة الواسعة التي كان يملكها وأبناؤها ومن ثمّ نقلوها بسخاء إلى جيرانهم. لقد كانت هذه الكنيسة دوما تمتص الخبرات السابقة

وتعيدها جذوة حية في أبنائها فتشجعهم على المزيد من الدراسة والتعلم طلبا لحكمة أعمق ومعرفة أوسع". بعد ذلك أضاف قائلا: "إنه عبر هذه الوسيلة إستطاع الآباء والأجداد من جعل ذواتهم جسورًا مرت عليها الحضارات اليونانية والسريانية إلى العرب ومنهم إلى غربنا المعاصر.". خطاب البطريرك جذب إسماع الحضور وبواسطتهم إنتقل إلى الغائبين. من ناحية ثانية كانت غاية البطريرك من خطابه رسم المخطط الرئيس الذي على الشبيبة الكلدوآشورية إتباعه والعمل على تحقيقه للوصول إلى الأهداف المرسومة له، بعد الإستفادة من عبر الأحداث التاريخية المأساوية التي حصلت لشعبهم فصبغت تاريخه بدم الشهداء الأبرار وتركت في ضميره ذكريات أليمة لا زالت حيّة في أعماق بعض الأحياء الذين عاشوا دقائقها.

أخيرا أوضح مار شمعون في خطابه أنه من أجل الحفاظ على الوجود القومي الآشوري وعدم السماح بإزالته من خارطة الوجود يجب ترويض الجاليات الآشورية لقبول الدساتير الموضوعة في البلدان التي يعيشون فيها وتربيتهم على أن يكونوا مخلصين للدول والأوطان والشعوب التي استضافتهم موفرة لهم كافة الحقوق المدنية وحق التمتع بالتعليم والتربية ومنع التمييز العنصري والديني مع الحفاظ على حقوق الأقليات التي تشكل ثقلا كبيرا ومهما ضمن المجموع شرط أن يكون ذلك لخير الجميع وتقدم وإزدهار البلدان. وجهات نظر البطريرك هذه ورأيه كانت في الواقع الفعلي نفس وجهات نظر عمته سورما التي كانت تشاركه في الرأي وتدعمه تماما... الوقت آنئذٍ لم يكن مناسبا للمطالبة بوطن قومي بل إنما العمل للحفاظ على الوجود القومي أولا ذي الإرث التاريخي الذي يمتد آلاف السنين. المهمة الأصعب التي كان على البطريرك تحقيقها هي إقناع أبناء قومه بصحة وجهة نظره وتوحيدهم للعمل معا لتحقيق المشروع المقترح ونفخ روح الشجاعة للعمل الدءوب وحتى إن يُشرق الفجر الجديد حاملا الخير والرفاه والتقدم لجماهير الآشوريين.

سورما تودع ربوع الشرق!

بعد أيام من الراحة والإستجمام في إنكلترا توجه مار إيشاي شمعون إلى قبرص التي لم يكن قد رآها منذ حوالي عشرين عامًا. كان يقيم في قبرص كل من والدته وإخوانه وأخواته وأبناء وبنات عمه. بعض هؤلاء لم يكن قد رآهم البتة لأنهم ولدوا في نيقوسيا بعد مغادرته مثل صوفيا ولدت عام ١٩٣٥ وصولطي ولدت عام ١٩٣٧. لقاء الأحبة يوم ١٩٥٢/١١/٩ في كارافاس كان يوم مشهودا في حياة هذا الجمع الصغير. هطلت الدموع الحارة غزيرة، لكنها كانت دموع فرح وبهجة. لقد كانت أيضًا دموع عائلة ولدت شعبا برمته. إلجميع كانوا يرون في البطريرك مار شمعون إيشاي القائد المحبوب وضمير الأمة الحيّ والشعلة التي تنير نفق الهموم والآلام وبشير إلى نهايته حيث يشرق الفجر المنتظر. حياتهم في المنفى كانت ليلا بهيما وكما هي حالة أبناء الشعب الآشوري في الشتات.

لقد كانت سورما فخورة بكل المبادرات التي قام بها البطريرك والنتائج الطيبة المحققة. أما هو فانه كان مسرورا مما حققته عمته من تربية صالحة وجيدة لأبناء وبنات أخويها وابن أختها. كانت التربية المحققة وفق الأسلوب الذي يقترحه البطريرك ويريده. الإفتخار بالأصل وحب الأمة وإتقان اللغة كانت الثالوث الراسخ في أعماق الضمير. حياة المنفى قوّت عود الشباب وهيأتهم لمواجهة مصاعب الحياة. حتى ذلك الوقت، لم يكن أي من الشباب قد تزوج بسبب الموانع القانونية. الفرص لم تتوفر لهم لتأسيس علاقات مع عوائل آشورية. التقاليد لا تسمح لأعضاء هذه الأسرة الإقتران بأشخاص ينتمون إلى طوائف أو جاليات غربية. هذا الواقع مكن من تحقيق أحد الأهداف الرئيسية التي ينادي مار أيشاي شمعون وهو الحفاظ على دين القوم ولغة الأم. هذا النوع من التصرف والتطبيق هو الذي ساعد على استمرار المقاومة عبر القرون. كان عمر تيودور يومذاك ٤٥ عامًا وعمر أخيه سركون ٣٥ عامًا. الإثنان كانا لا يزالان عازبين (في زيارة للعائلة في تورلوك تبين أن سركون تزوج في قبرص من أحدى الفلسطينيات إسمها ميري -المترجم). الإلتزام بالموروث العائلي البطريركي كان قد ترسخ في قلوب الجميع ذكورا وإناثا ومنذ نعومة الأظفار. عند البلوغ كانت تلك الإلتزامات هي الدستور السائد في الحياة اليومية. خلال أيام إقامة البطريرك في قبرص واجهته عراقيل واصطدم بجدار عدم الموافقة على طلبه ولم يتحقق له لقاء مار يوسلا نائبه المقيم في العراق. يوم ١٢/١١/ ١٩٥٢ كتب إلى رئيس أساقفة كنتربري مؤكدا له أنّ صبر أيوب قد نفذ منذ زمن بعيد وطلب إليه التدخل لدى السلطات البريطانية. في الحادي والعشرين من نفس الشهر. ابلغ رئيس الأساقفة البطريرك أنه بعد المداولات الطويلة علم أن رسالته (نداءه) للأمير عبد الإله لم تصل، لذا لا مجال لإنتظار أيّ نتيجة إيجابية متوقعة من الجانب العراقي. كذلك لا أمل للحصول على أيّ دعم من الجانب البريطاني بهذا الخصوص. عندئذ قام البطريرك بتقديم إقتراح شخصي قرره بمفرده فيه يطلب من السلطات البريطانية منحه جوازًا دبلوماسيًا به يستطيع لقاء المطرابوليط مار يوسلا خنانيشوع وعلى إنفراد في قاعدة الحبانية العسكرية. هذا الإقتراح لم يحظ هو الآخر بأيّ إذنٍ صاغية. عاد البطريرك في شهر كانون الثاني عام ١٩٥٣ إلى مقره في الولايات المتحدة والحزن يملؤ أعماقه للنتيجة المحزنة التي أنتهت بها سفرته.

كانت الغاية الثانية من سفرة البطريرك إلى قبرص، مؤسسة على محاولة نقل كل أعضاء عائلته إلى إنكلترا لأن هذا الموضوع كان قيد الدراسة وإتخاذ القرارات النهائية. في ١١/١١/١٩٥٢ قامت الكنيسة الأنكليكانية بتنظيم تحقيق خاص بالعائلة أرفقته ببيانات السير الذاتية لأعضاء العائلة كلهم. فيه ذكرت التفاصيل الخاصة بالدراسة التي حصلها كل فرد وماضيه الشخصي ورغباته وأمانيه وتطلعاته وخاصة تلك المتعلقة بالشأن المهني. الأغلبية كانت تتطلع إلى وظيفة إدارية. وردية وبلاريم كانتا تأملان الحصول على وظيفة في دائرة تعمل في ميدان الكنيسة ونشاطاتها

(خورنة أو إيبارشية). حسبما يظهر أنّ الكنيسة الأكليكانية كانت تعمل لتهيئة الفرص لتستطيع وردية وبلاريم العمل في دوائرها. في ١٩٥٢/١٢/٥ قامت رئاسة الأسقفية بالاتصال بدوائر الخارجية البريطانية متوسطة لطلب منح جواز سفر لكل من لا جواز له. بعد ذلك كان الدور للصحافة فتدخلت وعززت بدعم قوي طلب الكنيسة الأنكليكانية لمنح جوازات السفر. في ١/٢٨/ ١٩٥٣ كتبت جريدة The Star تقول إن رئيس أساقفة كنتربري يبذل الجهود ليساعد (١٠) شباب وشابات في قبرص يبحثون عن عمل في مجال السكرتارية. أما جريدة Daily Telegraph فكتبت بتاريخ ١٩٥٣/٢/١٦ حول موضوع اللغة الآرامية فقالت أصبحت هذه اللغة تستعمل حتى في كنيسة ويستمنستر حيث قام مار إيشاي شمعون بطريرك كنيسة المشرق في ٢/١٧/ ١٩٥٣ بتأدية بعض الطقوس الدينية باللغة الآرامية في تلك الكنيسة. في نفس التاريخ، أشارت جريدة Times أنّ البطريرك الآشوري أقام قداسا في St. Brides ثمّ أشار المقال أنّ مجيء بطريرك كنيسة المشرق إلى لندن كان بناءً على دعوة تلقاها من صديقه رئيس أساقفة الكنيسة الأنكليكانية لغرض التباحث في شأن العلاقة بين الكنيستين وأيضا لمناقشة موضوع قدوم عائلة البطريرك المتوقع قريبا. ما يبعث العجب هو أنّ كل الصحف التي كتبت عن زيارة البطريرك للندن ونشاطاته فيها لم تُشر إلى خيبة أمال البطريرك المتتالية التي تحققت لكل طلباته الخاصة بطلب الدعم للقاء نائبه في العراق المطرابوليط مار يوسب خنانيشوع. كل الإجراءات الخاصة بهذا الشأن بقيت طي الكتمان والإطلاع عليها كان محرما مدة الثلاثين عاما المقبلة.

قبل العودة إلى الولايات المتحدة أقام البطريرك بضعة أيام في العاصمة البريطانية في فندق Kensington Palace خلال هذه الفترة زار رئيس أساقفة كنتربري البطريرك في فندقه، أثناء الزيارة أبلغه أنّ كل الإجراءات الضرورية لوصول أفراد العائلة البطريركية قد أنجزت وأنّ الأمور تسير بالإتجاه الصحيح. في ١٩٥٣/٥/١٨ وافق وزير الدولة للشؤون الخارجية على جميع طلبات التجنس التي قدمها أفراد عائلة مار شمعون، وأبلغ بذلك الدوائر المختصة في قبرص. سُلمت الملفات بعد إنجاز المعاملات الإجرائية في قبرص إلى المعنيين وباليد وفقا للأصول المتبعة(٢٤٥).

كانت نهاية سنوات النفي لعائلة مار شمعون إلى الأراضي القبرصية في صيف عام ١٩٥٣. المصاريف اللازمة للسفر تعهد بدفعها الراعي ويكرام. بعد عشرين عاما من الإبتعاد عن الأحبة والإنقطاع عنهم، وصلت إلى إنكلترا أولا الليدي سورما ومعها روينا حيث قد أبحرتا قبل الباقين. في العشرين من شهر آب قامت الليدي سورما بزيارة لراهبات دير بيت عنيا، صديقاتها القديمات، هناك سألت الراهبات الزائرتين عن قبرص وعن الأحوال المعيشية للعائلة. ايجابات الإثنتين كانت متطابقة. إنهما أفادتا بما يلي: "لقد قاومنا النسيان واحتملناه" ثم أضافت روينا: "نحن الشباب إنكببنا على دراسة ماضينا وتعلقنا به، درسنا تاريخنا بدقة وتفصيل لنستطيع أن نبني مستقبلنا

الذي في البداية ظهر أنه عاص ومنيع. أمتو (عمتنا) سورما كانت تشدد التأكيد على ضرورة توفر الإرادة الراسخة فينا وكما تملكها هي نفسها. علمتنا أن نواصل طلب العلم والتعمق فيه، هي من جانبها بقيت تسهر على تربيتنا ليل نهار. بالنسبة لي، اللحاق بجماهير شعبنا هو أول الواجبات. بالتربية الجيدة والتعليم الجيد للأطفال سيبقى الشعب مرفوع الرأس، عالي الجبين ولا تلو له ذراع. هكذا عملت معنا أمتو دوما واستمرت تعمل رغم الصعوبات المالية والتقييدات المفروضة على حريتنا".

غادرت سورما الأراضي القبرصية تاركة منفاها وعمرها ٧١ عاما. أبحرت بإتجاه لندن خلال شهر آب عام ١٩٥٤. بمغادرتها تركت وراءها ذكريات كثيرة إستقرت في أعماق القلب والضمير. تركت سورما قبرص بعد سنوات من الإقامة الجبرية باعتبار كونها منفية من العراق لأنها كانت من الأشخاص غير المرغوب بهم. السنوات الطوال في قبرص مكنت سورما من تربية أبناء وبنات إخوتها. فرأتهم ينمون ويكبرون حتى أصبحوا شبابا بعمر الورود. ها هي الآن تغادر جزيرة قبرص التي كانت حسب رأيها جزيرة "البا" (الجزيرة التي نفي إليها نابليون بونابارت الإمبراطور الفرنسي من قبل الإنكليز - المترجم). غادرت قبرص وفمها مملوء مرارة من الظلم الذي ذاقته على يد البريطانيين والإجحاف الذي تحملته. عندما رفعت السفينة مراسيها وتحركت، ألقت سورما نظرات أخيرة على أرض الجزيرة، فتوالت الصور وتتابعت الذكريات على لوح مخيلتها. فأيقظت كل إحساساتها الباطنية دفعة واحدة وهزّتها هزة عنيفة. تذكرت إخوة وأخوات يُعدون بعشرات الآلاف سقطوا شهداء أبرار مفترشين الأرض الممتدة على طول طريق مسيرة الجلاء والنزوح القسري الجماعي إلى مناف وبلدان شتات كثيرة وصلها أخوان لهم حالفهم الحظ للبقاء على قيد الحياة. تذكرت أيضًا أخويها هرمز وإيشعيا الراقدين في ربوع حكاري. تذكرت أخاها البطريرك مار بنيامين الشهيد قتيل الغدر والخيانة ومثواه الأبدي في ربوع بلاد فارس، تذكرت أخاها مار بولس الراقد في ثرى بلاد ما بين النهرين وأخاها زيا المدفون في أرض قبرص أرض المنفى الحرمان. أخيرا تذكرت أختها رومي التي توفيت ودفنت في الأراضي السورية. أخيرًا هبت عليها نفحات من ذكرى أيام حياتها فملأت مخيلتها بالأفكار المشتتة منها أحداث كنيسة المشرق التي عاشتها خلال السنوات الأخيرة التي تكوّن البؤرة التي تركزت عليها جهودها وأعمالها وبقيت تلازمها ليل نهار أو تلك الخاصة بالنظام العشائري الذي قام عليه المجتمع الآشوري في الحكاري وبقي سائدا وقائدا للجماهير سياسيا واجتماعيا حتى حلول سنوات الحرب العظمى. تذكرت وقفتها على منبر عصبة الأمم تدافع بصوت عال عن قضية شعبها الذي سلبه الأعداء وطنه وأراضيه. تذكرت أعمالها ونشاطاتها في لندن وجنيف تذكرت لقاءاتها مع بعض كبار رجالات العالم. تذكرت كذلك كيف أنّ كل تلك الجهود التي بذلتها لتحقيق أهداف شعبها لم تثمر فذهبت أدراج الرياح. نعم كل تلك الجهود لم تستطع إختراق مسيرة الأحداث.

تذكرت وعود الدول الكبرى التي كان لها أهداف أهم من أهداف حليف صغير هو الشعب الآشوري، فنكثت بالوعود وتخلت عن الآشوريين بتحايل شيطاني. تذكرت كيف أنّ شعبها الشجاع أصبح ضحية للتعصب القومي والتزمت الديني. شعبها الذي كان يحتمي بأسوار جبال حكاري دون حاجة لمن يدافع عنه أصبح اليوم العوبة في يد الكبار وخادما مستضعفا لمصالحهم. تذكرت مسيرة الجماهير المظلومة في جلاء قسري إبتداءً من حكاري فبلاد فارس المترامية الأطراف وإنتهاء ببلاد ما بين النهرين حيث أقامت في مخيمات بعقوبة ثم مخيمات الموصل البائسة، بعد مذابح مريعة ودامية وأخيرًا في بيوت الموصل العتيقة والضيقة وأخيرًا التشتت في أقطار العالم. تذكرت أخيرا إبعادها القسري إلى جزيرة قبرص مع جميع أفراد عائلتها. هكذا تلاشت كل أحلام الظفر بالحكم الذاتي في وطن يسمى حكاري. حاليا رأت نفسها وحيدة في باخرة متجهة إلى لندن عاصمة الضباب حيث المستقبل المجهول. حلها وترحالها لم يتوقفا منذ العام ١٩١٥ . العام الذي فيه إبتعدت فيه عن حكاري وتركتها إلى الأبد. هذا الواقع كان يعني لسورما أن أغلبية أبناء عائلة مار شمعون لا يعرفون اليوم حكاري ولا قوجانس مقر البطاركة اباء العائلة وأحبار الآشوريين القدماء ولا الجبال الشامخة ومناظرها الخلابة. جبال حكاري عزيزة على قلب سورما وستبقى هكذا مدى أيام حياتها. اليوم وهي تخطو هذه الخطوة الجديدة ترى سورما نفسها مغادرة الشرق كله، الشرق الذي أحبته وتحس إنتمائها العميق إليه. إنها خبرة مؤلمة ويا لها من خبرة. يا لكثرة الدموع الحارة والغزيرة التي سكبتها العيون لإستيطان غرب بعيد غريب. بعد تصفية كل الحسابات، رأت سورما في لندن عاصمة البريطانيين الذين ساستهم خانوا قضيتها لمصالحهم الدنيئة. رأت لندن تفتح ذراعيها لتستقبلها. لكن دون استعداد لأن تسمح لها إنجاز رحلة حياتها المنسوجة بخيوط الألم والحرمان وخيبة الآمال والمصبوغة بدماء بللتها دموع الثكالى والأيتام والأرامل بنهاية مفرحة. مع كل هذه الذكريات الأليمة إنها لم تكن تعلم أن قد يكون هناك مراحل ستتخلل مسيرة وجود شعبها مصبوغة بدماء جديدة لشهداء أرادوا الخير لشعبها وعملوا من أجل ذلك لكنهم لم يوفقوا في ذلك. رغم ذلك إنهم سيبقون رمزا للشعب الآشوري الذي يتميز بالشجاعة والأمانة والإخلاص للأمة والدين واللغة وتراث الآباء والأجداد الحضاري.

القسم الخامس

إلى العالم الجديد (أمريكا) عبر لندن (من صيف عام ١٩٥٤ إلى كانون أول عام ١٩٧٥)

يسرني جدًا أن أمنحك وسام صليب القديس أوغسطين من كنتربري، هذا الوسام لا يمنح عادة إلاّ لرجال الدين والعلمانيين المنتمين إلى الكنائس الأجنبية الذين عملوا من أجل التطوير المميز لإقامة الروابط الأخوية الوثيقة مع الكنائس التابعة للشركة الأنكليكانية. لقد عملتِ مدى أيام حياتكِ وبذلتِ الجهود الخيرة بأسلوب مدهش للمساهمة في ترسيخ العلاقات وتعميق جذورها بين كنيستينا. بهذا نريد أيضًا أن نؤكد لكِ احترامنا العميق لشخصكِ وتقديرنا وشكرنا لكل ما قدمتِ من خدمات ثمينة وجليلة" .

آرثر ميشائيل رامسي
رئيس أساقفة كنتربري،
جاثليق الكنيسة الأنكليكانية

١ - في إيلينك – EALING لندن

أسئلة لا إجابات عليها

كافحت سورما طوال أيام حياتها لتحقق لشعبها الحكم الذاتي، لكن كل تلك الجهود لم تكن مفيدة أو تعطي الثمار المنتظرة، فطار الوطن من بين الأيدي على حين غرة، وأصبح أصحاب ذاك الوطن غرباء في بلدان غريبة. استقبلت لندن سورما لا كاستقبالات سابقة. وصلت سورما هذه المرة وهي قانعة أن رحلتها اليوم هي الأخيرة. عليها أن تودع عالمها القديم الذي عرفته وأحبته، وكذلك أقرباءها الذين عايشتهم ضمن فدرالية عتيقة ونظام أبوي يعتمد سلطة الملك ومار شمعون. نظام الحياة في الغرب أدهش سورما لقابليته قبول تلقي التغيرات، وتحقيق التقدم التكنلوجي. لكنها في الوقت ذاته خافت لأن قوة إنجذابها قد يصاحبها عدم التوازن بالنسبة للكثيرين ومنهم الأهل والأقارب، فتغدو بسبب ذلك الحياة في الغرب مقبرة لشعبها ذي التاريخ القديم. تبادرت إلى ذهن

سورما أسئلة كثيرة عن المصير الذي ينتظر أبناء طائفتها المهمشين بعد دخول نظام لدولة القومية على نظام الحياة في ربوع الشرق الأوسط بحاجته الرهيبة. الآشوريون اليوم مشتتون في أكثر من عشرين بلدا. فهل يا ترى سيتذكر الكلدوآشوريون لغتهم الأصلية أو إيمان الأجداد؟ وهل ستستطيع الأجيال المقبلة أن تخلص نفسها من التحديات التي ستواجهها بسهولة فتستطيع بالمقاومة الثقافية المستمرة أن تضمن لها البقاء حية بين باقي الأمم؟ أما ما يعني كنيسة المشرق، فهل ستتوفر لها المصادر الضرورية لتأسيس نظام مغاير للنظام العشائري الذي إعتمدته قرونا طويلة بعد أن إقتلعت جذورها من التربة التي تربت فيها ونمت وترعرعت؟ وهل ستكون الكنيسة قادرة على تحقيق الخطوات الإصلاحية العميقة الجذور وتقود حوارات بناءة مع شقيقتها الكنيسة الكلدانية كيما في نهاية المطاف تعاد الهالة القدسية البراقة التي كانت لكنيسة المشرق أيام عصرها الذهبي؟ لا شيء أكيد لكل هذه الأمور ولا إجابات لكل هذه الأسئلة طالما الجراح لا زالت باقية والمنافسة على أشدها.

لم يبق لسورما اليوم أي طموح سياسي أو حتى شخصي. إنها قد وضعت كل ثقتها بالبطريرك ما إيشاي وبقدراته للتغلب على التحديات العصرية المواجهة للمسيرة ولإبعاده عن خط السير الذي يتبعه بينما يقود الجماهير الشعبية... عدا المعوّقات الخارجية كانت تنتظر مار أيشاي شمعون عراقيل داخلية كانت تواجهه بشكل إنتقادات تأتيه من كل حد وصوب كسيول مطر غزير. عندما كانت سورما في خضم أمواج الرحلات كانت الإينتقادات والتوبيخات توجه إلى شخصها. البعض كان يتمادى ويتهمها بأنها كانت عميلة لبريطانيا العظمى وخادمة أمينة لمصالح الإنكليز. لقد نسوا هؤلاء أن رصيد سورما أنخفض لدى السلطات البريطانية منذ زمن بعيد، إنها قد خسرت موقعها المميز الذي احتفظت به سنوات طوال. وأنّ سبب تصرف الإنكليز ذاك هو عدم رغبتهم لأن يغفروا لها العصيان الذي حدث عام ١٩٣٣ والذي هدفه كان إنتزاع الحكم الذاتي للآشوريين بالقوة. دفعت سورما الكثير عن هذه التهم، من ضمن ذلك عشرين عاما من عمرها قضتها منفية في قبرص بعد أبعادها القسري عن بلاد ما بين النهرين. كل هذه الوقائع نساها المتهمون الذين من بينهم كان أحياناً أهل وأقارب.

سنوات هدوء وسكينة

لم تكن السنوات التي قضتها سورما من حياتها في بريطانيا سنوات حياة غريبة بسبب إنتقالها من قبرص حديثا، ذلك لأن سورما سبق أن عرفت الحياة البريطانية وعاشتها لفترات. كانت المرة الأخيرة منذ حوالي عشرين عامًا أي عام ١٩٣٧ عندما قامت بآخر زيارة لها لهذ البلاد. رغم الخبرة القديمة كانت الحياة يومئذ تختلف كل الإختلاف عن تلك التي عاشتها. حاليا (آنذاك) تكثر في

بريطانيا الإنقلابات السياسية، العدوانية إزدادت خاصة ما يعني العنصرية. تعجبت سورما من الحياة في الغرب لقابليتها تبني الديناميكية والبراكماتيكية (مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار في قيمة عواقبها العملية، فالحقيقة تعرف بـ "نجاحها" -هي فلسفة جيمس وشيلر وديوي - المترجم) ومطابقة الرأي للعقل وديمقراطيتها وتقبلها لكل التطورات التكنلوجية. كل هذه الميزات أصبحت طابعا واضح المعالم لسنوات ما بعد الحرب العالمية في حياة البريطانيين. بعد العام ١٩٤٥، خسر تشرتشل الإنتخابات، فاستبدلت وزارته بوزارة للعمال. في العام ١٩٥١ كانت الخسارة للعمال، فاستلم المحافظون الوزارة. أما شأن العائلة البريطانية المالكة، نقول تنفس الشعب البريطاني الصعداء بعد تتويج الملكة إليزابيث الثانية خليفة لوالدها جورج السادس. إنها إبنته البكر. كان تتويجها في اليوم الثاني من حزيران عام ١٩٥٣ وعمرها ٢٧ عامًا. كان يوم تتويجها المرة الأولى في التاريخ التي بها تبث حفلة التتويج بالتلفيزيون. بعد وصول سورما إلى بريطانيا، استضافتها إحدى العوائل القريبة من عائلة مار شمعون، وكانت تسكن وسط مجموعة كبيرة من العائلات الآشورية. المكان يقع في منطقة Ealling شمالي غربي لندن. كانت أعداد المنتمين إلى تنظيم الليفي الذين عاشوا في هذه المنطقة اللندنية كثيرة. وصول البعض منهم كان منذ مطلع العام ١٩٥٠، البعض منهم عمل مدربا حربيًا ثم أستخدم في وحدات الحراسة للمناطق الإستراتيجة وأحيانًا حرس شرف للشخصيات الزائرة. في ٤/٤/١٩٥٤، وُقعت الإتفاقية العراقية البريطانية الجديدة. بموجبها أنهيت خدمات كل هذه القوات وسرّحتها بعد تفكيكها. قاعدة الحبانية سلمت إلى العراقيين. بعد ذلك أنسحب الإنكليز من البلاد كلها. ختاما لتواجد البريطاني في بغداد نظمت حفلة رسمية وتوديعية شارك فيها النائب البطريركي مار يوسب خنانيشو.

هكذا طويت صفحة جديدة من تاريخ الإستعمار البريطاني في العالم. ما يؤسف له أن غالبية المنتمين إلى تنظيم الليفي المسرحين غمرهم النسيان. القلة منهم استطاعت من الإندماج في الجيش العراقي. أعداد منهم توفقت في الوصول إلى بريطانيا والإقامة فيها إقامة دائمية. منطقة Ealling أصبحت المركز الرئيس لتجمع الآشوريين. الوافدون الأوائل كانوا أما من من خدموا في تنظيم الليفي مباشرة أو في تشكيلات ملحقة كطباخين في القاعدة الجوية في الحبانية. بعد الوصول إلى لندن تغيرت الأحوال وتبدل سياق الحياة، خاصة لما واجهوا ضرورة الإندماج في المجتمع الجديد. حينذاك كان للكنيسة الأنكليكانية دور وتدخل مباشر. مساعدة لحل الإشكالات أعط الأنكليكان للآشورين مبنى خاصًا لممارسة طقوسهم وعبادتهم. في العام ١٩٥٩ تمّ تأسيس تنظيم باسم "الجمعية الآشورية في بريطانيا العظمى". حققت هذه الجمعية نشاطات ثقافية ولغوية ورياضية في أوساط الجالية. إلتقت سورما بالعديد من العسكريين الأوائل الذين شاركوا في تنظيم الليفي. إنها قد تعرفت على أغلبهم في العراق، وكانت تعرف حتى أبائهم وامهاتهم شخصيا ومقرّ سكناهم في حكاري والمناطق

المحيطة بها. خلال السنوات الست من إقامتها في بريطانيا سكنت في شارع "سان ستيفنس" في المبنى رقم ٢٧ . هناك عاشت سنوات هدوء خاصة بالسيدات المسنات. كانت دائمة النشاط، غيورة على أبناء قومها فخورة بهم كانت تقضي نهارها في الصلاة والمطالعة المنتظمة، كما التقت بفرح كبير الكثيرين من الآشوريين الذين أصلهم من عشائر آشوريي حكاري. كانت تقصّ على الجميع أوضاع مجتمع الآباء والأجداد وتصف جمال مناظر الجبال الشامخة وموقع القرى الهادئة والحياة الشاقة التي عاشتها جماهير الآشوريين بسبب الطبيعة القاسية حينا وأذى جيرانهم الأكراد حينا آخر...

من كان يسمعها تتحدث عن كل ذلك ينجذب إليها مصغيًا شابا كان أو شيخا. من لهجتها كان السامع يحس بحذينها إلى تلك الربوع فيندهش من عمق جذور تلك الأصالة التي كانت تملأ جوانحها. غالبا ما كان الماره قرب مسكنها يسمعون صدى إنشادها الحزين عندما كانت تنشد: "إنّ جبال حكاري وطني الأصيل، عشنا قرونا في ضلال تلك الجبال الشماء. قرانا كانت بيوتا بسيطة منخفضة السقوف مبنية بالحجارة الكبيرة. على بعد منها كان يوجد الكنيسة. هذه الأراضي كانت موطن الأجداد منذ قديم الزمان. على مثالهم عشنا شضف الحياة. رغم قسوة الطبيعة ومشاق الحياة أحببنا تلك الربوع. حتى هذه الساعة لا زلتُ أحتفظ بذكريات حلوة عن أيام حياتي هناك أبناء عشائرنا الشجعان إنتشرت قراهم على إمتداد ضفاف نهر الزاب الكبير وفي الوديان التي تحتضنها جبال عالية ذات المنحدرات المرعبة. على تلك المنحدرات بنيت بعض قرانا تحرسها بعض المزارات أو الأديرة القديمة، إنها ميراث قرون عديدة مضت، لذا كانت عزيزة على قلوبنا وبقينا محافظين عليها نفديها بدمائنا. كان الدين دوما المنظم لمفاصل حياة الأمة. كنا نتقاسم الأفراح والأتراح بأخوة حقيقية وعبر إحتفالات وأعياد معروفة. عندما كان يحل فصل الربيع كانت الروائح العطرة تعبق الأجواء، الحقول الزاهية الخضرة المرصعة بالأوراد والزهور المختلفة الأصناف والأشكال كانت تبهج المشاهد وتملؤه بالفرح والسرور لما يحسه من حرية يتمتع بها السكان واطمئنانهم. إننا سوف لم ننعم بحياة مفرحة كالحياة التي عشناها في أحضان حكاري. قوجانس كانت القلب النابض للمنطقة بأجمعها ولجماهير عشائرها. نبضها الحيّ يسمعه الجميع ويستجيبون له. قريتي قوجانس كانت كتلة من الغيرة والشهامة والمحرك لصيانة حقوق الشعب والدفاع عنها. غالبا ما كان مار شمعون يستقبل الزوّار في ديوانه فيجلسون حوله ومعهم "ملكي" يرأسون عشائر جيلو وتياري وباز وتخما ودزّ (ديز) وبرفقتهم الكهنة الخاصين بقراهم وعشائرهم. أثناء الزيارة كانوا يطرحون مشاكلهم ويناقشونها بثقة وأمانة ويستمعون إلى نصائح مار شمعون بطريركهم الحكيمة. إننا كنا راضين جدا بحياتنا وسعداء. إننا كنا نملك وطننا ونعمل على تطويره بطاقاتنا المتاحة وحسب ما نريده نحن." ...

عند إقامة سورما في لندن، زارتها صديقاتها القديمات، راهبات دير بيت عنيا. زارتها الرئيسة العامة لدير الأم الموقرة "فيليس" يوم ١٩٥٥/١/٣ (٢٤٦)، وكانت معها رئيسة دير الإبتداء.

الإثنتان زارتاها في مقر سكناه في Ealling الرئيسة العامة "فيليس" كانت قد خلفت الرئيسة العامة السابقة "ماري بلانش". الأخيرة سبق لها أن استقبلت سورما في دير الراهبات في "لويد سكوير". عندما كانت هاتان الراهبتان تشربان الشاي التقليدي، تحدثن عن ذكرياتهن الجميلة وتطرقن بالحديث عن الوضع الحالي للجالية الآشورية ومستقبلها. عند نهاية صيف عام ١٩٥٦ قدم مار إيشاي شمعون من الولايات المتحدة إلى لندن في زيارة رعائية. أخيرًا، هناك استطاع إستقبال النائب البطريركي في العراق المطرابوليط مار يوسب خنانيشو، الذي قدم خصيصًا من العراق لمقابلة البطريرك. مرّت فترة الزيارة مرورا سريعًا كاد أن لا يُشعر بها أحد. يوم الجمعة المصادف ٧/ ٩/ ١٩٥٦ إستقبل البطريرك مار إيشاي ومعه المطرابوليط مار يوسب خنانيشو استقبالا حافلا من قبل الإكليروس في كاتدرائية كنتربري. عند الباب الرئيس عزفت الموسيقى ألحانا عذبة. بعدها جوقة الإنشاد أنشدت الألحان الشجية. بينما كان قداسة البطريرك وإلى جانبه مار يوسب يسيران بخطى هادئة. عند الوصول إلى المذبح الرئيس في الجناح الوسطي جلس الإثنان على كرسيين أعدا خصيصًا لهذه المناسبة. شيدت هذه الكاتدرائية في العام ١٠٧٠، بعد إصلاحات عديدة متتابعة إعيد بناؤها على أنقاض الكنيسة القديمة التي كان بناؤها على يد القديس أوغسطين أسقف الإنكليز. تمّ إنجاز البناء الجديد بعد خمسة قرون من بناء البناء القديم. وكان ذلك في العام ١٥٠٣ . بعد إنتهاء الصلاة الفرضية عصرا بارك البطريرك أبناء كنيسته الحاضرين ببركته باللغة الآرامية وباللهجة المحكية –السورث. بالتأكيد كانت سورما حاضرة هذا الإحتفال البهي ومعها آخرون من الأقارب والمعارف. كان بين الحاضرين الصديق القديم جورج ريد الذي أصبح مواطنا وابنا لهذه المدينة العريقة منذ عام ١٩٤٨ أي منذ عودته من فلسطين وتقاعده. كان يعيش جورج ريد في كنتربري بهدوء وطمأنينة متمتعا بحمال المناظر الطبيعية التي تتميّز بها منطقة "كنت" كلها. مسكنه كان في المبنى رقم ٧ شارع "سان مارتنس هيل". بقي جورج ريد يحتفظ في أعماق قلبه باحترام كبير لكنيسة المشرق، ذات التاريخ الأصيل والخبرة المأساوية. سبق أن كتب دراسة مفصلة عن تاريخ هذه الكنيسة وعن بعثة رئاسة أسقفية كنتربري المرسلة لمعايشة المسيحيين الآشوريين(٢٤٧) . لا زال جورج ريد نفسه يعترف أنّ أحسن مؤلفاته هو ما كتبه عن علاقته مع الآشوريين وخاصة مع عائلة مار شمعون، وإبنتها الشهيرة سورما. علاقة ريد بالعائلة البطريركية تجاوزت (٦٢) عامًا اي من العام ١٩٠٥ لغاية عام ١٩٦٧ .

على هذا المنوال تتابعت أيام حياة سورما في لندن، ممزوجة بآمال كانت تراود دوما كل أعضاء عائلة مار شمعون الآخرين مؤسسة على أنه حتما سيأتي يوم سيجتمع شمل العائلة ويكون ذلك عندما سيلتحق المقيمون في بريطانيا بمار شمعون المقيم في الولايات المتحدة الأميريكية. هذه الآمال تحققت بعد سنوات قليلة.

٢ - العالم الجديد، ميناؤها الأخير

في سان فرنسيسكو وديلي سيتي Daly City

في شهر نيسان من عام ١٩٦٠، كان عمر سورما ٧٧ عامًا، عندئذ وبعد الوصول إلى الولايات المتحدة، إستقرت في مدينة سان فرنسيسكو، حيث كان مقر الكرسي البطريركي لكنيسة المشرق. في العام ١٩٥٤ إتخذ البطريرك قرارًا بنقل مقر كرسيبيه من شيكاغو إلى سان فرانسيسكو / كاليفورنيا[٢٤٨]. السبب لهذا القرار رسميًا كان "أسبابًا صحية". عند وصول سورما إلى سان فرنسيسكو رأتها مدينة تختلف عن تلك التي عرفتها عام ١٩٢٦ عندما زارتها للمرة الأخيرة. في ذلك الحين كانت الولايات المتحدة تواجه العراقيل في طريقها للوصول إلى الموقع الأول كقوة إقتصادية عالمية. منذ عام ١٩٤٦. لم يكن هناك ما يوقف مسيرة نمو وتطور الولايات المتحدة سوى فترات قصيرة من الركود الإقتصادي. للتمكن من فهم هذا البلد، يجب إدراك حقيقة أنّ الولايات المتحدة هي ثمرة لبذرة من قطعة أوربية تمّ زرعها في أراضي العالم الجديد، أن عملية التطعيم قد نجحت وثمارها يانعة طازجة. كان شعب الولايات المتحدة مدفوعا بعقلية وروح المغامرة وحب السيطرة. فلم يكن هناك من بلد يضاهي الولايات المتحدة في ميادين نشاط الإبتكار وخيالات مدهشة جعلتها أهداف سرعان ما حققتها. نشاط جيل الآباء غدى قدوة للأجيال التالية لتسير بموجبه. المؤهلات التي كانت تمتلكها هذه الدولة الفتية وشعبها الموزائيكي التكوين أخذت تتسع وتتلون مخيمة على كل أرجاء البلاد الواسعة. العامل المساعد لكل هذا التقدم والإزدهار، كان تنوع المصادر، وسيول المهاجرين الوافدة والديموغرافية المتضاعفة خلال فترة لا تزيد على المائة سنة. كذلك يجب أن لا ننسى الأثر الكبير لتراكم رؤوس الأموال والإستثمارات والتطور التقني والتصنيع والتوسع الحضري وقوة العملة المستعملة التي كانت جميعها أجزاء أساسية في المحرك السري لمختلف ميادين الحياة والنشاطات الإنسانية. الآشوريون وكباقي الأقوام الأخرى تهافتوا على منابع الثروة وتراكضوا وراء الأحلام الأميريكية الزاهية، تماما كما فعل الآخرون، فذابوا في عصارة العقلية الأميريكية الحديثة وروحها. الكل كانوا مقتنعين بضرورة بذل الجهود وتوجيهها نحو التطوير الإقتصادي الذي لم يكن محميا ومقاوما للتوترات الخطيرة الناجمة عن الزحام البشري حضريا أو المشاكل العنصرية. جماهير السود كانت على رأس القائمة كهدف رئيسي. في هذه الأثناء بدأ ظهور شخصيات أصبحت رموزا شامخة للشعب الأميريكي قاطبة وللإنسانية جمعاء.:كافحت هذه الرموز كفاحا مريرا لتحقيق إدماج السود في المجتمع الجديد. من هؤلاء الرموز نذكر "مارتن لوثر كنك". خلال فترة لم تكن تزيد على المائة عام تخلت طلائع الغرب الأميريكي عن مواقعها الأولية لبناة خط سكة حديد. بذلك رجحت كفة الميزان لصالح الصناعة المزدهرة في شرقي البلاد المتجهة بمنتجاتها نحو غربها. مدينة "سان فرنسيسكو" المعروفة شعبيا بـ "فرنسكو"، انتشرت مناطق تجمعات بيوتها على (٤٣) هضبة. كان

السكان الأوائل لخليج هذه المدينة هم:
Amérindiens Ohlone الإستعمار الاسباني لم يترك الأوضاع على حالها. بوصوله تمّ بناء حصن منيع وتأسيس بعثة تبشيرية رعتها رهبنة القديس فرنسيس الأسيزي. استقرار السكن على حوافي وأطراف الخليج لم يتم إلاّ في العام ١٨٣٦، أعترافًا بالحقيقة نقرّ أنّ مدينة سان فرنسيسكو لم تتم إنطلاقتها الفعلية إلاّ في عام ١٨٤٨ وتحققت من خلال هجمة الجماهير على مناجم الذهب المكتشفة. التقدم الفجائي للجماهير أدّى إلى نشوء (١٥) منطقة سكنية جديدة ذات سمات ومزايا مختلفة عن بعضها البعض من ناحية المناظر الطبيعية والطوبغرافية وخدماتها. من بين تلك المناطق نذكر: المركز المدني و"جابنا تاون" و"راشيين هيل" و"نوب هيل" و"نورث بتش" و"هاي أشبري".

كان موقع سكن سورما في الميناء الجديد في "ساوث اوف ذي ماركت إيريا" التي تسميها العامة "سوما"، في المبنى رقم (١٢٢١) في الشارع السادس الواقع في الجهة الجنوبية من المحلة. كانت هذه المنطقة من المناطق الأولية التي تمّ فيها بناء المساكن في سان فرنسيسكو. مساكن منطقة سوما بنيت خلف البيوت المحيطة باللسان الأرضي الداخل في عمق مياه خليج Yerba Buena في البداية، استخدمت أراضي هذه المنطقة لبناء المعامل ومخازن البضائع وللمساكن البسيطة التي سكنها عمال الميناء أو للفنادق الشعبية. شريحة العمال الذين سكنوا هنا كانت من العمال الإعتياديين والبحارة وعمال الأرصفة. مع مرور الزمن ترك كل هؤلاء مساكنهم لتسكنها طبقة علية القوم. تميزت حياة سورما في سان فرانسيسكو بالفرح والسرور، لأنها كانت تعيش قرب البطريرك مار إيشاي شمعون وتحضر القداس أيام الآحاد في كنيسة مار نرساي. التي بناها المؤمنون الآشوريون. استمرت حياة سورما على هذا المنوال هادئة منسقة حسب التقويم الكنسي. فراغ وقتها كان مشغولا بالمطالعة. أهتمت سورما بالأدب الأميريكي ودراسة بحوث مختلفة وخاصة تلك التي تعنى بأصول الأقوام والأمم، لونها طبيعتها وتطورها الحضاري. صبت كل إهتمامها عند تعمقها في هكذا مواضيع على مصير الشعوب التي تمّ إجتثاثها من أصولها في أوطانها الأصلية... أخذت تتأمل سرّ الوجود البشري في عالمنا المعاصر. رغم كل هذه الإنشغالات والإهتمامات، لم تنسَ سورما واجبها الأساسي وهو مواكبة مسيرة أبناء شعبها والعمل لتسهيل المسيرة البطيئة لإكتساب القناعة بجودة نموذج الحياة الأميريكية مع الإحتفاظ بالهوية القومية الآشورية الأصيلة.

استلمت سورما يوم الثالث من كانون ثاني عام ١٩٦٦ رسالة من رئيس أساقفة كنتربري "آرثر ميشائيل رامسي". كان رامسي حبرا جليلا وشخصية لاهوتية لامعة، وذو مكانة مرموقة نظرا للبساطة التي يبديها للآخرين. كان رامسي قوي الإرادة والعزم، وذو ميزات إنسانية ومؤثرة.

في رسالة رقيقة التعابير، وجهها إلى سورما قال: "يسرني جدا أن أبلغك بقراري لمنحك وسام "صليب القديس أوغسطين من كنتربري". هذا الوسام نمنحه عادة لرجال الدين والعلمانيين

المنتميين إلى الكنائس الأخرى، الذين عرفوا كيف يزيدون من قوة روابط الأخوة بين الكنائس ذات الشراكة الأنكليكانية بشكل فعال. إنكِ عملتِ مدى أيام حياتك ومن خلال مشاركات مذهلة لتعميق وتوطيد العلاقات بين كنيستينا. بهذا نريد أيضًا أن نعبر لكِ عن عمق إحترامنا ومحبتنا وإعترافًا بأهمية الجهود التي بذلتيها في هذا الشأن [٢٤٩].

إلى جانب إشغال آرثر ميشائيل رامسي منصب رئيس أساقفة كنتربري، تميز أيضًا بأنه كان شخصية مسكونية شهيرة ومرموقة على المستوى العالمي. لذا تابع أسلوب منح صليب القديس أغسطين للمنتمين إلى كنائس أخرى إعترافًا بوحدة الإيمان وضرورة العمل لتحقيق وحدة الكنائس. بهذا النوع من التصرف إستطاع تقوية العلاقات الأخوية بين كنيسته (الأنكليكانية) والكنائس الأخرى من جهة وللتعبير عن شكره لرجال الدين والعلمانيين الذين قلدهم هذا الوسام إقرارًا بأهمية الجهود التي بذلوها لتأسيس العلاقات ورعايتها بحرص. لم يستطع رئيس الأساقفة رامسي السفر إلى الولايات المتحدة لتقليد سورما الوسام، لذا كلف مطران غرب نيويورك Lauriston l. Scaif ليقوم بتسليم الوسام لسورما ووضعه على صدرها. تمت حفلة تسليم الوسام يوم ١٩٦٦/١/٢٥ في مدينة سان فرانسيسكو، وهو يوم اهتداء القديس بولس. قام بتقليد الوسام المطران "سكيف" الذي كان أيضًا رئيسا للجنة الكنسية الأسقفية المسؤولة عن العلاقات مع الكنائس الشرقية الموجودة في الولايات المتحدة. احتفظت سورما بذكرى حية عن ذلك اليوم ولم تنساها البتة. الوسام هو عبارة عن قلادة تتدلى في نهايتها قطعة معدنية دائرية الشكل، الشريط أزرق اللون. على أحد أوجه القطعة المعدنية حفرت نسخة مطابقة لصليب كنتربري المعروف منذ القرن الميلادي الثامن. أما على الوجه الآخر فقد حفر الرمز المستعمل للكرسي الأسقفي لكنتربري والمعروف بكرسي القديس أوغسطين. بالتأكيد كل أعضاء عائلة مار شمعون حضروا مراسيم الحفلة. تقييم الكنيسة الأنكليكانية ملأ نفس سورما بالفخر رغم عمرها الذي جاوز (٨٣) عاما. في هذا السن من عمرها كانت لا تزال قادرة على الإجابة على المراسلات التي تردها، لكن كتابتها أصابها بعض التشويش ونظرها ضعف شيئا فشيئا. في رسالة وجهتها إلى الكانون "ساترث ويت" قالت: "إني محتارة فيما يجب علي أن أقوله لأعبر عن شكري لكم يا أصدقائي الأعزاء. إنكم تذكرتم إسمي وقدمتموه إلى سيادة رئيس أساقفة كنتربري ليمنحني وسام صليب القديس أوغسطين. إني أظن أنني لا أستحقه ولكني مسرورة جدا وفخورة به. إنّ كل ما استطعتُ عمله كان واجب عليّ وحاولتُ إنجازه [٢٥٠](...). كان تقييم سورما لما حققته واجبا أدّته لخدمة شعبها. إنها قبلت الوسام برضى وإعتزاز [٢٥١] تثبيتا لغفتخارها بصداقة قديمة دامت طويلا. بعد استلام الوسام وصلت إلى عنوان سورم برقيات تهنئة كثيرة من لندن من بينها برقية من رئيس الأساقفة "آرثر رامزي" نفسه وكذلك من الكانون "ساترث ويت" والسير "هاري لوك" الصديق الصدوق والوفي لعائلة مار شمعون.

في العام ١٩٧٠، إنتقلت سورما بمسكنها إلى دالي سيتي على العنوان: St. James courst، على الرقم ٤٤ ومعها "أستير" زوجة أخيها داوود (أم البطريرك). تقع هذه المدينة جنوبي سان فرانسيسكو. إسمها الشائع كان The Gate way to Peninsula، تحوّرت هذه المدينة الريفية الصغيرة من وضعها القديم إلى مركز تجاري شهير للأعمال، كما كان المركز الأكثر إزدحاما بالسكان في منطقة "سان ماتيو". بعد هجمة الوافدين الباحثين عن الذهب أستوطن هذه المدينة بعض الأيرلنديين في مزارع كما فعل قبلهم الإيطاليون. بعد إكمال الخط الحديدي الذي ربطها بـ "سان هوزي" وصلها عدد كبير من التجار فأسسوا مجالات تجارية متنوعة، فازداد عدد السكان. بعد حريق "سان فرنسيسكو" الشهير والزلازل التي حدثت فيها، عدد كبير من الناس التجأ إلى الهضاب المحيطة، كان بينهم رجل يدعى "دالي جون". كان هذا الرجل صاحب أملاك واسعة. في العام ١٩٠٧ توصل "دالي" إلى قرار مهم هو: "إن أراضيه ستكون أكثر فائدة من أن يتركها مزارع لماشيته إذا ما استخدمها لأغراض السكن. فقام بتقسيمها إلى قطع من الأراضي وباعها لتكون مساكن خاصة. المشروع بمجموعه كان يعني بناء مدينة سكنية حديثة تتوفر فيها الشوارع والساحات ومباني الخدمات: مدارس أسواق ومراكز ترفيهية... الخ. هذا ما حققه "دالي". فنتج عن ذلك مدينة عصرية تطيب فيها الحياة. في العام ١٩٧١ رأت المدينة الجديدة "دالي سيتي" النور وهي تحمل إسم صاحبها ومؤسسها... بعد الحرب العالمية الثانية إتسعت المدينة لكن نحو جهة المحيط وبميزة ظاهرة هي التنوع الإثني الذي يضم أقوام من أميريكا اللاتينية وأخرى آسيوية، وهمهم جميعا تحسين أحوالهم السكنية. من بين الوافدين كان هناك جمع من الآشوريين.

خلال سنوات إقامة سورما الأميريكية/ في "دالي سيتي"، كانت تتابع أعمال وتحركات إبن أخيها البطريرك مار إيشاي شمعون بحرص واهتمام بالغين. إنها لاحظت خيبات الأمل وإخفاقات عديدة تنتهي بها نشاطاته ومبادراته لتغيير البنية الإداركية للشعب الآشوري وتعميق جذور كنيسته في أعماق القلوب. كانت تصغي إلى ما يقال له ثمّ تعطي المشورة المناسبة، هذه كانت صفات حياة سورما أيامئذ. تقدم العمر والأحداث الجسام والمأساوية لم تنل من شخصية سورما، فتجعلها عجوزا شمطاء يكرهها الناس. إنها بقيت دوما عكس ذلك، بقيت تتطلع نحو العلى، رائعة تبعث الهمم في النفوس والطمأنينة المعبقة بالإيمان الراسخ والأمل البهيج.

مار إيشاي شمعون أمام التحديات

جولة في ربوع الهند وبلدان الشرق الأوسط

خلال عقدي الخمسينات والستينات من القرن العشرين، لم يكن للكلدوآشوريين أي ظهور ملموس على مسرح الأحداث الدولية، هذا الصمت المريع والخنوع المريب أذهل سورما وأحزنها كثيرا.

باستثناء اهتمام بعض الإختصاصيين النادرين لم يكن يبقى لمفردة الآشوريين (التسمية) من معنى سوى ذكريات مشوّهة المعالم عرفها البعض عن ماض بعيد. اليوم أصبح أولئك الشجعان وبطولاتهم في خبر كان. إنهم الآن مشتتون في بلدان نائية مقطوعين عن أصولهم ذات الجذور "النهرينية" الآشوريون يوم ذاك كانوا شعبا فقد جذوره رغم جهود مار إيشاي شمعون و "قبلة الحياة" الجريئة والفعالة التي يحاول أن ينفخها في جسد الشعب الآشوري المشلول ليجمع الصفوف ويوحد القوم. إنّ ما أراد البطريرك تحقيقه هو عملية إنقاذ بطولية. عندما حضر مار إيشاي جلسات الدورة الثالثة للمجلس المسكوني للكنائس الذي إنعقد في "نيو دلهي" من ١٩ تشرين الثاني ولغاية الخامس من كانون الأول ١٩٦١، إستطاع أن يعيد الإرتباط ويوثق العلاقات مع أبناء شعبه في الهند. في العام ١٩٦٢ أنهى جولته الطويلة في الهند وختمها برسالة بطريركية وجهها من سان فرانسيسكو إلى جميع المؤمنين أبناء كنيسته بمناسبة عيد الفصح. تحدث فيها عن الهند فقال:

"إنكم حتما سمعتم عن زيارتنا لكنيسة المشرق في الهند. إنها زيارة ستبقى ذكراها خالدة في ذهننا لأنها من الأحداث الكبرى في حياتنا وذلك لسببين. أولا لأنها كانت فرصة فريدة تشرفنا أثناءها بتتبع آثار خطوات مار توما الرسول وثانيا الشعور بالمحبة والتقدير التي أبداها الجميع تجاهنا وأقصد بذلك لا فقط المؤمنين أبناء كنيستنا الأعزاء بل أيضًا أبناء الكنائس الآخرين وأيضًا الهنود والمسلمين على حد سواء. ما أبدوه تجاهنا كان برهانا ساطعا لتقديرهم تاريخنا المقدس التليد تاريخ كنيستهم كنيسة المشرق التي مرّ على تأسيسها حوالي العشرين قرنا، ولا زالت حتى اليوم حية نشيطة في تلك البلاد ذات الحضارات الأصيلة... ذكرى أيام الزيارة ستبقى محفورة في أعماق قلبي"[٢٥٢]. يوم السابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٦٢، في طريق عودته، وصل مار إيشاي طهران هناك قام بتكريس مبنى لكنيسة جديدة ورسامة مطران جديد هو مار حننيا دنخا. يوم ١٤/٢/١٩٦٢ . بعد ذلك أنزلت رحلته مرساتها في لبنان. في بيروت التقى جماهير الآشوريين التي كان يزيد عددها على الألفين آشوري. يوم السابع والعشرين من نفس الشهر سافر إلى دمشق، فرسم خمسة كهنة جدد لكنيسته، حيث كانت الإستعدادات قد إتخذت لذلك مسبقا. حين وجوده في دمشق أبلغ بمنعه من زيارة منطقة الخابور رغم الموافقات الصادرة مسبقا، ودون إعطاء أي تبرير للمنع. إضافة لذلك، رفضت الحكومة العراقية منحه السمة الضرورية لدخول العراق. بعد مرور سريع بمدينة القدس عاد مار إيشاي شمعون إلى بيروت. في اليوم الحادي عشر من آذار قام بتكريس مبنى كنيسة القديس جورج الواقعة في محلة الآشوريين في منطقة "سد الباؤشرية" (في أطراف بيروت). بعد مغادرته بيروت مرّ بباريس ومنها سافر إلى نيويورك فوصلها يوم ١٥/٣/١٩٦٢ . هنا علينا الملاحظة، أنه رغم مرور أكثر من ثلاثين عاما على نفي البطريرك مار إيشاي شمعون، وإبعاده عن العراق، لا زالت حرية تنقلاته مقيدة حتى إن كانت لأغراض دينية ولخدمات إيمانية بحتة. من هذا

قد نستنتج أن أسئلة عديدة ومستعجلة قد نطرحها منتظرين الإجابة عليها، لكن هيهات أن تأتينا الإجابات طالما ليس في اليد من حيلة!

إنشقاقات وتمزق

بعد عودة البطريرك من رحلته ووصوله مقرّه الرسمي في سان فرانسيسكو، تلبدت سماء حياة مار إيشاي شمعون بغيوم سوداء أنذرت كنيسة المشرق بهبوب عاصفة هوجاء لاحت بوادرها في الأفق البعيد. كانت سورما تراقب الأوضاع بمرارة وأسا عميقين. في قرار سنهودسي صدر يوم ٢٨/٣/١٩٦٤ [٢٥٣]، وموجها إلى إكليروس الكنيسة والمؤمنين كافة قال البطريرك: " إننا قررنا وضع بعض التشريعات حيز التنفيذ، تماشيا مع الأوضاع الحالية. هذه التشريعات تخص تبني تطبيق التقويم الغريغوري لتمكين المؤمنين الإحتفال بالأعياد مع باقي المسيحيين الغربيين... فور الإعلان عن هذا القرار، بدأت الإضطرابات تظهر في الأفق. الأكثرية من المؤمنين قبلت القرار وأطاعته تطبيقا. قلة من جماهير المؤمنين التي أدعت الحنين إلى الأوطان ومنهم آشوريو كنيسة المشرق في العراق تمردوا ورفضوا قبول القرار وتطبيقه وبقوا يحتفلون بعيد الميلاد يوم السابع من كانون الثاني من السنة وكما كانت العادة [٢٥٤]. بعض من الشخصيات المؤثرة تجمعت حول الكاهن المدعو " قاشا أسحق نويا ". مشكلين جبهة معارضة للبطريرك. السطات المدنية العراقية تدخلت في الموضوع وإزادت النار حطبا بدعمها جبهة المعارضين، فأصبح لها شأن وكلمة مسموعة. عندئذ المعارضون لم يجابهوا القرار فقط بل أيضًا هاجمت البطريرك نفسه الذي تمّ إبعاده عن أبناء طائفته الآشوريين العراقيين قسرا ومنذ عقود عديدية إي منذ عام ١٩٣٣ . إضافة لذلك كان الدور للنعرات العشائرية وللعصبية القبلية. هذه الأحداث أقرّت ضرورة القيام بزيارة بطريركية فجائية ومستعجلة شرط أن يكون ذلك في منطقة قريبة من الحدود العراقية، لكن تحقيق ذلك كان أحلاما لإستحالته. عاد مار شمعون إلى لبنان في تموز عام ١٩٦٨ . في ١٥/٩/١٩٦٨ صدر قرار عن الحكومة العراقية بموجبه تمت مصادرة جميع الكنائس الواقعة تحت سلطة البطريرك ومن دون أن يمكنه التدخل أو المدافعة عن حقه. بعد ذلك وضعت الحكومة العراقية تلك الكنائس تحت رعاية الجبهة المعارضة للبطريرك (المتمردة). آنذاك أنضم مار توما درمو المطران الآشوري في جنوب الهند إلى صفوف المعارضين وقام بترقية بعض الكهنة إلى الدرجة الأسقفية ورسامة بعض الكهنة الجدد. كان عدد الأساقفة الجدد ثلاثة. الأول عين للعراق باسم مار أدّي والثاني لأميريكا باسم مار بولس والثالث للهند / تريشور باسم مار أبرم. بعد ذلك، قدم المطران مار توما درمو اقتراحًا لمبادرة تهدف تكريس الانشقاق فاجتمع بالأساقفة الجدد وقرروا تنصيب مار أدي بطريركا للكنيسة المنشقة (المعارضة) التي اتخذت لها إسم الكنيسة الشرقية القديمة (على أعتبار استمرارها تطبيق التقويم القديم). الكنيسة الأصلية

سمت نفسها "كنيسة المشرق الرسولية الآشورية" وتتبع التقويم الحديث [٢٥٥].

عند حلول شهر كانون الثاني عام ١٩٧٠ حصلت تغيرات في الأوضاع لم تكن متوقعة أو منتظرة. فرحت سورما بتلك التغيرات لأنها أعادت الآمال إلى القلوب. التغيرات تحددت

ب: إعادة الجنسية العراقية إلى مار إيشاي شمعون التي سبق أن أسقطت عنه يوم نفيه عام ١٩٣٣، وإعادة الممتلكات الخاصة التي سبق أن صادرتها الحكومة ووضعتها تحت رعاية الجبهة المعارضة لكنيسة البطريرك الأصلية. مقابل ذلك، قام البطريرك بتوجه رسالة نشرتها الصحف العراقية المحلية. توالت هذه الأحداث بسرعة مذهلة، أدّت إلى عودة مار شمعون إلى بغداد بعد غياب دام ٣٧ عامًا قضاها منفيا ومبعدا. عاد إلى بلاد ما بين النهرين معزّزا مكرمًا. كان يوم وصوله يوم الرابع والعشرين من نيسان ١٩٧٠ . فور وصوله الأراضي العراقية قابل رئيس الجمهورية الرئيس أحمد حسن البكر. بعد ذلك نظم برنامج خاص لزيارته شملت بعض المحافظات والمواقع مثل: بابل وكركوك وبعقوبة وتكريت وسامراء. إنّ دوافع التغيير الفجائي في سياسة الحكومة العراقية التي كانت تنظر دوما إلى مار إيشاي شمعون بطريرك كنيسة المشرق كأحد كبار العملاء للامبريالية الأميريكية، كانت دوافع سياسية داخلية. ما يعني المنطقة الشمالية، فقد سبق للحكومة العراقية أن إعترفت بحكم ذاتي منحته للأكراد يشمل ميادين واسعة من الحياة، بعد صراع دام ومرير طال السنوات العشرة الأخيرة. الأكراد من جانبهم كانوا يرون ان للكلدوآشوريين الحق للإعتراف بحقوقهم. إذن لقد كان للمقاومة الكردية أثر كبير في هذا التغيير في السياسة العراقية. في ١٠/٩/ ١٩٧٠ عاد مار شمعون ثانية إلى العراق وبقي فيه حتى الخامس عشر من تشرين أول من نفس العام. أثناء تلك الفترة أقرّت الحكومة العراقية منح الناطقين باللغة السريانية حقوقهم الثقافية، لكن كل هذه الخطوات التقدمية لم تفلح في معالجة الإنقسامات الداخلية الموجودة بين صفوف الآشوريين [٢٥٦] وإزالتها. فانشقاق كنيسة جبهة المعارضة التي ميزت نفسها بالمفردة " القديمة "، بقيت موجودة وتعمل بنشاط. إضافة لذلك، برزت مشاكل أخرى منها كفاح بعض العسكريين الآشوريين والعمل لتشكيل محافظة آشورية تشمل لا فقط المناطق التي تعود فعلا لجماهيرهم بل أيضا أدخلو ضمن المحافظة المطلوبة مناطق عائدة للكلدان والسريان. إنهم قد مارسوا ضغطا على مار شمعون لترك سان فرانسيسكو والعودة إلى العراق ليرأس هذه الحركة القومية. هذه المبادرات والطلبات أقلقت مار شمعون كثيرا. راجع عمته سورما في ذلك فشجعته على الإستمرار في النهج الجديد رغم التخوفات التي كانت تكتنف الموضوع إجمالا. ها هي السياسة تترشح من جديد والأمور العلمانية تتداخل مع مهام البطريرك الروحية الأساسية منذرة مرة أخرى بصراعات اغلبها شخصية كانت موجودة دائما مبعثها حب السلطة والتسلط. آنذاك كان البطريرك شخصًا ضعيفا وصحته تنذر بالشؤم. هنا قد نتساءل هل سيكون لهذه التغيرات والإنقلابات من تأثير على القرارات

المستقبلية التي سيتخذها مار شمعون؟ لا نعلم، إنّ ما سنعلمه هو أنه سيفضل تقديم إستقالته من منصبه والأنسحاب الهادئ من الميدان.

زواج البطريرك!

في رسالة موجهة إلى أبناء الكنيسة الشرقية الآشورية كتبها البطريرك، مؤرخة في الأول من كانون الثاني عام ١٩٧٣ أعترف فيها أنه طالما لم يتمكن من إخراج الإدارة البطريركية من سيطرة النظام العشائري وتحريره من سطوة الإقطاع لذا قرّر رسميًا التخلي عن منصبه ومغادرة الميدان. بعد ستة أشهر أخرى من التفكير العميق ومراجعة الضمير، لم يتراجع البطريرك مار إيشاي شمعون عن قراره الأولي، وبقي مصرا عليه. بعد مرور الستة أشهر وجه البطريرك رسالة أخيرة مؤرخة ١٨/٨/١٩٧٣[٢٥٧]، في هذه الرسالة أعلن زواجه. إعلان إيشاي زواجه كان قنبلة فجرها بين الآشوريين وخاصة منهم الأقارب وأبناء العائلة. ثمّ أضاف أنه سيقترن بالآنسة "إمامة" وعمرها (آنذاك ٢٤ عامًا).كانت عروس إيشاي إبنة الشماس الإنجيلي شمشون شمعون.

النبأ المشؤوم أدخل سورما إبنة التسعين عامًا في صراع نفسي هائل فخيم عليها الحزن وضللتها كآبة لا توصف. قلبها تفطر ألما لأنها رأت إبن أخيها ذا الصحة القلقة المنهك من المتاعب والمجهد من القلاقل والصراعات والخيانات المستمرة إضافة إلى مكر حيل الدبلوماسيين التي رافقته في مشواره طويلا جعلت واقعه مريرا وأوضاعه غير سليمة فكانت أسبابًا دفعته إلى التخلي عن منصبه[٢٥٨]، منسحبا من موقعه والعيش بهدوء وسلام وسكينة منزوي في بيت يسكنه مع زوجة شابة. أعضاء العائلة وخاصة منهم سورما وأخوها داوود (والد البطريرك إيشاي) لم يوافقوا على الإجراء أو يقروه خوفا أن يعتبروا شركاء في إتخاذه. بعد ذلك، لم يكن لبيقى لسورما من طموح في هذه الحياة، إلاّ أن يعطف الله على كنيسته ويتحنن على شعبه ومنهم إبن أخيها. إنهّا بقيت تصلي وترجو رحمة الله القادر لأن يرسل لكنيسة المشرق راعيا أمينا يأخذ الأمور بيديه القويتين ويرسم الطريق الصائب ليسير بجماهير المؤمنين نحو المستقبل المشرق وأن كان لا يزال حتى تلك الساعة غير واضح المعالم.

تلاحقت المشاكل على البطريرك المستقيل وبضغط شديد. من جهة كان هناك واجب الأيفاء بالتزاماته تجاه الكنيسة للحفاظ على استمرارية بقائها حية تعمل، ومن جهة ثانية كان عليه العمل لعقد مجمع الآباء المقدس (السنهودس) ليقوم بخلع البطريرك القديم وتسمية الجديد. تحقق هذا الإجراء في شهر أيلول. هكذا فتحت صفحة تاريخية جديدة بعد صفحة مليئة بالنكبات وركام خرائب لكنيسة طالها الانشقاق وشتت أبناءها الظلم والنزوح القسري، كنيسة أثخنتها الجراح البليغة. تسارعت الأحداث بعدئذ، واستلمت دفة القيادة أيد أمينة فأخذت الموقع الذي تستحقه وسارت في طريق الإصلاح الهادئ والمفيد.

تورلوك Turlock، المحطة الأخيرة في حياة سورما

في بداية عام ١٩٧٥، غادرت سورما "ديلي سيتي" بصحبة أخيها داوود وزوجته استير فجاءوا إلى مدينة تورلوك عند وصولهم كان يسكن هذه المدينة (٦٠٠) آشوريا أما المنطقة فكان فيها (١٧٠٠) آشوريا. خلال عقد الستينات، ساد الخوف من ذوبان جماهير الآشوريين واضمحلالهم التام في بودقة انصهار في مزيج القوميات الأخرى مكوّنة مجتمعا جديدا يعرف بالشعب الأميريكي لا تظهر فيه الميزات القومية الأصلية. الجيل الثاني من الآشوريين الذي تربى ودرس في الولايات المتحدة أتجه إلى ميادين عمل مختلفة وأحينا بعيدة عي ميدان الزراعة التي عرفها والآباء والأجداد وعملوا فيها. البعض استمر في الدراسة حتى وصل المراحل الجامعية، فتخرج البعض وأصبحوا أساتذة أو محامين. الكل همه أن يكون مقبولا في المجتمع كأميريكي. هذا الجيل من الآشوريين أصبح أقل أندفاعًا للحفاظ على الهوية القومية فتفرّق في أرجاء البلاد الواسعة (موديستو، وسيرس، وتورلوك، وسان هوزي...). عندئذ طفت على السطح مشكلة الحفاظ على اللغة / لغة الأم –الآرامية). الشباب تناقصت عندهم قابلية فهم اللغة المحكية السورث. لكن عندما استعادت الهجرة نشاطها وبعنفوان شديد خلال عقد السبعينات نظرا لوصول جموع المهاجرين الجدد القادمين من إيران والعراق، عادت الحياة إلى المشروع الثقافي المطروح والإهتمام بالتاريخ والحياة الإجتماعية والأمور الدينية. المكاسب التي أثمرتها هذه الهجرة الشرق أوسطية أنعشت الجالية ورفدتها بنفحة حياة شابة ونشطة فأسست النوادي والجمعيات وشيدت الكنائس التي تستقطب المؤمنين. في تورلوك تأسست خورنة باسم مار أدّي تابعة لكنيسة المشرق عدد أبنائها في نمو وازدياد بشكل ملحوظ. عندما وصلت سورما تورلوك لم يكن عدد المنتمين إلى هذه الخورنة يزيد على ١٥٠ مؤمنا. أما اليوم فالعدد قد تضاعف مرارا بسبب إقبال الأعداد الغفيرة من مؤمني كنائس أخرى مختلفة على هذه الخورنة لجاذبية تاريخ كنيستها الأصيل وكتابات أبائها القديسين وشهدائها الأبرار وسعة رقعتها أيام عصورها الذهبية فانتشرت في ربوع أسيا حتى وصلت الهند والصين وأندنوسيا.

لكن برغم كل ذاك العز القديم والشهرة الواسعة، عانت كنيسة المشرق مؤخرا من محنة مريرة وخبرة مؤلمة إن لم نقل مشهدًا مأساويا لم يعرف له التاريخ الحديث مثيلا. تلك المأساة هي زواج البطريرك إيشاي ونهايته المفجعة. في مساء اليوم السادس من تشرين الثاني عام ١٩٧٥ سقط إيشاي مضرجا بدمائه بعد إطلاقات صوّبت نحوه فصرعته في الحال وتركته جثة هامدة. كان اسم القاتل داوود بن ياقو بن ملك إسماعيل. حصل ذلك عند باب داره المتواضعة على العنوان: ٦٢١٧ Woosley Drive في مدينة سان هوزي. هذا العمل الوحشي كان نهاية لحياة إنسان ملؤها القلق والإضطراب، كما أنه ختم عهد رئاسة متوارثة ومتسلسلة كانت تجلس على الكرسي البطريركي خلال

فترة قاربت سبعة قرون. كان عمر البطريرك القتيل ٦٨ عامًا وكان أبًا لطفل عمره ١٨ شهرا، كان هذا الطفل الرضيع مثل أمّه الحامل بطفل ثان الشاهدان الوحيدان لذلك المشهد المأساوي المريع الذي لا يستطيع العقل أن يتصوّره أو يتوقع حدوثه. هذه الأحداث المحزنة لم يبلغوها إلى سورما. فقد قرّر أبناء العائلة الحفاظ على الصمت المطبق تجاه الحدث المؤلم، فأبقوه سرًّا عليها ليجنبوها صدمة قد تؤدي بحياتها. فابن أخيها، البطريرك مار إيشاي شمعون، بقي أمام سورما رمزا لحياة شعبه ولحياتها هي بالذات بعد أن كرستها مضحية بها في سبيل القضية الآشورية.

في تلك الأيام توقفت سورما عن القراءة. فنظرها أخذ يضعف بسرعة ودون أن يكون له أي علاج. مع ذلك بقيت رغم العقود التسعة من السنين التي حملتها على كاهلها، محتفظة بكامل حواسها، نشيطة فعالة، ذاكرتها كانت لا تزال تعمل وسمعها وذكاؤها جيدان يثيران إهتمام المتحدثين إليها. في أيلول عام ١٩٧٥ زلقت في بيتها الجديد بينما كانت تسير فأصابها كسر في الورك. أجريت لها على الفور عملية جراحية ناجحة. واستطاعت بعد العملية العودة إلى البيت بصحة جيدة. في اليوم السابع من شهر كانون الأول عام ١٩٧٥، غادرت سورما هذه الحياة وانتقلت إلى دار الخلود بعد دخولها ليلة ذلك اليوم في غيبوبة لم تستيقظ منها. رقدت سورما بسلام وهدوء وراحة نفسية وعمرها إثنتان وتسعون عامًا، بعد حياة طويلة حاكت أيامها المآسي والمصائب. لكن مع ذلك بقيت محتفظة بشعلة الرجاء متقدة في أعماقها. توفيت سورما المرأة الشجاعة ودخلت الأبدية التي إنتظرتها طويلا متحملة وراضية دائما بكل ما أصابها من حظ عاثر وخيبات آمال مؤلمة. بموتها التأمت الجروح العميقة وتوقفت الأوجاع التي سحقتها سحقا، فجعلت منها إنسانة حقيقية وإبريزا خالصًا لها قلب كبير أحب كل الناس بإخلاص وأمانة.

غداة تشييعها اجتمع الإكليروس وصلوا على الجثمان الصلاة الجنائزية في معبد المقبرة. يوم تشييعها كان يوما فريدا، لأن العناية الإلهية جعلت الصباح التالي لليلة الجناز في تورلوك صباحا كثيف الضباب، تصعب الرؤية حتى لمسافة قريبة. يوم التشييع كان يوما شبيها بيوم الجمعة العظيمة عندما أسلم الرب يسوع المعلق على الصليب الروح إذ خيم الظلام على الأرض كلها (٢٥٩) (...) وبعد أن نادى الأب بجملته الشهيرة "إيلي، إيلي، لما شبقتاني؟" (إلهي إلهي، لماذا تركتني). فما أشتهرت به سورما أيام حياتها هو تعلقها بهذا الفصل من الإنجيل، فكانت تردد جملة الرب يسوع باللغة الآرامية وتصرخ صراخه وقبل أن يقول: "ها قد تمّ" وأخيرا: "بين يديك أستودع روحي". فيسلم الروح. ألا يحق لنا أن نعتبر هذه الكلمات القليلة التي تلفظ بها الفادي يسوع والتي كانت سورما ترددها صراخا مملوءًا بالرجاء وسط بحر الأحزان الذي كان يحيط بها؟

في اليوم التالي، إستقبلت الكنيسة - كنيسة المشرق - التي أحبتها سورما كثيرا، وكذلك المؤمنون وفي مقدمتهم أبناء العائلة نعش الراحلة الذي حوى جسدها للمرة الأخيرة في نهاية رحلتها على هذه

الفانية. أبناء العائلة جميعا كانوا حاضرين وإلى جانبهم التف حول النعش جمهور غفير من الآشوريين، فأنشدوا الصلوات الجنائزية بأسى حزين وعميق. بعد لإفتتاحية التقليدية: " محي ميثي شوحا لشماخ " [٢٦٠]. بين الحاضرين وقفت استير زوجة أخيها التي إهتمت بها كثيرا خصوصًا لأنها رفيقة دربها خلال السنوات الأخيرة، لذا كان حزنها كبيرا وظاهرًا للعيان، خسرت استير بوفاة سورما أمًا وأختًا ومحبة حقيقية. تجمهر الناس والأحبة والمعارف الذين أحبتهم سورما كثيرًا حول النعش. إنها كانت مخلصة للجميع، خدمت الكبار والصغار الأغنياء والفقراء دون تمييز، كانوا أمامها متساويين لأنهم أبناء شعبها المنكوبين بأحداث الزمن. نعم تجمع الكل حولها في وحدة لا مثيل لها. كم عملت لأجلها وتمنت أن تراها وهي على قيد الحياة. أنحنى الجميع أمام نعش سورما باحترام وتقدير بالغين قائلين حقا كانت خانم وباستحقاق حملت لقب الليدي الشهير.

بعض الصحف المحلية والمجلات الكلدو آشورية نشرت نبأ وفاة سورما بعناوين حزينة كما نشرته أيضًا. جريدة Church Times اللندنية [٢٦١] بعد مراسيم إلقاء النظرة الوداعية الأخيرة ومراسيم الدفن الطقسية، إستلمت العائلة الكثير من برقيات التعزية رغم أنّ الكثيرين من الذين عرفوها وكانت صديقة لهم سبقوها إلى دار الخلود تاركين العالم وسخريات القدر.

ها هي سورما تفترش الثرى وترقد بسلام الرب الأبدي، إلى جانب إبن أخيها الذي عرف دوما بـ " البطريرك مار إيشاي شمعون " في مقبرة تورلوك. ومع مغادرة سورما هذا العالم، طويت صفحة مهمة من صفحات كنيسة المشرق، ومعها طويت صفحة من تاريخ عائلة مار شمعون التي توارثت الجلوس على السدة البطريركية قرونًا عديدة. أما صفحات تاريخ شعبها وكنيستها العتيدة فلا زالت تتوالى وستبقى هكذا إلى ما شاء الله.

الحواشي

١) للإطلاع على دراسة مفصلة للجغرافية القديمة الخاصة بهذه المنطقة يُرجى الرجوع:

= إلى الدراسة التي كتبها الفرنسي Michel Chevalier التي ترجمت إلى اللغة العربية في كتاب عنوانه "المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالي –ترجمة نافع توسا. الكتاب باللغة الفرنسية من منشورات قسم الجغرافية في جامعة باريس –السوربون –تحت الرقم ١٣ نشر في باريس عام ١٩٨٥. راجع الفصل الأول قسم البيئة والحياة، الصفحة ٤١٨ (من الكتاب بالنص الفرنسي).

= وكتاب هنري بندر / Henry Binder، بعنوان: "في كردستان وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس"، الذي وضعته البعثة العلمية لوزارة التعليم العام، منشورات دار Quantin، في باريس عام ١٨٨٧، الصفحة ٤٥٣ .

= وكتاب باسيل نيكيتين / Basile Nikitine بعنوان: نظام الطرق في كردستان والمنطقة المحصورة بين الزابين" المنشور في باريس عام ١٩٣٥ في مجلة الجغرافية العدد الصادر خلال شهري أيار –حزيران، الجزء ١٠٨ الصفحات ٣٦٣ - ٣٨٥.

٢) مفردة آرامية مطورة ومشتقة من المصدر "قودشا" التي تعني مقدس.

٣) عبارة آرامية باللهجة المحكية "السورث" وتعني أهلاً بالقادمين. لهجة السورث الشرقية المحكية هي اللغة التي يتحدث بها المسيحيون وتعود بأصولها إلى العهود الأولى من السريانية. الآرامية لغة سامية انتشرت بين شعوب أقطار الشرق الأوسط اعتباراً من القرن الثامن قبل الميلاد. إنها قد أزاحت تدريجياً كل اللهجات المحلية المستعملة آنئذ فاصبحت لغة الدبلوماسية. في القرن الرابع قبل الميلاد احتل الأسكندر المقدوني (الكبير) الشرق إثر انتصاراته الكثيرة. عندئذ أصبحت اليونانية اللغة الرسمية عوضا عن الآرامية في مناطق محدودة فقط. لذا بقي استعمال الآرامية في المناطق الأخرى بلهجات متعددة قائما. بعدئذ آخذ استعمال تلك اللهجات في تلك المناطق في الأنكماش شيئاً فشيئاً حتى آن إنحصر استعمالها في مناطق جدا صغيرة منها منطقة حكاري وأطراف "وان" والعمادية وبعض المناطق في تركيا مثل طور عابدين (ماردين ونصيبين).

٤) مفردة مار: آرامية وتعني السيد، وتستعمل كنية فتسبق اسم قديس أو اسم أسقف أو البطريرك.

٥) رابي مفردة آرامية وتعني الأستاذ أو المعلم .

٦) حول موضوع المجامع العامة الاولى لكنيسة المشرق يرجى الرجوع إلى السنهودسات المشرقية أو مجموعة السنهدوسيات النسطورية المنشورة بعد ترجمتها عن السريانية والتعليق عليها من قبل /.Chabot J.B شابو، نشرتها المطبعة الوطنية في باريس بجهود دار نشر .C Klincksieck عا١ . ١٩٠٢ انظر الصفحة ٦٩٥ .

٧) عدا المقرات التي جاء ذكرها أعلاه، كان لكنيسة المشرق مقرات بطريركية أخرى وكانت الإقامة في بعضها لفترة قصيرة. ندرجها فيما يلي مع تواريخ ومدد فترات الإقامة:

= سلوقيا –قطيسفون (٣٧ - ٧٨٠): في عهد البطريرك طيماثيوس نقل مقر الكرسي البطريركي إلى بغداد وبقي هناك حتى عام ١٢٨١ .

= بغداد (٧٨٠ - ١٢٨١): بعد ذلك نقل المقر البطريركي إلى مراغا لفترة قصيرة بعدها نقل إلى

أربيل ثمّ إلى كرمليس ثمّ إلى الموصل عام ١٣٤٥ . في العام ١٤٧٧ نقل مقر الكرسي إلى الجزيرة (جزيرة ابن عمر) في العام ١٥١٠ استقر المقر في دير الربان هرمزد وبقي هناك حتى عام ١٧٠٠ إذ نقل عندئذ إلى قوجانس التي نتحدث عنها.

٨) حول تاريخ كنيسة المشرق يرجى مراجعة:

= "قاموس اللاهوت الكاثوليكي" DTC الصادر في باريس عام ١٩٣١ الجزء الحادي عشر الفقرات ١٥٧ - ٣٢٣, هذا القاموس هو من تأليف أوجين تيسران وايميل عمان. موضوع بحثنا ممكن العثور عليه تحت الفقرة بعنوان: الكنيسة / باب

= كتاب David Wilmshurst بعنوان: التنظيم الكنسي في كنيسة المشرق من العام ١٣١٨- ١٩١٣

= مجموعة قوانين الكنائس الشرقية المعروفة ب Corpus scriptorium christianorum orien-talium التي نشرت في لوفأن عام ٢٠٠٠ والصادرة عن دار نشر Peeters الصفحة ٨٥٥ .

= كتاب الأستاذ يوسف يعقوب تحت عنوان: "بابل المسيحية" وهو دراسة جيوسياسية لكنيسة ما بين النهرين من منشورات دار النشر Desclée de Bouwer، صدر في باريس عام ١٩٩٦ الصفحة ٣٣٤ .

٩) الناسك هوالراهب الذي يعيش لوحده في صومعة منفردة (المترجم) .

١٠) "ربن"مفردة آرامية تعني راهب أعزب.

١١) عن هذا الموضوع، يرجى الرجوع إلى:

= كتاب Athelstan Riley تحت عنوان "تقدم واحتمالات نجاح بعثة الرئاسة الإسقفية (كنتربري) إلى المسيحيين الآشوريين الصادر في لندن بجهود جمعية نشر المعرفة بالمسيحية عام ١٨٨٩ .

= وكتاب J. F. Coakley تحت عنوان "كنيسة المشرق وكنيسة إنكلترا" قصة تسرد أحداث الحياة لبعثة رئاسة أسقفية كنتربري المقيمة عند الآشوريين. صدر هذا الكتاب في نيويورك عام ١٩٩٢ عن مطبعة Clarendon تحت رعاية مطابع جامعة أكسفورد الصفحة ٤٢٢ .

١٢) يرجى مراجعة المصدر الأخير من الحاشية السابقة، أي كتاب J. F. Coakley تحت عنوان "كنيسة المشرق وكنيسة انكلترا" الصفحات ٥٥ - ٥٨ .

١٣) هذه المفردة آرامية وتشبه مفردة "بيت" باللغة العربية ولها نفس المعنى. قد تستعمل أيضاً بمعنى "من بيت أو عشيرة أو "آل" فمثلاً نقول "ده بيت مار شمعون" ونعني من آل مار شمعون.

١٤) راجع كتاب Isabella L. Bird Bishop تحت عنوان: رحلات إلى بلاد فارس وكردستان، بضمن ذلك صيف في أعالي منطقة الكارون والزيارة لجماهير النساطرة من الرايا من منشورات J. Murrry، صدر في لندن عام ١٨٩١ راجع الصفحات ٢٨١ - ٢٨٣ و٢٩١ .

١٥) مفردة آرامية بلهجة السورث تعني أخي .

١٦) كلمة آرامية وتعني الشماس .

١٧) عبارة آرامية تعني صلاة المساء.

١٨) عادة ما كان البطريرك يستقبل زوّاره في مقر سكناه بعد صلاتي الصبح والمساء. كان يتمّ الإستقبال في غرفة كبيرة خصصت لهذا الغرض. في العهد العثماني كان الديوان يعني "مجلس الشورى" الذي كان يجتمع مراراً كل اسبوع برئاسة السلطان.

١٩) راجع كتاب François Thureau-Dangin تحت عنوان: Une relation de la VIII e Campagne de Sargon, 714 a.v. J.C. المنشور في باريس عام ١٩١٢ والصادر عن دار نشر Paul Genther في أدناه مختصر لنص يقول: "بع اعداد جند جيوشي الشجعان ذوي الخبرة القتالية المشهود لها سلكت طريق مزازير Musasir الطريق الوعر (...) وذهبتُ عبر الزاب الأعلى (...) واخترقتُ

(...)"راجع لصفحة ٥١ .

٢٠) وتعني أختي سورما .

٢١) جمع مفردة الملك وهورئيس عشيرة أو فخذ أو قرية لدى الآشوريين من الجماهير التي تعيش وفق نظام العشيرت .

٢٢) مفردة تعني "آخي".

٢٣) "ناطر كورسي" عبارة تعني الراعي / المحافظ على / الكرسي البطريركي. عادة ما يكون هذا الشخص خلفا للبطريرك بعد وفاته.

٢٤) صلاة الصبح .

٢٥) صلاة الليل.

٢٦) المزمور ١١٩ الآية ٦٢ .

٢٧) راجع إنجيل القديس مرقس الفصل ١٣ الآيات ٣٣ - ٣٥ .

٢٨) كاروزوثا: تعني صلاة تضرع وطلبات وفق اسلوب خاص تتبعه الكنيسة الآشورية والكلدانية.

٢٩) راجع الكتاب الذي أصدره الخوري فرانسيس ايليشوران تحت عنوان: "كتاب القداس الألهي الخاص بكنيسة المشرق الآشورية –الكلدانية حسبما أقرته الطقوس مع نبذة عن تاريخها. طبع ونُشر في باريس عام ١٩٨٢ برعاية الكنيسة الكاثوليكية الكلدانية. نشر الكتاب بلغتين هي الآرامية/ السريانية الفرنسية (٤٣٠ صفحة).

٣٠) عبارة "عيدتا د مدنحا" تعني كنيسة المشرق أو الكنيسة الشرقية أي الجهة التي تشرق الشمس منها.

٣١) حول موضوع توسع وانتشار كنيسة المشرق راجع:

= كتاب اوجين تيسران بعنوان "مسيحية سين- كان- فو" في عهد سلالة "تانك" المنشور في باريس عام ١٩٣١، قاموس اللاهوت الكاثوليكي الجزء (١١) الفقرة ١٩٩ (صفحة ٢٧٠).

= كتاب فرانسوا نو / François Nau بعنوان التوسع النسطوري في آسيا. حوليات متحف Guimet التي نشرت في مجلة الشرق المسيحي، الصادرة عن المطبعة الوطنية قي باريس عام ١٩١٣ الجزء (٩٠) الفقرات من صفحة ١٩٣- ٣٨٨ ، كذلك راجع مواضع" شواهد قبور النساطرة في حوليات نفس المتحف التي نشرتها في مجلة الشرق المسيحي عام ١٩١٣ الجزء (١٢) الصفحات ٣- ٣٥.

= كتاب Paul Pelliot بعنوان"بحوث حول مسيحيي آسيا الوسطى والشرق الأقصى" المطبوع في المطبعة الوطنية. أعيد طبعه عام ١٩٧٣ (٣٠٧ صفحة).

٣٢) راجع حول ذلك كتاب / Pierre Rondot / بيير روندوت بعنوان "أصول وعادات الجدود الأولين لجماهير الآشوريين، في أعالي الجزيرة السورية مع مخطط اجمالي للحياة القبلية، المنشورة في نشرة الدراسات الشرقية الجزئين ٩١ و٩٢ الصادرين في العامين ١٩٨٩ و١٩٩٠ عن المعهد الفرنسي في دمشق/ منشورات عام ١٩٩٣ الصفحات ٦٥ -١١١ .

٣٣) عبارة كثيراً ما يستعملها المسيحيون في هذه المناطق ومعناها "باسم الله".

٣٤) عبارة تعني "التسبيح "/ التمجيد لله.

٣٥) راجع مقالة الآب جان موريس فييَ بعنوان "دراسة قبتاريخية مسيحية لمنطقة حكاري التركية "المنشورة في مجلة الشرق المسيحي الصادرة في باريس. الجزء التاسع لعام ١٩٦٤ الصفحات ٤٤٣ - ٤٧٢ .

٣٦) مفردة "ديرا" تعني مفردة الدير باللغة العربية .

٣٧) حول موضوع الجغرافية الكنسية الخاصة بكنيسة المشرق والمقطعات التابعة لها راجع

كتاب" .

= Jean Dauvilier بعنوان: "المقاطعات الكنسية الخارجية خلال القرون الوسطى منشورات دار Mélanges F. Cavallera. الصادر في تولوز (في فرنسا) عام ١٩٤٨ الصفحات ٢٦٠ - ٣١٦ .

= ومقالة للأب Jean Maurice Fiey بعنوان المسيحية السريانية في خرسان وسجستان منشورات Muséon صدرت في بلجيكا عام ١٩٧٣ المجلد ١٣٦ الصفحات ٧٥ - ١٠٤ .

= مقالة لنفس المؤلف أعلاه بعنوان "آذر بيجان المسيحية" المنشورة في نفس المنشورات أي Muséon

في بلجيكا عام ١٩٧٣ المجلد ١٣٦ الصفحات٣٩٧ - ٤٣٥ .

= كتاب David Wilmshurst بعنوان "التنظيم الكنسي في كنيسة المشرق ما بين العامين ١٣١٨ - ١٩١٣ الصفحات ٢٧٥ - ٣٤١ و ٣٦٤ - ٣٧٠ .

٣٨) حول علم الفلك عند السومريين –البابليين راجع كتاب René Taton بعنوان "العلوم في العهود القديمة والقرون الوسطى أي منذ البدايات وحتى العام ١٤٥٠"من منشورات مطابع الجامعات الفرنسية Quadrige التي يرمز إليها بـ PUF الصادر في العام ١٩٩٤ . راجع الصفحات ١٢١ - ١٣٦ .

٣٩) راجع إنجيل متى الإصحاح الثاني الآيتين التاسعة والعاشرة.

٤٠) هذه القصة ذكرتها سورما د بيت مار شمعون في كتابها بعنوان: الكنيسة الآشورية — العادات والتقاليد - ومقتل البطريرك مار شمعون منشورات دار Vehicle الصادر في نيويورك، أعيد طبعه عام ١٩٨٣ . راجع الصفحات ٢ و٣ .

٤١) "ندرتا" مؤنث "نذيرا" وتعني المكرَس والمكرَسة"/امنذور لخدمة معينة.

٤٢) للإطلاع على تفاصيل هذه المذبحة يرجى الرجوع إلى:

= كتاب Eugène Grisselle بعنوان "شهداء السريان والكلدان وأحوالهم ما بين العامين ١٩١٤-١٩١٨ من منشورات دار Bloud et Gay الذي صدر في باريس عام ١٩١٧ .

= والتقرير الذي كتبه النائب الأندرينوبول (تسمية لمنصب كنسي في كنيسة الأرمن) هاكوب بابكيان في السابع من حزيران عام ١٣٢٠ (١٩٠٩). عنوان التقرير كان "مذابح الأرمن في أدنه". نُشر هذا التقرير بطريرك الأرمن في القسطنطينية. كان العنوان عند النشر "أحوال الأرمن في تركية معززة بالوثائق وللأعوام المحصورة بين عام ١٩٠٨ - ١٩١٣ / القسم الثالث. نشر في القسطنطينية عام ١٩١٣ الصفحات ٥ - ٢٧ . في بعض النصوص المنشورة نقرأ: "أثناء المذابح التي تمت في الفترة الحميدية كان القتلة يتجاوزون النساء والأطفال فقط، عادة لم يكونوا يتعرضون للمسيحيين من القوميات الأخرى ولا حتى للأرمن الكاثوليك أو البروتستانت. أما في أدنه وأثناء المذابح، فانهم لم يكونوا يميزون بين قوميات المسيحيين أي إنهم كانوا لا يهتمون إن كان الضحية من السريان (السريان الأرثوذوكس) والسريان الكاثوليك حيث لا تشابه بينهم وبين الأرمن لا من ناحية اللغة ولا الملابس، طالما جميعهم كانوا يتكلمون العربية وان كانوا يلبسون ملابس مختلفة. كان عدد الضحايا منهم (المسيحيون من قوميات غير أرمنية) عدا الأرمن:

كانت (٤٠٠) من السريان القديم و(٦٥) من السريان الكاثوليك و(٢٠٠) من الكلدان.

٤٣) راجع كتاب جورج برسي بادجر بعنوان "النساطرة وطقوسهم ومولد البعثة التبشيرية في بلاد ما بين النهرين وكردستان خلال الفترة الواقعة ما بين العامين ١٨٤٢- ١٨٤٤ ، الذي نُشر في لندن عام ١٨٥٢ . راجع الصفحتين ٢٧٠ - ٢٧١ .

٤٤) راجع كتاب أوجين كريسيل بعنوان "شهداء السريان والكلدان وآمالهم بين العامين ١٩١٤ - ١٩١٨، الصفحات ١٩ - ٢١ .

٤٥) بخصوص الأمثال الشعبية والأقوال المأثورة للآشوريين، اعتمدنا على ما كتبه باسيل

نيكيتين في مقالته بعنوان "الأقوال المأثورة والمعتقدات الخرافية عند الكلدان سكان أورميا"المنشورة في مجلة العراقة (العراقة علم يبحث في خصائص الشعوب —المترجم) العدد ١٤ التي كانت تصدر في باريس. راجع الصفحة ١٤٩ - ١٨١ .

٤٦) راجع المراثي الإصحاح الأول الآيات ٧ - ١٨ .

٤٧) عبارة "باعوثا د نينواي" تعني حرفيا ابتهال أو تضرع اهل نينوى وقد تعرف أيضا بصوم يونان.

٤٨) "بوخون دباؤوثة" يعني طحين الأبتهال أو التضرع الذي يحضر لموسم صوم الباعوثا .

٤٩) راجع تعليق أفرام النصيبيني المطابق للانجيل المعروف بالدياطسورن المترجم عن السريانية /الارامية من قبل Louis Leloir في مجلة المصادر المسيحية منشورات Du Cerf الصادرة في باريس عام ١٩٦٦ ، راجع الصفحات ٩٥ ١-١٩٧ .

٥٠) يرجى مراجعة كتاب Eugène Griselle بعنوان "شهداء السريان والكلدان خلال الأعوام بين ١٩١٤ - ١٩١٨ وآمالهم" راجع الصفحات ١٩ - ٢١ .

٥١) حول هذا الموضوع، يرجى الرجوع إلى كتاب Coakley بعنوان "كنيسة المشرق وكنيسة انكلترا". يتحدث هذا الكتاب عن تاريخية بعثة رئاسة اسقفية كنتربري التبشيرية، راجع الصفحة ٣٠٩ ، ما يخص شعور المطران فرنسيس تجاه ويكرام. هناك رسالة كتبها المطران إلى اللورد "دافيدسن" بتاريخ ١٦ /١٩١٦/١ يرجى الرجوع إليها.

٥٢) عن ذلك، يرجى مراجعة كتاب "سورما من بيت مار شمعون" بعنوان: "عادات وتقاليد الكنيسة الآشورية ومقتل البطريرك مار شمعون". راجع الصفحتين " ٦٣ و٦٤ .

٥٣) راجع نفس المصدر السابق الصفحتين ٦٣ - ٦٤ .

٥٤) راجع السورة الخامسة التي هي سورة المائدة الآية ٨٢ ، راجع القرآن، ترجمة D. Masson من منشورات Gallimard Coll. Folio classiques المنشور في باريس عام ٢٠٠١ ، راجع الصفحة ١٤١ .

٥٥) راجع الفقرة الخاصة بالراهب بحيرة في دائرة المعارف الأسلامية، الطبعة الجديدة الصادرة في Leyde الجزء الأول الصفحتين ٩٥٠ ، و٩٥١ .

٥٦) يرجى مراجعة انجيل القديس متى البشير الإصحاح (٢٧) العدد ٦٣ .

٥٧) راجع إنجيل القديس متى البشير، الإصحاح ٢٨ العدد ٥ - ٧ .

٥٨) راجع مقالة Georges S. Reed بعنوان "بعثة رئاسة أسقفية كنتربري لدى المسيحيين الآشوريين".

المقالة ترجمت ونشرت من قبل Jean - Michel Hormus بعنوان "الكنيسة الآشورية وبعثة رئاسة أسقفية كنتربري، نشرت ترجمة المقالة في مجلة "العالم غير المسيحي. العدد ٨٤ لشهري تشرين أول - تشرين ثاني عام ١٩٦٧ ، راجع الصفحات ٣ - ٧٥ .

٥٩) راجع كتاب Cockley بعنوان "كنيسة المشرق وكنيسة إنكلترا" دراسة تاريخية لأعمال البعثة التبشيرية التابعة لرئاسة أسقفية كنتربري، راجع الصفحة ٣٣٥ .

٦٠) راجع مقالات "كبرييل يونان" بعنوان: "الأبادة الجماعية للمسيحيين الآشوريين في تركيا، منشورات قسم "الشعوب المنسية، نُشرت هذه المقالات في مدينتي Gottingen و Wien خلال شهر أيار من عام ١٩٨٩ في سلسلة مجلة Pogrom في العددين ١٤٨ و١٤٩ في الصفحات ١٠٥ - ١٠٧ .

٦١) راجع كتابات باسيل نيكيتين بعنوان:

= "المشكلة الآشورية" المنشورة في "المجلة الدبلوماسية العالمية"التي كانت تصدر في باريس عام ١٩٣٣، العدد الرابع الصفحة ٢٣٠ .

= راجع المفردة "أورامار" في دائرة المعارف الأسلامية طبعة Leyde الجزء الثالث الفقرات ١٠٥٩ - ١٠٦١ .

٦٢) حول ما جاء في هذه الفقرة، استندنا على الفصل الخاص بأحداث هذه الفترة التي جاء ذكرها في كتاب بعنوان "الحرب العظمى" الذي نشرته سورما د بيث مار شمعون بعنوان "عادات الكنيسة الآشورية ومقتل مار شمعون بنيامين الذي سبق، إن ذكرناه في حواش سابقة. يُرجى مراجعة الصفحات ٦٥ - ٩٣ .

٦٣) للمزيد من التفصيلات، يُرجى مراجعة كتاب كبرييل يونان الذي سبقت الإشارة إليه، راجع الصفحات ٢٥٧ و٢٦٩ - ٢٧٧ .

٦٤) النشيد القومي في أعلاه سبق وأن نشره الأب W. A. Wigrame في كتابه بعنوان "حليفنا الصغير". يتحدث هذا الكتاب عن تاريخ الشعب الآشوري، قامت بنشره في لندن جمعية تطوير المعرفة لدى المسيحيين عام ١٩٢٠ بعد ترجمته. راجع الصفحتين ١٥ و١٦ .

٦٥) أو ديفيد أخو مارشمعون بنيامين .

٦٦) يرجى مراجعة ما جاء في كتاب Lepsius Johann بعنوان "التقرير السري عن المذابح في أرمينيا" الذي كتب مقدمته René Pinon Payot ونشر في باريس عام ١٩١٩، راجع الصفحتين ١٢٥ و١٢٦ . في المقدمة يذكر الدكتور Lipsius الذي كان قد ترأس البعثة الألمانية إلى الشرق والجمعية الألمانية الأرمنية أيضاً أنَ: "٦/٧ الممتلكات التي كان يملكها الأرمن نهبت أو سرقت، بيوتهم صودرت وهجروا قسرا، لم يستثنى منهم أحد سوى الذين اعتنقوا الأسلام. الباقون معظمهم أعدم أو أخذ إلى الصحاري. نفس المصير حصل للنساطرة في سوريا ولبعض من المسيحيين اليونانيين، راجع عن ذلك الصفحتين ٣ و ٤ . عن موضوع احتلال قوات خليل بيك الأراضي الفارسية وانتشارها في الأطراف الشمالية من تلك البلاد يقول: إنَ الحصار الذي ضرب على منطقة "وان" في أورميا" وسلامس عام ١٩١٥ أدى إلى دمار شامل هذا نقلا عن شهادة أعطاها راعي أورميا القس Pfander الذي كان من أصول المانية أرمنية بتاريخ ١٩١٥/٧/٢٢ كذلك شهادات أعطاها البطريرك الآشوري الذي جاء إلى المنطقة لاجئا منذ تشرين أول ١٩١٥، راجع حول ذلك الصفحات ١١٨ - ١٢٦ .

٦٧) أورميا مفردة ارامية مركبة من: آور ومعناها مدينة و"ميا" وتعني المياه .

٦٨) راجع مذكرات ومراسلات المستشرق E. Boré بعنوان "مذكرات ومراسلات رحالة إلى الشرق" صدر في باريس عام ١٨٤٠ عن دار نشر .Olivier Fulgence المجلد الأول الصفحات ٢٥٥ - ٢٥٨ .

٦٩) راجع حول هذا الموضوع رسالة المطران Cluzel، الدبر الرسولي في بلاد فارس، الموجهة إلى السيد Salvayre في باريس والمنشورة في "حوليات الأرسالية (البعثة) الخاصة بالرهبنة المعروفة" Filles de la Charité أخوات المحبة" ومجموعة الرسائل التي تغطي الأعوام ١٨٣١- ١٨٣٧ المنشورة في مجلة "سان فانسان دي بول" التي كانت تصدر في ليون الجزء ٣٤ عام ١٨٤٩ الصفحة ١٢١ منذ العام ١٨٤٠ جمعت مراسلات الأخوة اللعازرين وأخوات المحبة الغنية بالمعلومات في مجلدات كبيرة سميت "حوليات". المعلومات التي تحويها تلك الحوليات تصف بتفصيل الحياة اليومية للكلدو آشوريين في بلاد فارس. كتبه هذه الحوليات كانوا مبشرين غربيين منهم Darnis و Chatelet و Decroo والمطران Cluzel والمطران Lesné والمطران Sontag ومن الكهنة الأب زيا والآب دنحا والمطران نيسان كذلك بينهم أخوات مثل الأخت Louise, Munier و Laperrrière و Galichet .

٧٠) راجع رسالة M. Louis Bray إلى الأخ Génin في باريس المحفوظة في حوليات رهبنة الرسالة التي أشرنا إليها في الهامش الأخير، المجلد ٤٥ لعام ١٨٨٠ الصفحة ٣٩١ .

٧١) راجع كتاب السيدة William Monod بعنوان أورميا وقصص عن البعثة الأمريكية في بلاد فارس التي نشرتها دار: J. Bontoure et Cie في باريس، راجع الصفحة ٢٩٢ .

٧٢) راجع مقالة/ دراسة " Aristide Châtelet بعنوان "البعثة التبشيرية في بلاد فارس" التي نشرت في Revue d' Histoire des Missions (RHM) مجلة تاريخ البعثات التبشيرية التي كانت تصدر في باريس. ظهرت هذه الدراسة في أعداد المجلة المذكورة اعتبارا من كانون أول عام ١٩٣٣ ولغاية أيلول ١٩٣٩ .

٧٣) يرجى مراجعة رسالة الأب زيا، كاهن البعثة، الموجهة إلى الرئيس العام للرهبنة المقيم في تفليس الأب Villette المؤرخة في ٢ /١٩١٥/٢ والمثبت نصها في حوليات الرهبنة العامة / القسم الخاص ببعثة أورميا عام ,١٩١٥ راجع المجلد (٨٠) الصفحتين ٥٣٠ و٥٣١ .

٧٤) ما كتبته الجريدة تمّ إدراجه نصا في الحوليات الخاصة التي تنتمي إليها البعثة وبعنوان "سرد مفصل ليوميات الأضطرابات التي حدثت في أورميا. راجع المجلد (٨١) لعام ١٩١٦ الصفحات ٢٣٩ - ٢٦٥ .

بهذه المناسبة نذكر بالتقرير الموجه لقداسة البابا البابا بندكتس الخامس عشر من السيد Harry Packard الطبيب الأمريكي التابع للبعثة التبشيرية الكلفانية المقيمة في أورميا راجع الحوليات لعام ١٩١٩ المجلد (٨٤) الصفحات ٥٠٩ - ٥١٤ كذلك يرجى مراجعة رسالة المطران سونتاك إلى الرئيس العام المؤرخة في ١٠/١٧/ ١٩١٥، التي نشرت بنصها الكامل في كتاب Joseph Euler تحت عنوان "المطران سونتاك في بلاد فارس منشورات دار Mutzig لعام ١٩٩٦ الصفحات ٩٦ - ١٠٦ .

٧٥) عن هذا الموضوع، يرجى مراجعة كتاب ألاب جاك ريتوري بعنوان "المسيحيون البهائم" (لأنهم كانوا يعاملون كالبهائم) وذكريات عن حرب مقدسة أعلنها الأتراك على المسيحيين عام ١٩١٥ ، إتخذ السيد "جوزيف اليشوران" هذا الكتاب موضوعا لدراسته نشرها في باريس عام ٢٠٠٥ .

٧٦) راجع الكتاب الأزرق لمؤلفه Willian Antoine Shedd والكتاب بعنوان "معاملة الأتراك للأرمن" الذي وضعه Arnold Joseph Toynbee من منشورات دار Hooder and Stougton الذي صدر في لندن عام ١٩١٦، راجع الصفحة ١٠٤ .

٧٧) في الإمكان الإطلاع على كل تلك الشهادات بمراجعة أرشيفات الرهبنات الدومنيكية واللعزرية والانكليكانية واللوثرية التي كان لها بعثات تبشيرية مقيمة في تلك البقاع أثناء تلك الفترة المظلمة من التاريخ.

٧٨) مثل شهادة مار شمعون بنيامين البطريرك النسطوري. ومطران الكلدان أوجين منا وبطريرك السريان الكاثوليك مار أغناطيوس أفرام رحماني وبطريرك السريان الأرثدوكس مار أفرام برصوم. والبطريرك الكلداني مار يوسف عمانوئيل الثاني توما والأب جوزيف نعيم الكلداني والأب آبل زيا وبول بيرو وغيرهم آخرون ممن كتبوا عن تلك المآسي والمذابح البشرية.

٧٩) راجع كتاب يوسف يعقوب بعنوان "القضية الآشورية" المنشور من قبل "ألفا كرافيك" في شيكاغو عام ١٩٩٣ الصفحات ٤٩ - ١٣٦ .

٨٠) معناه "شعاع الضياء" دام صدور هذه المجلة في أورميا حوالي سبعين عاما أي من (١٨٤٩ - ١٩١٨) كانت هذه أول مجلة تصدر في بلاد فارس وتعتبر اليوم سجلا لحوليات أحداث ووقائع حياة الشعب الآشوري.

٨١) التي عرفت بالتسمية المختصرة ACASR .

٨٢) راجع رسالة سورما د بيث مار شمعون الموجهة إلى السيدة D. S. Margoliouth المنشورة في الكتاب الأزرق البريطاني الصادر في أوكسفورد بتاريخ الأول من نيسان عام ١٩١٦ بعنوان "معاملة

الأرمن ضمن الأراضي العثمانية" الصفحات ١٧٧ - ١٧٩ .

٨٣) راجع سفر ميخا في الكتاب المقدس (العهد القديم) الاصحاح السادس العدد ٤ .

٨٤) راجع كتاب Victor Chiklovisk بعنوان "سفرة عاطفية" المترجم عن الروسية من قبل Vladimir Pozner الصادر في باريس والمنشور من قبل دار نشر Gallimard عام ١٩٦٣، الصفحة ١٤٨. كان هذا الكاتب مؤرخا وناقدا وأدبيا ومنظرا وصحافيا روسيا شهيراً. عاش هذا الكاتب ما بين (١٨٩٣- ١٩٨٤) ونشر كتابه هذا كسيرة ذاتية لأول مرة في فنلندا عام ١٩٢٣ .

٨٥) راجع كتاب Paul Caujole بعنوان "المصائب التى واجهتها فرقة الإسعاف الفرنسية في بلاد فارس" من منشورات دار Gémeaux في باريس عام ١٩٢١ الصفحات ٣٣ - ١١٨ .

٨٦) حول ما أعلنه النقيب "كريسي" بتاريخ ١٩١٧/١٢/١٩ في أورميا والذي قمتُ بترجمته (إلى الفرنسية) أرجو مراجعة كتاب G. M. Dooma بعنوان "من هم هؤلاء الآشوريون؟" الذي نُشر في لندن عام ١٩٤٢ . راجع الصفحتين ١٩ - ٢٠ .

٨٧) راجع حول هذا الموضوع كتاب "يوسف مالك بعنوان "المأساة الآشورية" (كتاب مترجم عن الأنكليزية من قبل P. L. Kyriakos صدر عن مطابع Grand Champs Annemasses في شهر شباط من عام ١٩٣٤ . راجع الصفحتين ١٨ و١٩ . حول إجتماع اورميا يرجى أيضاً مراجعة كتاب سورما د بيث مار شمعون بعنوان "الكنيسة الآشورية، العادات، واغتيال مار شمعون. الصفحتين ٧٦ و٧٧ . كذلك يرجى مراجعة كتاب Joseph Eyler بعنوان "سيادة المطران سونتاك الشهيد في بلاد فارس. راجع الصفحتن ١٢٨ و١٢٩ .

٨٨) راجع كتاب سورما د بيث مار شمعون بعنوان "الكنيسة الآشورية —العادات، واغتيال مار شمعون بنيامين" الذي سبقت الاشارة إليه. راجع الصفحات ٨٠ - ٨٣ .

٨٩) راجع كتاب بول كوجول بعنوان "Les tribulations d`une ambulance française en Perse" الذي سبق وأن أشرنا إليه. راجع الصفحات ١١٩- ١٧٤ .

٩٠) حول هذه الأعدامات راجع كتاب Joseph Eyler بعنوان "المطران سونتاك الشهيد في بلاد فارس". سبق أن أشير اليه في هامش آخر. راجع الصفحات ١٤٤ و١٤٥، كذلك يرجى مراجعة رسالة السيد Aristide Châtelet الخاصة بموضوع الكاهن التابع للبعثة التبشيرية الموجهة للسيد Verdier النائب العام في طهران والمؤرخة في الخامس من نيسان ١٩١٩ المحفوظة ضمن الحوليات العامة للرهبنة / القسم الخاص بالبعثة في طهران (سبق أن أشرنا إليها في هامش سابق).صدرت هذه الحوليات في باريس في نفس العام. راجع الجزء (٨٤) الصفحات ٨٢٨ - ٨٣٤ .

٩١) راجع رسالة Aristide Châtelet الكاهن في البعثة التبشيرية إلى M.Verdier النائب العام في طهران المؤرخة في ١٩١٨/٩/٢٠. نص الرسالة محفوظ ضمن حوليات الرهبنة العامة / القسم الخاص بالبعثة التبشيرية في بلاد فارس (سبقت الأشارة إليها) لعام ١٩١٩ المجلد (٨٤) الصفحات ٥١٤- ٥٢١ . يُرجى مراجعة رسالة الأخت "لويزا" من أخوات المحبة" هذه الرسالة وجهتها الراهبة "لويزة" الى إحدى الأخوات في دير الرهبنة في باريس كتبت الرسالة في طهران في الثاني من أيلول ١٩١٩. نصها موجود في المجلد (٨٤) وفي الصفحات ٢٣٦ - ٢٣٨ .

٩٢) شلاما الوخ تعني السلام عليك يا جورج .

٩٣) حول موضوع المسيرة / القسم الثاني (باتجاه همدان) يُرجى الرجوع إلى مجلة تاريخ الحرب العالمية (الأولى) العدد الثالث لعام ١٩٢٤ التي كانت تصدر في باريس عن دار نشر Alfred Coste تحت عنوان "مذكرات ضابط فرنسي أثناء الحرب العظمى بقلم Nicolas Gasfield . الصفحة ٣٤ . وكتاب Jean Ferry بعنوان "الآشوريون" الصادر عام ١٩٤٣ عن دار نشر SHAT Vin-cennes. راجع اصفحتين ٥٠ و٥١ ، وكتاب Paul Caujole بعنوان

Les Tribulations d` une ambulance française en Perse

راجع الصفحة ١٦٤ حيث يذكر ان "المسيرة على هذه الطريق كانت مرعبة وأدت الى الموت المحقق". ثم يُضيف بعد قليل فيقول: "كانت جماهير المسيحيين خلال المسيرة جماهير منهوكة القوى واهنة العزيمة وفي حالة يرثى لها. بالحقيقة عاش مسيحيو أورميا خلال المسيرة في خضم من العذابات" .

٩٤) راجع كتاب W. A. Wigram بعنوان "حليفنا الصغير" الذي سبق أن أشرنا إليه الصفحتين ٥٥ و٥٦ ، يفيدنا كتاب ويكرام بأنه غالباً ما كان الآشوريون يطلقون أسماء المدن على بناتهم.. أطلق اسم تبريزعلى الفارسة المشار إليها أعلاه تحريفا لأسم "تفليس" المدينة الشهيرة واسم رومي تحريفا لأسم "روما".

٩٥) راجع كتاب Jacqueline Russ بعنوان "سبل الفكر الأنساني والفلسفة "/ Les chemins de la pensée Philosophie الطبعة الجديدة منشورات دار Terminales Bordas لعام ١٩٩٩ الصفحة ٦٨ملحمة كلكامش ترجمة Jean Bottero منشورات دار Gallimard في باريس عام ١٩٩٢ .

٩٦) أي البلاد / أو الأراضي الواقعة ما بين النهرين.

٩٧) معناها بيت يعقوب.

٩٨) حول وصف مفصل لهذا المخيَم، يُرجى مراجعة كتاب Herbert H. Austin بعنوان"مخيَم اللاجئين في بعقوبة المنشور من قبل The Faith Press في لندن عام ١٩٢٠ راجع الصفحة ١١٩ .

٩٩) القبرانة: سقيفة خشبية يتم نصبها عند نهاية الربيع تستند على اربع دعامات من الخشب تغطى بأغصان الأشجار الطرية تجف بفعل حرارة شمس الصيف، ثمَ تحفظ لتستعمل كوقود تدفئة شتاء.

١٠٠) راجع المصدر السابق في الهامش الأخير تحت عنوان "مخيَم اللاجئين في بعقوبة" الصفحتين ٣٨ و٣٩ .

١٠١) راجع سفر التكوين الإصحاح ١١ العدد ٢٨ - ٣١ .

١٠٢) عبارة بالسورث تعني "اذا ما أراد الله ذلك".

١٠٣) هاتان المذكرتان كانتا مؤرختين في ٢١/ ٢/ ١٩١٩ وهما محفوظتان في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي المجموعة بعنوان / E. Levant القسم الخاص "بالعراق" وللفترة تموز - كانون أول ١٩١٩ المجلد رقم (٥٠). اولى ا لمذكرتين كانت باللغة الفرنسية راجع الصفحتين ٤٦ و٤٧ والثانية بالأنكليزية الصفحة ٦٨ قمنا بترجمتها (إلى الفرنسية) .

١٠٤) راجع كتاب "جورج رو تحت عنوان" بلاد ما بين النهرين" وهو دراسة للتاريخ السياسي والأقتصادي والثقافي، من منشورات دار "Seuil في باريس عام ١٩٨٥، الصفحة ٢٦٦ .

١٠٥) راجع كتاب (الأب) البطريرك روفائيل بيداويد بعنوان رسائل البطريرك النسطوري طيماثيوس الأول وهو عبارة عن دراسة نقدية، اطروحة قدمت عام ١٩٥٦ في روما، موجودة حالياً في المكتبة الفاتيكانية الصفحة ٨٥ ، ولد هذا البطريرك عام ٧٢٨ وتلقب بلقب القاثوليقا عندما جلس على الكرسي البطريركي عام ٧٨٠ وبقي جالسا عليه حتى وفاته عام ٨٢٣ حققت كنيسة المشرق في عهده انتشار واسعا بواسطة الرهبان والكهنة والأساقفة الذين كان يُرسلهم لحمل البشارة بالأنجيل بذلك وصلت المسيحية بلاد الهند والصين. نتيجة للأنتشار الواسع المحقق نظمت هذه الكنيسة نفسها فاصبح لها أبرشيات ورئاسات أسقفيات عديدة. كان لهذا البطريرك تأثير بالغ في مجلس الخليفة العباسي لأنه كان مستشاراً يستمع له الخلفاء العباسيون سواء كان ذلك من الناحية الشخصية أو العامة . ترك هذا البطريرك كتابات كثيرة. نخص منها بالذكر رسائل زاد عددها على المائتي رسالة.

١٠٦) هناك قوائم عديدة لسلسلة بطاركة كنيسة المشرق. القائمة التي وضعها عام ١٩١٤ الأب يوسف تفنكجي، الكاهن الكلداني من ماردين أُكملت من قبل مؤلفين آخرين.

١٠٧) راجع إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد ١٥ .

١٠٨) راجع مقالة Marie Bernard Goormachtigh بعنوان "تاريخ الرسالة (البعثة التبشيرية) للدومنيكان في بلاد ما بين النهرين وكردستان منذ البداية وحتى أيامنا هذه" المنشورة في Analecta Sacri Ordinis Factorum Praedicatorum (مجلة شهرية كانت تصدر في روما) عدد شهر أيلول السنة الثالثة، المجلد الخامس سنة ١٨٩٥ الصادرة في روما .

١٠٩) راجع كتاب Joseph John بعنوان "النساطرة وجيرانهم المسلمون"دراسة حول التأثير الغربي على العلاقة بين الطرفين. منشورات مطبعة جامعة Prenceton لعام ١٩٦١ الصفحات ٦٠ - ٦٢ .

١١٠) أي "أيها الكاهن".

١١١) حول ذلك يرجى مراجعة الموقع الإلكتروني:

www.geocities.com أو **www.southempton.gov.uk**

١١٢) راجع كتاب Jean Baptiste Duroselle بعنوان"تاريخ الدبلوماسية منذ العام ١٩١٩ إلى يومنا هذا "الطبعة الثامنة/ قسم دراسات سياسية واقتصادية واجتماعية. منشورات دار نشر Dalloz في باريس عام ١٩٨١ الصفحات ٥٣ - ٥٥ .

١١٣) راجع كتاب السيد د. يوسف يعقوب بعنوان "القضية الكلدو آشورية والقوى الأوربية وعصبة الأمم خلال الفترة ١٩٠٨- ١٩٣٨ منشورات جامعة ليون الثانية. هذا الكتاب كان موضوع أطروحة الدكتوراه، قدمت عام ١٩٨٥، الجزء الأول الصفحات ٩٤ -١٢٩ .

١١٤) Davidson هو من عائلة Lambeth واسمه الرسمي "راندال توماس دافيدسن" كما في أعلاه. يحمل لقب بارون. ولد يوم ١٨٤٨/٤/٧ وتوفي يوم ٥/٢٥/ ١٩٣٠. هذا حسبما جاء في دائرة المعارف البريطانية الطبعة (١٥) الصادرة في لندن/ الجزء الثالث الصفحة ٩١٢ ، راجع أيضاً.

www.archbishopofcanterbury.org

١١٥) راجع حول موضوع رهبنة "أخوات بيت عنيا Society of the Sistes of Bethany."SSB" الموقع الإلكتروني الخاص بهذه الرهبنة: **www.sistersofbethany.org.uk** في هذا الموقع سنطلع على تاريخ ونشاطات هذه الرهبنة .

١١٦) هي جمعية جميع القديسين العروفة باسم "اخوات الفقراء" .

١١٧) هذه الرسائل هي رسائل أرسلت خلال االفترة المحصورة ما بين ١٨٩٠- ١٨٩٨ من قبل جمعية أخوات بيث عنيا الموجودات ضمن أعضاء الرسالة (البعثة التبشيرية) في أورميا، إلى الدير الرئيسي في بريطانيا. هذه الرسائل هي الآن محفوظة في دير Southsea (في انكلترا). استطعتُ مراجعتها والإطلاع عليها. الرسائل الخاصة بالأم "بيسيَ" مؤرخة في ربيع عام ١٨٩٤ .

١١٨) راجع كتاب F. N. Heazell & Mrs. Margoliouth بعنوان "الأكراد والمسيحيون من منشورات دار Wells Gardener & Co"LTD الصادرة في لندن عام ١٩٦٣ الصفحان ٢٩- ٤٩ . راجع أيضا مقالة السيد David Jenks بعنوان "مراسيم الدفنة للشماشا إيشاي المنشورة في مجلة "البعثة الآشورية"الفصلية العدد (٢٠) لشهر تموز عام ١٨٩٥ الصادة في لندن عام ١٨٩٥ الصفحات ١٠٦ - ١٠٩ .

١١٩) راجع إنجيل القديس يوحنا الإصحاح ١١ العدد من ٤٣ - ٤٤ .

١٢٠) عن موضوع لندن، يرجى الرجوع إلى ما كتبه D. Curran والمثبت في Grand Laeousse encyclopedique الصادر عن مكتبة اللاروس في باريس عام ١٩٧٦ الجزء السادس من دائرة المعارف .

١٢١) راجع سفر يونان في الكتاب المقدس (العهد القديم) الإصحاح الثالث العدد ٣ - ٤... كانت نينوى مدينة عظيمة جدا، يقتضي إجتيازها ثلاثة ايام .

١٢٢) راجع عن هذا الاسم: (11/1/1859 – 20/3/1925) Curzon (of Kedleston) ما كتب في دائرة المعارف البريطانية الصادرة في لندن عام ١٩٩٣ الجزء الثالث الصفحتين ٨٠٧ و٨٠٨ ، تحت إسم George Nathaniel CURZON, Marquees .

١٢٣) راجع كتاب صموئيل نوح كرامر/ Samuël Noah Kramer بعنوان "التاريخ يبدأ في سومر L'Huistoire commence à Summer " من منشورات دار النشر Flammarionلعام ١٩٩٤ (اعيد طبعه) الصفحات ٥٥ - ٦٠ .

١٢٤) يرجى مراجعة Janet Wallach بعنوان "ملكةالصحراء أو الحياة المدهشة ل "جيرترود بيل "/ Desert Queen. The extraordinary life of Gertrude Bell من منشورات دار نشر Weidenfeld & Nicolson في لندن عام ١٩٩٩ الصفحة ٢٤٤ .

١٢٥) راجع آرشيف مناقشات البرلمان البريطاني لليوم السابع عشر من كانون أول عام ١٩١٩ المجلد ٣٨ الرقم الصفحات ٢٨٨ إلى ٢٩٤ .

١٢٦) يرجى الرجوع إلى كتاب Jean Ferry بعنوان "الاشوريون" نشر عام ١٩٤٢، كان مؤلف هذا الكتاب نقيبًا في الجيش الفرنسي/ للخدمات الخاصة. كتب عن هذا الموضع عام ١٩٤٣ دراسة خاصة تخص الأشوريين من جماهير العشيرت، والذين تعرف عليهم في الحسكة منذ العام ١٩٣٣ ولغاية العام ١٩٣٧، في هذه الدراسة يصف الكاتب الجلاء الجماعي / النزوح القسري الذي حصل للاشوريين ويتحدث أيضا عن دور القادة الأشوريين حينئذ .

١٢٧) للإطلاع على تلك القرارات لذلك المؤتمر راجع الموقع الإلكتروني **www.anglicancommunion.org** ثم Resolution search .

١٢٨) عن هذا موضوع يرجى مراجعة كتاب (الأب) "فرنسيس اليشوران"بعنوان "كتاب الصلوات القانونية للكنيسة الكلدانية الصفحات ١٩٣ - ٢٠٠ . عادة تقام هذه الفعالية يوم الأثنين الذي يلي أحد القيامة المعروف بعيد الكياسا (اللص اليميني) .

١٢٩) هذه الرسالة المسجلة تحت عنوان "رسالة سورما خانم من عائلة مار شمعون موجهة إلى "اللورد كورزون في لندن" ومؤرخة في ١٩٢٠/٢/١٧ محفوظة في قسم Public Record Office (PRO) في وزارة الخارجية أرشيف عام ١٩٢٠ الجزء الأول الصفحتين ٦٨ و٦٩ . مع هذه الرسالة هناك نص انكليزي قمت بترجمته إلى الفرنسية، كما يوجد أيضا نص بالسرانية.

١٣٠) راجع رسالة الكاهن القانوني (صفة لكاهن عند الأنكليكان) ويكرام الموجهة إلى اللورد كورزون وزير الخارجية البريطاني والمحفوظة في أرشيف المراسلات لعام ١٩٢٠ القسم الأول الصحفة (٦٧) البرقية المرفقة مع هذه الرسالة ترجمت من قبلنا عن النص الأنكليزي.

١٣١) حول هذه المعاهدة راجع ما كتبه الدكتور يوسف يعقوب تحت عنوان "القضية الأشورية" الصفحات ٣٥ - ٤٠ من كتابه. كذلك يرجى الرجوع إلى كتابه الثاني بعنوان "القضية الكلدواشورية والقوى العظمى الأوربية وعصبة الامم خلال الفترة ١٩٠٨ - ١٩٣٨ موضوع اطروحة الدكتوراه. راجع الصفحات ١٣٦ - ١٤٢ وأيضا المقال تحت عنوان "القضية الأشورية والقوى الأوربية العظمى وعصبة الأمم والحرب العالمية والأزمات المعاصرة" نفس الكاتب، والمنشور في مجلة "التاريخ"/ Revue trimestrielle d'Histoire الفصلية الصادرة عن مطابع الجامعات الفرنسية / Presses universitaires de France (PUF) للنشر في تموز عام ١٩٨٨ الصفحة ١٥١ والصفحات ١٠٣ إلى ١٢٠ .

١٣٢) راجع كتاب Jean Pichon بعنوان "تقسيم الشرق الأوسط." منشورات دار Peyronnet في

باريس عام ١٩٣٨ الصفحة ٢١٧ .

١٣٣) عن موضوع هذا النصب، راجع كتاب " Georges Du Bois قضية الكلدو آشوريين" الصادر في باريس عام ١٩١١ عن مطابع H. Maillet ، راجع الصفحة ٢٢ .

١٣٤) راجع كتاب Phebe Marr بعنوان "التاريخ الحديث للعراق" / The modern History of Irak من منشورات مطبعة Westview صدر هذا الكتاب في لندن عام ١٩٨٥، يرجى مراجعة الصفحات ٣٢ - ٣٤ .

١٣٥) بالاعتماد على الدعم الذي وفرته السلطات الفرنسية استطاع آغا بطرس مغادرة العراق عام ١٩٢١ والذهاب إلى فرنسا ليعيش مع آفراد عائلته في château de Novital à Saint Jory الواقع قرب Toulouse. هنا بقي آغا بطرس معارضاً ومقاوما للسياسة البريطانيا، انتهى إلى مساندة الكلدان، وفي بعض الأحيان السياسة التي إتبعها "ملك قمبر" القريب من التوجهات الفرنسية وسياستها... في هذه الأثناء حصلت أيضا اختلافات في وجهات النظر وأنشقاقات داخلية انتهت بانقسامات وصراعات وآخيراً الإنفصال.

١٣٦) راجع كتاب Janet Wallach بعنوان Desert Queen ... "ملكة الصحراء أو الحياة الرائعة لجيرترود بيل" الصفحة ١٦٥ .

١٣٧) راجع رسائل جيرترود بيل المختارة التي نشرتها الليدي بيل عن دار نشر D. B. E. في لندن عام ١٩٢٧ في لندن عام ١٩٢٧ الصفحة ٣١ الأسم الرسمي للمس بيل هو (١٩٢٦- ١٨٦٨) Gertrude Msrgaret Lowthian Bell .

١٣٨) راجع رسائل (١٨٦٨- ١٩٢٦) Gertrude Margret Lowthian Bell المختارة التي اشرنا اليها في الهامش الأخير الصفحتين ٤٤٦ و٤٤٧ .

١٣٩) Ebedjusus ميطرابوليط أو ميترافوليط (منصب اسقفي —المترجم) نسطوري توفي عام ١٣١٨ . ويعتبر آخر الكتاب والمؤلفين المشهورين للكنيسة (كنيسة المشرق). كتب العديد من المقالات التي نجدها في الكتاب بعنوان "اللؤلؤة"مركانيتا .

١٤٠) يرجى مراجعة مجلة L`Action assyro chaldéenne " العمل الكلدوآشوري"التي كانت تصدرها النيابة العامة للبطريركية الكلدانية في بيروت. كانت هذه المجلة تنشر العديد من المقالات خلال الفترة المحصورة بين شهر شباط عام ١٩٢٠ وآيار عام ١٩٢١ في هذه المقالات كان يرد اسم هذا البطريرك كمشارك في جمعية الصداقة الفرنسية - الكلدو آشورية .

١٤١) راجع رسالة القنصل الفرنسي في بغداد الموجيهة إلى وزير الخارجية الفرنسي المؤرخة في ١٩١٩/٩/٨، المحفوظة في أرشيف الدبلوماسية الفرنسية، المجموعة .E / المشرق الصفحة ١٣٩ .

١٤٢) راجع كتاب أندريه بارو André Parrot بعنوان "نينوى والعهد القديم" من منشورات دار Delachaux & Niestlé في Neuchâtel عام ١٩٧٠ الصفحات ٧- ١٩ .

١٤٣) راجع سفر حزقيال في الكتاب المقدس / العهد القديم الإصحاح الاول العدد ١٠ .

١٤٤) راجع الكتاب المقدس / العهد القديم، سفر الجامعة الإصحاح الأول العدد من ٢ - ٩ .

١٤٥) راجع الكتاب المقدس/ العهد الجديد —إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي عشر العدد ٢٥ و٢٦ .

١٤٦) راجع كتاب "ملكة الصحراء أو الحياة الخارقة لجيرترود بيل لمؤلفته جانيت والاش (سبقت الأشارة إليه في هوامش سابقة) الصفحات ٢٩٠ - ٣٠١ .

١٤٧) ذلك يعني جامعة الأزهر الشهير.

١٤٨) راجع كتاب Janet Wallash بعنوان "ملكة الصحراء أو حياة..." الصفحتين ٢٩٨ و٢٩٩ .

١٤٩) يرجى مراجعة المصدر في الهامش الأخير الصفحات ٣١٠ - ٣٢١ .

١٥٠) حول إعادة إسكان الجبليين يرجى الرجوع إلى كتاب R. S. H. Stafford تحت عنوان "مأساة الآشوريين" الصادر في لندن عام ١٩٣٥ عن دار نشر George Allen & Unwin، الصفحات ٤٤ - ٤٩ .

١٥١) راجع مجموعة رسائل Gertrude Margaret Lowthian Bell (1929 - 1868) المشار إليها في حواش سابقة الصفحتين ٤٤٦ و٤٤٧، في إحدى هذه الرسائل المؤرخة في العاشر من كانون ثاني١٩٢١ . تذكر المسز بيل، سورما بالأسم وتعطيها اللقب "الليدي" / Lady وتتحدث عنها بصيغة المذكر توكيداً لشخصيتها وذكائها وحجم تأثير رأيها.

١٥٢) راجع الكتاب المقدس / العهد القديم سفر التكوين الإصحاح العاشر العددين ١١ و١٢ .

١٥٣) راجع كتاب الأب (المرحوم) يوسف حبي بعنوان "دير الربان هرمزد" بثلاث لغات: العربية والفرنسية والأنكليزية الصادر في بغداد/ مطبعة الأديب عام ١٩٧٧ الصفحة ٧٦ .

١٥٤) الديرا: مفردة آرامية تعني الدير باللغة العربية .

١٥٥) انحصرت هذه الفترة بين عامي ١٥٣٨ - ١٧٠٠ .

١٥٦) لمتابعة دراسة تطور التشكيلات لتنظيم الليوي حسب التاريخ المتسلسل راجع الموقع االإلكتروني http://gabylevies freesers.com .

١٥٧) إنعقد المؤتمر خلال الفترة من الثاني والعشرين من تشرين أول ١٩٢٢ إلى الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٣ .

١٥٨) راجع الكتاب "الأصفر"/ Jaune بعنوان "مؤتمر لوزان"الصادر في باريس الجزء الأول الصفحات من ١٥١ إلى ٣٠٥ .

١٥٩) راجع الرسالة المؤرخة في ٤ آب ١٩٢٣ الموجودة ضمن الكتاب بعنوان"المأساة الآشورية" الذي كتبه يوسف مالك. راجع الصفحة ٢٤ .

١٦٠) راجع كتاب Phebe Marr بعنوان "تأريخ العراق الحديث" الصفحات ٤٠ - ٤٣ .

١٦١) الرسالتان المشار إليهما أعلاه مؤرختان في ١٩٢٥/١/٢٨ و٣٠/١/ ١٩٢٥ وموجودتان ضمن الكتاب بعنوان "المأساة الآشورية لمؤلفه "يوسف مالك" راجع الصفحتين ٢٤ و٢٥ .

١٦٢) يرجى مراجعة كتاب الدكتور يوسف يعقوب بعنوان "قضية الكلدو اشوريين والقوى الأوربية وعصبة الأمم"الجزء الثاني الصفحة ٢٦٢ .

١٦٣) حول هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى الدراسة الوافية التي كتبها Louis le Fur تحت عنوان مشكلة الموصل المنشورة في مجلة الحقوق العامة الدولية (Revue Générale de Droit in-ternational Public، RGDIP) الصادرة في باريس عام ١٩٢٧ الصفحة ٨٥ . منشورات Pédone (عدا المجلة هناك كتاب مستقل وكامل يخص الموضوع) .

١٦٤) حول ذلك يرجى مراجعة:

= الدراسة الوافية التي كتبها Louis le Fur تحت عنوان "مشكلة الموصل"(سبق أن أشرنا إلى هذا المصدر أعلاه) الصفحة ٥٨ .

= ومقالة J. T. Delos تحت عنوان "آشوريو العراق وعصبة الأمم" المنشورة في المجلة المشارإليها أعلاه (الحقوق XLI عدد تموز –آب عام١٩٣٤، صدرت في باريس عن دار نشر Pédone، الصفحات ٤٦٣-٤٦٧ .

١٦٥) يرجى مراجعة الكتاب الذي سبق أن أشرنا إليه بعنوان "مشكلة الموصل" لمؤلفه Louis le Fur راجع ص ٢١ - ٢٣ .

١٦٦) يرجى الرجوع إلى كتاب جروج ريد بعنوان "الكنيسة الآشورية والبعثة التبشيرية الأنكليكانية التابعة لرئاسة أسقفية كنتربري الصفحة ٣١ .

١٦٧) راجع كتاب جورج ريد بعنوان "الكنيسة الآشورية والبعثة التبشيرية برئاسة أسقفية كنتربري" لقد سبقت الاشارة إليه، الصفحة ٣١ .

١٦٨) يرجى الرجوع إلى كتاب Louis le Fur بعنوان" مشكلة الموصل" الذي سبق أن أشرنا إليه في هامش آخر. راجع الصفحة ٢٦ .

١٦٩) راجع المصدر حسب الهامش الأخير الصفحة ٢٧ .

١٧٠) راجع المصدر السابق الصفحة ٦٠ .

١٧١) بخصوص هذه الفترة (شهر كانون الاول عام ١٩٢٥)، يرجى مراجعة Lambeth Palace Library (مكتبة) في لندن/ قسم القوائم والكتلوكات والمراجع الخاصة بالأرشيف والمخطوطات العائدة للبعثة التبشيرية لرئاسة اسقفية كنتربري الى المسيحيين الاشوريين/ (قائمة أوراق البعثة للفترة ١٨٧٩– ١٩٣١ راجع في هذه القائمة مراسلات رئاسة الأسقفية فقط لان القائمة تتضمن ايضا أرشيف البعثة نفسها / في هذا الارشيف ستطلع أيضا على نشاط رئاسة الاسقفية للفترة بين تشرين الثاني ١٩٢٥ وكانون الاول ١٩٢٧ المجلد ٢٣ .

١٧٢) كان هذا الرجل شخصية دبلوماسية ومسكونية ورجل أعمال ناجح وهو أيضا رئيس تحرير مجلة "الكنائس".

١٧٣) عن موضوع المبادرة يرجى مراجعة مكتبة Lambeth Palace في لندن التي أشرنا إليها في الهامش السابق/ تحت موضوع بعثة رئاسة الأسقفية بين الاشوريين للفترة من تشرين الثاني عام ١٩٢٥ إلى كانون الأول عام ١٩٢٧ المجلد ٢٣ . قسم نشاطات .

١٧٤) هذا الدبلوماسي التابع لوزارة القوة الجوية كتب هذه الرسالة في السابع من آذار عام ١٩٢٦ ، بخصوص ذلك يرجى مراجعة كتاب يوسف مالك بعنوان "مأساة الآشوريين" الصفحة ٢٠ .

١٧٥) حول المقالات المشار إليها والرسائل المتبادلة بين اللورد دافيدسن والمطران پيري راجع ارشيف مكتبة Lambeth Palacr في لندن/ قسم "البعثة التبشيرية لرئاسة أسقفية كنتربري للفترة من تشرين ثاني عام ١٩٢٥ لغاية كانون أول عام ١٩٢٧ المجلد ٢٣ .

١٧٦) يرجى مراجعة المقال المنشور في جريدة Turlock Dailly Journal بتاريخ العاشر من كانون الثاني عام ١٩٢٠ تحت عنوان "قصص الارهاب في الشرق الأوسط يرويها أحد أبناء تورلوك. يصف فيها الجرائم لمريعة التي ارتكبها الاتراك بحق المسيحيين. كذلك راجع المقال المنشور بتاريخ ١٩٢٠/١/١٤ في نفس الجريدة تحت عنوان "اللاجئون الآشوريون الذين اضطهدهم الأتراك قدموا إلى هنا واستقروا في تورلوك .

١٧٧) حول موضوع هجرة الكلدواشوريين الى الولايات المتحدة الاميريكية يرجى مراجعة كتاب Smith.Gary N . بعنوان "من أورميا إلى ستانيسلاوس". انه كتاب ثقافي، تاريخي وجغرافي خاص بالمسيحيين الآشوريين في الشرق الأوسط وأميريكا. هذا الكتاب دراسة وبحث معمق قدمه Gary لنيل شهادة الدكتوراد في الفلسفة والخغرافية من جامعة كاليفورنيا في Davis عام ١٩٨٢ راجع الصفحات ١١١ إلى ١٥١ .

١٧٨) هذه الرسالة مكتوبة بخط سورما. كتبتها بعد العودة الى لندن بتاريخ ١٩٢٦/١١/١٥ عن كتاب يوسف يعقوب / ليون/فرنسا.

١٧٩) عن هذا الوسام المعروف أختصارب"Order of the British Empire "OBE راجع الموقع الإلكتروني : **www.royal.gov.uk** .

١٨٠) يرجى مراجعة قاموس André de Longiumeau ، A. Rastuol التاريخي والجغرافي الكنسي الصادر في باريس، عام ١٩١٢ منشورات دار Letouzey et Ané المجلد الثاني الفقرة ١٦٧٨ ، المؤلف الثاني آي André هو راهب ومبشر دومينيكي حمل رسالة البطريرك سبريشوع إلى البابا

أنوسنت.

١٨١) راجع إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ العدد ٢٧ و٢٨ .

١٨٢) راجع إنجيل متى الإصحاح ٢٧ العدد ٤٥ إلى ٥٠ .

١٨٣) راجع إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ العددين ٥ و٦ .

١٨٤) راجع انجيل لوقا الاصحاح ٢٤ الأعداد من ٥٠ إلى ٥٢ . بيت عنيا قرية تقع على السفح الشرقي من جبل الزيتون.

١٨٥) في البداية كان البطريرك مار عمانوئيل الثاني توما (جلس على الكرسي البطريركي من العام ١٩٠٠ إلى العام ١٩٤٧ . كان مقر الكرسي البطريركي اصلا في الموصل. بعد ذلك. عندما جلس على الكرسي البطريركي مار يوسف غنيمة (١٩٤٧ - ١٩٥٨)) انتقل المقر البطريركي الى بغداد.

١٨٦) راجع رسالة كتبت من الموصل بتاريخ اثلاثين من اذار عام ١٩٢٧ ترجمت عن الأنكليزرة من قبلنا. هذه الرسالة موجودة في أرشيف مكتبة Lambeth Palace في لندن في الملف بعنوان"بعثة رئاسة الأسقفية بين الآشوريين للفترة من تشرين الثاني ١٩٢٥ إلى كانون الأول ١٩٢٧ المجلد ٢٣ .

١٨٧) راجع كتاب R. S.H. Stafford بعنوان "مأساة الآشوريين"الصفحتين ٥٤ و٥٥ .

١٨٨) راجع أرشيف مكتبة Lambeth Palace في لندن قسم نشاط بعثة رئاسة الاسقفية بين الآشوريين للفترة من تشرين ثاني عام ١٩٢٥ وكانون اول عام ١٩٢٧ المجلد ٢٣ .

١٨٩) راجع كتاب Cookley بعنوان كنيسة المشرق وكنيسة انكلترا الصفحة ٣٥٥ .

١٩٠) راجع المقالة المنشورة في المجلة الشهرية "آسيا الفرنسية" التي كانت تصدرها لجنة آسيا الفرنسية في باريس. العدد الخامس لشهر اذار عام ١٩٣٢ الصفحة (٣٦) .

١٩١)راجع كتاب R. S. H. Stafford بعنوان "مأساة الآشوريين"الصفحتين ١١٧ و١١٨ . قام بترجمة النصوص السيد جوزيف يعقوب وادخلها في متن كتابه بعنوان "القضية الكلدواشورية. القوى الأوربية وعصبة الأمم. الجزء الثاني الصفحة ٣٠٦ .

١٩٢) راجع كتاب R. H. S. Stafford بعنوان "مأساة الآشوريين"الصفحة ١٠٦ .

١٩٣) عن هذا الفصل راجع محاضر اجتماعات الدورة الثانية والعشرين للجنة الدائمة للأنتداب التي أنعقدت خلال الفترة من الثالث من تشرين الثاني ولغاية السادس من كانون الأول عام ١٩٣٢. في جنيف الصفحة ٣٧٥ . كذلك راجع كتاب يوسف يعقوب بعنوان القضية الكلدو الاشورية والقوى الأوربية وعصبة الأمم. الجزء الثاني الصفحات ٣٠٦- ٣١٤ .

١٩٤) راجع مجلة الجريدة الرسمية لعصبة الأمم الشهرية عدد شهر كانون اول عام ١٩٣٣ الصفحة ١٧٨٨ .

١٩٥) راجع كتاب R. S. H. Stafford بعنوان "مأساة الآشوريين"الصفحة ١٥٩ .

١٩٦) راجع أرشيف القيادة العامة - Vincennes - SHAT. العلبة الكارتونية برقم 7N4173 قسم الأخبار الملاحظة رقم "١٦". هذه الملاحظة مؤرخة في ١٩٣٣/١٢/٥ . الملاحظة موجهة إلى القيادة العامة للجيش الفرنسي. يحتوي الملف على بيانات وتقارير قيمة المعلومات صادرة في بيروت جميعها تخص العام ١٩٣٣ ونصف العام ١٩٣٤ .

١٩٧) راجع كتاب ستافورد "مأساة النساطرة"الصفحتين ١٧٧ و١٧٨ .

١٩٨) راجع أرشيف القيادة العامة للجيش الفرنسي/ العلبة الكارتونية رقم 7N4173/ وثيقة مرفقة بتقرير المعلومات الواردة رقم "٣٣" مؤرخة في ٣/٩ /١٩٣٣ .

١٩٩) راجع وقائع الجلسة البرلمانية لمجلس اللوردات يوم ٢٨/ ١/ ١٩٣٣. الصفحتين ١٣٧ و١٣٨ .

٢٠٠) المقالات المشار اليها نشرت بعنوانين رئيسيين: الاول كان "الشرف البريطاني تلطخ بالنجاسة "ولمرتين في ٢٥ آب و٢٢ ايلول أما الثاني فكان "إننا نخون الآشوريين" تحت هذا العنوان

نشرت مقالات عديدة وكانت بالتواريخ التالية: ١٣ و٢٠ و٢٧ تشرين أول ثمّ ٣ و١٠ و١٧ تشرين ثاني وأخيراً ٣ كانون الأول من العام ١٩٣٣ ، بعد ذلك استمرت الصحف تكتب عن هذا الموضوع حتى عام ١٩٣٥ .

٢٠١) عن رد الفعل في الصحافة الأوربية والعراقية، راجع كتاب السيد د. يوسف يعقوب بعنوان "القضية الكلدو آشورية والقوى الأوربية وعصبة الأمم الجزء الثاني الصفحات ٣٣٩ - ٣٤٥ .

٢٠٢) راجع عددي هذه الجريدة الصادرين يومي التاسع والعاشر من آب عام ١٩٣٣ .

٢٠٣) راجع أرشيف القيادة العامة للجيش الفرنسي، العلبة الكارتونية رقم 7N 4173 قسم المعلومات، الوثيقة المرفقة مع التقرير رقم ٣٢ (تمت ترجمتها من قبلنا) الوثيقة هذه هي رسالة مار شمعون الموجهة إلى السفير البريطاني.

٢٠٤) راجع ما جاء في الحاشية السابقة رجاءً.

٢٠٥) راجع أرشيف دولة قبرص/ القسم الخاص بوزارة العدل في نقوسيا، تحت عنوان نداء من مار إيشاي شمعون الحادي والعشرين الجاثليق بطريرك الآشوريين الموجه إلى جميع الكنائس المسيحية في نيقوسيا في العشرين من أيلول عام ١٩٣٣ . طبع النداء في نيقوسيا من قبل دار نيكولاو" تحت الرقم ٨٦٧ . 2L1933 ضمن نفس الأرشيف يوجد ملفان برقم ١/١٩٣٣/٨٦٧ و٨٦٧/ ٢/١٩٣٣، الملفان يحتويان على وثائق ومستندات مختلفة لها صلة بعائلة البطريرك مار أيشاي شمعون. إننا قد اطلعنا على الملفين موقعيا وترجمنا خلاصاتها عن النصوص الأنكليزية.

٢٠٦) راجع الملف المشار إليه في الحاشية السابقة (٢٠٤) . الملف رقم ١/١٩٣٣/٨٦٧ .

٢٠٧) راجع أرشيف الصندوق الخاص SSB . الرسالة مترجمة عن الأنكليزية، نحن قمنا بترجمتها.

٢٠٨) راجع أرشيف القيادة العامة للجيش الفرنسي الملف رقم 7N173 التقرير ٣٤ بتاريخ ١٦/ ١٩٣٣/٩ .

٢٠٩) راجع الارشيف السابق ملف رقم ١٩٣٣/٨٦٧ وثيقة رقم ١٧٤ .

٢١٠) راجع الأرشيف أعلاه الملف رقم ٢/١٩٣٣/٨٦٧ الوثيقة رقم ٥٥ .

٢١١) راجع الأرشيف أعلاه (أرشيف دولة قبرص القسم الخاص بوزارة العدل الملف برقم ٨٦٧/ ٢/١٩٣٣ الوثيقة رقم ٥٦ .

٢١٢) راجع الأرشيف أعلاه الملف برقم ١/١٩٣٣/٨٦٧ الوثيقة رقم ٥٨

٢١٣) راجع نفس الأرشيف أعلاه، الملف برقم ٢/١٩٣٣/٨٦٧ وثيقة رقم ٧٤ .

٢١٤) راجع نفس الارشيف المشار إليه في أعلاه، الملف المرقم ٢/١٩٣٣/٨٦٧ وثيقة رقم ٨٥ .

٢١٥) برجى مراجعة الأرشيف الوطني البريطاني في دائرة الوثائق العامة: (.R. P. O) في Kew Richmond الملف المرقم ٥٦٧/٢٦٢/٢٠ الوثيقة رقم ١٥ . قمنا بمراجعة ملفات كثيرة في هذه الدائرة (دار الوثائق). والتي لها صلة بفترة نفي سورما وتلك الخاصة بفترة إقامتها منفية في قبرص، سواء كانت تعود للأرشيف الوطني أو للخارجية البريطانية أو لوزارة المستعمرات البريطانية المشار اليهما بالرموز: (FO) للأولى و (CO) للثانية. في أدناه جدول الملفات التي وجدناها واطلعنا عليها:

الملف(CO) رقم ٢٠/٢٦٢/٦٧ لعام ١٩٣٥: مار شمعون في قبرص / الليدي سورما تطلب زيارة انكلترا للمعالجة خلال شهر تموز ١٩٣٥ .

الملف (CO) رقم ١٣/٣١٣/٦٧ حزيران عام ١٩٤٢ — آذار ١٩٤٤: المعونة الأجتماعية لعائلة مار شمعون.الملف (FO) رقم ٦١٦٥٥/٣٧١ لعام ١٩٤٧: عائلة مار شمعون. المعونة المالية خلال الإقامة في قبرص.

الملف (FO) رقم ١٣٢/٦٢٤ لعلم ١٩٤٨: الآشوريون، عائلة مار شمعون.
الملف (CO) ٢/٣٦٧/٦٧ لعام ١٩٥٠ مار شمعون وعائلته، مراسلات.
الملف (C0) ٨٠/٩٢٦ عام ١٩٥٢- ١٩٥٣ : أعضاء عائلة مار شمعون وتدريبهم المهني، البطريرك الآشوري مقيم في قبرص.
الملف (FO) رقم ٩٨٧٧٨/١/٣٧١/عام ١٩٥٢: حالة بطريرك كنيسة الآشوريين وأعضاء عائلته، طلبه العودة إلى العراق لفترة قصيرة. خلاصات للملفات المشار إليها قمنا بترجمتها عن الأنكليزية وثبتناها في هذا الكتاب.

٢١٦) راجع الملف PRO رقم ٢٠/٢٦٢/٦٧ الوثيقة رقم ٨ .

٢١٧) راجع الأرشيف قسم PRO, CO الملف رقم ٦٧/٢٦٢/٢٠ الوثيقة رقم ٧ .

٢١٨) راجع أرشيف القيادة العامة للجيش الفرنسي المجموعة رقم 7N 4173 التقرير/ وثيقة رقم ٢٤ المؤرخ في ١٩٣٤/٦/٢٣ .

٢١٩) راجع أرشيف القيادة العامة للجيش الفرنسي المجموعة رقم 7N4173 التقرير /وثيقة رقم ٤٠ المؤرخة في ١٩٣٣/١٠/٢٧ .

٢٢٠) راجع أرشيف القيادة العامة للجيش الفرنسي المجموعة المرقمة 7N 4173 التقرير/ وثيقة رقم ٢٦ المؤرخ في حزيران ١٩٣٤ .

٢٢١) راجع أرشيف صندوق SSB الرسالة المؤرخة في ١٩٢٩/٣/٢٠ .

٢٢٢) راجع أرشيف صندوق SSB ، القسم الثالث (احداث الفترة من ٢٩/تموز/١٩٢٠ إلى ٣١ كانون أول ١٩٤٠ .

٢٢٣) راجع الانسكلوبيديا البريطانية الجديدة، موضوع جورج الخامس (الجزء الخامس) الصفحة ١٩٦ وجورج السادس (الجزء الخامس) الصفحة ١٩٧ وLang of Lam beth Cosmo Gordon Lang Barn (الجزء السابع) الصفحة ١٤٢ .

٢٢٤) كلمة بالسورث تعني أمي .

٢٢٥) راجع ارشيف صندوق SSB الملف تحت عنوان "المشكلة الاشورية، كلمة القاها الدكتور "ويكرام" بتاريخ ١٩٣٦/١١/١٨ بمناسبة الذكرى (٧٢) لتأسيس جمعية الكنيسة لأنكليكانية وكنيسة المشرق.

٢٢٦) يرجى مراجعة كتاب جوزيف يعقوب بعنوان "مشكلة الكلدو آشوريين والقوى الأوربية وعصبة الأمم"، ص ٤٠٩ .

٢٢٧) نشرت هذه الرسالة في محلة "أثرا" بتاريخ ١٩٣٨/٧/١ . ذكرها جوزيف يعقوب في كتابه بعنوان " قضية الكلدو آشوريي والقوى الأوربية وعصبة الأمم، الجزء الثاني الصفحات ٢١٠ - ٢١٢

٢٢٨) راجع عن موضوع تيودورس المصيصي الأنسيكلوبيديا المسيحية المشرقية الصادرة عن المعهد المسيحي الحبري الشرقي في روما عام ٢٠٠٠ الصفحتين ٧٤١ و٧٤٢ .

٢٢٩) إستطاع أن يجمع ٦٦٠ مخطوطة سريانية و٢٠٠٠ مخطوطة عربية بينها ٢٧٠ مخطوطة تعود لكتبة عرب مسيحيين. من مواضيعها نصوص تعود لمار أفرام وأعمال توما. لمعرفة تفاصيل حياة ألفونس منكنا يرجى مراجعة الموقع الإلكتروني الألماني www.bautz.de (Biographisch-bibliographisches Kirchenlexikon, BBKL) .

٢٣٠) منها مقالة بعنوان "الانتشار المبكر للمسيحية في آسيا الوسطى والشرق الأقصى" كوثيقة جديدة نشرت في مانشستر عام ١٩٢٥ كما قام بنشر براءة الحماية التي منحها الخليفة العباسي المكتفي الثاني لكنيسة النساطرة عام ١١٣٢ . نشرت هذه البراءة في برلين في مجلة BJRL العدد العاشر لعام ١٩٢٦ في الصفحات ١٢٧ - ١٣٣ كما نشر في نفس المصدر (BJRL) وفي نفس العدد

مقالة بعنوان "الإنتشار المبكر للمسيحية في الهند" في الصفحات ٤٥٣ - ٥١٤ .

٢٣١) راجع أرشيف وزارة المستعمرات رقم ١٣/٣١٣/٦٧ وهو عبارة عن ملف يضم ١٧١ وثيقة تتضمن المجادلات والمشادات التي حصلت حول موضوع المخصصات الضرورية لمعيشة العائلة البطريركية في قبرص. تمت هذه الجدالات بين الكانون دوكلاس ووزارة المستعمرات والخارجية البريطانية. حاولنا تلخيصها في أعلاه.

٢٣٢) راجع أرشيف الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات الوثائق رقم PRO. CO. 67/3/313 No. ١٦٠ ، ١٦١ و ١٦٢ .

٢٣٣) راجع ارشيف الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات الوثيقة رقم 132 PRE. CO. 67/ 313/13 No.

٢٣٤) يرجى مراجعة ارشيف وزارة الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات المرقم RO. CO. 67/313/13 الوثائق المرقمة من ٥٩ الى ٧٧ .

٢٣٥) راجع الكتاب الذي وضعه J. M. Cirilli بعنوان "موازنة قبرص" الذي صدر في مدينة "ليل" الفرنسية عن مطابع ميتم "دون بوسكو" عام ١٩٩٨، الصفحة ٣٠ .

٢٣٦) راجع "سجل وقائع الحوادث في قبرص" لكاتبه Leonce Masheras الذي ترجمه إلى الفرنسية E. Miller المنشور في باريس بعد صدوره عن دارالنشر E. Le Roux عام ١٨٨٢، الصفحات ٥٢، ٥٧ و٨٧ .

٢٣٧) منذ تقسيم قبرص إلى كيانيين عام ١٩٧٤ . الكنيسة التي تحدثنا عنها أعلاه وزارتها سورما تقع اليوم في الطرف الشمالي من الجزيرة. وتستعمل حاليا مركزا ثقافيا تابع لجامعة شرقي المتوسط. إضافة لذلك، الكنيسة الأنكليكانية المؤسسة في كيرينيا تقوم بإقامة القداس فيه كل يوم أحد بعد الظهر .

٢٣٨) راجع أرشيف الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات رقم PRO) PRO. FO. 371/61655 تعني Public Record (Office .

٢٣٩) راجع أرشيف الخارجية البريطانية ووزارة شؤون المستعمرات الملف رقم /PRO. CO. 67 2 367 الذي يحوي أكثر من ١٣٦ وثيقة كلها تخص دوائر الخارجية البريطانية ووزارة شؤون المستعمرات التي رموزها CO. FO وتعالج العديد من مشاكل عائلة البطريرك وشؤونها المالية ووضعها الاقتصادي .

٢٤٠) راجع أرشيف الخارجية البريطانية ووزارة شؤون المستعمرات الملف رقم /PRO. CO. 926 80 الوثيقتان المرقمتان ٥٩ و٦٠ .

٢٤١) راجع ارشيف الخارجية البريطانية ووزارة شؤون المستعمرات الملف رقم PRO. CO. 926/80 و FO. 371/98778 .

٢٤٢) كان الاسم باللغة الأنكليزية " Light of the East صدرت هذه المجلة في شيكاغو وكان فيها معلومات مهمة عن الجاليات الآشورية في سوريا والعراق وإيران ولبنان. ظهر العدد الاول منها في تشرين ثاني عام ١٩٤٨ واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٤ .

٢٤٣) راجع أرشيف الخارجية البريطانية ووزارة شؤون المستعمرات الملف رقم PRO.FO. :. 371/98778 .

٢٤٤) راجع أرشيف الخارجية البريطانية ووزارة شؤون المستعمرات الملف الذي توجد فيه هذه الرسالة الموجهة إلى الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩٥٢/٤/١٥هو برقم PRO. FO. 37/98778 في هذه الرسالة يعزز البطريرك وجهة نظره أمام الدوائر المعنية في الخارجية البريطانية.

٢٤٥) حول ما جاء في تفاصيل هذه الفترة، يرجى مراجعة الملف رقم PRO. FO. 371/98778.

٢٤٦) راجع سجل الأحداث والوقائع لدير بيت عنيا للفترة من كانون ثاني عام ١٩٤١ لغاية

كانون أول عام ١٩٥٧ .

٢٤٧) راجع الكتاب بعنوان "البعثة التبشيرية لرئاسة أسقفية كنتربري لدى الآشوريين" لمؤلفه جورج ريد الصفحة ٥٦ .

٢٤٨) كان مقر الكرسي البطريركي في الولايات المتحدة الأميريكية في البداية في شيكاغو على العنوان ٦٣٤٦ North, Sheridan Road .

٢٤٩) راجع أرشيف مكتبة "لامبيث بالاس" / رسالة رئيس أساقفة كنتربري الموجهة إلى الليدي سورما بتاريخ ١٩٦٦/١/٣ .

٢٥٠) راجع المصدر السابق / رسالة الليدي سورما المؤرخة في ١٩٦٦/١/٧ المرسلة من سان فرانسيسكو وموجهة إلى Rd. Caon J. R. Satterthwait المرسلة على العنوان "لامبيث رود رقم ٢٣٢. في لندن.

٢٥١) راجع المصدر السابق / البرقيات المرسلة يوم ١٩٦٦/١/٢٤ إلى الليدي سورما من قبل رئيس اساقفة كنتربري وساترثويت والسير هاري لوك.

٢٥٢) راجع مجلة "الشرق الأوسط المسيحي " Proche-Orient Chrétien (POC) تحت موضوع "قضايا تخص كنيسة المشرق حسب واقعها الفعلي". تعمل هذه المجلة تحت إدارة الآباء البيض التابعين لدير القديسة حنة في أورشليم. راجع المجلد الثاني عشر الجزء الثالث لعام ١٩٦٢ الصفحتين ٢٤٥ و ٢٤٦ .

٢٥٣) راجع أرشيف الكنيسة الآشورية/ قرار السنهودس لقداسة مار إيشاي شمعون بطريرك كنيسة المشرق الموجه إلى كل من المطرابولطيي وأساقفة شعبه / المنشور في المجلة المشار اليها في الهامش السابق (POC) لعام ١٩٦٤ المجلد الرابع عشر الجزء الثالث الصفحات ٢٣٤ - ٢٣٨ .

٢٥٤) راجع المصدر المشار إليه في أعلاه مجلة الشرق الأوسط المسيحي (POC) تحت عنوان "إضطرابات في الكنيسة الآشورية" المجلد الخامس عشر الجزئين الثاني والثالث الصفحات ٤١٢ و٤١٤ .

٢٥٥) راجع عن ذلك المصدر أعلاه (POC) الموضوع بعنوان "الأنشقاق في الطائفة الآشورية" المنشور في المجلة عام ١٩٦٨ المجلد الثامن عشر الجزء الرابع الصفحات ٣٨٨ - ٣٩٦ .

٢٥٦) راجع موضوع منح الحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية في المجلة المشار إليها أعلاه (POC) لعام ١٩٧٢الجزء الثاني الصفحات ٢١٨ - ٢٢٤ .

٢٥٧) راجع موضوع الكنيسة الآشورية إستقالة البطريرك وزواجه في مجلة الشرق الأوسط المسيحي (POC) لعام ١٩٧٣ الجزء الثالث والرابع الصحات ٣٨٠- ٣٨٣ .

٢٥٨) راجع مجلة "صوت الشرق" الشهرية التي يصدرها أشوريو "تريشور" (في كيرالا - الهند)، باللغة ألانكليزية بدأ ظهورها عام ١٩٥٤ الرسالة مؤرخة في ٢٠ آب ١٩٧٣ .

٢٥٩) راجع إنجيل متى الفصل ٢٧ العددين ٤٦ و٤٧ .

٢٦٠) عبارة سريانية تعني المجد لأسمك، أنت يا محيي الموتى .

٢٦١) راجع التعليق في ذكرى الليدي سورما د مار شمعون المنشور في جريدة Church Times اللندنية بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٢٦ .

فهرسة المصادر ومراجع البحث

هذه الفهرسة غير كاملة تشمل المؤلفات: أسماء الكتب المعتمدة كمصادر، المقالات المنشورة في النشرات الدورية، المجلات ، والأرشيف العسكري والدبلوماسي والديني، وأيضا الأرشيف الخاص بصناديق المساعدات الخصوصية مواقع الإنترنيت والمراجع الوثائقية.

I – أسماء المؤلفين أو عناوين الكتب والدوريات:

ALICHORAN (المونسنيور فرنسيس أليشوران): كتاب الصلوات الطقسية، وهو كتاب خاص بكنيسة المشرق الكلدوآشورية مع دراسة لطقوس تلك الكنيسة وتاريخيتها، طبع في باريس عام ١٩٨٢، بلغتين: فرنسية وآرامية ٤٣٠ صفحة.

– ANNALES de la CONGREGATION de la Mission et de la COMPAGNIE S FILLES de la CHARITE

- حوليات (تاريخ الأحداث تسرد عاما عاما) البعثة التبشيرية لرهبنة أخوات المحبة، وهو عبارة عن مجموع الرسائل المؤثرة، الفصلية، محفوظ في ليون (فرنسا)، للفترة من ١٨٦٤ إلى ١٩٢٠، راجعناها بدقة.

– كتاب AUSTIN Herbert Henry بعنوان The Baqubah Refugee Camp

":مخيم اللاجئين في بعقوبة" لمؤلفه: أوستن هيربيرت هنري" صدر عن مطابع The Faith في لندن عام ١٩٢٠ . ١١٩ صفحة.

– كتاب: BADGER George Percy بعنوان The Nestorians and their Rituals "النساطرة وطقوسهم" المؤلف جورج بيرسي بادجر، صدر في لندن بجزئين عن دار Joseph Masters عام ١٨٥٢ .

– كتاب: (Miss BELL Gertrude Margaret Lowthian (1868-1926 الكاتبة البريطانية المسز بيل (جيرترود ماركريت لوثيان) بعنوان رسائل جيرترود بيل، مختارات نشرتها Lady BELL في لندن D.B.E دار نشر E. Benn عام ١٩٢٧، ٦٣٤ صفحة.

– كتاب BINDER Henry بعنوان Au Kurddistan, en Mésopotamie et en Pers، " في كردستان وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس"، صدر عن دار نشر Maison Quantin في باريس، عام ١٨٨٧، ٤٥٣ صفحة.

– الكتاب الأزرق BLUE BOOK بعنوان: -The Treatment of Armenians in the Otto man Empire، معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية لمؤلفه Arnold Joseph

Toynbee، صدر في لندن عن دار نشر Hooder and Stoughton عام ١٩١٦، ٦٨٤ صفحة.

- كتاب CAUJOLE Paul بعنوان Les Tribulations d`une ambulance française en Pers "مصائب وحدة إسعاف فرنسية في بلاد فارس" صدر عن دار نشر Les Gémeaux في باريس، عام ١٩٢١، ١٨٠ صفحة.

- كتاب CHEVALIER Michel بعنوان: "Les Montagnards Chrétiens du Hakkari et du Kurdistan septentrional" المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية (ترجمة نافع توسا - ٢٠٠٩) نشره باللغة الفرنسية قسم الجغرافية في جامعة السوربون - باريس تحت رقم ١٣ عام ١٩٨٥، ٤١٢ صفحة.

- كتاب COAKLEY J. F. بعنوان Church of East and Church of England, a History of the Archbishop of Canterbury`s Mission، "كنيسة المشرق وكنيسة إنكلترا، دراسة تاريخية لبعثة رئاسة أسقفية كنتربري التبشيرية، منشورات مطابع Clarendon في نيويورك، عام ١٩٩٢ - ٤٢٢ صفحة.

- كتاب Sébastien (de) COURTOIS بعنوان: Le Génocide oublié, Chrétiens d`Orient, les derniers Araméens المذبحة المنسية، مسيحيو المشرق، الآراميون الأخيرون، منشورات دار , Ellipses في باريس، عام ٢٠٠٢ - ٢٩٧ صفحة.

- كتاب CREPON Pierre، بعنوان: Les Evangiles Apocryphes, Textes choisis et présentés par Pierre Crepon - الأناجيل الأبوكريفية (التي يدعى أنها موحى بها، لكنها ليست من الكتب القانونية المسيحية -المترجم)، نصوص مختارة المقدمة للمؤلف نفسه. صدر في Retz Poche عام ١٩٨٩ - ١٨١ صفحة.

- بحث DELOS J.T.، بعنوان Les Assyriens d`Irak et la Société des Nations, Revue Générale de Droit international Public (RGDIP)، تحت موضوع" آشوريو العراق وعصبة الأمم"، نشر في المجلة التي تهتم بشؤون "الحقوق الدولية العامة" الصادرة عن دار Pédon، في باريس عام ١٩٣٤ العدد XLI لشهري تموز-آب الصفحات ٤٦٠ - ٤٩٥ .

- كتاب EYLER Joseph بعنوان: Monseigneur Sontag, Martyr en Perse سيادة المطران Sontag، الشهيد في بلاد فارس" صدر في Mutzig عام ١٩٩٦، ١٦٣ صفحة.

- كتاب FERRY Jean, بعنوان: Les Assyriens – 1942 الآشوريون عام ١٩٤٢" نشرها Vincenne, - Service Historique de l`Armée de terre/ قسم: الخدمة التاريخية للقوات البرية التي تعرف بالأحرف SHAT، المنشورة عام ١٩٤٣، ٩٦ صفحة.

- كتاب وبحث للمؤرخ الشهير FIEY Jean Maurice كتاب بعنوان:Assyrie Chrétienne آشور المسيحية".

Contrbution à l`étude de l`histoire et de la géographie ecclésiastique et mon astique du nord de l`Irak

مشاركة في الدراسة التاريخية والجغرافية والرهبانية الكنسية في شمالي العراق، نشر في بيروت، المطبعة الكاثوليكية، صدر بثلاث أجزاء، الأعوام ١٩٦٥ - ١٩٦٨ .

- بحث بعنوان " Proto-Histoire Chrétienne du Hakkari turc دراسة قبتاريخية للمسيحية في مناطق حكاري التركية، نشرت في مجلة الشرق السرياني، مجلة فصلية، تصدر في باريس عام ١٩٦٤، الجزء التاسع، الصفحات ٤٤٣ - ٤٧٢ .

- بحث كتبه GASFIELD Nicolas بعنوان

Au front de Perse pendant la guerre. Souvenir d`un officier français Grande. /

" ذكريات ضابط فرنسي عندما كان على الجبهة الفارسية خلال الحرب العظمى "، نُشر هذا المقال في مجلة: "تاريخ الحرب العالمية "، العدد الثالث، شهر تموز ١٩٢٤ التي كانت تصدر في باريس، دار نشر Alfred Coste الصفحات ١٢٠ - ١٥١ .

- كتاب GRISSELLE Eugène بعنوان:

Syriens et Chaldèens, leurs martyres, leurs espérances

/ السريان والكلدان، شهداؤهم، وآمالهم. نشر في باريس، عام ١٩١٨، دار نشر Bloud & Gay، ١٠٨ صفحة.

- كتاب HELLOT-BELLIER Florence بعنوان:

charnière de deux cultures au XIXeme s. et Les Assyriens de D.E.A. d`Iran. Université Paris III au début du XXe.s. e.s.,

"آشوريو بلاد فارس بين ثقافتي نهاية القرن الميلادي التاسع عشر وبداية القرن الميلادي العشرين. D.E.A. d`Iranie به (شهادة جامعية معترف بها) نشر في جامعة باريس الثالثة، عام ١٩٩٠، ٢٤٧ صفحة.

- كتاب المؤرخ KRAMER Samuël Noah بعنوان L`Histoire commence à Sumer التاريخ يبدأ في سومر. صدر عن دار نشر Flammarion عام ١٩٩٤ وأعيد طبعه. ٣١٦ صفحة.

– كتاب بعنوان LA BIBLE DE JERUSALEM، " الكتاب المقدس نشر في القدس ترجم إلى الفرنسية تحت إدارة معهد الكتاب المقدس في اورشليم / القدس، نشرته دار نشر Cerf-Désclée de Brouwer في باريس عام ، ١٩٨٤ – ١٩٨٤ صفحة.

– مقالة للكاتب LE FUR Louis بعنوان:"/ L`Affaire de Mossoul مشكلة الموصل" نشر في المجلة التي كانت تهتم بشؤون " الحقوق الدولية العامة" (التي مختصر اسمها) RGDIP Revue general de droitinternational public ،

– كانت تصدر في باريس عن دار نشر Pédrone لعام ١٩٢٧، الجزء الثامن، الصفحات ٦٠– ١٠٣ و ٢٠٩ – ٢٤٥، يتوفر بحجم كتيب كامل ٨٥ صفحة.

– كتاب MALEK Yusef بعنوان: / The Assyrian Tragedy المأساة الآشورية، ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان Le Drame Assyrien، الناشر Annemasse مطبعة Grandchamp عام ١٩٤٠، ٧٥ صفحة.

– كتاب MARR Phebe، بعنوان: " The Modern History of Iraq تاريخ العراق الحديث عن مطبعة Westview في لندن، عام ١٩٨٥، ٣٨٥ صفحة.

– كتاب NAAYEM Joseph بعنوان:-Les Assyro-Chadéens et les Arméniens massacrés par les Turcs. صدر في باريس بالفرنسية، دار نشر Bloud & Gay، عام ١٩٢٠، ٢٨٥ صفحة. ترجم إلى الأنكليزية تحت عنوان ?Shall this Nation die وطبع في نيويورك، بمساعدة كلدانية عام ١٩٢١، ٣١٨ صفحة (وترجم إلى العربية عام ٢٠٠٥ بعنوان " هل ستفنى هذه الأمة؟" / ترجمة نافع توسا وطبع في بغداد –المترجم).

– مقالات نشرها: NIKITINE Basile بعنوان:

Le système routier du Kurdistan (le pays entre les deux Zabs) Géographie / نظام الطرق في كردستان (في المناطق الواقعة بين الزابين) نشر في المجلة الجغرافية العدد LVIII الصادرة في باريس لشهري أيار – حزيران عام ١٩٣٥، الصفحات ٣٦٢ – ٣٨٥ .

– مقالة بعنوان/ La vie domestique des Assyro-Chaldéens du plateau d`Ormiah الحياة المنزلية/البيتية للكلدوآشوريين في هضبة أورميا، نشرت في المجلة الفصلية المتخصصة بشؤون " العراقة " / الإثنية (علم يبحث في خصائص الشعوب وأجناسها) Ethnographie – منشورات دار Maisonneuve Frères التي كانت تصدر في باريس خلال الفترة ١٠ نيسان إلى ١٥ كانون أول ١٩٢٥ الصفحات ٣٥٦– ٣٨٠ .

– مقال بعنوان Superstition des Chaldéens du plateau d`Ormiah،/ المعتقدات الخرافية لدى الكلدان في هضبة أورميا، نشر في المجلة الفصلية " العراقة " كانت تصدر في باريس

العدد ١٤ لسنة ١٩٢٤، الصفحات ١٤٩-١٨١.

- كتاب PARROT André بعنوان /.Ninive et l`Ancien Testament نينوى والعهد القديم، دار نشر Delachaux & Nestlé صدر في Neuchâtel في سويسرا، ٨٠ صفحة.

- المجلة الفصلية التي كانت تصدر تحت إدارة الأباء البيض للقديسة حنة في القدس/أورشليم باسم "الشرق الأوسط المسيحي" PROCHE-ORIENT CHRETIEN, (POC) تمت مراجعة أعداد هذه المجلة للسنوات ١٩٦٢ إلى ١٩٧٥.

- كتاب REED George بعنوان: La mission de l`archevêque de Cantorbéry auprès Des Assyriens,/ البعثة التبشيرية لرئاسة أسقفية كنتربيري لدى الآشوريين، كتب مقدمته وترجمه J. M. Hornus تمّ نشره في مجلة "العالم غير المسيحي / Le Monde non Chrétien الصادرة في باريس في العدد ٨٤ لشهري تشرين أول وتشرين ثاني عام ١٩٦٧ الصفحات ٣- ٥٩.

- كتب RHETORE Jacques بالعناوين:

Les Chrétiens aux bêtes, Souvenirs de la Guerre sainte proclamée par les Turcs contre les Chrétiens en 1915, Etude et présentation Joseph Alichoran "معاملة المسيحيين كبهائم، وذكريات عن حرب الجهاد التي أعلنها الأتراك ضد المسيحيين عام ١٩١٥"، دراسة وتقديم جوزيف أليشوران، منشورات دار Cerf، في باريس عام ٢٠٠٥، ٣٩٥ صفحة.

- Grammaire de la langue Soureth ou chaldéen vulgaire, Imprimerie des Pères Domnicains, Mossoul قواعد لهجة السورث أو اللغة الكلدانية المحكية، طبع في مطبعة الأباء الدومنيكان في الموصل عام ١٩١٢، ٢٧٦ صفحة.

- كتاب RONDOT Pierre بعنوان: -Origine et caractère ancestraux du peuple ment Assyrien en Haute Djézireh syrienne, Esquisse d`une étude de la vie tri-bal، "اصول وطبائع اجداد الآشوريين في أعالي الجزيرة السريانية، مجمل لدراسة عن الحياة

العشائرية" نشرت في مجلة الدراسات الشرقية العدد XLI-XLII عام ١٩٨٩ - ١٩٩٠، للمعهد الفرنسي في دمشق، عام ١٩٩٣، الصفحات ٦٥ - ١١١.

- كتاب ROUX George بعنوان: La Mésopotamie, Essai d`histoire politique, économique et culturelle/ "بلاد ما بين النهرين" / دراسة تاريخية، سياسية، اقتصادية وثقافية منشورات دار Seuil، في باريس عام ١٩٨٥، ٤٧٣ صفحة.

- كتاب SMITH Gary Neil بعنوان: From Urmia to the Stanislaus, A cultural historical geography of Assyrian Christians in the Middle East and America من أورميا إلى ستانيسلاوس، دراسة جغرافية ثقافية وتاريخية لآشوريي الشرق الأوسط وأميريكا! طروحة لنيل شهادة الدكتوراه للفلسفة اختصاص جغرافية، جامعة كاليفورنيا في Davis عام ١٩٨٢، ٢٩٦ صفحة.

- كتاب STAFFORD Ronald Semphill Howard بعنوان
/ The Tragedy of the Assyrians مأساة الآشوريين/ منشورات دار
Allen & Unwin George صدر في لندن عام ١٩٣٥ - ٢٣٥ صفحة.

- كتاب SHIMON Paul بعنوان: Massacres of Syrian Christians in North West Persia and Kurdistan / مذابح المسيحيين السريان في شمال غرب بلاد فارس وكردستان / منشورات مطبعة جامعة كولومبيا في نيويورك عام ١٩١٦، ١٦١ صفحة.

- كتاب SURMA D`BET MAR SHIMUN بعنوان:
Assyrian Church Customs and the Murder of Mar Shimun,
"الكنيسة الآشورية وتقاليدها واغتيال مار شمعون". الطبعة الأولى عام ١٩٢٠ مطبعة Faith Press في لندن، ١١٤ صفحة. ثم أعيد الطبع في نيويورك دار نشر Vehicle عام ١٩٨٣، ١٠٠ صفحة.
TAJADOD Nahal كتاب: بعنوان: / A l`Est du Christ شرقي المسيح
Vie et mort des chrétiens dans la Chine des tang

حياة وموت المسيحيين في الصين على عهد سلالة تانغ، من القرن السابع وحتى القرن التاسع الميلاديين. دار نشر Plon في باريس، عام ٢٠٠٠، ٢٩٥ صفحة.

- كتاب أصدره المحكمة الدائمة للشعوب
TRIBUNAL PERMANENT des PEUPLES
بعنوان: Le crime de silence, le genocide des Arméniens
/جريمة السكوت على مذابح الأرمن/ من منشورات دار نشر Flammarion في باريس عام ١٩٨٤، ٣٨ صفحة.

- فقرات عن الكنيسة النسطورية جاءت في القاموس اللاهوتي الكاثوليكي
Dictionnaire de théologie catholique (DTC) /
صدر في باريس عام ١٩٣١ ألفه: TISSERANT Eugène et AMMAN Emil
يرجى مراجعة الجزء الحادي عشر - الفقرة ١٥٧ إلى الفقرة ٣٢٣.

- كتاب الكاتبة WALLACH Janet
بعنوان "Desert Queen / "" ملكة الصحراء"
أو: /The Extraordinary life of Gertrude Bell
أو: حياة جيرترود بيل العجيبة / اكتشافاتها،مشوراتها للملوك، تحالفها مع لورنس العرب، منشورات دار Weidenfeld & Nicolson، في لندن عام ١٩٩٩ أعيد طبعه - ٤١٩ صفحة.

- كتاب .WERDA Joël E بعنوان
Assyrian Nation and Church The flickering Light of Asia or the
"وميض ضياء من آسيا" أو الشعب الآشوري والكنيسة الآشورية"
صدر في Jersey City عام ١٩٢٤، ٣٣٤ صفحة.

- كتب WIGRAM William Ainger بعنوان: /Our smallest Ally حليفنا الصغير/ وصف مختصر لنشاط الشعب الآشوري أثناء الحرب العظمى، نشرته جمعية تطوير المعرفة لدى الآشوريين Brief account of the Assyrian Nation in the Great War
Society for Promoting Christian Knowledge (SPCK)

في لندن عام ١٩٢٠، ٥٨ صفحة.

- The Assyrians and their Neighbours، الآشوريون وجيرانهم
/ نشر في لندن عام ١٩٢٩ نشرته دار نشر G. Bell & Sons، ٢٤٧ صفحة.

- / An Introduction to the history of the Assyrian Church مدخل إلى تاريخ الكنيسة الآشورية، منشورات الجمعية المشار إليها في أعلاه ((SPCK، عام ١٩١٠ في لندن، ٣١٨ صفحة.

- كتاب WILMSHURST David بعنوان:
The ecclesiastical organization of the church of the East: 1318 – 1913 /
التنظيم الكنسي لكنيسة المشرق في ما بين العامين ١٣١٨ إلى ١٩١٣

- نشرت في مجموعة Coll. Corpus scriptorium christianorum orientalium.
Peeters عام ٢٠٠٠ في لوفان، ٨٥٥ صفحة.

- كتب YACOUB Joseph بعنوان:
La question assyro-chaldéenne, les Puissances européennes et la - Société Nations des
القضية الكلدوآشورية والقوى الأوربية وعصبة الأمم، منذ العام ١٩٠٨-١٩٣٨، طبع في جامعة ليون الثانية / فرنسا:
هذا الكتاب موضوع أطروحة لشهادة دكتوراه دولة، أربعة أجزاء كانون ثاني ١٩٨٥، ٩٠٠ صفحة.

- / The Assyrian Question القضية الآشورية/
منشورات ألفا كرافيك/ شيكاغو، عام ١٩٨٦، ١٧٨ صفحة وأعيد طبعه عام ١٩٩٣، ١٩٥ صفحة.
Babylon chrétienne. Géopolitiques de l`Eglise de Mésopotamie /
بابل المسيحية، بحث جيوسياسي لكنيسة ما بين النهرين/

نشر في باريس عام ١٩٩٦/ دار نشر، Desclée de Brouwer، ٣٢٤ صفحة.

- / Menaces sur les Chrétiens d`Irak

تهديدات لمسيحيي العراق. شهادة مسيحية/ -.Témoignage Chrétienمنشورات دار CLD صدر عام ٢٠٠٣، ٢٠٠ صفحة.

- / I christiani d`Irak أنا مسيحي من العراق/ بالأيطالية /منشورات Jaca Book في ميلانو صدر في نيسان ٢٠٠٦، ٢٢٢ صفحة.

- كتابا YONAN Gabriele بعنوان

Assyrer Heute, Reihe Pogrom 59, dezember 1978, Gesellshaft für bedrohte Volker صدر باللغة الألمانية، في همبورك وفينا - ٢٣٨ صفحة.

- Journalismus bei den Assyrern, Ein Uberkblick von seinen Anfangen bis zur Gegenward, ZAVD,

صدر باللغة الألمانية في برلين عام ١٩٨٥، عن دار نشر ZAVD - 201 صفحة.

= Ein Vergessener Holocaust, die Vernichtung des christlichen Assyrer in der Türkei, Reihe bedrohte v?lker G?ttingen und Wien

صدر باللغة الألمانية، نشر في كوتنبرك وفينا، في شهر أيار عام ١٩٨٩ ،منشورات دار نشر Pogrom148/49 - 422 صفحة.

- كتاب السيد يوسف أفرام عيسى بعنوان الحوليات السريانية

صدر عن دار النشر L`Harmatten في باريس، حزيران عام ٢٠٠٠ - ٤٦٧ صفحة

- II الأرشيفات:

/ ARCHIVES MILITAIRES FRANCAISES (SHAT)) الأرشيف الفرنسي العسكري/ قسم تاريخ القوات البرية/ الدائرة الشرقية/ أرشيف القيادة العامة/ تقارير المخابرات/ كارتون رقم N 4173 7

العلامة: Vincennes

ARCHIVES DIPLOMATIQUES FRANCAISES/ الارشيف الدبيلوماسي الفرنسيي محفوظ في المبنى ٣٧ quai d`Orsay في باريس، المجموعة E، المشرق/ /Levant المجموعة الثانوية –العراق–عام ١٩١٩ والمجموعة الثانوية – SDN–وزارة الخارجية عام ١٩٣٣.

CYPRUS STATE ARCHIVES (CY)) / أرشيف دولة قبرص/ وزارة العدل والشؤون القانونية العامة/ نيقوسيا – مار شمعون=

LAMBETH PALACE LIBRARY/ مكتبة لامبيث بالاس/ في لندن/ بعثة رئاسة الأسقفية لدى المسيحيين الآشوريين، قائمة الأوراق الخاصة ببعثة رئيس الأساقفة التبشيرية لدى الآشوريين (١٨٧٩ - ١٩٣١) مراسلات رئيس الأساقفة حتى عام ١٩٦٦.

PUBLIC RECORD OFFICE (PRO)) / دائرة سجلات الوثائق العامة/الأرشيف الوطني/في / Kew Richmond إنكلترا) .- - Foreign Office (FO وزارة الخارجية – و- Colonial Office (CO.) - وزارة شؤون المستعمرات للأعوام: ١٩٣٥، ١٩٤٢-١٩٤٣، ١٩٤٧-١٩٤٨، ١٩٥٠-١٩٥١، ١٩٥٢-١٩٥٣.

SISTERS OF BETHANY/ راهبات بيت عنيا/صندوق التبرعات SSB, Southsea, England./ و/ SSB Chronicales of July 1919 to December 1957 –المحفوظة في العنوان

Lloyd Square مراسلات ووثائق مختلفة.

YACOUB Joseph, Fonds sur la question assyro-chaldéenne, Lyon, France صندوق التبرعات الخاص باسم يوسف يعقوب/ قضية الكلدو آشوريين/ في مدينة ليون/ فرنسا.

III – مواقع أنترنت – SITES INTERNE

هناك مواقع كثيرة منتشرة في أرجاء العالم خاصة بالكلدوآشوريين قد نعثر فيها على معلومات

مكملة عن العائلة البطريركية –عائلة مار شمعون– وعن سورما خانم بالذات أو عن كنيسة المشرق، في ما يلي

تجد أيها المراجع الكريم، مجموعة مختارة بعد تلخيصها قد تساعدك في البحث والمتابعة:

www.cired.org الكنيسة الآشورية L`Eglise assyrienne/

Site non official de l`Eglise d` Orient www.nestorian.org
موقع غير رسمي لكنيسة المشرق

Assyrian Society of the United Kingdom **www.atour.com**
الجمعية الآشورية في المملكة المتحدة

www.betnahrain.org بيت – نهرين Bet-Nahrein/

www.niniveh.com نينيفيه أون لاين Niniveh on line: /

Zinda, agence d`?nformation assyrienne
www.zindamagazine.com زيندا، وكالة الأنباء الآشورية
Assyrian International News Agency
www.aina.org وكالة الأنباء العالمية الآشورية

Assyrian information Medium Exchange
www.edessa.com هيئة تبادل المعلومات الآشورية

Mouvement démocratique assyrien
www.zowaa.com الحركة الديموقراطية الآشورية

Assyrian Democratic Oerganisation

المنظمة الديموقراطية الآشورية **www.ado-world.org**

Association des Assyro-Chaldéens de France

رابطة الكلدو آشوريين في فرنسا **www.aacf.sso.fr**

Site d` etudes syriaques

موقع الدراسات السريانية **syrcom.cua.edu//**

Assyrian Academic Society, USA

الجمعية العلمية الآشورية في الولايات المتحدة **www.aas.net**

Think Assyrian

ثينك الآشوري **www.ashur.com**

Nouvelles des Assyro-Chaldéens et chrétiens d`Irak

أخبار الكلدوآشوريين ومسيحيي العراق **senate.free.fr//**

/ Chaldean Voice صوت الكلدان **www.chadeanvoice.org**

/Chaldeans on line الكلدان أون لاين **www.chaldeansonline.net**

Revue Hujada (Suède)

مجلة حويادا (في السويد) **www.hujada.com**

Chronological Histrory of the Assyrias

تاريخ الحوليات الآشورية **gabylevies.freeservers.com**

Communion angligan

الشراكة الإيمانية الأنكليكانية **www.anglicancommunion.org**

Archevêché de Cantorbéry

رئاسة أسقفية كنتربيري **www.archbishopofcantorbury.org**

The Monarchy today

العائلة المالكة (المملكة المتحدة) اليوم **www.royal.gov.uk**

Soeurs de Béthanie

أخوات رهبنة بيت عنيا **www.sistersofbethany.org.uk**

Base documentaire sur le genocide arménien

المركز الوثائقي لمذبحة الأرمن **www.imprescriptible.fr**

Site allemande de biobibliographie

موقع الماني لبحوث في حياة الكتاب ومؤلفاتهم **www.bautz.de**

IV- وثائق حديثة Documants RECENTS أفلام

Robert Alaux, réalisateur, les dérniers Assyriens, paris, Lieurac productions

روبيرت آلو: قام بتحقيق كتاب عن الآشوريين الأخيريين (في هذا العصر)، صدر في باريس، دار نشر Lieurac عام ٢٠٠٥.

Robert Alaux et Nahro Beth-Kinné, réalisateurs, Seyfo, l` Elimination

روبيرت آلو ونهرو بيث كنه، قاما بتحقيق أحداث عام سيفو (سنة ضرب الرقاب بالسيف) الأبادة بحد السيف تحقيق عام ٢٠٠٦.

Yacubova lina, réalisatrice de differents documentaries relatifs aux Assyrien Dont Assyrians in Arminia et Assyrians in Iran, 2005, Erevan State Institute of Theatre Art and Cinematography

لينا ياكوبوفا، محققة لافلام وثائقية مختلفة خاصة بالآشوريين، ونعني بهم الآشوريين في أرمينيا والآشوريين في ايران، تحقيقات عام ٢٠٠٥ منشورات Erevan/ معهد الولاية للمسرح والفنون والتصوير السينمائي/.

V - خرائط منقولة Cartes Reproduites

خارطة عراقة/إثنية (أي تبحث في الأصول والأعراق أو الأجناس) وسياسية خاصة بالشعب الكلدوآشوري، إعداد مؤسسة نامق ورستم. وهي الخارطة التي قدمت إلى مؤتمر السلام يوم ١٦ تموز ١٩١٩، طبعت في مطابع Levé في باريس.

خارطة تبين موطن الآشوريين المسيحيين الذين يعرفون أيضًا بالنساطرة أو السريان والمناطق التي كانوا لاجئين فيها.

VI - صورة غلاف الكتاب بالفرنسية، صورة سورما دبيث مار شمعون في عام ١٩٢٠، لدى أخوات بيت عنيا، أرشيف SSB على ظهر الصورة إهداء هذه ترجمته: للذكرى العطرة، سورما دبيث شمعون.

إستدراك وتصحيح

(سقطت صفحة من المترجم سهوًا، ندرجها هنا وهي تكملة للصفحة ٢٧٢)

... ثم حصلت إنكلترا على تفويض بالإنتداب على جزيرة قبرص، بضمانة تطبيق الإصلاحات التي كان العثمانيون قد وعدوا بإجرائها في ولاياتهم. فجرى تبنّي تلك المقررات في ٥/ ت٢/ ١٩١٤، وذلك إثر دخول العثمانيين الحرب إلى جانب ألمانيا. وفي مطلع أيار ١٩٢٥، تحوّلت جزيرة قبرص إلى مستعمرة تحت سلطة التاج البريطاني، لكن ذلك جاء بعكس ما كان يريده سكان الجزيرة. لقد كان العثمانيون في السابق يديرونها بحسب النظام المذهبي وقانون الملل، إلا أن الإنكليز إتخذوا منحى آخر. لذا بدأت مشاعر وطنية مضادة لهم تتأجج لدى القبارصة، خصوصًا بين أبناء الجماعة اليونانية، التي عوضًا احتلال بريطانيا لهم تمنوا الإنظمام إلى اليونان. وقد كان إسم قبرص اليوناني القديم هو "إينوزس"، فاتخذته الحركة المناوئة للإنكليز إسمًا لها.

هذا كان تاريخ قبرص، لكنه لم يكن غريبا عن سورما، التي لدى وصولها إلى هناك لمست الجو المكهرب بين المستعمر البريطاني وسكان قبرص. كانت الشمس تسطع على الجزيرة الساحرة، عندما وصلت سورما إلى لارنكا، يوم ٣١/ آب/ ١٩٣٣ برفقة زوجتي أخويها إستير وإليزابيت وولدَين لهن بالغَين، وتسعة أطفال قاصرين. كان الهمّ يعتمر قلبها لما ينتظرهم في المستقبل، فلم يمِل قلبُ سورما إلى مناظر هذه المدينة الساحلية الجنوبية، والتي تقول الأساطير عنها أن سكانها ينحدرون من نسل "كيتيون"، وكانت أهم مدن ممالك قبرص القديمة، أسستها شخصية أسطورية هو "كيتيم"، ويقال أنه من سلالة نوح. ويعد ميناؤها مركزًا تجاريًا، كان بمثابة بوّابة لقبرص منذ زمن الفينيقيين الذين حوّلوها إلى مدينة زاهرة.

كان إثنان من الضباط البريطانيين ينتظرونهم ليقودوهم بعجالة إلى نيقوسيا العاصمة، فقطعوا ٥٠ كيلومترًا صامتين، برغم المناظر الجميلة التي كانت تمر من أمامهم، سالكين طريق "كالو خيريو"، فعبرت القافلة الصغيرة قرى "بيركا"، "بيرا خوريو"، "دالي" و "لاكيا".

تتكون قبرص من سلسلتي جبال، يفصلهما وادٍ وسطي يسمى "ميزوري". وتقع إلى الشمال جبال "كيرينيا" التي تمتد حتى الشرق، عبر شبه جزيرة طولية وضيقة إسمها "كارباس". ويرتفع إلى الجنوب جبل "طرودوس" البركاني، الذي في أعلى قمته يرتفع جبل "أولمب". وفي الوسط يمتد السهل، بلا أشجار، من وادي ميزوري، حيث تقبع مدينة نيقوسيا. فدهشت سورما لأعمال الري التي بدأت تغيّر تلك المنطقة الجافة، وتغطيها بمختلف المزارع. وإلى جانب الحنطة والشعير كان القطن والبرتقال والليمون الهندي (كريب فروت) والخضراوات والبطاطس. وكان الزيتون بالطبع، يشكل الغنى الأكبر هنالك، مَثلُه مثل حضارات البحر المتوسط. فقد أدخل الزيتون، منذ القدم، واستعمل

زيته بأزمنة سحيقة للطبخ والإنارة ودهن الأجساد. وبرغم هذا المظهر المطمئِن، كان القلق باديًا على أفراد أسرة مار شمعون وهم يقتربون من العاصمة.

كان إسم نيقوسيا القديم "ليدرا" و"ليفكوسيا"، وقد عرفت تحولات كبرى منذ تأسيسها في العصر الحجري الحديث، فكان كل من مرّ فيها يترك حجارته، فجمعت المدينة بصمات التنوّع الشرقي، لكن ذلك التنوّع الممتزج لم يؤثر على استمرارها عبر التاريخ. فدمغها البيزنطيون والفرنجة والعثمانيون مديات طويلة. منذ القرون الوسطى وحتى عام ١٨٧٨ (عودة إلى نص ٢٧٢).

فهرس أسماء الأشخاص والأماكن

ملاحظة: الأرقام للصفحات و(ح) للحواشي

إبراهيم ١٤١، ١٩٩

اجّاي (تلميذ يسوع) ٢٢، ١٤٩

أخوات المحبة (بنات المحبة) ٩٥، ٩٧، ٩٨، ح ٦٩، ح ٩١، ٣٦٨

أخوات بيت عنيا (راهبات بيت عنيا) ٥، ١٧، ١٦١ - ١٦٥، ١٧٤، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧ - ٢٩٩، ٣٠١، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٦، ح ١٨٤، ح ٢٤٦، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٣

أدنة ٥٧، ٥٨، ٦٤، ٦٦، ٢١٤، ح ٤٢

ادوارد الثامن ٢٩٣، ٢٩٩

أدي (تلميذ يسوع) ٢٢، ٤٠، ١٤٨، ١٤٩، ٣٤٣، ٣٤٦

أدي شير ٣٠٨

أذربيجان ٦٥، ٦٧، ٨٢، ١٠٢، ٣٢٥

الآرامية ٣٢، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥٣، ٦٥، ٩٣، ١٠٢، ١٣٣ - ١٣٦، ١٤٢، ١٤٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٣٨، ٣٠٧، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٤٧، ح ٢ - ح ٥، ح ١٠، ح ١٣، ح ١٥ - ح ١٧، ح ٢٩، ح ٤٩، ح ٦٧، ح ١٥٤، ٣٦٨، ٣٦٩

أربيل ٢٤، ١٧٩، ٢٠٧، ٣٢٦، ح ٧

الأرمن ٢، ٧، ٦٤، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٨ - ١٠٢، ١٠٦، ١١٣، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٢، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٦، ٣٠٣، ٣١٧، ٣٢٣، ح ٤٢، ح ٦٦، ح ٧٦، ح ٨٢، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨١، ٣٨٤

ارميا (النبي) ٦١، ٩٠

استير د بيت مطران ٣٩، ٨٥، ١٠٨، ١٨٣، ٢٥٨، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٤٦، ٣٤٨

إسماعيل (ملك تياري) ١٠، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ١١٨، ٣١٢، ٣٤٦

أشعيا د مار شمعون ٣٠، ١٨٢، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣١

أشيتا ٤٣، ٦٧، ٨٣

أغا بطرس ٩، ١١٩، ١٢١، ١٤٥، ١٨٤-١٨٦، ١٩٤، ح ١٢٥
أفرام النصيبيني ٦٢، ح ٤٩
افسس (مجمع) ٢٢، ١٧٥، ٣٠٨
الأكراد ١٤، ١٧، ١٨، ٣٣، ٤٣ - ٤٦، ٥٠، ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦٥ - ٦٧، ٦٩، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٨٦ - ٨٩، ٩٣، ١٠١، ١١٣، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٤١ - ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٥١، ١٥٩، ١٧١، ١٧٧ - ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢١، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٨ - ٢٦١، ٣٢٥، ٣٣٦، ٣٤٤، ح ١١٨
ألطون كوبري ١٧٩
ألمانيا ٧٥، ١٤٠، ٣٠٦
الإمبراطورية العثمانية ٨، ١٨، ٣٦، ٣٨، ٤٣، ٤٥، ٥٨ - - ٦٠، ٦٣-٦٥، ٧٩، ٧٣ - ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٨، ١٢٨، ١٣٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٨١، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٧٢، ح ٨٢، ٣٦٩
إمري إل. إس (السير) Sir Amery L.S ٢٢٦، ٢٨٩
أنطاكية ٢٢، ٣٠٧، ٣١٨
انكلترا، ١٨، ٢٨، ٥٣، ٦٥، ٧٣، ٧٦، ١٠٧، ١٥٢، ١٥٩ - ١٦٣، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٢٦ - ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٢٨ - ٣٣٠، ح ١١، ح ١٢، ح ٥١، ح ٥٨، ح ١١٧، ح ١٨٨، ح ٢١٥، ٣٦٩، ٣٧٩
الانكليكان، ١٠، ١٧، ١٨، ٢٤ - ٢٧، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٥٤، ٥٦، ٥٩، ٦٦ - ٧٤، ١٠٣، ١٠٥، ١١٩، ١٥١، ١٥٩ - ١٦١، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٠، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٩ - ٣١١، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٠، ح ٧٧، ح ١٣٠، ح ١٦٦، ح ٢٢٥، ح ٢٣٧، ٢٨١
أنور باشا ٧٤، ٧٥
أورميا ١٤، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٣٨، ٥٤، ٦٤، ٧٣ - ٧٦، ٨٢، ٨٩، ٩١ - - ١٠٠، ١٠٢ - ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٩ - ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٥، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٨٩، ٢٩١، ح ٤٥، ح ٦٦، ح ٦٧، ح ٧١، ٧٣، ح ٧٤، ح ٨٠، ح ٨٦، ح ٩٣، ح ١١٧، ١٧٧، ٣٧٢ - ٣٧٤

اوستن هيربرت هنري (الجنرال) General Austin Herbert Henry ‏١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ح ٩٨، ٣٦٨
إيران ٧، ٩، ١٤، ٥١، ١٣٦، ١٥٧، ٢١٢، ٢٣٠، ٣٠٧، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٤٦، ح ٢٤٢، ٣٨٢
ايلينك Ealing ‏٣٣٣
إينانا -عشتار ١٦٧، ١٩٨، ٢٧٣
أيوب (سفر) ٧٨، ٣٢٩
بابل ٢٣، ٢٧، ٣٢، ٤٢، ٤٤، ٥٣، ١٠٤، ١٣١ -١٣٣، ١٣٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٦٧، ١٩٧، ٢٠٨، ٣٤٤، ح ٨، ح ٣٨، ٣٧٧
بادجر جورج بيرسي Badger George Percy ‏٥٩، ١٩٧، ٣٦٨، ح ٤٣
باريس ١٢٩، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٣٠، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٤٢، ح ١، ح ٦، ح ٨، ح ١٩، ح ٢٩، ح ٣١، ح ٣٥، ح ٤٢، ح ٤٥، ح ٤٩، ح ٥٤، ح ٦٤، ح ٦٦، ح ٦٨، ح ٦٩، ح ٧٠ - ح ٧٢، ح ٧٥، ح ٨٤، ح ٨٥، ح ٩٠، ح ٩١، ح ٩٣، ح ٩٥، ح ١٠٤، ح ١١٢، ح ١٢٠، ح ١٣٢، ح ١٣٣، ح ١٥٨، ح ١٦٣، ح ١٦٤، ح ١٨٠، ح ١٩٠، ح ٢٣٦، ٣٦٨-٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٣
باز ٤٤، ٨٠، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ١٤٥، ١٨٤، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٠٣، ٣٣٦
باش قله أو باش قلعا ١٤، ٧٦، ٧٧، ٨٨، ١١١، ١٤٢، ١٤٤
بانفيل جون Panfil John ‏٢٣٨، ٢٣٩
بدرخان (أمير) Emir Badr Khan ‏٥٩، ٦٠
البدو ١٠٩، ١٤٢، ١٤٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٣٧، ٢٣٨
براون جي جلبيرت (بريكادير) Browne J. Gilbert، ٢٩٤
براون وليم هنري (قسيس أنكليكاني) Pasteur Browne William Henry ‏٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٥٦، ٥٧، ٦٦، ٦٨، ٧١-٧٣، ١٦٣، ٢٢٠، ٢٩٤
بروكسل (خط) ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢
بريطانيا العظمى ٧، ٩، ١٠، ٧٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٦، ١٤٦، ١٥٤ -١٥٦، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٦ -١٧٨، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢ -٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٢٥ -٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٠-٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٧٦ -٢٧٨، ٢٨١-٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١١، ٣٢١-٣٢٤، ٣٣٤ -٣٣٧، ح ١١٧، ح ١٣٥

البصرة ٢٤، ٥١، ١٣٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٦، ٢٣٩
بعقوبة ٩، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٨، ١٨١ - ١٨٤، ١٨٩، ١٩٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٣٢، ٣٤٤، ح ٩٨، ح ١٠٠، ٣٦٨
بغداد ٩، ١٤، ٢٤، ٢٥، ٧٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٧ - ١٤٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧ - ١٩١، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤ - ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨١، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٤٤، ح ٧، ح ١٤١، ح ١٥٣، ح ١٨٥، ٣٧٢
بكين ٤٢
بلاد ما بين النهرين ٧، ١٢، ١٤، ١٥، ٢٢ - ٢٤، ٣٩، ٤٢، ٤٩، ٧٣، ٨١، ١١٣، ١٢٨، ١٣٠ - ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٩ - ١٧١، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٩ - ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٤٤، ٢٧٣ - ٢٧٥، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١٧، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٤، ح ١، ح ٨، ح ٤٣، ح ٩٦، ح ١٠٤، ح ١٠٨، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٧
بور سعيد ١٥٠، ١٥١، ٣١٢، ٣١٣
بوري (اوجين) Boré, Eugène ٩٣، ح ٦٨
بولس بيداري (الخوري) ٢٢١
بولس شمعون ١٠٢، ١٠٧
بيبيده (بيبادي) قرية ٦٧، ٧٣، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٤٣
بيتليس ٩٩، ١٠٠، ١٤٤
بيث عزيزا ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٣
بيروت ٢٦٤، ٣٤٢، ح ١٤٠، ح ١٩٦، ٣٧٠
بيري جيمس (المطران) Perry James W. (Mgr) ٢٢٧، ٢٤١
بيزنطية، ٢٢، ٢٣، ٣٢، ٢٧١، ٢٨٤، ٣٢٣
بيل (جرترود) Bell, Gertrude ١٨٧ - ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٢، ح ١٢٤، ح ١٣٦، ح ١٣٧، ح ١٤٦، ٣٦٨
بينسون ادوارد وايت (رئيس أساقفة كانتوربيري) Benson Edward White ٢٧
بيننكتون (الكابتن) Pennington (Capitaine) ١٢٠
تبريز ٢٤، ٩٥، ١٠٧، ١٢٧، ١٢٨، ح ٩٤
تحسين باشا ٧٤، ٧٥، ٢٢٠

تخوما ٢٥، ٤٤، ٤٦، ٥٠، ٨٠، ٨٢، ٨٥ -٨٧، ١١٨، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٧، ٢٥٥، ٢٧٨، ٣٠٢
تركيا ٧، ٩، ١٤، ٢٤، ٦٤، ٦٥، ٧٤ -٧٦، ٨٩، ١٣٦، ١٤٠، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٨ - ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٦، ٢١٢-٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٨٧، ٣٠٦، ح ٣، ح ٦٠
ترلوك ٧، ١٠
تفليس ٥٤، ٩٨، ١١٠، ١٢٨، ح ٧٣، ح ٩٤
التكوين (سفر) ١٤١، ٢٠٨، ح ١٠١، ح ١٥٢
تمبل فريدريك (رئيس اساقفة كانتوربيري) Temple Frederic ١٦٠
تمبل وليم كانتوار (رئيس اساقفة كانتوربيري) Temple William Cantuar ٣٠٥
توما (الرسول) ٥، ٢٢، ٢٤، ٤٠، ١٠٤، ١٤٩، ٣٤٢، ح ٢٢٩
توما درمو (المطران) ٣٤٣
تومسن (ميجر) Thomson D.B ٢٥٤
تويمبي ارنولد جوزيف Toynbee Arnold Joseph ١٠٢، ح ٧٦، ٣٦٩
تياري (العليا والسفلى) ٤٣، ٦٠، ٦٦، ٦٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢ -٨٧، ١١١، ١١٨، ١٢٧، ١٤٤، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٦٤، ٣٣٦
تيودورس المصيصي ٣٠٧، ٣٠٨، ح ٢٢٨
جار باش أو جاباش ١٦٣، ١٦٤
جاسفيلد نيكولا (العقيد) Gasfield Nicolas (Lieutenant) ح ٩٣، ٣٧١
جاك ريتوري ٩٩، ١٠٠، ح ٧٥
جرسي ستي Jersey City ٣٧٦
الجزيرة (جزيرة ابن عمر) ١٤٤، ح ٧
جمال باشا ٧٤، ٢٢٠، ٢٨٧
جمبا د ملك ٧٩، ٨٣، ٨٤
جنيف ٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٤٥، ٢٥١ -٢٥٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٥-٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٣٢، ح ١٩٣
جودت بيك ٨٨، ٩٦، ١٠٠
جورج الخامس ١٧٢، ١٨٢، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٩٣، ح ٢٢٣
جورج السادس ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٣٥، ح ٢٢٣

جولاميرك ١٧، ٢١، ٢٤، ٣٢، ٥٤، ٦٩، ٧١، ٧٧، ٨٢، ٢١٣، ٢١٧
جولفا ٢٤، ٥٤، ١١٠
جيلو (منطقة قبيلة) ٢٠، ٤٤، ٤٩، ٨٠، ٨٢، ٨٦-٨٨، ١٢٤، ١٢٦، ٢٠٧، ٢١٨، ٣٣٦
الحبانية ٣٠٦، ٣٢٩، ٣٣٥
حزقيال (النبي) ١٩٨، ح ١٤٣
حسكة ٣٠٤، ح ١٢٦
حسن باشا ١٢١، ١٢٢
حكاري ٥، ٧-٩، ١٤، ١٥، ١٧-٢٠، ٢٣-٢٥، ٢٧، ٣٢، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٣-٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٢٠١، ١٠٣، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥١، ١٥٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٨-١٨١، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٠١، ٣١٥، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٦، ح ١، ح ٣، ح ٣٥، ٣٦٩، ٣٧٠
حمورابي ١٣٣
خابور ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٤٢
خربوط ١٠٠، ٢٣١
خسروا ٨٩، ٩١-٩٣، ١٢١، ١٢٩
خنانيش (قرية) ٥٤، ٥٥
خوشابا (ملك) ١٤٤، ٢٥١، ٢٧٨
خوي ٥٤
دادوش ٨٤
دارتلي (السيد والسيدة) Dartley (Mr et Mme) ٢٢٠ - ٢٣٤
دالي ستني Daly ٣٤١
دانيال (النبي) ٤٥
داوود د مار شمعون (رب خيلا، القائد ووالد إيشاي) ٣٤، ٣٧، ٣٩، ٦٠، ٨٢، ٨٦، ١٠٩، ١١١، ١١٨، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٧، ١٤٩، ١٨٣، ١٩٠، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٩٦، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٤١، ٣٤٥

دجلة (نهر) ٥، ٢٠، ٢٢، ٨٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٩، ١٦٧، ١٧٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦، ٣٠٤
دمشق ٣٢، ١٥٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٤٢، ح ٣٢، ٣٧٤
دنخا نثنائيل ١٢٢
دهوك ٢٤، ٢٠٦-٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩
دوبس هنري (السير) Dobbs Henry (Sir) ٢١٥، ٢٤٣
دوكلاس جون البيرت (كانون) Douglas John Albert (Canon) ٢٨١، ٢٨٩
دومنيكان ٢٣، ١٥٠، ١٥١، ٣٠٨، ح ١٠٨، ٣٧٣
ديار بكر ٦٧، ٧٨، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ٢٢٩، ٢٣٠
ديالى ١٣٦، ١٤١
ديز ٤٤، ٤٦، ٦٠، ٨٠، ٨٢، ٨٦، ١٤٤، ٣٣٦
ديشانيل بول Deschanel Paul رئيس فرنسي ١٥٧
ديفدسن راندال توما (رئيس اساقفة كانتوربيري) Davidson Randall Thomas ١٦٠، ٣٠٠، ح ١١٤
ديليمان ٨٨، ٩٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٨
رامسي أرثر ميشايل (رئيس اساقفة كانتوربري) Ramsey Arthur Michael ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٠
ربان هرمز ٢٣، ٢١٠، ٢١١، ح ٧، ح ١٥٣
رشيد بيك ٨٣، ١٤٤
الرها ١٧٥
روسيا (الكنيسة الأرثوذكسية) ٣٩، ٦٧، ٧٤، ٩٥، ٢٣٦
روسيا ٦٤-٦٧، ٦٩، ٧٤ - ٧٦، ٨٢، ٨٧ - ٨٩، ٩٥ - ٩٨، ١-١ - ١٠٣، ١٠٩ - ١١٧، ١٥٦، ٣٠٩، ح ٨٤
روما ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٥١، ٩٤، ١٥١، ٢٣٦، ٢٤١، ٣٢٣ ح ٩٤، ح ١٠٥، ح ١٠٨، ح ٢٢٨
رومي د مار شمعون ٣٠، ٧٢، ٨٠، ٨٥، ١٠٨، ١٩٠، ٢٣٩، ٣١٢، ٣٣١، ح ٩٤
ريد جورج (الكابتن) Reed Georges L. (Capitaine) ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٥ - ٤٨، ٥١ - ٥٣، ٥٥ - ٥٧، ٦٨، ٧٠-٧٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٧٢، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩،

٢٠٨ - ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٦٣، ٣٣٧، ح ١٦٦، ح ١٦٧، ح ٢٤٧
رينتون (الميجر) Renton (Major) ٢٩٦، ٣١١، ٣٢٧
الزاب (الصغير) ٥١، ١٧٩، ح ١، ٣٧٢
الزاب (الكبير) ٢٠ - ٢٢، ٣٢، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥١، ٦٠، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٦
-٨٨، ١٤٩، ١٧٩، ٢٠٧، ٣٣٦، ح ١، ح ١٩، ٣٧٢
زاخو ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١
زيّا (مار) ٤٩، ٨٧
زيّا د مار شمعون ٣٠، ٨٦، ١٢١، ١٢٩، ١٨٣، ١٩٠، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٣١
سان ريمو (معاهدة) ١٧٦، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٥
سان فرانسيسكو ٣١٩، ٣٣٨ - ٣٤٤، ح ٢٥٠
ساوا (مار) ٧٩، ٨٤
ساوث امبتون (ميناء) ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣
سايكس بيكو (معاهدة) ٨، ١٥، ١٠٨، ١٥٦
ساين قاله (قلعة) Saïn Kaleh ١٢٠، ١٢١، ١٢٣ - ١٢٥
ستافورد (كولونيل) Stafford R.H.S. (Colonel) ٢٥٠، ح ١٥٠، ح ١٨٧، ح ١٩١، ح
١٩٢، ح ١٩٥، ٣٧٤
سرجون الثاني ٣٢، ١٣٣
السريان ٧، ٦٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٦، ١٣٠، ١٧٣، ١٩٢، ٢٣١، ٣٤٤، ح ٢، ح ٤٢، ح ٤٤،
ح ٥٠، ح ٧٨، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٨٣
سكيف لورستن (المطران) Scaif Lauriston L. ٣٤٠
السلام (مؤتمر) ١٣٩، ١٤١ - ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٧، ١٧٠، ١٧٦ - ١٧٨،
١٨١، ٢٠٢، ٢٣٠، ٢٨٣
سلامس ١٤، ٢٤، ٨٣، ٨٥، ٨٧ - ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١١٤،
١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٥، ١٨٢، ح ٦٦
سلوقيا ٢٢، ١٤٩، ٢١١، ٣٤٩
سميل ٧، ٩، ٢٥٦ - ٢٦٢، ٢٦٧
سوتو (أغا قبيلة اورامار) ٨٦، ١٤٤
سورث (لغة) ٤٤، ٤٥، ١٣٨، ٢٤٣، ٣٣٧، ٣٤٦، ح ٣، ح ١٥، ح ١٠٢، ح ٢٢٤، ٣٧٣
سوريا ٩، ٢٠، ٥١، ٦٦، ٧٠، ١٤٧، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٦، ١٧٨، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤،

٢٠٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٤-٢٥٦، ٢٦٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦ - ٢٩٥، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤،
٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣١،ح ٣٢، ح ٦٦، ح ٢٤٢
سولاقا، يوحنا (أول بطريرك كلداني) ٢٣
سونتاك جاك ايميل (المطران) Sontag Jacques Emile ٩٥، ٩٨،ح ٦٩، ٣٧٠
سي نكان فو (مسلة) Si Ngan Fou (Stele de) ٤٢،ح ٣١
سيفر (معاهدة) ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ٢١٢ - ٢١٤، ٢٤٠، ٢٥٠
سيمكو أغا ١١٣، ١١٨، ١٤٤
شاتليه (أرستيد) Châtelet Aristide ١٢٧، ٢٥٤،ح ٧١،ح ٩٠،ح ٩١
شليطا (مار) كنيسة ٢١، ٢٥، ٣٧، ٦٠
شمعون الثالث عشر دنخا (بطريرك) ٢٣، ٣٤٢
شمعون الرابع باصياده (بطريرك) ٢٣
شمعون اوراهم (بطريرك) ٣٣، ٥٩، ٨٠،
شمعون إيشاي (بطريرك) ١٠، ٣٩، ٤٠، ٤١، ١٣١، ١٨٣، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٠٨،
٢١٠، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٨ - ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٤ -
٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٥ - ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣،
٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٩ - ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١ - ٣٤٨،ح
١١٨،ح ٢٠٥،ح ٢٥٣
شمعون بنيامين (بطريرك) ٢١، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٦٦، ٦٧، ٧٠،
٧٤، ٧٩، ٨٠ - ٨٢، ٨٥-٩٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٦ -
١١٨، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٢.
شمعون بولس (بطريرك) ١١٩، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٥١، ١٥٧،
١٥٨، ١٦٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٠، ٢٨٨، ٣٣١
شمعون روئيل (بطريرك) ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٤٩، ٥٦، ١٦٤
شمورامات (سميراميس) ١٤٦
شيخان ٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٦٤
شيد وليم انطوان Shedd William Antoine ١٠٠،ح ٧٦
شيكاغو ١٩٧، ٢٣٠، ٣٢٥، ٣٣٨،ح ٣٥٥،ح ٢٤٢،ح ٢٤٨، ٣٧٧
الصين ٢٣، ٤٢، ٥١، ١٤٨، ٢٤٣، ٣٠٢، ٣٤٦،ح ١٠٥، ٣٧٥
طلعت باشا ٧٤

طور عبدين ٢٤، ١٠١، ح ٣
طيماثاوس الأول (البطريرك) ٤٢، ١٤٨، ١٨٣، ح ٧، ح ١٠٥
طيماثيوس من ملابار (المطران) ٢٠٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢
العباسيون ١٣٣، ١٣٤، ١٤٨، ٢٥٧، ٣٦٥
عبد الحميد الثاني (السلطان) ٦٣، ٦٤
عبد ايشوع (دير) عوديشو ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٨٤، ٨٥
عبد يشوع (مار عبد يشوع الأول) ١٩٣
العراق ٧ -٩، ١٤، ١٥، ٥١، ٦٦، ٧٠، ١٣١، ١٣٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٨، ١٨٥،
١٨٩، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٢- ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥ -٢١٨، ٢٢١-
٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨- ٢٤١، ٢٤٣ -٢٥٦، ٢٥٨ -٢٦٧،
٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥-٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٦- ٢٨٩، ٢٩٤ -٢٩٨، ٣٠١-
٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣ -٣١٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٩ -٣٣١، ٣٣٥،
٣٣٧، ٣٤٢ - ٣٤٤، ٣٤٦، ح ١٠٣، ح ١٣٤، ح ١٣٥، ح ١٦٤، ح ٢٠١، ح ٢١٥، ح ٢٤٢،
٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨١
العرب ١٨، ٢٠، ٦٩، ٧٠، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦،
١٥٩، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٤ -١٨٩، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠١-٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢،
٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣-٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٩٠، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١٩-٣٢١،
ح ١، ح ١٣، ح ٣٦، ح ٤٢، ح ١٥٣، ح ١٥٤، ح ٢٢٩، ٣٧٢، ٣٧٦
عصبة الأمم ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٨، ١٨٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨ - ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٤،
٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠ - ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٦ -
٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٥، ٣١٩، ٣٣١، ح ١١٣، ح
١٣١، ح ١٦٢، ح ١٦٤، ح ١٩١، ح ١٩٣، ح ١٩٤، ح ٢٠١، ح ٢٢٦، ح ٢٢٧، ٣٧٠، ٣٧٧
عقرة ١٨١، ٢٠٦، ٢١٠
العمادية ٣٦، ٣٨، ٥٧، ٦٧، ٦٨، ٧١، ١٢٧، ١٧١، ١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠،
٢٤٨، ٢٤٩، ح ٣
الغاب (سوريا) ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٥
فاماكوست ٣١٧ - ٣١٩
الفرات ١٣٣، ١٤١، ١٦٧، ١٧١، ١٨٤
الفرس ٣٢، ٥٠، ٥٥، ٦٣، ٦٦، ٩٢، ٩٤، ١٠٠، ١١٢ - ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٤٣، ١٤٧،

١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ٢٣١
فرساي (معاهدة) ١٤٠، ١٥٥
فرنسا ٩، ٧٥، ٧٦، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٧٨، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٤١، ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٩٤-٢٩٦، ٣٠٢، ح ٣٧، ح ١٣٥، ح ١٧٨، ٣٦٨، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠
فلسطين ٢٠، ٤٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٨، ٢٠٠، ٢٣٤، ٢٦٣، ٢٨٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٩، ٣٣٧
فيشر جوفري (رئيس أساقفة كانتوربيري) Fisher Geoffrey ٣٠٥، ٣٢٦
فيصل (الأمير) ١٧٦، ٢٠٢-٢٠٥، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٨٦
القاهرة ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١١
قبرص ٧، ١٠، ١٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١-٢٧٦، ٢٧٨-٢٨٨، ٢٩١، ٣٠١، ٣٠٤-٣٢٤، ٣٢٦ - ٣٣٢
القدس، أورشليم ٦١، ١٦٢، ١٦٥، ٢٠١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٦٣، ٣٠٤، ح ٢٥٢، ٣٧١، ٣٧٣
القسطنطينية ٥٤، ٢١٦، ٣٠٨، ٣١٨، ح ٤٢
قطيسفون ٢٢، ١٤٩، ٢١١، ٧٩
قنبر (ملك) ٩
قوجانس (منطقة ومدينة) ١٤، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٣٥-٣٩، ٤١، ٤٥، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٧١، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١١٤، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٥، ١٦٤، ١٧٤، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٩٠، ٣٣٢، ٣٣٦، ح ٧
القوش ٢٣، ٢٤، ٢١٠، ٢١١، ٢٤١، ٢٧٨
كارافاس ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨
كامبل، تيت ارشيبالد (رئيس اساقفة كانتوربيري) Tait Archibald Campbell ٢٧
كانليف أون (الكولونيل) Cunliffe - Owen (Colonel) ١٤٠
الكتاب المقدس ٣٧، ٦٢، ٦٣، ١٠٩، ١٥٠، ١٧٣، ١٩٩، ٣٠٧
كردستان ٧، ١٥، ٢٦، ٥١، ٦٠، ٧٦، ٩٣، ٩٨، ١١٦، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٨-١٨٠، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٤٠، ح ١، ح ١٤، ح ٤٣، ح ١٠٨، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٤

كركوك ٨، ٢٤، ١٧٩، ٢٢٣، ٢٤٤، ٣٤٤
كريسي جي إف إيش (الكابتن كريسي) Gracey G.F.H (Capitaine Gracey) ١١٣- ١١٧، ٢٨٩، ح ٨٦
كلكامش ١٣١، ١٦٩، ١٧٠، ح ١٩٥
كلوزل (المطران) Cluzel (Mgr) ٩٥، ح ٦٩
كنتربري (مدينة) ١٨، ٢٦، ٢٧، ٧٢، ٧٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٨، ٢١٩، ٢٢٥ - ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٤- ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ح ١١، ح ٥١، ح ٥٨، ح ١٦٦، ح ١٦٧، ح ١٧١، ح ١٧٥، ح ٢٤٧، ح ٢٤٩، ح ٢٥١، ٣٦٩
كوجول (بول) Caujole Paul ١١٣، ١١٩، ح ٨٥، ح ٩٣، ٣٦٩
كوخي ٢٢
كورزن جورج نتنائيل (اللورد) Curzon George Nathanael (Lord) ١٣١، ١٦١، ١٦٥ ح ١٢٢
كوكس بيرسي (السير) Cox Percy (Sir) ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٦
كيرينيا ٢٧٤، ٢٨٤، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٣، ح ٢٣٧
لارنكا ٣٨٣
لامبيث (معاهدة) ١٧٣
لامبيث بالاس (قصر) ١٦١، ٢٩٢، ح ٢٤٩، ح ٢٥٠، ٣٧٨
لانغ كوسمو غوردن (رئيس اساقفة كانتربيري) ٢٤٦، ٢٩٢، ح ٢٢٣
لاهاي (مدينة في هولندا فيها محكمة العدل الدولية) ٢١٩
لاوكو (ملك) ٢٥٥
لايدونير (جنرال) Laidoner (General) ٢٢٠ - ٢٢٢
لبنان ٢٦٤، ٢٩٩، ٣١٦، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ح ٢٤٢
اللعازريون ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١١٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٧، ح ٦٩
لندن ٢٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٩ - ١٤١، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٢ - ١٥٤، ١٥٩ - ١٦٧، ١٧٠ - ١٧٥، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨ - ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٨ - ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٦،

٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٠-٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٨، ح ١١، ح ١٤، ح ٤٣، ح ٦٤، ح ٧٦، ح ٦٨، ح ٩٨، ح ١١٤، ح ١١٨، ح ١٢٠، ح ١٢٢، ح ١٢٩، ح ١٣٤، ح ١٣٧، ح ١٥٠، ح ١٧١، ح ١٧٣، ح ١٧٥، ح ١٧٨، ح ١٨٦، ح ١٨٨، ح ٢٥٠، ح ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٤-٣٧٦، ٣٧٨

لورنس العرب ٢٠٢، ٣٧٦

لوزان (معاهدة) ٢١٢-٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ح ١٥٨

لوقا (الإنجيلي) ١٩٨، ٢٣٧، ٢٩٨، ح ١٨١، ح ١٨٣

لوك هاري (السير) Luka Harry (Sir) ح ٧٤

لون هنري (السير) Lunn Henry (Sir) ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٤٤

لويد جورج Lloyd Georges ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧

لويس لي فور Louis le Fur ٢٢٣، ح ١٦٣، ح ١٦٤، ح ١٦٥، ح ١٦٨، ٣٧٢

ماردين ٢٤، ١٠١، ح ٣، ح ١٠٦

المارونيون (الموارنة) ٢، ٣١٦، ٣١٧، ح ٢٣٥

ماري (تلميذ المسيح) ٢٢، ٤٠، ١٤٨، ١٤٩

متى (الإنجيلي) ٥٣، ١٥٠، ١٨٤، ٢٣٦، ح ٣٩، ح ٥٦، ح ٥٧، ١٠٧، ١٨٢، ح ٢٥٩

متي (مار) ١٤٠، ١٩٢

مذابح جماعية ٧، ٩، ١٢، ٦٠، ٦٤، ٦٦، ٧٦، ٨٠، ٩٩-١٠١، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٥، ١٥١، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١٥، ٣٢٥، ٣٣٢، ح ٤٢، ح ٦٦، ح ٧٨، ٣٧٤، ٣٧٥

مرغوليوث جي بي (السيدة والآنسة) Margoulliouth J.P. ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩

مرغوليوث دافيد صاموئيل (بروفيسور) Margoulliouth David Samuel ٢٧٧

مرقس (الإنجيلي) ٣٩، ١٩٨، ح ٢٧

المشيخيون Presbytériens (وهم كالفينيون أسسهم جون كنوكس Knox ١٥٠٥ - ١٥٧٢) ٩٥، ١٠٤، ١٠٥، ٢٣٢، ح ٧٤

مصر ١٠٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٧٥، ٢٠٠

مصطفى كمال (أتاتورك) ١٥٩، ١٨١، ٢١٣، ٢١٤

مكاريوس الثالث ٣٢٤

مندان ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٦، ٢١١

منظمة الأمم المتحدة ٢١٦، ٢١٩، ٣٢٠، ٣٢٥

متكنا (الفونس) ٣٠٨، ٣٠٩، ح ٢٢٩
موس (السيدة) Moss ٢٧٧، ٢٩٤
موس سيبي (البروفيسور) Moss C. B ٢٨٩، ٢٩٥
الموصل ٨، ١٤، ١٥، ٢٤، ٣٦، ٥١، ٥٨، ٥٩، ٦٧، ٧٩، ٨٢، ٨٥، ٨٩، ١٠٠، ١١١، ١٣١، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٧١، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠-١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥ -٢٠٨، ٢١١، ٢١٥ -٢١٨، ٢٢١ - ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٥ -٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣ -٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٧، ٢٩١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٣٢، ح ٧، ح ١٦٣، ح ١٦٤، ح ١٦٥، ح ١٦٨، ح ١٨٥، ح ١٨٦، ٣٧٢، ٣٧٣
الميديون (شعب) ٣٢، ١٢٧، ح ٤٢
ميرتو (قرية في قبرص) ٣٠٥-٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٣
نرساي (مار) ١٧٥، ٣٣٩
نسطوريوس (مار) ٣٠٨
نصيبين ٥١، ٦٢، ١٧٥، ١٩٣، ح ٣، ح ٤٩
نظام الإمبراطورية البريطانية OBE Order of British Empire ٢٣٤، ٢٤٥، ح ١٧٩
نور الله بيك ٥٩، ٦٩، ٨٠
نيسان (الراعي) Neesan Y. M ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١١٩، ١٢٣
نيقوسيا ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٨، ح ٢٠٥، ٣٧٨
نيقولا الثاني (القيصر) ١١١
نيكيتين باسيليوس ٧٦، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ح ١، ح ٤٥، ح ٦١
نينوى ١٤، ٢٥، ٣١، ٣٢، ٦١، ٦٢، ٨١، ٨٢، ٩٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٦٧، ١٧٩، ١٨١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦-١٩٩، ٢٠٨، ٢١١، ٢٦٤، ٢٧٣، ح ٤٧، ح ١٢١، ح ١٤٢، ٣٧٣
نيوجرسي ٢٢٨
نيويورك ١٠٦، ١٠٧، ١٥٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٤٢، ح ١١، ح ٤٠، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥
هاويل زيا (آبل زيا) ٩٧
هرمز د مار شمعون ٣٠، ٨٥، ١٨٢، ٣٣١
هرمز رسام ١٩٧، ٢٤٧

همدان ٢٤، ١٢١، ١٢٥ -١٢٨، ١٣٨، ٢٣٠، ح ٩٣
همفري فرانسيس (السير) Humphrys Francis (Sir) ٢٤٥
الهند ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٤٢، ٤٤، ٦٥، ١٠٤، ١١٣، ١٣٦، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٧، ١٦١، ١٦٦، ١٦٩، ١٨٤، ١٨٩، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٤٣، ٣٤١ - ٣٤٣، ٣٤٦، ح ١٠٥، ح ٢٣٠، ح ٢٥٨
هوار صامويل (السير) Hoare Samuel (Sir) ٢٢٦، ٢٨٣، ٢٨٥
هيزل Heazell F.N. (Canon) ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٨٩، ح ١١٨
وان (بحيرة وولاية ومدينة) ٢٤، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٦٠، ٧٤، ٧٥، ٧٩ - ٨٢، ٩٦، ٩٩، ١١٦ - ١١٨، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٦، ١٨٢، ح ٣، ح ٦٦
وردا يوئيل ١٥٧، ٢٣٠
الولايات المتحدة الأمريكية ٧، ١٠، ١٤، ١٠٥ - ١٠٧، ١٥٤، ١٥٧ - ١٥٩، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٩ - ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٩ - ٣١١، ٣١٥، ٣٢١ - ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٦، ح ٣٦٢، ح ٢٤٨، ٣٨٠، ٣٨٤
ولسون (ميجر) Wilson W.C.F.A ١٣٩، ٢٤٤
ولسون ارنولد تالبوت Sir Wilson William Talbot ١٣٩، ١٧١، ٢٤٤
ويغرام وليام إينغر (شارع) Wigram William Ainger ١٨، ٢٤٥، ح ٦٤، ح ٩٤، ٣٧٦
وينستن تشرشل Winston Churchill ٨، ٢٠٠
ياقو (الملك) ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٤
اليزابيث الثانية ٣٠٠
اليزيدية ١٨، ٦٣، ١٤٧، ٢٠٧
يوحنا (الإنجيلي) ١٢٣، ١٩٨، ٣٠٨، ح ١١٩، ح ١٤٥
يوسف (ملك والد ملك خوشابا) ١٤٤، ٢٦٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣١٢، ح ٨٧، ح ١٥٩، ح ١٦١، ح ١٧٤
يوسف خنانيشو (المطران) ١٨٣، ٢٠٧، ٢٣٨، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٧
يوسف عمانوئيل الثاني توما (البطريرك) ٩، ١٥٨، ١٩٤، ح ٧٨، ١٨٥
يوسف نعيم ٧، ٢٣١، ح ٧٨
يونان (ربان، الراهب) ٢٥، ٧١، ١٦٤، ١٩٨
يونان (سفر) ٦٢، ٦٣، ١٦٧، ١٩٦، ١٩٨، ح ٤٧، ١٢١

اليــونــان ٣٢، ٥٨، ١٣٣، ١٧٩، ١٨١، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٢٨،ح ٣
اليونانيون (الأرثوذكس) ٢٣٦، ٢٧٥، ٣٠٧، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٤،ح ٦٦

فهرس مواد الكتاب

تقديم ناشر الطبعة العربية (الأب د. يوسف توما) ٧

مقدمة المترجم ١١

تمهيد المترجم ١٤

القسم الأول

سورما سليلة بيت مار شمعون (العائلة البطريركية)، عندما كانت في ربوع حكاري منطقة نفوذ الآشوريين (من كانون ثاني ١٨٨٣ - أيلول ١٩١٥) ١٧

١ - قوجانس (المدينة) الآشورية المسيحية ١٧

حكاري: جبال ملجأ آمن ١٧

مقرّ الكرسي البطريركي القديم الخاص بكنيسة المشرق ٢٢

ناسك أنكليكاني في بلاد الآشوريين ٢٤

الخانم سورما من بيت (آل) مار شمعون ٢٨

جماهير آشورية يمتدّ تاريخ وجودها قروناً عديدة ٣٢

٢ - مشاهد من الحياة اليومية ٣٣

مجلس (ديوان) البطريرك مار شمعون بنيامين ٣٣

معموذيثا، يوم تعميذ الطفل إيشاي، ٣٩

جماهير الآشوريين من العشيرت المستقلين ٤٣

الحج إلى مزار مار عوديشو ٤٥

توقف في مادس/ Mâdes ٤٥

صلاة وتقوى جماعية ٤٩

حديث هادئ تحت أنوار القمر الفضية ٥٢

في ضيافة الخانم الكردية شيريني ٥٤
أحداث محزنة في أدنه ٥٧

٣ - الكلدو الآشورين في خضم الإعصار الذي ضرب العالم ٦١
باعوثا د نينوايي (صوم تضرّع أهل نينوى) ٦١
بين أيدى العثمانيين والفرس والروس والمبشرين الغربيين ٦٣
البحث عن الحماية المطلوبة ٦٦
إتصالات مع الروس ٦٦
الفرمان الذي أعطاه النبي محمد ٦٨
وفاة رابي براون ٧١

٤ - فصل الشتاء خلال عامي ١٩١٤ و ١٩١٥ أفول يظهر في أفق آشوريي حكاري ٧٤
بوادر حرب عالمية ٧٤
مقدمات المأساة الكبرى ٧٧
شهادة سورما ٧٧
إخلاء قوجانس ٧٩
دخول الآشوريين العشيرت خضم الحرب ٨٠
حرب غير متكافئة ٨٣
٥ - سورما تغادر حكاري ... الفصل الأول من المأساة ٨٧

القسم الثاني

في بلاد فارس
وخضمّ الصعاب والأوضاع المتأزمة
(تشرين أول، عام ١٩١٥ لغاية أيلول ١٩١٨) ٩١

١ - عام ١٩١٥ عام السيف ٩١
سلامس وأورميا في لجج الشدائد والنكبات ٩١
المذبحة المنسية ٩٦
مأساة مشتركة ٩٦
الكلدو آشوريون والسريان كانوا الفيئات المنسية في المجتمع ١٠١
سورما تبحث عن الدعم ١٠٢

٢ - الحليف الأصغر ١٠٩
مع الجبهة الروسية ١٠٩
الوعود البريطانية ١١٢
هياج المقاومة ١١٧
إغتيال البطريرك مار شمعون بنيامين ١١٧
عزلة تامة وحصار مميت ١١٩

٣ - صيف عام ١٩١٨ أو الفصل الثاني من المأساة ١٢٢
جلاء المسيحيين عن أورميا ١٢٢
في الطريق إلى همدان ١٢٦
سورما تغادر بلاد فارس ١٢٨

القسم الثالث

في العراق
فترة وصاية سورما ١٣١
(من تشرين أول عام ١٩١٨ إلى آب ١٩٣٣)

١ - الآشوريون لاجئون في بعقوبة

في البدء كانت بلاد ما بين النهرين ١٣١

أبناء البلاد الأصلاء يصبحون غرباء ١٣٥

في وسط مدينة الخيم ١٣٥

مصير العائلة البطريركية ١٣٨

مطالبات واختلافات في الرأي ١٤٢

طموحات الشعب الكلدو آشوري ١٤٢

صراعات بين الإخوة ١٤٥

٢ - سورما تقيم في لندن (من تشرين أول ١٩١٩ إلى تشرين أول ١٩٢٠) ١٤٧

في الطريق إلى لندن عبر بغداد المدينة الشهيرة ١٤٧

من البصرة إلى ساوثامبتن /Southampton/ ١٤٩

من ساوث أمبتون إلى لندن ١٥٢

ماذا كان يحدث في باريس في هذه الأثناء ... ١٥٤

مؤتمر السلام ١٥٤

التناقضات لدى الإنكليز ١٥٥

الانشقاقات بين الكلدو آشوريين ١٥٧

أولى خطوات سورما في إنكلترا ١٥٩

لقاء الرئيس الأعلى للكنيسة الأنكليكانية ١٥٩

عودة اللقاء مع أخوات دير "بيت عنيا" ١٦١

سورما امرأة سياسة ١٦٥

مقابلة مع اللورد كورزون / **Curzon** ١٦٥

مناقشات برلمانية خلال شهر كانون أول ١٩١٩ ١٦٩

سورما، إمرأة مثقفة ومسكونية ١٧٢
من سان ريمو إلى سيفر ١٧٦
محاولات تشبّث سورما ١٧٦
الوهن يحاصر مؤتمر سيفر وقراراته ١٨٠
المآسي تتوالى مواصلة مشوارها ١٨١
وفاة البطريرك مار شمعون بولس ١٨١
أغا بطرس يحاول العودة إلى الوطن ١٨٤
بين المطرقة والسندان ١٨٥
العودة إلى بلاد ما بين النهرين ١٨٧
لقاء مع جيرترود بيل ١٨٧
الإقامة في الموصل ١٩١
الكلدو آشوريون بيادق في أيدي اللاعبين الكبار ١٩٤
تأملات على أطلال نينوى ١٩٦

٣ - حثيثًا نحو خيبة الآمال والإحباط ٢٠٠
النوجه الجديد للإنتداب البريطاني ٢٠٠
مؤتمر القاهرة في آذار عام ١٩٢١ ٢٠٠
تتويج الملك فيصل (الأول) ملكا على العراق ٢٠٣
المرحلة الحاسمة ٢٠٥
هدوء يسبق العاصفة ٢٠٥
إقامة مؤقتة في قولأنس ٢٠٧
معاهدة لوزان ٢١٢
انتصار تركيا الكمالية ٢١٢

القبضة الحديدية ٢١٥
قضية الموصل ٢١٨
الليدي سورما تحت قبة قاعة عصبة الأمم ٢١٨
كانون أول الأسود من عام ١٩٢٥ ٢٢١

٤ - تعويم قضية الكلدوآشوريين ٢٢٤
سورما في الولايات المتحدة ٢٢٤
ابحار نحو نيويورك ٢٢٤
من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي ٢٢٧
سورما تلتقي مع المغتربين من الكلدو آشوريين ٢٢٩
العودة إلى العراق ٢٣٤
توقف قصير في القدس ٢٣٤
أوضاع مضطربة ٢٣٨
رسالة من الموصل ٢٣٩
إنشقاقات وخلافات ٢٤١
نحو إنهاء الإنتداب البريطاني ٢٤٤
المناورات ٢٤٤
قلق البيت البطريركي ٢٤٦

٥ - الإهمال الإنكليزي ٢٤٨
سورما توصف بالمتزمتة ٢٤٨
تهاوي الميثاق الوطني الآشوري ٢٥١
جنيف آخر ملجأ ٢٥٢

مذبحة شهر آب ١٩٣٣ ٢٥٣
أوضاع مُتفجرة ٢٥٣
سميل صفحة سوداء في تاريخ العراق ٢٥٦
جلاء الآشوريين من العراق ٢٦٤
البطريرك ٢٦٤
ما جرى لسورما ٢٦٧

القسم الرابع

في قبرص سورما في ميدان المقاومة ٢٧١
(من ٣١ آب ١٩٣٣ لغاية آب ١٩٥٤)
١ - منفيون في جزيرة ميالة إلى التمرد ٢٧١
نيقوسيا، "الوطن" الجديد ٢٧١
الحرية المقيّدة ٢٧٤
منغصات مستمرة ٢٧٨
مار شمعون في جنيف ٢٨٥
آمال للتوطين في سهل الغاب السوري ٢٨٨

٢ - سورما في بريطانيا العظمى ٢٩٠
في دير راهبات بيت عنيا ٢٩٠
جولة سورما لزيارة بعض الأصدقاء ٢٩٣
سورما في المشفى ٢٩٨
في تتويج الملك جورج السادس ٢٩٩

٣ – غلق ملف قضية الكلدو آشوريين ٣٠١
عصبة الأمم تتأسف ٣٠١
العلاقات مع الكنيسة الأنكليكانية ٣٠٤

٤ – سنوات المقاومة الطويلة ٣٠٥
في نيقوسيا وفي ميرتو Myrtou ٣٠٥
مناقشات لندنية حول مصير العائلة البطريركية ٣٠٩
الكانون دوكلاس الرجل الرجل ٣٠٩
تحريات على أرض الواقع ٣١١
موازنة محزنة ٣١٤
كانت كنيسة المشرق موجودة سابقًا في قبرص ٣١٦
منغصات جديدة ٣١٩
إنتقال العائلة إلى كارافاس وكيرينيا للإقامة ٣٢٢

٥ – نحو فجر كلدوآشوري مشرق ٣٢٤
وضوح الرؤية لدى مار إيشاي شمعون ٣٢٤
"صاحب المعالي، ٣٢٦
سورما تودع ربوع الشرق! ٣٢٨

القسم الخامس

إلى العالم الجديد عبر لندن ٣٣٣
(من صيف عام ١٩٥٤ إلى كانون أول عام ١٩٧٥)

١ - في إيلينك EALING - لندن ٣٣٣
أسئلة لا إجابات عليها ٣٣٣
سنوات هدوء وسكينة ٣٣٤

٢ - العالم الجديد، ميناؤها الأخير ٣٣٨
في سان فرنسيسكو وديلي سيتي Daly City ٣٣٨
مار إيشاي شمعون أمام التحديات ٣٤١
جولة في ربوع الهند وبلدان الشرق الأوسط ٣٤١
إنشقاقات وتمزق ٣٤٣
زواج البطريرك! ٣٤٥
تورلوك Turlock، المحطة الأخيرة في حياة سورما ٣٤٦

الحواشي ٣٤٩
فهرسة المصادر ومراجع البحث ٣٦٨
استدراك وتصحيح ٣٨٢
فهرس أسماء الأشخاص والأماكن ٣٨٤

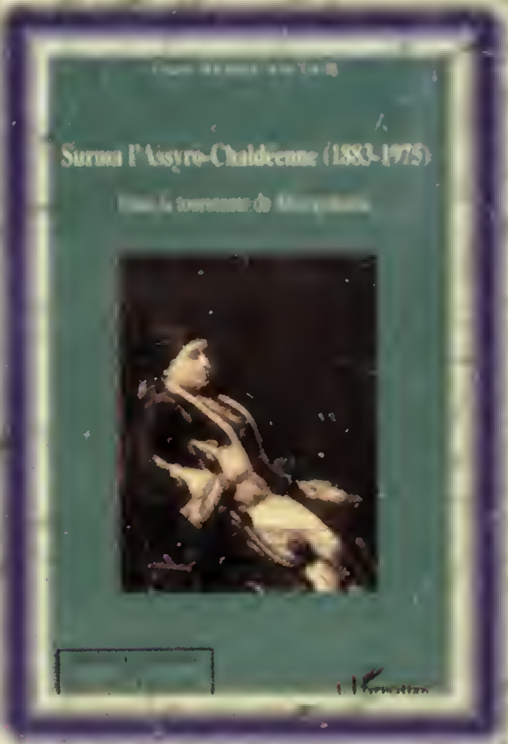

هذا الكتاب

بعد الإحتلال الأمريكي للعراق (٢٠٠٣) ، أخذت قضية الموصل تطفو على سطح الأحداث مرة ثانية، بسبب المطالبات بتحقيق حكم ذاتي للكلدو آشوريين، الأقلية شبه المنسية.

دافعت سورما خانم عن قضية شعبها مدى حياتها. وكانت إبنة آشور القديمة، والمنشدة الأولى في الجوقة الرئيسية لكنيسة المشرق النسطورية، التي سبق أن سطع نورها قديمًا. كانت سورما قريبة بطاركة هذه الكنيسة، كما أنها كانت في فترة ما بمثابة نور هادٍ لأبناء شعبها. حاولت أن تجنب الكلدو آشوريين خلال سنوات الحرب العظمى الكثير من المعاناة التي حصلت لهم مثلما حصل للأرمن. فلاحقتهم جحافل الجيوش التركية مدعومة بالقوات الكردية غير النظامية ، فنفذت فيهم مذابح مريعة منذ عام ١٩١٥. فرافقت سورما أبناء قومها في جلائهم الجماهيري القسري عن موطنهم باتجاه إيران في البداية، ثم نحو العراق أخيرًا.

جلست على طاولة المفاوضات التي اجتمع حولها قادة العالم الكبار، وقبلت الوصاية التي أناط بها شعبها أمر تدبيره دفاعًا عن كيانه وحقوقه. لكن جهودها، شوشّت الخطط البريطانية وفضحت معالم اللعبة مع السلطات العراقية آنذاك، فاستبعدت عن المسرح السياسي، ونفيت إلى جزيرة قبرص. وهناك بقيت مشرّدة وملاحَقة سنوات عديدة، كانت أيام تلك السنين سلسلة من المآسي والنكبات والبؤس. أخيرًا، ذهب بها قدرها إلى بريطانيا العظمى، حيث أقامت فترة كلاجئة. بعد ذلك إنتهى بها المطاف في غرب الولايات المتحدة الأمريكية.

عزيزي القارئ

هذا الكتاب يحكي قصة هذه الأحداث بتفاصيل قد لا تجدها في أي كتاب آخر وشمولية قد تساعدك على فهم الحاضر والمستقبل في ضوء الماضي.

الكاتبة في سطور

مختصة في البحوث المختبرية وتم[illegible] في حقوق الإنسان، فرنسية من مقاطعة الألزاس [illegible] ـضية الكلدو آشورية. إنها كلير ويبيل يعقوب. أنجزت كتابة هذا المؤلف - السيرة الذاتية لسورما خانم خلال فترة عشر سنوات، قضتها في البحث والدراسة واللقاءات. وسافرت كثيرًا لمتابعة بحوثها والتحقق موقعيًا من الأحداث التي نقلتها بأمانة وحياد.

$20

شركة الأطلس للطباعة المحدودة بغداد - العراق ٢٠١١

منشورات مجلة الفكر المسيحي